

# مَقَدِّمَاتُ ابْنِ خَلْدُونِ



دار الفکر  
بيروت - لبنان



لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

[www.books4arab.me](http://www.books4arab.me)







# مَقَدِّمَاتُ ابْنِ خَلْدُونِ

دار القلم

بيروت - لبنان - ص.ب. ٣٨٧٤

الطبعة الرابعة ١٩٨١

حقوق الطبع والنقل محفوظة

لدار القلم ص.ب ٣٨٧٤

بيروت - لبنان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقَوْلِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى النَّبِيِّ بِلُطْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْدُونَ  
الْحَضْرَمِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْأَمَلَكُوتُ \* وَهُوَ الْأَمْنَاءُ  
الْحَسَى وَالنُّعُوتُ \* أَلْعَالِمِ فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النُّجُومُ أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* الْقَادِرُ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَفُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَمًا \* وَأَسْتَمَرَّتْنَا  
فِيهَا أَجْيَالًا وَأُمَمًا وَيَسَّرَ لَنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَتَسَمَّا \* تَكَدَّفْنَا الْأَرْحَامُ وَالْيَبُوتُ \* وَيَكُنْ فَلَئِنَّا  
الرِّزْقُ وَالْقُوتُ \* وَتَبَيَّنَا الْأَيَّامُ وَالْوُقُوتُ \* وَتَعَوَّرْنَا الْأَجَالَ الَّتِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْفُوتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالثَّبُوتُ \* وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَمَحَّضَ لِفَصَالِهِ  
السُّكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالسُّبُوتُ \* وَيَتَبَايَنَ زُحُلُ وَالْيَهْمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى الْإِهْوَانِ وَالصَّغَابَةِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصَّيْتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرِهِ وَلِعْدُومِ  
الشَّمْلِ الشَّتِيتِ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَجْجُوتُ \* وَأَنْتَقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ \* وَسَلَّمَ كَثِيرًا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِنَ التَّارِيخِ مِنَ النُّونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ. وَتُنْشَدُ إِلَيْهِ  
الرَّكَابُ وَالرِّحَالُ \* وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالْأَغْفَالُ \* وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْيَالُ \* وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله الهموت هو النون أي المحوت الذي على ظهره الأرض السابعة وسمى أيضا لوتيا كما في  
المزهر وروح البيان باللهجة ومعلم ان بيته وبين زحل الذي مر في الفلك السابع بونا بعيدا وقال الشهاب  
المخاخي في خاشمته على البيضاوي اه في اول سورة نون الهموت بفتح الهمزة النجمة وسكون الماء وما لشهر  
من افه بالهاء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحشى ومثله في روح البيان قاله نصر الموريني اقره  
المصحح الثاني



عَنِ الْآيَامِ وَاللُّدُولِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى \* تَنَمُّو فِيهَا الْأَقْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
 الْأَمْثَالُ \* وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَّةُ إِذَا غَضِبَهَا الْأَخْتِفَالُ \* وَتُؤَدِّي لَنَا شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ  
 تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ \* وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالنَّجَالُ \* وَعَمَّرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
 بِهِمُ الْأَرْنَجَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ الرُّوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ \* وَتَعْمِيلٌ لِلْمَكَائِنَاتِ  
 وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ \* وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أَحْيَلُ فِي الْحِكْمَةِ  
 عَرِيقٌ \* وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَمُدَّ فِي عُلُوبِهَا وَخَلِيقٌ \* وَإِنْ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْإِسْلَامِ قَدِ  
 اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْآيَامِ وَجَمَعُوهَا \* وَسَطَّرُوهَا فِي صَفْحَاتِ الدَّفَائِرِ وَأَوْدَعُوهَا \* وَخَلَطَهَا  
 الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسِ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَزَخَّارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضْمَعَةِ  
 لِقُومِهَا وَوَضَعُوهَا \* وَأَقْنَعَى نَيْكَ الْأَثَارِ الْكَثِيرُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَتَّبَعُوهَا \* وَأَدَّوْهَا إِلَيْنَا كَمَا  
 سَمِعُوهَا \* وَلَمْ يُبْلَغُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعِوهَا \* وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ  
 الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا \* فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلٌ \* وَطُرْفُ النَّخِيعِ فِي الْغَالِبِ كَلِيلٌ \* وَالغَلَطُ وَالْوَهْمُ  
 نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ \* وَالنَّقْلُ عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَائِلٌ \* وَالْأَطْفَالُ عَلَى الْفُنُونِ  
 عَرِيفٌ طَوِيلٌ \* وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَيَلٌ \* وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
 يُقَدِّفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ بَعْلِي وَيَنْقَلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ  
 إِذَا تَمَقَّلَ \* وَالْعِلْمُ يَجَاوِلُهَا صَفْحَاتِ الْقُلُوبِ وَيَصْقُلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَاللُّدُولِ فِي  
 الْعَالَمِ وَسَطَّرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمُهْتَبَرَةِ \* وَأَسْفَرَعُوا دَوَابِنَ  
 مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُنَاخِرَةِ \* هُمْ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ \* وَلَا  
 حَرَكَاتِ الْمَوَامِلِ \* مِثْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالطَّابِرِيِّ وَابْنِ الْكَلْبِيِّ وَنَحْمَدُ بِنَ عُمَرَ الْوَاقِدِيَّ  
 وَسَيْفَ بِنَ عُمَرَ الْأَسَدِيَّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْجَاهِلِينَ \* وَإِنْ كَانَ  
 فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْعَنِ وَالْمُهْمَزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
 وَسَمْعُهُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ الْبَقِيَّةِ \* إِلَّا أَنَّ الْكِفَاةَ اخْتَصَنَهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ \* وَأَقْنَعَاءُ  
 سُنَنِهِمْ فِي التَّصْدِيقِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ \* وَاللَّانِدُ الْبَصِيرُ فِطْرًا نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ فِيمَا يَنْقَلُونَ  
 أَوْ أَعْتَابِهِمْ \* فَلِلْمُهْرَانِ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ

وَالْآثَارُ \* ثُمَّ إِنَّ كَثَرَ التَّوَارِيخِ لِهَوْلَاءِ عَامَةِ الْمَنَاحِجِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ  
 صَدَرَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَفَاقِ وَالْمَمَالِكِ \* وَتَنَاوَلَهَا الْبَعِيدَ مِنَ الْغَابَاتِ فِي الْمَاخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
 وَمِنْ هَوْلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبَلَ الْمِلَّةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ \* وَالْأَمْرِ الْعَمَمِ \* كَالْمَسْعُودِيِّ  
 وَمَنْ نَحَا مَنَعَاهُ وَجَاءَ مِنْ نَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَتْ فِي الْعُمُومِ  
 وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ \* فَقَيْدَ شَوَارِدِ عَصْرِهِ \* وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْقِهِ وَقَطْرِهِ \*  
 وَاقْتَصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مَوْزِعُ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِهَا وَابْنُ الرَّفِيقِ مَوْزِعُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةُ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
 هَوْلَاءِ إِلَّا مَقْلَدٌ \* وَبَلِيدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُتَبَلِّدٌ \* يَتَسَجُّ عَلَى ذَلِكَ الْمَنَوَالِ \* وَيَعْتَدِي  
 مِنْهُ بِالْمِثَالِ \* وَيَبْذُلُ عَمَّا أَحَالَهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَأَسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ \* فَيَجْلِسُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صُورًا  
 قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنِ مَوَادِّهَا \* وَصِفَا حَا أَنْضَيْتْ مِنْ أَعْمَادِهَا \* وَمَعَارِفَ تُسَنِّكِرُ لِلْجَهْلِ  
 بِطَارِفِهَا وَوِلَادَهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تَعْلَمْ أَصُولُهَا \* وَأَنْوَاعٌ لَمْ تَعْتَبَرْ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ  
 فُصُولُهَا \* يَكْرَهُونَ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمَتَدَاوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* اتِّبَاعًا لِمَنْ عُنِيَ مِنْ  
 الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَأْنِهَا \* وَيُغْفَلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيُونِهَا \* بِمَا أُعُوذَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
 تَرْجُمَانِهَا \* فَتَسْتَمِجُّ صُحُفُهُمْ عَنْ بَيَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدَّوَلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا \*  
 مُحَافِظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَائِئِهَا \* وَلَا يَبْذُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
 رَفَعَ مِنْ رَأْيِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا \* وَلَا عَلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْغَى النَّاطِرُ مُتَطَلِّمًا بَعْدَ  
 إِلَى انْتِفَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُفْتَشًّا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاجُرِهَا أَوْ تَعَايُنِهَا \*  
 بَاحِثًا عَنِ الْمُقْتَضِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُبِهَا \* حَسَبَمَا نَذَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْأَخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْأَكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ \*  
 مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيْلِهِمْ بِحُرُوفِ الْفَبَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْأَثَرَ مِنَ الْعَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لِهَوْلَاءِ  
 مَقَالٌ \* وَلَا يَبْعُدُ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ \* لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْفَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ  
 الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ  
 وَلَمَّا طَالَتْ كُتُبُ الْقَوْمِ \* وَسَبَّرَتْ عَوَزُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَهَبَتْ عَيْنُ الْقَرِيحَةِ مِنْ

سَنَةِ الْفَقْلَةِ وَالنَّوْمِ \* وَسَمِتُ التَّصْنِيفَ مِنْ تَقْسِيمِي وَأَنَا الْمُنَاسُ أَحْسِنُ السَّوْمِ \* فَأَنْشَأْتُ  
فِي التَّارِيخِ كِتَابًا \* رَفَعْتُ بِهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجْيَالِ حِجَابًا \* وَفَصَّلْتُ فِي  
الْأَخْبَارِ وَالْأَعْتِبَارِ بَابًا بِأَبَا \* وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوْلِيَةِ الدُّوَلِ وَالْعِمْرَانِ عِلَلًا وَأَسْبَابًا \* وَبَنَيْتُهُ  
عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ \* وَمَلَأُوا اسْتِغْنَاءَ الضَّوَاهِي  
مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْقِصَارِ \* وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَالْأَنْصَارِ \* وَهُمَا الْمَرْبُ وَالْبَرْبُ \* إِذْ هُمَا الْجِلْدَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَا وَهُمَا  
وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَحْقَابِ مِثْوَاهُمَا \* حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا \* وَلَا يَعْرِفُ  
أَهْلَهُ مِنْ أَجْيَالِ الْأَدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا \* فَهَدَيْتُ مَنَاحِيهَ تَهْدِيًا \* وَقَرَّبْتُ لِأَفْهَامِ الْعُلَمَاءِ  
وَالْخَاصَّةِ تَقْرِيبًا \* وَسَلَكْتُ فِي تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيهِ مَسَلَكًا غَرِيبًا \* وَأَخْتَرَعْتُ مِنْ بَيْنِ  
الْمَنَاحِي مَذْهَبًا عَجِيبًا \* وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْأَلُ بَابًا \* وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْعِمْرَانِ وَالْتِمَدِنِ  
وَمَا يَعْزُضُ فِي الْأَجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَّةِ مَا يُمْتَعِكُ بِعِلَلِ الْكُؤَانِ  
وَأَسْبَابِهَا \* وَيُعْرِفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا \* حَتَّى تَنْزِعَ مِنَ التَّقْلِيدِ بِدَكَ \*  
وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ وَمَا بَعْدَكَ وَرَتَّبْتُ عَلَى مُقَدِّمَةِ وَثَلَاثَةِ كُتُبٍ  
الْمُقَدِّمَةَ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِمَقَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ  
الْكِتَابَ الْأَوَّلُ فِي الْعِمْرَانِ وَذَكَرْتُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَّةِ مِنَ  
الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ  
الْكِتَابَ الثَّانِي فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَذَوَّلْتُهُ مِنْذُ مَبْدَأِ الْخَلْقِ إِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ وَفِيهِ مِنَ الْإِلْمَاعِ بَعْضُ مَنْ عَاصَرْتُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَذَوَّلْتُهُ مِثْلَ التَّبْطِ  
وَالسَّرْبَانِيِّينَ وَالْفَرَسِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقَبِطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالنُّزْكَ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ  
الْكِتَابَ الثَّلَاثُ فِي أَخْبَارِ الْبَرْبِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ زَنَانَةٍ وَذَكَرْتُ أَوْلِيَتِهِمْ وَأَحْيَالَهُمْ  
وَمَا كَانَ بَدِيَارِ الْمَغْرِبِ خَاصَّةً مِنَ الْمَلِكِ وَالدُّوَلِ ثُمَّ كَانَتْ الرَّحْلَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ  
لِاجْتِنَاءِ أَنْوَارِهِ \* وَقَضَاءِ الْفَرَضِ وَالسُّنَّةِ فِي مَطَافِهِ وَمَزَارِهِ \* وَالْوُقُوفِ عَلَى آثَارِهِ فِي دَوَائِبِهِ  
وَأَسْفَارِهِ \* فَزِدْتُ مَا نَقَصَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِبَلَدِ الْبَارِ \* وَذَوَّلْتُ التُّرْكَ فِيهَا  
مَلَكُوهُ مِنَ الْأَقْطَارِ \* وَأَنْبَعْتُ بِهَا مَا كَتَبْتُهُ فِي تِلْكَ الْأَسْطَارِ \* وَأَدْرَجْتُهَا فِي ذِكْرِ  
الْمُعَاصِرِينَ لِتِلْكَ الْأَجْيَالِ مِنْ أُمَّةِ النَّوَاحِي \* وَمُلُوكِ الْأَمْصَارِ وَالضَّوَاهِي \* سَالِكًا سَبِيلَ

الْإخْتِصَارِ وَالْتَفْحِصِ \* مُفْتَدِيًا بِالْمَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَرِيسِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى الْعُمُومِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْخَلِيقَةِ أَسْمِعَابًا \* وَذَالَ مِنَ  
الْحِكْمِ النَّافِرَةَ صِعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عِلًّا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صِرَاتًا \*  
وَالْتَارِيخِ جِرَابًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَحِلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبْرِ \* وَالْإِلْمَاعِ  
بَيْنَ عَاصِرُهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكُبَرِ \* وَأَفْصَحَ بِالذِّكْرِ وَالْعَبْرِ \* فِي مُبْتَدَأِ الْأَحْوَالِ وَمَا  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبْرِ \* سَمِيحًا كِتَابَ الْعَبْرِ \* وَدِيُونَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجْمِ  
وَالْبَرْبِ \* وَمَنْ عَاصِرُهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا فِي أَوْلِيَةِ الْأَجْبَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتَعَاصِرِ الْأُمَمِ الْأَوَّلِ \* وَأَسْبَابِ النَّصْرِ وَالْحَوْلِ \* فِي الْفُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْحَالِ \*  
وَمَا يَعْزُضُ فِي الْعُمُرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعِزَّةٍ وَذَلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقَلَّةٍ \* وَعِلْمِ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالِ مُقَلَّبَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَدْوٍ وَحَضَرٍ \* وَوَأَفْعٍ وَمُنْتَظَرٍ \*  
إِلَّا وَاسْتَوْعَبْتُ جَمْلَهُ \* وَأَوْضَحْتُ بَرَاهِينَهُ وَعِلَلَهُ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فَذَا بِمَا ضَمِنْتُهُ مِنْ  
الْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ \* وَالْحِكْمِ الْمَحْجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَنَا مِنْ بَعْدِهَا مُوقِنٌ بِالْقُصُودِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
الْعُصُودِ \* مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمَتَّسِعَةِ الْقَضَاءِ \* فِي النَّظَرِ بِعَيْنِ الْإِنْتِقَادِ لَا بِعَيْنِ الْإِزْتِضَاءِ \* وَالْتَمَدِّ لِمَا  
يَعْتَرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* فَالْبِضَاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَرْجَاةٌ \* وَالْإِعْتِرَافُ  
مِنَ اللَّوْمِ مَرْجَاةٌ \* وَالْحَسَنِيُّ مِنَ الْإِخْوَانِ مَرْجَاةٌ \* وَاللَّهُ اسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَتَرْتُ مِسْكَانَهُ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ سِرَاجَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي فِضَاءِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ وَأَدْرَتُ  
سِيَّاجَهُ \* أَنْخَفْتُ بِهِئِهِ النُّسخَةَ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِزَانَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْإِمَامِ الْجَاهِدِ \* الْقَانِخِ

(١) قوله انخفت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله انخفت  
وبعد قوله وادرت سيواجه ونصها التبت له الكف الذي يلج بعين الاستبصار فنوته . وبلحظ ينداركو  
الشريفة معياره الصحيح وقانونه . ويميز ترتيبه في المعارف عما دونه . فسرحت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل النام والوجود . بين التهايم والوجود . في العلماء الركع والعبود . والمخلفا اهل الكرم والعبود .  
حتى وقف الاختبار بساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ابدي المساعي والاعتمال .

الماهدي\* المنجلي منذ خلع التمام\* ولوث العمائم\* بجلى القانت ازاهدي\* المتوشح  
 بزكاء المتكاف\* والحماد\* وكرم الشمائل والشواهد\* بأجل من القلائد\* في محور  
 الولايد\* المتناول بالعزم القوي السعيد\* وأجد المواقى المساعدي\* والتجدي الطارف  
 والتأدي\* ذوائب ملكهم الرامي القواعد\* الكريم المعالي والمصاعد\* جامع  
 أشتات العلوم والقوائد\* وتاظيم شمل المعارف والشوارد\* ومظهر الآيات الربانية\*  
 في فضل المدارك\* الإنسانية\* بفكره الثاقب الناقد\* ورأيه الصحيح المعاند\* الثبير  
 المذاهب والعقائد\* نور الله الواضح المرشيد\* ونعمته العذبة المواردي\* ولطفه الكامن  
 بالمراسد للشدائد\* ورحمته الكريمة المقاليد\* التي وسعت صلاح الزمان الفاسد\*  
 واستقامة العائد من الأحوال والقوائد\* وذبت بالخطوب الأوابد\* وخلصت على الزمان  
 رونق الشبَاب العائد\* وحجته التي لا يبطلها إنكار الجاحد ولا شبهات العائد\* ( أمير  
 للمؤمنين ) أبي فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان المعظم الشهير الشهيد أبي سالم  
 إبراهيم ابن مولانا السلطان المقدس أمير المؤمنين\* أبي الحسن ابن السادة الأعلام  
 من ملوك بني مرين\* الذين جددوا الدين\* ونهجوا السبيل للمهتدين\* ومحووا آثار البغاة  
 المفسدين\* أفاء الله على الأمة ظلاله\* وبلغه في نصر دعوة الإسلام آماله\* وبعثته  
 إلى خزائنهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حاضرة ملكهم  
 وكرسي سلطانهم\* حيث مقر الهدى\* ورياض المعارف خصلة الندي\* وقضاء الأسرار

بمندي المعارف مشرفة فيه غرر الجبال . وحدائق العلوم الوارفة الظلال . عن اليمن والشمال . فانفتحت  
 معطي الإنكار في عرصاتها . وجلوت محاسن الأنظار على منصاتها . وانفتحت بيوتها مقاصير ابوابها . واطلعت  
 كوكبا وقادا في افق خزائنها وصوائرها . ليكون آية للعقلاء بهتون بناره . ويعرفون فضل المدارك  
 الإنسانية في آثاره . وهي خزانة مولانا السلطان الامام الجاهد . الفاخ الماهد . الى اخر النصوص المذكورة هنا  
 ثم قال الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبو العباس أحمد ابن مولانا الأمير الطاهر المقدس  
 أبي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس أمير المؤمنين . أبي يحيى الي بكر ابن الخلفاء الراشدين . من  
 أئمة الموجدين الذين جددوا الدين . ونهجوا السبيل للمهتدين . ومحووا اثر البغاه المفسدين من الجساسة  
 والمعتدين . صلاحه أبي المنص والفاروق . والبيعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق . والنور  
 المتلاهي من تلك الأشعة والبروق . فاوردته من مودعها الى العلي بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خصلة الندي . الى اخر ما ذكر هنا الا انه لم يبق الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة المنقولة من خزانه الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

الرَّبَّانِيَّةِ فَسِيحُ الْمَدَى \* وَالْإِمَامَةُ الْفَارِسِيَّةُ الْكَرِيمَةُ<sup>(١)</sup> الْمَزِيدَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِنَظَرِهَا  
الشَّرِيفِ \* وَفَضْلِهَا الْغَنِيِّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَهَادًا \* وَتَفَسُّحُ لَهُ فِي جَانِبِ  
الْقَبُولِ أَمَادًا \* فَتَوْضِيحُ بِهَا أدِلَّةٌ عَلَى رُسُوخِهِ وَأَشْهَادًا \* فِي سَوْفِهَا تَنْفُخُ بَضَائِعِ الْكِتَابِ  
وَعَلَى حَضْرَتِهَا تُمَكِّنُ رَكَائِبُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةِ نَتَائِجُ  
الْفَرَائِغِ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوفِّرُ لَنَا حُظُوظَ الْمَوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
وَيُعِينُنَا عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّابِقِينَ فِي مِيدَانِهَا النُّجَلِينَ فِي حَوْمَتِهَا \* وَيُضْفِي  
عَلَى أَهْلِ إِيَالَتِهَا \* وَمَا أُوِي مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عَمَالَتِهَا \* لُبُوسَ حِمَايَتِهَا وَحَرْمَتِهَا \*  
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهِهَا \* بَرِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الْغَفْلَةِ  
وَشُبُهَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين

من المغالط وذكر شي من اسبابها

إِغْلَمَ أَنْ فَنَّ التَّارِيخَ فَنَّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمَّ الْفَوَائِدِ شَرِيفُ الْغَايَةِ إِذْ هُوَ يُوقِنُنَا  
عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرِهِمْ . وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ . حَتَّى نَتِمَّ فَائِدَةُ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خَذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً وَحَسْنَ نَظَرٍ وَثَبْتَ يُفْضِيَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى  
الْحَقِّ وَيُنْكَتَبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ  
النَّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَلَا قِيَسَ الْغَائِبُ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرُ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنَ فِيهَا مِنْ  
الْعُشُورِ وَمَزَلَةَ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنِ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ  
وَأَيِّمَةَ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِدَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَنًا  
أَوْ تَمِينًا وَلَمْ يَغْرِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَلَا قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبَرُوهَا بِمِيقَاتِ الْحِكْمَةِ  
وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة إلى أبي فارس لتقدم ذكره

وَتَأْمُرُوا فِي تَيْدَاءِ الرُّومِ وَالغَلَطِ وَلَا سِيَّما فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا  
 عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظَنَّةُ الْكُذِبِ وَمَطِيئَةُ الْهَدَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى  
 الْأَصُولِ وَغَرَضِهَا عَلَى الْقَوَائِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي  
 جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْضَاهُمْ فِي التَّيْبِ بَعْدَ أَنْ أجازَ مَنْ يُطَبِّقُ  
 حِمْلَ السَّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ ابْنِ عَشْرِينَ فَمَا فَوْقَهَا فَكَانُوا سِتْمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَيَذْهَبُ  
 فِي ذَلِكَ عَنِ تَقْدِيرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَأَسَاعِيهِمَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجُيُوشِ لِكُلِّ  
 مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَامِيَةِ تَنْسِعُ لَهَا وَتَقُومُ بِوِظَائِفِهَا وَتَضِيقُ عَمَّا فَوْقَهَا  
 تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْقَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَأْلُوفَةُ ثُمَّ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجُيُوشِ الْبَالِغَةِ  
 إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَحْفٌ أَوْ نَقَالٌ إِضِيقُ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا  
 إِذَا اصْطَلَتْ عَنِ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَكَيْفَ يَقْتَتِلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ  
 أَوْ تَكُونُ غَلْبَةً أَحَدِ الصَّفَيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْأَخْرَى وَالْحَاضِرُ  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ فَالْمَاضِي أَشْبَهُ بِالْآتِي مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ . وَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْفَرَسِ وَدَوْلَتُهُمْ  
 أَعْظَمَ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلْبِ بَخْتَصَرِ أَيْمٍ وَالشَّاهِ مِه  
 بِلَادَهُمْ وَأَسْتِيلَاتِهِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَخْرِبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاعِدَةً مَلْتَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ وَهُوَ  
 مِنْ بَعْضِ عُمَّالِ مَمْلَكَةِ فَارِسٍ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرزُبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَخُومِهَا وَكَانَتْ  
 مَمَالِكُهُمْ بِالْعِرَاقِينَ وَخُرَّاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابُ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جُيُوشُ الْفَرَسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا  
 كَانَتْ جُيُوشُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ بِأَلْفَيْ عَشْرِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُتَّبِعٌ عَلَى مَا تَقَلَّبُ صِيْفٌ قَالَ وَكَانُوا  
 فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِي أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنْ جُمِعَ رُؤْسُهُمُ الَّذِينَ زَحَفَتْ  
 بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُتَّبِعٌ وَأَيْضًا قَلُّوا بَلَّغَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
 مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ نِطَاقَ مَلِكِهِمْ وَأَنْفَسَ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْعَمَالِكِ  
 فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَامِيَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قَلْبِهَا وَكَثْرَتِهَا حَسَبًا نَبِيْنُ فِي فَصْلِ  
 الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَنْسِعْ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأَرْدُنِ وَفِلَسْطِينَ  
 مِنَ الشَّامِ وَبِلَادِ يَثْرَبَ وَخَيْبَرَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى  
 وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ أَبَاءَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ بَصْرَةَ

بن قَاهِتَ بفتح المَاءِ وَكسرها ابن لآوي بكسر الواو وَفَتْحِهَا ابن يعقوب وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ السَّعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وُلْدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْبَيْتِ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً لَتَدَاوَلَهُمْ مُلُوكُ  
 الْقِبْطِ مِنَ الْفَرَاعِنَةِ وَبَعْدُ أَنْ يَتَشَعَّبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجِيُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا إِذْ لَيْسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدَ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّاءَ بْنِ عَوْفِدَ  
 وَيُقَالُ ابْنُ عَوْفِدَ ابْنُ بَاعَزَ وَيُقَالُ بُوَعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ بْنِ عَمِيئُودَ وَيُقَالُ  
 حَمِيئُودَ ابْنُ رَمَّ بْنِ حَصْرُونَ وَيُقَالُ حَصْرُونَ بْنِ بَارَسَ وَيُقَالُ بَارَسَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ  
 يَعْقُوبَ وَلَا يَتَشَعَّبُ النَّسْلُ فِي أَحَدِ عَشَرَ مِنَ الْوَالِدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْمِثْلَيْنِ وَالْآلَافِ فَرُبَّمَا يَكُونُ وَأَمَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عَشْرٍ لِأَعْدَادِ  
 فَبَعِيدٌ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعَمَهُمْ بَاطِلًا وَقَلَمَهُمْ  
 كَذِبًا وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مَقْرَبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً فَرَسٌ مُرْتَبِطَةٌ عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى خِرَافَاتِ الْعَامَّةِ مِنْهُمْ وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمَلِكِهِ  
 كَانَ عَشْرُونَ دَوْلَتِهِمْ وَأَتَسَّاعُ مَلِكِهِمْ هَذَا وَقَدْ تَجِدُ الْكَافَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدُّوَلِ الَّتِي لِيَهْدِيَهُمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَقَفَّاضُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إِحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاكِبِ وَخَرَاجِ  
 السُّلْطَانِ وَنَفَقَاتِ الْمُتَرَفِينَ وَبَضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُسِيرِينَ تَوَضَّلُوا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حَدُودَ  
 الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسَ الْأَغْرَابِ فَإِذَا اسْتَبْكَشِفْتَ أَحْشَابَ الدَّوَابِّ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتَنْبَطْتَ أَحْوَالَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي بَضَائِعِهِمْ وَفَوَائِدِهِمْ وَاسْتَنْجَلَيْتَ عَوَائِدَ الْمُتَرَفِينَ فِي  
 نَفَقَاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِعْشَارَ مَا يَبْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَوْلُوعِ النَّفْسِ بِالْفَرَائِبِ وَسَهْوَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْغَفْلَةِ عَلَى الْمُتَعَقِّبِ وَالْمُنْتَقِدِ حَتَّى لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَا وَلَا عَمْدٍ وَلَا  
 يَطَالِبُهَا فِي الْخَبَرِ بِتَوْسِطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُرْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَقْيِيشٍ فَيُرْسِلُ عِنَانَهُ وَبِسْمِهِ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكُذِبِ لِسَانَهُ وَيَنْخُدُّ آيَاتِ اللَّهِ هَذَا وَيَشْتَرِي لَمْوَ الْحَدِيثِ لِيَضِلَّ عَنْ



سَبِيلَ اللَّهِ وَحَسْبُكَ بِهَا صَفْقَةٌ خَاسِرَةٌ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً  
فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَهْمٌ كَانُوا يَغْزُونَ مِنْ قُرَاهِمُ بِالْيَمَنِ  
إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَزِيرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِشَ بْنَ قَيْسِ بْنِ صَدْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
مُلُوكِهِمُ الْأُولَى وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَثْنُخَنَ فِي  
الْبَزِيرِ وَأَنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأِسْمِ حِينَ سَمِعَ رَطَاتِهِمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَزِيرَةُ فَأَخَذَ  
هَذَا الْأِسْمَ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حَيْثُ وَانَّهُ لَدَا أَنْصَرَفَ مِنَ الْمَغْرِبِ حِجْرَ هُنَالِكَ قَبَائِلَ  
مِنْ حَمِيرٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَاخْتَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْهَاجَةٌ وَكِتَامَةٌ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّبْرِيُّ  
وَالْجَزْجَانِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَأَبْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْبَيْهَقِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْهَاجَةَ وَكِتَامَةَ مِنْ حَمِيرٍ  
وَتَأْبَاهُ نَسَابَةُ الْبَزِيرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأَذْعَارِ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
قَبْلَ أَفْرِيقِشَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ وَكَذَلِكَ  
ذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ يَامِرِ بْنِ بَعْدٍ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَجِدْ  
فِيهِ مَسَلَكًا لِكثْرَةِ الرَّمْلِ فَرَجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي تَبَعِ الْآخِرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرِبٍ  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ يَسْتَأْسَفَ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ الْكِيَانِيَّةِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْصِلَ وَأَذْرَبِيحَانَ  
وَلِقِيَ التُّرْكَ فَهَزَمَهُمْ وَأَثْنُخَنُ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَلَاثَةَ كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أُغْزِيَ ثَلَاثَةَ  
مِنْ بَنِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الصَّغْدِ مِنْ بِلَادِ أُمَّمِ التُّرْكَ وَرَاءَ النَّهْرِ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
فَمَلَكَ الْأُولَى الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْمَفَازَةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِي الَّذِي  
غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَمْحَنَا فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَا جَمِيعًا بِالْفَتَائِمِ وَتَرَكَوا بِلَادَ  
الصِّينِ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ فَهَمُّ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّلَاثُ إِلَى قِسْطَنْطِينِيَّةَ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّحَّةِ عَرَبِيَّةٌ فِي الْوَهْمِ وَالغَلَطِ  
وَأَشْبَهُ بِأَحَادِيثِ الْقِصَصِ الْمَوْضُوعَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ مُلُوكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانَ بِيَزِيرَةَ الْعَرَبِ  
وَقُرَاهِمُ وَكُرْسِيَهُمْ بِصَنْعَاءِ الْيَمَنِ . وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا فَبَحْرُ  
الْهُنْدِ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ فَارِسَ الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ  
الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ الْجُغْرَافِيَا  
فَلَا يَجِدُ السَّالِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسَلَكِ هُنَالِكَ مَا  
بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدْرُ مَرَحَلَتَيْنِ فَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعَدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسَلَكِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ مُمْتَنِعٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ  
كَانَ يَتْلَى الْأَعْمَالَ الْعَمَالَةَ وَكَتَمَانُ بِالسَّامِ وَالْقَبْطُ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلَكَ الْعَمَالَةَ بِمِصْرَ  
وَمَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّامَ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا  
مَلَكَوْا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالَ وَأَيْضًا فَالْشَّقَّةُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ  
وَالْعُلُوفَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ أَحْتَا جُرَا إِلَى أَنْتِهَابِ الزَّرْعِ  
وَالنَّعْمِ وَأَنْتِهَابِ الْبِلَادِ فَمَا يَمْرُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَةِ عَادَةً وَإِنْ  
نَقَلُوا كِفَايَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَنِي لَهُمُ الرُّوَاهِلُ بِنَقْلِهِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَمْرُوا فِي  
طَرِيقِهِمْ كُلِّهَا بِأَعْمَالَ قَدْ مَلَكَوْهَا وَدَوَّخُوهَا لِتَكُونَ الْمِيرَةُ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ  
الْعَسَاكِرُ تَمْرُ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعِيْبَهُمْ فَتَحْضُلُ لَهُمُ الْمِيرَةُ بِالْمَسْأَلَةِ فَذَلِكَ  
أَبَدٌ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَيَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِبَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُعْجِزُ السَّالِكَ فَلَمْ يُسْمَعْ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى كَثْرَةِ  
سَالِكِهِ وَمَنْ يَقْضِ طَرِيقَهُ مِنَ الرُّكَّابِ وَالْفَرَسِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَكُلِّ جِهَةٍ وَهُوَ عَلَى مَا  
ذَكَرُوهُ مِنَ الْغَرَابَةِ تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَأَمَّا غَزْوُهُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ وَأَرْضَ التُّرْكِ  
وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعَ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشَّقَّةَ هُنَا أَبَدٌ وَأَمَّ فَارِسَ وَالرُّومَ  
مُعْتَرِضُونَ فِيهَا دُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ مَلَكَوْا بِلَادَ فَارِسَ وَلَا بِلَادَ الرُّومِ  
وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَالْحَبِيرَةِ  
وَالْحَزِيرَةِ بَيْنَ رِجْلَةٍ وَالْفَرَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْمَالَ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأَذْعَارِ  
مِنْهُمْ وَكَيْكَاؤُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكِبَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبَعِ الْأَصْمَرِ أَبِي كَرْبٍ وَبَسَاسِيفَ مِنْهُمْ  
أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بَعْدَ الْكِبَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَجَاوِزَةِ أَرْضِ فَارِسَ  
بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَرِضَةِ مِنْهُمْ  
وَالْحَاجَةَ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَاتِ مَعَ بَعْدِ الشَّقَّةِ كَمَا مَرَّ فَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ وَاهِبَةٌ مَدْخُولَةٌ  
وَهِيَ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً النُّقْلِ لَكَانَ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَهِيَ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ  
وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ يَثْرِبَ وَالْأَوْسِ وَالْحَزْرَجِ أَنَّ تَبَعًا الْآخِرَ سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَمَّا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصِيحُ غَزْوُهُمْ إِلَيْهَا بِوَجْهِ  
لِمَا تَقَرَّرَ فَلَا يُشَقَّنُ بِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلِ الْأَخْبَارَ وَأَعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَائِمِ

الصَّحِيحَةَ يَفْعَلُ لَكَ تَحْيِيصَهَا بِاحْسَنِ وَجْهِهِ وَاللَّهُ أَلْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ

فصل

وَأَبْدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَقُ فِي الْوَهْمِ مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرْمَ أَسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصَنَتِ  
بِأَنْهَاذَاتُ عِمَادٍ أَيْ أَسَاطِينٍ وَيَنْقُلُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِرْمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدٌ  
وَشَدَادٌ مَلَكًا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَكَ شَدِيدٌ تَخْلَصَ الْمَلِكُ لَشَدَادٍ وَدَانَتْ لَهُ مَلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَفَّ الْجَنَّةَ فَقَالَ لِابْنَيْنِ مِثْلَهَا فَبَنَى مَدِينَةَ إِرْمَ فِي صَحْرَى عَدَنَ فِي مَدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبْرَجَدِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَانُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمَطْرُودَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
مَمْلَكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
لَهُمْ لَعْنُوا كُلُّهُمْ ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالنَّعَابِيُّ وَالرَّمْخَشَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَفْسِرِينَ  
وَيَنْقُلُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَحَمَلَ  
مِنْهَا مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبْرَهُ مُعَاوِيَةَ فَأَخْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَحَثَ عَنْ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَهُ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرْمُ ذَاتِ الْعِمَادِ وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرُ أَشْقَرُ قَصِيرٌ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يُخْرِجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ ثُمَّ التَفَّتْ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا خَبْرٌ مِنْ يَوْمَيْدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَصَحْرَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ وَمَا زَالَ عُمُرَانُهُ مُشَاعِقًا  
وَالْأَدِلَّةُ تَقْصُ طُرُقَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبْرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنَ الْأَثَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرِسَتْ مِنَ الْأَنْهَارِ لَكَانَ أَشْبَهُ إِلَّا  
أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءِ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ مَلَكُوها  
وَقَدْ يَنْتَهِي الْهَدْيَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا يَعُدُّ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالسُّحْرِ مَزَاعِمٌ  
كُلُّهَا أَشْبَهُ بِالْخَرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمَفْسِرِينَ عَلَى ذَلِكَ مَا اقْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْأَعْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِنْعَةُ إِرْمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ بِنَاءٌ وَرَشَّحَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَادُ إِرْمَ عَلَى الْأَضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْحِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْأَفَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكُذْبِ الْمَنْقُولَةِ

فِي عِدَادِ الْمُضْحَكَاتِ وَإِلَّا فَأَلْعِمَادُ هِيَ عِمَادُ الْأَخِيَّةِ بَلِ الْخِيَامِ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينَ فَلَا يَدْعُ فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينَ عَلَى الْعُمُومِ بِمَا اشْتَهَرَ مِنْ قُوَّتِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَإِنْ أَضِيفَتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ قَطْلَى  
 إِضَافَةٌ النَّصِيلَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا نَقُولُ قُرَيْشٌ كِنَانَةٌ وَالْيَاسُ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ نِزَارٌ وَأَيُّ  
 ضَرُورَةٍ إِلَى هَذَا الْحَمَلِ الْبَعِيدِ الَّذِي نُحْمَلَتْ لِتَوْجِيهِهِ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْوَاهِيَةِ  
 الَّتِي يُزَعُّ كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِبُعْدِهَا عَنِ الصَّحِيحَةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 مَا يَنْقُلُونَهُ كَأَنَّ فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدِ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِيَكْفِيهِ بِمَكَانِهِمَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِيَّاهُمَا أَلْخَمَرَ أَذِنَ لَهُمَا فِي  
 عَقْدِ النِّكَاحِ دُونَ الْخُلُوعِ حِرْصًا عَلَى اجْتِمَاعِهِمَا فِي مَجْلِسِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَمَّلَتْ عَلَيْهِ فِي  
 الْيَاسِ الْخُلُوعَ بِهِ لِمَا شَغَفَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَاقَعَا (زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ) فَحَمَلَتْ وَوُضِعَ  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَأَسْتَفْزَبَ وَهَيَّاتِ ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبْوَابِهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ رَجَالٌ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظَمَاءُ  
 الْمِلَّةِ مِنْ بَعْدِهِ . وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ النَّصُورِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيِّ أَبِي الْخَلَفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجَمَانَ الْقُرْآنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ هَمَّ النَّبِيِّ (صَلَّمَ)  
 ابْنَةُ خَلِيفَةِ أُخْتِ خَلِيفَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةُ النَّبَوِيَّةُ وَهُجْرَةُ الرَّسُولِ وَعُمُومَتُهُ  
 وَإِقَامَةُ الْمِلَّةِ وَتَوْبُ الْوَحْيِ وَمَهِيْطُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِبِدَاوَةِ الْعُرُوبِيَّةِ  
 وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِ وَمَرَاتِعِ الْفَوَاحِشِ فَأَيُّنَ يُطْلَبُ الصُّونُ وَالْعَفَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا أَوْ أَيُّنَ تُوجَدُ الطَّهَارَةُ وَالذِّكَاةُ إِذَا فُقِدَا مِنْ بَيْنَتِهَا أَوْ كَيْفَ تَلْعَمُ نَسَبَهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنِسُ شَرَفَهَا الْعَرَبِيُّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ بِمِلْكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفَرَسِ  
 أَوْ بَوْلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَغَايَتُهُ أَنْ جَدَّتْ دَوْلَتُهُمْ بِضَعْفِهِ  
 وَضَعِغِ أَبِيهِ وَاسْتَخَاصَتُهُمْ وَرَفَقَتُهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يَسُوعُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يُضَهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعِظَمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمُنَاطِلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 الْمُنْصِفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عُظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَأَسْتَنْكَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 تَوَلَّى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَاسْتَنْكَرَهُ وَلَجَّ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَيُّنَ قَدَّرَ الْعَبَّاسَةَ  
 وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا نَكَبُ الْبَرَامِكَةَ مَا كَانَ مِنْ اسْتِنْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَحْتِجَابِهِمْ

أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْيَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلِبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَشَادَ كَوُهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورٍ مَلَكَهَا فَعَزَّزَتْ آثَارُهُمْ وَبَعَدَ  
صِيَتُهُمْ وَعَمَّرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطَهَا بِالرُّؤْسَاءِ مِنَ وَلِيِّهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَخْتَارُواهَا عَمَّنْ  
سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةِ وَكِتَابَةِ وَقِيَادَةِ وَحِجَابَةِ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَدَارُ الرَّشِيدَ مِنْ  
وَلَدِ يَعْجِي بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَيْسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَاهُوا فِيهَا  
أَهْلُ الدَّلَّةِ بِالْمَنَّاكِبِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانِ أَبِيهِمْ يَعْجِي مِنْ كِفَالَةِ هَارُونَ وَوَلِيَّ  
عَهْدٍ وَخَلِيفَةً حَتَّى شَبَّ فِي حُجْرِهِ وَدَرَجَ مِنْ عَشِيهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ بِأَبْتِ  
فَتَوَجَّهَ الْإِيثَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظُمَتِ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَتْ الْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ  
فَحُومُ الوُجُوهِ وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَنَصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَتَخَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفَى  
النُّحُومِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَحَفُّتِ الْأَمْرَاءِ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ التَّزْلِيفِ وَالْإِسْتِمَالَةِ  
أَمْوَالُ الْجَبَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْبَةِ وَعَظْمَاءِ الْقِرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمْ الْمِنَنَ وَكَسَبُوا  
مِنْ يُونَاتِ الْأَشْرَافِ الْمَعْدَمِ وَقَكُّوا الْعَالِيَّ وَمُدِحُوا بِمَا لَمْ يُمْدَحْ بِهِ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْنَوْا  
لِعَفَائِهِمْ الْجَوَائِزَ وَالصِّلَاتَ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ مِنَ الضُّوَاهِي وَالْأَمْصَارِ فِي  
سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْفُوا الْبَطَانَةَ وَأَحْقَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْضَبُوا أَهْلَ الْوِلَايَةِ فَكَشَفَتْ  
لَهُمْ وَجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مِهَادِمِ التَّوْبِيرِ مِنَ الدَّوْلَةِ عِقَابُ السَّعَابَةِ حَتَّى  
لَقَدْ كَانَ بَنُو قُحْطَبَةَ أَخْوَالِ جَعْفَرٍ مِنْ أَعْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفْهُمْ لِمَا وَقَرَّ فِي نَفْسِهِمْ  
مِنَ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحِمِ وَلَا وَزَعَتُهُمْ أَوَاصِرُ الْقِرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ نَوَاشِي  
الْغَيْبَةِ وَالْإِسْتِنكَافِ مِنَ الْحَجْرِ وَالْأَنْفَةِ وَكَانَ الْحَقُودُ الَّتِي بَعَثَتْهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ الدَّالَّةِ  
وَأَتَتْهَا بِهَا الْإِضْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ النُّخَالِفَةِ كَقِصَّتِهِمْ فِي يَعْجِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ الْمَلَقَّبِ بِالنُّنْسِ الرَّكِيَّةِ  
الْخَارِجِ عَلَى الْمَنْصُورِ وَيَعْجِي هَذَا هُوَ الَّذِي أَسْتَنْزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَعْجِيٍّ مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ  
عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِحُطِّهِ وَبَدَلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَجَعَلَ أَعْتِقَالَهُ بِدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ فَبَسَّه مُدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَّةُ عَلَى  
تَغْلِيهِ سَبِيلَهُ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِحَلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِدِمَائِهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةً عَلَى السُّلْطَانِ  
فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَمَّا وَثَّقِي بِهِ إِلَيْهِ فَظَنَ وَقَالَ أَطْلَقْتُهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَ

الاستخسان وأسرها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وفومه حتى نزل عرشهم  
والقيت عليهم سماؤهم وخسفت الأرض بهم وبدارهم وذهبت سلفا ومثلا للآخرين أيامهم  
ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الأثر مبدئ الأسباب  
وانظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جدّه داود بن علي في شأن تكبيرهم  
وما ذكره في باب الشعراء في كتاب المقدي في محاوره الأسمعي للرشيد والفضل بن  
يحيى في سمرهم نتمهم أنه إنما قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن  
دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر أختيالا على  
إسماء الخليفة وتحرّيك حفاظيه لهم وهو قوله

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ      وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا بِمَا نَعِدُ  
وَأَسْتَدْتِ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَدُّ

وإن الرشيد لما سمعها قال إني والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كما كنت غيرته  
وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما نتموه  
به الحكاية من معاورة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما  
علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من  
الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاورته للفضل بن عياض  
وآبن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مؤعظهم ودعائه  
بمسكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والحفاظة على أوقات الصلوات وشهود  
الصبح لأول وقتها حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة  
نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن أبي مرزيم مضحكة في سمره حين تعرض  
له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما  
أدري لم فما تملك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مفضبا وقال يا ابن أبي مرزيم في  
الصلاة أيضا إياك إياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وأيضا فقد كان من  
العلم والسداجة بمكان اقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين  
جدّه أبي جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاما وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين  
قبل الخلافة وبعدهما وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فَضَعْتُ أُنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُحَصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطْئَهُ لِلنَّاسِ تَوَطُّئَهُ  
 قَالَ مَالِكُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَنِي التَّصْنِيفَ يَوْمَئِذٍ وَقَدْ أَدْرَكَهُ ابْنُهُ الْمَهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنِ كُسُوفِ الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِجَمَلِيهِ  
 يُبَاشِرُ الْخِطَابِينَ فِي إِزْفَاعِ الْخُلُقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَاسْتَنْكَفَ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ كُسُوفَ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامِنَا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدَّهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْفَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْمَهْدِيِّ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأُبُوَّتِهِ وَمَا رُبِّيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلُقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ الْخَمْرَ أَوْ يُجَاهِرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخَمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ يَكُنْ الْكُرْمُ شَجَرَتُهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَبَجُّجٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْتِمَاقِي  
 بِالْحَمَائِدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَاتِ الْعَرَبِ وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ  
 فِي نِصَةِ جَبْرِئِلَ بْنِ بَجْتِيشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ أُحْضِرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَمَآءُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمَلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَطِنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَابَنَهُ يَتَنَاوَلُهُ فَأَعَدَّ ابْنُ بَجْتِيشُوعَ لِلْإِعْتِذَارِ ثَلَاثَ قِطَعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَالِجِ بِالتَّوَابِلِ وَالبُقُولِ وَالبُورَادِ وَالحَلْوَى وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُنْجَبًا  
 وَعَلَى الثَّالِثَةِ خَمْرًا صِرْفًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُطْهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَجْتِيشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا أَتَبَهُ الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِيخِ أَحْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَقْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخَمْرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَتَفَتَّتْ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَ وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثُبَّتْ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بِجَبْسِ أَبِي نُوَّاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كِهِيَ فِي الدُّعَاقِرَةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعَ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَاوِيهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخَمْرُ الصِّرْفُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَمِيزُ يَوْمَافِعَ مُحَرَّمًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ

أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَخَافَةٍ مِنْ أَرْكَابِ السَّرَفِ وَالزَّرْفِ فِي مَلَاسِيهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ  
 مُتَنَاوَلَاتِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ خُشُونَةِ الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يُفَارِقُوهَا بَعْدُ فَمَا  
 ظَنُّكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْإِبَاحَةِ إِلَى الْخَطَرِ وَعَنِ الْحِلَّةِ إِلَى الْحَرَمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمَوْرِخُونَ  
 الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنْ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِالْحِلَّةِ الْخُفِيَّةِ مِنَ الْفِيضَةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسُّيُوفِ وَاللُّجَمِ وَالسُّرُوجِ  
 وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَثَ الرُّكُوبَ بِحِلْيَةِ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعَازِرُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ  
 بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَاسِيهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ  
 بِأَتَمِّ مِنْ هَذَا إِذَا فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدُّوَلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاضَةِ كَمَا تَشْرَحُ فِي  
 مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ الْمُهَادِي إِلَى الصَّوَابِ وَيُنَاسِبُ هَذَا  
 أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَسْكَمَ قَاضِي الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
 يُعَاقِرُ الْخُمُرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شُرْبِهِ فَدَفِنَ فِي الرَّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُنْشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
 يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ      قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْقِينِي  
 إِنِّي غَفَلْتُ عَنِ السَّاقِي فَصَبَّرَنِي      كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالدِّينِ  
 وَحَالُ ابْنِ أَسْكَمَ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشُرَاهِمِهِمْ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيذُ  
 وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا السُّكَّرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَتْ  
 خَلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ كَانَ يَتَامُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَيُقَلَّ فِي فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ  
 عَشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَبَهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطْشَانًا فَقَامَ بِحَسْسٍ وَبَلْتَمِيسٍ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يُوفِظَ يَحْيَى  
 بْنَ أَسْكَمَ وَثَبِتَ أَنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا فَأَبْنُ هَذَا مِنَ الْمُعَاقَرَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
 يَحْيَى بْنَ أَسْكَمَ كَانَ مِنْ عِلْيَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 وَإِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ الْمُرْزِيُّ الْخَافِظُ أَنَّ الْبَغَارِيَّ  
 رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَأَلْفَدَحُ فِيهِ قَدَحٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا بَنِيهِ الْعُجَانُ بِالْمَيْلِ  
 إِلَى الْعِلْمَانِ بِنَتَانَا عَلَى اللَّهِ وَفِرْيَةِ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَّاصِ  
 الْوَاهِبَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَقْتِرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلِيَّةً لِلسُّلْطَانِ وَكَانَتْ  
 مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ مُزْمَأً عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ  
 النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا وَأَتَنَى



عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عَدَالَةُ مِثْلِهِ  
بِحَكْمِ كَذِبٍ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَعْنِي بِنُ أَكْتُمُ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعُلَمَاءِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقْبْتُ عَلَى مَرَاتِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ  
مِنَ اللَّهِ لِحِكْمَتِهِ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ فَرَمِيَّ بِمَا رَمِيَّ بِهِ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الْفِتَنِ  
وَقَالَ لَا يُشْتَغَلُ بِمَا يُحْكَمُ عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
مَا تَقَلَّهَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقِيدِ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْدِيِّ فِي سَبَبِ إِصْحَابِ الْعَامُونَ إِلَى  
الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ فِي بَيْتِهِ بُوْرَانٍ وَأَنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي تَطَوُّفِهِ بِسِكَكِ بَغْدَادِ فِي  
زُبَيْدِيِّ مُدَلِّيٍّ مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِمَعَالِقِ وَجَدَلْ مَغَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الطَّرِيرِ فَأَعْتَقَهُ وَتَنَاوَلَ  
الْمَعَالِقَ فَأَهْتَزَتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسِ شَأْنِهِ كَذَا وَوَصَفَ مِنْ زِينَةِ فُرْشِهِ وَتَنْضِيدِ  
ابْنَيْتِهِ وَجَمَالِ زُؤَيْتِهِ مَا يَسْتَوْفَى الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ وَأَنَّ امْرَأَةً بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلْلِ  
السُّتُورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَائِقَةٌ الْجَمَالِ فَتَأَنَّى الْأَحْسَابُ فَحِينَئِذٍ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
يَزَلْ يُعَاقِرُهَا الْحَمْرَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْظَارِهِ وَقَدْ شَغَفَتْهُ  
حُبًّا بَعَثَهُ عَلَى الْإِصْحَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَبْنِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْعَامُونَ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
وَعِلْمِهِ وَأَفْتَائِهِ سَنَّ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذَهُ بِسِيرِ الخُلَفَاءِ الْأَزْبَعَةِ أَوْ كَانَ  
الْمِلَّةَ وَمَنَاطِرَ الْعُلَمَاءِ وَحَنِظَهُ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَوَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ  
عَنْهُ أَحْوَالُ النَّسَاقِ الْمُسْتَهْتَرِينَ<sup>(١)</sup> فِي الطَّوُافِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّمْرِ  
سَبِيلِ عَشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَبْنِ ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ ابْنَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
يُدَارُ أَبِيهَا مِنَ الصَّوْنِ وَالْعَنَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ  
مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا بَعَثُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثُ بِهَا الْإِنْمَاكُ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ فَنَاعِ  
الْمُخَدَّرَاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالتَّأْسِيِ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
يَلْمِجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَنْقَرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَفُّهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ وَلَوْ أَنْتَسُوا بِهِمْ  
فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِنَاتِ الْكِمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا  
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَدَلْتُ يَوْمًا بَعْضَ الْأَمْرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ بِتَعَلُّمِ  
الْفَنَاءِ وَوَلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهتر، الشيء بالفتح المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت اباطله اه فاموس

تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَئِيسَ الْمُغْنِينَ فِي زَمَانِهِ  
 فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَّا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
 عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهِ يُرِيدِي مَنْ بَشَاهُ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ مَا  
 يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَاللَّابِتَاتِ فِي الْعَبِيدِينَ خُلَفَاءِ الشَّيْخَةِ بِالْقَيْرَوَانِ  
 وَالْقَاهِرَةِ مِنْ تَفِيهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالطَّمَنِ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى إِسْمَاعِيلَ  
 الْإِمَامِ ابْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بِعَتْمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لَفِئَتْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ  
 خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَزَلُّفًا إِلَيْهِمْ بِالْقَدْحِ فِيمَنْ نَاصِبِهِمْ وَتَفَنَّنَا فِي السَّمَاتِ بِعَدُوِّهِمْ حَسَبًا  
 نَذَكُرُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَعْتَلُونَ عَنِ التَّنَطُّنِ لِشَوَاهِدِ الْوَأَقِعَاتِ وَأَدِلَّةِ  
 الْأَحْوَالِ الَّتِي أَقْنَصَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ  
 فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْخَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُجَّسِبَ لَمَّا دُعِيَ بِكُتَامَةَ لِلرِّضِيِّ  
 مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَاشْتَهَرَ خَبْرُهُ وَعُلِمَ تَعْوِيْمُهُ عَلَى عَيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
 خَشِيًا عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَأَجْتَازَا بِمِصْرَ وَأَنْهَمَا خَرَجَا مِنْ  
 الْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي زَيْبِ الثُّجَارِ وَنَجِي خَبْرُهُمَا إِلَى عَيْسَى التُّوشَرِيِّ عَامِلِ مِصْرَ  
 وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِيَالَةَ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ خَفِيَ حَالَهُمَا عَلَى تَابِعِيهِمَا بِمَا  
 لَبَسُوا بِهِ مِنَ الشَّارَةِ وَالزَّيْبِ فَأَفَلَتُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمُعْتَضِدَ أَوْعَزَ إِلَى الْأَغَالِبَةِ أَمْرَاءَ  
 أَفْرِيْقِيَا بِالْقَيْرَوَانِ وَبَنِي مِذْرَارِ أَمْرَاءَ سِجِلْمَاسَةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْ كَاهُ الْعَيْونِ  
 فِي طَلَبِهِمَا فَعَثَرَ أَلِشَّعُ صَاحِبُ سِجِلْمَاسَةَ مِنْ آلِ مِذْرَارِ عَلَى خَفِيِّ مَكَانِهِمَا بِبَلَدِهِ وَأَعْتَقَلَهُمَا  
 مَرْضَاةً لِلْخَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الشَّيْخَةُ عَلَى الْأَغَالِبَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
 كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
 وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَاسَمُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ شَقَّ الْأَبْلَمَةَ وَكَادُوا يَلْحِقُونَ  
 عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَيُزِيلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِبَغْدَادَ وَعِرَاقَهَا الْأَمِيرُ  
 الْبَسَاسِيرِيُّ مَعَ مَوَالِي الدَّيْلَمِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُغَاضَبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 أَمْرَاءِ الْعَجَمِ وَخَطَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَامِلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَبْصُرُونَ بِمَكَانِهِمْ  
 وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةَ وَرَاءَ النَّجْرِ يُنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ بَقِعَ هَذَا كُلُّهُ  
 لِدَعْوِي فِي النَّسَبِ بِكَذِبٍ فِي أَنْفِعَالِ الْأَمْرِ وَأَعْتَبِرْ حَالَ الْقَرْمَطِيِّ إِذْ كَانَ دَعِيًّا فِي

أَنْتَسَائِهِ كَيْفَ تَلَا شَتَّ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَتْ أَنْبَاؤُهُ وَظَاهَرَ مَرِيءًا عَلَى خُبْرِهِمْ وَمَكْرَهُمْ فَسَاهَتْ  
 عَاقِبَتُهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَرَفَ وَلَوْ بَعْدَ مُهْلَةٍ  
 وَمَهْمَا بَكَنَ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَوَا تَغْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ  
 فَقَدِ انْتَصَلَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَمَا كُورُوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 وَمُصَلَّاهُ وَمَوْطِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدِينَتَهُ وَمَوْقِفَ الْحَجَّاجِ وَمَهْبِطَ الْمَلَائِكَةِ  
 ثُمَّ انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَشِيعَتُهُمْ فِي ذَلِكَ سَكَلَهُ عَلَى أُمَّةٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ  
 فِيهِمْ وَأَعْتَقَادِهِمْ بِنِسْبِ الْأَمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَلَقَدْ خَرَجُوا مَرَارًا بَعْدَ  
 ذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَدَرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بَدْعَتِهِمْ هَاتِفِينَ بِأَسْمَاءِ صِبْيَانٍ مِنْ أَعْقَابِهِمْ  
 يَزْعُمُونَ اسْتِخْفَاقَهُمْ لِلْغُلَاقَةِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَعِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَافَتِ قَلْبِهِمْ مِنَ الْأَيْمَةِ  
 وَلَوْ أَرْتَابُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَا رَكِبُوا أَعْنَاقَ الْأَخْطَارِ فِي الْأَنْتِصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا  
 يُلَيْسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشْبَهُ فِي بَدْعَتِهِ وَلَا يُكْذِبُ نَفْسَهُ فِيمَا يَنْتَحَاهُ وَالْحَبِّ مِنَ الْقَاضِي  
 أَبِي بَكْرٍ الْبَاكَلَانِيِّ شَيْخِ النَّظَارِ مِنَ الْعُتْكَالِ بَيْنَ كَيْفَ يَجْتَمِعُ إِلَى مَذْهَبِ الْقَائِلَةِ الرَّجُوحَةِ  
 وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْحَادِ فِي الدِّينِ وَالتَّعَمُّقِ  
 فِي الرِّافِضِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَلَيْسَ إِثْبَاتُ مُنْتَسَبِهِمْ بِالَّذِي يُغْنِي  
 عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِيُوحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ  
 مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِفَاطِمَةَ بَعْظُهَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أُغْنِيَ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَمَتَى عَرَفَ امْرُؤٌ قَضِيَّةً أَوْ  
 اسْتَيْقَنَ أَمْرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدَعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا  
 فِي تَجَالٍ لظُنُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَمَّتْ رَقَبَتُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لِتَوْفُرِ شِيعَتِهِمْ وَأَنْتِشَرِهِمْ فِي الْقَاصِيَةِ  
 بِدَعْوَتِهِمْ وَتَكَرَّرَ خُرُوجُهُمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رِجَالَتُهُمْ بِالْإِخْتِفَاءِ وَلَمْ يَكَادُوا  
 يُعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامَ مَا أَسْمَى مَا دَرَّتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا  
 حَتَّى لَقَدْ سَمِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَمَامُ جَدُّ عَيْدِ اللَّهِ الْهَيْدِي بِالْمَكْتُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ  
 شِيعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْفَائِهِ حَذْرًا مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شِيعَةُ فِ  
 الْعَبَاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطَّعْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَأَزْدَلُّوا بِهَذَا الرَّأْيِ الْقَائِلَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنْ خُلَفَائِهِمْ وَأَعْجَبَ بِهِ أَوْلِيَاؤُهُمْ وَأَمْرَاهُ دَوَّلَتِهِمْ الْمُتَوَلُّونَ لِحُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَدْفَعُونَ  
 بِهِ عَنِ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ غَلَبَهُمْ عَلَى السَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبَرْبَرِ الْكُتَّامِينَ شِيعَةَ الْعَيْدِيِّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ أَسْجَلَ  
 الْقَضَاءُ بِيَعْنَادَ بِنْفِيهِمْ عَنِ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ الْبَطْغَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ  
 وَالْقُدْرِيُّ وَالصَّنَمَرِيُّ وَابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَالْأَبْيُورْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النُّعْمَانِ فَفِيهِ  
 الشَّيْعَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بِيَعْنَادَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمَاعِ لِمَا أَشْتَهَرَ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بِيَعْنَادَ وَغَالِبَهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَتَقَلُّهُ الْأَخْبَارُ يُونِ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبَمَا وَعَوَّهُ وَأَلْحَقُ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَضِدِ فِي شَأْنِ عَيْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ  
 الْأَغْلَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَابْنِ مِدْرَارٍ بِسَجِلْمَاسَةَ أُصْدَقُ شَاهِدِهِ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ  
 فَالْمُعْتَضِدُ أَقْعَدُ نَسَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالِدَوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ سُوقَ الْعَالَمِ تَجَلُّبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتَلْتَمَسُ فِيهِ ضَوَالِحَ الْحُكْمِ وَتُعْتَدِي إِلَيْهِ رِكَابُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا نَفَقَ فِيهَا نَفَقَ عِنْدَ الْكَافَةِ فَإِنْ تَنَزَّهَتْ لِدَوْلَةٍ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْنِ  
 وَالسَّفْسَفَةِ وَسَلَّكَتِ النَّعْجَ الْأَمَمَ وَلَمْ تَعْرِجْ (١) عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ نَفَقَ فِي سُوقِهَا الْأَبْرِيذُ  
 الْخَالِصُ وَاللُّجَيْنُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَقُودِ وَمَاجَتْ بِسَامِرَةَ الْعَرَبِ  
 الْبَغْيِ وَالْبَاطِلِ نَفَقَ الْبَهْرَجُ وَالزَّرَائِفُ وَالنَّافِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ قَسْطَاسُ بَحْثِهِ وَمِيزَانُ مِلْحَمَتِهِ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَأَبَعْدُ مِنْهُ كَثِيرًا مَا يَتَنَاجَى بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) الْأِمَامِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَيَعْرِضُونَ تَعْرِيفَ خَلْدٍ بِالظَّنِّ فِي الْحِمْلِ الْخُلْفِ عَنِ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِرَاشِدِ مَوْلَاهُمْ فَجَبَّهُمُ اللَّهُ وَأَبَعْدَهُمْ مَا أَجْهَلَهُمْ أَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبَرْبَرِ وَأَنَّهُ مُنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرِيقٌ فِي الْبَدْوِ وَأَنَّ حَالِ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذْ لَا مَسَاكِينَ لَهُمْ  
 يَتَأَنَّى فِيهَا الرَّيْبُ وَأَخْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ يَمْرَأَى مِنْ جَارَاتِهِمْ وَمَسْمَعٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ  
 لِتَلَاصِقِ الْجُدْرَانِ وَتَطَامُنِ الْبَيَانَ وَعَدَمِ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يَقُولُ

(١) قوله ولم تعرج بضم الجيم مضارع جاراي لم تمل اء

خَلْمَةَ الْحَرَمِ أَجْعَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيَانِهِمْ وَشَيْعَتِهِمْ وَمُرَاقِبَةٍ مِنْ كَلَّتِهِمْ  
 وَقَدْ اتَّفَقَ بَرَابِرَةُ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى عَامَةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَضْرَجِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَآتَوْهُ  
 طَاعَتَهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْفَاقٍ وَبَابِعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَخْمَرِ وَخَاضُوا دُونَهُ بِحَارَ الْمَنَابِقِ فِي  
 حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَلَوْ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الرَّبِيبَةِ أَوْ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
 كَاشِحٍ أَوْ مُتَانِقِي مُرْتَابٍ لَتَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَلًّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
 الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْتَالِهِمْ وَمِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ عُمَالِهِمْ كَانُوا بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَوَلَاتِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَفْعَةٍ بَلَغَ أَوْعَزَ الْمَهَادِي إِلَى الْأَغَالِبَةِ  
 أَنْ يَقْعُدُوا لَهُ بِالْمَرَّاصِدِ وَيَذْكُوا عَلَيْهِ الْعِيُونَ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَمَرَّ  
 أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوْلَاهُمْ وَعَامِلِيهِمْ  
 عَلَى الْأَسْكَدَرِيَّةِ مِنْ دَيْسِيَّةِ الشُّعْبِ الْعَلَوِيَّةِ وَإِذْ هَانِهِ فِي تَبَاجَةِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 فَتَقَاتَلَهُ وَدَسَّ الشُّمَّاحُ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ أَبِيهِ لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ اللَّحَاقُ بِهِ  
 وَالْبَرَاءَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيَهُ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَنَاوَلَهُ الشُّمَّاحُ فِي  
 بَعْضِ خَلَوَاتِهِ سُبًّا اسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَبْرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
 لِمَا رَجَّهَ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتِلَاعِ جُرُثُومَتِهَا وَلَمَّا نَادَى  
 إِلَيْهِمْ خَبْرُ الْحَمَلِ الْخُلْفِ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلًّا وَلَا وَإِذَا بِالْدَّعْوَةِ قَدْ  
 عَادَتْ وَالشُّيْعَةَ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلْتُهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَبًا مِنْ وَفْعِ السِّهَامِ وَكَانَ الْفِشْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ نَزَلَا بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
 أَنْ يَسْتَمُوا إِلَى الْقَاهِسِيَّةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
 قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاشْتِمَالَ الْبَزِيرِ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْيِيلَ فِي إِهْلَاكِهِ بِالسُّمُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَرَعُوا  
 إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ مِنَ الْأَغَالِبَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ فِي سَدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ وَحَسَمَ الدَّاءَ  
 الْمَشْرُوقَ بِالْأَدْوَلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ وَاقْتِلَاعَ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشْجَ مِنْهُمْ يَغْطِطُهُمْ بِذَلِكَ  
 الْمَأْمُونُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُلَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَغَالِبَةُ عَنْ بَرَابِرَةَ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى اعْتَجَزَ  
 وَلَمِثْلَهَا مِنَ الزُّبُونِ عَلَى مُلُوكِهِمْ أَحْوَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةَ مِنْ انْتِزَاعِ مَمْلِكِ الْعَجَمِ عَلَى  
 سُدَّتِهَا وَأَمْتِطَائِهِمْ صَهْوَةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضَرُّبِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَّعَ أَغْرَاصِهِمْ فِي رِجَالِهَا  
 وَجَبَابِيَّتِهَا وَأَهْلَ خِطَطِهَا وَسَائِرِ نَفْضِهَا وَإِبْرَامِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ

خَلِيفَةٌ فِي قَفْصٍ      بَيْنَ وَصِيفٍ وَبَنًا  
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ      كَمَا نَقُولُ الْبَيْنَا

نَفْسِي هُوَ لَاءُ الْأَمْرَاءِ الْأَغَالِبَةِ بَوَادِرِ السَّعَابَاتِ وَتَلَوْنَا بِالْمَعَاذِيرِ قَطُورًا بِأَحْقَارِ الْمَغْرِبِ  
وَأَهْلِهِ وَطُورًا بِالْأَزْهَابِ بِشَأْنِ أَدْرِيسَ أَخَارِجِ بِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنْ أَعْقَابِهِ يُخَاطِبُونَهُمْ  
بِتَجَاوُزِهِ حُدُودِ التُّخُومِ مِنْ عَمَلِهِ وَيُنْفِذُونَ سِكِّتَهُ فِي تَحْفِيهِمْ وَهَذَا أَيُّهُمْ وَمُرْتَفَعٌ جِبَابَاتِهِمْ  
تَعْرِيفًا بِاسْتِحْجَالِهِ وَتَهْوِيلًا بِأَشْتِدَادِ شَوْكَتِهِ وَتَعْظِيمًا لِمَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ مُطَالَبَتِهِ وَمِرَاسِهِ  
وَتَهْدِيدًا بِقَلْبِ الدَّعْوَةِ إِنْ الْجِئُوا إِلَيْهِ وَطُورًا يَطْمَعُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
الطَّمَعِ الْكَاذِبِ تَخْفِيفًا لَشَأْنِهِ لَا يَبَالُونَ بِصِدْقِهِ مِنْ كَذِبِهِ لُبْعِدِ السَّفَاةِ وَأَفْنِ عَقُولِ  
مَنْ خَلَفَ مِنْ صِدْقِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَمَالِكِهِمُ الْجَمِّ فِي الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ قَائِلٍ وَالسَّمْعِ لِكُلِّ  
نَاعِقٍ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبَهُمْ حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ الْأَغَالِبَةِ فَفَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءُ  
أَمْعَاءُ الْفَوْغَاءِ وَصَرَ عَلَيْهَا بَعْضُ الطَّاعِنِينَ أَذْنَهُ وَأَعْتَدَهَا ذَرِبَةً إِلَى النِّيلِ مِنْ خَلْفِهِمْ  
عِنْدَ الْمُنَافَسَةِ وَمَا لَهُمْ فَجْهُمُ اللَّهِ وَالْعُدُولِ عَنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فَلَا تَعَارُضَ فِيهَا بَيْنَ  
الْمَقْطُوعِ وَالْمَطْنُونِ وَأَدْرِيسُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ وَالْوَالِدُ لِلْفِرَاشِ عَلَى أَنْ تَنْزِيهِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ  
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا فَفِرَاشُ أَدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ الدَّنَسِ وَمَنْزَعُهُ عَنِ الرِّجْسِ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ  
وَمَنْ أَعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِيْمِهِ وَوَجَّحَ الْكُفْرَ مِنْ بَابِهِ وَإِنَّمَا أَطْبَقْتُ فِي هَذَا  
الرَّدِّ سَدًّا لِأَبْوَابِ التَّوْبِ وَدَفَعًا فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ لِمَا سَمِعْتَهُ أَذْنَائِي مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِي  
عَلَيْهِمُ الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِفِرْيَتِهِ وَبِنَقْلِهِ بِزَعْمِهِ عَنِ بَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ بِمَنْ  
انْتَحَرَفَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَرْتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِسَلْفِهِمْ وَإِلَّا فَالْحَلُّ مَنْزَعُهُ عَنْ ذَلِكَ  
مَعْصُومٌ مِنْهُ وَنَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يُسْتَعْمَلُ الْعَيْبُ عَيْبُ الْكِنْيَةِ جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَأَرْجُو أَنْ يُجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِنِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا  
هُمُ الْحَسَدَةُ لِأَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ مُنْتَهَى إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِيلٍ فِيهِمْ فَإِنْ أَدْرَعَهُ  
هَذَا النَّسَبِ الْكَرِيمِ دَعْوَى شَرَفِ عَرِيضَةٍ عَلَى الْأُمَّةِ وَالْأَجْيَالِ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ  
فَتَعْرِضُ التُّهْمَةَ فِيهِ وَلَمَّا كَانَ نَسَبُ بَنِي أَدْرِيسَ هُوَ لَاءُ بِيَوْمَاطِنِهِمْ مِنْ فَارِسَ وَسَائِرِ  
دِيَارِ الْمَغْرِبِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهْرَةِ وَالْوُضُوحِ مَبْلَغًا لَا يَكَادُ يُلْحَقُ وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي

دَرَكِهِ إِذْ هُوَ نَقْلُ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَبَيَّتْ جَدَّهُمْ  
 أَدْرِيسَ مُخْتَطِرًا فَاسًا وَمُؤَسِّسِيهَا مِنْ يَوْمِهِمْ وَمَسْجِدُهُ لَصِقُ مَحَلَّتِهِمْ وَدَرُوبِهِمْ وَسَيْفُهُ  
 مُتَضَيٌّ بِرَأْسِ الْمَأْذَنَةِ الْعَظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ النَّوَابِرِ مَرَّاتٍ وَكَادَتْ تَلْحَقُ بِالْعِيَانِ فَإِذَا نَظَرْتَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَصَدَ شَرَفُهُمُ النَّبِيُّ مِنْ جَلَالِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ لِسَلْفِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَاسْتَبَقَنَ أَنَّهُ يَمُزِلُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنْ يَسَلِمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَبَيِّنُ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالتَّسْلِيمِ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ غَضَّ بِرَبْقِهِ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سُرْقَةً وَوَضَعَاءً<sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ الْجَبَاحِ  
 وَالْبُهْتِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّغْنِ الْفَائِلِ وَالْقَوْلِ الْمَكْذُوبِ تَعَلُّلًا بِالْمَسَاوِةِ فِي الظَّنِّ وَالْمُشَابَهَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْأَحْتِمَالِ وَهَيْبَاتِ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ نَيْمًا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صَرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوَضُوعِهِ مَبَالِغِ أَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبْرَائِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ بِنَاسٍ مِنْ وُلْدِ بَيْحِي الْحُوَطِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَيْحِي  
 الْعَوَامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ وَالسَّاكُونَ بِيَّتِ  
 جَدِّهِمْ أَدْرِيسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَنَّهُ حَسْبَمَا فَذَكَرْتُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 الْأَدَارِسَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَلْحَقُ بِهِذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَائِلَةِ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفَةُ الرَّأْيِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدْحِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى الشُّعُودَةِ وَالتَّلْبِيسِ فِيمَا أَنَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالْبَغْيِ  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ لِجَمِيعِ مُدَّعِيَانِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 إِقْبَاءَهُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْفُقَهَاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كُنَّ فِي نُفُوسِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَنَافِضَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَتْيَا وَفِي الدِّينِ  
 يَزْعُمِهِمْ ثُمَّ أَمْتَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ مَبْشُوعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مَوْطُؤُ الْعَقَبِ نَفَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَغَضُّوا مِنْهُ بِالْقَدْحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدَّعِيَانِهِ وَأَيْضًا فَكَانُوا يُؤَسِّنُونَ مِنْ

(١) قوله روضا بضم الواو جمع رضيع اء

مُلُوكِ الْمُتُونَةِ أَعْدَائِهِ تَجَلَّةً وَكَرَامَةً لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّنَاجَةِ  
 وَالْتِقَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ لِحَمَلَةِ الْعَلَمِ بِدَوْلَتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الرَّجَاهَةِ وَالْإِنْتِصَابِ لِلشُّورَى  
 كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدَرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيعَةً لَهُمْ وَحَرَبًا لِعَدُوِّهِمْ وَتَقَمُّوا عَلَى  
 الْمَهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِيهِمُ وَالْتَرَابِ عَلَيْهِمْ وَالْمَنَاصِبَةِ لَهُمْ تَشْبِيهُاً لِلْمُتُونَةِ وَتَعَصُّباً  
 لِدَوْلَتِهِمْ وَمَكَانُ الرَّجُلِ غَيْرُ مَكَانِهِمْ وَحَالُهُ عَلَى غَيْرِ مُتَقَدِّمِيهِمْ وَمَا ظَنَنْتُكَ بِرَجُلٍ نَقَمَ  
 عَلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَالَفَ أُجْتِهَادَهُ فَقَهَّأُوهُمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
 جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَقْتَلَعَ الدَّوْلَةَ مِنْ أُصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَادِلَهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
 شَوْكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَتَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ نَفُوسٍ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا خَالِفُهَا  
 تَذَابِيعُهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَقُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَاكَةِ وَتَقَرُّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّلَافِ  
 مُهْجِهِمْ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعَصُّبِ لِذَلِكَ الْكَلِمَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمِ وَدَانَتْ  
 بِالْعَدُوِّينَ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ بِحَالِهِ مِنَ التَّقْشِفِ وَالْحَصْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالنَّقْلِ مِنَ  
 الدُّنْيَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحُظِّ وَالْمَتَاعِ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى الْوَلَدُ الَّذِي  
 رُبَّمَا تَجَنَّحَ إِلَيْهِ النُّفُوسُ وَتَتَخَادَعُ عَنْ تَمَنِّيهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْضُرْ لَهُ حُظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
 صَالِحٍ لِمَا تَمَّ أَمْرُهُ وَانْفَسَحَتْ دَعْوَتُهُ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُمْ  
 نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ أَدْعَاهُ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
 دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى بَطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا  
 تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَسَ سَائِرَ الْمَصَامِدِ وَدَانُوا بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِنْقِيَادَ إِلَيْهِ وَإِلَى  
 عِصَاتِهِ مِنْ هِرَاقَةَ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ  
 الْمَهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا اتَّبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ وَإِنَّمَا كَانَ اتِّبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةٍ الْمُرْغِيَّةِ  
 وَالْمَصْمُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَرُسُوحِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيَّ خَفِيًّا قَدْ  
 دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ عَشِيرَتِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
 اسْتَلْخَ مِنْهُ وَلَيْسَ جِلْدَةٌ هُوَ لَاءٌ وَظَهَرَ فِيهَا فَلَا يَبْضُرُهُ إِلَّا النَّسَابُ الْأَوَّلُ فِي عَصَبِيَّتِهِ إِذْ هُوَ  
 مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ خَفِيًّا وَانْظُرْ



قِصَّةَ عَرْجَةَ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَيْعَةَ وَكَيْفَ كَانَ عَرْجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَلَيْسَ جِلْدَةَ بَيْعَةَ  
 حَتَّى تَفْزَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ تَفْهَمُ مِنْهُ  
 وَجْهَ الْحَقِّ وَاللَّهُ أَمْلَأُ لِلصَّوَابِ وَقَدْ كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ  
 فِي هُدَى الْمَغَالِطِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَفَاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ  
 الْأَحَادِيثِ وَالْأَوَاءِ وَعَلِمَتْ أَفْكَارُهُمْ وَتَقَلَّبَتْ عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالنَّفْلَةِ  
 عَنِ الْقِيَاسِ وَتَقَلُّبِهَا مُنَّ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ  
 حَتَّى صَارَتْ فِي النَّارِ بِيحٍ وَاهِيًا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مَرْتَبِكًا وَهَدًى مِنْ مَنَاحِي الْعَامَةِ فَإِذَا يَجْتَاجُ  
 صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَخْتِلَافِ الْأُمَمِ  
 وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ ذَلِكَ وَمِثَالِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَوْنِ مَا بَيْنَهُمَا  
 مِنْ الْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْحَقِيقِ مِنْهَا وَالْمُخْتَلِفِ وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَمَبَادِيهِ  
 ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَاعِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَخَبَائِرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ  
 مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبْرِهِ وَحِينَئِذٍ يَعْزِضُ خَبَرَ الْمُنْقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 وَالْأُصُولِ فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَإِلَّا زَبَنَهُ وَأَسْتغْنَى عَنْهُ وَمَا  
 اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَةَ، عِلْمَ النَّارِ بِيحٍ إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّعَلَّهُ الطَّبْرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ  
 مِنْ قَبْلِهِمَا وَأَمْثَالُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّيَرِ فِيهِ حَتَّى صَارَ  
 اتِّعَالُهُ مَجْهَلَةً وَأَسْتَحْفَافَ الْعَوَامِ وَمَنْ لَا رُسُوحَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتُهُ وَحَمَلُهُ وَالْحُلُوضُ  
 فِيهِ وَالنَّطْفَلُ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْحَسَلِ وَاللُّبَابُ بِالْقَشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنْ الْعَلَطِ الْحَقِّي فِي النَّارِ بِيحِ الدُّهُولِ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ يَتَبَدَّلُ الْأَعْصَارُ وَمُرُورُ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاهٍ دَوَى شَدِيدُ الْخِفَاءِ إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا  
 بَعْدَ أَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَنْفُطُنُ لَهُ إِلَّا الْآحَادُ مِنَ أَهْلِ الْحَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدَهُمْ وَمَحَلَّتَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَتَبْرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جِ مَسْتَقَرٌّ  
 إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَأَنْتِقَالَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ  
 فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَنْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَدْوَلِ  
 سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَّةً الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسِّرِّيَانِيُونَ

وَالنَّبِطُ وَالتَّبَاعِيَّةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالقِبْطُ وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَةٍ بِهِمْ فِي دَوْلِهِمْ  
وَمَا لِكَيْمٍ وَسِيَّاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلِقَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرِ مَشَارِكَتِهِمْ مَعَ آبَائِهِمْ  
جَنْسِهِمْ وَأَحْوَالِ أَعْتَابِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا أَنَاذِرُهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْفَرَسُ الثَّانِيَّةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ وَأَنْقَلَبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَإِلَى مَا يُبَايِنُهَا أَوْ يُبَاغِضُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرَّةٍ فَأَنْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ  
أَنْقِلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارِفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُهُ الْخُلْفُ عَنِ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَبَاءَهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَبَدُوا عِزَّهُمْ وَمَهْدُوا  
مُلْكُهُمْ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلَ التُّرْكِ بِالشَّرْقِ وَالزُّبَيْرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِيَّةِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ بِذَهَابِهِمْ أُمُّهُمُ وَأَنْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ نَسَبِي شَأْنِهَا  
وَأَغْفَلَ أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْرَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ مَعَ ذَلِكَ فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْخُفَالَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضُ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ خُفَالَةً ثُمَّ لَا يَزَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْخُفَالَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَايَنَةِ بِالْجُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَارَفُ فِي الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْخُفَالَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةٌ وَالْقِيَاسُ  
وَالْحَمَاقَةُ لِلنَّاسِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْفَلَطِ غَيْرُ مَا مُونَةٌ تُفْرَجُهُ مَعَ التَّهْوِيلِ وَالغَفْلَةِ  
عَنْ قَصْدِهِ وَتَعَوُّجُهُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ فَرُبَّمَا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَلَا  
يَشْفَقُنْ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَأَنْقِلَابِهَا فَيَجْرِيهَا لِأَوَّلِ وَهَلَّةٍ عَلَى مَا عَرَفَتْ وَبَقِيصَتِهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَيَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْفَلَطِ فَيَنْتَهِي هَذَا الْبَابُ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْعَجَّاجِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ مَعَ أَنَّ التَّعْلِيمَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَعَاشِيَّةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ اعْتِرَازِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُعَلِّمِ مُسْتَضْعَفِ  
مَسْكِينٍ مُنْقَطِعِ الْجِذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَشَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَهْلَ الْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ

الْعَاشِيَةِ إِلَى نَيْلِ الرُّتَبِ الَّتِي لَبَسُوا لَهَا بِأَهْلِ وَبَعْدُونَهَا مِنَ الْمُمْكِنَاتِ لَهُمْ فَتَدَبَّرَ  
 بِهِمْ وَسَاوَسُ الْمَطَالِيعِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ جَبَلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَهْوَاةِ الْمَلَائِكَةِ  
 وَالتَّلَفَ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحَالَتْهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنْتَهُمْ أَهْلُ حَرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرَ الْإِسْلَامِ وَالِدَوْلَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 تَقْلِيدًا لِمَا سَمِعَ مَعَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيمًا لِمَا جُهِلَ مِنَ الَّذِينَ عَلَى جِهَةِ الْبَلَاغِ فَكَانَ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْمِلَّةِ هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْخَبْرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمُنزَلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هِدَايَاتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَاخْتَصَمُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَشَرُّوهُ فَجَرَّحُوا عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَفْهِيمِهِ لِلأُمَّةِ لَا تَصُدُّهُمْ عَنْهُ لِأَيَّةِ  
 الْكِبَرِ وَلَا يَزَعُهُمْ عَاذِلُ الْأَنْفَةِ وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ بِعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارُ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 بَعَثَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةَ قَرْنَ بَعْدَهُمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوَسَّجَتْ عُرُوقُ  
 الْمِلَّةِ حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْأُمَّةُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَحْوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ لِتَعَدُّدِ الْوَقَائِعِ وَتَلَاخُفِهَا فَاجْتَبَاهُ  
 ذَلِكَ لِقَانُونِ يَحْفَظُهُ مِنَ الْخَطَا وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَائِكَةً يَجْتَاجُ إِلَى التَّعْلَمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحَرْفِ كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ بِالْقِيَامِ  
 بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفِعَ لِعِلْمٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةً لِلْعَاشِ وَشَخَّتْ  
 أَنْوْفُ الْمُتَرَفِّقِينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّسْلِيمِ وَاخْتَصَّ النَّحْلُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ  
 وَصَارَ مُنْتَحَلَةً مُخْفَرًا عِنْدَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْحِجَابُ بْنُ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 ثَقِيفٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمَنَاخِضَةُ فُرَيْشٍ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمَتْ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ إِيذًا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةٌ لِلْعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا يَتَوَهَّمُهُ  
 الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ التَّارِيخِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقَضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئِيسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقُودِ الْمَسَاكِرِ فَتَرَامَى بِهِمْ وَسَاوَسُ الْعِهْمِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسَبُونَ أَنَّ  
 الشُّرَانَ خِطَّةَ الْقَضَاءِ إِيذًا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيَطْنُونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ

هشام المستبدي عليه وآبن عبّاد من ملوك الطوائف بإشيلية إذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة منهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبيته في فصل القضاء من الكتاب الأول وآبن أبي عامر وآبن عبّاد كانوا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالاندلس وأهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطّة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وأنظر خروجهم بالمسافر في الطوائف وتقليد عظيم الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغنى فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفه البصائر من أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعمار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبية<sup>(١)</sup> من البربر فبقيت أنسابهم العربية محفوظة والدريعة إلى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئسوا للمدلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها القلب والتحكّم فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصدّين لذلك ساعين في نيلها فأما من بأشراحوال القبائل والعصبية ودولتهم بالعدوة الغربية وكيف يكون القلب بين الأمم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في اعتباره . ومن هنا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول وتسق ملوكها فيذكرون أسماءهم وتسبوا وآباءهم وأمههم ونساءهم وآبقهم وخاتمة وقاضية وحاجبة ووزيرة كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون

(١) العصبية بفحتمين التعصب وهو ان يلب الرجل عن حرم صاحبه ويشهر عن سابق الجهد في نصره منسوبة الى العصبية محرّكة وم افارب الرجل من قبل ايو لانهم المدايون عن حريم من هو متهم وفي هذا المعنى مدوحة واما العصبية المدمومة في الحديث الجاح الصغير ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال لقبيلة اخرى لغير ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقاربه ظالما كان او مظلوما وفي الفناوي الخيرية من موانع قول التهادة العصبية وهي ان يبغض الرجل الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا من دعي الى عصبية وهو موجب للفسق ولا شهادة لمركبه . قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

نَوَارِيحِهِمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤُهَا مُتَشَوِّفُونَ إِلَى سِيرِ أَسْلَافِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ لِيَقْتَفُوا  
 آثَارَهُمْ وَيَتَسَجَّعُوا عَلَى مَنَازِلِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
 الْحِطِّطِ وَالْمَرَائِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوْبِهِمْ وَالْفَضَاءِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ طَبَقَةِ الدَّوْلَةِ  
 وَفِي عِدَارِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْتَاهُ لَكَ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنَتِ  
 الدُّوَلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ العُصُورِ وَوَقَفَ العَرَضُ عَلَى مَعْرِفَةِ المُلُوكِ بِأَسْمَائِهِمْ خَاصَّةً وَنَسَبِ  
 الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَعَظَمَتِهَا وَمَنْ كَانَ يُنَاقِضُهَا مِنَ الأُمَّةِ أَوْ يُقَصِّرُ عَنْهَا فَمَا  
 القَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا العَهْدِ فِي ذِكْرِ الأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَنَقْشِ الخُلَاطِمِ وَاللُّقْبِ وَالنَّاصِي  
 وَالْوُزَيْرِ وَالْحَاجِبِ مِنْ دَوْلَةٍ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أُصُولَهُمْ وَلَا أَسْمَاءَهُمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ  
 إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالغَفْلَةُ عَنِ مَقَاصِدِ المُوَافِقِينَ الأَقْدَمِينَ وَالدُّعُولُ عَنِ تَحْرِي  
 الأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذِكْرَ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ عَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَعَفَّتْ عَنِ المُلُوكِ  
 أَخْبَارُهُمْ كَالْحِجَّاجِ وَبَنِي المَهَلْبِ وَالبَرَامِكَةِ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوحْتِ وَكَافُورِ الأَخْشِيدِيِّ  
 وَابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَغَيْرُ نَكِيرِ الأَلْمَاعِ بِأَسْمَائِهِمْ وَالأَشْدَادِ إِلَى أَحْوَالِهِمْ لِانْتِظَامِهِمْ  
 فِي عِدَارِ المُلُوكِ . وَلْتَذَكُرْ هُنَا قَائِدَةُ نَعْتِهِمْ كَلَامَنَا فِي هَذَا الفَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
 إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الأَخْبَارِ الخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَأَمَّا ذِكْرُ الأَحْوَالِ المُكْتَسَبَةِ لِلأَفَاقِ  
 وَالأَجْيَالِ وَالأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ المُوَافِقِ تَنْبِيهِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَبَيَّنَ بِهِ أَخْبَارُهُ  
 وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفْرِدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ كَمَا فَعَلَتْهُ السَّعُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّيْبِ شَرَحَ  
 فِيهِ أَحْوَالَ الأُمَّةِ وَالأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِينَ عَرَبًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
 تَحْلِيمَهُمْ وَعَوَائِدَهُمْ وَوَصَفَ البُلْدَانَ وَالجِبَالَ وَالجِعَارَ وَالمَسَالِكَ وَالدُّوَلِ وَفَرَّقَ شُعُوبَ  
 العَرَبِ وَالعَجَمِ فَصَارَ إِمَامًا لِلْمُوَافِقِ حِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يَهْوِي لِي فِي تَحْقِيقِ الكَثِيرِ  
 مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ البَكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ففَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي المَسَالِكِ وَالمَسَالِكِ  
 خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الأَحْوَالِ لِأَنَّ الأُمَّةَ وَالأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَقَعْ فِيهَا كَثِيرٌ ائْتِقَالَ  
 وَلَا عَظِيمٌ تَغْيِيرًا وَأَمَّا هَذَا العَهْدُ وَهُوَ آخِرُ المِائَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ ائْتَقَلَّتْ أَحْوَالَ العَرَبِ  
 الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَتَبَدَّلَتْ بِالجُمَّلَةِ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ البُرَيْرِ أَهْلُهُ عَلَى القَدَمِ بِمَا  
 طَرَأَ فِيهِ مِنْ لُذُنِ المِائَةِ الخَامِسَةِ مِنْ أَجْيَالِ العَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَعَلَبُواهُمْ وَأَنْزَعُوا مِنْهُمْ  
 عَامَّةَ الأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا بَنِي مِنَ البُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا نَزَلَ بِالعَرَبِ

شَرْقًا وَغَرْبًا فِي مُتَنَصِّفِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّمَانِيَةِ مِنَ الطَّاعُونَ الْجَارِفِ الَّذِي تَحِيَّتِ الْأُمَمَ  
وَذَهَبَ بِأَهْلِ الْجَيْلِ وَطَوَى كَثِيرًا مِنْ تَحْسِينِ الْعُمَرَانِ وَصَحَّاهَا وَجَاءَ لِلدُّوَلِ عَلَى حِينِ  
هَرَمِيهَا وَبُلُوغِ الْفَأْيَةِ مِنْ مَدَاهَا فَقَلَّصَ مِنْ ظِلَالِهَا وَقَلَّ مِنْ حَدِيثِهَا وَأَوْهَمَ مِنْ سُلْطَانِهَا  
وَتَدَاعَتْ إِلَى التَّلَاثِي وَالْأَضْمِحْلَالِ أَمْوَالِهَا وَأَنْتَقَضَ عُمَرَانُ الْأَرْضِ بِانْتِقَاضِ الْبَشَرِ  
تَغَرَّبَتِ الْأَمْصَارُ وَالْمَصَانِعُ وَدُرِسَتِ السُّبُلُ وَالْمَعَالِمُ وَخَلَّتِ الدِّيَارُ وَالنَّازِلُ وَضَعَّتِ  
الدُّوَلُ وَالْقَبَائِلُ وَتَبَدَّلَ السَّاكِنُ وَكَانِي بِالْمَشْرِقِ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْمَغْرِبِ  
لَكِنَّ عَلَى نِسْبَتِهِ وَمِقْدَارِ عُمُرَانِهِ وَكَانَمَا نَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْعَالَمِ بِالْخُمُولِ  
وَالْانْقِبَاضِ فَبَادَرَ بِالْإِجَابَةِ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِذَا تَبَدَّلَتِ الْأَحْوَالُ  
جُمْلَةً فَكَانَمَا تَبَدَّلَ الْخَلْقُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَحَوَّلَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ وَكَانَهُ خَلْقٌ جَدِيدٌ وَنَشْأَةٌ  
مُسْتَأْنَفَةٌ وَالْمُحَدَّثُ فَاحْتِجَ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ بَدْوَانِ الْأَحْوَالِ وَالْخَلْقِ وَالْآفَاقِ وَأَجْيَالِهَا  
وَالْعَوَالِدِ وَالنَّجْلِ الَّتِي تَبَدَّلَتْ لِأَهْلِهَا وَيَقْبُو مَسَلَكَ الْمَسْعُودِيِّ لِعَصْرِهِ لِيَكُونَ أَصْلًا يَفْتَدِي  
بِهِ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْهَوَازِ حِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَا ذَا كَرٍّ فِي كِتَابِي هَذَا مَا أَمْكِنِي مِنْهُ فِي هَذَا  
الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَّا صَرِيحًا أَوْ مُنْدرَجًا فِي أَخْبَارِهِ وَتَلَوِيحًا لِإِخْتِصَاصِ قَصْدِي فِي  
التَّأْلِيفِ الْمَغْرِبِ وَأَحْوَالِ أَجْيَالِهِ وَأُمَمِهِ وَذَكَرَ مِمَّا لِكِهِ وَدَوَّلِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ  
الْأَتَهَارِ لِعَدَمِ إِطْلَاقِي عَلَى أَحْوَالِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِهِ وَأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُتَنَاقِلَةَ لَا تَنِي كُنْهَ  
مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ وَالْمَسْعُودِيُّ إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رِحْلَتِهِ وَتَقَلُّبِهِ فِي الْبِلَادِ كَمَا ذَكَرَ  
فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْرِبَ قَصَرَ فِي اسْتِنْفَاءِ أَحْوَالِهِ وَفُوقِ كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
عَلِيمٍ وَمَرَدِّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَشَرِ عَاجِزٍ قَاصِرٍ وَالْإِعْتِرَافِ مُتَعِينٍ وَاجِبٍ وَمَنْ كَانَ  
اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَبَسَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ وَأَنْجَحَتْ لَهُ الْمَسَاعِي وَالْمَطَالِبُ وَتَعْنُ أَخْذُونَ  
بِعَوْنِ اللَّهِ فِيمَا رُمْنَاهُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّأْلِيفِ وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ  
وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَبَسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ  
إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا

إِعْلَمُ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ كَمَا يَأْتِي شَرْحُهُ بَعْدُ فِي كَيْفِيَّاتِ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ  
مِنَ الْحُجْرَةِ تَعْرِضُ مِنْ تَقْطِيعِ الصَّوْتِ بِقَرَعِ اللَّهَاءِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ الْحَنَكِ وَالْحَلْقِيِّ  
وَالْأَضْرَاسِ أَوْ بِقَرَعِ الشِّفَتَيْنِ أَيْضًا فَتَتَغَايَرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ بِتَغَايُرِ ذَلِكَ الْقَرَعِ

وتبجي الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر  
وليسست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لأمة من الحروف ما  
ليس لأمة أخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت  
ونجد للبرانيين حروفا ليسست في لغتنا وفي لغتنا أيضا حروف ليسست في لغتهم وكذلك  
الإفرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم إن أهل الكتاب من العرب  
أصطلحوا في الدلالة على حروفهم المستعمرة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها  
كوضع ألف وباء وجيم وراه وطاه إلى آخر الثمانية والعشرين وإذا عرض لهم  
الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملًا عن الدلالة الكتابية مقلًا عن البيان  
وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتفه من لغتنا قبله أو بعده  
وليس يكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله. ولما كان كتابنا مشتعلًا على  
أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أمانيهم أو بعض كلماتهم حروف  
ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطرننا إلى بيانها ولم نكتف برسم  
الحرف الذي يليه كما قلناه لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه فأصطلحت في كتابي هذا  
على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتفانه ليتوسط  
القارى بالنطق به بين مخارج ذينك الحرفين فتحصل تأديته وإنما اقتبست ذلك من  
رسم أهل المصنف حروف الأثمام كالصراط في قراءة خلف فإن النطق بصاده  
فيها مجتم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي  
ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين  
حرفين من حروفنا كالصراط المتوسط عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا  
والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فأضعا كفاً وانقطعا بنقطة الجيم واحدة من أسفل  
أو نقطة القاف واحدة من فوق أو اثنتين فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف  
والجيم أو القاف وهذا الحرف أكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى  
هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين مما يعلم القارى  
أنه متوسط فينطق به كذلك فتكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد  
عن جانبه لكان قد صرفناه من مخرجه إلى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا

لُغَةِ الْقَوْمِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بَيْنَهُ وَفَضْلُهُ

## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب  
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلة والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة النار يخرج انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو  
عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنيس  
والعصبيات واصناف الثغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك  
والدول ومراتبها وما يتحمله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم  
والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال . ولما كان الكذب  
مُتَطَرًا قَالِغَيْرِ بِطَبِيعَتِهِ وَلَهُ اسبابٌ مُقْتَضِيَةٌ . فَمِنْهَا التَّشْبِهُاتُ لِلاراءِ وَالْمَذَاهِبِ فَإِنَّ  
النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص والنظر  
حتى تبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشبع لرأي او نخلة قبلت ما يوافقها من  
الاجبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشبع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد  
والتخصيص فتقع في قبول الكذب وتقبله . ومن الاسباب المُقْتَضِيَةُ لِلْكَذِبِ فِي الْاخبارِ  
ايضاً الثقة بالناقلين وتخصيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح . ومنها الذهول عن  
المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في  
ظنه وتخصينه فيقع في الكذب . ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجيء في الأكثر  
من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما بداخلها من  
التليس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في تسيه . ومنها  
تقرب الناس في الأكثر لأصحاب النخلة والمراتب بالثناء والمدح وتخصين الاحوال  
واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفس مولعة بحب  
الثناء والناس متطعمون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الأكثر براغبين  
في الفضائل ولا متنافسين في اهلها . ومن الاسباب المُقْتَضِيَةُ لَهُ ايضاً وهي سابقة على  
تجميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث



ذَاتَا كَانَ أَوْ فِعْلًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَبِيعَةٍ تَغْضُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيهَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّمْعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْوُجُودِ وَمُقْتَضِيَاتِهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَخْيِصِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الكَذِبِ وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّخْيِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَعْرِضُ وَكَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِلْسَّامِعِينَ قَبُولُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَبِنَقْلِهَا وَتَوَثُّرُ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ الْأِسْكَندَرِ لَمَّا صَدَّنَهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ عَنْ بِنَاءِ الْأِسْكَندَرِيَّةِ وَكَيْفَ  
 أَخَذَ صُنْدُوقَ الرُّجَاجِ وَغَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّبَطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ تَمَائِيلَهَا مِنْ أَجْسَادِ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْهَيْبَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ  
 خَرَجَتْ وَطَابَعَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خِرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 ائْتِمَادِهِ النَّابُوتَ الرُّجَاجِيَّ وَمُضَادِمَةَ الْبَحْرِ وَأَمَّا وَجْهُ بَحْرِهِ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ أَلْمَلُوا لَا تَحْمِلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفُرُورِ وَمَنْ اعْتَمَدَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهْلَاكَةِ وَأَنْتِقَاضِ  
 النُّقْطَةِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ إِتْلَافُهُ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غُرُورِهِ  
 ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ أَلْجَأَ لَا يُعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَائِيلُ تَخْتَصُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قَادِرَةٌ عَلَى التَّشْكَكْلِ وَمَا يَذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ  
 وَالشَّهْرِيْلُ لِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْخَبْرُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الْوُجُودِ أُبَيِّنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُنْفِيسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَضِيقُ عَلَيْهِ الْمَوَاءُ لِلتَّنْفِيسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسَخُنُ رُوحُهُ بِسُرْعَةٍ لِقَابَتِهِ فَيَفْقَدُ صَاحِبُهُ الْمَوَاءَ  
 الْبَارِدَ الْمَعْدِلَ لِمِزَاجِ الرِّقَّةِ وَالرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَيَهْلِكُ مَكَانَهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِمْ عَنِ الْمَوَاءِ الْبَارِدِ وَالْمَتَدَلِّينَ فِي الْآبَارِ وَالْمَطَامِيرِ  
 الْعَمِيقَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخُنَ هَوَاؤُهَا بِالْعَفُونَةِ وَلَمْ تُدَاخِلْهَا الرِّيحُ فَتُخْلِجُهَا فَإِنَّ الْمَتَدَلِّ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْثِهِ وَبِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ مَوْتُ الْحَوْتِ إِذَا فَارَقَ الْبَحْرَ فَإِنَّ الْمَوَاءَ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رِيقِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعَدِّلُهُ بَارِدٌ وَالْمَوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْحَارُّ عَلَى رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ وَيَهْلِكُ دَفْعَةً وَمِنْهُ هَلَاكُ الْمَصْعُوقِينَ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي تِمَثَالِ الرِّزْزُورِ الَّذِي بِرُومَةِ  
 مَجْتَمِعِ إِلَيْهِ الرِّزَازِيرُ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْتُونِ وَمِنْهُ يُعْتَدُونَ زَيْتَهُمْ  
 وَأَنْظُرُ مَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنِ الْعَجْزِيِّ الطَّبِيعِيِّ فِي ائْتِمَادِ الزَّيْتِ وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبَصْرِيُّ

فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمَسَامَةَ ذَاتِ الْأَبْوَابِ تَحِيطُ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّحَلَةً وَتَشْتَمِلُ عَلَى  
 عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمُدُنُ إِنَّمَا أُسْتُخِدَتْ لِلتَّحَصُّنِ وَالْإِعْتِصَامِ كَمَا يَأْتِي فِي هَذِهِ خَرَجَتْ  
 عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُصْنٌ وَلَا مُعْتَصِمٌ وَكَأَنَّ قَلْعَهُ الْمَسْعُودِي أَيْضًا فِي حَدِيثِ  
 مَدِينَةِ النَّحَّاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا نَحَّاسٌ بِصَحْرَاءِ سَجَلَمَاسَةَ ظَفَرَ بِهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ  
 فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أُشْرِفَ  
 عَلَى الْحَائِطِ صَفَقَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَلَا يَرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثِ مُسْتَجِيلٍ عَادَةً مِنْ  
 خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَصَحْرَاءِ سَجَلَمَاسَةَ قَدْ نَفَّضَهَا الرُّكَّابُ وَالْأَدْلَاءُ وَلَمْ يَقِفُوا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ  
 عَلَى خَيْرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلَّهَا مُسْتَجِيلٌ عَادَةً مُنَافٍ لِلْأُمُورِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمُدُنِ وَأَخْطِاطِهَا وَأَنَّ الْمَعَادِنَ غَايَةَ الْمَوْجُودِ مِنْهَا أَنْ يُصْرَفَ فِي  
 الْإِنْيَةِ وَالخُرْقِي (١) وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْأَسْتِحَالَةِ وَالْبَعْدِ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَخْيِصُهُ إِنَّمَا هُوَ بِعَرَفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْثَقُهَا  
 فِي تَخْيِصِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّخْيِصِ بِتَدْوِيلِ الرَّوَاةِ  
 وَلَا يَرْجِعُ إِلَى تَدْوِيلِ الرَّوَاةِ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ وَأَمَّا  
 إِذَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فَلَا فَائِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْرِيجِ وَأَمَّا عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنْ  
 الْمَطَاعِينَ فِي الْخَبَرِ اسْتِحَالَةَ مَدْلُولِ اللَّفْظِ وَأَوْبَلُهُ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا  
 كَانَ التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيجُ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي صِحَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَسْكَالِيفُ  
 إِنشَائِيَّةٌ أَوْجَبَ الشَّارِعُ الْعَمَلَ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ صِحَّةِ الظَّنِّ التَّقَهُ  
 بِالرَّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالصَّبْطِ . وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْوَأَقِعَاتِ فَلَا بُدَّ فِي صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا مِنْ  
 أَعْتِبَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُنظَرَ فِي إِمْكَانِ وَفُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَمٌّ مِنْ  
 التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذْ فَائِدَةُ الْإِنشَاءِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْهُ فَقَطَّ وَفَائِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ  
 بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِالْإِمْكَانِ  
 وَالْإِسْتِحَالَةِ أَنْ نَنْظُرَ فِي الْأَجْمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَتَمْيِيزَ مَا يَلْفَعُهُ مِنْ  
 الْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَبِمُقْتَضَى طَبِيعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْرُحَ مِنْ  
 لَهُ وَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَنَا قَانُونًا فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

(١) المخرى بالضم اناك البيت اه قاموس

مِنَ الْكُذِبِ بِوَجْهِ بُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا سَمِعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْعُمُرَانِ عَلِمْنَا مَا تَحْتَكُمُ بِقَبُولِهِ مِمَّا نَحْكُمُ بِتَزْيِيفِهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مَعْيَارًا صَحِيحًا يَحْكُمُ بِهِ الْمُؤَرِّخُونَ طَرِيقَ الصَّدَقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَنْقُلُونَهُ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنَ تَأْلِيفِنَا وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقْبَلٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضِعٍ  
 وَهُوَ الْعُمُرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْإِجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ وَذَو مَسَائِلٍ وَهِيَ بَيَانُ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضَعِيًّا كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيًّا. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَعِدَّةٌ الصَّنْعَةُ غَرِيبٌ النِّزَاعَةُ عَزِيزٌ الْفَائِدَةُ  
 اعْتَرَّ عَلَيْهِ أَلْبَحْثُ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْفَوْضُ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْخِطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْمُنْفَعَةُ  
 النَّافِعَةُ فِي أَسْئَالَةِ الْجُمْهُورِ إِلَى رَأْيِ أَوْ صَدِّمٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدِينِيَّةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدِينِيَّةُ هِيَ تَدْبِيرُ الْمَنْزِلِ أَوْ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِمُقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِجَمْعِ الْجُمْهُورِ عَلَى مَنَاجٍ بِكَوْنِهِ فِيهِ حِفْظُ النَّوْعِ وَبِقَاوُهُ فَقَدْ خَالَفَتْ  
 مَوْضِعُهُ مَوْضِعَ هَذَيْنِ الْفَنَيْنِ الَّذِينَ رُبَّمَا يُشْبِهَانِهِ وَكَانَهُ عِلْمٌ مُسْتَنْبَطُ النِّشَاءَةِ وَلَعَمْرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَتْنِهِ لِأَحَدٍ مِنْ أَخْلِيْقَةٍ مَا أَدْرِي الْعَفَلْتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَأَسْتَوْفُوهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحِكْمَاءُ فِي أُمَّةِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 بِمَا وَصَلَ فَأَيْنَ عُلُومِ الْفَرَسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحُجُومِهَا عِنْدَ الْفَتْحِ وَأَيْنَ عُلُومِ  
 الْكِلْدَانِيِّينَ وَالسَّرْيَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَتَنَاجِيهَا وَأَيْنَ عُلُومِ  
 الْقُبْطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ يُونَانُ خَاصَّةً لِكُلْفِ الْمَأْمُونِ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لُغْتِهِمْ وَأَقْتِدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرْجِمِينَ وَبَدَلِ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 نَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةً طَبِيعِيَّةً بِصَلْحٍ أَنْ يُبْحَثَ  
 عَمَّا يَغْرِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَفْهُومٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٌ  
 مِنَ الْعُلُومِ بِخُصَّةٍ لَكِنَّ الْحِكْمَاءَ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا لَاحِظُوا فِي ذَلِكَ الْعِنَايَةَ بِالشَّمْعَاتِ وَهَذَا  
 إِنَّمَا شَمْرَتُهُ فِي الْأَخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَانَتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي اخْتِصَاصِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنَّ شَمْرَتَهُ تَضْيِيقُ الْأَخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْنِيْتُمْ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. وَهَذَا الْفَرْقُ الَّذِي لَاحَ لَنَا النَّظَرُ فِيهِ نَجِدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجْرِي بِالْعَرَضِ

لِأَهْلِ الْعُلُومِ فِي بَرَاهِينِ عُلُومِهِمْ وَفِي مِنْ جِنْسِ مَسَائِلِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالطَّلَبِ مِثْلَ مَا  
 يَذْكُرُهُ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ فِي اثْبَاتِ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنَّ الْبَشَرَ مُتَعَاوِنُونَ فِي وُجُودِهِمْ  
 فَيَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَالْوَازِعِ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ فِي بَابِ اثْبَاتِ  
 اللُّغَاتِ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ بِطَبِيعَةِ التَّعَاوُنِ وَالْإِجْتِمَاعِ وَتَبْيَانِ  
 الْعِبَارَاتِ أَخَذْتُ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي تَعْلِيلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَقَاصِدِ  
 فِي أَنَّ الزَّيْنَ مُخْتَلِطٌ لِلنَّسَابِ مُفْسِدٌ لِلنُّوعِ وَأَنَّ الْقَتْلَ أَيْضًا مُفْسِدٌ لِلنُّوعِ وَأَنَّ الظُّلْمَ  
 مُؤَذِنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الْمُفْضِي إفسَادَ النَّوعِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ  
 فِي الْأَحْكَامِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِفَاظَةِ عَلَى الْعُمْرَانِ فَكَانَ لَهَا النَّظَرُ فِيهَا يَبْرُزُ  
 لَهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنْ كَلَامِنَا هَذَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُشْتَبِهَةِ وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقَعُ إِنِّي الْقَلِيلُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ فِي كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِحُكَمَاءِ الْخَلِيقَةِ لِكَيْلَهُمْ لَمْ يَسْتَوْفُوهُ مِنْ كَلَامِ  
 الْمَوْبِدَّانِ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامِ فِي حِكَايَةِ الْبُورِ الَّتِي نَقَلَهَا السَّعُودِيُّ . أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ  
 الْمَلِكَ لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالْتِصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَتَهْيِئِهِ وَلَا  
 قِيَامَ لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ  
 وَلَا سَبِيلَ لِلْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ  
 الْمَنْصُوبُ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ . وَمِنْ كَلَامِ أَنْوِشِرْوَانَ  
 فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنِهِ الْمَلِكُ بِالْجُنْدِ وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ وَالْمَالُ بِالْخِرَاجِ وَالْخِرَاجُ بِالْعِمَارَةِ  
 وَالْعِمَارَةُ بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ بِإِصْلَاحِ الْعُمَالِ وَإِصْلَاحِ الْعُمَالِ بِاسْتِقَامَةِ الْوُزَرَاءِ  
 وَرَأْسُ الْكُلِّ بِإِفْتِقَادِ الْمَلِكِ حَالَ رِعْيَتِهِ بِنَفْسِهِ وَأَقْنِدَارِهِ عَلَى تَأْدِيبِهَا حَتَّى يَمْلِكَهَا  
 وَلَا تَمْلِكُهُ . وَفِي الْكِتَابِ الْمُنْسُوبِ لِأَرِسْطُو فِي السِّيَاسَةِ الْمُتَدَاوِلِ بَيْنَ النَّاسِ جُزْءٌ  
 صَالِحٌ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَوْفٍ وَلَا مُعْطَى حَقُّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَمُخْتَلِطٌ بِغَيْرِهِ وَقَدْ أَشَارَ  
 فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَقَلْنَاهَا عَنِ الْمَوْبِدَّانِ وَأَنْوِشِرْوَانَ وَجَعَلْنَا  
 فِي الدَّائِرَةِ الْقَرِيبَةِ الَّتِي أَعْظَمُ الْقَوْلِ فِيهَا هُوَ قَوْلُهُ . الْعَالَمُ بَسْتَانٌ سِيَاحَةٌ اللُّوْلَةُ اللُّوْلَةُ  
 سُلْطَانٌ تَحْيَا بِهِ السَّنَةُ السَّنَةُ سِيَاسَةٌ يَسُوسُهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ نِظَامٌ يَعْضُدُهُ الْجُنْدُ  
 الْجُنْدُ أَعْوَانٌ يَكْفُلُهُمُ الْمَالُ الْمَالُ رِزْقٌ يَجْمَعُهُ الرَّعِيَّةُ الرَّعِيَّةُ عَيْدٌ يَكْفِيهِمُ الْعَدْلُ  
 الْعَدْلُ مَأْلُوفٌ وَبِهِ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعَالَمُ بَسْتَانٌ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ . فَهَيْهَذَا تَمَّ

كَلِمَاتٍ حِكْمِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْتَبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَأَزْدَتْهَا أَعْجَازُهَا إِلَى صُدُورِهَا وَاتَّصَلَتْ  
 فِي دَائِرَةٍ لَا يَتَمَيَّنُ حَارِفُهَا غَرًّا بِمُثَوِّرِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمَ مِنْ قَوَائِدِهَا . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ  
 كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّوَلِ وَالْمَلِكِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّمَتُّعِ وَالنَّفْعِ عَزَّزْتَ فِي أَثْمَانِهِ  
 عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفْصِيلِ إِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى . يَمِينًا بِأَوْصَابِ بَيَانٍ وَأَوْضَحَ دَلِيلٍ  
 وَبُرْهَانَ أَطْلَعْنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ أَرْسَطُو وَلَا إِفَادَةٍ . وَبِذَلِكَ وَكَذَلِكَ تَجِدُ فِي  
 كَلَامِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ . وَاسْتَطَرَّدَ فِي رِسَالَتِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيرَةِ مِنْ مَسَائِلِ  
 كِتَابِنَا هَذَا غَيْرَ بُرْهَانَةٍ كَمَا بَرَهْنَاهُ إِنَّمَا يُجْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَعْنَى الْخَطَابَةِ فِي أُسْلُوبِ  
 النِّزْلِ وَبِلَاغَةِ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ حَوْصَمَ الْقَانُونِيُّ أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ فِي كِتَابِ  
 رِجَالِ الْمُلُوكِ وَبُوبَةُ عَلَى أَبْوَابِ تَقَرُّبِ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلُهُ لِكُنْهٍ لَمْ  
 يُصَادَفْ فِيهِ الرَّمِيَّةُ وَلَا أَحَابَ الشَّاكِلَةُ وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلِ وَلَا أَوْضَحَ الْأَدْلَةَ إِنَّمَا  
 يُيَوِّبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَكْتَرُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةً  
 لِحُكْمَاءِ الْفَرَسِ مِثْلَ بَزْرَجَهْرٍ وَالْمَوْبَذَانِ وَحُكْمَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ دَائِرِ الْإِلِ  
 وَهَرَمِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَارِ الْخَلِيفَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيقِ فَنَاعًا وَلَا يَرْفَعُ الْبُرْهَانِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ حِجَابًا إِنَّهُ هُوَ نَقْلٌ وَتَرْكِيبٌ شَبِيهُ بِالْمَوْاعِظِ وَكَأَنَّهُ حَوْصَمَ عَلَى الْغَرَضِ وَلَمْ  
 يَصَادَفْهُ وَلَا تَحَقَّقْ قَصْدُهُ وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ وَنَحْنُ أَلْمَعْنَا اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْهَمَاءِ وَأَعْتَرْنَا  
 عَلَى عِلْمٍ جَمَاعًا بَيْنَ نُكْرَةٍ وَجُهْدَةٍ خَبْرَهُ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَمَبَزَّتْ عَنْ  
 سَائِرِ الصَّنَائِعِ أَنْظَارَهُ وَأَنْصَحَهُ تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ وَهَدِيَّةً وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِحْصَائِهِ  
 وَأَشْبَهْتُ بِغَيْرِهِ فَلِلنَّظَرِ الْمُحَقِّقِ إِصْلَاحُهُ وَلِي الْفَضْلُ لِأَنِّي تَعَجَّبْتُ لَهُ السَّبِيلَ وَأَوْضَعْتُ  
 لَهُ الطَّرِيقَ وَاللَّهُ يَهْدِي بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . وَنَحْنُ الْآنَ نَبِينُ فِي هَذَا الْكِتَابِ . أَعْرَضُ  
 لِلبَشَرِ فِي أَجْمَاعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ فِي الْمُلْكِ وَالْكِسْبِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِوُجُودِ  
 بُرْهَانِيَّةٍ يَتَضَعُ بِهَا التَّحْقِيقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْإِلْهَامُ وَتُرْفَعُ  
 الشُّكُوكُ . وَتَقُولُ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ أَخْتِمْ بِهَا  
 فِينَهَا الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشَرَفَ بِوَصْفِهِ عَلَى  
 الْخَلْقَاتِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ إِلَى الْحُكْمِ الْوَازِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ إِذْ لَا يُمَكِّنُ وَجُودُهُ  
 دُونَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُقَالُ عَنِ النَّحْلِ وَالْجُرَادِ وَهَذِهِ وَإِنْ كَانَ لَهَا

مِثْلُ ذَلِكَ فَيَطْرُقُ إِلهَامِي لَا يَفْكَرُ وَرَوِيَّةٌ وَمِنْهَا السَّعْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وُجُوهِهِ وَأَكْتِسَابِ أَسْبَابِهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّيَاسَةِ وَطَلَبِهِ قَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَمِنْهَا الْعُمَرَانُ وَهُوَ التَّسَاكُنُ وَالتَّنَازُلُ فِي مِصْرٍ أَوْ حِلَّةٍ لِلْأَنْسِ بِالْعَشِيرِ وَاقْتِضَاءُ الْحَاجَاتِ لِمَا فِي طَبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمَرَانُ مَا يَكُونُ بَدَوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي الضَّوَاهِي وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحِلَلِ الْمُتَجَمِّعَةِ فِي الْقِفَارِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضْرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَدَنِ وَالْمَدَرِ لِلْإِعْتِمَادِ بِهَا وَالتَّحْصُنِ بِجُدْرَانِهَا وَهُوَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرِضُ مِنْ حَيْثُ الْإِجْتِمَاعُ عَرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جُرْمَ أَنْحَصَرَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ . الْأَوَّلُ فِي الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وَالثَّانِي فِي الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ وَذِكْرُ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْوَحْشِيَّةِ . وَالثَّالِثُ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ وَذِكْرُ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّابِعُ فِي الْعُمَرَانِ الْحَضْرِيِّ وَالْبُلْدَانَ وَالْأَنْصَارِ . وَالخَامِسُ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ . وَالسَّادِسُ فِي الْعُلُومِ وَكَسْبِهَا وَتَعَلُّمِهَا . وَقَدْ قَدِّمْتُ الْعُمَرَانِ الْبَدَوِيِّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِهَا كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدُ وَكَذَا نَقَدِّمُ الْمَلِكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَنْصَارِ وَأَمَّا نَقَدِّمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ كَالِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ وَالطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الْكَمَاكِلِيِّ وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ بَعْضُ الْوُجُوهِ وَبِئْسَ حَيْثُ الْعُمَرَانُ كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَوْفُوقِ لِلصَّوَابِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ

## الفصل الأول

### من الكتاب الأول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الأولى في أن الإجماع الإنساني ضروريٌ ويعبرُ الحكمة عن هذا بقوله  
الإنسان مدنيٌّ بالطبع أي لا بدُّ له من الإجماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم  
وهو معنى العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان ورَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لَا يَصِحُّ

حَيَاتُهَا وَبِقَاوِمِهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَدَاهُ إِلَى النَّاسِ بِفِطْرَتِهِ وَبِمَا رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاصِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ غَيْرُ مُؤَيَّةٍ لَهُ بِمَادَّةِ حَيَاتِهِ مِنْهُ وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمَكِّنُ فَرَضَهُ وَهُوَ قُوَّةُ يَوْمٍ مِنَ الْخُنْطَةِ مَثَلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعْنِ وَالْعَجْنِ وَالطَّبْخِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ بِحَتَّاجٍ إِلَى مَوَاعِينِ وَالْآتِ لَا تَنِي إِلَّا بِصِنَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ حَدَادٍ وَنَجَّارٍ وَقَاخُورِيٍّ وَهَبَّ أَنَّهُ بِأَكْلِهِ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَهُوَ أَيْضًا بِحَتَّاجٍ فِي تَحْصِيلِهِ أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحِصَادِ وَالْدِرَاسِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنْ غِلَافِ السَّنْبُلِ وَيَحْتَّاجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْآتِ مُتَعَدِّدَةً وَصِنَائِعَ كَثِيرَةً أَكْثَرَ مِنَ الْأُولَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَنِي بِذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ وَلَا بُدَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِيَحْصُلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَلَهُمْ فَيَحْصُلُ بِالْتَعَاوُنِ قَدْرٌ أَكْثَرُ مِنَ الْحَاجَةِ لَا كَثَرَتْ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ بِحَتَّاجٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهِ إِلَى الْأِسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ الطَّبَاعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَةَ بَيْنَهَا جَعَلَ حُطُوطَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حَظِّ الْإِنْسَانِ قُدْرَةَ الْفَرَسِ مَثَلًا أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ وَكَذَا قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالْتَّوْرِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا كَانَ الْعُنُونُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَضْوًا يَحْتَمِي بِمُدَافَعَتِهِ مَا يَحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عِوَضًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْعِكْرَ وَالْيَدَ فَالْيَدُ مِثْلُ الْعِكْرِ لِلصَّنَائِعِ بِمُخْدَمَةِ الْفِكْرِ وَالصَّنَائِعِ تَحْصُلُ لَهُ الْآلَاتُ الَّتِي تُنُوبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ الْمَعْدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرِّمَاحِ الَّتِي تُنُوبُ عَنِ الْقُرُونِ النَّالِحَةِ وَالسُّيُوفِ النَّائِبَةِ عَنِ الْحَقَالِبِ الْجَارِحَةِ وَالْتَّرَاسِ النَّائِبَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ بِمَا ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَالْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا يُقَاوِمُ قُدْرَتَهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ سِوَمَا الْمَفْتَرَسَةِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ مُدَافَعَتِهَا وَحَدُّهُ بِالْجَمَلَةِ وَلَا تَنِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ الْمَعْدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا تَمَّ حَيَاتُهُ لِمَا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا

دِفَاعٌ عَنِ نَفْسِهِ لِقُدَّانِ السِّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيَسَةً حَيَوَانَاتٍ وَيُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ عَنِ مَدَى حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَصَلَ لَهُ الْقُوَّةُ لِلغِذَاءِ وَالسِّلَاحُ لِلْمُدَافَعَةِ وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ وَحِفْظِ نَوْعِهِ فَإِذَنْ هَذَا الْاجْتِمَاعُ ضَرُورِيٌّ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْأَلْمُ يَكْمُلُ وَجُودُهُمْ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ اعْتِمَادِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَأَسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعُمْرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ إِثْبَاتِ الْمَوْضُوعِ فِي فَنِّهِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُنْطَقِيَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِ عِلْمِهِ إِثْبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ إِثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ الْمُؤْتَقِيُّ بِفَضْلِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْاجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمْرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ وَازِعٍ يَدْفَعُ بَعْضَهُمْ عَنِ بَعْضٍ لِمَا فِي طِبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ عَنْهُمْ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لِجَمِيعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضٍ وَلَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ عَنِ مَدَارِكِهِمْ وَإِهْلَامَاتِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَازِعُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْغَلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَبْصِلَ أَحَدٌ إِلَى غَيْرِهِ بِعُدْوَانٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ لِلْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعِيَّةً وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَكَمَاءُ كَمَا فِي النَّحْلِ وَالْجُرَادِ لِمَا اسْتَقْرَأَ فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِتْقَادِ وَالِاتِّبَاعِ لِرَبِّيسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجَمَائِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لِغَيْرِ الْإِنْسَانِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ رَاحِلِيَّةً لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَتَزِيدُ الْفَلَسَفَةُ عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ حَيْثُ يُجَاوِلُونَ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ فَيَقَرَّرُونَ هَذَا الْبُرْهَانَ إِلَى غَايَةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَازِعِ ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرْعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِأَنِّي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصِ هِدَايَتِهِ لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْيَفٍ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحَكَمَاءِ غَيْرِ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ إِذِ الْوُجُودُ وَحَيَاةُ الْبَشَرِ قَدْ نَبَتْ مِنْ



دُونَ ذَلِكَ بِمَا يَفْرِضُهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمَلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشَبَّهُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَبُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَانْتَهَمَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْأَنْبَارُ فَضْلًا عَنِ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمَعْرِفَةُ فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ بِخِلَافِ حَيَاةِ الْبَشَرِ قَوْصَى دُونَ وَارْتِخِ لَهُمُ الْبِنَّةُ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وَهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُهُمْ فِي وَجُوبِ الثُّبُوتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِي وَإِنَّمَا مُدْرِكُهُ الشَّرْحُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

إِعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِرِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِعَنْصَرِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا عَنَبَةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَانْتَحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ بَعْضِ جَوَابِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَعُمُرَانِهَا بِالنُّوعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ بَيَّنَّوْهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا انْتَحَتِ الطَّبِيعَةُ قَلْبُ الْأَرْضِ وَوَسَطُ كُرْبَتِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالصُّكْلُ بَطْلُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَابِهَا وَأَمَّا الْمَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَبِالْإِضَافَةِ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى مِنْهُ . وَأَمَّا الَّذِي انْتَحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرْبَتِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةٍ أَحَاطَ الْعَنْصَرُ الْمَائِيُّ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا بِحَرِّهَا يُسَمَّى الْبَحْرَ الْحَاطِطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا لِبَلَايَةِ تَنْفِيهِمُ الْأُمَّةِ الثَّانِيَةَ وَيُسَمَّى أَوْقِيَانُوسَ أَسْمَاءَ أُجْنِبِيَّةٍ وَيُقَالُ لَهُ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُنْكَشِفَ مِنَ الْأَرْضِ الْعُمُرَانَ فِيهِ الْفِقَارُ وَالْخِلَافَةُ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانِهِ وَأَخْلَاطِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أَمِيلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيِّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَى خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيِّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي

بينهما سدٌ بأجوجٍ وما جوجٌ وهذه الجبال مائلةٌ إلى جهة المشرقِ ويتهي من المشرقِ  
 والمغربِ إلى عنصر الماء أيضاً بقطعتين من الدائرة المحيطية وهذا المنكشف من  
 الأرض قلالاً هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار رُبْعِهِ وهو  
 المنقسمُ بالأقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الأرض ينصفين من المغربِ إلى  
 المشرقِ وهو طولُ الأرض وأكبرُ خطٍ في كُرْتِهَا كما أن منطقة فلَكِ البروجِ  
 ودائرة معدلِ النهارِ أكبرُ خطٍ في الفلكِ ومنطقة البروجِ منقسمةٌ بثلاثمائة وستين  
 درجةً والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف  
 ذراعٍ والذراع أربعة وعشرون إصبعاً والأصبع ست حباتٍ شعيرٍ مصفوفةٍ ملصقٍ  
 بعضها إلى بعضٍ ظهراً لبطنٍ وبين دائرة معدلِ النهارِ التي تقسمُ الفلكِ ينصفين وتُسَمَّى  
 خطُ الاستواءِ من الأرضِ وبين كلِّ واحدٍ من القطبتين تسعون درجةً لكن  
 العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستين درجةً والباقي منها خلافاً لا  
 عمارة فيه لشدة البردِ والعجمودِ كما كانت الجهة الجنوبية خلافاً كلها لشدة الحرِّ كما  
 ثبت ذلك كله إن شاء الله تعالى . ثم إن المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وعمما  
 فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال مثل بطليموس في  
 كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زخار من بعده تسموا هذا المعمور بسبعة أقسامٍ  
 يسمونها الأقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرقِ والمغربِ متساوية في العرضِ  
 مختلفة في الطولِ فالإقليم الأول أطولُ مما بعده وهكذا الثاني إلى آخرها فيكون  
 السابع أقصرَ لما اقتضاه وضعُ الدائرة الناشئة عن انحسار الماء عن كرة الأرضِ  
 وكلِّ واحدٍ من هذه الأقاليم عندهم منقسمٌ بعشرة أجزاء من المغربِ إلى المشرقِ  
 على التوالي وفي كلِّ جزءٍ الخبرُ عن أحواله وأحوالِ عمرانه . وذكرُوا أن هذا البحرِ  
 المحيطَ يخرجُ منه من جهة المغربِ في الإقليم الرابع البحرُ الرومي المعروفُ يبدأ  
 في خليجٍ متضيقٍ في عرضِ اثني عشر ميلاً أو نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى  
 الزقاق ثم يذهبُ مشرفاً ويتسعُ إلى عرضِ ستمائة ميلٍ وينتهي في آخر الجزء  
 الرابع من الإقليم الرابع على ألف فرسخٍ ومائة وستين فرسخاً من مبداهِ وعليه هنالك  
 سواحلُ الشامِ وعليه من جهة الجنوبِ سواحلُ المغربِ أولها طنجة عند خليجِ ثم

افریقیة ثم بركة إلى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند خليج  
 ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الأندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى  
 هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أفریطس وقبرص  
 وصقلية وميورقة وسردانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من  
 خليجين أحدهما مسمايت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متصايقا في عرض رمية  
 السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم يفسح في عرض أربعة أميال  
 ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة  
 أميال فيمد بحر نبطس وهو بحر يتعرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر  
 بأرض مرقلة وينتهي إلى بلاد الحزيرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من  
 الجانبين أمم من الروم والترك وبرجان والرؤس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر  
 الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى  
 سمت الجبل انصرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد انكلاية  
 على ألف ومائة ميل من مبداه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى  
 خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط أيضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة  
 درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر في الجنوب قليلا حتى ينتهي  
 إلى الإقليم الأول ثم يمر فيه مغربا إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد  
 الحبشة والزنج وإلى بلاد باب المنتدب منه على أربعة آلاف فرسخ من مبداه  
 ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد  
 مؤبر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ولبسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب  
 ثم بلد مقدسوم ثم بلد سفالة وأرض الوفواق وأمم آخر ليس بعدهم إلا الفقار والخلاص  
 وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من  
 الأحقاف وزيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة قالوا ويخرج من  
 هذا البحر الحبشي بحران آخران أحدهما يخرج من نهايته عند باب المنتدب فيبدأ  
 متصايقا ثم يمر مستجرا إلى ناحية الشمال ومغربا قليلا إلى أن ينتهي إلى القلزم في  
 الجزء الخامس من الإقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبداه ويسمى بحر

الْقَلْزُومِ وَبَحْرِ السُّوَيْسِ وَبَيْنَ فِسْطَاطِ مِصْرَ مِنْ هُنَالِكَ ثَلَاثَ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْيَمَنِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجِدَّةٌ ثُمَّ مَدِينُ وَأَيْلَةُ وَفَارَانُ عِنْدَ نِهَائِهِ وَمِنْ  
 جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الصَّعِيدِ وَعَيْدَابُ وَسَوَاكِنُ وَزَيْلَعُ ثُمَّ بِلَادُ الْحَبَشَةِ عِنْدَ مَبْدَئِهِ  
 وَآخِرُهُ عِنْدَ الْقَلْزُومِ يُسَمَّى الْبَحْرُ الرَّومِيُّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا تَحْوِي سِتَ مَرَاحِلَ وَمَا  
 زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْأَسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَنْبَغِ ذَلِكَ وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ يُعْرَجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّنْدِ وَالْأَحْقَافِ مِنَ  
 الْيَمَنِ وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَبْلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ فَرَسِيخٍ وَأَرْبَعِينَ فَرَسِيخًا مِنْ مَبْدَئِهِ  
 وَيُسَمَّى بَحْرَ فَارِسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّنْدِ وَمَكْرَانَ وَكُرْمَانَ وَفَارِسَ  
 وَالْأَبْلَةَ وَعِنْدَ نِهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ التَّجْرِينَ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانَ وَالشَّحْرَ وَالْأَحْقَافَ  
 عِنْدَ مَبْدَئِهِ وَفِيهَا بَيْنَ بَحْرِ فَارِسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَانَهَا دَاخِلَةً مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ  
 يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارِسَ مِنَ الشَّرْقِ  
 وَتَفْضِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ مِيلَ بَيْنَهُمَا وَهُنَالِكَ الْكُوفَةُ  
 وَالْقَادِسِيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيوَانُ كِسْرَى وَالْحِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أُمَّمُ الْأَعْرَابِ مِنَ التُّرْكِ  
 وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
 وَالتَّجْرِينَ وَعُمَانَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَنِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
 الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٍ آخَرَ مُنْقَطِعٌ مِنْ سَائِرِ الْبَحَارِ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ  
 بِأَرْضِ الدَّلِيمِ يُسَمَّى بَحْرَ جُرْجَانَ وَطَبْرَسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةٍ مِيلٍ  
 فِي غَرْبِهِ أَذْرَبِيحَانُ وَالدَّلِيمُ وَفِي شَرْقِيهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمُ وَفِي جَنُوبِهِ طَبْرَسْتَانُ  
 وَفِي شَمَالِيهِ أَرْضُ الْخَزَرِ وَاللَّانُ هَذِهِ جُمْلَةُ الْبَحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
 الْجُغْرَافِيَا قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ وَهِيَ النَّيْلُ  
 وَالْفُرَاتُ وَدِجْلَةُ وَنَهْرُ بَلْخِ الْمُسَمَّى جَيْحُونَ فَأَمَّا النَّيْلُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَاءَ حَظِّ  
 الْأَسْتَوَاءِ سِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً عَلَى سَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَبُسْمَى جَبَلُ  
 الْقَمَرِ وَلَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تَخْرُجُ مِنْهُ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
 بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ فَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةٍ

قاحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من هذِهِ الْبَحِيرَةُ نهران  
 تَمَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ عَلَى سِتِّهِ وَيَمُرُّ بِلَادِ التُّوبَةِ ثُمَّ بِلَادِ مِصْرَ فَلِذَا  
 جَاوَزَهَا تَسَعَبَ فِي شُجْبٍ مُتَفَارِقَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
 الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأَسْكَدَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيهِ وَالْوَاهَاتُ  
 مِنْ غَرْبِيهِ وَيَذْهَبُ الْآخِرُ مُنْعَطِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سِتِّهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
 الْبَحْرِ الصَّحِيحِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانِ وَأَمَمَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضَنْبِيهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ  
 بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
 وَمَلَطِيَّةٍ إِلَى مَبِجٍ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَتَيْنِ ثُمَّ بِالرِّقَّةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ  
 الَّتِي بَيْنَ الْبَعْرَةِ وَوَأَسِطَ وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَمْسِيِّ وَتَنْجَابُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
 أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ . وَأَمَّا دِجْلَةُ فَمَبْدَأُهَا عَيْنٌ  
 بِبِلَادِ خِلَاطٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سِتِّهِ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَأَذْرَبِيحَانَ وَبَغْدَادَ  
 إِلَى وَاسِطٍ فَتَنْفَرِقُ إِلَى خُلْجَانَ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتُنْفِضِي إِلَى بَحْرِ فَارَسَ وَهُوَ  
 فِي الشَّرْقِ عَلَى يَمِينِ الْفُرَاتِ وَيَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيمَا  
 بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةَ مِنْ أَوَّلِهِ جَزِيرَةٌ الْمَوْصِلِ قُبَالَةَ الشَّامِ مِنْ عُدُوتَيْ الْفُرَاتِ وَقُبَالَةَ  
 أَذْرَبِيحَانَ مِنْ عُدُوتَيْ دِجْلَةَ . وَأَمَّا نَهْرُ جَمِيحُونَ فَمَبْدَأُهُ مِنْ بَلْخِ فِي الْجَزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
 الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عِيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٌ وَتَنْجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
 إِلَى الشَّمَالِ فَيَمُرُّ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خُوَارِزْمَ فِي الْجَزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ فِي  
 مِثْلِهِ وَإِلَيْهَا يَنْصُبُّ نَهْرُ فَرغانَةَ وَالشَّاشِ الْآتِي مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِي نَهْرِ جَمِيحُونَ  
 بِلَادُ خُرَاسَانَ وَخُوَارِزْمَ وَعَلَى شَرْقِيهِ بِلَادُ بَحَارَى وَنَرْمَدَ وَتَمَرْقَنْدَ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
 وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرغانَةَ وَالْحَزَلِيَّةِ وَأَمَّ الْأَعَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلِيمُوسُ  
 فِي كِتَابِهِ وَالشَّرِيفُ فِي كِتَابِ زَخَارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغْرَافِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْمَعْمُورِ مِنَ  
 الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأُزْدِيَّةِ وَاسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطَوْلِهِ وَلِأَنَّ عِنَابَتَنَا فِي  
 الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ الْبَرَبْرِ وَبِالْأَوْطَانِ الَّتِي لِلْعَرَبِ مِنَ  
 الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْقُوقُ

## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرا من الربع الجنوبي  
وذكر السبب في ذلك

وَتَحْنُ نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمَتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقَلُّ عُمُرَانَا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجِدَ مِنْ عُمُرَانِهِ فَيَتَخَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْفَقَارُ وَالرِّمَالُ  
وَالْبَجَرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأَمُّ هَذَيْنِ الْأَقْلَمَيْنِ وَأَنَاسِيَهُمَا آيَسَتْ لَهُمْ  
الْكثْرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمَدَنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَأَقْفَارُ فِيهَا قَلِيلَةٌ وَالرِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَأَمْمَهَا وَأَنَاسِيَهَا تَجُوزُ الْحُدُومَ الْكَثْرَةَ  
وَأَمْصَارُهَا وَمَدَنُهَا تَجَاوِزُ الْحُدُودَ وَالْعُمُرَانُ فِيهَا مُنْدَرِجٌ مَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجَنُوبُ خِلَافَهُ كُلُّهُ وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مِيَلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنِ سَمْتِ أَرْضُوسٍ فَلَمْ يَضِغْ ذَلِكَ بِيُرْهَانِهِ وَيَتَبَيَّنُ مِنْهُ سَبَبُ كَثْرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيهَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فَتَقُولُ إِنَّ  
قُطْبِي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيَّ وَالشَّمَالِيَّ إِذَا كَانَا عَلَى الْأَفْقِ فَهَذَاكَ دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ تُقْسِمُ الْفَلَكَ  
بِنِصْفَيْنِ هِيَ أَكْبَرُ الدَّوَائِرِ الْمَازِيَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدَّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْهَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً بِحَرَكَتِهَا سَائِرِ الْأَفْلَاقِ فِي جَوْفِهِ فَهَذَا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحْسُوسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكَبْرَ أَكْبَرَ فِي أَفْلَاقِهَا حَرَكَةً مُخَالَفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ فِي الشَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ وَتَمَرَاتِ  
هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا تُؤَوِّزُهَا كُلُّهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَدْنَى نَفْسِمَةُ  
بِنِصْفَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِأَثْنِي عَشَرَ بُرْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مُقَاطِعَةٌ لِدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بِنِصْفَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السَّنْبَلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْأَفْقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ

عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطًّا وَاحِدًا يُسَمَّى دَائِرَةَ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بِمَرُّهُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 وَيُسَمَّى خَطَّ الْأَسْتِوَاءِ وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُّ بِالرَّصَدِ عَلَى مَا زَعَمُوا فِي مَبْدَأِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ  
 مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ وَالْعُمُرَانُ كُلُّهُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ يَرْتَفِعُ عَنْ آفَاقِ هَذَا الْمَعْمُورِ  
 بِالْتَدْرِجِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ أَرْتِفَاعُهُ إِلَى أَرْبَعِ وَسِتِّينَ دَرَجَةً وَمِنْهَا كَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ  
 وَهُوَ آخِرُ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَإِذَا أَرْتَفَعَ عَلَى الْآفَاقِ تِسْعِينَ دَرَجَةً وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الْقُطْبِ  
 وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى الْآفَاقِ وَبَقِيَ سِتَّةٌ مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْآفَاقِ وَهِيَ الشَّمَالِيَّةُ وَسِتَّةٌ  
 تَحْتَ الْآفَاقِ وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ وَالْعِمَارَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّتِّينَ إِلَى التَّسْعِينَ مُشْتَعَةً لِأَنَّ  
 الْحَرَّ وَالْبَرْدَ حِينَئِذٍ لَا يَحْصُلَانِ مُتَرَجِّجِينَ لِبُعْدِ الزَّمَانِ بَيْنَهُمَا فَلَا يَحْصُلُ التَّكُونُ فِإِذَا  
 الشَّمْسُ تَسَامَتْ الرُّؤُوسَ عَلَى خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ فِي رَأْسِ الْحَمَلِ وَالْمِيزَانِ ثُمَّ تَمِيلُ عَنْ  
 الْمُسَامَةِ إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَرَأْسِ الْجَدِيِّ وَيَكُونُ نِهَابَةً مِثْلَهَا عَنْ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ  
 النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ثُمَّ إِذَا أَرْتَفَعَ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ عَنِ الْآفَاقِ مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ  
 النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ بِمِقْدَارِ أَرْتِفَاعِهِ وَانْخَفَضَ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ كَذَلِكَ بِمِقْدَارِ  
 مَسَاوِيهِ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ عَرْضَ الْبَلَدِ وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ  
 مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ عَلَتْ عَلَيْهَا الْبُرُوجُ الشَّمَالِيَّةُ مُنْدَرِجَةً فِي مِقْدَارِ عُلُوِّهَا  
 إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَانْخَفَضَتْ الْبُرُوجُ الْجَنُوبِيَّةُ مِنَ الْآفَاقِ كَذَلِكَ إِلَى رَأْسِ الْجَدِيِّ  
 لِأَنَّهُمْ إِذَا إِلَى الْجَانِبَيْنِ فِي أَفْقِ الْأَسْتِوَاءِ كَمَا فَلْتَاهُ فَلَا يَزَالُ الْآفَاقُ الشَّمَالِيُّ يَرْتَفِعُ حَتَّى  
 يَصِيرَ أَبْعَدَ الشَّمَالِيَّةِ وَهُوَ رَأْسُ السَّرْطَانِ فِي سَمْتِ الرُّؤُوسِ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ عَرْضُ  
 الْبَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي الْحِجَازِ وَمَا يَلِيهِ وَهَذَا هُوَ الْمَيْلُ الَّذِي إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ  
 عَنْ مُعَدَّلِ النَّهَارِ فِي أَفْقِ الْأَسْتِوَاءِ أَرْتَفَعَ بِأَرْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى صَارَ مُسَامِتًا  
 فَإِذَا أَرْتَفَعَ الْقُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ تَزَلَّتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ وَلَا تَزَالُ  
 فِي انْخِفَاضٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَرْتِفَاعُ الْقُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ وَيَكُونُ انْخِفَاضُ الشَّمْسِ عَنِ  
 الْمُسَامَةِ كَذَلِكَ وَانْخِفَاضُ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ عَنِ الْآفَاقِ مِثْلَهَا فَيَنْقَطِعُ التَّكُونُ لِإِفْرَاطِ  
 الْبَرْدِ وَالْجَمْدِ وَطُولِ زَمَانِهِ غَيْرَ مُتَرَجِّجٍ بِالْحَرِّ . ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا  
 يُقَارِبُهَا نَبَتْ الْأَشِعَّةَ قَائِمَةً وَفِيهَا دُونَ الْمُسَامَةِ عَلَى زَوَايَا مُنْفَرِجَةٍ وَحَادَّةٍ وَإِذَا كَانَتْ  
 زَوَايَا الْأَشِعَّةَ قَائِمَةً عَظُمَ الضَّوْءُ وَنَشَرَ بِخِلَافِهِ فِي الْمُنْفَرِجَةِ وَالْحَادَّةِ فَلِهَذَا يَكُونُ

الْحَرُّ عِنْدَ الْمُسَامَنَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْهُ فِيمَا بَعْدُ لِأَنَّ الضَّوْءَ سَبَبُ الْحَرِّ وَالْتَسَخِينِ  
 ثُمَّ إِنَّ الْمُسَامَنَةَ فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ تَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ عِنْدَ تَقَطُّعِي الْحَمَلِ  
 وَالْمِيزَانِ وَإِذَا مَالَتْ فَغَيْرُ بَعِيدٍ وَلَا يَكَادُ الْحَرُّ يَتَعَدَّلُ فِي آخِرِ مِيلِهَا عِنْدَ رَأْسِ السَّرَطَانِ  
 وَالْجُذْيِ إِلَّا إِنْ صَعِدَتْ إِلَى الْمُسَامَنَةِ فَبَقِيَ الْأَشْعَةُ الْقَائِمَةُ الزَّوَابَا تُلْحَقُ عَلَى ذَلِكَ  
 الْأَفْقِ وَيَطُولُ مَكْثُهَا أَوْ يَدُومُ فَيَسْتَعْمِلُ الْهَوَاءُ حَرَارَةَ وَيَقْرِطُ فِي شِدَّتِهَا وَكَذَلِكَ مَا  
 دَامَتْ الشَّمْسُ تُسَامِتُ مَرَّتَيْنِ فِيمَا بَعْدَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ إِلَى عَرْضِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ  
 الْأَشْعَةَ مُلْحَقَةً عَلَى الْأَفْقِ فِي ذَلِكَ بِقَرِيبٍ مِنَ الْحَاكِمِ فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَإِقْرَاطِ الْحَرِّ  
 يَفْعَلُ فِي الْهَوَاءِ تَجْفِيفًا وَيَسَا مَنَعَ مِنَ التَّكْوِينِ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَ الْحَرُّ جَفَّتِ الْمِيَاهُ  
 وَالرُّطُوبَاتُ وَفَسَدَ التَّكْوِينُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالنباتِ إِذِ التَّكْوِينُ لَا يَكُونُ  
 إِلَّا بِالرُّطُوبَةِ ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرَطَانِ عَنِ السَّمْتِ الرَّؤُوسِ فِي عَرْضِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ  
 فَمَا بَعْدَهُ تَزَلَّتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَنَةِ فَيَصِيرُ الْحَرُّ إِلَى الْأَعْتِدَالِ أَوْ يَمِيلُ عَنْهُ مِيلًا  
 قَلِيلًا فَيَكُونُ التَّكْوِينُ وَيَتَزَايِدُ عَلَى التَّدْرِيجِ إِلَى أَنْ يُفْرَطَ الْبَرْدُ فِي شِدَّتِهِ لِقَلْبِهِ  
 الضَّوْءَ وَكَوْنِ الْأَشْعَةِ مَذْفُوجَةً الزَّوَابَا فَيَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَفْسُدُ يَدُ أَنْ فَسَادَ التَّكْوِينِ  
 مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ أَسْرَعُ تَأْثِيرًا فِي التَّجْفِيفِ  
 مِنْ تَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِي الْجَمْدِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ قَلِيلًا وَفِي  
 الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالخَامِسِ مُتَوَسِّطًا لِأَعْتِدَالِ الْحَرِّ يَنْقُصَانِ الضَّوْءَ وَفِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ  
 كَثِيرًا لِتَقْصَانِ الْحَرِّ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ الْبَرْدِ لَا تَوْثُرُ عِنْدَ أُولَئِكَ فِي فَسَادِ التَّكْوِينِ كَمَا  
 يَفْعَلُ الْحَرُّ إِذْ لَا تَجْفِيفَ فِيهَا إِلَّا عِنْدَ الْإِقْرَاطِ بِمَا يَعْضُ لَهَا حَيْثُ مِنْ أَيْسٍ كَمَا بَعْدَ  
 السَّابِعِ فَلِهَذَا كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الرَّابِعِ الشَّمَالِيِّ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ هُنَا أَخَذَ  
 الْحَكَمَاءُ خِلاَفَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَمَا وَرَاءَهُ وَأُورِدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَعْمُورٌ بِالْمُشَاهَدَةِ  
 وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَكَيْفَ يَتِمُّ الْبَرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا امْتِنَاعَ  
 الْعُمْرَانِ فِيهِ بِالْكَلِمَةِ إِنَّمَا أَدَامُوا الْبَرْهَانَ إِلَى أَنْ فَسَادَ التَّكْوِينِ فِيهِ قَوِيٌّ بِالْإِقْرَاطِ  
 الْحَرِّ وَالْعُمْرَانِ فِيهِ إِمَّا مُنْتَجِعٌ أَوْ مُسَكَّنٌ أَقْلِيٌّ وَهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَالَّذِي  
 وَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُمْرَانٌ كَمَا نُقِلَ فَهُوَ قَلِيلٌ جِدًّا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ خَطِّ  
 الْأَسْتِوَاءِ مُعْتَدِلٌ وَأَنَّ مَا وَرَاءَهُ فِي الْجَنُوبِ بِحَثَابَةِ مَا وَرَاءَهُ فِي الشَّمَالِ فَيَعْمُرُ مِنْهُ مَا



عمر من هذا والذي قاله غير مُمتنع من جهة فسار الكسوفين وإنما امتنع فيما وراء  
خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المائي عمر وجه الأرض هنالك إلى  
الحد الذي كان مُقابلهُ من الجهة الشماليّة فإيلاً للكسوفين ولما امتنع المعتدل لغيبه  
الماء تبعه ما سواه لأن العنبران مُتدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لا من  
جهة الامتناع وأما القولُ بامتناعه في خط الاستواء فيردّه النقل المشوّب والله  
أعلم. وانزمت بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زخاريم  
تاخذ في تفصيل الكلام عليها إلى آخره

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة اقسام من  
الشمال إلى الجنوب يسمون كل قسمٍ منها إقليمًا فاقسم المعمور من الأرض كلها على  
هذه السبعة الأقاليم كل واحدٍ منها أخذ من الغرب إلى الشرق على طولهِ . فالأول  
منها ناز من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بعده من جهة الجنوب وليس  
وراءه هنالك إلا القنار والرمال وبعضُ عمارة إن صححت فهي كلاً عمارة وبليهِ من  
جهة شماليهِ الأقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع  
وهو آخرُ العنبران من جهة الشمال وليس وراء السابع إلا الخلاء والقنار إلى أن  
ينتهي إلى البحر المحيط كالحال فيما وراء الأقليم الأول في جهة الجنوب إلا أن  
الخلاء في جهة الشمال أقل بكثيرٍ من الخلاء الذي في جهة الجنوب . ثم إن أزمته  
الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار  
وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول  
الليل والنهار في آخر الأقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل  
وبرأس السرطان للنهار كل واحدٍ منهما إلى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر  
الأقليم الثاني كما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان  
وهو مُنقلبها الصيفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند مُنقلبها  
الشتوي برأس الجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف  
من جملة أربع وعشرين الساعات الزمانية لجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة

وَكذلكَ فِي آخِرِ الأَقْلِيمِ الثالثِ كما يلي الشَّمالِ أيضاً بِنَتَهِيانِ إِلى أَربَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلى أَربَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَفِي آخِرِ الخَامِسِ إِلى خَمْسَ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلى خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ وَإِلى آخِرِ السَّابِعِ إِلى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهَنالكِ بِنَقَطِ العُمُرانِ فَيَكُونُ تَفاوتُ هَذِهِ الأَقالِيمِ فِي الأَطولِ مِنْ لَيلِها  
 وَنَهَارِها بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِكُلِّ إِقْلِيمٍ بِتَزايِدٍ مِنْ أوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الجَنُوبِ إِلى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمالِ مُوزَعَةً عَلى أَجْزاءِ هَذَا البَعْدِ. وَأما عَرْضُ البُلدانِ فِي هَذِهِ الأَقالِيمِ وَهُوَ  
 عِبارةٌ عَن بَعْدِ ما بَينَ سَمَتِ رَأْسِ البَلَدِ وَدائِرَةِ مُعدَلِ النَّهارِ الَّذِي هُوَ سَمَتُ رَأْسِ خَطِّ  
 الأِسْتِواءِ وَبِمِثْلِهِ سِواهُ يَنْخَفِضُ القُطبُ الجَنُوبِيُّ عَن أَفْقى ذَلِكَ البَلَدِ وَبِرِتْفِعِ القُطبِ  
 الشَّمالِيِّ عَنهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبعادٍ مُتساوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضَ البَلَدِ كما مرَّ ذَلِكَ قَبْلُ .  
 وَالمُتَكَلِّمُونَ عَلى هَذِهِ الجِغرافِيَا قَسَمُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَقالِيمِ السَّبْعَةِ فِي طُولِهِ  
 مِنَ المَغْرِبِ إِلى المَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزاءٍ مُتساوِيَةٍ وَيَدُكُرُونَ ما اشْتَمَلَ عَليه كُلُّ  
 جُزءٍ مِنْها مِنَ البُلدانِ وَالأَمصارِ وَالجِبالِ وَالأنهارِ وَالْمَسافاتِ بَينَها فِي المَسالكِ وَتَحُنُّ  
 الآنَ نُوجِزُ القَوْلَ فِي ذَلِكَ وَنَهْ كُرِّ مَشاهيرَ البُلدانِ وَالأنهارِ وَالنِجارِ فِي كُلِّ جُزءٍ مِنْها  
 وَنَحْذِي بِذَلِكَ ما وَقَعَ فِي كِتابِ نُزْهَةِ المُشْتاقِ الَّذِي أَلْفَهُ العَلَوِيُّ الأَدْرِيسِيُّ الحَمُودِيُّ  
 بِحِكائِكَ صِقْلِيَّةَ مِنَ الأِفرنجِ وَهُوَ زَخارُ بنُ زَخارِ عِنْدَ ما كانَ نازِلاً عَليه بِصِقْلِيَّةَ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِقْلِيَّةَ مِنْ إِمارةِ مالِقَةَ وَكانَ تَأليفَهُ لِكِتابِ فِي مُنتَصَفِ المِائَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كُتُباً جَمَّةً لِلْمَسعودِيِّ وَأَبنِ خَرْداذِبِهِ وَالخَوْفِيِّ وَالقَدْرِيِّ وَأَبنِ إِسحاقِ  
 المَنْجَمِ وَبَطليموسَ وَغَيرِهِمُ وَبَدَأُ مِنْها بِالأَقْلِيمِ الأَوَّلِ إِلى آخِرِها وَاللهُ سُبْحانَهُ  
 وَتَعالَى بِعَصْمائِهِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الأَقْلِيمِ الأَوَّلُ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِيَّةِ الجُزائِرِ الخالِداتُ الَّتِي مِنْها بَدَأَ بِطليموسُ  
 بِأَخْذِ أطوالِ البُلادِ وَابْتَسَتْ فِي بَسيطِ الأَقْلِيمِ وَإِنما هِيَ فِي البَحْرِ المُحيطِ جُزُرٌ  
 مُتكَثِرَةٌ أَكْبرُها وَأشْهرُها ثَلاتٌ وَيُقالُ إِنَّها مَعْمُورَةٌ وَقَدِ بَلَّغنا أَنَّ سَفانِ مِنْ  
 الأِفرنجِ مَرَّتْ بِها فِي أواسِطِ هَذِهِ المِائَةِ وَقاتَلوهُمُ فَغَنِمُوا مِنْهُمُ وَسَبَّوا وَباعُوا بَعْضَ  
 أَسْرامِهِمُ بِسِواحِلِ المَغْرِبِ الأَقصى وَصارُوا إِلى خِدمَةِ السُّلطانِ فَلَمّا تَعَلَّموا اللِّسانَ  
 العَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَن حَالي جُزائِرِهِمُ وَأَنَّهُمُ يَحْتَفِرُونَ الأَرْضَ لِلزِّراةِ بِالقُرُونِ وَأَنَّ

الْحَدِيدَ مَقْفُودٌ بِأَرْزَابِهِمْ وَعَيْشُهُمْ مِنَ الشَّعِيرِ وَمَا شَيْبَتُهُمُ الْمَعَزُ وَقِتَالَهُمْ بِالْحِجَارِ قَرِيرُ مَوْنَهَا  
 إِلَى خَلْفِ وَعِبَادَتُهُمُ الشُّجُودُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَا تَبْلَغُهُمْ دَعْوَةٌ  
 وَلَا يُوقِفُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرُ إِلَّا بِالْعُنُورِ لَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَفَرَ السُّنَنِ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالرِّيَّاحِ وَمَعْرِفَةُ جِهَاتِ مَوَابِهَا وَإِلَى أَيْنٍ يُوصَلُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي مَرَمَزِ ذَلِكَ الْمَهَبِ وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَهَبُ وَعُلِمَ حَيْثُ يُوصَلُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ  
 حُرُودِي بِهِ الْفَلْعُ مَعَاذَةَ يَحْمِلُ السَّفِينَةَ بِهَا عَلَى قَوَائِمٍ فِي ذَلِكَ تَحْصَلُهُ عِنْدَ النَّوَاتِيَةِ  
 وَالْمَلَّاحِينَ الَّذِينَ مُمْ رُؤَسَاءُ السُّنَنِ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرَّومِيَّةِ  
 وَفِي عُدُوتِهِ مَكْتُوبَةٌ كَلَّمَا فِي صَحِيحَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَمَهَابِ الرِّيَّاحِ وَمَمَرَاتِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيحَةِ وَيُسَمُّونَهَا الْكِنَبَاصَ وَعَلَيْهَا يَتَعَمِدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَقْفُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْمَحِيطِ فَلِذَلِكَ لَا تَلْجُ فِيهِ السُّنُنُ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ مَرَأَى السَّوَاحِلِ فَقَلَّ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَتَعَمَدُ فِي جَوْ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَطْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَبْنَجَةِ الْمُسَامَعَةِ  
 لِلسُّنَنِ فِي مَسِيرِهَا وَهِيَ لِيُعَدِّهَا لَا تُذَكِّرُهَا أَضْوَاءُ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسَةُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَحَلِيلَهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْأَهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَضَعَبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجَزُءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ فَمِنْهُ مَصَبُ النَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَمَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَسْمَى  
 نَيْلَ السُّودَانِ وَيَتَدَبُّ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أُولَيْكٍ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ  
 مَدِينَةُ سَلَا وَتُكْرُورُ وَغَانَةُ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْعَهْدِ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكِ مَالِي مِنْ أُمَّةِ السُّودَانِ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ تُسَافِرُ تِجَارَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادُ لِمْتُونَةَ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمَلْتَمِينَ وَمَقَاوِرُ يَجُولُونَ فِيهَا وَفِي جَنُوبِ هَذَا النَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ  
 لِحْمٌ وَهُمْ كُفَّارٌ وَيَكْتُونُ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاغِهِمْ وَأَهْلُ غَانَةَ وَالْتُكْرُورِ يُغَيِّرُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبْعُونَهُمْ لِلتِّجَارِ لِيَجْلِبُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَةٌ رَقِيقَهُمْ وَلَيْسَ  
 وَرَأْسُهُمْ فِي الْجَنُوبِ عُمَرَانُ يُعْتَبَرُ إِلَّا أَنَّاسِي أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ الْعَجْمِ مِنَ النَّاطِقِ يَسْكُنُونَ  
 الْفَيَافِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعَشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مَيْيَاقَةٍ وَرُبَّمَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ . وَقَوَاكِي بِلَادِ السُّودَانِ كَلَّمَا مِنْ قُصُورِ صَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ  
 تَوَاتٍ وَتَكْدَرَارِ بْنِ وَرُزْكَلَانَ . فَكَانَ فِي غَانَةَ فِيهَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ

يُعْرَفُونَ بِبَنِي صَالِحٍ وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ زَخَّارٍ إِنَّهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
 الْحَسَنِ وَلَا يُعْرَفُ صَالِحٌ هَذَا فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَصَارَتْ غَانَةُ لِسُلْطَانِ مَالِي وَفِي شَرْقِي هَذَا الْبَلَدِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنَ الْإِقْلِيمِ بَلَدٌ  
 كُوْكُو عَلَى نَهْرٍ يَنْسُجُ مِنْ بَعْضِ الْجِبَالِ هُنَاكَ وَيَعْرُ مُغْرَبًا فَيُغْصُ فِي رِمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي  
 وَكَانَ مَلِكُ كُوْكُو قَائِمًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ مَالِي وَأَصْبَحَتْ فِي مَمْلَكَتِهِ  
 وَخَرِبَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ نَذْرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ دَوْلَةِ مَالِي فِي مَحَلِّهَا  
 مِنْ تَارِيخِ الْبَرْبَرِ وَفِي جَنُوبِي بَلَدِ كُوْكُو بِلَادُ كَاتَمٍ مِنْ أُمَّمِ السُّودَانَ وَبَعْدَهُمْ وَنَغَارَةُ  
 عَلَى ضِفَّةِ النَّيْلِ مِنْ شِمَالِهِ وَفِي شَرْقِي بِلَادِ وَنَغَارَةُ وَكَاتَمِ بِلَادُ زَغَاوَةَ وَتَاجِرَةَ الْمُتَّصِلَةَ  
 بِأَرْضِ النَّوْبَةِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِيهِ يَمْرُ نَيْلٌ مِصْرَ ذَاهِبًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
 عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ الرَّومِيِّ فِي الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ  
 الَّذِي فَوْقَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَأَخْتَلَفُوا فِي ضَبْطِ هَذِهِ الْأَفْظَةِ فَضَبَطَهَا  
 بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْيَمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَمَرِ السَّمَاءِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِ وَكَثْرَةِ ضَوْؤِهِ وَفِي  
 كِتَابِ الْمُشْتَرَكِ لِيَأْفُوتَ بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الْيَمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ  
 وَكَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ سَعِيدٍ فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ عَشْرُ عَيُونٍ تَجْتَمِعُ كُلُّ خَمْسَةٍ مِنْهَا فِي بَحِيرَةٍ  
 وَبَيْنَهُمَا سِتُّ أَمْيَالٍ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا  
 فِي بَطِيحَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَسْفَلِهَا جَبَلٌ مُعْتَرِضٌ يُسْقِي الْبَحِيرَةَ مِنَ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَيَنْقَسِمُ مَاؤُهَا  
 بِقِسْمَيْنِ فَيَمْرُ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانَ مُغْرَبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَيَخْرُجُ  
 الشَّرْقِيِّ مِنْهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّمَالِ عَلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالنَّوْبَةِ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا وَيَنْقَسِمُ فِي أَعْلَى  
 أَرْضِ مِصْرَ فَيَصُبُّ ثَلَاثَةٌ مِنْ جَدَاوِلِهِ فِي الْبَحْرِ الرَّومِيِّ عِنْدَ الْأِسْكََنْدَرِيَّةِ وَرَشِيدِ  
 وَدَمِيَاطٍ وَيَصُبُّ وَاحِدٌ فِي بَحِيرَةٍ مُلْحَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ فِي وَسَطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 الْأَوَّلِ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ بِلَادُ النَّوْبَةِ وَالْحَبَشَةِ وَبَعْضُ بِلَادِ الْوَاخَاتِ إِلَى أُسْوَانَ وَحَاصِرَةَ  
 بِلَادِ النَّوْبَةِ مَدِينَةٌ دَنْقَلَةٌ وَهِيَ فِي غَرْبِي هَذَا النَّيْلِ وَبَعْدَهَا عَلْوَةٌ وَبِلَاقُ وَبَعْدَهُمَا جَبَلُ  
 الْجِنَادِلِ عَلَى سِتَّةِ مَرَاجِلٍ مِنْ بِلَاقٍ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ وَمُنْتَهَى  
 مِنْ جِهَةِ النَّوْبَةِ فَيَنْقَدُ فِيهِ النَّيْلُ وَيَصُبُّ فِي سَهْوَى بَعِيدٍ صَبًّا هَائِلًا فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ  
 تَسْلُكَهُ الْمَرَآكِبُ بَلْ يَحُولُ الْوَسْقُ مِنْ مَرَآكِبِ السُّودَانَ فَيَحْمَلُ عَلَى الظَّهْرِ إِلَى بَلَدِ

أسوان قاعدة الصعيد إلى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة  
 وأوحات في غربيها عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة . وفي وسط  
 هذا الإقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على وادي يأتي من وراء خط الاستواء  
 ذاهباً إلى أرض النوبة فيصب هناك في النيل الهايط إلى مصر وقد وهم فيه كثير من  
 الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر أنه  
 ينس من هذا النيل . وإلى وسط هذا الإقليم في الجزء الخامس ينتهي بحر الهند الذي  
 يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الإقليم إلى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه  
 عمران إلا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنهي إلى ألف جزيرة  
 أو فيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها في هذا الإقليم الأول إلا طرف من  
 بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن . وفي الجزء السادس من هذا الإقليم فيما  
 بين البحرين الهايطين من هذا البحر الهندي إلى جهة الشمال وهما بحر فلزم وبحر  
 فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شرفها  
 على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما إليهما كما نذكره في  
 الإقليم الثاني وما بعده فأما الذي على ساحل هذا البحر من غربيه فبلد زالع من  
 أطراف بلاد الحبشة وجزالات البجة<sup>(١)</sup> في شمالي الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعالي  
 الصعيد وبين بحر القلزم الهايط من البحر الهندي وتحت بلاد زالع من جهة الشمال  
 في هذا الجزء خليج باب المندب يضيئ البحر الهايط هناك بمزاحمة جبل المندب  
 المائل في وسط البحر الهندي ممتداً مع ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال في  
 طول اثني عشر ميلاً يضيئ البحر بسبب ذلك إلى أن يصير في عرض ثلاثة أميال  
 أو نحوها ويسمى باب المندب وعليه نمر مراكب اليمن إلى ساحل السويس قريباً  
 من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودمالك وقبالتة من غربيه جزالات البجة  
 من أمم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تهائم اليمن ومنها على ساحله  
 بلد علي بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قوس  
 بزبر يتلو بعضها بعضاً وينعطف من جنوبيه إلى آخر الجزء السادس ويليهما هناك من

(١) ويقال أيضاً اجزاء واما زالع فهي ربيع ١٠

جِهَةٌ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الزَّرَنْجِ ثُمَّ بِلَادُ سَفَالَةَ مِنْ سَاحِلِهِ الْجَنُوبِيِّ بِلَادُ الْوَفُوقِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عِنْدَ مَدْخَلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ . وَأَمَّا  
 جَزَائِرُ هَذَا الْبَحْرِ فَكَثِيرَةٌ . مِنْ أَعْظَمِهَا جَزِيرَةُ مَرَنْدِيبَ مَدَوَّرَةٌ الشَّكْلِ . وَبِهَا  
 الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ يُقَالُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى مِنْهُ وَهِيَ قِبَالَةُ سَفَالَةَ . ثُمَّ جَزِيرَةُ الْقَمَرِ وَهِيَ  
 جَزِيرَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ تَبْدَأُ مِنْ قِبَالَةِ أَرْضِ سَفَالَةَ وَتَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ مُنْحَرِفَةً بِكَثِيرٍ إِلَى  
 أَنْ تَقْرُبَ مِنْ سَوَاحِلِ أَعَالِي الصِّينِ وَيَحْتَفُّ بِهَا فِي هَذَا الْبَحْرِ مِنْ جَنُوبِهَا جَزَائِرُ الْوَفُوقِ  
 وَمِنْ شَرْقِيَّهَا جَزَائِرُ السَّيْلَانِ إِلَى جَزَائِرٍ أُخْرَى فِي هَذَا الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ  
 الطِّيبِ وَالْأَفَاوِيهِ وَفِيهَا يُقَالُ مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالزُّمُرُودِ وَعَامَّةُ أَهْلِهَا عَلَى دِينِ الْجُوسِيَّةِ  
 وَفِيهِمْ مُلُوكٌ مُتَعَدِّدُونَ وَيَهْدِيهِ الْجَزَائِرُ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْمُرَانِ عَجَائِبُ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْجُغْرَافِيَا  
 وَعَلَى الضَّفَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ الْبَسَنِ كُلُّهَا  
 فَمِنْ جِهَةِ بَحْرِ الْقَزْمِ بَلَدُ زَيْدٍ وَالْمَهْجَمُ وَتِهَامَةُ الْيَمَنِ وَبَعْدَهَا بَلَدُ صَعْدَةَ مَقَرِ الْأِمَامَةِ  
 الزُّبَيْدِيَّةِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَعَنِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ وَفِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةُ عَدَنَ  
 وَفِي شَمَالِهَا صَنْعَاءُ وَبَعْدَهُمَا إِلَى الْمَشْرِقِ أَرْضُ الْأَحْقَافِ وَظَفَّارُ وَبَعْدَهَا أَرْضُ  
 حَضْرَمُوتَ ثُمَّ بِلَادُ الشَّحْرِ مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَبَحْرِ فَارِسَ . وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ هِيَ الَّتِي أَنْكَشَفَتْ عَنْهَا الْبَحْرُ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْوُسْطَى وَيَسْتَكْتِفُ  
 بَعْدَهَا قَلِيلٌ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِنَ الْعَاشِرِ فِيهِ أَعَالِي بِلَادِ الصِّينِ وَمِنْ مَدِينِهِ  
 الشَّهِيرَةِ خَانِكُو وَقِبَالَتُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَزَائِرُ السَّيْلَانِ وَقَدْ نَقَدَّمُ ذَكَرُهَا وَهَذَا آخِرُ  
 الْكَلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِئْسَ التَّوْفِيقُ بِمَنِّهِ وَفَضْلُهُ

الْإِقْلِيمِ الثَّانِي \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَقِبَالَةُ الْمَغْرِبِ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ  
 الْمُحِيطِ جَزِيرَتَانِ مِنَ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ الَّتِي مَرَّ ذَكَرُهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْهُ  
 فِي الْجَنَابِ الْأَعْلَى مِنْهُمَا أَرْضُ قَنُورِيَّةَ وَبَعْدَهَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَعَالِي أَرْضِ غَانَةَ ثُمَّ تَجَالِاتُ  
 زَغَاوَةَ مِنَ السُّودَانِ وَفِي الْجَنَابِ الْأَسْفَلِ مِنْهُمَا صَحْرَاءُ نِسْتَرٍ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الشَّرْقِ  
 ذَاتُ مَفَاوِزَ تَسْلُكُ فِيهَا الشُّجَارُ مَا بَيْنَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ السُّودَانِ وَفِيهَا تَجَالِاتُ  
 الْمَلْشَمِينَ مِنْ صِنَهَاجَةَ وَهُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ كَرْوَلَةَ وَلِمَثُونَةَ وَسَرَانَةَ وَلِمَنْطَةَ  
 وَوَرِيكَةَ وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ شَرْقًا أَرْضُ فِرْزَانَ ثُمَّ تَجَالِاتُ أَرْكَازَ مِنْ قِبَالِ

اللَّبْرِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعَالِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ عَلَى سَمْتَيْهَا فِي الشَّرْقِ وَبَعْدَهَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ  
 وَفِي جِهَةِ الشَّمَالِ مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَّانَ وَعَلَى سَمْتَيْهَا شَرْقًا أَرْضُ سِنْدِيَّةَ وَتُسَمَّى الْوَاحَاتِ  
 أَدَاخِلَةَ وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ أَعْلَاهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْبَاهَوِيِّينَ ثُمَّ بَعْتَرُضُ فِي وَسْطِ هَذَا  
 الْجُزْءِ بِلَادُ الصَّعِيدِ حَافَاتُ النَّيْلِ الذَّاهِبِ مِنْ مَبْدَأِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَدْلَى إِلَى مَصَبِهِ فِي  
 الْبَحْرِ فِيمَرْ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجُزَيْنِ وَهُمَا جَبَلُ الْوَاحَاتِ مِنْ غَرْبِيهِ وَجَبَلُ  
 الْمُقَطَّمِ مِنْ شَرْقِيهِ وَعَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ بِلَادُ أَسْنَا وَأَزْمَنْتَ وَيَتَّصِلُ كَذَلِكَ حَافَاتُهُ إِلَى  
 أَسْبُوطِ وَقُوصِ ثُمَّ إِلَى صُولِ وَيَفْتَرِقُ النَّيْلُ هُنَاكَ عَلَى شِعْبَيْنِ يَنْتَهِي الْأَيْمَنُ مِنْهُمَا فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الْأَهْوَنِ وَالْأَيْسَرُ عِنْدَ دِلَاصٍ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا أَعَالِي دِيَارِ مِصْرَ وَفِي الشَّرْقِ مِنْ  
 جَبَلِ الْمُقَطَّمِ صَحَارَى عِيدَابَ ذَاهِبَةً فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى بَحْرِ السُّوَيْسِ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْقَلْزَمِ الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَفِي عُدُوتِهِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ الْحِجَازِ مِنْ جَبَلِ بَلْمَلَمَ إِلَى بِلَادِ يَثْرِبَ فِي وَسْطِ الْحِجَازِ  
 مَكَّةَ شَرْقَهَا اللَّهُ وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جَدَّةَ تُقَابِلُ بِلَادَ عِيدَابَ فِي الْعُدُوتِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْبَحْرِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ تَجْدِ أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ وَتُبَالَهُ وَجَرُشُ إِلَى  
 عُكَاظَ مِنَ الشَّمَالِ وَتَحْتِ تَجْدِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْحِجَازِ وَعَلَى سَمْتَيْهَا فِي الشَّرْقِ  
 بِلَادُ نَجْرَانَ وَخَيْبَرَ وَتَحْتَهَا أَرْضُ الْبِمَامَةِ وَعَلَى سَمْتِ نَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ أَرْضُ سَبَا وَمَآرِبَ  
 ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ وَتَنْتَهِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْغَرْبِ فِيمَرْ مَا بَيْنَ شَرْقِيهِ  
 وَجَوْفِيهِ قِطْعَةٌ مِثْلَةٌ عَلَيْهَا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ قَلْهَاتَ وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ ثُمَّ تَحْتَهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
 بِلَادُ عُمَانَ . ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْ  
 غَرْبِيهِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ فَارِسَ تَتَّصِلُ بِالْقِطْعَةِ الْأُخْرَى فِي السَّادِسِ وَيَغْمُرُ بَحْرُ الْهِنْدِ جَانِبَهُ  
 الْأَعْلَى كُلَّهُ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ بِلَادُ السِّنْدِ إِلَى بِلَادِ مَكْرَانَ وَيُقَابِلُهَا بِلَادُ الطُّوْبْرَانَ وَهِيَ مِنْ  
 السِّنْدِ أَيْضًا فَيَتَّصِلُ السِّنْدُ كُلُّهُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَتَتَّصِلُ الْمَفَاوِزُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ وَيَمْرُ فِيهِ تَهْرَهُ الْآتِي مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَبَصْبُ فِي الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَوَّلُ بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَفِي سَمْتَيْهَا شَرْقًا بِلَادُ بَلْهَرَا وَتَحْتَهَا  
 فِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ أَرْضُ كَابِلَ وَبَعْدَهَا شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ النُّعِيطِ بِلَادُ الْقَنْوُجِ مَا بَيْنَ

قَشْمِيرَ الدَّاخِلَةِ وَقَشْمِيرَ الخَارِجَةِ عِنْدَ آخِرِ الإِقْلِيمِ وَفِي الجُزْءِ التَّاسِعِ ثُمَّ فِي الجَنَابِ  
الغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ الهِنْدِ الأَقْصَى وَبِتَّصِلُ فِيهِ إِلَى الجَنَابِ الشَّرْقِيِّ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَغْلَاهُ إِلَى  
العَاشِرِ وَبَقِيَ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ الجَنَابِ فِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةٌ شِيغُونُ ثُمَّ تَتَّصِلُ  
بِلَادُ الصِّينِ فِي الجُزْءِ العَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ  
التَّوْفِيقُ وَهُوَ وَلِيُّ الفَضْلِ وَالكَرَمِ

الإِقْلِيمُ الثَّلَاثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ فِي الجُزْءِ الأوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ أَغْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنْ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ عِنْدَ البَحْرِ المُحِيطِ إِلَى الشَّرْقِ  
عِنْدَ آخِرِهِ وَبِتَّصِلُ هَذَا الجَبَلُ مِنَ البَرَبْرِ أُمَّمٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ حَسَبًا بِأَيِّ  
ذِكْرِهِ وَفِي الفِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الجَبَلِ وَالإِقْلِيمِ الثَّانِي وَعَلَى البَحْرِ المُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطٌ  
مَاسَةٌ وَبِتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلَادُ سُوسٍ وَتَوَلَّى وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ دَرُزَةَ ثُمَّ بِلَادُ سِجْلَمَاسَةَ  
ثُمَّ فِطْعَةٌ مِنْ صَحْرَاءٍ نِسْرَةَ المَفَازَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي الإِقْلِيمِ الثَّانِي وَهَذَا الجَبَلُ مُطَّلِعٌ  
عَلَى هَذِهِ البِلَادِ كُلِّهَا فِي هَذَا الجُزْءِ وَهُوَ قَلِيلُ الثَّنَابِ وَالْمَسَالِكِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الغَرْبِيَّةِ  
إِلَى أَنْ يَسَامِتَ وَادِي مَلَوِيَّةَ فَتَكْثُرُ ثَنَابَاهُ وَمَسَالِكُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ وَفِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ  
مِنْهُ أُمَّمٌ المَصَامِدَةُ ثُمَّ هِنْتَانَةُ ثُمَّ تَيْنَمَلَاكُ ثُمَّ كَدَمِيوَهُ ثُمَّ مَشْكَورَةُ وَهِيَ أُمَّمٌ المَصَامِدَةُ  
فِيهِ ثُمَّ قَبَائِلُ صِنَهَاكَةَ وَهِيَ صِنَهَاجَةُ وَفِي آخِرِ هَذَا الجُزْءِ مِنْهُ بَعْضُ قَبَائِلِ زَنَانَةَ وَبِتَّصِلُ  
بِهِ هُنَالِكَ مِنْ جَوْفِيهِ جَبَلُ أُوْرَاسٍ وَهُوَ جَبَلٌ كُنَامَةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمَّمٌ أُخْرَى مِنَ البَرَبْرِ  
تَذَكُرُهُمْ فِي أَمَاكِيهِمْ ثُمَّ إِنَّ جَبَلَ دَرَنْ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِيهِ مُطَّلِعٌ عَلَى بِلَادِ الدَّغْرِبِ  
الأَقْصَى وَهِيَ فِي جَوْفِيهِ فِي النَّاحِيَةِ الجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا بِلَادُ مَرَآكِشٍ وَأَغْمَاتٌ وَتَادَلَا وَعَلَى  
البَحْرِ المُحِيطِ مِنْهَا رِبَاطٌ أَسْنَى وَمَدِينَةٌ سَلَا وَفِي الجُوفِ عَنِ بِلَادِ مَرَآكِشِ بِلَادُ فَاسٍ  
وَمِكْنَاسَةَ وَتَازَا وَقَصْرُ كُنَامَةَ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الغَرْبِ الأَقْصَى فِي عَرَفِ أَهْلِهَا  
وَعَلَى سَاحِلِ البَحْرِ المُحِيطِ مِنْهَا بِلَدَانُ أُصَيْلَا وَالعَرَايشِ وَفِي سَمْتِ هَذِهِ البِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ  
الْمَغْرِبِ الأَوْسَطِ وَقَاعِدَتُهَا تَلْمَسَانُ وَفِي سَوَاحِلِهَا عَلَى البَحْرِ الرُّومِيِّ بَلَدُ هِنِينَ وَوَهْرَانُ  
وَالجَزَائِرُ لِأَنَّ هَذَا البَحْرَ الرُّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ البَحْرِ المُحِيطِ مِنْ خَلِيجِ طَنْجَةَ فِي النَّاحِيَةِ  
الغَرْبِيَّةِ مِنَ الإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشْرَقًا فَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَإِذَا خَرَجَ مِنَ  
الْخَلِيجِ المُتَضَائِقِ عَيْرَ بَعِيدٍ انْفَسَحَ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَدَخَلَ فِي الإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ



فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثُ الْكَثِيرُ مِنْ بِلَادِهِ ثُمَّ يَتَّصِلُ بِبِلَادِ  
 الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْفِهَا بِلَادُ بَجَابَةِ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ قُسْطَنْطِينِيَّةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
 الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَمُرْتَفَعًا إِلَى جَنُوبِ  
 الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَلَدٌ أَشِيرٌ ثُمَّ بَلَدُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الرَّابِعُ وَقَاعِدَتُهُ بِسَكْرَةَ تَحْتَ جَبَلِ أُوْرَاسَ  
 الْمُنْتَصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْبَحْرُ الثَّلَاثِي مِنْ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلٌ دَرَنْ عَلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
 مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِقِطْعَتَيْنِ وَيَمُرُّ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ مَسَافَةً مِنْ شِمَالِهِ فَالْقِطْعَةُ  
 الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ غَرْبِيًّا كُلُّهُ مَقَاوِزُ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بَلَدٌ عُذَامِسَ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا  
 أَرْضُ وَدَانَ الَّتِي بَقِيَّتْهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ مَا  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْغَرْبِ مِنْهَا جَبَلُ أُوْرَاسَ وَتَبَسَةُ وَالْأَوْبَسُ وَعَلَى سَاحِلِ  
 الْبَحْرِ بَلَدٌ بُونَةُ ثُمَّ فِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ أَفْرِيْقِيَّةَ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
 قُونِسَ ثُمَّ السُّوسَةُ ثُمَّ الْمَهْدِيَّةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلِ دَرَنْ بِلَادُ الْجَرِيدِ  
 تَوَزُّرُ وَقَفْصَةُ وَنَفْزَاوَةُ وَفِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَاوِلِ مَدِينَةُ الْقَيْرَوَانِ وَجَبَلٌ وَسَلَاتٌ وَسَيْطِلَةٌ  
 وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْقًا بَلَدٌ طَرَابُلُسَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَبِأَزَائِهَا فِي الْجَنُوبِ  
 جَبَلٌ دُمُرٌ وَنَقْرَةٌ مِنْ قِبَائِلِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلِ دَرَنْ وَفِي مُقَابَلَةِ عُذَامِسَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
 فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيْقَةُ ابْنِ مَسْكُورَةَ عَلَى الْبَحْرِ  
 وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضِ وَدَانَ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ يَمُرُّ أَيْضًا  
 فِيهِ جَبَلُ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يَنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عَلَى مَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ  
 فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرْفَ أُوْتَانَ وَالْبَحْرُ الرُّومِيُّ مِنْ شِمَالِهِ يَمُرُّ طَائِفَةً  
 مِنْهُ إِلَى أَنْ يَضَاقَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ  
 مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَانَ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زُوَيْلَةُ ابْنِ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَقِفَاذٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْغَرْبِ مِنْهُ بَلَدٌ مَرْتٌ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
 خَلَاةٌ وَقِفَاذٌ تَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَابِيَّةٌ ثُمَّ بَرَقَةُ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلْمَسَةُ عَلَى  
 الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرُوحَاةٌ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِهِ صَحَارَى بَرَقِيْقِي وَأَسْفَلَ مِنْهَا

بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه إلى الجنوب  
 حتى بزاحم طرفه الأعلى ويتقى بينه وبين آخر الجزء ففارق تجول فيها العرب وعلى سمنها  
 شرقا بلاد الفيوم وهي على مصب أحد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون من  
 بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الإقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمنه شرقا  
 أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد  
 عند آخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب اقتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين  
 آخرين من شطونف وزفي وينقسم الأيمن منهما من قرمط يشعبين آخرين ويصب  
 جميعها في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلد الإسكندرية وعلى  
 مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين  
 هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها تخشوة عمرانا وقلجا وفي الجزء  
 الخامس من هذا الإقليم بلاد الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لأن بحر القلزم  
 ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لأنه في ممره مبتدى من البحر الهندي  
 إلى الشمال يتعطف أخذا إلى جهة الغرب فيكون قطعة من أنعطافه في هذا الجزء  
 طويلة فينتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس  
 قاران ثم جبل الطور ثم أيلة مدين ثم الحوزاء في آخرها ومن هنالك يتعطف بساحله  
 إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الإقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي  
 الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غزيرة  
 عليها القرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضابق ما بينهما من هنالك وفي شبه  
 الباب مفضيا إلى أرض الشام وفي غربي هذا الباب فحصى التيه أرض جزداه لا تبت  
 كانت مجالا لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام أربعين  
 سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من  
 جزيرة قبرص وبقيتها في الإقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند  
 الطرف المتضائق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان  
 وبينهما طرف هذا البحر ثم تتعطف هذه القطعة في أنعطافها من هنالك إلى الإقليم  
 الرابع عند طرابلس وقرنة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه

الْقِطْعَةَ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ غَزَّةٌ ثُمَّ عَسْقَلَانُ وَبِأَنْحِرَافِ يَسِيرِ عَنَّا إِلَى  
 الشَّمَالِ بَلَدٌ قَيْسَارِيَّةٌ ثُمَّ كَذَلِكَ بَلَدٌ عَكَاءُ ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَاهُ ثُمَّ يَنْعَطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّمَالِ  
 فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ  
 عَظِيمٌ يُخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ وَيَذْهَبُ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُنْحَرِفًا إِلَى الشَّرْقِ  
 إِلَى أَنْ يَجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلِ اللَّكَّامِ وَكَأَنَّهُ حَاجِزٌ بَيْنَ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ  
 فَبِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقِبَةُ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا النَّجَاجُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مَدْفَنُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ السَّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ  
 جَبَلِ اللَّكَّامِ الْمَذْكُورِ مِنْ شِمَالِ الْعَقِبَةِ ذَاهِبًا عَلَى سَمْتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ قَلِيلًا وَفِي  
 شَرْقِهِ هُنَاكَ بَلَدُ الْحَجَرِ وَدِيَارُ شُمُودَ وَتِيْمَاءَ وَدُومَةَ الْجَنْدَلِ وَهِيَ أَسْفَلُ الْحِجَازِ وَفَوْقَهَا  
 جَبَلٌ رَضْوَى وَحُصُونُ خَيْبَرَ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عِنَّا وَفِيهَا بَيْنَ جَبَلِ السَّرَاةِ وَبَحْرِ الْقَلْزُومِ  
 صَخْرَاهُ تَبُوكَ وَفِي شِمَالِ جَبَلِ السَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ اللَّكَّامِ ثُمَّ الْأَزْدُنُ ثُمَّ  
 طَبْرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيهَا بِلَادُ النَّوْرِ إِلَى أذْرَعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا  
 الْجُزْءِ وَهِيَ آخِرُ الْحِجَازِ وَعِنْدَ نَعَطِيفِ جَبَلِ اللَّكَّامِ إِلَى الشَّمَالِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ  
 مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةَ صَيْدَا وَبِيرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ اللَّكَّامِ يَتَبَرَّضُ بَيْنَهَا  
 وَبَيْنَهَا وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حِمصَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ آخِرُ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ اللَّكَّامِ وَفِي الشَّرْقِ عَن بَعْلَبَكْ وَحِمصَ بَلَدٌ تَدْمُرُ وَجَبَلَاتُ  
 الْبَادِيَّةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ تَجَالَاتُ الْأَعْرَابِ تَحْتَ بِلَادِ تَجْدِ  
 وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الرَّجِجِ وَالصَّمَانِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ عَلِيٍّ بِحَرِّ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا  
 هَذَا الْجُزْءِ تَحْتَ التَّجَالَاتِ بَلَدُ الْحَيْرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَغَايِضُ الْفَرَاتِ . وَفِيهَا بَعْدَهَا شَرْقًا  
 مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْشَبِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَالْأَيْلَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ  
 مِنْ شِمَالِهِ وَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ عِبَادَانَ نَهْرٌ دِجَالَةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِجَدَاوِلِ كَثِيرَةٍ وَتَخْتَلِطُ  
 بِهِ جَدَاوِلُ أُخْرَى مِنَ الْفَرَاتِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عِبَادَانَ وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ  
 الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُنْسَعَةٌ فِي أَعْلَاهُ مُضَافِقَةٌ فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِيهِ وَضِيقَةٌ عِنْدَ مُنْتَهَاهُ  
 مُضَافِقَةٌ لِلْحَدِّ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ وَعَلَى عُدُوتِهَا الْغُرَيْبِيَّةُ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ وَالْأَحْسَاءُ وَفِي  
 غَرْبِهَا أَخْطَبُ وَالصَّمَانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ

أَعْلَاهَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى طَرَفِ قَدِ امْتَدَّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُشْرِقًا  
 وَوَرَاءَهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جِبَالُ الْقَفْصِ مِنْ كُرْمَانَ وَتَحْتَ هِرْمِزِ بِلَادِ فَارِسَ  
 مِثْلَ سَابُورَ وَدَارَ ابْجَرْدَ وَنَسَا وَإِصْطَخَرَ وَالشَّاهْمَانَ وَشِيرَازَ وَهِيَ قَاعِدَتُهَا كَلَّمَا وَتَحْتَ بِلَادِ  
 فَارِسَ إِلَى الشَّمَالِ عِنْدَ طَرَفِ الْبَحْرِ بِلَادُ خُودَسْتَانَ وَمِنْهَا الْأَهْوَاؤُ وَتَسْتُرُ وَصَدَى وَسَابُورُ  
 وَالسُّوسُ وَرَامَ هِرْمِزُ وَغَيْرُهَا وَأَرْجَانَ وَهِيَ حَدُّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَخُودَسْتَانَ جِبَالُ الْأَكْرَادِ  
 مُصَلَّةٌ إِلَى نَوَاحِي أَصْبَهَانَ وَبِهَا مَسَاكِينُهُمْ وَبِجَالَتُهُمْ وَرَاءَهَا فِي أَرْضِ فَارِسَ وَتَسْمَى  
 الرَّسُومَ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْهُ مِنَ الْمَغْرِبِ بَقِيَّةُ جِبَالِ الْقَفْصِ وَبِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ بِلَادُ كُرْمَانَ وَمَكْرَانَ وَمِنْ مَدِينَتِهَا الرُّودَنُ وَالشَّيرِجَانُ وَجِيرَفَتُ وَبَزْدَ شِيرُ  
 وَالْبَهْرَجُ وَتَحْتَ أَرْضِ كُرْمَانَ إِلَى الشَّمَالِ بَقِيَّةُ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى حُدُودِ أَصْبَهَانَ وَمَدِينَةُ  
 أَصْبَهَانَ فِي طَرَفِ هَذَا الْجُزْءِ مَا بَيْنَ غَرْبِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ فِي الْمَشْرِقِ عَنْ بِلَادِ كُرْمَانَ وَبِلَادِ  
 فَارِسَ أَرْضُ مَجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ كُوهَسْتَانَ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا وَبِتَوْسَطِ  
 بَيْنَ كُرْمَانَ وَفَارِسَ وَبَيْنَ مَجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ الْهَنْوَاؤُ الْعَظْمَى  
 الْقَلِيلَةُ الْمَسَالِكُ لِصُعُوبَتِهَا وَمِنْ مَدِينِ مَجِسْتَانَ بَسْتُ وَالطَّاقُ وَأَمَّا كُوهَسْتَانَ فَهِيَ مِنْ بِلَادِ  
 خُرَاسَانَ وَمِنْ مَشَاهِيرِ بِلَادِهَا سَرْخَسُ وَفُوهَسْتَانَ آخِرُ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ  
 وَجَنُوبِهِ بَجَالَاتُ الْجَلَجِ مِنْ أُمَّةِ التُّرُكِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ مَجِسْتَانَ مِنْ غَرْبِهَا وَبِأَرْضِ كَابِلِ  
 الْهِنْدِ مِنْ جَنُوبِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ هَذِهِ الْجِبَالَاتِ جِبَالُ الْفُورِ وَبِلَادُهَا وَقَاعِدَتُهَا غَزَنَةُ  
 فُرْزَةُ الْهِنْدِ وَفِي آخِرِ الْفُورِ مِنَ الشَّمَالِ بِلَادُ أَسْتَرَابَادَ ثُمَّ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا إِلَى آخِرِ  
 الْجُزْءِ بِلَادُ هَرَاتَ أَوْسَطُ خُرَاسَانَ وَبِهَا أَسْفَرَايِنُ وَقَاشَانُ وَبُوشَنُجُ وَمَرُؤُ الرُّودِ وَالطَّلَاقَانَ  
 وَالْجَوَزْجَانَ وَتَنْشَبِي خُرَاسَانَ هُنَالِكَ إِلَى نَهْرِ جِيخُونَ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ  
 مِنْ غَرْبِيَّةِ مَدِينَةٍ بَلَخَ وَفِي شَرْقِيَّةِ مَدِينَةٍ تَرْمُذَ وَمَدِينَةٍ بَلَخَ كَانَتْ كُرْمِسِي مَمْلَكَةَ التُّرُكِ  
 وَهَذَا النَّهْرُ نَهْرُ جِيخُونَ مَخْرَجُهُ مِنْ بِلَادِ وَجَارَ فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ بِمَا يَلِي الْهِنْدَ وَيَخْرُجُ  
 مِنْ جَنُوبِ هَذَا الْجُزْءِ وَعِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبِ مَغْرِبًا إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
 وَيَسْمَى هُنَالِكَ نَهْرَ خَرَنَابَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَاسَانَ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحِيرَةِ خُوارِزْمَ فِي الْأَقْلِيمِ الْخَلْمَسِ كَمَا نَذَرْنَا وَبِمَدِينَةٍ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ  
 فِي وَسَطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ الْخَلْتِ وَالْوَشْخِ

مِنْ شَرْقِيهِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مِنْ شَرْقِيهِ أَيْضًا وَجَوْفِي الْجَبَلِ حَتَّى يَنْسَجَ  
 وَيَعْلَمُ بِمَا لَا كَنْهَهُ لَهُ وَمِنْ هُنَا الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ الْمُمِدَّةُ لَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبْتِ وَهِيَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِيمَرُ مَغْرِبًا بِأَنْحِرَافِ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ يَعْتَرِضُهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسَطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مُشْرِقًا بِأَنْحِرَافِ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبْتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هُنَا الْجُزْءُ يَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخَنْدَلِ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَسَلَكٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَمَلٌ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَعْجَى سِدَا وَبَنَى فِيهِ بَابًا كَسَدًا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ  
 فَإِذَا خَرَجَ نَهْرٌ وَخَشَابٌ مِنْ بِلَادِ التَّبْتِ وَاعْتَرِضَهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ نَحْتَهُ فِي مَدَى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرِ جِيحُونَ عِنْدَ حُدُودِ بَلْخِ ثُمَّ يَمُرُّ هَابِطًا  
 إِلَى التُّرْمُذِ فِي الشَّمَالِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانِ وَفِي الشَّرْقِ عَنِ بِلَادِ الْغُزْرِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
 نَهْرِ جِيحُونَ بِلَادُ النَّاسَانِ مِنْ خُرَّاسَانَ وَفِي الْعُدُوقِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخَنْدَلِ  
 وَأَكْثَرُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَبَعْضُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَتَمِ فَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَّاسَانَ غَرْبِي نَهْرِ جِيحُونَ وَتَنْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَقَهُ بِلَادُ التَّبْتِ وَيَمُرُّ نَحْتَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ كَمَا قُلْنَا فَيَتَّصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَعْجَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرٌ جِيحُونَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنْهَارِ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ نَحْتِ التُّرْمُذِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَنَهْرٌ بَلْخِ يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ حَيْدَاهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانِ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ آمِدَ مِنْ خُرَّاسَانَ وَفِي  
 شَرْقِيهِ النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّفَدِ وَأَسْرُ وَشَنَّةُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِيهَا أَرْضُ  
 فَرغانةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ تَعُوزُهَا جِبَالُ الْبَتَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجُزْءِ التَّلَاجِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبْتِ إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ وَفِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَفِي  
 شَرْقِيهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالًا عَنِ بِلَادِ التَّبْتِ بِلَادُ  
 أَلْجُزْجِيَّةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَتَتَّصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَرْضُ  
 فَرغانةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَمِنْ شَرْقِيهَا أَرْضُ الْغَزْغَزِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَشَمَالًا . وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ جَمِيعًا بَقِيَّةُ الصِّينِ وَأَسْفَلُهُ وَفِي الشَّمَالِ بَقِيَّةُ

بلادُ التفرغُرُ ثم شرقاً عنهم بلادُ خرخيرٍ من التُّركِ أيضاً إلى آخرِ الجزءِ شرقاً وفي  
 الشمالِ من أرضِ خرخيرٍ بلادُ كُثمانٍ من التُّركِ وقبالتها في البحرِ المحيطِ جزيرةُ  
 الياقوتِ في وسطِ جبلٍ مُستديرٍ لا متفدِّ منه إليها ولا سلاكٌ والصعودُ إلى أعلاه من  
 خارجه صعبٌ في الغايةِ وفي الجزيرةِ حياتٌ قتالةٌ وحصى من الياقوتِ كثيرةٌ فيعتالُ أهلُ  
 تلكَ الناحيةِ بما ينعيمهم اللهُ إليه وأهلُ هذه البلادِ في هذا الجزءِ التاسعِ والعاشرِ فيما  
 وراءِ خراسانَ والجبالِ كلها تجالوتٌ للتُّركِ أم لا تَحصى وممَّ طواعينُ رحالةِ أهلِ إبلٍ  
 وشاهٍ وبقَرٍ وخيلٍ للنتاجِ والرُّكوبِ والأكلِ وطوائفهمُ كثيرةٌ لا يُعصِبهمُ إلا  
 خالِعهمُ وفيهمُ مسلمونٌ مما يلي بلادَ النهرِ نهرِ جيجونَ ويعزُّونَ الكُنَّارَ منهمُ الدائنينُ  
 بالجبوسيةِ فيبيعونَ رقيقهمُ لمن يليهمُ ويمرُّجونَ إلى بلادِ خراسانَ وألمندٍ والعراقِ  
 الأقليمِ الرابعِ \* يتصلُ بالثالثِ من جهةِ الشمالِ . والجزءُ الأولُ منه في غربيهِ  
 قطعةٌ من البحرِ المحيطِ مُستطيلةٌ من أولهِ جنوباً إلى آخرهِ شمالاً وعليها في الجنوبِ  
 مدينةٌ طنجةُ ومن هذه القطعةِ تمتَّ طنجةُ من البحرِ المحيطِ إلى البحرِ الروميِّ في خليجِ  
 متضايقٍ بمقدارِ اثني عشرَ ميلاً ما بين طريفٍ والجزيرةِ الخضراءِ شمالاً وقصرِ العجَّازِ  
 وسبتهِ جنوباً ويذهبُ مشرقاً إلى أن ينتهي إلى وسطِ الجزءِ الخامسِ من هذا الأقليمِ  
 وينفسحُ في ذهابهِ بتدريجٍ إلى أن يعمرَ الأربعةَ الأجزاءِ وأكثرَ الخامسِ من هذا  
 الأقليمِ الثالثِ والخامسِ كما سنذكرُهُ ويسمى هذا البحرُ البحرُ الشاميُّ أيضاً وفيهِ  
 جزائرٌ كثيرةٌ أعظمها في جهةِ الغربِ يابسةٌ ثم مايرقةٌ ثم منرقةٌ ثم سردانيةٌ ثم صقليةٌ  
 وهي أعظمها ثم بلونسٌ ثم أفربطشٌ ثم قبرصٌ كما نذكرُها كلها في أجزائها التي وقعت  
 فيها ويخرجُ من هذا البحرِ الروميِّ عندَ آخرِ الجزءِ الثالثِ منه وفي الجزءِ الثالثِ من  
 الأقليمِ الخامسِ خليجُ البنادقةِ يذهبُ إلى ناحيةِ الشمالِ ثم يتعطفُ عندَ وسطِ الجزءِ  
 من جوفهِ ويمرُّ غرباً إلى أن ينتهي في الجزءِ الثانيِ من الخامسِ ويخرجُ منه أيضاً في  
 آخرِ الجزءِ الرابعِ شرقاً من الأقليمِ الخامسِ خليجُ القسطنطينيةِ يمرُّ في الشمالِ  
 متضايقاً في عرضِ رميةِ السهمِ إلى آخرِ الأقليمِ ثم يفضي إلى الجزءِ الرابعِ من الأقليمِ  
 السادسِ ويتعطفُ إلى بحرِ نيطشٍ ذاهباً إلى الشرقِ في الجزءِ الخامسِ كلهِ ونصفِ  
 السادسِ من الأقليمِ السادسِ كما نذكرُ ذلكَ في أماكنهِ وعندما يخرجُ هذا البحرُ

الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينفسح إلى الأقليم الثالث يبقى في الجنوب  
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على تجمع البحرين وبعدها  
 مدينة سبتة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء  
 شرقا ويخرج إلى الثالث وأكثر العماره في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه  
 وهي كلها بلاد الأندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طرف  
 عند جمع البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم  
 مالقة ثم المنقب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه  
 شريش ثم لبله وقبالتها فيه جزيرة فادس وفي الشرق عن شريش ولبله إشبيلية ثم  
 أسبجة وفزطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبده ثم وادياش وبسطه وتحت هذه  
 شتمرية وشاب على البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماردة وبابرة  
 ثم غافق وبزجاله ثم قلعة رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر  
 باجة وفي الشرق عنها شتمرين وموزية على النهر المدكور ثم قطورة السيف ويسامت  
 أشبونة من جهة الشرق جبل السارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع  
 آخر الجزء من شماله فينتهي إلى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل  
 طليبة في الشرق من فورنة ثم طليطة ثم وادي الحجاره ثم مدينة سالم وعند أول  
 هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قلورية وهلدو غربي الأندلس وأما شرقي الأندلس  
 فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لغنة ثم دانية ثم بكنسية إلى  
 طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالا ليورقة وشقورة لتاحمان بسطة وقلعة رياح  
 من غرب الأندلس ثم رسية شرقا ثم شاطبة تحت بكنسية شمالا ثم شقر ثم طرطوشة  
 ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متخارن لشقورة  
 وطليلة من الغرب ثم أفراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة  
 سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا. والجزء الثاني من هذا  
 الأقليم غمر الماء جميعه إلا قطعة من غربيه في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه  
 جبل الثنايا والسالك يخرج إليه من آخر الجزء الأول من الأقليم الخامس يبدأ من  
 الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويبر في الجنوب

بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُنْحَرَفًا عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي فَيَقَعُ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ تُقْضِي ثَنَابًا إِلَى الْبَرِّ الْمُتَّصِلِ وَتُسَمَّى أَرْضَ غَشْكُونَةَ وَفِيهِ مَدِينَةٌ خَرَبْدَةٌ وَقَرْقُشُونَ وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مَدِينَةٌ بَرَسَلُونَةُ ثُمَّ أَرْبُونَةُ وَفِي هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي عَمَرَ الْجُزْءَ جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ وَالْكَثِيرُ مِنْهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِهَا فِي غَزِيهِ جَزِيرَةٌ سِرْدَانِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيهِ جَزِيرَةٌ صِفَلِيَّةٌ مُتَّسِعَةٌ الْأَقْطَارُ يُقَالُ إِنَّ دَوْرَهَا سَبْعُمِائَةٌ مِيلًا وَبِهَا مُدُنٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِهَا سَرْقُوسَةٌ وَبَلْرَمٌ وَطَرَبُغَةٌ وَمَازَرٌ وَمَسِينِي وَهَذِهِ الْجَزِيرَةُ تُقَابِلُ أَرْضَ أَفْرِيْقِيَّةً وَفِيهَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةٌ أَعْدُوشٌ وَمَالِطَةٌ وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَمْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ إِلَّا ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا أَرْضُ قَلُورِيَّةٌ وَالْوَسْطَى مِنْ أَرْضِ أُبْكِيدَةَ وَالشَّرْقِيَّةُ مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَمْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ كَمَا مَرَّ وَجَزَائِرُهُ كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ كَمَا فِي الثَّلَاثِ وَالْمَمْمُورُ مِنْهَا جَزِيرَةٌ بُلُونَسٌ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ وَجَزِيرَةٌ أَفْرِيْقِشٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ وَسْطِ الْجُزْءِ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عَمَرَ الْجُزْءِ مِنْهُ مِثْلَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ يَنْتَهِي الضِّلْعُ الْغَرْبِيُّ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ وَيَنْتَهِي الضِّلْعُ الْجَنُوبِيُّ مِنْهَا إِلَى نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْجُزْءِ وَيَبْقَى فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ نَحْوَ الثَّلَاثِ بَعْدَ الشَّمَالِيِّ مِنْهَا إِلَى الْغَرْبِ مُنْعَطِفًا مَعَ الْبَحْرِ كَمَا قُلْنَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا أَسْفَلُ الشَّامِ وَيَمُرُّ فِي وَسْطِهَا جَبَلُ اللَّيْكَامِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الشَّامِ فِي الشَّمَالِ فَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا إِلَى الْقَطْرِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ وَيُسَمَّى بَعْدَ انْعِطَافِهِ جَبَلُ السَّلْسِلَةِ وَمِنْ هُنَاكَ يَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَجُوزُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ وَيَقُومُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى طَرَفِ خَارِجٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مُتَأَخِّرًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ ثَنَابًا تُسَمَّى الدُّرُوبُ وَهِيَ الَّتِي تُقْضِي إِلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ جَبَلِ السَّلْسِلَةِ فَأَمَّا الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا أَنَّ فِيهَا أَسْفَلُ الشَّامِ وَأَنَّ جَبَلُ اللَّيْكَامِ مُعْتَرِضٌ فِيهَا بَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَآخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِلَادُ أَنْطَرُطُوسَ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ مُتَأَخِّمَةٌ



لغزوة وطرا بلس على ساحله من الإقليم الثالث وفي شمال أنطرطوس جبلة ثم اللاذقية  
 ثم إسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل الأيكام المترص  
 بين البحر وآخر الجزء بحافاته فيصاقبه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيه  
 حصن الحرفاني وهو للعشيرة الأسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالقدابوية ويسمى مصبات  
 وهو قبالة أنطرطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سامية في الشمال عن  
 حمص وفي الشمال وفي مصبات بين الجبل والبحر بلد أنطاكية ويقابلها في شرق الجبل  
 المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال أنطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس آخر  
 الشام ويعاذ بها من غرب الجبل قيسرين ثم عين زربة وقبالة قيسرين في شرق  
 الجبل حلب ويقابل عين زربة منبع آخر الشام . وأما الدروب فعن يمينها ما  
 بينها وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركمان وساطتها  
 ابن عثمان وفي ساحل البحر منها بلد أنطاكية والعلايا . وأما بلاد الأزم التي بين  
 جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة إلى آخر الجزء الشمالي  
 ويخرج من الجزء أنطامس في بلاد الأزم نهر جيجان ونهر سيجان في شرقه فيمر بها  
 جيجان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم يتعطف هابطا  
 إلى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر نهر سيجان  
 موازيا لنهر جيجان فيحاذي المعرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب إلى أرض الشام  
 ثم يمر بين زربة ويمجوز عن نهر جيجان ثم يتعطف إلى الشمال مغربا فيختلط بنهر  
 جيجان عند المصيصة ومن غربها وأما بلاد الجزيرة التي يعيط بها متعطف جبل الأيكام  
 إلى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد الرافضة والرقعة ثم حران ثم سروج والرما ثم نصيبين  
 ثم سميساط وأمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله وهو أيضا آخر الجزء من  
 شرقه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يغرجان من الإقليم  
 الخامس ويمران في بلاد الأزم جنوبا إلى أن يتجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر الفرات  
 من غربي سميساط وسروج ويتعرف إلى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقعة ويخرج  
 إلى الجزء السادس ويمر دجلة في شرق أمد ويتعطف قريبا إلى الشرق فيخرج قريبا  
 إلى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الإقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي

الشَّرْقِي مِنْهَا بِلَادُ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِيِّ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَيَعْتَرِضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَاكَ جَبَلٌ أَصْبَهَانَ هَابِطًا مِنْ جَنُوبِ الْجُزْءِ مُنْعَرِفًا إِلَى الْغَرْبِ فَإِذَا  
 أَنْتَهَى إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مُغْرَبًا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَيَتَّصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَنْقَطِعُ هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ  
 بِقِطْعَتَيْنِ غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ فِي الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهَا تَخْرُجُ الْفُرَاتُ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شَمَالِهَا  
 تَخْرُجُ دِجْلَةُ مِنْهُ أَمَّا الْفُرَاتُ فَأَوَّلُ مَا يَخْرُجُ إِلَى السَّادِسِ بِمَرُّ بَقَرِيسِيَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَاكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَسَابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيَفُوسُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرِيسِيَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ أَخَابُورٍ إِلَى غَرْبِ الرَّحْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَاكَ يَمُرُّ جَنُوبًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِالْكَوْفَةِ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَيَخْرُجُ حَمِيمًا فِي  
 جَنُوبِ الْجُزْءِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَيَفُوسُ هُنَاكَ فِي شَرْقِ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْفُرَاتُ مِنَ الرَّحْبَةِ مُشْرَفًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتَ مِنْ شَمَالِهَا يَمُرُّ إِلَى الزَّابِ وَالْأَنْبَارِ مِنْ  
 جَنُوبِهِمَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةَ عِنْدَ بَغْدَادَ . وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةَ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى شَمَالِهَا ثُمَّ بِالْمَوْصِلِ كَذَلِكَ وَتَكْرِيثَ وَيَنْتَهِي  
 إِلَى الْحُدَيْثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَبْقَى الْحُدَيْثَةُ فِي شَرْقِهِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنُوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْفُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنُوبًا عَلَى غَرْبِ جَرَجَرِيَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْشُرُ  
 هُنَاكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَفَمَا بَيْنَ  
 نَهْرِ الدِّجْلَةِ وَالْفُرَاتِ قَبْلَ جَمْعِهِمَا بِبَغْدَادَ فِي بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةَ بَعْدَ  
 مَفَارِقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرٌ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانَ  
 قِبَالَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةَ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَيَبْقَى  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بِلَدُ جُلُولَاءَ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ الْجَبَلِ بِلَدُ حُلُوانَ  
 وَصَيْمَرَةَ . وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ يَبْدَأُ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرَفًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيَسْمَى جَبَلُ شَهْرُزُورَ وَيَقْسِمُهَا بِقِطْعَتَيْنِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصَّغْرَى بِلَدُ خَوْنِجَانَ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنَ أَصْبَهَانَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بِلَدُ الْهَلُوسِ

فِي وَسْطِهَا بَلَدٌ نَهَاوَنْدٌ وَفِي شَمَالِهَا بَلَدٌ شَهْرَزُورٌ غَرْبًا عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَبَلَيْنِ وَالْدَيْنُورُ شَرْقًا  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْقِطْعَةِ الصُّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرْفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ قَاعَتُهَا الْمَرَاغَةُ  
 وَالَّذِي يُقَابِلُهَا مِنْ جَبَلِ الْعِرَاقِ يُسَمَّى بَارِيَا وَهُوَ مَسَاكِينٌ لِلْأَكْرَادِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ  
 وَالصُّغِيرُ الَّذِي عَلَى دِجَلَةَ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادُ أَدْرَبِيحَانَ  
 وَمِنْهَا تَبْرِيزُ وَالْيَدِقَانُ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ نِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَشَنْ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْخَزَرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
 وَفِيهَا هَمْدَانُ وَقَزْوِينُ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْبَهَانُ وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ جَبَلٌ يُخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَمُرُّ بِالْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْعِرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ يُحِيطُ  
 بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْبِطُ هَذَا الْجَبَلُ الْمُحِيطُ بِأَصْبَهَانَ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الثَّلَاثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيُحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
 وَمَتَحَهُ هُنَالِكَ قَاشَانَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النِّصْفِ مِنْ طَرَفِهِ مُغْرَبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
 يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُشْرَقًا وَمُنْحَرَفًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُنْعَطِفِهِ وَأَسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرَّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَيَبْدَأُ مِنْ مُنْعَطِفِ جَبَلِ  
 آخَرٍ يَمُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جَنُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قَزْوِينُ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
 وَجَانِبِ جَبَلِ الرَّيِّ الْمُتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادُ طَبْرَسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ  
 وَيَدْخُلُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نِصْفِ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَيَعْتَرِضُ  
 عِنْدَ جَبَلِ الرَّيِّ وَعِنْدَ انْعِطَافِهِ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ يَمُرُّ عَلَى مَتْنِهِ مُشْرَقًا وَبِانْحِرَافٍ  
 قَلِيلٍ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرَّيِّ وَهَذَا  
 الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِ هِمَا بِلَادُ جُرْجَانَ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَمِنْهَا بِسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
 قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَقِيَّةُ الْمَفَازَةِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَّاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِي قَاشَانَ  
 وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدُ أَسْتَرَابَادَ وَحَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ نَيْسَابُورَ مِنْ خُرَّاسَانَ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَفَازَةِ بَلَدُ نَيْسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِجَانَ  
 آخِرَ الْجُزْءِ وَفِي شَمَالِهِ وَشَرْقِي جُرْجَانَ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازِرُونَ وَطُوسُ آخِرَ الْجُزْءِ شَرْقًا

وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ الْجَبَلِ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا بِلَادٌ نَسَا وَبِحَيْطِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْجُزْءَيْنِ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ  
 مَقَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي غَرْبِيَّةِ نَهْرِ جَيْحُونَ ذَاهِبًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
 الشَّمَالِ فِي عُدُوتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَمٌ وَأَمْلٌ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْجُرْجَانِيَّةِ مِنْ بِلَادِ  
 خُوَلْدَزْمٍ وَيُحِيطُ بِالزَّوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْتَرَابَادٌ الْمُعْتَرِضُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ  
 قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ غَرْبِيَّةِ وَيُحِيطُ بِهَذِهِ الزَّوِيَةِ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَاةَ وَالْجُوزْخَانَ  
 حَتَّى يَتَّصِلَ بِجَبَلِ الْبَتِّمْ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَاكَ وَفِي شَرْقِيَّةِ نَهْرِ جَيْحُونَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
 مِنْهُ بِلَادٌ بُخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّغْدِ وَقَاعَتُهُمَا سَمَرْقَنْدٌ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأَشْنَةُ وَمِنْهَا حَجَنْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ  
 شَبْرَقَاوِي فِي الشَّمَالِ عَنْ سَمَرْقَنْدٍ وَسَرْدَارَا وَأَشْنَةُ أَرْضٌ إِيْلَاقٌ <sup>(١)</sup> ثُمَّ فِي الشَّمَالِ عَنْ إِيْلَاقِ أَرْضِ  
 الشَّاشِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَيَأْخُذُ قِطْعَةً مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي جَنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
 فَرغانَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ الَّتِي فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ نَهْرُ الشَّاشِ يَمُرُّ مُعْتَرِضًا فِي الْجُزْءِ  
 الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَّ فِي نَهْرِ جَيْحُونَ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّامِنِ فِي شِمَالِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
 الْخَامِسِ وَيَتَخَلِّطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِيْلَاقِ نَهْرٌ يَأْتِي مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ تَخُومِ  
 بِلَادِ التَّبَّتِ وَيَتَخَلِّطُ مَعَهُ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ نَهْرُ فَرغانَةَ وَعَلَى سَمْتِ نَهْرِ الشَّاشِ  
 جَبَلٌ جَبْرَاغُونَ يَبْدَأُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنْحَرَفًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
 يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مُحِيطًا بِأَرْضِ الشَّاشِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ فَيُحِيطُ  
 بِالشَّاشِ وَفَرغانَةَ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ فَيَدْخُلُ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاشِ وَطَرَفِ  
 هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ بِلَادُ قَارَابِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْضِ بُخَارَى وَخُوَارِزْمِ مَقَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ  
 وَفِي زَاوِيَةِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ أَرْضٌ حَجَنْدَةُ وَفِيهَا بَلَدٌ إِسْبِينْجَابِ وَطَرَازُ .  
 وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ بَعْدَ أَرْضِ فَرغانَةَ وَالشَّاشِ أَرْضُ الْخَوْلِجِيَّةِ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّمَالِ وَفِي شَرْقِ الْجُزْءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكِيْمَاكِيَّةِ وَيَتَّصِلُ  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلِ قُوفِيَا آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
 هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَذِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ . انْتَهَى

الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ \* الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَعْمُورٌ بِالْمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
 وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِهَذِهِ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) في المشترك إقليم إيلاق متصل بإقليم الشاش لا فصل بينهما وهو بكثر الهزة وسكون الياء بهما ١٠٥

وَالسَّابِعُ عَنِ الدَّائِرَةِ المَحِيظَةِ بِالْاِقْلِيمِ فَأَمَّا الْمُنْكَشِفُ مِنْ جَنُوبِهِ فِقِطْعَةٌ عَلَى شَكْلِ  
مِثْلِكَ مُتَّصِلَةٌ مِنْ هُنَاكَ بِالْأَنْدَلُسِ وَعَلَيْهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جِهَتَيْنِ كَانَتْهُمَا ضَامِكًا  
مُحِيطًا بِزَاوِيَةِ الْمِثْلِكَ فِيهَا مِنْ بَقِيَّةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ سَعِيورٌ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الْجُزْءِ  
مِنَ الْجَنُوبِ وَالغَرْبِ وَسَامَنْكَةٌ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جَوْفِهَا سَمُورَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنِ سَلْمَنْكَةَ  
أَيْلَةٌ آخِرُ الْجَنُوبِ وَأَرْضُ قَسَالِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِينَةٌ شَقُونِيَّةٌ وَفِي شِمَالِهَا أَرْضُ لِيُونِ  
وَبَرْغَشَتْ ثُمَّ وَرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ أَرْضُ جَلِيْقِيَّةٍ إِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْحَبِيطُ  
فِي آخِرِ الْفِصْلِ الْغَرْبِيِّ بَلَدٌ شَنْتِيَانُو وَمَعْنَاهُ يَعْقُوبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةٌ  
شِطْلِيَّةٌ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الْجَنُوبِ وَشَرْقًا عَنِ قَسَالِيَّةٍ وَفِي شِمَالِهَا وَشَرْقِهَا وَشَقَّةٌ وَبَنْبَلُونَةٌ  
عَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشِمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْبَلُونَةٍ قَسَالَةٌ ثُمَّ نَاجِزَةٌ فِيهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشَتْ  
وَيَعْتَرِضُ وَسَطَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُحَازُ لِلْبَحْرِ وَالضَّيَاعِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ وَعَلَى  
قُرْبٍ وَبِتَّصِلُ بِهِ وَيَطْرَفُ الْبَحْرِ عِنْدَ بَنْبَلُونَةٍ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْاِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَصِيرُ حَجْرًا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ  
مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَثَنَائِيَاهُ لَهَا أَبْوَابٌ تُقْفِي إِلَى بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ مِنْ أَمْرِ الْفَرَنْجِ فَنَهَا مِنْ  
الْاِقْلِيمِ الرَّابِعِ بَرْشَلُونَةٌ وَأَرْبُونَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيدَةٌ وَفَرْقَشُونَةٌ وَرَاءَهُمَا  
فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنَ الْاِقْلِيمِ الْخَامِسِ طَلُوشَةٌ شِمَالًا عَنِ خَرِيدَةٍ . وَأَمَّا الْمُنْكَشِفُ فِي  
هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِقِطْعَةٌ عَلَى شَكْلِ مِثْلِكَ مُسْتَطِيلٌ زَاوِيَتُهُ الْحَادَّةُ وَرَاءَ  
الْبُرْنَاتِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْحَبِيطُ عَلَى رَأْسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْنَاتِ بَلَدٌ  
نِيُونَةٌ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ أَرْضٌ يَنْطَوُّ مِنْ  
الْفَرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ أَرْضٌ غَشْكُونِيَّةٌ وَفِي  
شِمَالِهَا أَرْضٌ يَنْطَوُّ وَبَرْغَشَتْ وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمَا وَفِي شَرْقِ بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ فِي شِمَالِهَا  
قِطْعَةٌ أَرْضٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ كَالْفَرَنْسِ مَائِلَةٌ إِلَى الشَّرْقِ قَلِيلًا  
وَصَارَتْ بِلَادُ غَشْكُونِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُورٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
شِمَالًا بِلَادُ جَنْوَةٌ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلٌ نَيْتُ جُورٍ وَفِي شِمَالِهِ وَعَلَى سَمْتِهِ أَرْضٌ  
بَرْغُونَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنِ طَرَفِ جَنْوَةِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرَفٌ آخَرٌ خَارِجٌ  
مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُورٌ دَاخِلٌ مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نَيْشٌ وَفِي شَرْقِهِ مَدِينَةٌ رُومَةٌ

الْعُظْمَى كَرِيْبِي مَلِكِ الْاِفرنجية وَمَسْكِنِ الْاَبَا بَطْرِكِهِمِ الْاَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ الْمَبَانِي  
 الْفَضِيحَةِ وَالْمَيَاكِلِ الْمَائِلَةِ وَالْكِنَائِسِ الْعَادِيَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفُ الْاَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
 النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ اِلَى الْمَغْرِبِ مَفْرُوشٌ قَاعُهُ بِبِلَاطِ الثُّحَاسِ وَفِيهَا  
 كَنِيسَةٌ بَطْرُسَ وَبُولُسَ مِنَ الْحَوَارِيَيْنِ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَن بِلَادِ  
 رُومَةَ بِلَادُ اَفْرَنْصِيصَةَ اِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرْفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنُوبِهِ  
 رُومَةَ بِلَادُ نَابِلٍ فِي الْجَنَابِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قَلُورِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
 طَرْفٌ مِنْ خَلِيْجِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الْاَثَلِثِ مُغْرَبًا وَمُعَاذِيًا لِلشَّمَالِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَانْتَهَى اِلَى نَحْوِ الْاَثَلِثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيْرٌ مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ مِنْ جَنُوبِهِ فِيهَا بَيْنُهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ اِنْكَلَايَةَ فِي الْاِقْلِيْمِ  
 الْساَدِسِ . وَفِي الْجُزْءِ الْاَثَلِثِ مِنْ هَذَا الْاِقْلِيْمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قَلُورِيَّةٍ بَيْنَ خَلِيْجِ الْبِنَادِقَةِ  
 وَالْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ مُحِيْطُ بِهَا مِنْ شَرْقِيِهِ بِصِلُ مِنْ بَرِّهَا فِي الْاِقْلِيْمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ  
 فِي جُورِنَ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ اِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِيِ بِلَادِ  
 قَلُورِيَّةٍ بِلَادُ اَنْكَبِرْدَةَ فِي جُورِنَ بَيْنَ خَلِيْجِ الْبِنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ وَيَدْخُلُ طَرْفٌ مِنْ  
 هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُورِنِ فِي الْاِقْلِيْمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ وَبِحِيْطِ بِهِ مِنْ شَرْقِيِهِ خَلِيْجُ  
 الْبِنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ ذَاهِبًا اِلَى سَمْتِ الشَّمَالِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ اِلَى الْغَرْبِ مُعَاذِيًا لِآخِرِ  
 الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْاِقْلِيْمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيْمٌ يُوَازِيهِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ  
 اِلَى الشَّمَالِ ثُمَّ يَغْرُبُ مَعَهُ فِي الْاِقْلِيْمِ الْساَدِسِ اِلَى اَنْ يَنْتَهِيَ قِبَالَ خَلِيْجِ فِي شَمَالِيهِ  
 فِي بِلَادِ اِنْكَلَايَةَ مِنْ اُمَّمِ الْاَلْمَانِيَيْنِ كَمَا نَدَّكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيْجِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
 الْجَبَلِ مَا ذَاهِبًا اِلَى الشَّمَالِ بِلَادُ الْبِنَادِقَةِ فَاِذَا ذَاهَبًا اِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيْنَهُمَا بِلَادُ  
 حَرَوَايَا ثُمَّ بِلَادُ الْاَلْمَانِيَيْنِ عِنْدَ طَرْفِ الْخَلِيْجِ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْاِقْلِيْمِ  
 وَطَعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ خَرَجَتْ اِلَيْهِ مِنَ الْاِقْلِيْمِ الرَّابِعِ مُفْرَسَةً كُلُّهَا بِقَطْعِ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا اِلَى الشَّمَالِ وَبَيْنَ كُلِّ فِرْسِيْنٍ مِنْهَا طَرْفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُورِنِ بَيْنَهُمَا  
 وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا فِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا اِلَى الشَّمَالِ خَلِيْجُ الْقُسْطَنْطِيْنِيَّةِ يَخْرُجُ  
 مِنْ هَذَا الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ اِلَى اَنْ يَدْخُلَ فِي الْاِقْلِيْمِ الْساَدِسِ  
 وَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَالِكَ عَن قُرْبِ مُسْرِقًا اِلَى بَحْرِ نِيْطَسَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضِ الرَّابِعِ

قَبْلَهُ وَالسَّادِسِ بَعْدَهُ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَرْنَا وَبَلَدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
 الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ كَرْسِيَّ الْقِيَادَةِ  
 وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَالصَّخَامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
 الرُّومِيِّ وَخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادٌ مَقْدُونِيَّةٌ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
 وَمِنْهَا أَيْتَادُ مَلِكِهِمْ وَفِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
 وَأَظْنَاهَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَجَالَاتٌ لِلتُّرُكُمَانَ وَبِهَا مَلِكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرَصَةٌ وَكَانَتْ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ لِلرُّومِ وَعَلَيْهِمْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّرُكُمَانَ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيهِ وَجَنُوبِيهِ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ عَمُورِيَّةَ وَفِي شَرْقِي عَمُورِيَّةَ نَهْرُ قَبَانِبَ الَّذِي يُعَدُّ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ هُنَاكَ  
 وَيَذْهَبُ فِي الْجَنُوبِ حَتَّى يَخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى تَمَرِهِ فِي الْإِقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ وَهُنَاكَ فِي غَرْبِيهِ آخِرُ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سِيحَانَ ثُمَّ نَهْرُ جِيحَانَ غَرْبِيهِ الدَّاهِبِينَ  
 عَلَى سَمْتِهِ وَتَدْمَرُ ذِكْرُهُمَا وَفِي شَرْقِيهِ هُنَاكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دِجَلَةَ الدَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
 مُوَازَرَتِهِ حَتَّى يَخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّوَايَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دِجَلَةَ بَلَدٌ مِيَّافَارِقِينَ وَنَهْرُ قَبَانِبَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يُقْسِمُ  
 هَذَا الْجُزْءَ بِقِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا غَرْبِيَّةٌ جَنُوبِيَّةٌ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَآسَافِلَهَا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شِمَالًا وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَانِبَ أَرْضُ عَمُورِيَّةَ كَمَا  
 قُلْنَا وَالْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْقِيَّةٌ شِمَالِيَّةٌ عَلَى الثَّلَاثِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دِجَلَةَ وَالْفُرَاتَ وَفِي  
 الشَّمَالِ بِلَادُ السَّيْلَقَانَ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عَمُورِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ جَبَلِ قَبَانِبَ وَهِيَ عَرِيضَةٌ وَفِي  
 آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بَلَدٌ حَرَشَنَدَةَ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
 نِيطِسَ الَّذِي يُعَدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي جَنُوبِيهِ  
 وَغَرْبِيهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلْدَانُ  
 أَرْدَنَ فِي الْجَنُوبِ وَالغَرْبِ وَفِي شِمَالِهَا تَفْلِسُ وَدَيْبِلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدَنَ مَدِينَةُ خِلَاطُ ثُمَّ  
 يَرْدَعَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةَ وَمِنْ هُنَاكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ  
 إِلَى الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَاكَ بَلَدُ الْمَرَاغَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمُسَمَّى بِأَرْمَى  
 وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَيَتَأَخَّرُ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْإِقْلِيمِ

الرَّابِعَ قَبْلَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِيهَا بِلَادُ أَدْرِيَجَانَ وَآخِرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ شَرْقًا بِلَادُ اِرْدَبِيلَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ دَخَلَتْ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ وَيُسَمَّى بَحْرَ طَبْرَسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ شِمَالِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْخَزَرِ وَهُمْ التُّرْكَمَانُ وَيَبْدَأُ مِنْ عِنْدِ آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الشَّمَالِ جِبَالٌ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَتَمُرُّ فِيهِ مُنْعَطِفَةٌ وَمُحِطَةٌ بِبِلَدِ مِيَاْفَارِقِينَ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عِنْدَ آمِدٍ وَيَتَّصِلُ بِجِبَلِ السَّلسَلَةِ فِي آسَافِ الشَّامِ وَمِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِجِبَلِ الْكَلَامِ كَمَا مَرَّ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ثَنَائِيَا كَالْأَبْوَابِ تَفْضِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي جَنُوبِيَّهَا بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ فِي الشَّرْقِ إِلَى بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ مَدِينَةٌ بَابِ الْأَبْوَابِ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ الْأَبْوَابِ فِي الْغَرْبِ مِنْ نَاحِيَةِ جَنُوبِيَّهَا بِبِلَدِ أَرْمِينِيَّةٍ وَبَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ بِلَادِ أَدْرِيَجَانَ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الْزَابِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَفِي شِمَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا تَمَلِّكَةُ السَّرِيرِ فِي الزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهَا وَفِي زَاوِيَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ قِطْعَةٌ أَيْضًا مِنْ بَحْرِ نِيطِشَ الَّذِي يُعَدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ وَيَحْتَفُّ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ نِيطِشَ بِلَادُ السَّرِيرِ وَعَلَيْهَا مِنْهَا بِلَدُ أَطْرَابَزِيدَةَ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ السَّرِيرِ بَيْنَ جِبَلِ الْأَبْوَابِ وَالْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ شَرْقًا إِلَى جِبَلِ حَاجِزٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ الْخَزَرِ وَعِنْدَ آخِرِهَا مَدِينَةٌ صَوْلُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجِبَلِ الْحَاجِزِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ تَنْتَهِي إِلَى الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَآخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا . وَالْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ غَرْبِيَّةٌ كُلُّهُ مَعْمُورٌ بِبَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَخَرَجَ مِنْ جَنُوبِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْقِطْعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ عَلَيْهَا بِلَادَ طَبْرَسْتَانَ وَجِبَالِ الدَّيْلَمِ إِلَى فَرْزُونَ وَفِي غَرْبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شَمَالِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَرْقِهِ أَيْضًا وَيَتَكَشَّفُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ عِنْدَ زَاوِيَتِهِ الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ بَصْبُ فِيهَا نَهْرٌ أَثَلٌ فِي هَذَا الْبَحْرِ وَبَقِيَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْقِ قِطْعَةٌ مُنْكَشَفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ هِيَ مَجَالَاتُ الْغَزْرِ مِنْ أُمَّمِ التُّرْكَ يُحِيطُ بِهَا جِبَلٌ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ دَاخِلٌ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَيَذْهَبُ فِي الْغَرْبِ إِلَى مَا دُونَ وَسَطِهِ فَيَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يُلَاقِيَ بَحْرَ طَبْرَسْتَانَ فَيَحْتَفُّ بِهِ ذَاهِبًا مَعَهُ إِلَى بَقِيَّتِهِ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ



ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَ طَرَفِهِ وَيُفَارِقُهُ وَيُسَمَّى هُنَالِكَ جَبَلَ سِبَاةٍ وَيَذْهَبُ مُغْرَبًا إِلَى الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْتَرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخَزَرِ  
 وَاتَّصَلَتْ بِأَرْضِ الْخَزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلِ  
 سِبَاةٍ كَمَا سَيَأْتِي. وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ تَجَالَاتٌ لِلْفُزْءِ مِنْ أُمَّ  
 التُّرْكِ وَفِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بِحَيْرَةٍ خَوَارِزْمَ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ جَيْحُونٌ دَوْرَهَا  
 ثَلَاثُمِائَةٍ مِيلٌ وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ التَّجَالَاتِ وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بِحَيْرَةٍ عُرْعُونَ دَوْرَهَا أَرْبَعُمِائَةٍ مِيلٌ وَمَاوَهَا حُلُوٌّ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ مِرْغَارٌ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ التَّلْجِ لِأَنَّهُ لَا يَدُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجَنُوبِ عَنْ بِحَيْرَةٍ عُرْعُونَ جَبَلٌ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يَنْبِتُ شَيْئًا يُسَمَّى عُرْعُونَ وَبِهِ  
 سُمِّيَتِ الْبَحَيْرَةُ وَيَنْجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْغَارِ شَمَالِيَّ الْبَحَيْرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَنْحَصِرُ عِدَّتُهَا فَتَنْصَبُ  
 فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ. وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ أَرْكَسَ مِنْ أُمَّ التُّرْكِ فِي  
 غَرْبِ بِلَادِ الْفُزْءِ وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيْمَا كِيَّةٍ وَيَعْتَفُّ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
 جَبَلٌ فَوْقَهَا الْمَحِيْطُ بِأَجُوجَ وَمَا جُوجَ بَعْتَرِضُ هُنَالِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَنْعَطِفَ  
 أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَأَحْتَفَ هُنَالِكَ بِالْبَحْرِ الْمَحِيْطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ أَنْعَطَفَ مُغْرَبًا  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
 الْكِيْمَا كِيَّةٍ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَذَهَبَ فِيهِ مُغْرَبًا إِلَى آخِرِهِ  
 وَبَقِيَ فِي جَنُوبِيهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيْمَا كِيَّةٍ  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي شَرْقِيهِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْهُ وَأَنْعَطَفَ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذَهَبَ  
 عَلَى سَمْتِهِ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّهُنَالِكُ كَمَا نَذَرْنَا  
 وَبَقِيَ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلٌ قَرِيبًا عِنْدَ الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ يَأْجُوجَ وَمَا جُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 أَرْضٌ يَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهَا الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ عَمَّرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيهِ مِنْ جَنُوبِهِ  
 إِلَى شَمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي يَفْصُلُهَا إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلٌ قَرِيبًا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا

سوى ذلك فأرض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى أعلم  
الإقليم السادس . فالجزء الأول منه عمر البحر أكثر من نصفه وأستدار شرقاً  
مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وأنهى قريبا من الناحية  
الجنوبية فأنكشفت قطعة من هذه الأرض في هذا الجزء داخلة بين الطرفين وفي  
الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالبحر فيه وينسج طولا وعرضا وهي  
كلها أرض بريطانيا وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا  
الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الإقليم  
الخامس . والجزء الثاني من هذا الإقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فن غربه  
قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرق أرض بريطانيا في الجزء الأول  
وأتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه وانسجت في النصف  
الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة أنكلترا وهي جزيرة عظيمة  
مستعملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الإقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة  
وحزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد أرمندية وبلاد أفلاش متصليين بها  
ثم بلاد إفرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لأمة  
الأفرنجية وبلاد اللمانيين في النصف الشرقي من الجزء لجنوبه بلاد انكلانية ثم  
بلاد برغونية شمالا ثم أرض لهويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية  
الشمالية الشرقية أرض أفريرة وكلها لأمة اللمانيين . وفي الجزء الثالث من هذا  
الإقليم في الناحية الغربية بلاد مرانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية  
الشرقية بلاد أنكوبية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط  
داخلا من الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف إلى الشمال إلى أن يقف في بلاد  
شطونية آخر النصف الغربي . وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جنوبية وتحتها  
في الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غربا إلى أن  
يقف في النصف الشرقي وفي شرق أرض جنوبية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية  
الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند  
مدفعه في بحر نبطس فيقع قطعة من بحر نبطس في أعالي الناحية الشرقية من هذا

الجزء وَيُمِدُّهَا الْخَلِيجُ وَيَيْنِهُمَا فِي الزَّوَايَةِ بَلَدُ مَسِينَاةٍ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
السَّادِسِ ثُمَّ فِي الْأَحْيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ عِنْدَ بَحْرِ نِيطِشٍ يَتَّصِلُ مِنَ الْخَلِيجِ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
الرَّابِعِ وَيَخْرُجُ مِنْ سَمْتِهِ مُشْرِقًا فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزْءِ كُلِّهِ وَفِي بَعْضِ السَّادِسِ عَلَى طُولِ  
ألف وَثَلَاثِمِائَةٍ مِيلٍ مِنْ مَبْدَأِهِ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةٍ مِيلٍ وَبَقِيَ وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ فِي  
الْأَحْيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا إِلَى شَرْفِهَا بَرٌّ مُسْتَطِيلٌ فِي غَرْبِهِ هِرْقَلِيَّةٌ عَلَى  
سَاحِلِ بَحْرِ نِيطِشٍ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ الْبَيْلِقَانِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَفِي شَرْفِهِ بِلَادُ الْأَلَانِيَّةِ  
وَقَاعِدَتِهَا سَوْتَلِي عَلَى بَحْرِ نِيطِشٍ وَفِي شَمَالِ بَحْرِ نِيطِشٍ فِي هَذَا الْجُزْءِ غَرْبًا أَرْضُ تَرْخَانَ  
وَشَرْقًا بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَكُلُّهَا عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ وَبِلَادُ الرُّوسِيَّةِ مُحِيطَةٌ بِبِلَادِ تَرْخَانَ  
مِنْ شَرْفِهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهَا فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ وَمِنْ غَرْبِهَا  
فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ بَحْرِ نِيطِشٍ  
وَيَتَّخِذُ قَلِيلًا إِلَى الشَّمَالِ وَيَبْقَى بَيْنَهُ هُنَاكَ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا بِلَادُ قَانِيَّةٍ وَفِي  
جَنُوبِهِ مُنْفَسِحًا إِلَى الشَّمَالِ بِمَا ائْتَمَرَفَ هُوَ كَذَلِكَ بَقِيَّةُ بِلَادِ الْأَلَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ آخِرَ  
جَنُوبِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ يَتَّصِلُ أَرْضُ الْخَزَرِ وَفِي  
شَرْفِهَا أَرْضُ بَرْطَاسٍ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بِلَعَارَ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
الْجَنُوبِيَّةِ أَرْضُ بَلَجَرٍ يَجُوزُهَا هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ سَبَاكُوهَ الْمُنْعَطِفِ مَعَ بَحْرِ الْخَزَرِ  
فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ بَعْدَهُ وَيَذْهَبُ بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ مَغْرِبًا فَيَجُوزُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ وَيَدْخُلُ إِلَى  
الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِجَبَلِ الْأَبْوَابِ وَعَلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ  
نَاحِيَةُ بِلَادِ الْخَزَرِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَا جَارَهُ  
جَبَلُ سِيَاةٍ بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ بِحَرَ طَبْرَسْتَانَ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ غَرْبًا  
وَفِي شَرْفِهَا الْقِطْعَةُ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ الَّتِي يَجُوزُهَا هَذَا الْجَبَلُ مِنْ شَرْفِهَا وَشَمَالِهَا وَوَرَاءَ  
جَبَلِ سِيَاةٍ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَرْطَاسَ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
أَرْضُ شَحْرَبَ وَيَخْتَاكَ وَهُمْ أُمَّةُ التُّرْكِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَالنَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ كُلُّهَا  
أَرْضُ الْجَوْلُخِ مِنَ التُّرْكِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ غَرْبًا وَالْأَرْضُ الْمُنْتِنَةُ وَشَرْقُ الْأَرْضِ الَّتِي  
يُقَالُ إِنَّ يَأْجُوجَ وَأَجُوجَ خَرَّبَاهَا قَبْلَ بِنَاءِ السُّدِّ وَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُنْتِنَةِ مَبْدَأُ نَهْرٍ  
الَّذِي مِنَ أَعْظَمِ أَنْهَارِ الْعَالَمِ وَمَمْرُهُ فِي بِلَادِ التُّرْكِ وَمَصَّبُهُ فِي بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ فِي الْإِقْلِيمِ

أَلْخَامِسِ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِنْعِطَابِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمُنْتَهَى  
 مِنْ ثَلَاثَةِ بِنَايِعَ تَجْتَمِعُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَمْرُؤُ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا  
 الْأَقْلِيمِ فَيَنْعَطِفُ شَمَالًا إِلَى الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ فَيَمْرُؤُ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
 الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ  
 يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
 جَدُولٌ يَذْهَبُ مَغْرِبًا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ بِنِطِشٍ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَمْرُؤُ هُوَ فِي قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
 وَالشَّرْقِ فِي بِلَادِ بِلْعَارَ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَالِثَةً  
 إِلَى الْجَنُوبِ وَيَنْقُذُ فِي جَبَلٍ سِبَاهَ وَيَمْرُؤُ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ فِي الْقِمَاعَةِ الَّتِي انْكَشَفَتْ مِنْ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَالْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ  
 مِنْهُ بِلَادُ خَنْشَاخَ مِنَ التُّرْكِ وَهُمْ قَفْجَاقُ وَبِلَادُ السَّرَاكْسِ مِنْهُمْ أَيْضًا وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
 بِلَادُ يَأْجُوجَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ قَوْيَا الْعُحَيْطُ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ بَدَأُ مِنَ الْبَحْرِ الْعُحَيْطِ  
 فِي شَرْقِ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَقْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيُقَارِفُهُ مَغْرِبًا  
 وَبِالْمَخْرَافِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
 سَمْتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
 بِالْمَخْرَافِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسَطِهِ هُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَندَرُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْهُ فَيَمْرُؤُ فِيهِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
 الْعُحَيْطِ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مَغْرِبًا إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْعُحَيْطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ  
 التَّاسِعِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَندَرُ كَمَا قُلْنَا وَالصَّحِيحُ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغْرَافِيَا أَنَّ الْوَائِقَ رَأَى فِي مَنَامِهِ  
 كَانَ السُّدُّ انْفَتَحَ فَأَنْتَبَهَ فَرَعَا وَبَعَثَ سَلَامًا التَّرْجُمَانَ فَوَاتَفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبَرِهِ وَوَضَعَهُ  
 فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ أَيْسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ  
 بِلَادُ مَا جُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْعُحَيْطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
 مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيضَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الإقليم السابع \* وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ قَدْ عَمَرَ عَامَتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى سَطِّ الْجَزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجِبَلِ قَوْفِيَا الْمُحِيطِ بِبَاجُوجَ وَمَأْجُوجَ . فَالْجَزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَمْمُورَانِ بِالْمَاءِ إِلَّا مَا أَنْكَشَفَتْ مِنْ جَزِيرَةٍ أَزْكَلَتَرَا الَّتِي مُعْظَمُهَا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ انْتَهَفَتْ بِانْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجَزْءِ الثَّانِي مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكَورَةٌ هُنَاكَ وَالْحِجَازُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَعَةٌ اثْنِي عَشَرَ مِيلاً وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شِمَالِ الْجَزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 رَسَلَانِدَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجَزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَمْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِالْبَحْرِ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنُوبِهِ وَتَمَسُّعٌ فِي شَرْفِهَا وَفِيهَا هُنَاكَ مُتَّصِلٌ أَرْضِ  
 فَلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنَّهَا فِي شِمَالِهَا وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَفْرُقُ هَذَا الْجَزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ قَسِيمَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَرِّ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنُوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فَلُونِيَّةٍ وَفِي شِمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرَعَايِبَةٌ (وَفِي نَسْخَةِ بَوَاقِعَةَ)  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّمَالِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجَزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ شِمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَمْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنُوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضٌ قِيَازَكُ مِنَ التُّرْكِ وَفِي شَرْفِهَا بِلَادٌ طَسَتْ ثُمَّ أَرْضُ رَسَلَانَ إِلَى آخِرِ الْبَرِّ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةٌ التَّلُوجِ وَعُمُرَانُهَا قَلِيلٌ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّوسِيَّةِ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجَزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجَزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَيَنْتَهِي فِي الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جِبَلٌ  
 قَوْفِيَا كَمَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلٌ أَرْضُ الْقِمَانِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ بَحْرٍ نَيْطِشَ مِنَ الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَنْتَهِي إِلَى بَحِيرَةٍ طَرَمَى  
 مِنْ هَذَا الْجَزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ  
 وَفِي شِمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ أَرْضُ التَّتَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ (وَفِي نَسْخَةِ التَّرْكَانِ)  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مُتَّصِلٌ بِبِلَادِ الْقِمَانِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بَحِيرَةٌ عَثُورٌ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي النَّوَاحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لِشِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقِمَانِيَّةِ بِلَادٌ

الرَّوْسِيَّةَ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بُلْفَرِ الَّتِي كَانَ  
مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ  
وَفِي وَسَطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بُلْفَرِ مُنْعَطَفُ نَهْرِ أَثَلِ الْقِطْعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ  
كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شِمَالِهِ جَبَلٌ قُوفِيًّا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ  
وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بَحْنَاكَ مِنْ أُمَّةِ التُّرُكِ وَكَانَ  
مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قَبْلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
الغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ قَوْفِهِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
بَقِيَّةُ أَرْضِ سُحْرَبِ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُنْتَهَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ  
جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ قُوفِيًّا مُحِيطٌ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا  
الْإِفْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ الْأَرْضِ الْمُنْتَهَةِ وَفِي شَرْقِهَا الْأَرْضُ الْمَحْضُورَةُ  
وَهِيَ مِنَ الْعَجَائِبِ حَرَقٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَيَسِيحُ الْأَنْفَارُ مُتَمَتِّعٌ الْوُصُولِ  
إِلَى قَعْرِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى عُمْرَانِهِ بِالْخَانَ فِي النَّهَارِ وَالنَّيْرَانِ فِي اللَّيْلِ تُصْبِيهِ وَتُخْفِي وَرُبَّمَا  
رُئِيَ فِيهَا نَهْرٌ يَشْقَاهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ  
الْحَرَابُ الْمُنَاخِمَةُ لِلسُّدِّ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ قُوفِيًّا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْسَاخِ وَهُمْ قَبِيحِي  
يَعْبُورُهَا جَبَلٌ قُوفِيًّا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شِمَالِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسَطِهِ إِلَى  
الْجَنُوبِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ  
مُعْتَرِضًا فِيهِ وَفِي وَسَطِهِ هُنَالِكَ سُدٌّ بِأَجُوجَ وَمَا جُوجَ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ بِأَجُوجَ وَرَاءَ جَبَلِ قُوفِيًّا عَلَى الْبَحْرِ قَلِيلَةَ الْعَرْضِ مُسْتَطِيلَةٌ . نَاطَتْ  
بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشِمَالِهِ . وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ غَمْرُ الْبَحْرِ جَمِيعُهُ . هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَفِيَا  
وَأَقَالِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِأَيَاتِ الْعَالَمِينَ

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والكثير في احوالهم

قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْمُورَ مِنْ هَذَا الْمُنْتَكَشِفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسَطُهُ لِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدِ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كَانِ الْجَانِبَانِ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَجَبَ أَنْ تَتَدَرَّجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَيْهِمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
مُعْتَدِلًا فَأَلَا قَدِيمُ الرَّابِعِ أَعْدَلُ الْأُمُرَانِ وَالَّذِي حَاقَتْهُ مِنَ الدَّائِكِ وَالْخَالِيسِ أَقْرَبُ إِلَى  
الْإِعْتِدَالِ وَالَّذِي بَلِيهِمَا وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ بَعِيدَانِ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ  
أَبْعَدُ بَكْثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَالْبَنَانِي وَالْمَلَابِسُ وَالْأَقْوَانُ وَالْقَوَاكِيهُ بَلْ  
وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْإِعْتِدَالِ  
وَسُكَّانِهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلُ أَجْسَامًا وَأَلْوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَدْيَانًا حَتَّى الثُّبُونُ فَإِنَّمَا تُوجَدُ  
فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَقِفْ عَلَى خَبَرٍ بَعَثَ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يُنْغِثُ بِهِمْ أَكْمَلُ النَّوْعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِيُنِيبَ الْقَبُولِ بِمَا بَاتَ بِهِمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَهْلُ  
هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لَوْجُودِ الْإِعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ  
وَمَلَابِسِهِمْ وَأَقْوَانِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يُغْدُونَ الْبُيُوتَ الْمُعْبَدَةَ بِالْحِجَارَةِ الْمُنْمَقَةِ بِالصَّنَاعَةِ  
وَيَتَنَاغَوْنَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ وَيَذَهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَايَةِ وَتُوجَدُ لَدَيْهِمْ  
الْعِمَادُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّعَاسِ وَالرِّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ  
وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَعَامَلَاتِهِمْ بِالنَّقْدَيْنِ الْعَرِيزَيْنِ وَيَعْمَدُونَ عَنِ الْإِنْحِرَافِ فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِينَ وَالْمِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّبِ  
وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرُبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجِيَّةِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَمَنْ كَانَ  
مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلُ  
هَذِهِ كَلِمَاتُهَا لِأَنَّهَا وَسَطٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فَثَلِ الْأَوَّلُ  
وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ وَالْحَادِي . فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَيَتَأَوَّمُ بِالطَّيْنِ

وَالْقَصَبِ وَأَفْئَاتِهِمْ مِنَ الذَّرَّةِ وَالْعِشْبِ وَمَلَابِسِهِمْ مِنْ أَوْزَاقِ الشَّجَرِ يَخْتَفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
 أَوْ الْجُلُودِ وَأَكْثَرُهُمْ عَرَابًا مِنَ اللَّبَاسِ وَقَوَاكِهِ بِلَادِهِمْ وَأَدَمَهَا غَرِيبَةَ التَّصْخُونِ مَائِلَةً  
 إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَمَعَامِلَاتِهِمْ يَغْتَبِرُ الْحَجْرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ جُلُودٍ  
 يَقْدَرُونَهَا لِلْمَعَامِلَاتِ وَأَخْلَافُهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةً مِنْ خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ النَّجْمِ حَتَّى لِيُنْقَلَ  
 عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ السُّودَانَ أَهْلَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُونُونَ الْكُهُوفَ وَالنَّيَاصِ  
 وَيَأْكُلُونَ الْعِشْبَ وَأَنَّهُمْ مُتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْنِسِينَ بِأَكْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِبَةُ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِيُعَدِّمُوا عَنِ الْأَعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرْضُ أَمْزَجَتِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ مِنْ  
 عَرْضِ الْحَيَوَانَاتِ النَّجْمِ وَيَتَعَدُّونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمَقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
 الدِّيَانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةَ وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرَّبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَانِبِ  
 الْأَعْتِدَالِ وَهُوَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ مِثْلَ الْحَبَشَةِ الْجَاوِرِينَ لِيَمِينِ الدَّائِنِينَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
 فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلَ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالتَّكْرُورِ الْجَاوِرِينَ  
 لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ الدَّائِنِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ  
 وَمِثْلَ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّةِ الصَّقَالِبَةِ وَالْأَفْرَنْجَةِ وَالتُّرْكِ مِنَ الشَّمَالِ وَمِنْ سِوَى  
 هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقْلِيمِ الْمُنْحَرَفَةِ جَنُوبًا وَشِمَالًا فَالَّذِينَ سَجَّهُوا عِنْدَهُمُ الْعِلْمُ مَفْقُودٌ  
 يَنْهَمُ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَخْلُقُ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ . وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بُوْجُودِ الْيَمَنِ وَحَضْرَتِ مَوْتِ وَالْأَحْقَافِ وَبِلَادِ  
 الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا بَلِيهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
 الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْجِبَارُ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
 رُطُوبَةِ هَوَائِهَا فَتَقْصُ ذَلِكَ مِنَ الْبَيْسِ وَالْأَنْحِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
 الْأَعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّسَابِينَ مِنْ مَنْ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ بِطَبَائِعِ  
 الْكَلْبَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُمُ وُلْدُ حَامٍ بِنِ نُوْحٍ أَخْتَصُوا بِلَوْنِ السُّوَادِ لِذَعْوَةِ كَانَتْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِيمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الرِّقِّ فِي عَقِبِهِ وَيَنْقَلُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةَ  
 مِنْ خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَدَعَا نُوْحٍ عَلَى أَبِيهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التُّورَةِ وَبَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ  
 السُّوَادِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَهُوَ عَيْبِدَا لَوْلَدِ إِخْوَتِهِ لَا غَيْرُ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
 السُّوَادِ إِلَى حَامٍ غَفْلَةٌ عَنِ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهِمَا فِي الْهَوَاءِ وَفِيمَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ



مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ شَمَلَ أَهْلَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ مِرَاجٍ هَوَاهِمِهِمْ  
 لِلْحَرَارَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجَنُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُسَامِتُ رُؤُوسَهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى فَتَطُولُ الْمَسَامَتَةُ عَامَّةَ الْفُصُولِ فَيَكْثُرُ النُّورُ لِأَجْلِهَا وَيَلِغُ  
 الْقَيْظُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَنَظِيرُ هَذَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ مِمَّا يِقَابِلُهُمَا  
 مِنَ الشَّمَالِ الْإِقْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ شَمَلَ سُكَّانُهُمَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنْ مِرَاجٍ هَوَاهِمِهِمْ  
 لِلْبَرْدِ الْمَفْرُطِ بِالشَّمَالِ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَزَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةِ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرُبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمَسَامَتَةِ وَلَا مَا قَرُبَ مِنْهَا فَيَضَعُفُ الْحَرُّ فِيهَا وَيَشَدُّ الْبَرْدُ عَامَّةً  
 الْفُصُولِ فَتَبْيَضُ أَلْوَانُ أَهْلِهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الرُّعُورَةِ وَتَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مِرَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمَفْرُطِ مِنْ ذُرْقَةِ الْعَيْونِ وَبَرَشِ الْجُلُودِ وَدَهْوِيَّةِ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْإِقْلِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلَاثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْأَعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مِرَاجُ التَّوَسُّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْأَعْتِدَالِ غَايَةَ لِنَهَائِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِ  
 مِنَ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا اقْتَضَاهُ مِرَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمِيلِ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجَنُوبِ الْحَارِّ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَكَانَتِ الْإِقْلِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُتَحَرِّفَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادُ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضُ وَيُسَمَّى  
 سُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْإِقْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِاسْمِ الْحَبَشَةِ وَالزَّنَجِ وَالسُّودَانَ اسْمَاءً  
 مُتَرَادِفَةً عَلَى الْأَمْرِ الْمُتَغَيِّرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ أُمَّمُ الْحَبَشَةِ مُخْتَصًا مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاهَ  
 مَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالزَّنَجِ بِمَنْ تَجَاهَ بَحْرَ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى آدَمِي أَسْوَدَ لَا حَامٍ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدُ مِنَ السُّودَانَ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّبِيعَ الْمُعْتَدِلَ أَوْ السَّابِعَ الْمُتَحَرِّفَ إِلَى الْبَيَاضِ فَتَبْيَضُ أَلْوَانُ أَعْقَابِهِمْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 مَعَ الْأَيَّامِ وَيَأْتِي الْعَكْسُ فَيَمَنُ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الرَّابِعِ بِالْجَنُوبِ فَتَسْوَدُ  
 أَلْوَانُ أَعْقَابِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمِرَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَزْجُوزِهِ فِي الطِّبِّ

بِالزَّنَجِ حَرٌّ غَيْرَ الْأَجْسَادَا حَتَّى كَسَا جُلُودَهَا سَوَادًا  
 وَالصِّقْلِبُ اسْتَسَبَّتِ الْبَيَاضَا حَتَّى غَدَّتْ جُلُودَهَا بِيَضًا

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّمَالِ فَلَمْ يُسَمَّوْا بِأَعْتَابِ الْوَأْتِهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ تِلْكَ اللَّغَةِ  
 الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَابَةٌ فَتَعْمَلُ عَلَيَّ أَعْتَابُهُ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُوَافَقَتِهِ وَأَعْتَابُهُ  
 وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغْرُغُرِ وَالخَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَثِيرِ مِنَ الْأَيْرَانِ  
 وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَسْمَاءَ مُتَفَرِّقَةً وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةً مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءِ مُتَوَعَّةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْأَعْنِدَالِ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةِ الْأَحْوَالِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِعْتِمَادِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَالرِّئَاسَاتِ  
 وَالْمُلْكِ فَكَانَتْ فِيهِمْ الثَّبُوتُ وَالْمُلْكُ وَالِدَوْلُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبِلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
 وَالْمَبَانِي وَالْفِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَائِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
 وَقَفْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِثْلَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانَ وَأَهْلَ السِّنْدِ  
 وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى النَّسَابُونَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشِمَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
 لِأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَجَعَلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كُلَّهُمْ السُّودَانَ مِنْ وُلْدِ حَامٍ وَأَزْتَابُوا فِي الْوَأْتِهِمْ  
 فَتَكَلَّفُوا نَقْلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْوَاهِيَةِ وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّمَالِ كُلَّهُمْ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وُلْدِ  
 يَافِثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْوَسْطِ الْمُتَخَلِّينَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَالِ  
 وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ مِنْ وُلْدِ سَامٍ وَهَذَا الزَّعْمُ وَإِنْ صَادَقَ الْحَقُّ فِي انْتِسَابِ  
 هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ مُطَرَّدٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
 بِالسُّودَانَ وَأَحْبَشَانَ مِنْ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامٍ الْأَسْوَدِ . وَمَا أَدَّاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ  
 إِلَّا أَعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ  
 لِلجِيلِ أَوْ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفَرَسِ وَيَكُونُ  
 بِالْجِهَةِ وَالسِّمَةِ كَمَا لِلزَّنَجِ وَالْحَبَشَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانَ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشِّعَارِ  
 وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِهِمْ وَمُعْزَاتِهِمْ  
 فَتَعْمِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
 لَمَّا شَمَلَهُمْ مِنْ نَحْوَةِ أَوْلَادٍ أَوْ سِمَةٍ وَجِدَتْ لِلذَّكَ الْأَبِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَغَالِطِ الَّتِي أَوْقَعَ  
 فِيهَا الْغَفْلَةُ عَنِ طَبَائِعِ الْأَسْكَوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا تَبَدَّلُ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
 اسْتِمْرَارُهَا سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
 وَأَحْكَمُ وَهُوَ الْمَوْلَى الْمُنْعِمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى التَّمُومِ الْخِفَّةَ وَالطَّيْشَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ فَتَجِدُهُمْ  
 مُؤَلِّمِينَ بِالرَّفْصِ عَلَى كُلِّ تَوَقُّعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحَمَقِ فِي كُلِّ قَطْرِ وَالسَّبَبُ الْعَجِيجُ فِي  
 ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ  
 الْحَيَوَانِيِّ وَتَشْبِيهِهِ وَطَابِعَةُ الْحُزَنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْتِبَاضُهُ وَتَكَاثُفُهُ . وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ  
 مُفْسِدَةٌ لِلْهَوَاءِ وَالتَّبَخُّارُ مُخْلِجَةٌ لَهُ زَائِدَةٌ فِي كَيْتِهِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُنتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
 مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ وَذَلِكَ بِمَا يَدْخُلُ بُخَارُ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا  
 سَوْرَةُ الْخَمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مَزَاجِهِ فَيَنْفَسِي الرُّوحُ وَيَجِيءُ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ نَجِدُ  
 الْمُتَتَمِّعِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَتَسَخَّنَتْ  
 لِذَلِكَ حَدَّثَ لَهُمْ فَرَحٌ وَرُبَّمَا أَتَيْتَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالغِنَاءِ النَّاشِئِ عَنِ السُّرُورِ . وَلَمَّا  
 كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْإِقْلِيمِ الْحَارِّ وَاسْتَوَلَى الْحَرُّ عَلَى أَمْزِجَتِهِمْ وَفِي أَصْلِ  
 تَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ  
 بِالنِّبَاسِ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرَ نَفْسِيًّا فَتَكُونُ  
 أَمْرَعُ فَرَحًا وَسُرُورًا وَأَكْثَرَ انْتِسَاطًا وَيَجِيءُ الطَّيْشُ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ وَكَذَلِكَ يَلْتَقِي بِهِمْ  
 قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَاؤُهَا مُتَضَاعِفَ الْحَرَارَةِ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهِ مِنْ  
 أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصْنَهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخِفَّةِ مَوْجُودَةٌ  
 أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ التَّلُّولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ نَجِدُ يَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ  
 مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوَفُّرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَزْيَافِ  
 وَالتَّلُّولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا  
 كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْخِفَّةُ وَالْعَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَدَّخِرُونَ أَقْوَاتَ  
 سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَةً مَا كَلِمَتُهُمْ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ . وَلَمَّا كَانَتْ فَاسُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي التَّلُّولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرَقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزَنِ  
 وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدَّخِرُ قُوَّةَ سَنَتَيْنِ مِنْ حُبُوبِ

الْحِنْطَةَ وَبَاكِرُ الْأَسْوَاقِ لِشَرَاءِ قُوْتِهِ لِيَوْمِهِ مَخَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مُدْخَرِهِ وَتَسْبِغَ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْبِلْدَانِ تَجِدُ فِي الْأَخْلَاقِ أَثْرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلتَّبَحُّثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خَفَةِ السُّودَانَ وَطَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ جَالِينُوسَ وَيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيَّ أَنَّ ذَلِكَ لِيُضْعَفَ أَدْمِغَتَهُمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مُحَصَّلَ لَهُ وَلَا بُرْهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك  
من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

إِعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِيمَ الْمُعْتَدِلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوجَدُ بِهَا الْخِصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا فِي رَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوجَدُ لِأَهْلِهِ خِصْبُ الْعَيْشِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحِنْطَةِ وَالْفَوَاكِهِ لِزَكَاءِ الْمَنَابِتِ وَأَعْتِدَالِ الطَّيْنَةِ وَوُفُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا عَشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ الْيَمَنِ وَمِثْلُ الْمُتَشَمِينَ مِنْ صِنْهَاجَةَ السَّاكِينِ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَالسُّودَانَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَفْقِدُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أُغْدِيَتُهُمْ وَأَقْوَاتُهُمْ الْأَلْبَانَ وَاللُّحُومَ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْفِقَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ التُّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَائِينَ وَتَمَّتْ رِيقَهُ مِنْ حَامِيَتِهَا وَعَلَى الْأَقْلَالِ لِقَلَّةِ وَجْدِهِمْ فَلَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى سِدِّ الْخَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضِلَّافًا عَنِ الرِّغَدِ وَالْخِصْبِ وَتَجِدُهُمْ يَقْتَصِرُونَ فِي غَالِبِ أَخْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَتَعَوَّضُهُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ أَحْسَنَ مَعَاضٍ وَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْفَاقِدِينَ لِلْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْفِقَارِ أَحْسَنَ حَالًا فِي جُسُومِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ التُّلُولِ الْمُتَمَنِّسِينَ فِي الْعَيْشِ قَالُوا إِنَّهُمْ أَصْفَى وَأَبْدَانُهُمْ أَتْقَى وَأَشْكَالُهُمْ أَتَمُّ وَأَحْسَنُ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْأَخْطِافِ وَأَذْهَابُهُمْ أَثَقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْإِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجْرِبَةُ فِي كُلِّ جَيْلٍ مِنْهُمْ فَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِيمَا وَصَنَاهُ وَبَيْنَ الْمُتَشَمِينَ وَأَهْلِ التُّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبَرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَغْذِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْعَفِنَةِ  
وَرُطُوبَاتِهَا تُؤَلِّدُ فِي الْجِسْمِ فَضَالَاتٍ رَدِيئَةً تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِفْطَارِهَا فِي غَيْرِ نِسْبَةٍ وَتَبْعُ  
ذَلِكَ انْتِكَسَافُ الْأَلْوَانِ وَقُبْحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا قُلْنَا هُوَ وَتُعْطِي الرُّطُوبَاتُ  
عَلَى الْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أَمْخَرَتِهَا الرَّدِيئَةِ فَتَجِيءُ الْبَلَادَةُ  
وَالْفَنَلَةُ وَالْإِشْجَرَاتُ عَنِ الْأَعْيُدَالِ بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْفَقْرِ وَمَوَاطِنِ  
الْجَدْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالْمَهَا وَالزَّرَافَةِ وَالْحَمْرُ الْوَحْشِيَّةِ وَالْبَقَرِ مَعَ أَمْثَالِهَا مِنْ  
حَيَوَانِ الثَّلُولِ وَالْأَزْيَافِ وَالْمَرَاعِي الْخَصِيصَةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْنَهَا بَوْتًا بَعِيدًا فِي صَفَاءِ أَدِيمِهَا  
وَحُسْنِ رَوْقِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَّةِ مَدَارِهَا فَالْغَزَالُ أَخُو الْمَعَزِ وَالزَّرَافَةُ  
أَخُو الْبَعِيرِ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخُو الْحِمَارِ وَالْبَقَرُ وَالْبُونُ بَيْنَهَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
أَنَّ الْخَصْبَ فِي الثَّلُولِ فَعَلَ فِي أَبْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضَالَاتِ الرَّدِيئَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ مَا  
ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُهُ وَالْجَمُوعُ لِحَيَوَانِ الْفَقْرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
الْأَدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْخَصِيصَةِ الْعَيْشِ الْكَثِيرَةِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ  
وَالْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهَ يَتَّصِفُ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبَلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْحُسُونَةِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَهَذَا  
شَأْنُ التَّبَرُّبِ الْمُتَمَسِّبِينَ فِي الْأَدَمِ وَالْحِنَظَةِ مَعَ الْمُتَقَشِّبِينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى  
الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ الْمَصَامِدَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ غِمَارَةِ وَالسُّوسِ فَتَجِدُ هُوَلاءَ أَحْسَنَ  
حَالًا فِي عَقُولِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَمَسِّبِينَ فِي الْأَدَمِ  
وَالْبَرِّ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَفْقُودِ بِأَرْضِهِمْ السَّمْنُ حَمَلَةٌ وَغَالِبُ عَيْشِهِمْ الذَّرَّةُ فَتَجِدُ  
لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَاةِ الْعُقُولِ وَخِفَةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يُوْجَدُ لِغَيْرِهِمْ  
وَكَذَا أَهْلُ الضَّوَّاحِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَضَرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
وَإِن كَانُوا مُكْثَرِينَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَدَمِ وَنَخَصِبِينَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَهُمْ إِيَّاهَا  
بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبِيخِ وَالتَّلْطِيفِ بِمَا يَخْطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِذَلِكَ غَلْظُهَا وَيَرِقُّ قِوَامُهَا وَعَامَّةُ  
مَا كَلِمَةُ لَحْمِ الضَّانِ وَالِدَّجَاجِ وَلَا يَغِيظُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَمِ لِتِفَاهَتِهِ فَتَقُلُّ  
الرُّطُوبَاتُ لِذَلِكَ فِي أَعْدِيَّتِهِمْ وَيَخْفُ مَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْفَضَالَاتِ الرَّدِيئَةِ  
فَلِذَلِكَ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّفَّ مِنْ جُسُومِ الْبَادِيَةِ الْخَشِينِ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
تَجِدُ الْمَعُودِينَ بِالْجَمُوعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَا فَضَالَاتٍ فِي جُسُومِهِمْ غَلِيظَةً وَلَا لَطِيفَةً. وَأَعْلَمُ

أَنَّ أَثَرَ هَذَا الْخِصْبِ فِي الْبَدَنِ وَأَخْوَالِهِ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَجَعَدُ  
 الْمُتَقَشِّينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْحَاضِرَةِ مَعْنً يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْجُوعِ وَالْتِجَافِ عَنِ الْمَلَاذِ  
 أَحْسَنَ دِينًا وَإِقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ الثَّرَفِ وَالْخِصْبِ بَلْ نَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
 فِي الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لِمَا يَمُومُ مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالْفَقْلَةِ الْمُتَمَلِّقَةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ اللَّحْمَانِ  
 وَالْأَدَمِ وَلِبَابِ الْبُرِّ وَيَغْتَصُّ وَجُودَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ لِذَلِكَ بِالْمُتَقَشِّينَ فِي غَدَائِهِمْ مِنْ  
 أَهْلِ الْبُؤَادِي وَكَذَلِكَ تَجِدُ هَوْلَاءِ الْمُخْصِبِينَ فِي الْعَيْشِ الْمُنْتَمِسِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْخَوَاصِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ السِّنُونَ وَأَخَذَتْهُمْ الْجَمَاعَاتُ  
 يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْمَلَاكُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مَدِينَةِ فَاَسَ وَمِصْرَ  
 فِيمَا يَبْلُغْنَا لَا مِثْلَ الْعَرَبِ أَهْلِ الْقَفْرِ وَالصَّخْرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النَّحْلِ الَّذِينَ غَالِبُ  
 عَيْشِهِمُ الشَّمْرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالرَّيْتُ  
 وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الثَّدَّةُ وَالزَّيْتُ فَإِنَّ هَوْلَاءِ وَإِنْ أَخَذَتْهُمْ السِّنُونَ  
 وَالْجَمَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمُ الْمَلَاكُ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
 يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَمَسِّبِينَ فِي الْخِصْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
 وَالسَّمَنِ خُصُوصًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رُطُوبَةً فَوْقَ رُطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمَرَاجِيَةِ  
 حَتَّى تَجَاوِزَ حَدَهَا فَإِذَا خُولِفَ بِهَا الْعَادَةُ بِقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَفِضْدَانِ الْأَدَمِ وَأَسْتِعْمَالَ  
 الْحَسَنِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْمَعَا لَيْسُ وَالْإِنْكَاشُ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
 الْقَابِيَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ وَيَهْلِكُ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمُقَاتِلِ فَالْمَالِكُونَ فِي  
 الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّبِيحُ الْمُعْتَادُ السَّابِقُ لَا الْجُوعُ الْحَادِثُ الْأَحْقُ. وَأَمَّا الْمُشْعُودُونَ  
 لِقِلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمَنِ فَلَا تَزَالُ رُطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
 وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَقَعُ فِي مَعَامِهِمْ بِتَبْدُلِ الْأَغْذِيَةِ بَيْسٌ وَلَا انْتِحَافٌ  
 فَيَسْتَلْمُونَ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْمَلَاكِ الَّذِي يَعْزُضُ لِعِزِّهِمْ بِالْخِصْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
 الْمَأْكَلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَأَثْلَافَهَا أَوْ تَزَكَّيَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
 فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غِذَاءً وَلَا أَمَّةً تَنَاوَلَهُ كَانَ لَهُ مَأْلُوفًا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبْدُلُ بِهِ دَاءً  
 مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجُمْلَةِ كَالسَّمُومِ وَالْبِتُّوعِ <sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْتِحَافِ

١ قال في الغاموس البتوع كصور او بتور نبات له لبن دار مهل عرق مقطع والنهور منه سبه

فَأَمَّا مَا وُجِدَ فِيهِ التَّغْذِي وَالْمَلَأَمَةُ فَيَصِيرُ غِذَاءً مَأْلُوفًا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عِوَضًا عَنِ الْخِنْطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَنًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ غِذَاءً وَاسْتَفْنَى بِهِ عَنِ الْخِنْطَةِ وَالْحُجُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ وَكَذَا مِنْ عَوْدِ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى الْجُوعِ وَالِاسْتِعْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ فَإِنَّا نَسْمَعُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا غَرِيبَةً بِكَادٍ يَنْكُرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلْفَتْ شَيْئًا صَارَ مِنْ جِبَلَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا اعْتِيَادُ الْجُوعِ بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعِيَّةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ أَنَّ الْجُوعَ مَهْلِكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ إِلَّا إِذَا حَمَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَقُطِعَ عَنْهَا الْغِذَاءُ بِالْكُلِّيَّةِ فَإِنَّهُ خَيْنُودٌ يَنْحَسِمُ الْمَعَاءُ وَيَنَالُهُ الْمَرَضُ الَّذِي يُخَشَى مَعَهُ الْهَلَاكُ وَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِيَاضَةً بِإِفْلَالِ الْغِذَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَصَوِّفَةُ فَهُوَ يَمْعَزِلُ عَنِ الْهَلَاكِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرُّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِينَتْ عَلَيْهِ الْهَلَاكُ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ يَصِيرُ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَالًا وَأَكْثَرَ وَخَضَرَ أَشْيَاخُنَا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ وَرَنَدَةَ حَبَسَتَا أَنْفُسَهُمَا عَنِ الْأَكْلِ جُمْلَةً مُنْذُ سِنِينَ وَسَاعَ أَمْرُهُمَا وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَأَتَصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الْمَعَزِ يَلْتَقِمُ نُدْبَهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غِذَاءَهُ وَاسْتَدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ وَلَا يُسْتَنْكَرُ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَّةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِفْلَالِ مِنْهَا وَإِنْ لَهُ أَثَرًا فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صَفَائِهَا وَصَلَاحِهَا كَمَا فَلْنَاهُ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَثَارِ الْأَغْذِيَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَذِّينَ بِالْحُمُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاحِشَةِ الْعَظِيمَةِ الْجُنْمَانَ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ. وَهَذَا مُشَاهَدٌ فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْخَاضِرَةِ وَكَذَا الْمُتَغَذُّونَ بِاللَّبَنِ الْإِبِلِ وَالْحُمُومِ أَيْضًا مَعَ مَا يُؤْتَرُ فِي

الشجر واللاعية والعرطشيا والماهودانة والمازريون والفلجلمت والمشر وكل النوعات اذا استعملت في غير وجهها هلكت اه

أَخْلَافِهِمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَحْصَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ الْمَوْجُودِ ذَلِكَ لِلْإِبِلِ  
وَتَنَشَأُ أَمْعَاؤُهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ أَمْعَاءِ الْإِبِلِ فِي الصَّحَّةِ وَالغَلِظِ فَلَا يَطْرُقُهَا الْوَهْنُ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ فَيَسْرَبُونَ الْبِتُوعَاتِ لِاسْتِطْلَاقِ بَطُونِهِمْ غَيْرَ  
مَحْجُوبَةٍ كَالْحَنْظَلِ قَبْلَ طَبْخِهِ وَالذَّرِيَّاسِ وَالْقَرْيُونِ وَلَا يَنَالُ أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهَا ضَرْزٌ وَهِيَ لَوْ  
تَنَالَتْهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرَّفِيقَةُ أَمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْمَلَكَ  
أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّمِيَةِ وَمِنْ تَأْثِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجْرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا عُذِّبَتْ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوحَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِبِلِ وَاتَّخَذَ يَبِضَهَا ثُمَّ حَضَنْتْ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَفْتُونَ عَنْ تَغْذِيَتِهَا وَطَبْخِ الْحُبُوبِ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْمَحْضَنِ فَيَجِيءُ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعِظَمِ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْتَا هَذِهِ الْآثَارَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُوعَ أَيْضًا آثَارًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الصَّدِينَ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْثِيرِ وَعَدَمِهِ فَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْجُوعِ فِي تَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْمُخْتَلِطَةِ الْخُلَّةَ بِالْجِسْمِ وَالْعَقْلَ كَمَا كَانَ الْغِذَاءُ مُؤَثِّرًا فِي وُجُودِ ذَلِكَ الْجِسْمِ -  
وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالنفطه او الرياضة

ويتقدمه الكلام في الوحي والروبا

إِعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ أَشْخَاصًا فَضَّلَهُمْ بِخَطَابِهِ وَفَطَّرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَمَلَهُمْ وَسَأَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ بَعْرَ قُوتِهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ وَيَحْرَ ضُوتِهِمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِحُجْرَانِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيمَا يَأْقِدُ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى السِّنْتِهِمْ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمُغَيَّبَةِ عَنِ الْبَشَرِ  
الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ بِوَسَاطَتِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَابَهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ خَبْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ  
خَاصِيَّتِهِ وَضُرُورَتِهِ الصِّدْقُ لِمَا يَتَبَيَّنُ لَكَ عِنْدَ بَيَانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةُ هَذَا الصِّنْفِ



مِنَ الْبَشَرِ أَنْ تُوجَدَ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبَةٌ عَنِ الْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ مَعَ غَطِيطٍ كَأَنَّهَا  
 عَشِيٌّ أَوْ إِغْمَاءٌ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَلَيْسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ الرَّوْحَانِيِّ بِإِذْرَافِهِمُ الْمُنَاسِبَ لَهُمْ أَخْرَاجَ عَنِ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكَلِمَةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعِ دَوِيِّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَتَفَهَّمُهُ أَوْ بِتَمَثُّلٍ لَهُ  
 صُورَةً تُخَضِّصُ بِخَاطِبِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْفِي إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوَحْيِ أَحْيَانًا بِأَتَيْتَنِي مِثْلَ صَلَاطَةِ  
 الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا بِتَمَثُّلٍ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا  
 فِي كَلِمَتِي نَأَعِي مَا يَقُولُ وَيُدْرِكُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْفَطْرِ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ مِمَّا يَعْلَمُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَنْفِصِدُ عَرَقًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَلَا جَلَّ لَهُ فِي هَذِهِ الْغَايَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَيٌّْ أَوْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يُضَلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمِنْ عِلْمَاتِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقٌ الْخَيْرِ  
 وَالرِّكَاءِ وَبِحِجَابَةِ الْمَذْمُومَاتِ وَالرِّجْسِ أَجْمَعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعِصْمَةِ وَكَأَنَّهُ مَقْطُورٌ  
 عَلَى التَّنْزِهِ عَنِ الْمَذْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَّهُا مُنَافِيَةٌ لِجَبَلِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ حَمَلَ  
 الْحِجَارَةَ وَهُوَ عِلَامٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَعَمَلًا فِي إِزَارِهِ فَانْكَشَفَ فَسَقَطَ  
 مَغْشِبًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَدْرَجَ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَبِئْسَ فِيهَا هُرُوسٌ وَلَعِبٌ فَاصَابَهُ  
 عَشِيٌّ النَّوْمِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُحْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُ بِجَبَلَتِهِ يَنْزَهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالثُّومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنَا جِي مَنْ لَا تُنَاجُونَ وَأَنْظُرْ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا بَجَّأَتْهُ  
 وَأَرَادَتْ اخْتِبَارَهُ فَقَالَتْ أَجْعَلْنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ النَّيَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخُضْرَةُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلِكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخُضْرَةَ  
 مِنَ الْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَأَكَّةِ وَالسَّوَادُ مِنَ الْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .

وَمِنْ عَلَامَتِهِمْ أَيْضًا دُعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَحْتَاجَا فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْضَرَ مَنْ وَجَدَ يَبْلُغُهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ يَمُومُكُمْ يَا مَرْكُمُ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِفَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا نَقُولُ  
 حَقًّا فَهَوُ نَبِيٌّ وَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ وَالْعِفَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ <sup>(١)</sup> هُوَ الْعِصْمَةُ  
 فَانظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالِدُعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى هَيْجَةِ نُبُوِّهِ وَلَمْ  
 يَحْتَجْ إِلَى مُعْجِزَةٍ قَدَلَّ عَلَى أَنْ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ . وَمِنْ عَلَامَاتِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ الْحَاكِمُ عَلَى الصَّحِيحِينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرَقْلَ لِأَبِي  
 سَفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فِيكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ فِيمَا دُوْحَسَبٍ فَقَالَ  
 هِرَقْلُ وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا وَمِعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِصْبَةٌ وَشَوْكَةٌ تَمْنَعُهُ  
 عَنْ أَدَى الْكُفْرَانِ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَتِمَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ . وَمِنْ  
 عَلَامَاتِهِمْ أَيْضًا وَفُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَعْمَالُ يَهْجُرُ الْبَشَرُ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجِزَةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا نَقَعَ فِي غَيْرِ مَعْمَلٍ قُدْرَتِهِمْ  
 وَالنَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ وَفُوعِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ خِلَافَ مَا لَمَسَّ كَلِمُونَ بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْخُتَارِ قَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ النَّبِيُّ وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الدُّهُجَةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا التَّحْدِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفُوعِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي مَدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ نَزَلَتْ مَنزِلَةَ الْقَوْلِ  
 الصَّرِيحِ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دَلَالَتُهَا حِينَئِذٍ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُحْجِزَةُ الدَّالَّةُ  
 بِجَمْعِ الْخَارِقِ وَالتَّحْدِي وَذَلِكَ كَانَ التَّحْدِي جُزْأً مِنْهَا وَعِبَارَةٌ الْمُتَكَلِّمِينَ صِفَةً  
 نَفْسِهَا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الدَّاتِي عِنْدَهُم وَالتَّحْدِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكِرَامَةِ

(١) قولة الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان

وَالسِّحْرِ إِذْ لَا حَاحَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وَجُودَ لِلتَّحْدِي إِلاَّ إِنْ وُجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكِرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُعْزِمُهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْوِلَايَةِ وَهِيَ  
غَيْرُ النُّبُوَّةِ وَمِنْ هُنَا مَنَعَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَقُوعَ الْخَوَارِقِ كِرَامَةً فِرَارًا مِنْ  
الْإِنْبَاسِ بِالنُّبُوَّةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِالْوِلَايَةِ وَقَدْ أَرَبْنَاكَ الْمَعَايِرَةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ يَتَّحَدَى  
بِغَيْرِ مَا يَتَّحَدَى بِهِ النَّبِيُّ فَلَا لَبْسَ عَلَى أَنْ النُّقْلَ عَنِ الْأُسْتَاذِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
وَرُبَّمَا حَمَلَ عَلَى إِنْكَارِ لِيْنِ نَقَعَ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءٌ عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مِنْ  
الْقَرِيبَيْنِ بِخَوَارِقِهِ . وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَالْمَنْعُ مِنْ وَقُوعِ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقَ  
لَيْسَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَفْعَالِهِمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَقُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ تَلْيِيسًا  
فَهُوَ مُحَالٌ أَمَا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلِإِنَّ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ التَّصْدِيقُ وَالْهُدَايَةُ فَلَوْ وَقَعَتْ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ أَتَقَلَّبَ الدَّلِيلُ شُبُهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَاسْتَحَالَتِ الْحَقَائِقُ  
وَأَتَقَلَّبَتْ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وَقُوعِ الْحَالِ لَا يَكُونُ مُسْكِنًا وَأَمَّا عِنْدَ  
الْمُعْتَزَلَةِ فَلِإِنَّ وَقُوعَ الدَّلِيلِ شُبُهَةً وَالْهُدَايَةَ ضَلَالَةً فَيُحْبِصُ فَلَا يَقَعُ مِنَ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكْمَاءُ  
فَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَلَوْ كَانَتْ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
الْإِيجَابِ الدَّقَائِقِ وَوُقُوعِ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشَّرْطِ  
الْحَادِثَةُ مُسْتَنَدَةٌ أَخِيرًا إِلَى الْوَاجِبِ الْفَاعِلِ بِأَلْذَاتِ لَا بِالِاخْتِيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصُّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةِ الْعَنَاصِرِ لَهُ فِي التَّكْوِينِ  
وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ مُجْبُولٌ عَلَى التَّصْرِيْفِ فِي الْأَكْوَانِ مَهْمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَاسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاهُ كَانَ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
بِصِدْقِهِ مِنْ حَيْثُ دَلَّاهُ عَلَى تَصْرُفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا تَكُونُ دَلَالَتُهَا عِنْدَهُمْ  
قَطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جَزْأً مِنَ الْمُعْجِزَةِ وَلَمْ يَصِحَّ  
فَارِقًا لَهَا عَنِ السِّحْرِ وَالْكِرَامَةِ وَفَارِقُهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السِّحْرِ أَنَّ النَّبِيَّ مُجْبُولٌ عَلَى أَعْمَالِ  
الْخَلْقِ مَصْرُوفٌ عَنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ فَلَا يَلِيْمٌ الشَّرُّ بِخَوَارِقِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضِّدِّ فَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا  
شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقُهَا عَنِ الْكِرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مُخْصُوصَةٌ كَالصُّعُودِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالتَّنَزُّدِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ

في الهواء وخوارق الولي دون ذلك ككثير القليل والحديث عن بعض المستقبل  
 وأمثاله مما هو قاصر عن نصريف الأنبياء وبآتي النبي بجميع خوارفه ولا يقدر هو  
 على مثل خوارق الأنبياء وقد قرّر ذلك المتصوفة فيما كتبه في طريقهم ولقنوه عن  
 أخبرهم وإذا قرّر ذلك فأعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن  
 الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع  
 مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه  
 الوحي المدعى وهو الخارق المعجز شاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له  
 كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لا يحتاج الدليل والمدلول فيه وهذا  
 معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وآتي من الآيات ما مثله  
 آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى إلي فإنا أزجوا أن أكون أكثرهم  
 تابعا يوم القيامة يسير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة  
 الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصديق لها أكثر لوضوحها فكثير المصدق  
 المؤمن وهو التابع ولامة

ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعلم. أزدنا الله وإياك أننا نشاهد هذا العالم بما فيه من الخلقات كلها على هيئة  
 من الترتيب والإحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الآتون بالآتون  
 واستحالة بعض الموجودات إلى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وأبداً  
 من ذلك العالم المحسوس الجسماني وأول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً  
 من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها  
 مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الأوقات والصاعد  
 منها اللطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو اللطف من الكل على  
 طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط وبها

يهتدي بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الدوات التي لها  
هذه الآثار فيها ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم  
الحيوان على هيئة بدية من التدرج آخر أفعى المعادن متصل بأول أفعى النبات مثل  
الحشائش وما لا بذرة له وآخر أفعى النبات مثل النحل والكرم متصل بأول أفعى  
الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة الأمتس فقط ومعنى الاتصال  
في هذه المكنونات أن آخر أفعى منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول  
الرفق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين  
إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس  
والإدراك ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفعى من الإنسان  
بعده وهذا غاية شهودنا ثم إننا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة في عالم الحس  
آثار من حركات الأفلاك والناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة التمس والإدراك  
تشهد كلها بأن لها مؤثراً مابناً للأجسام فهو روحاني ويتصل بالمكنونات لوجود  
اتصال هذا العالم في وجودها ولذلك هو النفس المدركة والحركة ولا بد فورها من  
وجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ويتصل بها أيضاً ويكون ذاته إدراكاً  
صرفاً ونعمة لا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد  
للانسيلاخ من البشرية إلى الملكة ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من  
الأوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما  
تذكره بعد ويكون لها اتصال بالأفعى الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة كما  
قدمناه فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل وهي متصلة بالبدن من أسفل منها وتكتسب  
به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على المعقل بالفعل ومتصلة من جهة الأعلى  
منها بأفعى الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فإن عالم الحوادث  
موجود في تعقلاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المعك في الوجود  
بالاتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم إن هذه النفس الإنسانية غائبة عن العيان  
وآثارها ظاهرة في البدن فكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومفترقة آلات للنفس وقواها  
أما الفاءلية فالبتش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية

بِالْبَدَنِ مُتَدَافِعًا وَأَمَّا الْمُدْرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْأِدْرَاكِ مُرْتَبَةً وَمُرْتَقِبَةً إِلَى الْقُوَى  
 الْعُلْمِيَّةِ مِنْهَا وَمِنَ الْمَفْكِرَةِ الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحِسِّ الظَّاهِرَةِ بِالْأَلَمَةِ مِنَ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِهَا يَرْتَفِعُ إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَّةٌ تُدْرِكُ  
 الْحَسُوسَاتِ مُبْصِرَةً وَمَسْمُوعَةً وَمَلْمُوسَةً وَغَيْرَهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارْتَقَتْ قُوَّةُ  
 الْحِسِّ الظَّاهِرِ لِأَنَّ الْحَسُوسَاتِ لَا تَزْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُؤَدِّبُهُ الْحِسُّ  
 الْمُشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَّةٌ تُعْمَلُ الشَّيْءُ الْحَسُوسِ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجْرَدٌ عَنِ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطْ وَاللَّهُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَضَرُّفِهِمَا الْبَطْنِ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مُقَدَّمُهُ لِلأَوَّلَى وَمُؤَخَّرُهُ لِلثَّانِيَةِ ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةِ فَأَلُوَاهِمَةُ لِإِدْرَاكِ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعِدَاوَةِ زَيْدٍ وَصَدَاقَةِ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْآبِ وَأَقْرَابِ  
 الدُّنْيَا وَالْحَافِظَةُ لِإِيْدَاعِ الْمُدْرَكَاتِ كُلِّهَا مُخْتَلَةً وَهِيَ لَهَا كَالْحِرَازَةِ تَحْفَظُهَا لَوَقْتِ  
 الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَاللَّهُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَضَرُّفِهِمَا الْبَطْنِ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ أَوَّلُهُ لِلأَوَّلَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلآخِرَى ثُمَّ تَرْتَفِعُ جَمِيعُهُمَا إِلَى قُوَّةِ الْفِكْرِ وَاللَّهُ الْبَطْنَ الْأَوْسَطَ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَّةُ  
 الَّتِي يَقَعُ بِهَا حَرَكَةُ الرُّؤْيَةِ وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ التَّعْمَلِ فَتُحَرِّكُ النَّفْسَ بِهَا دَائِمًا لِمَا رُكِبَ فِيهَا  
 مِنَ النَّزْوَعِ لِلتَّخْلِصِ مِنْ دَرَكِ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعْمَلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِدْرَاكِهَا بِغَيْرِ الْآلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَسْلَخُ  
 بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَكِيَّةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اِكْتِسَابِ  
 بَلْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَبَلَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأَوَّلَى فِي ذَلِكَ وَالتَّنْفِيسِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 اصْنَافٍ صِنْفٍ عَاجِزٍ بِالتَّطَبُّعِ عَنِ الْوُضُوعِ فَيَنْقَطِعُ بِالحَرَكَةِ إِلَى الْجِهَةِ السُّفْلَى نَحْوَ  
 الْمَدَارِكِ الْحِسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتُرَكِّبُ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى قَوَانِينٍ مَحْصُورَةٍ  
 وَتُرَتِّبُ خَاصًّا يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ التَّصَوُّرِيَّةَ وَالتَّصَدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلِّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُنْخَصَرٌّ نِطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةِ مَبْدَإِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ فَسَدًا مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَغْلَابِ نِطَاقُ الْأِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرَسُّخُ أَقْدَامِهِمْ وَصِنْفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعَقْلِ  
 الرُّوحَانِيِّ وَالْأِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْآلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِمَا جُعِلَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ

لِذَلِكَ فَيَنْسَجُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ نِطَاقُ الْأِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
 وَبَسْرُحُ فِي فِضَاءِ الْمَشَاهِدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانُ كُلِّهَا نِطَاقُهَا مِنْ مَبْدَأِهَا وَلَا مِنْ  
 مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِيَّاءِ أَهْلِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ وَهِيَ  
 الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرْزَخِ وَصِنْفٍ مَقْطُورٍ عَلَى الْأَنْسِلَاحِ مِنْ  
 الْبَشَرِيَّةِ جُمْلَةً جِسْمَانِيَّتِهَا وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى لِصَبْرِ فِي لَمَحَّةٍ  
 مِنْ الْأَحْمَاتِ مَلَكًا بِالْفِعْلِ وَيَحْصُلُ لَهُ شُهُودُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْهَمِ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
 النَّفْسَانِيِّ وَالْخَطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَهِيَ لَأَيَّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
 جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَنْسِلَاحَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فِطْرَةٌ فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
 عَلَيْهَا وَجَبَلَهُمْ صَوْرَهُمْ فِيهَا وَنَزَمَهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ مَا دَامُوا مُلَابِسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
 بِمَا رُكِبَ فِي غَوَائِزِهِمْ مِنَ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي يُعَاذُونَ بِهَا تِلْكَ الْوَجْهَةَ وَرُكِبَ فِي  
 طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةٌ فِي الْعِبَادَةِ تُكْشِفُ بِتِلْكَ الْوَجْهَةِ وَتُسَبِّغُ نَعْوَاهَا فَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
 الْأَفْقِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْأَنْسِلَاحِ مَتَى شَاءَ وَابْتِلَاكُ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا يَأْكُتَسَابِ  
 وَلَا صِنَاعَةٍ فَلِذَا تَوَجَّهُوا وَانْسَلَخُوا عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَائِكَةَ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
 عَاجِبًا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مُتَزَلِّفِي قُوَاهَا لِحِكْمَةِ التَّلْبِيغِ لِلْعِبَادَةِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ دَوْبًا  
 كَأَنَّهُ رَمَزٌ مِنَ الْكَلَامِ بِأَخْذِ مَبْنَى الْمَعْنَى الَّذِي يُبَيِّنُ إِلَيْهِ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ وَيَبْعِي مَا يَقُولُهُ  
 وَاللَّتْقَى مِنَ الْمَلِكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَهْمُهُ مَا أُتِيَ عَلَيْهِ كُلُّهُ كَأَنَّهُ فِي  
 لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَمَحٍ الْبَصْرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا نَفْعٌ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
 كَانَهَا سَرِيعَةً وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللُّغَةِ الْإِسْرَاعُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
 حَالَةُ الدَّوْبِيِّ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقُوهُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تُمَثُّلِ  
 الْمَلِكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
 مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَمَّا سَأَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ  
 هِشَامٍ وَقَالَ كَيْفَ يَا نَبِيَّكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا بِأُتَيْتُ مِثْلَ صَلَاحَةِ الْجُرْسِ وَهُوَ أَشَدُّ  
 عَلَيَّ فَيَنْفَسِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْمِي مَا يَقُولُ  
 وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ

فِعَسْرُ بَعْضِ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّمْعِ وَصَعِبَ  
مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَبِكَثْرُ التَّلَقِّيِ يَسْهُلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يَبْرُجُ  
إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَعِ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ وَفِي  
الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأُولَى بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجِيءَ التَّمَثِيلِ لِحَالَتِي الْوَحْيِ فَمَثَلُ الْحَالَةِ الْأُولَى  
بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارِفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفَهْمَ وَالْوَحْيَ يَتَّبَعُهُ غَيْبُ انْقِضَائِهِ  
فَنَاسَبَ عِنْدَ تَصْوِيرِ انْقِضَائِهِ وَانْفِصَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَحْيِ بِالْمَاضِي الْمُطَابِقِ لِلانْقِضَاءِ  
وَالانْقِطَاعِ وَمَثَلُ الْمَلِكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يَغَاطِبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلامُ يُسَاقِفُهُ  
الْوَحْيُ فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمُضَارِعِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كُلِّهَا  
صُعُوبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَشَدَّةٌ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ مِمَّا يُعَانِي مِنَ التَّنْزِيلِ شَدَّةٌ وَقَالَتْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُضْمُّ عَنْهُ وَإِنْ جَيِّدَةً لِيَتَفَصَّدُ عَرَقًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
الْحَالَةِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالغَطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا قَرَرْنَا مُفَارَقَةً  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَكِيَّةِ وَتَلْقَى كَلَامَ الْمَلَكِ فَيَحْدُثُ عَنْهُ شَدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
الذَّاتِ ذَاتِهَا وَانْسِلَاحِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقِهَا إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخِرِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْغَطِيطِ الَّذِي  
عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ نَعَطْنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ أَقْرَأْ فَقُلْتُ  
مَا أَنَا بِقَارِئٍ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يُفْضَى الْأَعْتِيَادُ بِالْتَدْرِيجِ فِيهِ  
شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى بَعْضِ السُّهُولَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَوْلُهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلُ نُجُومِ الْقُرْآنِ  
وَسُورِهِ وَآيِهِ حِينَ كَانَ يَمَكَّةً أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنْظَرُ إِلَى مَا نُقِلَ فِي نَزُولِ  
سُورَةِ بَرَاءةٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا نَزَلَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرٌ . نَاقَتِهِ  
بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمَكَّةً يَنْزِلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمُفْصَلِ فِي وَفْتٍ وَيَنْزِلُ الْبَاقِي  
فِي حِينَ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الدِّينِ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الطُّولِ بَعْدَ  
أَنَّ كَانَتْ الْآيَةُ تَنْزَلُ يَمَكَّةً مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْمَدَنِّ وَالضُّحَى  
وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَأَعْتَبَرْنَا مِنْ ذَلِكَ عَلَامَةً تُعَيِّرُ بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنَ السُّورِ  
وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا مُحْصَلُ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَمَّا الْكُفَّاهَةُ فَهِيَ أَيْضًا



مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا مَرَّ أَنْتَ لِلنَّفْسِ  
 الْإِنْسَانِيَّةِ اسْتِعْدَادًا لِلْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا وَأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ  
 ذَلِكَ لَحْمَةٌ لِلْبَشَرِ فِي صِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا فَطِرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ  
 غَيْرِ أَكْتِسَابٍ وَلَا اسْتِعْمَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَلَا مِنَ التَّصَوُّرَاتِ وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ  
 الْبَدَنِيَّةِ كَلَامًا أَوْ حَرَكَةً وَلَا بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ انْسِلَاحٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ  
 بِالْفِطْرَةِ فِي لَحْظَةٍ أَقْرَبَ مِنْ لَحْظِ الْبَصَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ الْاسْتِعْدَادُ  
 مَوْجُودًا فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُعْطَى التَّقْسِيمَ الْعَقْلِيَّ وَإِنْ هُنَا صِنْفًا آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ نَاقِصًا  
 عَنِ رُتْبَةِ الصِّنْفِ الْأَوَّلِ نَقْصَانُ الضِّدِّ عَنْ ضِدِّهِ الْكَامِلِ لِأَنَّ عَدَمَ الْاسْتِعْمَانَةِ فِي ذَلِكَ  
 الْإِدْرَاكِ ضِدُّ الْاسْتِعْمَانَةِ فِيهِ وَشَتَانٌ مَا بَيْنَهُمَا فَإِذَا أُعْطِيَ تَقْسِيمَ الْوُجُودِ إِلَى هُنَا صِنْفًا  
 آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ مَفْطُورًا عَلَى أَنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ حَرَكَتَهَا الْفِكْرِيَّةَ بِالْإِرَادَةِ  
 عِنْدَمَا يَتَعَمَّقُ التَّزَوُّعَ لِلذَّكَ وَهِيَ نَاقِصَةٌ عَنْهُ بِالْجِبَلَةِ عِنْدَمَا يَعْرِفُهَا أَعْجَزُ عَنْ ذَلِكَ تَشَبُّهُ  
 بِأُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ مَحْسُوسَةٍ أَوْ مُتَخَيَّلَةٍ كَالْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ وَعِظَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَتَجْمَعُ  
 الْكَلَامَ وَمَا سَنَحَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَيَسْتَدِيمُ ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ أَوْ التَّخَيُّلُ مُسْتَعِينًا بِهِ  
 فِي ذَلِكَ الْإِنْسِلَاحِ الَّذِي يَقْصِدُهُ وَيَكُونُ كَالْمَشِيعِ لَهُ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي فِيهِمْ مَبْدَأُ  
 لِلذَّكَ الْإِدْرَاكِ هِيَ الْكَمَّانَةُ وَلِكُونَ هَذِهِ النَّفْسُ مَفْطُورَةٌ عَلَى النِّقْصِ وَالْقُصُورِ عَنِ  
 الْكَمَالِ كَانَ إِدْرَاكُهَا فِي الْجُزْئِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْكَمَالِيَّاتِ وَلِذَلِكَ تَكُونُ الْخَيْلَةُ فِيهِمْ  
 فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهَا آلَةُ الْجُزْئِيَّاتِ فَتَنْفَعُ فِيهَا نَفُودًا تَامًا فِي نَوْمٍ أَوْ يَقْظَةٍ وَتَكُونُ عِنْدَهَا  
 حَاضِرَةٌ عَيْنِدَةً تُحَضِّرُهَا الْخَيْلَةُ وَتَكُونُ لَهَا كَالْمِرَاةِ تَنْظُرُ فِيهَا دَائِمًا وَلَا يَقْوَى الْكَاهِنُ  
 عَلَى الْكَمَالِ فِي إِدْرَاكِ الْمَعْقُولَاتِ لِأَنَّ وَجْهَهُ مِنْ وَجْهِ الشَّيْطَانِ وَأَرْفَعُ أَحْوَالِ  
 هَذَا الصِّنْفِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْكَلامِ الَّذِي فِيهِ السَّمْعُ وَالْمُؤَاوَنَةُ لِيُدْتَمِعَ بِهِ عَنِ الْحَوَاسِرِ  
 وَيَقْوَى بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ النَّائِصِ فَيَنْجِسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي  
 يُشَبِّهُهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَقْذِفُهُ عَلَى لِسَانِهِ قَرُبًا صَدَقَ وَوَأَفَقَ الْحَقُّ وَرُبَّمَا كَذَبَ  
 لِأَنَّهُ يُتَمِّمُ نَقْصَهُ بِأَمْرِ أَجْنَبِيِّ عَنِ ذَاتِهِ الْمُدْرِكَةِ وَمَبَايِنَ لَهَا غَيْرَ مُلَائِمٍ فَيَعْرِضُ لَهُ  
 الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا يَكُونُ مَوْثُوقًا بِهِ وَرُبَّمَا يَفْزَعُ إِلَى الظُّنُونِ وَالْتِمَهِينَاتِ  
 حِرْصًا عَلَى الظُّفْرِ بِالْإِدْرَاكِ بِزَعْمِهِ وَتَمْوِيهَا عَلَى السَّائِلِينَ وَأَصْحَابِ هَذَا السَّمْعِ هُمْ

الْخَصُوصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي مِثْلِهِ هَذَا مِنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ لَجَعَلِ السَّجْعَ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لِابْنِ  
 صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ بَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَا بُنَيَّ صَادِقًا  
 وَكَاذِبًا فَقَالَ خَلَطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ النَّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الصِّدْقُ فَلَا يَعْتَرِبُهَا الْكَذِبُ  
 بِحَالٍ لِأَنَّهَا اتَّصَلَتْ مِنْ ذَاتِ النَّبِيِّ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشِيعٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِأَجْنَبِيٍّ  
 وَالْكُهَّانَةُ لَمَّا أَحْتَاغَ صَاحِبُهَا بِسَبَبِ عَجْزِهِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
 دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتُ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْتَلِطًا بِهَا وَطَرَفُهُ  
 الْكَذِبُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَامْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ نَبُوَّةً وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْكُهَّانَةِ  
 حَالَةَ السَّجْعِ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخَذَ مِنْ سَائِرِ الْمُعْيَبَاتِ مِنَ الْمَرِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ  
 وَتَدُلُّ خِفَّةُ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبَعْدُ فِيهِ عَنِ التَّجْزِئِ بَعْضَ  
 الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةُ قَدِ انْقَطَعَتْ مُنْذُ زَمَنِ النَّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
 مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهْبِ بَيْنَ يَدَيْ الْبَعْتَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ خَيْرِ  
 السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَبَطَلَتْ  
 الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمِئِذٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
 تَكُونُ مِنْ نُفُوسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَأَيْضًا فَالْآيَةُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمُخْبِرِ الْبَعْتَةِ وَلَمْ يَمْنَعُوا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
 فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْقِطَاعُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبُوَّةِ فَقَطْ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
 عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا تَخْتَمِدُ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ كَمَا تَخْتَمِدُ  
 الْكُوكُوبُ وَالسَّرُجُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النَّبُوَّةَ هِيَ النُّورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَغْفِي مَعَهُ  
 كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْكُهَّانِ أَنَّهَا إِنَّمَا تُوجَدُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
 وَهَكَذَا كُلُّ نَبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النَّبُوَّةِ لَا يُدَلِّهِ مِنْ وَضْعِ فَلَكِيٍّ يَقْتَضِيهِ وَفِي تَمَامِ  
 ذَلِكَ الْوَضْعِ تَمَامُ تِلْكَ النَّبُوَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا وَتَقْصُرُ ذَلِكَ الْوَضْعُ عَنِ التَّمَامِ يَقْتَضِي  
 وُجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَاقِصَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكُهَّانِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ  
 فَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ الْكَمَالُ يَقَعُ الْوَضْعُ النَّاقِصُ وَيَقْتَضِي وُجُودَ الْكُهَّانِ إِذَا  
 وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وُجُودُ النَّبِيِّ بِكَمَالِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع  
الفلكي يقتضي بعض أثر وهو غير مسلم فاعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته  
أخالصة ولو نقص بعض أجزاءها فلا يقتضي شيئاً لا إنه يقتضي ذلك الأثر فائصاً كما  
قاله ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة  
معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما يكل إنسان من أمر اليوم  
ومعقوبية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للنائم ولا يصدّم عن ذلك ويوفهم  
في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لأمية  
بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فإذا  
غلب الإيمان وانقطعت تلك الأمانى آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطبيعة الأسدي  
وسواد بن فارب وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن  
الإيمان. وأما الرؤيا فحقيقة بها مطالعة النفس الذاتية في ذاتها الروحانية لعدة من صور  
الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما  
هو شأن اللوات الروحانية كلها وتصير روحانية بأن تتجرد عن المواد الجسدية  
والمدارك البدنية وتذيق لها ذلك لعدة بسبب النوم كما نذكر ففتنيس بها علم ما  
فتشوف إليه من الأمور المستقبلة وتعود به إلى مداركها فإن كان ذلك الاقتباس  
ضعيفاً وغير جلي بالعكس والتمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من أجل هذه العكس  
إلى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغنى فيه عن العكس فلا يحتاج إلى تعبير  
لخوصه من التمثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللغظة للنفس أنها ذات روحانية  
بألقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً تحضاً ويكمل وجودها  
بالفعل فتكون حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية إلا أن  
نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى على الذين لم يستكملوا  
ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لما دامت في البدن  
ومنه خاص كالذي للأولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا. وأما الذي  
للأنبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية إلى الملكية المحضة التي هي أعلى  
الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما

يَعْرَجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْأَجَلِ دَرَكٍ شَبِيهَا بِحَالِ النَّوْمِ شَبِيهَا  
بِنَا وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَدْوَنَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ وَأَجَلٌ هَذَا الشَّبَهُ عِبْرَ الشَّارِعِ عَنِ الرُّؤْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رِوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدَدُ فِي حَمِيهَا مَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَفَاوُتِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّبْعِينَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رِوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَأِ الرُّؤْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَهِيَ نِصْفُ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوَّةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامٌ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنِ الرُّؤْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوَّةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوَّةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا مِمَّا ذَكَرْتَاهُ أَوْلَا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْجُزْءِ نِسْبَةُ الْأَسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ الشَّامِلِ  
لِلبَشَرِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَاصِّ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفِطْرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْأَسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي الشَّرِّ وَمَعَهُ عَوَائِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَوَانِعِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةُ فَفَطَرَ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى ارْتِفَاعِ  
حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَبَلِيٌّ لَهُمْ فَتَشَعَّرُ النَّفْسُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَشَوَّفُ إِلَيْهِ فِي عَالِمِ الْحَقِّ فَتُدْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَمَحَّةٌ يَكُونُ فِيهَا الظُّفْرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ  
وَمَا سَبَبُ ارْتِفَاعِ حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ فَعَلَى مَا أَصِفُهُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا إِدْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَهُوَ بِخَارِ لَطِيفٍ مَرَكُزُهُ بِالتَّجْوِيفِ  
الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كُتُبِ التَّشْرِيحِ لِلجَالِينُوسِ وَغَيْرِهِ وَيَتَبَعُثُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرِيكَاتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطَى الْحَسَّ وَالْحَرَكََةَ وَمَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَرْتَقِعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَلَتَمَّ أَعْمَالُ الْقُوَى الَّتِي فِي بَطُونِهِ فَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تُدْرِكُ  
وَتَعْقِلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْجَبَارِيِّ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي أَنَّ  
الْطِيفَ لَا يُؤْتَرُ فِي الْكَثِيفِ وَلَمَّا لَطَفَ هَذَا الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

صَارَ مَحَلًّا لِأَثَارِ الذَّاتِ الْمُبَايِنَةِ لَهُ فِي جِسْمَانِيَّتِهِ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ آثَارُهَا حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوِاسِطَتِهِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ إِدْرَاكَهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِ بِالظَّاهِرِ وَهُوَ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِ بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا الْإِدْرَاكِ كُلُّهُ صَارَفٌ لَهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ بِالْفِطْرَةِ وَلَمَّا كَانَتْ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعْرِضَةً لِلْوَسَنِ وَالْفُشْلِ بِمَا يُدْرِكُهَا مِنَ النَّعْبِ وَالْكَدَالِ وَتَغْشَى الرُّوحَ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فَخَافَى اللَّهُ لَهَا طَلَبَ الْإِنْفِجَامِ لِتَجَرُّدِ الْإِدْرَاكِ عَلَى الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِنْفِجَاسِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ مِنَ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْحِسِّ الْبَاطِنِ وَيُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدَنَ مِنَ الْبَرْدِ بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةُ الْفَرِيضِيَّةُ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ مُشِيعَةً مَرَكِبَهَا وَهُوَ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلْبَشَرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا انْفَجَسَ الرُّوحُ عَنِ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ وَخَفَّتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاطِلُ الْحِسِّ وَمَوَانِمُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَمَثَّلَ مِنْهَا بِالتَّرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورٌ خَيَالِيَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعَادَةً لِأَنَّهَا مُنْتزَعَةٌ مِنْ الْمُدْرَكَاتِ الْمُتَعَاهَدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يُنْزَلُهَا الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ فَيُدْرِكُهَا عَلَى أَصْحَاءِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ وَرُبَّمَا انْفَتَحَتِ النَّفْسُ لِقِتَّةً إِلَى ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ تَتَذَكَّرُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ عَلَيْهِ وَتَقْتَسِمُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْخَيَالُ تِلْكَ الصُّورَ الْمُدْرَكَةَ فَيَمَثِّلُهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوْ النِّحَاكَةِ فِي الْقَوَالِبِ الْمَعْمُودَةِ وَالنِّحَاكَةَ مِنْ هَذِهِ هِيَ الْمُحْتَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ وَتَصَرُّفُهَا بِالتَّرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ مِنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تُدْرِكُهُ هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا التَّفْصِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْجَلْبِيُّ مِنَ اللَّهِ وَالنِّحَاكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى التَّعْبِيرِ مِنَ الْمَلِكِ وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يُنْبِغُ الْبَاطِلَ هَذِهِ حَقِيقَةُ الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّبُهَا وَيُشِيعُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ عَلَى الْعَمُومِ لَا يَخْلُو عَنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ

لَهُ فِي بَقْظَتِهِ مِرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرِكَةٌ لِلغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بُدَّ وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ اللَّذَاتِ  
لِلْمُدْرِكَةِ وَاحِدَةٌ وَخَوَاصُّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ الْمَادِي إِلَى الْحَقِّ بَيْنَهُ وَفَضْلِهِ

فصل \* وَوُقُوعُ مَا يَقَعُ لِلبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُنْشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بَيْنَكَ اللَّحْمَةُ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تَقْصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ فَتَرَاهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ ذَكَرَ  
أَسْمَاءُ تَذَكُّرُ عِنْدَ النَّوْمِ فَتَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فِيمَا يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَيَسْتَوْهِنُهَا الْحَالُومِيَّةُ  
وَذَكَرَ مِنْهَا مَسْلَمَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةٌ سَمَّاهَا حَالُومَةُ الطَّبَاعِ الثَّامِ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِ السِّرِّ وَصِحَّةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَهِيَ تَمَاسُ بِعَد  
أَنْ يَسْوَدَ وَغَدَاسُ نَوْفِنَا غَادَسُ وَيَذَكَرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشْفَتِ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحُكِّيَ أَنَّ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَيْلٍ فِي مَأْكَلِهِ وَذَكَرَهُ  
فَتَمَثَّلَ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَّاعُكَ الثَّامُ فَسَأَلَهُ وَآخِرَتُهُ عَمَّا كَانَ يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا بِهِذِهِ الْأَسْمَاءِ مَرَّةً عَجِيبَةً وَأَطَّلْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوَّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُعْجِدُهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُحَدِّثُ  
الْإِسْتِعْدَادَ فِي النَّفْسِ لَوُقُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ الْإِسْتِعْدَادُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعَدُّ لَهُ وَالشَّخْصُ أَنْ يَفْعَلَ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِبْقَاعِ  
الْمُسْتَعَدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَتَدَبَّرْهُ فِيمَا  
تَجِدُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فصل \* ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُقُوعِهَا  
بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صِنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَرْتَجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ النُّجُومِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا نَجِدُ مَدَارَكَهُمْ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَى  
فِطْرَتِهِمْ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَابِيِّينَ وَالنَّاطِرِيِّينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَالْعَرَابِيَّاتِ  
وَالطَّبَّاسِ الْمَاءِ وَالنَّاطِرِيِّينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الزُّجْرِ فِي الطَّيْرِ  
وَالسَّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْخِنْطَةِ وَالنَّوَى وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسْمَعُ أَحَدًا جَعَدَهَا وَلَا إِنكَارَهَا وَكَذَلِكَ الْعَجَائِبُ بُلُغِي عَلَى السِّنِّهِمْ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْغَيْبِ فَيُخْبِرُونَ بِهَا وَكَذَلِكَ النَّامُ وَالْمَيْتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ تَوَمُّهُ بِتَكَلُّمٍ  
بِالْغَيْبِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاضِيَّاتِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكُ فِي الْغَيْبِ عَلَى سَبِيلِ  
الْكَرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ . وَنَحْنُ الْآنَ نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْأِدْرَاكَاتِ كُلِّهَا وَتَبَدُّدِهَا مِنْهَا  
بِالْكِهَانَةِ ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا وَتُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي أَنَّ النَّفْسَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِإِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا  
ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُوجُودَةٍ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ مُدْرِكٌ لِكُلِّ  
أَحَدٍ وَكُلُّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَةٌ وَصُورَةٌ . وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ عَيْنُ  
الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقُلِ فِيهِ تُوْجَدُ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةً لِلإِدْرَاكِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكُلِّيَّةِ  
وَالْجُزْئِيَّةِ ثُمَّ يَتِمُّ لَشُؤْمِهَا وَوُجُودِهَا بِالْفِعْلِ بِمُصَاحَبَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَعُودُهَا بِوُجُودِ مُدْرَكَاتِهَا  
الْمَحْسُوسَةِ عَلَيْهَا وَمَا تَنْتَزِعُ مِنْ تِلْكَ الْأِدْرَاكَاتِ مِنَ الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ فَتَتَعَقَّلُ الصُّورَ  
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَحْصُلَ لَهَا الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقُلُ بِالْفِعْلِ فَتَتِمُّ ذَاتُهَا وَتَبْقَى النَّفْسُ  
كَالْهَيُولَى وَالصُّورُ مُتَعَابِقَةٌ عَلَيْهَا بِالْإِدْرَاكِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَلِذَلِكَ يُجَدُّ الصِّبِيُّ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِدْرَاكِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا بِنَوْمٍ وَلَا بِكَشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَذَلِكَ  
أَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقُلُ لَمْ تَتِمَّ بَعْدُ بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِزَاعُ  
الْكُلِّيَّاتِ ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ حَصَلَ لَهَا مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ نَوَاعِنٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
إِدْرَاكِ بِالْآلَاتِ الْجَسْمِ تُوْدِيهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ وَإِدْرَاكِ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ  
وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْفِصَالِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَبِشَوَاطِلِهَا لِأَنَّ الْحَوَاسَ أَبَدًا جَادِبَةٌ  
لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْجَسْمَانِيِّ وَرُبَّمَا تَنْغَمِسُ مِنَ الظَّاهِرِ  
إِلَى الْبَاطِنِ فَيَنْتَفِعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لِحِظَّةٍ إِمَّا بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِلإِنْسَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
مِثْلَ النَّوْمِ أَوْ بِالْخَاصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِثْلَ الْكِهَانَةِ وَالطَّرْقِ أَوْ بِالرِّيَاضَةِ  
مِثْلَ أَهْلِ الْكَشْفِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فَتَلْتَفِتُ حِينَئِذٍ إِلَى الذُّوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا مِنَ الْعَمَلِ  
لِمَا بَيْنَ أَفْقِهَا وَأَفْقِهِمْ مِنَ الْإِتِّصَالِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَرَّرْنَا قَبْلُ وَتِلْكَ الذُّوَاتُ رُوحَانِيَّةٌ  
وَهِيَ إِدْرَاكِ مُحَضَّرٌ وَعَقُولٌ بِالْفِعْلِ وَفِيهَا صُورُ الْمَوْجُودَاتِ وَحَقَائِقُهَا كَمَا مَرَّ فَيَنْجَلِي  
فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ وَتَقْتَبِسُ مِنْهَا عُلُومًا وَرُبَّمَا دُفِعَتْ تِلْكَ الصُّورُ الْمُدْرَكَةُ إِلَى  
الْحَيَالِ فَيُصْرِفُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يُرَاجِعُ الْحِسَّ بِمَا أَدْرَكَتْ إِمَّا بِجَسَدٍ أَوْ فِي

قَوْلِهِ فَخَبِرْ بِهِ . هَذَا هُوَ شَرْحُ اسْتِمْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ وَلِزَجْجِ إِلَى مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْنَافِهِ . فَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّدَاقَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطِسَاسِ الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانَ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالنَّوَى فَكُلُّهُمْ مِنْ قَبِيلِ الْكُهَّانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضْعَفُ رُتَبَةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكُهَّانَ لَا يَحْتَاجُ فِي رَفْعِ حِجَابِ الْحِسِّ إِلَى كَثِيرٍ مَعَانَاةٍ وَهَوْلَاءُ يُعَانُونَهُ بِإِحْصَارِ الْمَدَارِكِ الْحَسْبِيَّةِ كَمَا فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَمَكِّنُ عَلَى الْمَرْئِيِّ الْبَسِيطِ حَتَّى يَبْدُو لَهُ مَدْرَكَهُ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ مَشَاهِدَةَ هَوْلَاءُ لِمَا يَرَوْنَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ وَنَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْدُو فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَطْحِ الْمِرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ غَمَامٌ يَشْتَمِلُ فِيهِ صُورٌ هِيَ مَدَارِكُهُمْ فَيُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ تَقْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى تَحْوِمَا إِدْرَاكِهِ وَأَمَّا الْمِرَاةُ وَمَا يُدْرِكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يُدْرِكُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوْعُ الْآخَرُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَهُوَ نَفْسَانِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ يَتَشَكَّلُ بِهِ الْمَدْرِكُ النَّفْسَانِيُّ لِلْحِسِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَعْزِضُ لِلنَّاطِرِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَالنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالطِّسَاسِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ هَوْلَاءُ مَنْ يُشْغَلُ الْحِسَّ بِالنَّجْوَرِ فَقَطُّ ثُمَّ بِالْعَزَائِمِ لِلِاسْتِمْدَادِ ثُمَّ يُخْبِرُ كَمَا إِدْرَكَ وَبَزَعْمُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصُّورَ مُتَشَخِّصَةً فِي الْهَوَاءِ فَحَسْبِي لَهُمْ أَحْوَالٌ مَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَعَيْبَةُ هَوْلَاءُ عَنِ الْحِسِّ أَخْفَتْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ أَبُو الْغَرَائِبِ . وَأَمَّا الرَّجْرُ وَهُوَ مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ سُوحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغِيبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعَثُ عَلَى الْحَرِصِ وَالْفِكْرِ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَرْتَبِي أَوْ مَشْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّةُ الْعَمَلَةِ كَمَا قَدَّمْنَا قُوَّةَ قَبِيحَتِهَا فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِينًا بِمَا رَأَاهُ أَوْ سَمِعَهُ فَيُؤَدِّ بِذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَعْلَهُ الْقُوَّةُ الْعَمَلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْحَسُّوسِ الْمَرْئِيِّ فِي يَقْظَتِهِ وَتَجْعَلُهُ مَعَ مَا عَقَلَتْهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرَّوْيَا . وَأَمَّا الْجَبَائِنُ فَنَفُوسُهُمُ النَّاطِقَةُ ضَمِيمَةُ التَّلَقُّقِ بِالْبَدَنِ لِنَسَادِ أَمْزَجَتِهِمْ غَالِبًا وَضَعْفِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَعْرِفَةٍ فِي الْحَوَاسِ وَلَا مُتَغَمِّسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنَ الْمَلْمِ النَّقْصِ وَمَرَضِهِ وَرُبَّمَا زَاخَمَهَا عَلَى



التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وَاَضْعَفُ هُدِيهِ عَنِ مُمَانَعَتِهَا فَيَكُونُ عَنْهُ  
التَّخَبُّطُ فَإِذَا أَصَابَهُ ذَلِكَ التَّخَبُّطُ إِمَّا لِفَسَادِ مِرَاجِهِ مِنْ فِسَادٍ فِي ذَاتِنَا أَوْ لِمِرَاحَةِ مَنْ  
النَّفْسِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي تَعَلُّقِهِ غَابَ عَنِ حِسِّهِ جُمْلَةً فَأَدْرَكَ لَحْمَةً مِنْ عَالَمِ نَفْسِهِ وَأَنْطَبَعَ  
فِيهَا بَعْضُ الصُّورِ وَصَرَفَهَا الْخِيَالُ وَرُبَّمَا نَطَقَ عَنِ لِسَانِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ  
النُّطْقِيَّ وَإِدْرَاكَ هَوْلَاءُ كُلِّهِمْ مَشُوبٌ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ لِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمُ الْإِتِّصَالُ  
وَإِنْ فَقَدُوا الْحِسَّ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِعَانَةِ بِالصُّورَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ كَمَا قَرَّرْنَا مِنْ ذَلِكَ يَجِبُ  
الْكُذِبُ فِي هَذِهِ الْمَدَارِكِ وَأَمَّا الْعَرَّافُونَ فَهُمُ الْمُتَعَلِّقُونَ بِهَذَا الْإِدْرَاكِ وَلَيْسَ لَهُمْ  
ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَيَسْلُطُونَ الْفِكْرَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ فِيهِ بِالظَّنِّ  
وَالتَّخْمِينِ بِنَاءً عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ مَبَادِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَيَدْعُونَ بِذَلِكَ  
مَعْرِقَةَ الْغَيْبِ وَلَيْسَ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَذَا تَحْصِيلُ هَذِهِ الْأُمُورِ وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا الْمَسْعُودِي  
فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ نَمَا صَادَفَ تَحْقِيقًا وَلَا إِصَابَةً وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ الرَّجُلِ أَنَّهُ كَانَ  
بَعِيدًا عَنِ الرُّسُوخِ فِي الْمَعَارِفِ فَيَنْقَلُ مَا سَمِعَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَهَذِهِ الْإِدْرَاكَاتُ  
الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَوْجُودَةٌ كُلُّهَا فِي نَوْعِ الْبَشَرِ فَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يَفْزَعُونَ إِلَى الْكُهَّانِ  
فِي تَعْرِفِ الْحَوَادِثِ وَيَتَنَافَرُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْخُصُومَاتِ لِيَعْرِفُوهُمْ بِالْحَقِّ فِيهَا مِنْ إِدْرَاكِ  
غَيْبِهِمْ وَفِي كُتُبِ أَهْلِ الْأَدَبِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَشْتَهَرَ مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَيْخُ بَنِ أَنْمَارِ  
بِئِنْ تَزَارَ وَسَطِيحُ بَنِ مَارِ بْنِ غَسَّانَ وَكَانَ يَدْرُجُ كَمَا يَدْرُجُ الثُّوبُ وَلَا عَظَمَ فِيهِ إِلَّا  
الْجَمْحَمَةُ وَمِنْ مَشْهُورِ الْحِكَايَاتِ عَنْهُمَا تَأْوِيلُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بِنِ مَضَرَ وَمَا أَخْبَرَاهُ بِهِ  
مَلِكُ الْحَبَشَةِ اللَّيْمَنُ وَمَلِكُ مَضَرَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَظُهُورُ النَّبُوءَةِ الْحَمْدِيَّةِ فِي قُرَيْشٍ وَرُؤْيَا  
الْمُؤَبَّدَانِ الَّتِي أَوْلَاهَا سَطِيحُ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِهَا كِسْرَى عَبْدَ الْمَسِيحِ فَأَخْبَرَهُ بِشَأْنِ النَّبُوءَةِ  
وَخَرَابِ مَلِكِ فَارِسَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَشْهُورَةٌ وَكَذَلِكَ الْعَرَّافُونَ كَانَ فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ كَثِيرٌ  
وَذَكَرُوهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ قَالَ

فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْبِمَامَةِ دَاوِي      فَإِنَّكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي لَطِيبُ

وقال الآخر

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْبِمَامَةِ حُكْمَهُ      وَعَرَّافِ تَجِدُ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي  
فَقَالَ شَنَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا      بِمَا حَمَلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ بَدَانِي

وَعَرَفَ الْإِمَامَةَ هُوَ رَبَّاحُ بْنُ عَجَلَةَ وَعَرَفَ نَجْدَ الْأَبْلَقِ الْأَسَدِيَّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
 الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقْظَةِ وَالْتِبَاسِهِ بِالنُّومِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
 الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا فِي  
 مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقْظَةِ وَذَهَابِ الْأَخْتِبَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَسْكَنُ كَأَنَّهُ يَجُولُ  
 عَلَى النَّطْقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ وَيَفْهَمَهُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الْقَتُولِينَ عِنْدَ مُفَارَقَةِ رُؤُوسِهِمْ  
 وَأَوْسَاطِ أَبْدَانِهِمْ كَلَامٌ يُمِثِّلُ ذَلِكَ . وَلَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ  
 قَتَلُوا مِنْ سُجُونِهِمْ أَشْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
 فَأَعْلَمُوهُمْ بِمَا يُسْتَشْبَعُ . وَذَكَرَ مَسَامِحَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ أَدَمِيًّا إِذَا  
 جُعِلَ فِي دَنٍّ مَمْلُوءٍ بِدِهْنِ السَّمِيمِ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُغْذَى بِالزَّيْتِ وَالْحُجُوزِ  
 حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشُؤُونَ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنِ  
 فَيَبِينُ يَجِيفُ عَلَيْهِ الْهَوَاءُ يُجِيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ  
 وَالْعَامَّةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَعْمَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ يَفْهَمُ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ  
 وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمُدْرَكِ الْغَيْبِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيُعَاوِلُونَ بِالْمُجَاهَدَةِ مَوَاتَا  
 صِنَاعِيًّا بِإِمَانَةٍ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ يَحْوِ آثَارَهَا الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تَغْدِيهَا  
 بِالذِّكْرِ لِتَزْدَادَ قُوَّةً فِي نَشْئِهَا وَيَحْصُلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفِكْرِ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
 عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحِسُّ وَحُجَابُهُ وَأَطَاعَتِ النَّفْسُ عَلَى الْمَغْيِبَاتِ  
 وَمِنْ هَوْلَاءِ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ يَرْتَاضُونَ بِذَلِكَ لِيَحْصَلَ لَهُمُ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْمَغْيِبَاتِ  
 وَالنَّصْرَفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَأَكْثَرُ هَوْلَاءِ فِي الْأَقَالِمِ السَّحَرِيَّةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا خُصُوصًا بِبِلَادِ  
 الْهِنْدِ وَيَسْمَوْنَ هُنَاكَ الْحُوكِيَّةَ وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ  
 عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَرِيَاضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
 الْمَدْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَقْضُونَ جَمْعَ الْهَيْمَةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلِيَّةِ لِيَحْصَلَ لَهُمْ أَذْوَاقُ  
 أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيَاضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ التَّغْدِيَّةِ بِالذِّكْرِ  
 فِيهَا تَبَيَّنَ وَجْهَتُهُمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الذِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
 الْعِرْفَانِ بِاللَّهِ وَإِذَا عُرِّيَتْ عَنِ الذِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
 الْغَيْبِ وَالتَّصَرُّفِ لِهَوْلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الْأَمْرُ لِأَنَّهُ إِذَا فُصِدَ ذَلِكَ كَانَتْ الْوَجْهَةُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هِيَ لِقَصْدِ التَّصَرُّفِ  
 وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ وَأَخْسِرُ بِهَا صَفْقَةً فَإِنَّمَا فِي الْحَقِيقَةِ شَرِكٌ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ آثَرَ  
 الْعِرْفَانَ لِلْعِرْفَانِ فَقَدْ قَالَ بِالثَّانِي فُهُمْ يَقْصُدُونَ بِوَجْهَتِهِمُ الْمَعْبُودَ لِأَشْيَاءٍ سِوَاهُ وَإِذَا  
 حَصَلَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ فَبِالْعَرَضِ وَغَيْرِ مَقْصُودٍ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَفْرُ مِنْهُ إِذَا  
 عَرَضَ لَهُ وَلَا يَحْفَلُ بِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِذَاتِهِ لِأَلْفِغِيرِهِ وَحُصُولِ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْرُوفٌ  
 وَبُسْمُونٌ مَا يَبْعَثُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَالْحَدِيثِ عَلَى الْخَوَاطِرِ فِرَاسَةً وَكَشْفًا وَمَا يَبْعَثُ لَهُمْ مِنَ  
 التَّصَرُّفِ كَرَامَةً وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يَنْكَبِرُ فِي حَقِّهِمْ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى إِنْكَارِهِ الْأَسْتَاذُ  
 أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالِكِيُّ فِي آخِرِينَ فِرَارًا مِنَ التَّبَاسِ  
 الْمُعْجَزَةِ بِغَيْرِهَا وَالْمَعْوَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ حُصُولُ التَّنَزُّقَةِ بِالتَّحَدِّيِ فَهُوَ كَافٍ .  
 وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِيكُمْ مَعْدَنِينَ وَإِنْ  
 مِنْهُمْ عُمَرُ وَقَدْ وَقَعَ الصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَائِعٌ مَعْرُوفَةٌ تَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ عُمَرَ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ وَهُوَ سَارِيَةُ بِنْتُ زَيْنَبٍ كَانَتْ قَائِدًا عَلَى بَعْضِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ  
 بِالْعِرَاقِ أَيَّامَ الْفَتْوحَاتِ وَتَوَرَّطَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُعْتَرِكِهِ وَهُمْ بِالْإِنْهَزَامِ وَكَانَ بِقُرْبِهِ  
 جَبَلٌ يُنْحَازُ إِلَيْهِ فَرَفَعَ لِعُمَرَ ذَلِكَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ  
 وَسَمِعَهُ سَارِيَةَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ وَرَأَى شَخْصَهُ هُنَاكَ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَوَقَعَ مِثْلُهُ أَيْضًا لِأَبِي  
 بَكْرٍ فِي وَصِيَّتِهِ عَائِشَةَ أَيْبَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنٍ مَا نَحَلَهَا مِنْ أَوْسَقِ التَّعَرُّفِ مِنْ  
 حَدِيثِهِ ثُمَّ نَهَبَهَا عَلَى جَذَاذِهِ لِتَحْوِزِهِ عَنِ الْوَرِثَةِ فَقَالَ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ وَإِنَّمَا هُمَا  
 أَخَوَاكَ وَأَخْتَاكَ فَقَالَتْ إِنَّمَا هِيَ أُمَّةٌ فَمَنْ الْأُخْرَى فَقَالَ إِنْ ذَا بَطْنُ بِنْتِ خَارِجَةَ أَرَاهَا  
 جَارِيَةً فَكَانَتْ جَارِيَةً وَقَعَ فِي الْمَوْطِأِ فِي بَابِ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ النَّحْلِ وَمِثْلُ هَذِهِ  
 الْوَقَائِعُ كَثِيرَةٌ لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْإِقْتِدَاءِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ التَّصَوُّفِ  
 يَقُولُونَ إِنَّهُ يُقَالُ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ إِذَا لَا يَبْقَى لِلْمُرِيدِ حَالَةٌ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ  
 إِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا جَاءَ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَسْلُبُ حَالَهُ مَا دَامَ فِيهَا حَتَّى يُفَارِقَهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا  
 الْهُدَايَةَ وَيُرْشِدُنَا إِلَى الْحَقِّ .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرِيدِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ قَوْمٌ بِهَالِلٍ مَعْتُوهُونَ أَشْبَهُ بِالْعَجَانِينَ مِنَ  
 الْعُقَلَاءِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ صَحَّتْ لَهُمْ مَقَامَاتُ الْوِلَايَةِ وَأَحْوَالُ الصِّدِّيقِينَ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنَ

أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين ويقع لهم من الأخبار  
عن المعجبات عجائب لأنهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه  
بالمعجائب وربما ينكرون الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط  
التكليف عنهم والولاية لا تحصل إلا بالعبادة وهو غلط فإن فضل الله يؤتيه من  
يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وإذا كانت النفس الإنسانية  
ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهب وهوؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم  
الناطقة ولا فسدت كحال العجائز وإنما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف  
وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للإنسان يشتد بها نظره ويعرف أحوال  
معاشه واستقامة منزله وكأنه إذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر  
في قبول التكليف لإصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة يفقد نفسه ولا ذاهل  
عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل الكلي الذي هو معرفة المعاش  
ولا استعالة في ذلك ولا يتوقف اضطفاؤه الله عبادة للمعرفة على شيء من التكليف  
وإذا صح ذلك فأعلم أنه ربما يلتبس حال هؤلاء بالعجائز الذين تفسد نفوسهم  
الناطقة ويتحققون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهائم لا تجد لهم  
وجهة أصلاً ومنها أنهم يخلقون على البله من أول نشأتهم والعجائز يعرض لهم  
الجنون بعد مدة من العمر امراض بدنية طبيعية فإذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم  
الناطقة ذهبوا بالخبية ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لأنهم لا يتوقفون  
على إذن لعدم التكليف في حقهم والعجائز لا تصرف لهم وهذا فضل انتهى بنا  
الكلام إليه والله المرشد للصواب

وقل يزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم  
المنجمون القائلون بالدلالات النجمية ومقتضى أوضاعها في الفلك وأثارها في العناصر  
وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج إلى الهواء  
وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء إنما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية  
على التأثير النجمية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدس يقف به الناظر على  
تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله

إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ لَوْ ثَبِتَ فَعَابَتْهُ حَدْسٌ وَتَحْمِينٌ وَلَيْسَ مِمَّا ذَكَرْنَا فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرَّفُوا الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةَ سَمَوَمَا خَطَّ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ وَمَحْصُولُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النُّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعٍ مَرَاتِبٍ مُتَخَلِّفٌ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الزُّوجِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ  
 وَأَسْتَوَائِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَرْوَاجًا كُلُّهَا أَوْ أَوْفَادًا  
 كُلُّهَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطَّ فَارْبَعَةٌ أَشْكَالٌ وَإِنْ  
 كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَارْبَعَةٌ أَشْكَالٌ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَيَّزُومًا كُلُّهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُودٍ وَنُحُوسٍ شَأْنِ  
 الْكُوكَبِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَتَا طَبِيعِيَّةً بِزَعْمِهِمْ وَكَانَهَا الْبُرُوجُ الْإِلْتِنَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْمَلِكِ وَالْأَوْفَادِ الْآرْبَعَةَ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا يَتَا وَخُطُوطًا وَدِلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْعِنَاصِرِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنًا حَادِثًا بِهِ فَنَ النِّجَامَةِ  
 وَنَوْعَ فِضَائِهِ إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى أَوْضَاعِ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ تَطْلِيمُوسُ  
 وَهَذِهِ إِنَّمَا مُسْتَنَدُهَا أَوْضَاعٌ تَعْكِيمِيَّةٌ وَأَهْوَاءٌ لِنَفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعَمُونَ أَنَّ أَوَّلَ ذَلِكَ مِنَ النَّبُوءَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرُبَّمَا نَسَبُومًا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى آدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَرُبَّمَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُونَ  
 يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَدَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحْكَالَةَ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَلِكَ أَيُّ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ بِمَا عَضَدَهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ مُجَرَّدًا مِنْ غَيْرِ مَوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ مُغَيَّبٍ بِزَعْمِهِمْ عَمِدُوا إِلَى قِرْطَاسٍ أَوْ رَمْلِ أَوْ دَقِيقٍ فَوَضَعُوا النُّقْطَ  
 سَطُورًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْآرْبَعِ ثُمَّ كَرَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَتَجِبُ سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النُّقْطَ أَرْوَاجًا وَيَضَعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ زَوْجًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي مَرْتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَتَجِبُ أَرْبَعَةٌ أَشْكَالٌ يَضَعُونَهَا فِي سَطْرِ مُتَابِلَةٍ ثُمَّ يُؤَلِّدُونَ مِنْهَا

أربعة أشكالٍ أُخرى من جانبِ العَرَضِ بِاعتبارِ كُلِّ مرتبةٍ وما قَابَلَهَا مِنَ الشَّكْلِ  
الَّذِي بِإِزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
سَطْرٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا نَعْتَمًا بِاعتبارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مرتبةٍ  
مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةً أُخْرَى تَحْتَهَا ثُمَّ يُولَدُونَ  
مِنْ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهَا مِنَ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
الشَّكْلِ الْخَامِسَ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السِّتَةِ عَشْرٍ ثُمَّ يَحْكُمُونَ  
عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا أَفْتَضَتْهُ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُوسَةِ بِالنَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
وَالْإِمْتِزَاجِ وَالِدَلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحْكُمًا غَرِيبًا وَكَثُرَتْ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْعُمُرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا التَّالِيفُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُمْ تَحْكُمٌ وَهِيَ وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَصَبَ  
فِكْرِكَ أَنَّ الْغُيُوبَ لَا تُدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبِنَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْغَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
الْمَفْطُورِ بِنَ عَلَى الرَّجُوعِ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِلذَلِكَ يُسَمَّى الْمُتَحَقِّقُونَ هَذَا  
الصَّنِيفَ كُلَّهُمْ بِالزُّهْرِيِّينَ نِسْبَةً إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ دِلَالَةُ الزُّهْرَةِ بِزَعْمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَالْخَطُّ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّاطِرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصِيَّةِ  
وَقَصَدَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ الثَّقَلِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالَ الْحِسِّ لِتَرْجِعَ  
النَّفْسُ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لِحِظَّةٍ مَا فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّفَافَةِ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصَدَ مَعْرِفَةَ  
الْغَيْبِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَأَنَّهَا تُفِيدُهُ ذَلِكَ فَهَدَّرُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَأَلَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .  
وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ آرْجِهِمْ  
إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ بِعَتَرِيهِمْ خُرُوجَ عَنْ حَالَتِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ كَالثَّأْوَبِ وَأَنْتَمِطُ  
وَمَبَادِيءِ الْغَيْبِ عَنِ الْحِسِّ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
فَمَنْ لَمْ تُوَجَدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعٍ فِي  
تَنْفِيقِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يَضَعُونَ قَوَانِينَ لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنَ الْحَدْسِ الْمَبْنِيِّ عَلَى تَأْثِيرَاتِ النُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُوسُ وَلَا مِنْ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الَّذِي يُعَاوَلُ عَلَيْهِ العَرَاوُنَ وَإِنَّمَا هِيَ مَعَالِطٌ  
يَجْمَلُونَهَا كَالْمَصَائِدِ لِأَهْلِ العُقُولِ المُسْتَضْعَفَةِ وَلَسْتُ أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
المُصَنِّفُونَ وَوَلَعَ بِهِ الخَوَاصُّ فَمِنْ تِلْكَ القَوَائِنِ الحِسَابِ الَّذِي يُسَدُّونَهُ حِسَابَ النِّمِّ وَهُوَ  
مَذْكَورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ المُنَسُوبِ لِأَرِسْطُو يُعْرَفُ بِهِ الغَالِبُ مِنَ المَغْلُوبِ فِي  
الْمُتَحَارِبِينَ مِنَ المُلُوكِ وَهُوَ أَنْ تُحْسَبَ الحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمِ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الجَمَلِ  
المُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُبْجَدٍ مِنَ الوَاحِدِ إِلَى الأَلْفِ آحَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنِينَ وَالوُفَا  
فَإِذَا حَسِبْتَ الأِسْمَ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَاحْسِبِ اسْمَ الأَخْرِ كَذَلِكَ ثُمَّ اطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَأَحْظِ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ انظُرْ بَيْنَ العَدَدَيْنِ البَاقِيَيْنِ  
مِنْ حِسَابِ الأَثْنَيْنِ فَإِنْ كَانَ العَدَدَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الكَمِّيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الأَقَلِّ مِنْهُمَا هُوَ الغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالأَخْرُ فَرْدًا  
فصَاحِبُ الأَكْثَرِ هُوَ الغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الكَمِّيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
فَالْمَطْلُوبُ هُوَ لَلغَالِبِ وَإِنْ كَانَ مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ يَتَّانُ فِي  
هَذَا العَمَلِ اشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْمُو أَقْلَهَا وَأَكْثَرَهَا عِنْدَ التَّحَالُفِ غَالِبٌ  
وَيُغْلَبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِوَاءِ الْفَرْدِ يُغْلَبُ طَالِبٌ

ثُمَّ وَضَعُوا لِمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الحُرُوفِ بَعْدَ طَرْحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرْحِ  
تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الحُرُوفَ الدَّالَّةَ عَلَى الوَاحِدِ فِي المَرَاتِبِ الأَرْبَعِ وَهِيَ ( ا )  
الدَّالَّةُ عَلَى الوَاحِدِ وَ ( ي ) الدَّالَّةُ عَلَى العَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ العَشْرَاتِ وَ ( ق )  
الدَّالَّةُ عَلَى المِائَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ المِئَاتِ وَ ( ش ) الدَّالَّةُ عَلَى الأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
فِي مَرْتَبَةِ الأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الأَلْفِ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالحُرُوفِ لِأَنَّ الشِّينَ هِيَ آخِرُ  
حُرُوفِ أُبْجَدٍ ثُمَّ رَبُّوا هَذِهِ الأَحْرَفَ الأَرْبَعَةَ عَلَى نَسَبِ المَرَاتِبِ فَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ ( ا ب ق ش ) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى اثْنَيْنِ فِي المَرَاتِبِ الأَثَلَاثِ  
وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُبْجَدٍ فَكَانَ مَجْمُوعُ حُرُوفِ  
الأَثْنَيْنِ فِي المَرَاتِبِ الأَثَلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ ( ب ) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الآحَادِ  
وَ ( ك ) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي العَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ ( ر ) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي المِئَاتِ

وَهِيَ مِائَتَانِ وَصَيْرُوهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً ثَلَاثِيَّةٌ عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ وَهِيَ بَكْرٌ ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ  
بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أُمَّجِدٍ  
وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ نِهَابَةً عَدَدِ الْآحَادِ وَهِيَ ابْقَشُ بَكْرُ جَلَسَ دَمَتْ هَنْتٌ وَصَحَّ زَعْدٌ  
حَنْظُ طَضَعُ مُرْتَبَةٌ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي هِيَ فِي مَرْتَبَتِهِ  
فَالْوَاحِدُ لِلْكَلِمَةِ ابْقَشُ وَالْإِثْنَانُ لِلْكَلِمَةِ بَكْرٌ وَالثَّلَاثَةُ لِلْكَلِمَةِ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى التَّاسِعَةِ  
الَّتِي هِيَ طَضَعُ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْعَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأِسْمِ بِتِسْعَةِ نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
مِنْهُ فِي أَيِّ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بَدَلًا مِنْ حُرُوفِ الْأِسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْعَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَفْعَلُونَ كَذَلِكَ بِالْأِسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجِينَ  
بِمَا قَدَّمَاهُ وَالسِّرِّيُّ فِي هَذَا بَيِّنٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِيَّ مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنَ الْعُقُودِ الْأَعْدَادِ يَطْرَحُ  
تِسْعَةً إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَكَأَنَّهُ يُجْمَعُ عَدَدُ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
الْعُقُودِ كَأَنَّهَا آحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ وَالْعَشْرَيْنِ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اثْنَانِ  
وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ وَالثَّلَاثُمِائَةُ وَالثَّلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فَوَضِعَتْ  
الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَلَّةً عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لَا غَيْرَ وَجُعِلَتْ الْحُرُوفُ الدَّالَّةُ عَلَى أَصْنَافِ  
الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْآحَادِ وَالْعَشْرَاتِ وَالْمِئِينَ وَالْأَلُوفِ<sup>١</sup> وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سِوَاهُ دَلٌّ عَلَى الْآحَادِ أَوْ الْعَشْرَاتِ أَوْ الْمِئِينَ  
فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عَوَاضًا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَيُجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا قَلَّمَاهُ  
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَتَدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِينَاهُ مِنْ شَيْوَخِنَا  
نَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةٌ مَكَانَ هَذِهِ وَمَتَوَالِيَةٌ كَتَوَالِيَهَا وَيَفْعَلُونَ  
بِهَا فِي الطَّرْحِ بِتِسْعَةٍ مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالْأُخْرَى سِوَاهُ وَهِيَ هَذِهِ اِرْبُ يَسْقُكُ جَزَلُطُ مَدُوصُ  
هَفُ تَمْعَدُنُ عَشُ خَعُ تَضَطُّ تِسْعُ كَلِمَاتٍ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ فِيهَا الثَّلَاثِيُّ وَالرُّبَاعِيُّ وَالثَّنَائِيُّ وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مُطَرِّدٍ كَمَا  
تَرَاهُ لَكِنِ كَانَ شَيْوَخِنَا يَنْقُلُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السَّيِّجِيَاءِ  
وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنَّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْبَنَاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهِذِهِ

(١) قوله الالوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ما يريد عن الالف كما سبق في كلامه



الكلمات في طرح حساب النيم أضح من العمل بكلمات ابقش والله يعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير معزوة إلى أرسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك تصفحة إن كنت من أهل الأرسوخ اه . ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرجة المسماة بزايرجة العالم المعزوة إلى أبي العباس بيدي أحمد السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة بمرآة كثر ولعهد أبي يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يؤمنون بإفادة الغيب منها بعملها المعروف الملفوز فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للأفلاك العناصر والمكورات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة بأقسام فلكها إما البروج وإما العناصر أو غيرهما وخطوط كل قسم مارة إلى المركز ويسمونها الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فيها برشوم<sup>(١)</sup> الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرجة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وواحد وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت نازة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الخالية وحافات الزايرجة أيات من عروض الطويل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرجة إلا أنها من قبيل الألفاظ في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض أكابر أهل الحدائق بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء أشبيلية كان في الدولة الممتونية ونص البيت سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذن غرائب شك ضبطه الجد مثلاً وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرجة

(١) قوله برشوم أي موضوعة بضم راء جمع رشم باشون المعجمة اه

وَغَيْرَهَا فَإِذَا أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ الْجَوَابِ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنَ الْمَسَائِلِ كَتَبُوا ذَلِكَ السُّؤَالَ  
 وَقَطَعُوهُ حُرُوفًا ثُمَّ أَخَذُوا الطَّلَاعَ لِذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ بُرُوجِ الْفَلَكَ وَدَرَجَاتِهَا وَعَمَدُوا إِلَى  
 الزَّائِرِجَةِ ثُمَّ إِلَى الْوَتْرِ الْمُكْتَنَفِ فِيهَا بِالْبُرْجِ الطَّلَاعِ مِنْ أَوَّلِهِ مَرًّا إِلَى الْمَرْكَزِ  
 ثُمَّ إِلَى حَيْطِ الدَّائِرَةِ قِبَالَ الطَّلَاعِ فَيَأْخُذُونَ جَمِيعَ الْحُرُوفِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ  
 إِلَى آخِرِهِ وَالْأَعْدَادَ الْمَرْسُومَةَ بَيْنَهُمَا وَيُصَيِّرُونَهَا حُرُوفًا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَقَدْ يَنْقَلُونَ  
 أَحَادَهَا إِلَى الْعَشْرَاتِ وَعَشْرَاتِهَا إِلَى الْمِثْمِثِينَ وَبِالْعَكْسِ فِيهِمَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْعَمَلِ  
 عِنْدَهُمْ وَيَضَعُونَهَا مَعَ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَيُضَيِّفُونَ إِلَى ذَلِكَ جَمِيعَ مَا عَلَى الْوَتْرِ الْمُكْتَنَفِ  
 بِالْبُرْجِ الثَّلَاثِ مِنَ الطَّلَاعِ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَعْدَادِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى الْمَرْكَزِ فَقَطَّ لَا  
 يَتَجَاوِزُونَهُ إِلَى الْحَيْطِ وَيَفْعَلُونَ بِالْأَعْدَادِ مَا فَعَلُوهُ بِالْأَوَّلِ وَيُضَيِّفُونَهَا إِلَى الْحُرُوفِ  
 الْآخَرَى ثُمَّ يَقْطَعُونَ حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعَمَلِ وَقَانُونُهُ عِنْدَهُمْ وَهُوَ يَتَّ مَالِكِ  
 بْنِ وَهَيْبِ الْمُتَقَدِّمِ وَيَضَعُونَهَا نَاحِيَةً ثُمَّ يَضْرِبُونَ عَدَدَ دَرَجِ الطَّلَاعِ فِي أَسِّ الْبُرْجِ  
 وَأَسُّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ بَعْدَ الْبُرْجِ عَنِ آخِرِ الْمَرَاتِبِ عَكْسًا مَا عَلَيْهِ الْأَسُّ عِنْدَ أَهْلِ صِنَاعَةِ  
 الْحِسَابِ فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ الْبَعْدُ عَنِ أَوَّلِ الْمَرَاتِبِ ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ فِي عَدَدِ آخِرِ إِسْدُونَةِ الْأَسِّ  
 الْأَكْبَرَ وَالذُّورَ الْأَصْلِيَّ وَيَدْخُلُونَ بِمَا يَجْمَعُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي بَيْتِ الْجَدْوَلِ عَلَى قَوَانِينِ  
 مَعْرُوفَةٍ وَأَعْمَالٍ مَذْكُورَةٍ وَأَدْوَارٍ مَعْدُودَةٍ وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا حُرُوفًا وَيَسْقِطُونَ أُخْرَى  
 وَيُقَابِلُونَ بِمَا مَعَهُمْ فِي حُرُوفِ الْبَيْتِ وَيَنْقَلُونَ مِنْهُ مَا يَنْقَلُونَ إِلَى حُرُوفِ السُّؤَالِ وَمَا  
 مَعَهَا ثُمَّ يَطْرَحُونَ تِلْكَ الْحُرُوفَ بِالْأَعْدَادِ مَعْلُومَةٍ يَسْمُونَهَا الْأَدْوَارَ وَيَخْرِجُونَ فِي كُلِّ دَوْرٍ  
 الْحَرْفَ الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَهُ الدُّورُ وَيَعَاوِدُونَ ذَلِكَ بِعَدَدِ الْأَدْوَارِ الْمَعِينَةِ عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ  
 فَيَخْرِجُ آخِرَهَا حُرُوفًا مُتَقَطَّعةً وَتَوَلَّفَ عَلَى التَّوَالِي فَتَصِيرُ كَلِمَاتٍ مَنْظُومَةٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ  
 عَلَى وَزْنِ الْبَيْتِ الَّذِي يُقَابَلُ بِهِ الْعَمَلُ وَرُويَ وَهُوَ يَتَّ مَالِكِ ابْنِ وَهَيْبِ الْمُتَقَدِّمِ  
 حَسْبَمَا نَذَكُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي فَصْلِ الْعُلُومِ عِنْدَ كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ بِهَذِهِ الزَّائِرِجَةِ وَقَدْ رَأَيْنَا  
 كَثِيرًا مِنَ الْخُلُوصِ يَتَهافتُونَ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ مِنْهَا بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّ مَا  
 وَقَعَ مِنْ مُطَابَقَةِ الْجَوَابِ لِلسُّؤَالِ فِي تَوَافُقِ الْخِطَابِ دَلِيلٌ عَلَى مُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ الْغَيْبَ لَا يُدْرِكُ بِأَمْرِ صِنَاعِي الثَّبَتِ وَإِنَّمَا الْمُطَابَقَةُ  
 الَّتِي فِيهَا بَيْنَ الْجَوَابِ وَالسُّؤَالِ مِنْ حَيْثُ الْإِفْهَامُ وَالتَّوَافُقُ فِي الْخِطَابِ حَتَّى يَكُونَ

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الحُرُوفِ  
 المُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ وَالذُّخُولِ فِي الجَدْوَلِ بِالْأَعْدَادِ المُجْتَمِعَةِ مِنْ غَرَبِ  
 الأَعْدَادِ المُفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الحُرُوفِ مِنَ الجَدْوَلِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمُعَاوَدَةِ  
 ذَلِكَ فِي الأَدْوَارِ المُعْدُودَةِ وَمُقَابَلَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُرُوفِ البَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرِ مُسْتَنَكِرٍ  
 وَقَدْ بَقِيَ الأِطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الأَذْكَيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةُ  
 المُجْهُولِ فَالتَّنَاسُبُ بَيْنَ الأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الحُصُولِ عَلَى المُجْهُولِ مِنَ المَعْلُومِ الحَاصِلِ  
 لِلنَّفْسِ وَطَرِيقُ الحُصُولِ سَيِّمًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ العَقْلَ قُوَّةً عَلَى القِيَاسِ وَزِيَادَةَ  
 فِي الفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْلِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا المَعْنَى يَنْسُبُونَ هَذِهِ الرِّايِزَةَ  
 فِي الغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَهِيَ مُنْسُوبَةٌ لِلسَّبْتِيِّ وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أُخْرَى مُنْسُوبَةٌ لِسَهْلِ  
 بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَتَعْمِرِي إِنَّهَا مِنَ الأَعْمَالِ الغَرِيبَةِ وَالمَعَانَاةِ العَجِيبَةِ وَالجَوَابُ الَّذِي  
 يُخْرُجُ مِنْهَا فَالسِّرُّ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّهَا هُوَ المُقَابَلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ البَيْتِ  
 وَلِهَذَا يَكُونُ النَّظْمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
 ذَلِكَ اسْتَقَطُوا فِيهَا المُقَابَلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يُخْرَجِ الجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الكَلَامِ  
 عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيَّقُوا مَدَارِ كُفْمٍ عَنِ التَّضَدِيقِ بِهَذَا العَمَلِ وَتَفَوَّذَهُ  
 إِلَى المَطْلُوبِ فَيُنْكَرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّخَيُّلاتِ وَالإِيهَامَاتِ وَأَنَّ صَاحِبَ  
 العَمَلِ بِهَا يَثْبُتُ حُرُوفَ البَيْتِ الَّذِي يَنْظِمُهُ كَمَا يَرِيدُ بَيْنَ أَثْنَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ  
 وَيَفْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونٍ ثُمَّ يَجِيءُ بِالْبَيْتِ وَيُؤَمُّ أَنَّ العَمَلَ جَاءَ  
 عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضِطَةٍ وَهَذَا الحُسْبَانُ تَوْهَمٌ فَاسِدٌ حَمَلَ عَلَيْهِ القُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
 المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ المَدَارِكِ وَالعُقُولِ وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
 مُدْرِكٍ إِنْكَارُ مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِ إِدْرَاكُهُ وَيَكْفِينَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ العَمَلِ بِهَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ وَالحَدْسُ القَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَّرَدٍ وَقَانُونٍ صَحيحٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
 يُبْشِرُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ ذِكَاءٌ وَحَدْسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ المَعَايَاةِ فِي العَدَدِ الَّذِي هُوَ  
 أَوْضَحُ الوَاضِحَاتِ يَعْسرُ عَلَى الفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِبَعْدِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَخِفَاءِهَا فَمَا ظَنُّكَ بِمِثْلِ  
 هَذَا مَعَ خِفَاءِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَغَوَابَتِهَا فَلَنْذَكُرُ مَسْئَلَةً مِنَ المَعَايَاةِ بِتَضَيُّحِ لِكَ بِهَا شَيْءٌ مِمَّا  
 ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عَدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ

الْفُلُوسِ ثُمَّ أَجْمَعَ الْفُلُوسَ الَّتِي أَخَذَتْ وَأَشْتَرِ بِهَا طَائِرًا ثُمَّ اشْتَرَى بِالْدَّرَاهِمِ كُلِّهَا طَيْرًا  
 بِسِعْرِ ذَلِكَ الطَّائِرِ فَكَمْ الطُّيُورُ الْمُشْتَرَاةُ بِالْدَّرَاهِمِ جَوَابُهُ أَنْ نَقُولَ فِي تِسْعَةٍ لِأَنَّكَ  
 تَعْلَمُ أَنَّ فُلُوسَ الدَّرَاهِمِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ ثَمَنُهَا وَأَنَّ عِدَّةَ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ  
 ثَمَانِيَةٌ فَإِذَا جَمَعْتَ الثَّمَنَ مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى الثَّمَنِ الْآخِرِ فَكَانَ كُلُّهُ ثَمَنَ طَائِرٍ فِيهِ  
 ثَمَانِيَةُ طَيْرٍ عِدَّةَ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ وَتَزِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ طَائِرًا آخَرَ وَهُوَ الْمُشْتَرَى بِالْفُلُوسِ  
 الْمَأْخُودَةِ أَوَّلًا وَعَلَى سِعْرِهِ اشْتَرَيْتَ بِالْدَّرَاهِمِ فَتَكُونُ تِسْعَةٌ فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ خَرَجَ  
 لَكَ الْجَوَابُ الْمَضْمَرُ بِسَبَبِ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ أَعْدَادِ الْمَسْئَلَةِ وَالْوَهْمِ أَوَّلَ مَا يَلْقَى  
 إِلَيْكَ هَذِهِ وَأَمْثَالُهَا إِنَّمَا يَجْعَلُهُ مِنْ قَبِيلِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَظَهَرَ أَنَّ التَّنَاسُبَ  
 بَيْنَ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ مَجْهُولَهَا مِنْ مَعْلُومِهَا وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَاقِعَاتِ الْخَالِصَةِ فِي  
 الْوُجُودِ أَوْ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَقْبَلَةُ إِذَا لَمْ تَعْلَمْ أَسْبَابَ وُقُوعِهَا وَلَا يَثْبُتَ لَهَا  
 خَبْرٌ صَادِقٌ عَنْهَا فَهُوَ غَيْبٌ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَأَلْعَمَالُ الْوَاقِعَةِ  
 فِي الزَّايِجَةِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ الْفَظِ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا كَمَا رَأَيْتَ  
 اسْتِنْبَاطَ حُرُوفٍ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ بَعِيْنَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ وَسِرُّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ تَنَاسُبِ بَيْنَهُمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ التَّنَاسُبَ تَيَسَّرَ عَلَيْهِ  
 اسْتِخْرَاجُ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ وَالْجَوَابِ بَدَلُ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ  
 الْفَظِ وَتَرَكَبِهِ عَلَى وُقُوعِ أَحَدِ طَرَفِي السُّؤَالِ مِنْ تَقْيِ أَوْ إِثْبَاتٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ  
 الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَلْ إِنَّمَا يَرْجِعُ لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا فِي الْخَارِجِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
 مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَلِ الْبَشَرُ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَأْنَزَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



## الفصل الثاني

في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يمرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتعميدات

### الفصل الاول

في ان احيال البدو والحضر طبيعية.

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف فحلتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجة والكمالي فبهم من يستعمل الفلح من الفراسة والرعاية ومنهم من يتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والتحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائلون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدف انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للتعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتحليلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للحضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجي عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتباه في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويعجرون فيها المياه ويعالون في صرحها وبيوتها في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس او فراش او انية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتحل في معاشه الصنائع ومنهم من يتحل التجارة

وَتَكُونُ مَكَاسِبِهِمْ أُنْمَى وَأَرْقَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ  
وَمَعَائِهِمْ عَلَى نِسْبَةٍ وَجَدِهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرَ طَبِيعِيَّةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا كَمَا فُلَنَاهُ

### الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُتَعَلِّقُونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْقَلْعِ  
وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنَّ هُمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَلَأْسِ وَالْمَسَاكِينِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي يَتَّخِذُونَ  
الْبُيُوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبْرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرِ مُنْجِدَةٍ إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ  
الْإِسْتِظْلَالِ وَالْكِنِّ لِأَمَّا وَرَاءَهُ وَقَدْ يَأْوُونَ إِلَى الْغَيْرَانِ وَالْكُهُوفِ وَأَمَّا أَقْوَامُهُمْ  
فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا بَسِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بِغَيْرِ عِلَاجٍ الْبَتَّةِ إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ  
فِي الرِّزَاعَةِ وَالْقِيَامِ بِالْقَلْعِ كَانَ الْمَقَامُ بِهِ أَوْلَى مِنَ الطَّعْنِ وَهُوَ لِأَنَّ سُكَّانَ الْمَدَرِ  
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبَرِّ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ  
وَالْبَقَرِ فَهُمْ طَعْنٌ فِي الْأَعْلَبِ لِأَرْتِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ لِحَيَوَانَاتِهِمْ فَالْقَلْبُ فِي الْأَرْضِ  
أَصْلَحَ بِهِمْ وَيُسَمَّوْنَ شَاوِيَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُعْدُونَ فِي الْفَقْرِ  
لِفَقْدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُوَ لِأَنَّ مِثْلَ الْبَرِّ وَالْتَرَكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ التُّرُكْمَانِ وَالصَّنَابِلَةِ  
وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَاشُهُمْ فِي الْأَيْلِ فَهُمْ أَكْثَرُ طَعْنًا وَأَبْعَدُ فِي الْفَقْرِ بِجَازِلٍ لِأَنَّ مَسَارِحَ  
الْتَلُولِ وَنَبَاتَهَا وَشَجَرَهَا لَا يَسْتَفْنِي بِهَا الْأَيْلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَاعِي الشَّجَرِ بِالْفَقْرِ  
وَوُزُودِ مِيَاهِهِ الْمَلْحَةِ وَالْقَلْبُ فَصَلَ الشِّتَاءَ فِي نَوَاحِيهِ فَرَارًا مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفءِ  
هَوَائِهِ وَطَلَبًا لِمَا خِصَّ النَّتَاجِ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْأَيْلُ أَصْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فَصَالًا وَتَحَاضًا  
وَأَحْوَجُهَا فِي ذَلِكَ إِلَى الدِّفءِ فَاضْطُرُّوا إِلَى إِبْعَادِ النَّجْعَةِ وَزَبْمَا زَادَتْهُمْ الْحَامِيَّةُ عَنْ  
الْتَلُولِ أَيْضًا فَأَوْغَلُوا فِي الْفَقْرِ نَفْرَةً عَنِ الصُّعَةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوْحُّشًا  
وَيَنْزِلُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَوَاضِرِ مَنْزِلَةَ الْوَحْشِ غَيْرِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمَقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ  
الْعُجْمِ وَهُوَ لِأَنَّ الْعَرَبَ فِي مَعْنَاهُمْ طَعُونُ الْبَرِّ وَزَنَانَةٌ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادِ وَالْتُرُكْمَانِ  
وَالْتَرَكِ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ نَجْعَةً وَأَشَدُّ بَدَاوَةً لِأَنَّ هُمْ مُتَخَصِّصُونَ بِالْقِيَامِ عَلَى

الْأَيْلِ فَقَطَّ وَدَوْلَاءَ يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى الشِّيَامِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِبِلَّ الْعَرَبِ  
هَلِيمِي لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْعُمَرَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران  
والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدْوَ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمُ الْعَاجِزُونَ عَمَّا  
فَوْقَهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَنُونَ بِحَاجَاتِ التَّرْفِ وَالْكَمَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا  
شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ وَسَابِقٌ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ  
وَالْكَمَالِيِّ قَرَعُ نَائِيٍّ عَنْهُ فَالْبَدْوُ أَصْلُ لِلْمَدْنِ وَالْحَضَرَ وَسَابِقٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ  
مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَمَالِ وَالتَّرْفِ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيُّ  
حَاصِلًا فَخُسُونَةُ الْبِدَاوَةِ قَبْلَ رِقَةِ الْحَضَارَةِ وَلِهَذَا نَجِدُ التَّمَدُّنَ غَايَةَ لِلْبَدْوِيِّ يَجْرِي إِلَيْهَا  
وَيَنْتَهِي بِسَعْيِهِ إِلَى مُقْتَرِحِهِ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيَاشِ الَّذِي يَحْضُرُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ  
التَّرْفِ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعَاةِ وَأَمَكَنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَمَكَدًا شَأْنَ الْقَبَائِلِ  
الْمُسْتَبَدِّيَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيَّ لَا يَتَشَوَّفُ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لَضَّرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا  
أَوْ لِنَصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدْوَ أَصْلُ لِلْحَضَرَ وَمَتَقَدِّمٌ  
عَلَيْهِ أَنَا إِذَا فَتَشْنَا أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوْلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنَ أَهْلِ الْبَدْوِ الَّذِينَ  
يُنَاجِيهِ ذَلِكَ الْمِصْرُ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعَاةِ وَالتَّرْفِ الَّذِي فِي الْحَضَرَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ  
أَحْوَالَ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلُ لَهَا فَتَقَهَّمَةُ . ثُمَّ إِنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرَ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جَنَسِهِ قَرُبًا حَتَّى أَعْظَمُ مِنْ حَيِّ وَقَبِيلَةٍ  
أَعْظَمُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٍ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ أَكْثَرُ عُمَرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ  
وُجُودَ الْبَدْوِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْمَدْنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلُ لَهَا يَمَّا أَنَّ وُجُودَ الْمَدْنِ  
وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ التَّرْفِ وَالدَّعَاةِ الَّتِي هِيَ مُتَأَخَّرَةٌ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وَسَبَبُهُ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ مُتَهَيِّئَةً لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا  
وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ  
يَهْوِدَانِهِ أَوْ يَنْصِرَانِهِ أَوْ يُجَسِّسَانِهِ وَبِقَدْرِ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدِ الْخَلْقَيْنِ بَعْدَ عَنِ الْأُخْرَى  
وَيَضَعُ عَلَيْهَا أَوْ كِتَابَهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى نَفْسِهِ عَوْدَةُ الْخَيْرِ وَحَصَلَتْ  
لَهَا مَلَكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَضَعَبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَا صَاحِبُ الشَّرِّ إِذَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ  
أَيْضًا عَوَائِدُهُ وَأَهْلُ الْحَضَرِ لِكَثْرَةِ مَا يُعَانُونَ مِنْ فُتُونِ الْمَلَازِمْ وَعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْإِقْبَالِ  
عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْتِ أَنْفُسَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ  
الْخَلْقِ وَالشَّرِّ وَبَعُدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى  
لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحِشْمَةِ فِي أَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي أَقْوَالِ  
الْفِتْيَانِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَانِهِمْ وَأَهْلِي مَحَارِمِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَازِعُ الْحِشْمَةِ  
لَمَّا أَخَذْتَهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ فِي التَّنَظَّاهِرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَأَهْلُ الْبَدْوِ وَإِنْ  
كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمِقْدَارِ الضَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِ وَلَا فِي شَيْءٍ  
مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَدَوَاعِيهَا فَعَوَائِدُهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نِسْبَتِهَا وَمَا يَحْصُلُ  
فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ أَقْلٌ بِكَثِيرٍ فَهُمْ  
أَقْرَبُ إِلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَأَبْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ  
الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَفَتْحِهَا فَيَسْهُلُ عِلَاجُهُمْ عَنْ عِلَاجِ الْحَضَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ تَبَوَّضَ فِيمَا  
بَعْدَ أَنْ الْحَضَارَةُ هِيَ نِهَآيَةُ التَّمَرُّانِ وَخُرُوجِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَنِهَآيَةُ الشَّرِّ وَالْبَعْدُ عَنِ الْخَيْرِ  
فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَا  
يُعَازِضُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ الْحَجَّاجِ لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَسْوَعِ  
وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سُكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ أَرْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا  
وَأَكْبَرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْنَى لِي فِي الْبَدْوِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُجْرَةَ أَفْرَضَتْ  
أَوَّلَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ  
الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُونَهُ وَيُظَاهِرُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَيَحْرُسُونَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْرَابِ



أهل البادية لأن أهل مكة يسمون من عصية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة  
 والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الأعراب وقد كان المهاجرون يستعيدون بالله  
 من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تحب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في  
 حديث سعد بن أبي وقاص عند مرّيه بمكة اللهم أمتي لأصحابي هجرتهم ولا  
 تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوقفهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا  
 عن هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو من باب الرجوع على القب في السعي إلى وجه من  
 الوجوه وقيل أن ذلك كان خاصاً بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة  
 إقالة المسلمين وأما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه  
 بالعضمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد  
 الفتح وقيل سقطت إنشائها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقطت وجوبها عن أسلم وهاجر  
 قبل الفتح والكل مجتمع على أنها بعد الوفاة ساقطة لأن الصحابة افتدوا من يومئذ  
 في الآفاق وانتشروا ولم يبق إلا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج  
 سلمة حين سكن البادية ارتددت على عقيك تعربت نعى عليه في ترك السكنى  
 بالمدينة بالاشارة إلى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله لا تردهم على أعقابهم  
 وقوله تعربت إشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين لا يهاجرون وأجاب سلمة  
 بإنكار ما أزمه من الأمرين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن له في البدو ويكون  
 ذلك خاصاً به كشهادة خزيمه وعناق أبي بردة أو يكون الحجاج إنما نعى عليه  
 ترك السكنى بالمدينة فقط لئله يسقط الهجرة بعد الوفاة وأجابه سلمة بأن  
 اغتنامه لإذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فما أثره به واختصه إلا لمعنى  
 عليه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلاً على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن  
 مشروعية الهجرة إنما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته  
 لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب دليل على مذمة التعرب والله  
 سبحانه أعلم وبه التوفيق

## الفصل الخامس

في ان اهل البدوا قرب الى الشجاعة من اهل الحضرة  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ الْقَوَا جُنُوبُهُمْ عَلَى مَهَادِ الرَّاحَةِ وَالذِّعَةِ وَالنَّفْسِ  
 فِي النَّعِيمِ وَالْتَرَفِ وَوَكَلُوا أَمْرَهُمْ فِي الدِّفَاعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَالِيهِمْ وَالْحَاكِمِ  
 الَّذِي يَسُومُهُمْ وَالْحَامِيَةِ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَأَسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ  
 وَالْحُرُزِ الَّذِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَهَيِّجُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَتَفَرُّ لَهُمْ صَيْدٌ فَهْمٌ غَارُونَ آمِنُونَ  
 قَدْ الْقَوَا السَّلَاحَ وَتَوَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْبَالُ وَنَزَلُوا مَنْزِلَةَ النِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ الَّذِينَ  
 هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَثْوَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لَتَفَرُّهُمْ  
 عَنِ الْجَمْعِ وَتَوْحُشِهِمْ فِي الضَّوَاهِي وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَامِيَةِ وَأَنْتِبَازِهِمْ عَنِ الْأَسْوَارِ  
 وَالْأَبْوَابِ قَائِمُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَسْكُلُونَهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَتَقَرُّونَ فِيهَا بِغَيْرِهِمْ  
 فَهُمْ دَائِمًا يَجْعَلُونَ السَّلَاحَ وَيَتَلَفَّتُونَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرِيقِ وَيَتَجَافَوْنَ عَنِ الْجُمُوعِ  
 الْأَغْرَارِ فِي الْجَمَالِيسِ وَعَلَى الرِّحَالِ وَفَوْقَ الْأَقْتَابِ وَيَتَوَجَّسُّونَ لِلنَّبَاتِ وَالْمُهَيْمَاتِ  
 وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالْيَبْدَاءِ مُدْلِينَ بِأَنْفُسِهِمْ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَأْسُ خُلُقًا  
 وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَنْفَرَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمًا  
 خَالِطُومٌ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحِبُومٌ فِي السَّفَرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ  
 أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ النُّوَاحِي وَالْجِهَاتِ وَمَوَارِدِ الْمِيَاهِ وَمَشَارِعِ  
 السُّبُلِ وَسَبَبِ ذَلِكَ مَا شَرَّخَنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنَ عَوَائِدِهِ وَمَأْوُفِهِ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ  
 وَمِزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَةً وَعَادَةً تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ  
 وَالْجَبَلَةِ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ تَجِدُهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفقدة للباس فيهم ذاهية بالمنفعة منهم  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذِ الرُّؤْسَاءِ وَالْأَمْرَاءِ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ  
 النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فَمِنْ الْعَالِبِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَةٍ غَيْرِهِ وَلَا بُدَّ  
 فَإِنْ كَانَتْ الْمَلَكَةُ رَفِيقَةً وَعَادِلَةً لَا يُعَانِي مِنْهَا حُكْمٌ وَلَا مَنَعٌ وَصَدَّكَ كَانَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

يَدَاهَا مُدْلِينَ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ جُبْنٍ وَائْتِقِينَ بِعَدَمِ الْوَازِعِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ  
الْإِدْلَالُ جِبِلَّةً لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأَحْكَامُهَا بِالْقَهْرِ وَالسُّطُورَةِ  
وَالْإِخَافَةِ فَتَكْسِرُ حِينَئِذٍ مِنْ سَوْرَةِ بَأْسِهِمْ وَتَذْهَبُ الْمِنْعَةُ عَنْهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنَ  
التَّكَاسُلِ فِي النُّفُوسِ الْمُنْضَطِّهِدَةِ كَمَا نَبَّيْنَاهُ وَقَدْ نَهَى عُمَرُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ  
مِثْلِهَا لَمَّا أَخَذَ زُهْرَةُ بْنُ حَوْبَةَ سَلَبَ الْجَالُيُوسِ وَكَانَتْ قِيمَتُهُ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ  
الذَّهَبِ وَكَانَ اتَّبَعَ الْجَالُيُوسَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَابِيَهُ فَأَنْزَعَهُ مِنْهُ سَعْدٌ وَقَالَ  
لَهُ مَلَأَ أَنْظَرْتَنِي فِي اتِّبَاعِهِ إِذْنِي وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِسَأْذِنِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ تَعَمَّدُ إِلَى  
مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمَا صَلَّى بِهِ وَبَقِيَ عَلَيْكَ مَا بَقِيَ مِنْ حَرْبِكَ وَتَكْسِرُ فُوقَهُ وَتُفْسِدُ  
قَلْبَهُ وَأَمْضَى لَهُ عُمَرُ سَابِيَهُ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ بِالْعِقَابِ فَمَذْهَبَةُ لِلْبَأْسِ بِالْكَلْبَةِ  
لِأَنَّ وَقُوعَ الْعِقَابِ بِهِ وَلَمْ يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ بِكَيْسِهِ الْمَذَلَّةَ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ سَوْرَةِ بَأْسِهِ  
بِلاَ شَكٍّ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ تَأْدِيبِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَأَخَذَتْ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا انْتَرَتْ  
فِي ذَلِكَ بَعْضَ النَّبِيِّ لِمَرْبَاهُ عَلَى الْخِيفَةِ وَالْإِتْقَانِ فَلَا يَكُونُ مُدْلًا بِبَأْسِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ  
الْمُتَوَحِّشِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْبَدْوِ أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ تَأْخُذِهِ الْأَحْكَامُ وَتَجِدُ أَيْضًا الَّذِينَ  
يَهَانُونَ الْأَحْكَامَ وَمَلَكَتْهَا مِنْ لَدُنْ مَرْبَاهُمْ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالدِّرْيَانَاتِ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ بَأْسِهِمْ كَثِيرًا وَلَا يَكَادُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَادِيَةً  
بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَهَذَا شَأْنُ طَلِبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَحَلِّينَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْإِخْتِارِ الْمَشَايِخِ  
وَالْأَيْمَةِ الْمَمَارِسِينَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ فِي مَجَالِسِ الْوَقَارِ وَالْهَيْبَةِ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ  
وَذَهَابُهَا بِالْمِنْعَةِ وَالْبَأْسِ وَلَا تَسْتَكْرِ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَخْذِهِمْ بِأَحْكَامِ  
الدِّينِ وَالتَّشْرِيعَةِ وَلَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ بَأْسِهِمْ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا لِأَنَّ الشَّارِعَ  
صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ كَانَ وَارِعُهُمْ فِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَا  
تَلِي عَلَيْهِمْ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَلَمْ يَكُنْ يَتَعْلَمُ صِنَاعِي وَلَا تَأْدِيبِ تَعْلِيمِي إِنَّمَا  
هِيَ أَحْكَامُ الدِّينِ وَادَابُهُ الْمُتَلَقَّاءُ تَقَالًا يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا بِمَا رَسَخَ فِيهِمْ مِنْ عَقَائِدِ  
الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ فَلَمْ تَنْزَلْ سَوْرَةُ بَأْسِهِمْ مُسْتَحْكِمَةً كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَخْذِشْهَا أَظْفَارُ  
التَّأْدِيبِ وَالتَّعْظِيمِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الشَّرْعُ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حَرِصًا  
عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوَازِعُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَبِقِينَا بِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ

وَلَمَّا تَفَاقَصَ الدِّينُ فِي النَّاسِ وَأَخَذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَارِعَةِ ثُمَّ صَارَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً  
يُؤَخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَخُلِقَ الْأَنْقِيَادُ إِلَى الْأَحْكَامِ  
نَقَصَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَأْسِ فِيهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُسَدَّةٌ  
لِلْبَأْسِ لِأَنَّ الْوَارِعَ فِيهَا ذَاتِي وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ تَمَّا  
تَوَثَّرَ فِي أَهْلِ الْخَوَاصِرِ فِي ضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَخَضِ الشُّوْكَةِ مِنْهُمْ بِمَعَانِيهِمْ فِي وِلْدَانِهِمْ  
وَكَهُولِهِمْ وَالْبَدْوِ بِمَعْرِزٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَالْأَدَابِ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الْعُلَمَاءِ وَالتَّمْتِيعِينَ  
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدِّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقَلَهُ  
عَنْ شَرِيحِ الْقَاضِي وَاحْتِجَّ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَأَ الْوَحْيُ مِنْ شَأْنِ الْغَطِّ وَأَنَّهُ  
كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْغَطِّ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِبُعْدِهِ  
عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارِفِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

### الفصل السابع

في ان سکنی ابدو لا تكون لا لاقبال اهل العدة  
إِعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَىٰ نَبَاهُ  
النَّجْدَيْنِ وَقَالَ فَأَنهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ الْخَلَالِ إِلَيْهِ إِذَا أَهْمِلَ فِي مَرَعَى  
عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْدِ بِهِ الْإِقْتِدَاءُ بِالذِّينِ وَعَلَىٰ ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَنِيْرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ  
أَخْلَاقِ الْبَشَرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَىٰ بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَىٰ مَنَاعِ  
أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَىٰ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَعْذَهُ وَارِعٌ كَمَا قَالَ  
وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عِفَّةٍ فَاعْلَمِ لَا يَظْلِمُ  
وَأَمَّا الْمَدَنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكْمُ وَالِدَوْلَةُ بِمَا قَبَضُوا  
عَلَىٰ أَيْدِي مَنْ تَحْتَمُّ مِنْ الكَافَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أَوْ يَعْذُو عَلَيْهِ فَمِنْ  
مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ التَّظْلَمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا  
الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاحُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْغَفَاةِ أَوْ الْغَرَّةِ لِأَنَّ  
أَوْ أَنْجَزَ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ تَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ أَرْذِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ أَعْوَانِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْأَسْتِعْدَادِ  
وَالْمَقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَحْيَاةُ الْبَدْوِ فَيَزِعُ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ مَشَائِخُهُمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نُفُوسِ السَّكَافَةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالْتَجَلَّةِ وَأَمَّا حَالُهُمْ فَإِنَّمَا يَدُودُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةِ  
الْحَيِّ مِنْ أَنْجَادِهِمْ وَفَتْيَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصُدُّ دِفَاعِهِمْ وَذِيَادُهُمْ  
إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيُخْشَى جَانِبَهُمْ  
إِذْ نُعْرَةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أُمَّهُ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّفَقَةِ  
وَالنُّعْرَةِ <sup>(١)</sup> عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَفُرْيَانِهِمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
التَّعَاوُدُ وَالتَّنَادُرُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَيِّهِ لَتَيْنِ أَكَلَهُ الذَّمُّ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا إِذَا الْخَامِرُونَ  
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَوَهَّمُ الْعَدُوَانُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وُجُودِ الْعِصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمَتَفَرِّدُونَ فِي  
أَنْسَابِهِمْ فَقَلَّ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نُعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوُّ بِالشَّرِّ يَوْمَ  
الْحَرْبِ تَسَلَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَجْوَى النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ خِيْفَةً وَأَسْتِيحَاشًا مِنَ التَّخَاذُلِ فَلَا  
يَقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سَكْنَى الْقَفْرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَمِهِمْ مِنَ  
الْأَنَامِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي يَحْتَاجُ لِلْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَيَمِثِلُهُ  
يَتَبَيَّنُ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَعْمَلُ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ نُبُوَّةٍ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذْ بُلُوغُ  
الغَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْإِسْتِعْصَاءِ وَلَا  
يُدْفَعُ فِي القِتَالِ مِنَ الْعِصْبَةِ كَمَا ذَكَرْنَا أَنْفًا فَأَنْخِذْهُ إِمَامًا نَقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
بَعْدَ وَاللهِ الْمُؤَفَّقِ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصبة انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه

وَذَلِكَ أَنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَمِنْ صَلَتِهَا النُّعْرَةُ عَلَى ذَوِي  
الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَنَالَهُمْ ضِيمٌ أَوْ تُصِيبَهُمْ هَلَاكَةٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَبْغِي فِي نَفْسِهِ  
غَضَاضَةً مِنْ ظَلْمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعَدَاءِ عَلَيْهِ وَيُودُّ لَوْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ  
وَالْمَهَالِكِ نَزْعَةً طَبِيعِيَّةً فِي الْبَشَرِ مَذْكَانًا فَإِذَا كَانَ النِّسْبُ الْمُتَوَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
قَرِيبًا جَدًّا بَجِيثٌ حَصَلَ بِهِ الْإِتِّعَادُ وَالْإِتِّعَامُ كَانَتْ الْوَصْلَةُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
بِحَجْرِهَا وَوُضُوحِهَا وَإِذَا بَعُدَ النِّسْبُ بَعْضُ الشَّيْءِ فَرُبَّمَا تُوسِي بَعْضًا وَيَبْقَى مِنْهَا شُهْرَةٌ

(١) النعرة والنعارة بالضم فيها والعبر الصراخ والصرائح في حرب او شركا في القاموس

فَتَحْمِلُ عَلَى الثُّغْرَةِ لِذَوِي نَسَبِهِ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَارًا مِنَ الْغَضَاظَةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْحِلْفُ إِذْ تُعْرَفُ كُلُّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِ وَلَائِهِ وَحَلْفِهِ لِلْأَلْفَةِ الَّتِي تَلْحَقُ النَّفْسَ مِنْ أَهْتِضَامِ جَارِهَا أَوْ قَرِيبِهَا أَوْ  
نَسَبِهَا بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لَحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَقْتَضِيهِمْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَسَابِكُمْ مَا  
تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَائِدَتُهُ هَذَا الْإِتِّحَامُ الَّذِي يُوجِبُ صِلَةَ  
الْأَرْحَامِ حَتَّى تَقَعَ الْمُنَاصَرَةُ وَالنُّعْرَةُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَغْنَى عَنْهُ إِذِ النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِي  
لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَتَنْفَعُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوَصْلَةِ وَالْإِتِّحَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا وَاضِحًا حَمَلَ  
الثُّغُورَ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ الثُّغْرَةِ كَمَا قُلْنَا وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعُفَ  
فِيهِ الْوَهْمُ وَذَهَبَتْ فَائِدَتُهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ مَجَانًا وَمِنْ أَعْمَالِ الْهَوَى الْمُنْهِي عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْأَعْتِبَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمْ النَّسَبُ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجِهَالَةٌ لَا تُضُرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَائِدَةُ الْوَهْمِ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَأَنْتَفَتْ  
الثُّغْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْعَصِيَّةُ فَلَا مَنَفَعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب

ومن في معانهم

وَذَلِكَ لِمَا اخْتَصُّوا بِهِ مِنْ نَكْدِ الْعَيْشِ وَشَطَفِ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَلْتَهُمْ  
عَلَيْهَا الضَّرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ نَيْكَ الْقِسْمَةِ وَهِيَ لَمَّا كَانَ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْإِبِلِ  
وَنِتَاجِهَا وَرِعَايَتِهَا وَالْإِبِلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ لِرَعِيَّتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَنِتَاجِهَا فِي  
رِمَالِهِ كَمَا تَقْدَمُ وَالْقَفْرُ مَكَانُ الشُّطْفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمْ الْفَأُ وَعَادَةٌ وَرَبِيتَ فِيهِ  
أَجْيَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجِيلَةً فَلَا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ أَنْ يَسَاهِمَهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْتِسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَأَمَكَّنَهُ ذَلِكَ لَمَّا تَرَكَهُ فَيُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَافِ أَسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ مَحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانَتْ وَثِيقَةً وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَدْيِيلٍ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ مِنْ خُرَاعَةٍ لَمَّا كَانُوا أَهْلَ شَطْفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ

وَلَا فَرَعٍ وَبَعْدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْأَدَمِ وَالْحَبُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَنْسَابُهُمْ صَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلْهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شَوْبٌ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِاللُّوْلِ وَفِي مَعَادِنِ الْخَضْبِ الْمَرَاعِيِّ وَالْعَيْشِ مِنْ حَمِيرٍ وَكِهْلَانَ مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ  
 وَغَسَّانٍ وَطَبِيٍّ وَقَضَاعَةَ وَإِيَادَ فَأَخْتَلَطَتْ أَنْسَابُهُمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 يُوتِنُهُمْ مِنْ الْخِلَافِ عِنْدَ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْهَجْمِ وَمَخَاطَبَتِهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَتَعَبَّرُونَ بِمَحَافِظَةِ عَلَى النَّسَبِ فِي يُوتِنِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَامُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنَبَطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرِيْبِهِ كَذَا هَذَا أَيْ مَا لِحَقَى هُوَ لِأَنَّ الْعَرَبَ أَهْلَ الْأَرْيَافِ مِنَ الْأَزْدِ حَامٍ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمَرَاعِيِّ الْخَضْبِيَّةِ فَكَثُرَ الْاِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْإِتِمَاعُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيُقَالُ جُنْدٌ قَنْسَرِينَ جُنْدٌ  
 دِمَشْقَ جُنْدٌ الْعَوَاجِمِ وَانْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِأَطْرَاحِ الْعَرَبِ أَمْرٌ النَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لِأَخْصِيَاءِهِمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عَرَفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةً  
 زَائِدَةً عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيِّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَمْرَائِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْاِخْتِلَاطُ فِي الْخَوَاصِرِ مَعَ الْعَجْمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتْ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ ثَمَرَتُهَا مِنَ الْعَصْبِيَّةِ فَاطْرَحَتْ ثُمَّ ثَلَاثَتْ  
 الْقَبَائِلُ وَدُنِرَتْ فَدُنِرَتْ الْعَصْبِيَّةُ بِدُنُورِهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْبَدْوِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةِ  
 الْيَهُودِ أَوْ حِلْفٍ أَوْ وِلَاةٍ أَوْ لِفِرَارٍ مِنْ قَوْمِهِ بِجِنَابَةِ أَصَابِهَا فَيَدَّعِي بِنَسَبِ هُوَ لِأَنَّ وَيَعُدُّ  
 مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ الثَّمَرَةِ وَالْقَوْدِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وُجِدَتْ ثَمَرَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هُوَ لِأَنَّ وَمِنْ هُوَ لِأَنَّ الْأَجْرِيَانَ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَخْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ التَّحَمُّ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيَجْفَى عَلَى الْأَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ وَيَلْتَمِعُ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجْمِ . وَأَنْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ

آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء لا من ذلك ومنه شأن بجيلة في عزجة بن هرثمة لما  
ولاه عمر عليهم فسألوه الأعتفاء منه وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا  
أن يولي عليهم جريراً فسأله عمر عن ذلك فقال عزجة صدقوا يا أمير المؤمنين أنا  
رجل من الأزد أصبت دماً في قومي ولحقت بهم وأنظر مني كيف اختلط عزجة بجيلة  
وليس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائهم  
ولو غفلوا عن ذلك وأمتد الزمن لتنوبي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فأفهمه  
وأعتبر بيرا لله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من اليهود والله  
الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

### الفصل الحادي عشر<sup>(١)</sup>

في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية

اعلم ان كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام  
ففيهم أيضاً عصابات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل  
عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقرين أو  
الأبعدين فهؤلاء أقد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصاب في  
النسب العام والنزعة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام إلا أنها  
في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة والرئاسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم  
ولا تكون في الكل ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالقلب وجب أن تكون عصبية  
ذلك النصاب أقوى من سائر العصاب ليقع القلب بها وتتم الرئاسة لأهلها فإذا وجب  
ذلك تبين أن الرئاسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل القلب  
عليهم إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصاب الأخرى النازلة عن عصابهم في  
القلب لما تمت لهم الرئاسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى  
فرع ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعها لما قلناه من مير القلب لأن الاجتماع  
والعصبية بمثابة المزاج المتككون والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت

(١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة الفرنسية وإثباته أول لبطاني كلام

أول الفصل ١٢ اه قاله نصر الموريني



الْعَصَائِرُ فَلَا بُدَّ مِنْ غَلْبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فَبِذَا هُوَ سِرُّ اشْتِرَاطِ الْغَلْبِ فِي  
الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِمْرَارُ الرَّئِيسَةِ فِي النَّصَابِ الْمَخْصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَا

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصبة لا تكون في غير نسبهم  
وَذَلِكَ أَنَّ الرَّئِيسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْغَلْبِ وَالْغَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا  
فَلَا بُدَّ فِي الرَّئِيسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِبَةٍ لِعَصَبِيَّاتِهِمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً  
لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحَسَّتْ بِغَلْبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَبُوا بِالْإِذْعَانِ وَالْإِتْبَاعِ  
وَالسَّاقِطُ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنَّسَبِ إِنَّمَا هُوَ مُلْصِقٌ لِزَيْقٍ  
وَعَايَةِ الْعَصَبِ لَهُ بِالْوِلَاةِ وَالْحِلْفِ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَهُ غَلْبًا عَلَيْهِمْ أَلْبَتَّةَ وَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ  
قَدِ اتَّخَمَ بِهِمْ وَاخْتَلَطَ وَتَنَوَّبِي عَهْدُهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَلَيْسَ جِلْدُهُمْ وَدُعِي  
بِنَسَبِهِمْ فَكَيْفَ لَهُ الرَّئِيسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِلْتِحَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلْفِهِ وَالرَّئِيسَةُ عَلَى الْقَوْمِ  
إِنَّمَا تَكُونُ مُتَنَاقِلَةً فِي مَنِّتٍ وَاحِدٍ تَعَيَّنَ لَهُ الْغَلْبُ بِالْعَصِيَّةِ فَالْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا  
الْمُلْصِقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا النَّصَافَةُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَنَعْنَعُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرَّئِيسَةِ حِينَئِذٍ  
فَكَيْفَ تَنَوَّلَتْ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ الْإِلْتِصَاقِ وَالرَّئِيسَةُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَوْرُوثَةً عَنْ  
مُسْتَحَقِّهَا لِمَا قُلْنَا مِنْ التَّغَلُّبِ بِالْعَصِيَّةِ وَقَدْ يَتَشَوَّفُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الْقَبَائِلِ  
وَالنَّصَابِ إِلَى أَنْسَابِ بَلْهَجُونَ بِهَا إِمَّا لِخُصُوصِيَّةِ فَضِيلَةٍ كَانَتْ فِي أَهْلِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ  
شَجَاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ ذِكْرِ كَيْفَ اتَّفَقَ فَيَزْعُمُونَ إِلَى ذَلِكَ النَّسَبِ وَيَتَوَرَّطُونَ بِالِدَعْوَى فِي  
شُعُوبِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يُوْقَعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقَدْحِ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَالطَّمَنِ فِي شَرَفِهِمْ  
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدَّعِيهِ زُنَانَةُ جُمْلَةً أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْهُ  
أَدْعَاةُ أَوْلَادِ رَبَّابِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِجَازِيِّينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدِ شُعُوبِ زُرْعَةَ أَنَّهُمْ مِنْ  
بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ مِنَ الشَّرِيدِ مِنْهُمْ لِحَقِّ جَدِّهِمْ بِنِي عَامِرٍ تَجَارًا يَصْنَعُ الْحُرْجَانَ<sup>(١)</sup> وَاخْتَلَطَ  
بِهِمْ وَاتَّخَمَ بِنَسَبِهِمْ حَتَّى رَأَسَ عَلَيْهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْحِجَازِيَّ . وَمِنْ ذَلِكَ أَدْعَاةُ بَنِي عَبْدِ  
الْقَوِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ نُوحِ بْنِ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَغْبَةً فِي هَذَا  
النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَغَلَطًا بِأَسْمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَطِيَّةِ أَبِي عَبْدِ الْقَوِيِّ وَلَمْ يَعْلَمْ دُخُولُ أَحَدٍ

(١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بفتحين نعت الموقاه

مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوَلَّتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعَلَوِيِّينَ أَعْدَائِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِبْطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ الْعَلَوِيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدْعِيهِ أَبْنَاءُ زِيَانَ مُلُوكُ تَلْمَسَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا أَشْتَهَرُ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْقَاسِمِ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمُ الزَّنَاتِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيُّ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدْعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمُ  
 بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَغَايَةُ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ فَرَّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُسْتَجِيرًا بِهِمْ فَكَيْفَ نَتَمُّ لَهُ الرِّئَاسَةُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ مِنْ قِبَلِ  
 أَسْمِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْوُجُودِ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَهَّمُوا أَنَّ قَاسِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 غَيْرُ مُتَحَاجِينَ لِذَلِكَ فَإِنَّ مَنَالَهُمْ لِلْمَلِكِ وَالْعِزَّةُ إِنَّمَا كَانَ بِعَصِيَّتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَأْدَعَاهُ  
 عَلَوِيَّةٌ وَلَا عَبَّاسِيَّةٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى هَذَا الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِعِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَيَشْتَهَرُ حَتَّى يَبْعُدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْ يَغْمُرَاسِنَ بْنِ زِيَانَ  
 مُؤَثَّلِ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ بَلَّغْتَهُ الزَّنَاتِيَّةَ مَا مَعْنَاهُ أَمَا الدُّنْيَا  
 وَالْمَلِكُ فَلِنَاهُمَا سَيُوفِنَا لَا يَهَذَا النَّسَبِ وَأَمَا نَفَعُهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَرَدُودٌ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ مَا يَدْعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخِ بَنِي يَزِيدَ  
 مِنْ زُغْبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخِ بَنِي بَدَلْتَانَ  
 مِنْ تُوْجِينِ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالزَّوَادَةَ شَيْخِ رِيَّاحِ أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مَهْنَأِ أَمْرَاهِ طَيْبِيٍّ بِالْمَشْرِقِ يَدْعُونَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ أَدْعَاءِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلَّغْنَا أَنَّ تَعْيِينَ أَنْ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصِيَّاتِهِ فَاعْتَبَرَهُ وَأَجْتَنَّبَ الْمَغَالِطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلْ مِنْ  
 هَذَا أَلْبَابِ الْحَقَّاقِ مَهْدِيِّ الْمُؤَحِّدِينَ بِنَسَبِ الْعَلَوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنَاتِ  
 الرِّئَاسَةِ فِي هَرْتَمَةَ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأَسَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَشْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالِدِينِ وَدُخُولِ  
 قِبَائِلِ الْمُصَامِنَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَابِتِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

### الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية

وبكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في آباءه  
أشرفاً من كورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم فجلة في أهل جلدته لهما  
وقر في نفوسهم من فجلة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن  
قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا  
فقهوا فمعنى الحسب راجع إلى الأنساب وقد بينا أن ثمره الأنساب وفائدتها إنما هي  
العصبية للثمرة والتناصر حيث تكون العصبية مرهوبة والمنبت فيها زكي محمي  
تكون فائدة النسب أومح وثمرتها أقوى وتعيد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها  
فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمره النسب وتفاوت البيوت  
في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سراً ولا يكون للمنفردين من أهل الأمتصار  
بيت إلا بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدعوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل  
الأمتصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومخالطة أهله مع  
الركون إلى العافية ما استطاع وهذا مغاير ليسر العصبية التي هي ثمره النسب وتعيد  
الآباء لكونه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لملاقة ما فيه من تعديد الآباء  
المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق  
وإن ثبت أنه حقيقة فهما بالتوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في  
بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسلخون منه  
لذاتها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالانصار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب  
يعدون به أنفسهم من أشراف البيوت أهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب  
العصبية جملة وكثير من أهل الأمتصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول  
عهدهم مؤسسون بذلك وأكثر ما روي الأوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان  
لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت أولاً ليعتد في سلفهم من الأنبياء والرسل  
من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية ثانياً وما

أَنَّهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ أَسْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
 الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَالَةُ فِي الْأَرْضِ وَأَنْفَرُوا بِالْأَسْتِمْبَارِ لِلْكَفْرِ  
 آفَاقًا مِنَ السِّنِينَ وَمَا زَالَ هَذَا الْوَسْوَاسُ مُصَاحِبًا لَهُمْ فَتَعَجُّدُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
 مِنْ نَسْلِ يُوْشَعَ هَذَا مِنْ عَقِبِ كَالِبِ هَذَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُوحِ الدَّلِيلِ  
 فِيهِمْ مِنْذُ أَحْقَابِ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُتَقَطِّعِينَ فِي أَنْسَابِهِمْ  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ يَنْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَدْيَانِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
 الْحَسَبَ فِي كِتَابِ الْخِطَابَةِ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسَبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
 قَوْمٍ قَدِيمٍ نَزَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْتَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
 قَدِيمُ نَزَلِهِمْ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عِصَابَةٌ يَرْهَبُ بِهَا جَانِبَهُ وَتَحْمِلُ غَيْرَهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
 مِنْهُ فَكَانَهُ أَطْلَقَ الْحَسَبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطَّ مَعَ أَنَّ الْخِطَابَةَ إِنَّمَا هِيَ اسْتِمَالَةٌ مِنْ  
 تَوْثُرِ اسْتِمَالَتِهِ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَمَّا مَنْ لَا فُذْرَةَ لَهُ الْبَيْتَةَ فَلَا يُلْتَمَسُ إِلَيْهِ وَلَا  
 يَقْدَرُ عَلَى اسْتِمَالَةِ أَحَدٍ وَلَا يُسْتَمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنَ الْخَضِرِ يَهْدِيهِ الْعَثَابَةُ إِلَّا  
 أَنْ ابْنَ رُشْدٍ رَبَّاهُ فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يُمَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا أَنْسُوا أحوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
 الْبَيْتِ وَالْحَسَبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يُرَاجِعْ فِيهِ  
 حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَسِرِّهَا فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم  
 وَذَلِكَ أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّرْفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةَ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا أُصْطَنِعَ  
 أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْقُوا الْعِبْدَانِ وَالْمَوَالِي وَالتَّحَمُّوا بِهِ كَمَا قُلْنَا  
 ضَرَبَ مَعَهُمْ أَوْلِيكَ الْمَوَالِي وَالْمُصْطَنِعُونَ بِنَسَبِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلَيْسُوا جِلْدَتَهَا  
 كَانَهَا عَصَبَتُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مُسَاهِمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى أُصْطِنَاعٍ وَحَلْفٍ  
 وَلَيْسَ نَسَبٌ وَلَا دَنَةٌ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ هِيَ مُبَايَنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةٌ ذَلِكَ  
 النَّسَبِ مَفْقُودَةٌ لِذَهَابِ سِرِّهَا عِنْدَ التَّحَامِيهِ بِهَذَا النَّسَبِ الْآخَرَ وَفُقْدَانِهِ أَهْلَ عَصِيَّتِهَا  
 فَيَصِيرُ مِنْ هَوْلَاءِ وَيَتَدْرَجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ يَنْبَغُ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نِسْبَتِهِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
 أَدُونَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
 يَشْرَفُونَ بِالرُّسُوحِ فِي وِلَايَةِ الدُّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّ الْأَبَاءَ فِي وِلَايَتِهَا أَلَا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
 الْأَنْتَرَاكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوبَخْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
 الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنِي الْعَجْدِ وَالْأَصَالَةَ بِالرُّسُوحِ فِي وِلَايَةِ الدُّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى  
 بْنُ خَالِدٍ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ يَتَنَا وَشَرَفًا بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى وِلَايَةِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِالْإِنْتِسَابِ  
 فِي الْفَرَسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمُ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوحِ  
 فِي وِلَايَتِهَا وَالْأَصَالَةَ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَيَضْحَكُ نَسَبُ الْأَقْدَمِ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَقَى مُلْفَى لَا  
 عِزَّةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَجَدِّهِ وَإِنَّمَا الْمَثْبُورُ نِسَبُهُ وَوِلَايَتِهِ وَأَصْطِنَاعِهِ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصَبِيَّةِ  
 الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبِنَاوِهِ مِنْ بَنَائِهِمْ فَلَمْ  
 يَنْفَعَهُ نَسَبُ وِلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنِي جَدِّهِ نَسَبُ الْوِلَايَةِ فِي الدُّوَلَةِ وَلِخِصَّةِ الْأَصْطِنَاعِ فِيهَا  
 وَالزِّيَادَةِ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ فِي لُحْمَةِ عَصَبِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وِلَاوُهُ  
 وَأَصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعَهُ الْأَوَّلَى لِذَهَابِ عَصَبِيَّتِهَا وَانْتَفَعُ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودِهَا وَهَذَا  
 حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذِ الْمَشْقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفَرَسِ مِنْ سِدَنَةِ بِيوتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
 وَلَمَّا صَارُوا إِلَى وِلَايَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ أَعْتِبَارًا وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 وِلَايَتِهِمْ فِي الدُّوَلَةِ وَأَصْطِنَاعِهِمْ وَمَا سِوَى هَذَا فَوَهْمٌ تُوسَّوِسُ بِهِ النَّفُوسُ الْجَائِعَةُ وَلَا  
 حَقِيقَةٌ لَهُ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِمَا قُلْنَا وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة اباة

إِعْلَمُ أَنَّ الْعَالَمَ الْعُنْصُرِيَّ بِمَا فِيهِ كَائِنٌ فَاسِدٌ لَا مِنْ ذَوَاتِهِ وَلَا مِنْ أَحْوَالِهِ  
 قَالِ الْمُكُونَاتُ مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ كَائِنَةٌ فَاسِدَةٌ  
 بِالْمَعَابِنَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَعْضُ لَهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَخُصُوصًا الْإِنْسَانِيَّةُ فَالْعُلُومُ تَنْشَأُ بِمِ  
 تَدْرُسُ وَكَذَا الصَّنَائِعُ وَأَمْثَالُهَا وَالْحَسَبُ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَعْضُ لِلدَّامِيَيْنِ فَهُوَ كَائِنٌ  
 فَاسِدٌ لَا سَحَالَةَ وَلَيْسَ يُوجَدُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْخَلْقِ شَرَفٌ مُتَّصِلٌ فِي آبَائِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ  
 إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَامَةٌ بِهِ وَحِبَابَةٌ عَلَى السِّرْفِ

وَأَوَّلُ كُلِّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةٌ كَمَا قِيلَ وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الرَّئِيسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الضَّمَّةِ  
 وَالْإِبْتِدَالِ وَعَدَمِ الْحَسَبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرَفٍ وَحَسَبٍ فَقَدِمَهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنٌ كُلُّ  
 مُحَدَّثٍ ثُمَّ إِنَّ نِهَابِيَّتَهُ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَذَلِكَ أَنَّ بَابِي الْعَجِيدِ عَالِمٌ بِمَا عَانَاهُ فِي بَنَائِهِ وَمُعَافِظٍ  
 عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ كَوْنِهِ وَبَقَائِهِ وَأَبْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لِأَبِيهِ فَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ  
 وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مَقْصِرٌ فِي ذَلِكَ لِقَصِيرِ السَّمِيعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمُعَانِي لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ  
 الثَّلَاثُ كَانَ حَظُّهُ الْإِفْتِنَاءَ وَالتَّقْلِيدَ خَاصَّةً فَقَصَرَ عَنِ الْآلِي تَقْصِيرَ الْمُقْلِدِ عَنِ الْمُجْتَمِدِ  
 ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَرَ عَنِ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً وَأَضَاعَ الْخِلَالَ الْحَافِظَةَ لِبِنَاءِ مُجَدِّهِمْ  
 وَأَحْتَقَرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ الْبِنْيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمَعَانَاةٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَتْ  
 لَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ النَّشْأَةِ بِجَرْدِ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ لِمَا يَرَى مِنَ النَّجَاةِ  
 بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبَبُهَا وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيَرْتَابُ بِنَفْسِهِ  
 عَنِ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ وَيَرَى الْفَضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثِقًا بِمَا رُبِّي فِيهِ مِنْ اسْتِنْبَاعِهِمْ وَجَهْلًا بِمَا  
 أَوْجَبَ ذَلِكَ الْاسْتِنْبَاعُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّوَاضُّعُ لَهُمْ وَالْأَخْذُ بِجَمَاعٍ قُلُوبِهِمْ  
 فَيَحْتَقِرُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْعِصُونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيُدِيلُونَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْئَةِ  
 وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِلْإِذْعَانِ لِعَصَبِيَّتِهِمْ كَمَا قُلْنَا بَعْدَ التَّوَقُّقِ بِمَا يَرْضُونَهُ  
 مِنْ خِلَالِهِ فَتَنَمُّوْا فُرُوعُ هَذَا وَتَذَوِي فُرُوعِ الْأَوَّلِ وَيَنْهَدِمُ بِنَاءَ يَتِيهِ هَذَا فِي الْمُلُوكِ  
 وَهَكَذَا فِي بُيُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأَمْرَاءِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ أَجْمَعِ ثُمَّ فِي بُيُوتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 إِذَا انْحَضَتْ بُيُوتٌ نَشَأَتْ بُيُوتٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ إِنْ يَشَاءُ بِذَهْبِكُمْ وَيَأْتِ  
 بِمَخْلُقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَأَشْتَرَاطُ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَحْسَابِ إِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْعَالِبِ وَالْأَقْدَمِ يَدْتِيرُ الْبَيْتُ مِنْ دُونِ الْأَرْبَعَةِ وَيَتَلَاشَى وَيَنْهَدِمُ وَقَدْ بَصُلَ أَمْرُهَا إِلَى  
 الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ إِلَّا أَنَّهُ فِي انْحِطَاطٍ وَذَهَابٍ وَأَعْتَبَارُ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْيَالِ  
 الْأَرْبَعَةِ بَانَ وَمُبَاشِرٌ لَهُ وَمُقْلِدٌ وَهَادِمٌ وَهُوَ أَقْلٌ مَا يُمَكِّنُ وَقَدْ أَعْتَبِرَتْ الْأَرْبَعَةُ فِي  
 نِهَابِيَّةِ الْحَسَبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ وَالنَّشَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
 الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَارَةً  
 إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْعَجِيدِ وَفِي التَّوْرَةِ مَا مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ طَائِقٌ غَيْرُ مُطَالِبٍ  
 بِذُنُوبِ الْأَبَاءِ لِلْبَنِينَ عَلَى الثَّوَالِثِ وَالرُّوَابِعِ وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَعْقَابِ غُرَّةٌ

فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَانِي أَنَّ كِسْرَى قَالَ  
لِلثُّعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تَنْشُرُ عَلَيَّ قَبِيلَةَ قَالَ نَعَمْ قَالَ بَأَيِّ شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مُتَوَالِيَةً رُؤَسَاءَهُ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ فَأَلَيْتُ مِنْ قَبِيلِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَهُمْ بَيْتُ قَيْسِ وَآلِ ذِي الْجَدْنِ بَيْتُ  
شَيْبَانَ وَآلِ الْأَشْثِ بْنِ قَيْسِ مِنْ كَفَّةٍ وَآلِ حَاجِبِ بْنِ زِرَارَةَ وَآلِ قَيْسِ بْنِ عَامِرِ  
الْمَنْقَرِيِّ مِنْ بَنِي قَيْمٍ جَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّحْمَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمْ  
الْحُكْمَانَ وَالْعُدُولَ فَقَامَ حَذِيْفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْثُ بْنُ قَيْسِ لِقِرَابَتِهِ مِنَ الثُّعْمَانِ ثُمَّ  
بَسَطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زِرَارَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَامِرٍ وَخَطَبُوا وَتَنَزَّوْا فَقَالَ  
كِسْرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ فِي الْمَذْكُورَةِ فِي الْعَرَبِ  
بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ بَيْتُ بَنِي الدُّبْيَانِ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبِ الْيَمَنِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ الْأَزْبَةَ الْآبَاءَ نِهَآيَةَ فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية افدر على التغلب ممن سواها .

إِعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدَاوَةُ سَبِيًّا فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمَقْدَمَةِ الثَّالِثَةِ لَا  
جَرَمَ كَانَ هَذَا الْجَيْلُ الْوَحْشِيُّ أَشَدَّ شَجَاعَةً مِنَ الْجَيْلِ الْآخِرِ فَهَذَا أَفْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ  
وَأَنْتَزَاعِ مَا فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْأَمْمِ بَلِ الْجَيْلُ الْوَاحِدُ يَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فِي ذَلِكَ  
بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ فَكُلَّمَا نَزَلُوا الْأَزْيَانَ وَتَفَقَّحُوا النَّعِيمَ وَالْفُؤَادِ الْخِصْبِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالنَّعِيمِ نَقَصَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ تَوْحُّشِهِمْ وَبِدَاوَتِهِمْ وَأَعْتَبِرْ  
ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ بَدَوَاجِنِ الطَّبَّاءِ وَالْبَقَرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْحُمْرِ إِذَا زَالَ تَوْحُّشُهَا  
بِمَحَالَّةِ الْأَدَمِيِّينَ وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا كَيْفَ يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي الْإِنْتِهَاضِ وَالسُّدَّةِ حَتَّى فِي  
مِشْنَتِهَا وَحُسْنِ أَدِيمِهَا وَكَذَلِكَ الْآدَمِيُّ الْمُتَوْحُّشُ إِذَا أُنْسَ وَأَلِفَ وَسَبِيَهُ أَنْ تَكُونَ  
السَّجَايَا وَالطَّبَائِعِ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمَالُوفَاتِ وَالْعَوَائِدِ وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ لِلْأَمِّ إِنَّمَا يَكُونُ  
بِالْإِقْدَامِ وَالْبَسَالَةِ فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْيَالِ أُعْرِقَ فِي الْبِدَاوَةِ وَأَكْثَرَ تَوْحُّشًا  
كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّغْلِبِ عَلَى سِوَاهُ إِذَا تَقَارَبَا فِي الْعُدَدِ وَتَكَافَا فِي الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَنْظُرْ  
فِي ذَلِكَ شَأْنَ مُضَرَّعٍ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ حَمِيرٍ وَكِهْلَانَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَلِكِ وَالنَّعِيمِ وَمَعَ

رَبِيعَةَ الْمُتَوَطِّنِينَ أَرْيَافَ الْعِرَاقِ وَنَعِيمِهِ لَمَّا بَقِيَ مُضَرٌّ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَتَقَدَّمَهُمُ الْآخَرُونَ إِلَى خَضْبِ الْعَيْشِ وَعَضَارَةِ النَّعِيمِ كَيْفَ أَرْهَفَتِ الْبِدَاوَةُ حَدَمَهُمْ فِي التَّغْلِبِ فَغَلَبُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنْزَعُوهُ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طَيِّءٍ وَبَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ وَبَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَنصُورٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ وَالْيَمَنِ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَانِهِمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْبِدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَغْلِبْهَا مَذَاهِبُ التَّرَفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ يَلِي نَعِيمًا وَعَيْشًا حَصَبًا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرَ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَءَ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرَ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا فِي الْقُوَّةِ وَالْمَدَدِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ بِهَا تَكُونُ الْحِمَايَةَ وَالْمُدَافَعَةَ وَالْمُطَابَلَةَ وَكُلُّ أَمْرٍ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَجْتَاوِرُونَ فِي كُلِّ اجْتِمَاعٍ إِلَى وَازِعٍ وَحَاكِمٍ يَزَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْإِلْمُ نَيْمٌ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمَلِكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرَّئِيسَةِ لِأَنَّ الرَّئِيسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودِدٌ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُ الْعَصَبِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتْبَةِ طَابٍ مَا فَوْقَهَا فَإِذَا بَلَغَ رُتْبَةَ السُّودِدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتْرُكُهُ لِأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ وَلَا يَتِمُّ أَقْتِدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُتَبَوِّعًا فَالتَّغْلِبُ الْمَلِكِيُّ غَايَةُ لِلْعَصَبِيَّةِ كَمَا رَأَيْتُمْ ثُمَّ إِنَّ الْقَبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ يَبُونَاتٌ مُفْتَرِقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَتِيعُهَا وَتَأْتِيهِمْ جَمِيعُ الْعَصَبِيَّاتِ فِيهَا وَتَصِيرُ كَأَنَّهَا عَصَبِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كَبْرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُفْضِي إِلَى الْأَخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى قَوْمِهَا طَلَبَتْ بِطَبْعِهَا التَّغْلِبَ عَلَى أَهْلِ عَصَبِيَّةٍ أُخْرَى بِعَبْدَةِ عَنَّا فَإِنْ كَانَتْهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا أَقْنَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوَازِنِهَا



وَقَوْمِهَا شَانَ الْقَبَائِلِ وَالْأَمَمِ الْمُفْتَرِقَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَأَسْتَنْبَعَتْهَا أَلْتَحَمَتْ بِهَا أَيْضًا  
وَزَادَتْ قُوَّةً فِي التَّغْلِبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ التَّغْلِبِ وَالتَّحْكُمِ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ  
الْأُولَى وَأَبَدَ وَهَمَكُنَا دَائِمًا حَتَّى تُكَافِيَ بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا  
مُضَاعِفٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلُ الْعَصَبِيَّاتِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا وَأَنْزَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدَيْهَا وَصَارَ  
الْمَلِكُ أَجْمَعُ لَهَا وَإِنْ انْتَهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يُقَارَنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتَهَا  
إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ أَنْتَظَمَتْهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا تَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى مَا يَعْشُرُ مِنْ  
مَقَاصِدِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَبَدِّ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ لِلتُّرْكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي  
الْعَبَّاسِ وَلِصَنْهَاجَةَ وَزَنَاتَةَ مَعَ كُتَامَةَ وَلِبنِي حَمْدَانَ مَعَ مَلُوكِ الشَّيْبَعَةِ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ  
فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى غَايَتِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ  
إِمَّا بِالْإِسْتِئْذَانِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ الْوَقْتُ الْمُقَارِنُ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَبَهُ  
عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَائِقٌ كَمَا نُبَيِّنُهُ وَقَفَّتْ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القبيل في النعيم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصَبِيَّتِهَا بَعْضَ الْغَلَبِ اسْتَوْلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِمِقْدَارِهِ  
وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْخِصْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصْبِهِمْ وَضَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمِهِمْ وَحِصَّةِ  
بِمِقْدَارِ غَلَبِهَا وَأَسْتَظْهَارِ الدَّوْلَةِ بِهَا فَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ  
فِي انْتِزَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مُشَارَكَتِهَا فِيهِ أَذَعَنَ ذَلِكَ الْقَبِيلُ لَوْلَايَتِهَا وَالْقَنُوعَ بِمَا يُسَوِّغُونَ  
مِنْ نِعْمَتِهَا وَبُشْرَ كَوْنِ فِيهِ مِنْ حَيَاتِهَا وَلَمْ تَسْمُ أَمَالُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا  
أَسْبَابِهِ إِنَّمَا هَمَّتْهُمْ النِّعَمُ وَالْكَسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالسُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى  
الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَذَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَائِي وَالْمَلَابِسِ وَالْإِسْتِكْفَارِ مِنْ ذَلِكَ  
وَالتَّنَاقُ فِيهِ بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيَاشِ وَالتَّرْفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ فَتَذَهَبُ  
خُشُونَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُفُ الْعَصَبِيَّةِ وَالنَّسَالَةُ وَتَتَنَعَّمُونَ فِيهَا أَنَاثُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَتَنْشَأُ  
بِنُومِهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ التَّرَفِّ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوِلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ  
وَيَسْتَنَكِفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقًا لَهُمْ  
وَسَجِيَّةً فَتَنْقُصُ عَصَبِيَّتَهُمْ وَبَسَالَتَهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ بِتَعَاقُبِهَا إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الْعَصَبِيَّةُ

فِيَا ذُنُونٍ بِالْأَنْفِرَاضِ وَعَلَى قَدَرٍ تَرْفِيهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْإِنَّمَاءِ فَضْلًا عَنْ  
الْمَلِكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِ وَالْفَرَقِ فِي النِّعَمِ كَأَسْرٍ مِنْ سَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّغْلِبُ  
وَإِذَا أَنْفَرَضْتَ الْعَصِيَّةُ فَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلًا عَنِ الْمَطَالِبَةِ  
وَأَلْتَمَعْتُمْهُمُ الْأُمُومِ سِوَاهُمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَائِقِ الْمَلِكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَالِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانتقاد الى سواهم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْتِقَادَ كَأَسْرٍ لِسَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِهَا فَإِنَّ أَنْقِيَادَهُمْ  
وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فِقْدَانِهَا فَمَا رَتَبُوا الْمَذَلَّةَ حَتَّى هَجَرُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ  
عَاجِزًا عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَطَالِبَةِ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مَلِكَهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا  
إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا أَي يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا  
بِضَرْبٍ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيئِينَ وَتَكُونُ مِنْ مُهْجَرَاتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ تَجَاوُزَ  
وَأَرْتَكَبُوا الْعَصِيَانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أَنْسَأُوا مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَطَالِبَةِ كَمَا لَقِئْتَهُ الْآيَةَ وَمَا يُؤْتِرُ فِي تَفْسِيرِهَا  
وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ الْإِنْتِقَادِ وَمَا رَتَبُوا مِنَ الدَّلِيلِ الْقَبْطِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتْ  
الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقَّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ  
لَهُمْ وَأَنَّ الْعَمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرِيحَا فَرِسْتَهُمْ بِحُكْمِ مِنَ اللَّهِ قُدْرَهُ لَهُمْ فَأَقْصَرُوا  
عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَطَالِبَةِ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ  
خُلُقِ الْمَذَلَّةِ وَطَعَنُوا فِيهَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيِّهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَمَا قَبِلَهُمُ اللَّهُ بِالنَّبِيِّ  
وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهُوا فِي قَفْرِ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا  
الْعُمُرَانَ وَلَا نَزَلُوا مِصْرًا وَلَا خَالَطُوا بَشَرًا كَمَا فَصَّلْتُ الْقُرْآنَ الْمُعْلَظَةَ الْعَمَالِقَةَ بِالشَّامِ  
وَالْقَبْطِ بِمِصْرَ عَلَيْهِمْ عَجْزُهُمْ عَنْ مَقَاوِمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَيُظْهِرُ مِنْ مَسَاقِ الْآيَةِ وَمَقْهُومِهَا  
أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ أَلْتِيهِ مَقْصُودَةٌ وَهِيَ فَنَاءُ الْجَبِيلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَبْضَةِ الدَّلِيلِ وَالْقَهْرِ  
وَالْقُوَّةِ وَتَخَلَّقُوا بِهِ وَأَفْسَدُوا مِنْ عَصِيئَتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ أَلْتِيهِ جَبَلٌ آخَرُ عَزِيزٌ لَا  
يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَنَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ أُخْرَى أَنْقَدُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَالتَّغْلِبِ وَيَطْهَرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَقَلُّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَتَاهُ  
 جِبِلٌّ وَنَشَأَتْ جِبِلٌّ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٌ عَلَى شَأْنِ الْعَصِيَّةِ  
 وَأَنَّهَا فِي النَّبِيِّ تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَأَنَّ مَنْ فَقَدَهَا عَجَزَ  
 عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْقَصْلِ فِيمَا يُوجِبُ الْمَدْلَةَ لِلْقَبِيلِ شَأْنُ الْمَغَارِمِ  
 وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَبِيلَ الْمَغَارِمِينَ مَا أَعْطَوْا الْيَدَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَدْلَةِ فِيهِ لِأَنَّ  
 فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِيًّا وَمَدْلَةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفْسُ إِلَّا إِذَا اسْتَهْوَتْهُ عَنِ الْقَتْلِ  
 وَالتَّلْفِ وَأَنَّ عَصِيَّتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصِيَّتُهُ لَا  
 تَدْفَعُ عَنْهُ الضَّمِّ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْأَنْقِيَادُ لِلذَّلِّ وَالْمَدْلَةُ  
 عَائِقَةٌ كَمَا قَدَّمَاهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَمَّا رَأَى سِكَّةَ  
 الْحَرْثِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الثَّلْثُ فَهُوَ دَلِيلٌ  
 صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَغْرَمَ مُوجِبٌ لِلذَّلِّ هَذَا إِلَى مَا يَصْحَبُ ذُلَّ الْمَغَارِمِ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرِ  
 وَالْخُدَيْعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَةِ الْقَهْرِ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رِبْقَةٍ مِنَ الذَّلِّ فَلَا  
 تَطْمَعَنَّ لَهَا بِمَلِكِ آخِرِ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَاتَهُ بِالْمَغْرِبِ  
 كَانُوا شَاوِيَةً يُؤَدُّونَ الْمَغَارِمَ لِمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَلْطٌ فَاحِشٌ كَمَا  
 رَأَيْتَ إِذْ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَنْبَبَ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا تَمَّتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَأَنْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرُ بَرَّازٍ  
 مَلِكُ الْأَبَابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ رَبِيعَةَ لَمَّا أُطْلِعَ عَلَيْهِ وَسَأَلَ شَهْرُ بَرَّازٍ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ  
 يَكُونَ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرَحَبًا بِكُمْ وَبَارَكَ  
 اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَجَزَيْتَنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرَ لَكُمْ وَالْقِيَامَ بِمَا تَحِبُّونَ وَلَا تُدِلُّونَا بِالْجِزْيَةِ فَتَوْهُنَا  
 لِعَدُوِّكُمْ فَأَعْتَبِرْ هَذَا فِيمَا قُلْنَا فَإِنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لَمَّا كَانَ الْمَلِكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَجْتِمَاعِ كَمَا قُلْنَاهُ وَكَانَ  
 الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
 لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
 إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمَلِكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُمَا

لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِالْبَيْوَاتِ فَإِذَا خَلَلَ الْخَيْرُ فِيهِ هِيَ الَّتِي تُنَاسِبُ السِّيَاسَةَ وَالْمَلِكَ إِذَا  
أَخْبِرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ التَّجِدَّ لَهُ أَصْلٌ يُبْنَى عَلَيْهِ وَتَحَقُّقُ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصِيَّةُ وَالْعَشِيرُ وَفَرَعٌ بِتَمِيمٍ وَجُودُهُ وَيُكْتَمِلُهُ وَهُوَ الْخِلَالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمَلِكُ غَايَةً لِلْعَصِيَّةِ فَهُوَ غَايَةٌ لِفُرُوعِهَا وَمُسَمَّيَاتِهَا وَهِيَ الْخِلَالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مُسَمَّيَاتِهِ  
كَوْجُودِ فَمَنْ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ عَرِيانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ  
قَطْعًا مِنْ غَيْرِ انْتَحَالَ الْخِلَالُ الْحَمِيدَةَ تَقْصًا فِي أَهْلِ الْبُيُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنَنْتُكَ  
بِأَهْلِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنَهَايَةٌ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالسِّيَاسَةُ وَالْمَلِكُ  
هِيَ كِفَالَةُ لِلْخَلْقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقَدْرِهِ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمَقْدَرُهُمَا إِذْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْمَكْفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأُوتِيَتْ مِنْهُ  
خِلَالُ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةُ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكِفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحِيَّةُ لِذَلِكَ وَهَذَا الْبُرْهَانُ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَسْمَعُ مَبْنَى فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِ الْمَلِكِ لَمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي وَالْأَمْرِ فَوَجَدْنَا مِنْهُمْ  
يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْعُكْرَمِ وَالْمَعْرُوفِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْقَرَى لِلضُّيُوفِ وَحَمَلِ الصُّكْلِ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَدْلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْحَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يَجِدُ دُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحُبِّاءِ مِنَ الْأَكَابِرِ وَالْمَشَاجِحِ وَتَوْفِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِنْتِقَادِ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنْصَافِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِنْتِقَادِ لِلْحَقِّ وَالنَّوَاضِعِ لِلْمَسْكِينِ وَاسْتِنَاعِ شِكْوَى الْمُسْتَضْعِفِينَ وَالنَّدِينَ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْبَابِهَا وَالتَّجَانِي عَنِ الْقَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ  
وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلُقُ السِّيَاسَةِ قَدْ حَصَلَتْ لِنَبِيِّهِمْ وَاسْتَحَقُّوا بِهَا  
أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّ خَيْرَ سَاقَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مَنَاسِبُ لِعَصَبِيَّتِهِمْ وَعَظِيمٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدَى فِيهِمْ وَلَا وَجَدَ عَيْشًا مِنْهُمْ وَالْمَلِكُ أَنْسَبُ  
 الْمَرَائِبِ وَالْخَيْرَاتِ لِعَصَبِيَّتِهِمْ فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأْذَنَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ وَسَاقَةَ إِلَيْهِمْ  
 وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ بِأَنْفِرَاضِ الْمَلِكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ تَكْتَلِبَ  
 الْمَذْمُومَاتِ وَالْتَعَالِ الرَّذَائِلِ وَسُلُوكِ طُرُقِهَا فَتُقْفَدُ الْفَضَائِلُ السِّيَاسِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
 تَزَالُ فِي انْقِصَاصٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ نَعِيًا  
 عَلَيْهِمْ فِي سَلْبِ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
 أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرِيبَةً أَمْرًا مَثَرِ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا حَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَا مَا تَدْمِيرًا وَأَسْتَقْرَى  
 ذَلِكَ وَتَبَعَهُ فِي الْأُمَّةِ السَّابِقَةِ تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا قُلْنَا وَرَسَمْنَا وَاللَّهُ يَغْلِقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ الَّتِي يَتَنَاقَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ الْوَالْعَصَبِيَّةُ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
 لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَحْسَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
 وَالغُرَبَاءِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالْمَشَائِرِ  
 لِيَمَنَ بِنَاهِضُهُمْ فِي الشَّرَفِ وَيُعَازِبُهُمْ جَبَلَ الْعَشِيرِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
 الْجَاهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَحْمِلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرَّغْبَةُ فِي الْجَاهِ أَوْ الْخِيفَةُ مِنْ قَوْمِ  
 الْمَكْرَمِ أَوْ التَّمَاسُ مِثْلَهَا مِنْهُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصَبِيَّةٌ تُنْقَى وَلَا جَاهٌ  
 يُرْتَمَى فَيَنْدَفِعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كَرَامَتِهِمْ وَيَتَحَمَّصُ الْقَصْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلْمَجْدِ وَالْتَعَالِ  
 الْكَمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكَلِيَّةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْبَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
 ضَرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ الْخَاصَّةِ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظْرَائِهِ وَإِكْرَامُ الطَّارِئِينَ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ  
 وَالْخُصُوصِيَّاتِ كَمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ لِلدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ لِلجَاهِ إِلَيْهِمْ فِي  
 إِقَامَةِ مَرَامِ السَّرِيعَةِ وَالشُّجَارِ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى تَعَمَّ الْمَنْفَعَةُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالغُرَبَاءِ مِنْ  
 مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فَيَعْلَمُ بِوُجُودِ  
 ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ أَنْتِمَاوَهُمْ لِلْسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَهِيَ الْمَلِكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأْذَنَ بِوُجُودِهَا  
 فِيهِمْ لِوُجُودِ عِلَامَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلَ الْمَلِكِ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ  
 تَعَالَى بِسَلْبِ مُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامَ هَذَا الصَّنِيفِ مِنَ الْخَلْقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
 مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْفَضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الذَّهَابِ عَنْهُمْ وَأَنْزَعَتْ زَوَالَ الْمَلِكِ  
 مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع  
وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف  
لقدرتهم على تعاربه الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاملين منزلة المفترس من  
الحيوانات العجم وهولاء مثل العرب وزناته ومن في معناتهم من الاكراد والتركماني  
واهل الانثام من صنهجة وايضا فهولاء المتوحشين ليس لهم وطن يرتأفون منه ولا  
بلد يحضون اليه فنسبة الافطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا لا يقتصرون على  
ملكه فطريهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود اقليمهم بل يظفرون الى  
الاقليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يمتكئ في ذلك عن عمر رضي  
الله عنه لما بويج وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم يدار  
الا على النخعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك أين القراه المهاجرون عن موعده الله  
سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل  
التبابعة وحمير كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة وإلى العراق والهند  
اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين من المغرب لما  
تزعوا الى الملك طغروا من الاقليم الاول وتجالاتهم منه في جوار السودان الى  
الاقليم الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم  
الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله بقدر  
الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من  
عوده الى شعب آخر منها ما دامت لم العصبية  
والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والا ذعان لهم من  
سائر الامم سواهم فيتعين منهم المباشر للامر الحاملون سرير الملك ولا يكون

ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ الْمُرَاحِمَةِ وَالغَيْرَةِ الَّتِي  
 تُجَدِّعُ أَنْوْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَاوِلِينَ لِلرُّتْبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أَوْلِيكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ أَنْعَمُوا  
 فِي النِّعَمِ وَغَرِقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالخَيْصِبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ وَانْقَمَوْهُمْ  
 فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعَدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبِحُوا عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي ظِلِّ  
 مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنِسَبِهِمْ وَبِمَنْجَاةٍ مِنْ أَهْرَمٍ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
 فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ وَأَبَادَ غَضْرَاءَهُمْ أَهْرَمُ قَطْعَتِهِمْ الدَّوْلَةَ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
 عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ بِمَا أَزْهَفَ النِّعَمُ مِنْ حَدِّهِمْ وَأَسْتَقَتْ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَائِهِمْ وَبَاقُوا  
 غَائِبِينَ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغْلِبِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كَدُّودِ الْفَرْزِ يَنْسِجُ ثُمَّ يَفْنَى بِعَمْرٍو نَسْجِهِ فِي الْإِنْعِكَاسِ

كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةُ الْآخِرِينَ مَوْفُورَةٌ وَسَوْرَةٌ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَاسِرِ مَحْفُوظَةٌ وَشَارَتْهُمْ  
 فِي الْغَلْبِ مَعْلُومَةٌ فَتَسْمَعُوا مَا لَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ مِنْ  
 جِنْسِ عَصِيَّتِهِمْ وَتَرْتَفِعُ الْمُنَازَعَةُ لِمَا عُرِفَ مِنْ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَبَصِيرُ  
 إِلَيْهِمْ وَكَذَا يَتَفَقُّ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُنْتَبِذًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَّتِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمَلِكُ  
 مُلْجِئًا فِي الْأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَنْكَسِرَ سَوْرَةُ الْعَصِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْنَى سَائِرُ عَشَائِرِهَا سِنَّةَ اللَّهِ فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَأَعْتَبِرْ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْعَرَبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
 مُلْكُ عَادٍ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ تَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ الْعَمَالِقَةُ وَمِنْ  
 بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ التَّبَاعِيَةُ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
 الْأَدْوَابُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ لِمُضَرَ وَكَذَا الْفَرَسُ لَمَّا أَنْقَرَضَ أَمْرُ الْكِنْدِيَّةِ مُلْكُ  
 مِنْ بَعْدِهِمُ السَّاسَانِيَّةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِمْ أَجْمَعَ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
 أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبَرْبَرُ بِالْمَغْرِبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
 أَمْرُ مِغْرَاوَةَ وَكُنَامَةَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْهَاجَةَ ثُمَّ الْمَلِكِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
 مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَاطَةَ وَهَكَذَا سِنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَضَلُّ هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا  
 يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمَلِكُ يَخْلُقُهُ التَّرَفُ وَيَذْهَبُ كَمَا سَنَدُ كُرَّةٍ  
 بَعْدُ فَإِذَا أَنْقَرَضَتْ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصِيَّةٌ مُشَارِكَةٌ لِعَصِيَّتِهِمْ  
 الَّتِي عُرِفَ لَهَا التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادُ وَأُنْسَ مِنْهَا الْغَلْبُ لِجَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَوْجَدُ

فِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَنَّ تَفَاوُتَ الْعَصِيَّةِ بِحَسَبِ مَا قُرِبَ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ الَّتِي هِيَ فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مِلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمُرَانِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ فَمُبْتَدِئًا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الْجَلِيلِ إِلَى الْجَلِيلِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُضَرَ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأُمَمِ وَالذُّوَلِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه

ونخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَاتَّقَدَّتْ إِلَيْهِ إِمَامًا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَفَّرَ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنْ أَنْقَادَهَا لَيْسَ لِغَلَبِ طَبِيعِيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَ لَهَا اعْتِقَادًا فَانْتَحَلَتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِفْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنْ غَلَبَ الْغَالِبُ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بَأْسٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا انْتَحَلَتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْغَلَبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَنْشَبُهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاعْتِقَادِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ فُطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيَّ الْحَامِيَةِ وَجُنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهمُ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تَجَاوَرُ أُخْرَى وَلَهَا الْغَلَبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشْبُهِ وَالْإِفْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أُمَّةِ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَنْشَبُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَتَبِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُدْرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى أَقْدُ يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بَعَيْنِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيْلَاءِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا مِرَّ قَوْلِهِمُ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِاعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ اعْتِقَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ



## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرهما امرع اليها الفناء  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَآلَهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ زَوْجًا عَلَيْهَا  
وَصَارَتْ بِالْإِسْتِعْبَادِ آلَةً لِسِوَاهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضَعُفُ التَّنَاسُلُ وَالْإِعْتِنَانُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتِ الْمَصِيبَةُ ذَاهِبَةً بِالْقَلْبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقَصَ عُمُرَانِهِمْ وَتَلَاشَتِ مَكَاسِبُهُمْ وَسَاعَيْهِمْ وَعَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنِ  
أَنْفُسِهِمْ بِمَا خَضَعَ الْقَلْبُ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُغْلِبِينَ لِكُلِّ مَتَغَلِبٍ وَطَعْمَةٍ لِكُلِّ  
أَكْلٍ وَسِوَاهُ كَانُوا حَاصِلُوا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسِرِّ آخِرِ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَيْسٌ بَطْنِيهِ يُقْتَضَى الْأَسْتِخْلَافِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ وَالرَّيْسُ إِذَا غَلِبَ عَلَى  
رِئَاسَتِهِ وَكَبِحَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَيْعِ بَطْنِيهِ وَرِي كَبِيدِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيِّ. وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ وَإِنَّهَا لَا تَسَافِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلِكَةِ الْأَدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَأَسْتِحْجَالٍ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَعْتَبِ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفَرَسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدَمَلَتْ  
الْعَالَمَ كَثْرَةً وَلَمَّا قَبِيتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنْ سَعَدَا أَحْصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رُبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَحَصَّلُوا فِي مَلِكَةِ الْعَرَبِ وَقَبِضَةُ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بَقَاؤُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَدَثُرُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحَسَّبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لظلمهم نزل بهم أو عدوان  
شملهم فملكه الإسلام في الغدال ما علمت وإنما هي طبيعة في الإنسان إذا غلب  
على أمره وصار آلة لغيره ولهذا إنما تدعى الرِّق في الغالب أُمَّةُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ كَمَا قُلْنَا أَوْ مِنْ بَرَجُو بِأَنْظَامِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرِّقِ حُصُولِ رُبِّيَّةٍ أَوْ إِفَادَةِ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَالِكِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْعُلُوجِ مِنَ الْجَلَّافَةِ وَالْإِنْرَبَجَةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ بِأَسْتِخْلَافِ الدَّوْلَةِ لَهُمْ فَلَا يَأْتُونَ  
مِنَ الرِّقِ لِمَا بَأْمَلُونَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالرُّبِّيَّةِ بِأَصْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِطَبِيعَةِ التَّوْحُشِ الَّذِي فِيهِمْ أَهْلُ انْتِهَابِ وَعَيْثٍ يَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُغَالَبَةٍ وَلَا رُكُوبِ خَطَرٍ وَيَفِرُّونَ إِلَى مُتَجَمِّعِهِمْ بِالْقَفْرِ وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُرَاخَنَةِ وَالْمَحَارَبَةِ إِلَّا إِذَا دَفَعُوا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ مَعْقِلٍ أَوْ مُسْتَصْعَبٍ عَلَيْهِمْ فَهُمْ تَارِكُوهُ إِلَى مَا يَسْهُلُ عَنْهُ وَلَا يَعْزُضُونَ لَهُ وَالْقَبَائِلُ الْمُتَمَتِّعَةُ عَلَيْهِمْ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَسَمُّونَ إِلَيْهِمْ أَلْهَضَابَ وَلَا يَرْكَبُونَ الصَّعَابَ وَلَا يُحَاوِلُونَ الْخَطَرَ وَأَمَّا الْبَسَائِطُ فَمَتَى أَقْتَدَرُوا عَلَيْهَا بِفِقْدَانِ الْحَامِيَةِ وَضَعْفِ الدَّلِيلَةِ فَعِي تَهَبُ لَهُمْ وَطَعْمَةٌ لَا كَلِيمَ يُرَدِّدُونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ وَالزَّخْفَ لِسُهُولَتِهَا عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ أَهْلُهَا مُغْلِبِينَ لَهُمْ ثُمَّ يَتَعَاوَرُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ الْأَيْدِي وَأَنْحِرَافِ السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ عُمَرَانُهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَحْشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامِ عَوَائِدِ التَّوْحُشِ وَأَسْبَابِهِ فِيهِمْ قَصَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَجَبِلَةً وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلْذُودًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْحُكْمِ وَعَدَمِ الْأَنْقِيَادِ لِلْسِّيَاسَةِ وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَمُنَاقِضَةٌ لَهُ فَعَايَةُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ كِلَاهِمَا عِنْدَهُمُ الرِّحْلَةُ وَالْتَعَلُّبُ وَذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِلسُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُمُرَانُ وَمُنَافٍ لَهُ فَالْحَجَرُ مَثَلًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِنَصْبِهِ أَنَا فِي الْقَدْرِ فَيَنْقَلِبُونَهُ مِنَ الْمَبَانِي وَيَخْرَبُونَهَا عَلَيْهِ وَيَعْدُونَهُ لِلنَّاسِ وَالْحَشْبُ أَيْضًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِيَعْمُرُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَّخِذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِيَوْمِهِمْ فَيُخْرَبُونَ السَّقْفَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ قَصَارَتْ طَبِيعَةُ وَجُودِهِمْ مُنَافِيَةٌ لِلْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُمُرَانِ هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَيْضًا فَطَبِيعَتُهُمْ انْتِهَابُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَنْ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاحِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ حَدٌّ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ بَلْ كَلَّمَا أَمْتَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ انْتَهَبُوهُ فَإِذَا تَمَّ أَقْدَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْتَعَلُّبِ وَالْمَلِكِ بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْعُمُرَانُ وَأَيْضًا فَلِأَنَّه

يُكَلِّفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْجُرْفِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَرَوْنَ لَهَا فَيْمَةً وَلَا  
فِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّمَنِ وَالْأَعْمَالِ كَمَا سَنَدُ كُرْهُ هِيَ أَصْلُ الْمَكَايِبِ وَحَقِيقَتُهَا  
وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ مَجَانًا ضَعُفَتِ الْأَمَالُ فِي الْمَكَايِبِ وَأَنْقَبَضَتِ الْأَيْدِي  
عَنِ الْعَمَلِ وَابْتَدَعَرُ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمُرَانُ وَأَيْضًا قَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِنَابَةٌ بِالْأَحْكَامِ  
وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدِفَاعِ بَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضِ إِنْمَا هُمُومٌ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ نَهْبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ  
مِنْ تَسْيِيدِ أحوالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَقَهَرِ بَعْضِهِمْ عَنِ أَغْرَاضِ الْمَفَاسِدِ وَرُبَّمَا  
قَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْجِبَابَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا  
كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمُعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ  
ذَلِكَ زَائِدًا فِيهَا لِإِسْتِهَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْغَرَضِ فَتَبْقَى الرَّعَابَا فِي مَلَكَتِهِمْ  
كَكُنْهَا قَوْضَى<sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمٍ وَالْقَوْضَى مَهْلِكَةٌ لِلْبَشْرِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمُرَانِ بِمَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ  
أَنْ وُجُودِ الْمَلِكِ خَاصَّةً طَبِيعِيَّةً الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِيمُ وُجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا  
وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَضْلِ وَأَيْضًا فَهْمٌ مُتَنَافِسُونَ فِي الرَّئَاسَةِ وَقُلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى كُرْهِهِ مِنْ  
أَجْلِ الْحَيَاءِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكْمُ مِنْهُمْ وَالْأَمْرَاءُ وَتَخْتَلِفُ الْأَيْدِي عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي الْجِبَابَةِ  
وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمُرَانُ وَيَبْتَقِضُ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ الْوَأَفِدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا  
سَأَلَهُ عَنِ الْحَجَّاجِ وَأَرَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالْعُمُرَانِ فَقَالَ تَرَكَتُهُ يَظْلِمُ  
وَخَدَهُ وَأَنْظَرُ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنْ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقْوَضُ  
عُمُرَانُهُ وَاقْفَرُ سَاكِنُهُ وَبَدَلَتْ الْأَرْضُ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالْبِمَنُ قَرَارُهُمْ خَرَابٌ إِلَّا  
قَلِيلًا مِنَ الْأَمْصَارِ وَعِرَاقِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرِبَ عُمُرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفُرْسِ أَجْمَعِ  
وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سَائِمٍ مِنْذُ  
أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَتَمَرَّسُوا بِهَا إِثْلَاثًا مِائَةً وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَعَادَتْ  
بَسَائِطُهُ خَرَابًا كَلِمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانَ وَالْبَحْرِ الرَّوْبِيِّ كُلَّهُ عُمُرَانًا تَشْهَدُ  
بِنِكَ آثَارِ الْعُمُرَانِ فِيهِ مِنَ الْعَمَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَاللَّهُ

ومما يعزى الى صيدنا علي لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالم سادوا

يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا التَّوْحُشِ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيَادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلغِلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ وَبُعْدِ الْمَهْمَةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ فَقَلَّمَا تَجَمَّعُوا هَوَاؤُهُمْ فَإِذَا كَانَ الَّذِينَ بِالنَّبُوءَةِ أَوْ الْوِلَايَةِ كَانَ الْوِزَاعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خُلُقُ الْكَبِيرِ وَالْمُنَافَسَةِ مِنْهُمْ فَسَهَلَ انْقِيَادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَسْمَلُهُمْ مِنَ الدِّينِ الْمُنْهَبِ لِلغِلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ الْوِزَاعِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّنَافُسِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمْ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي يَنْعَمُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتِ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَحْمُودِهَا وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمَلِكُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عِوَجِ الْمَلِكَاتِ وَبِرَاءَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلُقِ التَّوْحُشِ الْقَرِيبِ الْعُمَانَةِ الْمُتَّهِيَّةِ لِإِقْبُولِ الْخَيْرِ بِبِقَائِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبُعْدِهِ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ وَسُوءِ الْمَلِكَاتِ فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

### الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ بِدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْقَفْرِ وَأَغْنَى عَنْ حَاجَاتِ التَّلَوُّلِ وَحُبُوبِهَا لِاعْتِيَادِهِمُ الشُّظْفَ وَخُسُونَةَ الْعَيْشِ فَاسْتَعْنَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ انْقِيَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِبْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَالتَّوْحُشِ وَرَيْسُهُمْ مُتَحَاجُّ الْبَيْتِ غَالِبًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلِكَتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَاعَمَتِهِمْ لِئَلَّا يَخْتَلَّ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُ وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَّاسَةُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ نَقْضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَازِعًا بِالْقَهْرِ وَالْإِلَامِ تَسْتَقِيمُ سِيَاسَتُهُ وَأَيْضًا فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالتَّجَافِي عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمْ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَن بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوْا أُمَّةً مِّنَ الْأُمَّةِ جَعَلُوا  
 غَايَةَ مَلِكِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ بَيْنَهُمْ  
 وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْعُقُوبَاتِ عَلَى الْمَفَاسِدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْحَيَاةِ وَتَحْصِيلِ  
 الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعِنًا بِحَسَبِ الْأَغْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ  
 وَأَسْتِهَانَةً مَا يُعْطَى مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَتَسْمُو الْمَفَاسِدُ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَخَرُّبُ  
 الْعُمَرَانِ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا فَوْضَى مُسْتَطِيلَةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ  
 لَهَا عُمُرَانٌ وَتَخْرُبُ سَرِيعًا شَأْنَ الْفَوْضَى كَمَا قَدَمْنَا قَبْلَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ كُلِّهِ  
 عَنِ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِغَةِ دِينِيَّةٍ  
 تَمُحُو ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ الْوَأَزِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَعْمَلُهُمْ عَلَى دَفَاعِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ  
 عَن بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوْلَتِهِمْ فِي الْعَمَلَةِ لَمَّا شَدَّ لَهُمُ الدِّينُ أَمْرَ  
 السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعِيَةِ لِصَالِحِ الْعُمَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعَ فِيهَا  
 الْخُلَفَاءُ عَظُمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُمْ كَأَنَّ رُسْمًا إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ  
 يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أَكَلُ عُمُرٍ كَيْدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدَّوْلَةِ أَجْيَالٌ نَبَذُوا الدِّينَ فَنَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى قُرْبِهِمْ وَجَهْلِهِمْ  
 شَأْنَ عَصِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يُبْعِدُهُمْ عَنِ الْأَنْقِيَادِ وَإِعْطَاءِ النِّصْفَةِ فَتَوَحَّشُوا كَمَا  
 كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَسْمِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ جِيلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ  
 أَمْرُ الْخُلَافَةِ وَاتَّخِي وَاسْمُهَا انْقَطَعَ الْأَمْرُ جَمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجْمُ دُونَهُمْ  
 وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةِ قَفَارِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمَلِكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
 قَدْ كَانُوا لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِي الْخَلِيقَةِ مَا كَانَ  
 لِأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَدَوْلٍ عَادٍ وَتَمُودٍ وَالْعَالِقَةِ وَحَمِيرٍ وَالتَّبَاعَةِ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ثُمَّ  
 دَوْلَةُ مُضَرَ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِن بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا  
 نَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَقَدْ يَحْضُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ غَلَبٌ  
 عَلَى الدَّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَعَايَتُهُ إِلَّا مُخَوِّبٌ  
 مَا يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ كَمَا قَدَمْنَا وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

## الفصل التاسع والعشرون

في ان البوادي من القبائل والمصائب مغلوبون لاهل الامصار  
 قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَدَايَةِ نَاقِصٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَوَاصِرِ وَالْأَمْصَارِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
 الضَّرُورِيَّةَ فِي الْعُمَرَانِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةً لِأَهْلِ الْبَدَايَةِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
 أُمُورُ الْقَلْعِ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُهَا الصَّنَائِعُ فَلَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي الْكَلْبِيَّةِ مِنْ تِجَارٍ  
 وَخِيَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يُقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتِ مَعَايِشِهِمْ فِي الْقَلْعِ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
 الدَّنَائِيرُ وَالْدَرَاهِمُ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا بِأَيْدِيهِمْ أَعْوَابُهَا مِنْ مَقْلِ الزَّرَاعَةِ وَأَعْيَانِ  
 الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَنَاتِ وَأُزْبَارًا وَأَشْعَارًا وَإِهَابًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فَيَعْوِضُونَ  
 عَنْهُ بِاللَّنَائِيرِ وَالْدَرَاهِمِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي الضَّرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِطَبِيعَةِ وَجُودِهِمْ  
 فَمَا دَامُوا فِي الْبَدَايَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا أَسْتِيلَاةٌ عَلَى الْأَمْصَارِ فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى  
 أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَالَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
 فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِقَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ  
 فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعِ اسْتِئْذَانٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْتَقَضَ عُمَرَانُهُ  
 وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَجْعَلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْدُلُ الْمَالَ لَهُمْ ثُمَّ  
 يَبْدِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي مِصْرِهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمَرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
 إِنْ تَمَّتْ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالْتَفْرِيبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يُغَالِبُ بِهِ  
 الْبَاقِينَ فَيَضْطَرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِذَلِكَ مِنْ فَسَادِ عُمَرَانِهِمْ وَرُبَّمَا لَا يَسْعَهُمْ  
 مُفَارَقَةُ تِلْكَ النَّوَاحِي إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ الْجِهَاتِ مَعْمُورٌ بِالْبَدَايَةِ الَّذِينَ غَلَبُوا  
 عَلَيْهَا وَمَنْعُوهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هَوْلًا مُلْجَأًا إِلَّا طَاعَةَ الْمِصْرِ فَهُمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
 لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك  
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتمات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية

وذلك انما قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لئلا  
فيها من الثغرة والتدبير واستناته كل واحد منهم دون صاحبه . ثم ان الملك منصب  
شريف مملوود يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية  
فيقع فيه التنافس غالباً وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة  
وتنضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه انما  
وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدولة  
منذ اولها وطال امد مرابهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل فلا يعرفون ما  
فعل الله اول الدولة انما يذكر كون اصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع  
التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر  
من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصاً اهل الاندلس في نسيان هذه  
العصبية واثرها لطول الامل واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم  
وخلا من العصاب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا  
بقوة قوية من الغلب للقرابة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت  
الرئاسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحداً بعد آخر في  
اعتاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك  
النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم

عَلَى أَمْرِهِمْ فَيَتَأَلَّمُونَ عَلَى الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَحْتَأَجُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَابِهِ  
بَلْ كَانُوا طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَبْدُلُ وَلَا يُعْلَمُ خِلَافُهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يُوَضِّعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِمَامَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عُقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتِظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْمَخْصُوصَةِ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعِينَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّاخِلِينَ فِي وِلَايَتِهَا وَمِثْلُ  
هَذَا وَقَعَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصَبِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُعْتَصِمِ وَأَبْنِهِ  
الْوَاتِقِ وَاسْتِظْهَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالْتِرَكِ وَالْدَيْلَمِ وَالسُّجُوقِيَّةِ  
وغيرِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى النَّوَاحِي وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَعْدُوا أَعْمَالَ  
بَغْدَادَ حَتَّى زَحَنَتِ إِلَيْهَا الدَيْلَمُ وَمَلَكُوهَا وَصَارَ الْخَلَائِقُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَفَتْ آخِرُ النَّارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَتَحَوُّوا وَسَمَ الدَّوْلَةَ وَكَذَلِكَ صَنَاجِدُهَا بِالْمَغْرِبِ فَسَدَتْ عَصَبِيَّتُهُمْ مِنْذُ الْمِائَةِ  
الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِجَايَةِ وَالْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثُغُورِ أَفْرِيْقِيَّةٍ وَرُبَّمَا أَنْتَزَى بِئِذِكَ الثُّغُورِ مَنْ نَارَعَهمُ الْمَلِكُ وَأَعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسَلِّمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمُوَحِّدُونَ بِقُوَّةٍ  
قَوِيَّةٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فِي الْمَصَامِدَةِ فَحَمُّوا أَمْرَهُمْ وَكَذَلِكَ دَوْلَةُ بَنِي أُمِيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصَبِيَّتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوْلَى مُلُوكُ الطَّوَائِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَأَقْتَسَمُوا خِطْمَهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا بِمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَأَنْتَزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وِلَايَتِهِ وَشَمَّجَ بِأَنفِهِ وَبِأَفْهَمِ  
شَأْنِ الْعَجَمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَلَقَّبُوا بِالْقَابِ الْمَلِكِ وَلَبَسُوا شَارَتَهُ وَأَمِنُوا مِنْ بِنْقِضِ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ بِدَارِ عَصَائِبٍ وَلَا قِبَائِلٍ كَمَا سَنَدُّ كُرُهُ  
وَأَسْتَمَرَّ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

مِمَّا يُرْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْقَابُ مَمْلُوكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍهَا      كَالهَرِّ يَعْكِي أَنْفِاخًا صُورَةَ الْأَسَدِ

فَاسْتِظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعِينَ وَالطَّرَاءَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ  
مِنْ قِبَائِلِ التَّبَرِّ وَزَنَاتَةَ وَغَيْرِهِمْ أَقْتَدَاءَ بِالدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْإِسْتِظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعُفَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَاسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلٌ عَظِيمَةٌ



اسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظُّ كَبِيرٍ مِنَ الْمَلِكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
 الَّتِي أَقْسَمُوا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاَزَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ الْمُرَابِطُونَ أَهْلُ  
 الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةَ فَأَسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَسَحَّوْا أُنَارَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
 عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فِيهِدِهِ الْعَصِيَّةِ بِكُونَ تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ وَخِمَائَتِهَا مِنْ  
 أَوْلَهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدَّوْلِ بِإِطْلَاقِ هُمُ الْجُنْدِ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
 مَعَ الْأَهْلِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ سِرَاجَ الْمُلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَأَوَّلُ تَأْسِيسَ  
 الدَّوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَوْلَهَا وَإِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِالدَّوْلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ وَأَسْتَقْرَارِ  
 الْمَلِكِ فِي النَّصَابِ وَأَسْتِحْكَامِ الصِّغَةِ لِأَهْلِهِ فَأَلْجَأَ إِنَّمَا أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
 وَخَلَقَ جَدَّتِهَا وَرَجُوعِهَا إِلَى الْأَسْطِظْهَارِ بِالْمَوْالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَعْدِمِينَ مِنْ  
 وَرَائِهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَ دَوْلَ الطَّوَائِفِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
 أُمِيَّةٍ وَأَنْقِرَاضِ عَصَبِيَّتِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَأَسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ بِقَطْرِهِ وَكَانَ فِي إِبَالَةِ الْمُسْتَعِينِ  
 بَنِي هُودٍ وَأَبْنِيهِ الْمُظْفَرِ أَهْلُ سِرْقَسْطَةَ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِأَسْتِبْلَاءِ  
 التَّرَفِ عَلَى الْعَرَبِ مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَزَلِ الْأَسْلُطَانَا مُسْتَبَدًّا بِالْمَلِكِ  
 عَنْ عَشَائِرِهِ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ لَهُ صِغَةُ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَّةِ الْعَصِيَّةِ فَهُوَ  
 لِلنَّيْلِ لَا يَنْزِعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ فَأَطْلَقَ الطَّرْطُوشِيُّ الْقَوْلَ  
 فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَنْفَطِنَ لِكَيْفِيَّةِ الْأَمْرِ مِنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِيمٌ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
 فَتَفَطَّنَ أَنْتَ لَهُ وَافْهَمَ مِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية  
 وذلك انه اذا كان لعصبة غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القائمين  
 بأمره من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانبت عن  
 مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شانه وعنوا بتمهيد  
 دولته يزوجون استقراره في نصابه وتناولوا الامر من يد اعياصه وجزاءه لهم على مظهرته  
 باصطفايهم لرتب الملك وخططه من وزارة او قيادة او ولاية تفر ولا يطعمون في  
 مشاركته في شيء من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحكمت له واقومه من

صَبَغَةَ الْغَلْبِ فِي الْعَالَمِ وَعَقِيدَةَ إِيمَانِيَّةِ اسْتَقَرَّتْ فِي الْأَذْعَانِ لَهُمْ قَلَوْ رَامُوا مَعَهُ أَوْ  
 دُونَهُ لَوْ زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلدَّارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَالْعَبِيدِينَ  
 بِأَفْرِيْقِيَّةٍ وَمِصْرَ لَمَّا انْتَبَذَ الطَّالِبِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْقَاصِيَةِ وَابْتَعَدُوا عَنْ مَقَرِّ  
 الْخِلَافَةِ وَسَمَّوْا إِلَى طَلَبِهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتْ الصَّبْغَةُ لِبَنِي عَبْدِ  
 مَنَافٍ لِبَنِي أُمِيَّةٍ أَوْلَادُهُمْ لِبَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَخَرَجُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَا  
 لِاتِّسَابِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَابِرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرَثَهُ وَغَنِيْلَةُ لِلدَّارِسَةِ وَكُتَامَةُ  
 وَمَهْنَهَاجَةُ وَهَوَارَةُ لِلْعَبِيدِيِّينَ فَشَدُّوا دَوْلَتَهُمْ وَمَهَّدُوا بِعَصَابَتِهِمْ أَمْرَهُمْ وَأَقْتَطَعُوا مِنْ  
 مَمَالِكِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ ثُمَّ أَفْرِيْقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَاصُ وَظِلُّ الْعَبِيدِيِّينَ  
 يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَاسَمُوهُمْ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ شِقًّا  
 الْأَيْلُمَةَ وَهَوَالَاءَ الْبَرَابِرَةَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِيِّينَ لَمْرَمِهِمْ  
 مُذْعِنُونَ لِمَلِكِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرِّثْبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيمًا لِمَا حَصَلَ مِنْ  
 صَبْغَةِ الْمَلِكِ لِبَنِي هَاشِمٍ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْغَلْبِ لِقُرَيْشٍ وَمِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
 يَزَلِ الْمَلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَسْرِهَا وَاللَّهُ يَتَعَكَّمُ لِمَقْتَبِ حُكْمِهِ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعوة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْغَلْبِ وَالغَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَاتِّفَاقِ  
 الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْلِفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُونَةِ مِنَ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
 قَالَ تَعَالَى لَوْ أَتَّفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آتَيْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرَّهُ أَنْ الْقُلُوبَ إِذَا  
 تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَنَسَا الْخِلَافُ وَإِذَا انْصَرَفَتْ  
 إِلَى الْحَقِّ وَرَفَضَتْ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجِهَتُهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَالَ  
 الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَأَتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
 نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِّ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية

التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ الصِّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي فِي أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَتُفْرِدُ الْوَجْهَةَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْأَسْتِبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّ الْوَجْهَةَ وَاحِدَةٌ وَالْمَطْلُوبُ مُتَسَاوٍ عِنْدَهُمْ وَهَذَا مُسْتَمْتِعُونَ عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ فَأَعْرَاضُهُمْ مُتَبَايِنَةٌ بِالْبَاطِلِ وَتَخَافُ لَهُمْ لِنَقِيَّةِ الْمَوْتِ حَاصِلٌ فَلَا يُقَاوِمُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ عَلَيْهِمْ وَيُعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّرَفِ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفُتُوحَاتِ فَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالْبَزْمُوكِ بِضِعْفِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مَعْسَكٍ وَجُمُوعُ فَارِسَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَجُمُوعُ هِرَاقِلَ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبِينَ وَهَزَمُوهُمْ وَغَابُوهُمْ عَلَى مَا بَأْيَدِيهِمْ وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي دَوْلَةِ لِمَنْتُونَةَ وَدَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ فَقَدْ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ يَمُنُّ بِقَاوِمِهِمْ فِي الْعَدَدِ وَالْعَصَبِيَّةِ أَوْ يَشْفُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْأَجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالْأَسْتِبْصَارِ وَالْإِسْتِجَانَةِ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِبْغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ وَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصَبِيَّةِ وَحَدَهَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِيهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافِئَةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلَبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً مِنْهَا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً وَأَعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوَحِّدِينَ مَعَ زِنَاتِهِ لَمَّا كَانَتْ زِنَاتُهُ أَبَدِيًّا مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوْحُّشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَبَسُوا صِبْغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصَبِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زِنَاتِهِ أَوْلَا وَأَسْتَبَعُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصَبِيَّةِ وَالْبِدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زِنَاتُهُ مِنْ كُلِّ حَانِبٍ وَغَابُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لانتم  
وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكفاة فلا بد له من العصبية وفي  
الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومه واذا كان هذا في  
الانبياء وهم اولى الناس بخزق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في  
الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين  
في التصوف ثار بالاندلس داعياً الى الحق وسمي اصحابه بالمرابطين قيل دعوة  
المهدي فاستتب له الامر قليلاً لشغل لمتونة بما دهمهم من امر الموحدين ولم تكن  
هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شانه فلم يلبث حين استولى الموحدون على  
المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من مقلبه بخص اركش وامكهم  
من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين  
ومن هذا الباب احوال الثوار القاميين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيراً  
من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من  
الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف ورجاء في الثواب  
عليه من الله فيكثر اتباعهم والملتذون بهم من القوعاء والدهماء ويعر ضون انفسهم  
في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في هذا السبيل ما زورين غير ما جورين لان  
الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى  
الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم  
يستطع فليقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا  
المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان  
حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصابات وهم  
المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه انما جرى الامور على مستقر العادة  
والله حكيم عليهم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً قصر به  
الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك في

طَلَبَ الرِّئَاسَةَ فَاجْتَرَأُ أَنْ تَعُوْفَهُ الْعَوَانِقُ وَتَنْقَطِعُ بِهِ الْمَهَالِكُ لِأَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا  
 بِرِضَاةِ وَإِعْآنَتِهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ  
 فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ وَأَوَّلُ أَبْتِدَاءِ هَذِهِ الزَّرْعَةِ فِي الْمِلَّةِ بِيَعْدَادَ حِينَ وَقَعَتْ فِتْنَةُ طَاهِرٍ  
 وَقَتْلِ الْأَمِينِ وَأَبْطَأَ الْمَأْمُونُ بِخِرَاسَانَ عَنْ مَقْدَمِ الْعِرَاقِ ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى  
 الرَّضِيِّ مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ فَكَشَفَتْ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْ وَجْهِ النُّكْرِ عَلَيْهِ وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ  
 وَخَلَعَ طَاعَةَ الْمَأْمُونِ وَالْأَسْتِبدَالِ مِنْهُ وَبُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَوَقَعَ الْهَرْجُ  
 بِيَعْدَادَ وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي الزَّرْعَةِ بِهَا مِنَ الشُّطَارِ وَالْحَزْبِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ وَالصُّوْبِ  
 وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَأَمْتَلَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ نِيَابِ النَّاسِ وَبَاعَوْهَا عَلَانِيَةً فِي الْأَسْوَاقِ وَأَسْتَعْدَى  
 أَهْلُهَا الْحُكْمَ فَلَمْ يَبْغُدُوهُمْ فَتَوَافَرَ أَهْلُ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ عَلَى مَنَعِ الْفَسَاقِ وَكَفِّ  
 عَادِيَتِهِمْ وَقَامَ بِيَعْدَادَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِخَالِدِ الدُّزْبُوسِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاجَابَهُ خَلْقٌ وَقَاتَلَ أَهْلَ الزَّرْعَةِ فَغَابَهُمْ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِيهِمْ  
 بِالضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ سَوَادِ أَهْلِ بَعْدَادَ يُعْرَفُ بِسَهْلِ  
 ابْنِ سَلَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَيُكْنَى أَبَا حَاتِمٍ وَعَلَّقَ مُضْحِكًا فِي عُنُقِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَرَنَ دُونَهُمْ وَنَزَلَ قَصْرَ  
 طَاهِرٍ وَأَتَمَّخَذَ الدِّيَّوَانَ وَطَافَ بِيَعْدَادَ وَمَنَعَ كُلَّ مَنْ أَخَافَ الْمَارَةَ وَمَنَعَ الْخِفَارَةَ  
 لِأَوْلَيْكَ الشُّطَارِ وَقَالَ لَهُ خَالِدُ الدُّزْبُوسِ أَنَا لَا أَعِيبُ عَلَى الشَّاطِرِ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لَكِنِّي  
 أَقَاتِلُ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَتْ مِنْ كَانَ وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ  
 وَجَهَّزَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الْعَسَاكِرَ فَغَابَهُ وَأَسْرَهُ وَأَنْجَلَ أَمْرَهُ سَرِيعًا وَذَهَبَ وَنَجَا  
 بِنَفْسِهِ ثُمَّ أَقْتَدَى بِهَذَا الْعَمَلِ بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْسُوسِينَ بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ  
 وَلَا يَغْرِفُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي إِقَامَتِهِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِعِقَابِ أَمْرِهِمْ وَمَالَ  
 أَحْوَالِهِمُ وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ هَوْلَاءِ إِمَّا الْمُدَاوَاةُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجُبُونِ وَإِمَّا  
 التَّنْكِيلُ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ إِنْ أَخَذُوا هَرْجًا وَإِمَّا إِذَاعَةُ الشُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ وَعَدُّهُمْ  
 مِنْ جُمْلَةِ الصَّفَاعِينَ وَقَدْ يَنْسَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ إِمَّا بِأَنَّهُ هُوَ أَوْ بِأَنَّهُ دَاعٍ  
 لَهُ وَلَيْسَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَلَا مَا هُوَ وَأَكْثَرُ الْمُنْتَظَرِينَ لِمِثْلِ هَذَا

تَجِدُهُمْ مُوسِسِينَ أَوْ مَجَانِبِينَ أَوْ مُلَبِّسِينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رِئَاسَةَ أُمَّتَلَاتٍ  
بِهَا جَوَانِحُهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ فِيهِ مِنْ  
الْمَلَكَةِ فَيُسْرِعَ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ بِمَا يُحْدِثُونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوِهِ سَاقِيَةَ مَكْرَهُمْ وَقَدْ كَانَ  
لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ يُدْعَى التُّوْبَدْرِيُّ عَمَدًا إِلَى  
مَسْجِدِ مَاسَةَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْفَاعِلِيُّ الْمُنْتَظَرُ تَلْبِيسًا عَلَى الْعَامَةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَاقُوا بِهِمْ مِنَ الْخُدَّانِ بِأَنْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَاقَتْ عَلَيْهِ طَوَائِفٌ مِنْ عَامَةِ الْبَزْبَرِ تَهَاقَتْ الْفَرَاشِ ثُمَّ خَشِيَ زَوْسَاهُمْ اتِّسَاعَ  
فِطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمَئِذٍ عُمَرُ السَّكْنَبِيُّ مِنْ قَتَلِهِ فِي  
فِرَاشِهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي غِمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْبَاسِ  
وَأُدْعَى بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ تَبِيعَهُ الْأَرْدَلُونَ مِنْ سَفَهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَغْمَارِهِمْ  
وَزَحَبَ إِلَى بَادِيٍّ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَلَهَا عَنُودًا ثُمَّ قُتِلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَتَى فِي الْمَالِكِيِّينَ الْأَوَّلِينَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْفَلَطُ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ  
عَنْ أَعْتِبَارِ الْعَصِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلْبِيسُ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَأَنْ  
يُؤَيَّ بِإِثْمِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِ غَيْرِهِ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَهُ

### الفصل السابع

في ان كل دولة لما حصة من المالك والاطوان لا تزيد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُحْمَدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِينِهِمْ حِصصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالشُّعُورِ الَّتِي نَصَبُوا إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا لِحِمَايَتِهَا مِنْ  
الْعُدُوِّ وَإِمضَاهِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جِبَابَةٍ وَرَدْعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَعَتِ الْعِصَابَةُ  
كُلُّهَا عَلَى الشُّعُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَفَادٍ عَدَدِهَا وَقَدْ بَلَغَتِ الْمَمَالِكُ حَيْثُ نَزِدَ إِلَى  
حَدِّ يَكُونُ تَفَرُّقًا لِلدَّوْلَةِ وَتَخَمُّمًا لَوَطْنِهَا وَنِطَاقًا لِمَرْكَزِ مُلْكِهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بَعْدَ  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهَا بَقِيَ دُونَ حَامِيَةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِإِنْتِهَارِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعُدُوِّ  
وَالْحِجَاوِرِ وَيَعُودُ وَبِالْذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَامُرِ وَخَرْقِ سِيَاحِ أَلْمِيَّةِ

وَمَا كَانَتْ الْعِصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَنْفَدِ عَدَدُهَا فِي تَوْزِيْعِ الْحِصَصِ عَلَى الشُّغُورِ وَالنَّوَاحِي  
 بَقِي فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى نَآوِلِ مَا وَرَاءَ الْغَايَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نِطَاقُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
 فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَنْعَالِ  
 فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعْلِهَا وَالدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرْفِ وَالنِّطَاقِ وَإِذَا  
 أَنْتَهتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ عَجَزَتْ وَأَقْصَرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشِعَّةِ وَالْأَنْوَارِ  
 إِذَا أَنْبَعَثَتْ مِنَ الْمَرَآكِزِ وَالدَّوَائِرِ الْمُنْفَسِحَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ النَّقْرِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
 أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ وَالضَّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ مِنْ جِهَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَزَالُ الْمَرْكَزُ  
 مَحْفُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُنْتَدِي بِكَوْنِ أَنْقِرَاضِ الْمَرْكَزِ  
 وَإِذَا غَلَبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاةُ الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَضْمِحِلُ لِقَوْتِهَا  
 فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَأَقْلَبِ الَّذِي تَتَّبِعُ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمَلَكَ أَنْهَزَمَ جَمِيعُ  
 الْأَطْرَافِ وَأَنْظَرُ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمَدَائِنَ فَلَمَّا غَابَ الْمُسْلِمُونَ  
 عَلَى الْمَدَائِنِ أَنْقَرَضَ أَمْرُ فَارِسَ أَجْمَعٍ وَلَمْ يَنْفَعِ يَزْدَجُرْدَ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنَ اطَّرَافِ  
 مَمَالِكِهِ وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالسَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ  
 الْمُسْلِمُونَ بِالسَّامِ تَحَيَّرُوا إِلَى مَرْكَزِهِمْ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَضُرَّهُمْ أَنْتِزَاعُ السَّامِ مِنْ  
 أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مَلِكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِهِ وَأَنْظَرْنَا أَيْضًا شَأْنَ  
 الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ  
 السَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ لِأَمْرِعِ وَقَتٌ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السِّنْدِ وَالْحَبْشَةِ  
 وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالشُّغُورِ وَنَزَلُوهَا  
 حَامِيَةً وَنَفَدَ عَدَدُهُمْ فِي تِلْكَ التَّوْزِيْعَاتِ أَقْصَرُوا عَنِ الْفَتْوحَاتِ بَعْدُ وَأَنْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
 وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْحُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
 حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَعِنْدَ  
 نَفَادِ عَدَدِهِمْ بِالتَّوْزِيْعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْفَتْحُ وَالْأَسْتِيْلَاءُ سَنَةً اللَّهُ فِي خَلْقِهِ .

## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائم بها

في القلة والكثرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْحَامِيَةُ الَّذِينَ  
يَنْزِلُونَ بِمَمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا وَيَنْقَسِمُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبِيلَهَا  
وَأَهْلُ عِصَابَتِهَا أَكْثَرَ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَمَالِكِ وَأَوْطَانًا وَكَانَ مُنْكَهْمَا أَوْسَعُ لِذَلِكَ  
وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا أَتَتْ اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعَشْرَةَ  
أَلْفٍ مِنْ مِصْرَ وَنَحْطَانِ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَرَاجِلَ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ  
فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمَى وَلَا وَزَرَ فَأَسْتَبِيحَ  
حِمَى فَارِسَ وَالرُّومَ أَهْلَ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ لِعَهْدِهِمُ وَالْتِزَاكُ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْأَفْرَاجَةِ وَالزَّبْرِ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوَطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطُّوا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى السُّوسِ الْأَفْصَى  
وَمِنَ الْيَمَنِ إِلَى التُّرْكِ بِالْأَفْصَى الشَّمَالِ وَأَسْتَوَلُوا عَلَى الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ  
دَوْلَةَ صَنْهَاجَةَ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كِتَابَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ  
أَكْثَرَ مِنْ صَنْهَاجَةَ وَمِنَ الْمَصَامِدَةِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكَوْا أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ  
وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةَ زَنَانَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْمَصَامِدَةِ  
فَقَصَرَ مَلِكُهُمْ عَنِ مَلِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدَدِهِمْ عَنِ عَدَدِ الْمَصَامِدَةِ مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ  
ثُمَّ أَعْتَبَرُ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لَزَنَانَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ  
دَوْلَتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعُ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْقَلْبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنَّ  
عَدَدَ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مُنْكَهْمِ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا لَفَا إِلَّا  
أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالزَّفْرِ وَكَثْرَةُ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ فِي أَعْدَادِ  
الْمُتَغَلِبِينَ لِأَوَّلِ الْمَلِكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طُولُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ  
النِّسْبَةِ لِأَنَّ عُمُرَ الْحَادِثِ مِنْ قُوَّةِ مِزَاجِهِ وَمِزَاجِ الدَّوْلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ  
الْعَصِيَّةُ قَوِيَّةً كَانَ الْمِزَاجُ تَائِبًا لَهَا وَكَانَ أَمْدُ الْعُمُرِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ وَوُقُورِهِ كَمَا فَلْنَاهُ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّقْصَانَ إِنَّمَا يَبْدُو فِي الدَّوْلَةِ مِنْ



الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمَّا لَهَا كَثِيرَةٌ كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَنِ مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةٌ وَكُلُّ نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَتَكْثُرُ أَزْمَانُ النِّقْصِ أَكْثَرُ الْمَمَالِكِ وَأَخْتِصَاصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيُضَكُّونَ أَمْدُهَا أَطْوَلُ الدُّوَلِ لَا بَنُو الْعَبَّاسِ أَهْلُ الْمَرْكَزِ وَلَا بَنُو أُمَيَّةِ الْمُسْتَبِدِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرٌ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ كَانَ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صَهْبَاجَةَ دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مَعْرِزِ الدُّوَلَةِ أَمْرًا فَرِيقِيَّةً لِإِسْكِينِ بْنِ زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حَيْثُ اسْتَيْلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَاعَةِ وَبِجَايَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَنَاهَزُ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَكَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثرية القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَأَنَّ وَرَاءَ كُلِّ رَأْيٍ مِنْهَا وَهَوًى عَصَبِيَّةً تَمَانَعُ دُونَهَا فَيَكْثُرُ الْإِنْتِفَاضُ عَلَى الدُّوَلَةِ وَالخُرُوجُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ وَتَتِ وَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ عَصَبِيَّةٍ لِأَنَّ كُلَّ عَصَبِيَّةٍ مِمَّنْ تَحْتِ بَيْهَا تَطُنُّ فِي نَفْسِهَا مِنْعَةً وَقُوَّةً وَأَنْظُرُ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ مُنْذُ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا الْعَهْدُ فَإِنَّ سَاكِنِي هَذِهِ الْأَوْطَانِ مِنَ الْبَرْبَرِ أَهْلُ قِبَائِلٍ وَعَصَبِيَّاتٍ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِمْ الْغَلَبُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ لِأَبْنِ أَبِي سَرْحٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْإِفْرَنْجِيَّةِ شَيْئًا وَعَاوَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوْرَةَ وَالرِّدَّةَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَعَظُمَ الْإِثْمَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ عِنْدَهُمْ عَادُوا إِلَى الثُّورَةِ وَالخُرُوجِ وَالْأَخَذِ بِدِينِ الْخَوَارِجِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ أَزْدَلَّتِ الْبَرْبَرَةُ بِالْمَغْرِبِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَلَمْ تَسْتَقِرَّ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ إِلَّا لِعَهْدِ وِلَايَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فَمَا بَعْدَهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُنْقَلُ عَنْ عُمَرَ أَنَّ أَفْرِيقَةَ مَفْرُوقَةٌ لِقُلُوبِ أَهْلِهَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعَصَائِبِ وَالْقِبَائِلِ الْحَامِلَةِ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِذْعَانِ وَالْإِنْتِقَادِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِنَتِكَ الصَّنَةِ وَلَا الشَّامُ إِنَّمَا كَانَتْ حَامِيَّتَهَا مِنْ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالْكَافَّةِ دَهْمَاءَ أَهْلِ مَدُنٍ وَأَمْصَارٍ فَلَمَّا غَلِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَنْزَعُوهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَمَانِعٌ وَلَا مَشَاقُّ وَالْبَرْبَرُ قِبَائِلُهُمْ بِالْمَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ

تُحصى وَكُلُّهُمُ بَادِيَةٌ وَأَهْلُ عَصَائِبَ وَعَشَائِرَ وَكُلَّمَا حَلَكَتْ قَبِيلَةٌ عَادَتِ الْأُخْرَى  
 مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالزَّادَةُ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَهْمِيدِ الدَّوْلَةِ بِوَطْنِ  
 أَفْرَيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
 فِلَسْطِينَ وَكَعَكَانَ وَبَنِي عَيْصُو وَبَنِي مَدِينَ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِ وَالْعِمَاقِمَةَ وَكَرِيكِيشَ  
 وَالنَّبَطِ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ مَا لَا يُحصى كَثْرَةً وَتَنوعًا فِي الْعَصِيَّةِ فَصَعِبَ عَلَى  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهْمِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَرُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
 وَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَأَخْتَلَفُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُلْكٌ  
 مُوَطَّدٌ سَائِرًا يَا مِهُمُ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانُ ثُمَّ الرُّومُ أَخِيرَ أَمْرِهِمْ عِنْدَ الْجَلَاءِ  
 وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبِعَكْسِ هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانُ الْخَالِيَّةُ مِنَ الْعَصَبِيَّاتِ يَسْهُلُ تَهْمِيدُ  
 الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازِعًا لِقِلَّةِ الْهَرَجِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ فِيهَا إِلَى  
 كَثِيرٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ هِيَ خُلُوٌّ مِنَ الْقَبَائِلِ  
 وَالْعَصَبِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا فَلَنَاهُ فَبَلِكُ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
 لِقِلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الْعَصَائِبِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَائِمَةٌ بِمُلُوكِ التُّرْكِ  
 وَعَصَائِبِهِمْ يَغْلِبُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَنْتَقِلُ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنْبِتٍ إِلَى مَنْبِتٍ  
 وَالْخِلَافَةُ مَسْمُومَةٌ لِلْعَبَاسِيِّ مِنْ أَعْقَابِ الْخِلَفَاءِ بِيغْدَادَ وَكَذَلِكَ الشَّانُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ  
 عَصَبِيَّةَ ابْنِ الْأَحْمَرِ سُلْطَانِهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ بِقُوَّةٍ وَلَا كَانَتْ كَرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
 أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِقُوَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْقِلَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
 الْأَنْدَلُسِ لَمَّا انْفَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلَكَهُمْ الْبَرْبَرِيُّ مِنْ لِمَثُونَةَ وَالْمَوْحِدِينَ  
 سَمِعُوا مَلَكَتَهُمْ وَثَقَلَتْ وَطَانَتُهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتِ الْقُلُوبُ بِغَضَائِهِمْ وَأَمَكَنَ الْمَوْحِدُونَ  
 وَالسَّادَةَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْحِصُونِ لِلطَّاعِيَةِ فِي سَبِيلِ الْأَسْتَظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
 مِنْ تَمَلُّكِ الْحَضْرَةِ مَرَاكِيشَ فَاجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مَعَارِدٍ  
 مِنْ بِيُوتِ الْعَرَبِ تَجَافَى بِهِمُ الْمَنْبِتُ عَنِ الْحَاضِرَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضَ الشَّيْءِ وَرَسَّخُوا فِي  
 الْعَصَبِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنِ مَرْدَنِيشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
 وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمَوْحِدِينَ  
 فَبَدَّوْا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ وَأَسْتَقَلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنُ

الْأَخْمَرَ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنَ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ فَدَعَا هُوْلَاءَ لِابْنِ أَبِي حَنْصِصٍ صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةٍ  
 مِنَ الْمُوَحِدِيْنَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بِعَصَابَةٍ قَرِيْبَةٍ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَمُّوْنَ الرُّؤْسَاءَ وَلَمْ  
 يَحْتَجْ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّمَا سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ أَمْتَنَظَهْرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بِمَنْ يُعِزُّ إِلَيْهِ الْبَحْرَ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَانَةَ فَصَارُوا مَعَهُ عُصْبَةً عَلَى  
 الْمَشَاغِرَةِ وَالرُّبَاطِ ثُمَّ سَمَّا لِصَاحِبِ مِنْ مُلُوكِ زَنَانَةَ أَمَلٌ فِي الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أَوْلَئِكَ الْأَعْيَاصُ عِصَابَةً ابْنِ الْأَخْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَأْتَلَ  
 أَمْرُهُ وَرَسَخَ وَالْفَتْهُ النَّفُوسُ وَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ مُطَابَقَتِهِ وَوَرِثَهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَظُنُّ  
 أَنَّهُ بَغِيْرُ عِصَابَةٍ فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بِعِصَابَةٍ إِلَّا أَنَّمَا قَلِيْلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنَّ قَطْرَ الْأَنْدَلُسِ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ يُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْعِصْبَةِ فِي التَّغْلِبِ  
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلْكَ كَمَا قَدَّمَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِصْبَةِ وَالْعِصْبَةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عِصْبَاتٍ  
 كَثِيْرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْآخَرَى كُلِّهَا فَتَغْلِبُهَا وَتَسْتَوِيْ عَلَيْهِا حَتَّى تُصَيِّرَهَا  
 جَمِيْعًا فِي ضَمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِجْتِمَاعُ وَالْقَلْبُ عَلَى النَّاسِ وَالذُّوْلُ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعِصْبَةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَبِيْلِ هِيَ مِثْلُ الْمِزَاجِ لِلْمَتَكَكِّرِيْنَ وَالْمِزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعِنَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعِنَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مُتَكَاثِفَةً فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مِزَاجٌ أُصْلَابٌ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْعَالِيَّةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى يَجْمَعَهَا وَتُوَلِّفَهَا وَتُصَيِّرَهَا عِصْبَةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لِجَمِيْعِ الْعَصَائِبِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي ضَمْنِهَا وَتِلْكَ الْعِصْبَةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ إِقْوَمُ أَهْلِ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رِئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رِئِيسًا لِلْعِصْبَاتِ كُلِّهَا لِغَلْبِ مَنْتَبِهِ لِجَمِيْعِهَا وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ فَمِنَ الطَّبِيعَةِ  
 الْحَيْوَانيَّةِ خُلِقَ الْكِبَرُ وَالْأَنَفَةُ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهِمَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي اسْتِنْبَاعِهِمْ  
 وَالتَّحْكُمِ فِيهِمْ وَيَجِيئُ خُلُقُ التَّأَلُّهِ الَّذِي فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 انْفِرَادِ الْحَاكِمِ لِفَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكْمِ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتْ  
 فَتَجِدُ حِينَئِذٍ أَنْوْفَ الْعِصْبِيَّاتِ وَتُفْلِحُ شَكَائِهِمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي التَّحْكُمِ

وَأَقْرَعُ عَصِيَّتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْفَرِدُ بِهِ مَا أَسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْرُكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَاقَةَ وَلَا جَمَلًا فَيَنْفَرِدُ بِذَلِكَ الْمَجْدُ بِكَلِمَتِهِ وَيُدْفَعُهُمْ عَنْ مُسَاهَمَتِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّلَاثِ عَلَيَّ قَدَرِ مُنَافَعَةِ الْعَصِيَّاتِ وَقُوَّتِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بَدِيئَةَ فِي الدَّوْلِ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَلَكَتْ مَا بِأَيْدِي أَهْلِ الْمَلِكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاسَتُهَا وَنِعْمَتُهَا فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَيَتَجَاوَزُونَ ضَرُورَاتِ الْعَيْشِ وَخُشُونَتَهُ إِلَى نَوَافِلِهِ وَرِقَّتِهِ وَرِيئَتِهِ وَيَنْدَهَبُونَ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لِنِلكِ النُّوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا وَيَنْزِعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الأَحْوَالِ فِي المَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالنُّرُشِ وَاللَّائِيَةِ وَيَتَفَاخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَيُفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الأُمَّةِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَلبَسِ الأَلْيَقِ وَرُكُوبِ الفَارِهِ وَبِنَاقِي خَلْفَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدَرِ مَلَكَتِهِمْ يَكُونُ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَفُّهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سَنَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الأُمَّةَ لَا يَحْصُلُ لَهَا الْمَلِكُ إِلَّا بِالْمُطَابَآتِ وَالْمُطَابَآتُ غَايَتُهَا الغَلْبُ وَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَتِ الغَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا (قال الشاعر)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمَلِكُ أَقْصَرُوا عَنِ المَتَاعِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهَا وَأَثَرُوا الرِّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمَلِكِ مِنَ المَبَانِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ فَيَبْنُونَ القُصُورَ وَيُجْرُونَ المِيَاهَ وَيَغْرِسُونَ الرِّيَاضَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤْتِرُونَ الرِّاحَةَ عَلَى المَتَاعِ وَيَتَأَنَّقُونَ فِي أَحْوَالِ المَلَابِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَاللَّائِيَةِ وَالنُّرُشِ مَا أَسْتَطَاعُوا وَيَأْتُونَ ذَلِكَ وَبُورُونَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أَجِبَالِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ

إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والذعة

اقبلت الدولة على الهرم

وَيَبَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ كَمَا قُلْنَاهُ وَمَهْمَا كَانَتْ  
 الْمَجْدُ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْعِصَابَةِ وَكَانَ سَعِيهِمْ لَهٗ وَاحِدًا كَانَتْ هِمَّتُهُمْ فِي التَّغْلِبِ عَلَى الْغَيْرِ  
 وَاللُّبِّ عَنِ الْحُوْزَةِ أَسْوَةٌ فِي طُمُوحِهَا وَفُتُوَّةِ شِكَايِمِهَا وَرَمَاهُمْ إِلَى الْعِزِّ جَمِيعًا يَسْتَطِيعُونَ  
 الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ تَجْدِيمِ وَيُؤْتِرُونَ الْمَلَكَ عَلَى فَسَادِهِ وَإِذَا انْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْمَجْدِ  
 قَرَعَ عَصِيَّتَهُمْ وَكَبَّحَ مِنْ أَعْتِيهِمْ وَأَسْتَأْثَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَتَكَاسَلُوا عَنِ الْغَزْوِ وَفَسَلِ  
 رُجْبُهُمْ وَرَبَّمُوا الْمَدْلَةَ وَالْإِسْتِعْبَادَ ثُمَّ رُبِّي الْجِيلُ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَتَعَسَّبُونَ مَا يَنَالُهُمْ  
 مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَهُمْ عَنِ الْحِمَايَةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقَلَّ  
 أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهَنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضًا مِنَ الشُّوْكَةِ  
 وَتُقْبَلُ بِهِ عَلَى مَنَاحِي الضُّعْفِ وَالْهَرَمِ لِفَسَادِ الْعِصَابَةِ بِذَهَابِ الْبَأْسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
 الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي التَّرَفَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَزِيدُ نَفَقَاتِهِمْ  
 عَلَى أُعْطِيَاتِهِمْ وَلَا يَبْقَى دَخْلُهُمْ بِمَخْرَجِهِمْ فَالْفَقِيرُ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالْمُتْرَفُ يَسْتَفْرِقُ عَطَاءَهُ  
 بِتَرْفِهِ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ الْمَتَأَخِّرَةِ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِ  
 وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسَّهُمْ الْحَاجَةُ وَتَطَالِبُهُمْ مُلُوكُهُمْ بِحَصْرِ نَفَقَاتِهِمْ فِي الْغَزْوِ وَالْخُرُوبِ فَلَا  
 يَجِدُونَ وَلِجَّةً عَنْهَا يُوَفَّقُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ وَيَتَزَعُونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْثِرُونَ  
 بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤْتِرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيُضْعِفُونَهُمْ لِذَلِكَ عَنِ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
 وَيَضْعِفُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ يَضْعِفُهُمْ وَأَيْضًا إِذَا كَثُرَ التَّرَفُ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
 مُقْصَرًا عَنِ حَاجَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
 فِي أُعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيُزِيحَ عِلْلَهُمْ وَالْحِمَايَةَ مِقْدَارَهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَزِيدُ وَلَا  
 تَنْقُصُ وَإِنْ زَادَتْ بِمَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْمَكْسُوسِ فَيَصِيرُ مِقْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ مَعْدُودًا  
 فَإِذَا وُزِعَتْ الْحِمَايَةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَّثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمَا حَلَّتْ مِنْ  
 تَرْفِهِمْ وَكَثْرَةِ نَفَقَاتِهِمْ نَقَصَ عَدَدُ الْحِمَايَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ

يَعظمُ التَّرفُ وتكثرُ مقاديرُ الأَعْطِيَاتِ لِلذَّكَ فَيُنْقِصُ عَدَدُ الحَآمِيَةِ وَثَالِكًا وَرَابِعًا إِلَى  
أَنْ يَعودَ المَسْكِرُ إِلَى أَقلِّ الأَعْدَادِ فَتَضَعُ الحَآمِيَةُ لِلذَّكَ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَتَجَامِرُ  
عَلَيْهَا مَنْ يَجاوِزُهَا مِنَ الدَّوْلِ أَوْ مَنْ هَوَّصَتْ يَدِيهَا مِنَ القَبَائِلِ وَالعَصَائِبِ وَيَأْذَنُ اللهُ  
فِيهَا بِالقِنَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَأَيْضًا فَالتَّرفُ مُفسِدٌ لِلخَلْقِ بِمَا يَحْصُلُ فِي النَفْسِ مِنَ  
الْوَانِ الشَّرِّ وَالسَّفَسَفَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا يَأْتِي فِي فَصلِ الحِضَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلالَ  
الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عَلامَةً عَلَى المَلِكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَيَتَصِفُونَ بِمَا يَنافِضُهَا مِنَ خِلالِ الشَّرِّ  
فَيَكُونُ عَلامَةً عَلَى الإِدْبَارِ وَالانْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللهُ مِنَ ذَلِكِ فِي خَلْقِهِ وَتَأْخُذُ  
الدَّوْلَةُ بِمَادِي العَطَبِ وَتَتَضَعُ أَحْوالَها وَتَنزِلُ بِها أَمْرًا مُزْمِنَةً مِنَ الهَرَمِ إِلَى أَنْ  
يُقَضَى عَلَيْهَا. الوَجْهُ الثَّالِثُ أَنَّ طَبِيعَةَ المَلِكِ تُقتَضِي الدَّعَةَ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِذَا اتَّخَذُوا  
الدَّعَةَ وَالرَّاحَةَ مَأْتِنًا وَخُلُقًا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِيلَةً شَأْنُ العَوَائِدِ كُلِّهَا وَإِبْلَافِها  
فَتَرَبَّى أَجْبَالُهُمُ الحَادِثَةُ فِي غَضَارَةِ العَيْشِ وَسِهَادِ التَّرفِ والدَّعَةِ وَيَتَقَلَّبُ خَلْقُ التَّوْحِشِ  
وَيَنسَوْنَ عَوَائِدَ البِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ بِها المَلِكُ مِنَ شِدَّةِ البَأْسِ وَتَعُودُ الإِنْفِرَاسِ وَرُكُوبِ  
الْبَيْدَاءِ وَهِدَايَةِ القَفْرِ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الحَضَرِ إِلَّا فِي التَّفَاقَةِ وَالشَّارَةِ  
فَتَضَعُ حِمَائَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بِأَسْمِهِمْ وَتُخَضُّ شُوكَتَهُمْ وَيَعودُ وَبِالذَّكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
تُلْبَسُ مِنَ ثِيَابِ الهَرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَلَوَّنُونَ بِعَوَائِدِ التَّرفِ وَالْحِضَارَةِ وَالسُّكُونِ والدَّعَةِ  
وَرُوقَةِ الحَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْزَالِهِمْ وَيَتَغَمِسُونَ فِيها وَهُمْ فِي ذَلِكِ يَتَعَدُونَ عَنِ البِدَاوَةِ  
وَالخُشُونَةِ وَيَسْلَخُونَ عَنْها شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَسَوْنَ خُلُقَ البَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بِها الحَآمِيَةُ وَالْمُدَافَعَةُ  
حَتَّى يَعودُوا عِيالًا عَلَى حَامِيَةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكِ فِي الدَّوْلِ الَّتِي أَخْبَارُها  
فِي الصُّحُفِ لَدَيْكَ تَعْبُدُ مَا قَلْتَهُ لَكَ مِنَ ذَلِكِ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رِبِيَّةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
إِذَا طَرَقَها هَذَا الهَرَمُ بِالتَّرفِ وَالرَّاحَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصارًا وَشِيعَةً مِنْ غَيْرِ  
جَلَدَتِهِمْ مِمَّنْ تَعُودُ الخُشُونَةَ فَيَتَخَذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْبَرَ عَلَى الحَرْبِ وَأَقْدَرَ عَلَى مُعَانَاةِ  
الشَّدَائِدِ مِنَ الجُوعِ وَالسَّطَفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الهَرَمِ الَّذِي عَمَاهُ أَنْ  
يَطْرُقَها حَتَّى يَأْذَنُ اللهُ فِيها بِأَمْرِه وَهَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالمَشْرِقِ فَإِنَّ غَالِبَ  
جُنْدِها المَوَالِي مِنَ التُّرْكِ فَتَتَخَيَّرُ مَلُوكُهُمْ مِنْ أَوْلِيكَ المَمَالِكِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِيَّاهُمْ فُرْسَانًا  
وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الحَرْبِ وَأَصْبَرَ عَلَى السَّطَفِ مِنَ أبنَاءِ المَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَزَبُوا فِي مَاءِ الزَّعِيمِ وَالسُّلْطَانَ وَظِلِّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَانَةِ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْبِرُ مِنْهُمْ وَيَتْرُكُ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَعِدُّ الدَّوْلَةَ بِذَلِكَ عُمَرَا آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهُ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص

إِعْلَمَ أَنَّ التَّمَرَّ الطَّبِيعِيَّ لِلْأَشْخَاصِ عَلَى مَا زَعَمَ الْأَطِبَاءُ وَالْمُعْجَمُونَ مِائَةً وَعِشْرُونَ  
سَنَةً وَهِيَ سِنُو التَّمَرِّ الْكُبْرَى عِنْدَ الْمُعْجَمِينَ وَيَخْتَلِفُ التَّمَرُّ فِي كُلِّ جَيْلٍ بِحَسَبِ  
الْقِرَآتِ فَيَزِيدُ عَنْ هَذَا وَيَنْقُصُ مِنْهُ فَتَكُونُ أَعْمَارُ بَعْضِ أَهْلِ الْقِرَآتِ مِائَةً تَامَةً  
وَبَعْضِهِمْ خَمْسِينَ أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَلَى مَا نَقَضِيهِ أَدِلَّةُ الْقِرَآتِ عِنْدَ النَّاطِرِينَ فِيهَا  
وَأَعْمَارُ هَذِهِ الْمَلِكَةِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى التَّمَرِّ  
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ إِلَّا فِي الصُّورِ النَّادِرَةِ وَعَلَى الْأَوْضَاعِ الْغَرِيبَةِ مِنَ  
الذَّلِكَ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَلِيلٍ مِنْ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودٍ وَأَمَّا أَعْمَارُ  
الدُّوَلِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقِرَآتِ إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي الْغَالِبِ لَا تَعْدُو  
أَعْمَارَ ثَلَاثَةِ أَجْيَالٍ وَالْجَيْلُ هُوَ عُمُرُ شَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُمُرِ الْوَسَطِ فَيَكُونُ  
أَرْبَعِينَ الَّذِي هُوَ أَنْتَهَاءُ النُّمُوِّ وَالنُّشُوءِ إِلَى غَايَتِهِ قَالَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ عُمُرَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ هُوَ عُمُرُ الْجَيْلِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ  
فِي حِكْمَةِ التَّيْبِ الَّذِي وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ فَنَاءُ الْجَيْلِ  
الْأَحْيَاءِ وَنَشَأُ جَيْلٍ آخَرَ لَمْ يَعْهَدُوا الذَّلَّ وَلَا عَرَفُوهُ فَذَلَّ عَلَى أَعْتِبَارِ الْأَرْبَعِينَ فِي  
عُمُرِ الْجَيْلِ الَّذِي هُوَ عُمُرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ عُمُرَ الدَّوْلَةِ لَا يَعْدُو فِي الْغَالِبِ  
ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ لِأَنَّ الْجَيْلَ الْأَوَّلَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ وَخَشُونَتِهَا وَتَوَخُّسِهَا مِنْ  
شَطَنِ الْعَيْشِ وَالْبَسَالَةِ وَالْأَفْرَاسِ وَالْإِشْتِرَاقِ فِي الْعَبَادَةِ فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ  
مَحْفُوظَةً فِيهِمْ فَحَدُّهُمْ مُرَهَفٌ وَجَانِبُهُمْ مُرْهَبٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ مَغْلُوبُونَ وَالْجَيْلُ الثَّانِي  
مَحْوَلٌ حَالُهُمْ بِالْمَلِكِ وَالتَّرَفِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمِنْ الشُّطْفِ إِلَى التَّرَفِ  
وَالنَّحْسِ وَمِنْ الْإِشْتِرَاقِ فِي الْعَبَادَةِ إِلَى الْفِرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ وَكَسَلِ الْبَاقِينَ عَنِ

السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتكسر سورة العصية بعض الشيء وأونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدرَكوا الجليل الأول وبأشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى التجرد ومرايهم في المدافعة والحماية فلا يسمهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تنبؤه من النعيم وغضارة العيش فيصبرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء وأولادان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصية بالجملة ويتسرن الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزني وركوب الخيل وحسن الثقافة يؤنون بها وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتغلغها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن النجدة والحسب إنما هو أذبة آباء وقد أتيناك فيه بيزمان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلن تعدو وجه الحق إن كنت من أهل الإنصاف وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على مامر ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر يتقرب قبله أو بعده إلا إن عرَضَ لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستويا والطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا فإذا جاء أجابهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع ولهذا يعبري على السنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فأعني به وأتخذ منه قانونا بصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي ترويه من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استربت في عديم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين



ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآبَاءِ فَإِنْ تَقَدَّتْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ نُفُودِ عَدَدِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ نَقَصَتْ عَنْهُ  
بِجِبِلٍ فَقَدْ غَلَطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةِ وَاحِدٍ فِي عُمُودِ النَّسَبِ وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدُ السِّنِينَ مِنْ عَدَدِهِمْ إِذَا كَانَ مُحْصَلًا لَدَيْكَ فَتَأْمَلُهُ مُجِدَّهُ فِي الْغَالِبِ  
صَحِيحًا وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة .

إِعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَارَ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوَلِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ  
بِالْعَصِيَّةِ وَبِمَا يَتَّبَعُهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَعَوُّدِ الْأَقْرَاسِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَالِبًا إِلَّا مَعَ  
الْبَدَاوَةِ فَطَوْرُ الدَّوَلَةِ مِنْ أَوَّلِهَا بِدَاوَةٌ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ الْمَلِكُ تَبِعَهُ الرَّفْعُ وَاتَّسَاعُ الْأَحْوَالِ  
وَالْحَضَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَفَنُّنٌ فِي التَّرْفِ وَإِحْكَامِ الصَّنَائِعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وُجُوهِهِ وَمَذَاهِبِهِ  
مِنَ الْمَطَابِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْفُرُشِ وَالْأَنْبِيَةِ وَسَائِرِ عَوَائِدِ الْمَنْزِلِ وَأَحْوَالِهِ  
فَالِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَنَائِعٌ فِي اسْتِجَادَتِهِ وَالتَّنْفِيزِ فِيهِ تَخْتَصُّ بِهِ وَيَثْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا  
وَإِتِّكَرُ بِأَخْتِلَافٍ مَا تَنْزِعُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَالْتَنَمُّ بِأَحْوَالِ  
التَّرْفِ وَمَا تَثْلُونَ بِهِ مِنَ الْعَوَائِدِ فَصَارَ طَوْرُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَلِكِ يَتَّبِعُ طَوْرَ الْبَدَاوَةِ  
ضَرُورَةً لِضَرُورَةِ تَبَعِيَّةِ الرَّفْعِ لِلْمَلِكِ وَأَهْلُ الدَّوَلِ أَبَدًا يُقَلِّدُونَ فِي طَوْرِ الْحَضَارَةِ  
وَأَحْوَالِهَا لِلدَّوَلَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَهُمْ فَأَحْوَالُهُمْ يُشَاهِدُونَ وَمِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ يَأْخُذُونَ وَمِثْلُ هَذَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ وَمَلَكَوا فَارِسَ وَالرُّومَ وَاسْتَعْدَمُوا بَنَاتِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَلَمْ  
يَكُونُوا لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَضَارَةِ فَقَدْ حَكِيَ أَنَّهُ قَدِمَ لَهُمُ الْمَرْفُقُ فَكَانُوا  
يَحْسِبُونَهُ رِقَاعًا وَعَتَرُوا عَلَى الْكَافُورِ فِي خَزَائِنِ كِسْرَى فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي عَجِيْبِهِمْ مِثْلًا وَمِثَالُ  
ذَلِكَ كَثِيرٌ فَلَمَّا اسْتَعْبَدُوا أَهْلَ الدَّوَلِ قَبْلَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوهُمْ فِي مَهْنِهِمْ وَحَاجَاتِ مَنَازِلِهِمْ  
وَإِخْتَارُوا مِنْهُمْ الْمَهْرَةَ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ وَالْقَوْمَةَ عَلَيْهِمْ أَفَادُوهُمْ عِلَاجَ ذَلِكَ وَالْقِيَامَ  
عَلَى عَمَلِهِ وَالتَّنْفِيزِ فِيهِ مَعَ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اتِّسَاعِ الْعَيْشِ وَالتَّنْفِيزِ فِي أَحْوَالِهِ فَبَلَّغُوا الْعَايَةَ  
فِي ذَلِكَ وَتَطَوَّرُوا بِطَوْرِ الْحَضَارَةِ وَالتَّرْفِ فِي الْأَحْوَالِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ  
وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْأَسَاحَةِ وَالْفُرُشِ وَالْأَنْبِيَةِ وَسَائِرِ الْمَاعُونِ وَالْحُرَثِ وَكَذَلِكَ  
أَحْوَالُهُمْ فِي أَيَّامِ الْمُبَاهَاةِ وَالْوَلَايَمِ وَبِالْيَالِي الْأَعْرَاسِ فَأَتَوْا مِنْ ذَلِكَ وَرَاءَ الْعَايَةِ وَأَنْظَرُوا

مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَعْرَاسِ الْمَأْمُونِ بِيُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ  
 بْنِ سَهْلِ وَمَا بَدَّلَ أَبُوهُمُ الْحَاشِيَةَ الْمَأْمُونِ حِينَ وَفَاهُ فِي خِطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِفَمِ الصَّالِحِ  
 وَرَكِبَ إِلَيْهَا فِي السَّنِينَ وَمَا اتَّفَقَ فِي أَمْلَاقِهَا وَمَا نَحَلَهَا الْمَأْمُونُ وَاتَّفَقَ فِي عِرْسِيهَا  
 نَفَعَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَجَبِ فَفَنَّهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَثَرَ يَوْمَ الْأَمْلَاقِ فِي الصَّبِيحِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةُ الْمَأْمُونِ فَنَثَرَ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بِنَادِقِ الْمَلِكِ مِائَتَةً عَلَى  
 الرِّقَاعِ بِالضَّبَاعِ وَالْعَقَارِ مَسَوِّغَةً لِمَنْ حَصَلَتْ فِي يَدِهِ بِقَعِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا  
 آدَاهُ إِلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْبَحْثُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بَدْرَ الدَّنَانِيرِ فِي كُلِّ بَدْرَةٍ عَشْرَةَ  
 آلَافٍ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ بَدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اتَّفَقَ عَلَى مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ  
 بِدَارِهِ اضْطِفَافَ ذَلِكَ وَمِنْهُ أَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْطَاهَا فِي مَهْرِهَا لَيْلَةَ زِفَانِهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنْ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شُمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةً مِنْ زَهْوِ رِطَلٍ وَثَلَاثَ<sup>(١)</sup>  
 وَبَسَطَ لَهَا فُرْشًا كَانَ الْخَصِيرُ مِنْهَا مَسْجُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِاللُّزِّ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 الْمَأْمُونُ حِينَ رَأَاهُ قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا نُوَّاسٍ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِنَةِ الْخَمْرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبَخِ مِنَ الْحَطَبِ اللَّيْلَةَ الْوَالِيَةَ نَقَلَ مِائَةً رَأْسَيْنِ بِنَلَامُدَةٍ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي الْحَطَبِ لِلْيَلْتِنِ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ يَصُبُّونَ عَلَيْهِ الزَّيْتَ  
 وَأَوْعَزَ إِلَى النَّوَابِيَةِ بِإِحْضَارِ السُّنَنِ لِإِجَازَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدِجْلَةَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى  
 قُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَالِيَةِ فَكَانَتْ الْحَرَاقَاتُ<sup>(٢)</sup> أَلَمَدَةُ لِذَلِكَ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أَخْرَبَاتِ نَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَكَذَلِكَ عِرْسُ  
 الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ بِطَبْلَيْطَةَ نَقَلَهُ أَبُو سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنُ حَيَّانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطُّورِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ جَمَلَةً لِفَقْدَانِ أَسْبَابِهِ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاضَتِهِمْ وَسَدَّاجَتِهِمْ يُدْكَرُ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَوْلَمَ فِي اخْتِنَانِ  
 بَعْضِ وُلْدِهِ فَأَسْتَحْضَرَ بَعْضَ الدَّهَاقِينَ بِسْأَلِهِ عَنْ وِلَايِمِ الْفَرَسِ وَقَالَ أَخْبَرَنِي بِأَعْظَمِ  
 صَنِيعٍ شَهِدْتُهُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَهِدْتُ بَعْضَ مَرَاذِيَةِ كِسْرَى وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلاثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية ثلاثان

(٢) الحرقاات بالغح جمع حرقاته سفينة فيها مراعي ناربرمي بها القدواه بخنار

فَارِسَ صَنِيعًا أَحْضَرَ فِيهِ صِحَافَ الذَّهَبِ عَلَى أَخُونَةِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَحْمِلُهُ  
 أَرْبَعٌ وَصَائِفٌ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا انْبَعُوا أَرْبَعَتُهُمُ الْمَائِدَةَ  
 بِصِحَافِهَا وَوُصَفَاءِهَا فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا غُلَامُ انْحَرِ الْجُزْرَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ  
 بِهَذِهِ الْأَبِيَّةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُعْطِيَتْ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَائِزُهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهَا الْأَيْلَ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبِدَاوِيهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 وَالْبَيْدِيَّيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَحْمَالِ الْمَالِ وَنَحْوِ الشِّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِمَرَاكِبِهَا  
 وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كِتَابَةِ مَعَ الْأَغَالِبَةِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَكَذَا بَنِي طَفَّحٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمَتُونَةَ  
 مَعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَاتَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُمُّ  
 جَرًّا تَنْتَقِلُ الْحِضَارَةَ مِنَ الدَّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدَّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ الْفَرَسِ لِلْعَرَبِ  
 بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمُوحِدِينَ وَزَنَاتَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدَّيْلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
 إِلَى السُّجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ الْمَمَالِكِ بِمِصْرَ وَالتُّرْكِ بِالْعِرَاقِينَ وَعَلَى قَدَرِ عَظَمِ الدَّوَلَةِ  
 يَكُونُ شَأْنُهَا فِي الْحِضَارَةِ إِذْ أُمُورُ الْحِضَارَةِ مِنْ تَوَابِعِ التَّرْفِ وَالتَّرْفِ مِنْ تَوَابِعِ  
 الثَّرْوَةِ وَالتَّنَعُّمِ وَالثَّرْوَةِ وَالتَّنَعُّمِ مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ مَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوَلَةِ  
 فَعَلَى نِسْبَةِ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبِرْهُ وَتَفَهِّمَهُ وَتَأَمَّلْهُ تَجِدَهُ مُجِيحًا فِي الْعُمُرَانِ  
 وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرْفُ كَثُرَ التَّنَاسُلُ وَالتَّوَلَّدُ  
 وَالتَّعَمُّومِيَّةُ فَكَثُرَتْ الْعِصَابَةُ وَاسْتَكثَرُوا أَيضًا مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبَيْتَ أَجْيَالِهِمْ  
 فِي جَرِّ ذَلِكَ التَّعَمُّمِ وَالرَّفْهِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
 كَثْرَةِ الْعِصَابِ حِينَئِذٍ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ فَإِذَا ذَهَبَ الْجَيْلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَأَخَذَتِ الدَّوَلَةُ  
 فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَقِلَّ أَوْلِيَاكُ الصَّنَائِعِ وَالْمَوَالِي بِأَنْسِيهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوَلَةِ وَتَمْيِيدِ  
 مَلِكِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
 ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَقِلَّ الْفَرْعُ بِالرُّسُوحِ فَيَذْهَبُ وَيَتَلَاشَى وَلَا تَبْقَى الدَّوَلَةُ عَلَى حَالِهَا

مِنَ الْقُوَّةِ وَأَعْتَبَنَ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ كَمَا قُلْنَا  
لِعَهْدِ النَّبُوَّةِ وَأَخِلَافِهِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَمَا يُقَارِبُهَا مِنْ مُضَرَ وَقَطَّانَ وَلَمَّا بَلَغَ التَّرَفُ  
مِبَالِغَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَفَّرَ نِعْمُهُمْ بِتَوْفُرِ النِّعْمَةِ وَأَسْتَكْبَرَ الْخُلَفَاءُ مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ  
بَلَغَ ذَلِكَ الْعَدَدُ إِلَى أضعافِهِ يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَمِدَ نَازَلَ عُمُورِيَّةَ لَمَّا أَفْتَحَهَا فِي تِسْعِمِائَةٍ  
أَلْفٍ وَلَا يَبْعُدُ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا إِذَا أَعْتَبِرْتَ حَامِيَتَهُمْ فِي الثُّغُورِ الدَّائِيَةِ  
وَالْقَاصِيَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا إِلَى الْجُنْدِ الْحَامِلِينَ سَرِيرَ الْمَلِكِ وَالْمَوَالِي وَالْمُضْطَّعِينَ وَقَالَ  
الْمَسْعُودِيُّ أَحْصَى بَنُو الْعَبَّاسِ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً أَيَّامَ الْمَأْمُونِ لِلْإِلَّا نَفَاقِ عَلَيْهِمْ  
فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ ذِكْرَانِ وَإِنَّاكَ فَانظُرْ مِبَالِغَ هَذَا الْعَدَدِ لِأَقَلِّ مِنْ مِائَتِي سَنَةٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَبَهُ الرِّفْقَةُ وَالنِّعْمُ الَّذِي حَصَلَ لِلدَّوْلَةِ وَرَبِّي فِيهِ أَجْيَالُهُمْ وَإِلَّا فَعَدَدُ الْعَرَبِ  
لِأَوَّلِ الْفَتْحِ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار  
اعلم ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون  
بها في كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان  
الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في  
الغالب خمسة اطوار. الطور الاول طور الظفر بالبنية وغلب المدافع والممانع  
والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة في هذا الطور اسوة قومه في  
اكتساب العجد وحباية المال والمدافعة عن الخوزة والحماية لا يتفرد دونهم بشيء  
لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها. الطور الثاني  
طور الاستيلاء على قومه والافراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة  
والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ  
الموالي والعتناع والاستكثار من ذلك ليجدع ائوف اهل عصبية وعشيرته المقاسمين  
له في نسبة الضاربين في الملك يمثل منهم فهو يدافعهم عن الامر ويصددهم عن  
موارده ويرددهم على اعتابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل  
بيته بما يبني من تجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب

الأمر أو أشد لأن الأولين ذاقوا الأجنبي فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل  
 العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الأتارب لا يظهره على مدافعتهم إلا الأقل من  
 الأبعد فتركب صنعا من الأمر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات  
 الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت  
 فيستفرغ وسعته في الجباية وضبط الدخل والتخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها  
 وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة واليهما كل المرتفعة  
 وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع  
 التوسعة على صناعه وحاشيته في الأحوال بالمال والجاه واعتراض جنوده وإدراج  
 أرزاقهم وإنصاتهم في أعطياتهم بكل ملال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم  
 وشكبيهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويُرهب الدول الحاربة  
 وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد من أعجاب الدولة لأنهم في هذه الأطوار كلها  
 مستقلون بأرائهم بأنون بعزيمهم موضحون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور  
 القنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذا قانما بما بنى أولوه سلما لأنظاره  
 من الملوك وأقناله مقلدا للماضين من سلفه فيتبع آثارهم حدوا النمل بالنمل ويقتفي  
 طرقهم بأحسن مناهج الأفتداء ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم  
 أبصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الإسراف والتبذير ويكون صاحب  
 الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على  
 بطانته وفي مجالسِه واضطناع أخذان السوء وخضراء الدمن وتقليد عظيمات الأمور  
 التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما بأنون ويدرون منها مستفسيد الكبار الأولياء  
 من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضعا من جنده  
 بما اتفق من أعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتقلده فيكون تغربا  
 لما كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة  
 الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه  
 برء إلى أن تنقرض كما نبينه في الأحوال التي نسردها والله خير الوارثين

## الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها  
وَالسَّبُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَارَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا  
يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَاقِي الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ  
الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنِمُّ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَأَجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالتَّعَاوُنِ  
فِيهِ فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَسِيحَةَ الْجَوَانِبِ كَثِيرَةً الْمَالِكِ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ  
كَثِيرِينَ جِدًّا وَحُشِرُوا مِنْ آفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى أَعْظَمِ مَبَاكِدِ الْأَثَرِ  
إِلَى مَصَانِعِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ عَنْهُمَا وَأَنْظُرْ الْمُشَاهِدَةَ إِيوَانَ كِسْرَى  
وَمَا أَقْتَدَرَ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَتَخْرِيْبِهِ فَتَسْكَّاهُ عَنْهُ وَشَرَعَ  
فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ وَفِصَّةُ اسْتِشَارَتِهِ لِيَجْعَلَ ابْنَ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةً فَأَنْظُرْ كَيْفَ  
تَقْتَدِرُ دَوْلَةٌ عَلَى بِنَاءِ لَا تَسْتَطِيعُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ بَوْنِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ فِي السُّهُولَةِ  
تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ بَوْنَ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَأَنْظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْوَلِيدِ بِدِمَشْقٍ وَجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةٍ  
بِقُرْطَبَةَ وَالْقَنْظَرَةَ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْحَنَائِكِ بِالْحَلَبِ الْمَاءِ إِلَى قَرْطَابَةَ فِي  
الْقَنَاءِ الرَّابِغَةِ عَلَيْهَا وَأَثَارِ شَرْشَالِ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامِ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ  
الْمِثَالَةِ لِلْعِيَانِ يُعَلِّمُ مِنْهُ اخْتِلَافَ الدُّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَأَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ  
الْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِالْهِنْدَامِ وَأَجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ شَبَّهَتْ  
تِلْكَ الْهَيَاكِلَ وَالْمَصَانِعَ وَلَا تَتَوَهَّمُ مَا تَوَهَّمُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ أَجْسَامِ الْأَقْدَمِينَ  
عَنْ أَجْسَامِنَا فِي أَطْرَاقِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ بَوْنٌ كَمَا تَجِدُ بَيْنَ  
الْهَيَاكِلِ وَالْأَثَارِ وَأَقْدَمَ وَرَلَعَ الْقُصَاصُ بِذَلِكَ وَتَعَالَوْا فِيهِ وَسَطَّرُوا عَنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَعْمَاقَهُ  
فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرَبِيَّةً فِي الْكُذِبِ مِنْ أَعْرَبِهَا مَا يَحْكُونَ عَنْ عَوْجِ بْنِ عِنَاقٍ "رَجُلٌ  
مِنَ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِيُطْوِلُهُ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ  
مِنَ الْبَحْرِ وَيُسْوِبُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلَ بِأَحْوَالِ  
الْكُوكَبِ لِمَا أَعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّمْسِ حَرَارَةً وَأَنَّهَا شَدِيدَةٌ فِيمَا قَرُبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في ائ. اموس في باب المجمع عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس

انَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّهَ وَأَنَّ الضَّوُّهَ فِيمَا قَرَبَ مِنَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ لِأَنَّكَاسِ الْأَشِعَّةِ  
 مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ بِمُقَابَلَةِ الْأَضْوَاءِ فَتَضَاعَفُ الْحَرَارَةُ هُنَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَإِذَا تَجَاوَزَتْ  
 مَطَارِحَ الْأَشِعَّةِ الْمُنْعَكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ تَجَارِي السَّحَابُ  
 وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيٌّ لَا مِزَاجَ لَهُ  
 وَكَذَلِكَ عُوجُ بَنِي عِنَاقٍ هُوَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ أَوْ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ  
 كَانُوا فَرِيسَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ فَتْحِهِمُ السَّامَ وَأَطْوَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجِسْمَانِهِمْ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ قَرِيبَةٌ مِنْ هِيَاكِلِنَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَبْوَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنَّهَا وَإِنْ خُرِبَتْ  
 وَجُدِدَتْ لَمْ تَزَلِ الْحِفَاظَةُ عَلَى أَشْكَالِهَا وَمَقَادِيرِ أَبْوَابِهَا وَكَيْفَ يَكُونُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ  
 عُوجِ وَبَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِهَذَا الْمِقْدَارِ وَإِنَّمَا مَثَارُ غَلْطِهِمْ فِي هَذَا أَنَّهُمْ اسْتَمْظَمُوا آثَارَ  
 الْأَمْرِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَالَ الدُّوَلِ فِي الْأَجْتِمَاعِ وَالْتِعَاوُنِ وَمَا يَحْتَصِلُ بِذَلِكَ وَبِالْهِنْدَامِ مِنَ  
 الْآثَارِ الْعَظِيمَةِ فَصَرَفُوهُ إِلَى قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَشِدَّتِهَا بِعِظَمِ هِيَاكِلِهَا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
 وَقَدْ زَعَمَ الْمَسْعُودِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ مَزْعَمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ وَدَوَّانُ  
 الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ جَبَلَةٌ لِلْأَجْسَامِ لَمَّا بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَمَامِ الْكُرَّةِ وَنِهَابَةِ الْقُوَّةِ  
 وَالْكَمَالِ وَكَانَتْ الْأَعْمَارُ أَطْوَلَ وَالْأَجْسَامُ أَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ طُرُوءَ  
 الْمَوْتِ إِنَّمَا هُوَ بِانْتِحَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْأَعْمَارُ أَرْبَعًا فَكَانَ  
 الْعَالَمُ فِي أَوَّلِيَّةِ نَشَأَتِهِ تَامَ الْأَعْمَارُ كَامِلَ الْأَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَصُ لِنُقْصَانِ الْمَادَّةِ  
 إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَصُ إِلَى وَقْتِ الْإِنْتِحَالِ  
 وَأَنْقِرَاضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَأْيٌ لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ كَمَا تَرَاهُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
 وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَتَحْنُ نَشَاهِدُ مَسَاكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَبْوَابِهِمْ وَطُرُقَهُمْ فِيمَا أَحْدَثُوهُ مِنْ  
 الْبُنْيَانِ وَالْهَيْكَلِ وَالذِّبَارِ وَالْمَسَاكِينِ كَدِيَارِ عُودِ الْمَنْعُوتَةِ فِي الصَّلْدِ مِنَ الصَّخْرِيَّوْنَا  
 صِفَارًا وَأَبْوَابِهَا ضَيْقَةٌ وَقَدْ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَهَى عَنِ اسْتِعْمَالِ  
 مِيَاهِهِمْ وَطَرِحَ مَا عُجِنَ بِهِ وَأُهْرِقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ أَرْضُ عَادٍ وَمِصْرُ وَالسَّامُ وَسَائِرِ  
 بِقَاعِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَالْحَقُّ مَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ آثَارِ الدُّوَلِ أَيْضًا حَالُهَا فِي الْأَعْرَاسِ  
 وَالْوَلَائِمِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وِلِيمَةِ بُورَانَ وَصَنِيعِ الْحَجَّاجِ وَأَبْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ

ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْ آثَارِهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَيَبْطُرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ الْهَجْمَ الَّتِي لِأَهْلِ الدُّوَلَةِ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ  
 وَعَلَيْهِمْ لِلنَّاسِ وَالْهَجْمُ لَا تَزَالُ مُصَاحِبَةً لَهُمْ إِلَى أَنْقِرَاضِ الدُّوَلَةِ وَأَعْتَبَرِ ذَلِكَ بِمَجَازِ  
 ابْنِ ذِي يَزَنَ لَوْفِدِ قُرَيْشٍ كَيْفَ أَعْطَاهُمْ مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَعْبَدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرِشِ الْعَتَبِ وَاحِدَةً وَأَضَعَتْ ذَلِكَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبِيدِ الْمُطَلَبِ وَإِنَّمَا مُلْكُهُ يَوْمَئِذٍ قِرَارَةٌ الَّتِي خَاصَّةٌ تَحْتَ اسْتِبْدَادِ فَارِسَ وَإِنَّمَا حَمَلَهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةٌ تَفْسِيهِ بِمَا كَانَ لِقَوْمِهِ التَّبَاعِيَّةَ مِنَ الْمَلِكِ فِي الْأَرْضِ وَالْعَلْبَ عَلَى الْأَمْرِ  
 فِي الْعِرَاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصُّنْهَاجِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أَمْرَاءِ زِنَانَةِ الْوَأْفِدِينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطُونَهُمُ الْمَالَ أَحْمَالًا وَالْكَسَاءَ نُخُونًا تَمْلُوءَةٌ  
 وَالْحَمَلَاتُ جَنَائِبَ عَدِيدَةٍ وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الرَّيْقِيِّ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَاةُ الْبَرَامِكَةِ وَجَوَائِزُهُمْ وَنَفَقَاتُهُمْ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوَلَايَةُ  
 وَالنِّعْمَةُ آخِرُ الدَّهْرِ لَا الْعَطَاةَ الَّتِي يَسْتَنْفِدُهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَسْطُورَةٌ وَهِيَ كَلِّهَا عَلَى نِسْبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ الصِّغَلِيِّ الْكَتَابِ  
 فَإِنَّهُ جِيَشَ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا أَرْتَمَعَلَ إِلَى قَتْحِ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنَ الْقَيْرَوَانِ بِأَلْفِ حِمَلٍ مِنَ  
 الْمَالَ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجِدَ بِحِطِّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ  
 عَبْدِ الْحَمِيدِ عَمَلٌ بِمَا يَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالَ بِبَغْدَادِ أَيَّامَ الْعَامُونَ مِنْ جَمِيعِ التُّوَاخِي  
 نَقَلَتْهُ مِنْ جَرَابِ الدُّوَلَةِ (غلات السواد) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْحِلَالِ النَّجْرَانِيَّةِ مِائَتًا حِلَّةً وَمِنْ طِينِ الْحِطْمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (ككر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسِتْمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (كوردجلة)  
 عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَةَ دَرَاهِمٍ (حلوان) أَرْبَعَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الاهواز) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنْ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فارس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةً وَمِنْ الزَّبْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (كرمان) أَرْبَعَةَ أَلْفِ أَلْفِ  
 دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِائَتًا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْمَتَاعِ الْبَيْمَانِيِّ خَمْسِمِائَةَ ثَوْبٍ وَمِنْ التَّمْرِ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مكران) أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السند وما يليه) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ



ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلاً  
(مبستان) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلثمائة ثوب ومن  
الفايد عشرون رطلاً (خراسان) ثمانية وعشرون ألف درهم مرتين ومن نقر  
الفضة ألفا ثقب ومن البراذين أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع  
عشرون ألف ثوب ومن الإهاب ثلثون ألف رطل (جرجان) اثنا عشر ألف  
ألف درهم مرتين ومن الإبريسم ألف شقة (فوس) ألف ألف مرتين وخمسمائة  
من نقر الفضة (طبرستان والروبان ونهاوند) ستة آلاف مرتين وثلثمائة ألف  
ومن الفرش الطبري ثمانمائة قطعة ومن الأكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب  
ومن المناديل ثلثمائة ومن الجمات ثلثمائة (الري) اثنا عشر ألف ألف درهم  
مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل (همدان) أحد عشر ألف ألف درهم  
مرتين وثلثمائة ألف ومن رب الرمان ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل  
(ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم  
(ماسدان والدينار<sup>(١)</sup>) أربعة آلاف ألف درهم مرتين (شهرزور) ستة آلاف  
ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم (الموصل وما يليها) أربعة وعشرون ألف  
ألف درهم مرتين ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل (اذريجان) أربعة  
آلاف ألف درهم مرتين (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) أربعة وثلثون ألف  
ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف زق ومن  
البراة<sup>(٢)</sup> عشرة ومن الأكسية عشرون (ارمينية) ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
مرتين ومن البسط<sup>(٣)</sup> الخفخور عشرون ومن الزم خمسمائة وثلثون رطلاً ومن  
المسايح السور ما هي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن  
البيغال مائتان ومن المهرة ثلثون (قدس بن) أربعمائة ألف دينار ومن الزيت ألف  
حمل (دمشق) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار (الأردن) سبعة  
وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن

(١) قوله والدينار والظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية ماسندان ورهنا اه (٢) قوله ومن  
البراة في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه (٣) وفي نسخة البسط

الرَّيْتِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ رِطَلٍ (مصر) أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ وَتِسْعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ  
أَلْفِ دِينَارٍ (برقة) أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ مَرَّتَيْنِ (أفريقية) ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ  
مَرَّتَيْنِ وَمِنَ الْبَسْطِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ (اليمن) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ  
سِوَى الْمَتَاعِ (الحجاز) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ أَنْتَهَى . وَأَمَّا الْأَنْدَلُسُ فَأَلَّذِي ذَكَرَهُ  
الْتِّقَاتُ مِنْ مَوْزِخِيهَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ خَانَ فِي يَوْمِ أَمْوَالِهِ خَمْسَةَ أَلْفِ أَلْفِ  
أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكُونُ جُمْلَتُهَا بِالْقِنَاطِيرِ خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ قِنَاطِرٍ .  
وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَوَارِيخِ الرَّشِيدِ أَنَّ التَّحْمُولَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فِي أَيَّامِهِ سَبْعَةُ أَلْفِ  
قِنَاطِرٍ وَخَمْسِمِائَةَ قِنَاطِرٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي نِسْبِ الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَلَا  
تُنْكِرَنَّ مَا لَيْسَ بِمَعْرُودٍ عِنْدَكَ وَلَا فِي عَصْرِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْثَالِهِ فَتَضَيِّقُ حَوْصَلَتَكَ عِنْدَ مُلْتَقَطِ  
الْمُمَكِّنَاتِ فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِّ إِذَا سَمِعُوا أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ  
بَادَرُوا بِالْإِنْكَارِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الصُّوَابِ فَإِنَّ أَحْوَالَ الْوُجُودِ وَالْعُمُرَانَ مُتَفَاوِتَةٌ وَمَنْ  
أَدْرَكَ مِنْهَا رُبْعَةً سَمِعَ أَوْ وَسَطَى فَلَا يَحْضُرُ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا فِيهَا وَتَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا مَا  
يُنْقَلُ لَنَا عَنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةٍ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَنَاسِبْنَا الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ وَالَّذِي  
لَا شَكَّ فِيهِ بَأَلَّذِي نُشَاهِدُهُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا بُونَ  
وَهُوَ لَمَّا بَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي أَصْلِ قُوَّتِهَا وَعُمُرَانِ مَمَالِكِهَا فَالْأَثَارُ كُلُّهَا جَارِيَةٌ عَلَى  
نِسْبَةِ الْأَصْلِ فِي الْقُوَّةِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَلَا يَسَعُنَا إِنْكَارُ ذَلِكَ عَنْهَا إِذْ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ  
الْأَحْوَالِ فِي غَايَةِ الشُّهُرَةِ وَالْوَضُوحِ بَلْ فِيهَا مَا يُلْحَقُ بِالْمُسْتَفِيزِ وَالْمُتَوَاتِرِ وَفِيهَا  
الْمَعَامِينُ وَالْمُشَاهِدُ مِنَ آثَارِ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ فَخُذْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمَنْقُولَةِ مَرَاتِبَ الدُّوَلِ  
فِي قُوَّتِهَا أَوْ ضَعْفِهَا وَصَحَامَتِهَا أَوْ صِغَرِهَا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ  
الْمُسْتَظْرَفَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ بِالْمَغْرِبِ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي عِنَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرِينِ  
رَجُلٌ مِنْ مَشِيخَةِ طَنْجَةَ يُعْرَفُ بِأَبْنِ بَطُوطَةَ<sup>(١)</sup> كَانَ رَجُلًا مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَهَا  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَقَلَّبَ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ دَهْلِي حَاضِرَةَ مَلِكِ  
الْهِنْدِ وَهُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ وَأَصَلَ بِمَالِكِهَا لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَهُوَ فَيَرُوزْجُوهُ وَكَانَ لَهُ مِنْهُ  
مَسْكَنٌ وَأَسْتَعْمَلَهُ فِي خِطَّةِ الْقَضَاءِ بِمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ فِي عَمَلِهِ ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ

(١) كان ابتداء رحلته ابن بطرطة سنة ٧٢٥ وانتهى أواخرها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة ما يكرر بس اه

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَنَّانٍ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رِحْلَتِهِ وَمَا رَأَى مِنْ أَعْجَابِهِ  
بِمَمَالِكِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أَحْوَالِهِ  
بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنْ مَلَكَ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّفَرِ أَخَذَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تَدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْرُزُ فِيهِ النَّاسُ كَافَّةً إِلَى مَحْرَاءِ الْبَلَدِ  
وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مِنْجَنِيقاتٌ عَلَى الظَّهْرِ تُرْتَى بِهَا شِكَاكِرُ  
الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ إِيوَانَهُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَنَاحِي  
النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَيَّامِيهِ وَزَيْرَ السُّلْطَانَ فَارِسَ بْنَ وَزْدَانَ الْبَعِيدِ الصَّبِيحِ  
فَنَاقَضْتُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَيْتُهُ إِنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَنَاضَ فِي النَّاسِ  
مِنَ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ فَارِسٌ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَنْكَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الدُّوَلِ  
بِمَا أَنْتَ لَمْ تَرَهُ فَتَكُونَ كَابْنِ الْوَزِيرِ النَّاشِئِ فِي السِّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا أَعْتَقَلَهُ  
سُلْطَانُهُ وَمَكَثَ فِي السِّجْنِ سِنِينَ رَبِي فِيهَا أَبْنَهُ فِي ذَلِكَ الْعَجَسِ فَلَمَّا أَدْرَكَ وَعَقَلَ  
سَأَلَ عَنِ اللَّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَغَدَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصِفُهَا  
لَهُ أَبُوهُ بِشَيْئَانِهَا وَنَعْوَتِهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَيْنَ الْغَنَمُ  
مِنَ الْفَارِ وَكَذَلِكَ فِي لَحْمِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ إِذْ لَمْ يَعْلَمَنَّ فِي تَحْسِيسِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
فَيَحْسِبُهَا كُلَّهَا أَبْنَاءَ جِنْسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْتَرِي النَّاسَ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يَعْتَرِيهِمْ  
الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْإِغْرَابِ كَمَا قَدَّمَ نَاهِ أَوَّلَ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعْ  
الْإِنْسَانُ إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مِهْمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَمُمَيِّزًا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْمُمْكِنِ وَالْمُمْتَنِعِ  
بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَبْلَهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفَضَهُ  
وَلَيْسَ مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمَطْلُوقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفْرَضُ حَدًّا بَيْنَ  
الْوَاقِعَاتِ وَإِنَّمَا مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
وَجِنْسَهُ وَصِنْفَهُ وَمِقْدَارَ عَظَمِيهِ وَقُوَّتِهِ أَجْرَيْنَا الْحُكْمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقَوْلُ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
اعلم ان صاحب الدولة إنما يتيم أمره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهوره  
على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقد أعمال مملكته ووزارة دولته  
وجباية أمواله لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهماته  
هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
عنهم والافتراد بالتجدد وادفعهم عنه بالمراح صاروا في حقيقة الأمر من بعض  
أعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصدهم عن المشاركة إلى اولياء آخرين من  
غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم  
وأخص به قراباً وأصطناعاً وأولى إثارة وجهاً لما أنهم يستميئون دونه في مدافعة  
قومه عن الأمر الذي كان لهم والرغبة التي انبثقت في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
الدولة ويخصهم بمزيد التكرمة والإيثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقدمهم  
جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجبابة وما يخص به لنفسه وتكون  
خاصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم حينئذ اولياؤه الأقربون ونصحاؤه  
المخلصون وذلك حينئذ مؤذن بأهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد  
العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرضى قلوب أهل الدولة حينئذ من الإيمان وعداوة  
السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع  
في بزئها من هذا الداء لأنه ما مضى بتأكد في الأعقاب إلى أن يذهب رسمها واعتبر  
ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا إنما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم  
برجال العرب مثل عمرو بن سعيد بن أبي وقاص وعبد الله بن زياد بن أبي سفيان  
والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار ومثاليهم  
من رجال العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضاً  
برجال العرب فلما صارت الدولة للافتراد بالتجدد وكبح العرب عن التطاول  
للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن ثوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنِي بُوَيْهٍ وَمَوَالِي التُّرْكِ مِثْلَ بَقَا وَوَصِيفٍ وَالْمِشَ وَبَاكَكَ وَأَبْنِ طُولُوتَ  
وَأَبْنَاءِهِمْ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ فَكُنُ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِ مَنْ مَهْدَهَا وَالْعِزُّ لِغَيْرِ مَنْ  
اجْتَلَبَهُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالى والمصطنعين في الدول

اعْلَمُ أَنَّ الْمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْأَلْتِحَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ بِتَفَاوُتِ  
قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ فِي الْأَلْتِحَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنَ  
الْمُدَافَعَةِ وَالْمُغَالَبَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ التَّنَاصُرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَى وَالْتِحَادِ  
فِي الْأَجَانِبِ وَالْبَعْدَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَالْوِلَايَةُ وَالْمُخَالَطَةُ بِالرِّقِّ أَوْ بِالْحَلْفِ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهَمِيٌّ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْأَلْتِحَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَطُولُ الْمَآرَسَةِ وَالصُّحْبَةُ بِالْمَرْبِيِّ وَالرِّضَاعُ وَسَائِرُ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْأَلْتِحَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ النُّعْرَةُ وَالتَّنَاصُرُ وَهَذَا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَأَعْتَبَرُ مِثْلَهُ فِي الْأِصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يُحَدِّثُ بَيْنَ الْمُصْطَنَعِ وَمَنْ أَصْطَنَعَهُ نِسْبَةً  
خَاصَّةً مِنَ الْوَصْلَةِ تَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ وَتُؤَكِّدُ اللَّحْمَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَتَمَرَّاتُ  
النَّسَبِ مَوْجُودَةٌ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوِلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمَلِكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُرُوقَهَا أَوْشَجَ وَعَقَائِدُهَا أَمَّحَ وَنَسَبُهَا أَمْرَحَ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمَلِكِ أَسْوَةٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوِلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقْلَى مِنْهُمْ فَيَتَنَزَّلُونَ  
مِنْهُمْ مَنْزِلَةَ ذَوِي قُرَابَتِهِمْ وَأَهْلِ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا أَصْطَنَعُوهُمُ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ مَرْتَبَةُ  
الْمَلِكِ مُعْتَبَرَةً لِلسَّيِّدِ عَنِ الْمَوْلَى وَلِأَهْلِ الْقُرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْإِصْطِنَاعُ لِمَا  
لِقَضِيهِ أَحْوَالُ الرَّئِيسَةِ وَالْمَلِكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرَّتَبِ وَتَفَاوُثِهَا فَتَمَيَّزُ حَالَتُهُمْ وَيَتَنَزَّلُونَ  
مَنْزِلَةَ الْأَجَانِبِ وَيَكُونُ الْأَلْتِحَامُ بَيْنَهُمْ أضعفَ وَالتَّنَاصُرُ لِذَلِكَ أبعَدَ وَذَلِكَ أَنْقَصُ  
مِنَ الْإِصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمَلِكِ. الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ الْإِصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمَلِكِ يبعُدُ عَهْدُهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيُغْفِي شَأْنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَيُظَنُّ بِهَا فِي الْأَكْثَرِ النَّسَبُ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمَلِكِ فَيَقْرُبُ الْعَهْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِقَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَقْتَبِنُ  
اللَّحْمَةُ وَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتضعفُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوِلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ

الدولة واعتبر ذلك في الدول والرتاسات تبعده فكل من كان اضطناعه قبل حصول  
الرتاسة والملك لمضطنعه تبعده أشد التحاما به وأقرب قرابة إليه وينزل منه منزلة  
ابنائه وإخوانه وذوي رحمه ومن كان اضطناعه بعد حصول الملك والرتاسة لمضطنعه  
لا يكون له من القرابة واللحمة ما للأوليين وهذا مشاهد بالميان حتى إن الدولة في  
آخر عمرها ترجع إلى استعمال الأجانب واضطناعهم ولا يبنى لهم تبعد كما بناء  
المضطنوعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليئهم ومشارفة الدولة على الانتراض  
فيكونون منخطين في مهاوي الضعة وإنما يحل صاحب الدولة على اضطناعهم  
والعدول إليهم عن أوليائها الأقدمين وصنائعها الأولين ما يعترهم في أنفسهم من  
العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظره بما ينظره به قبيلة وأهل نسبه لتأكيد  
اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمرتبى والاتصال بأبائه وسلف قومه والانتظام مع  
كبراء أهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه وأعزاز فينافرهم بسببها صاحب الدولة  
ويعيل عنهم إلى استعمال سواهم ويكون عهد استغلاصهم واضطناعهم قريبا فلا  
يلغون رتب العجد ويقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في أواخرها  
وأكثر ما يطلق أمم الصنائع والأولياء على الأولين وأما هؤلاء المحدثون فتقدم  
وأعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

### الفصل الحادي والعشرون

فيا يعرض في الدول من حيز السلطان والاستبداد عليه

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة  
وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح  
فربما حدث التغلب على المنصب من ووزرائهم وحاشيتهم وسببه في الأكثر ولاية  
صبي صغير أو مضعف من أهل المنبت يترشح للولاية يهدا إليه أو يترشح ذويه  
وخوله ويؤانس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أبيه وحاشيته  
ومواليه أو قبيله ويؤري بحفظ أمره عليه حتى يؤانس منه الاستبداد ويجعل ذلك  
ذريعة للملك فيحبب الصبي عن الناس ويعوده إليها تراف أحواله ويسمه في مراعيها  
متى أمكنه وينسبه النظر في الأمور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّنَقَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ وَالْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحُلَّ وَالرَّبْطَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَهَبِئِمْرَةَ الْأَحْوَالِ الْمُلُوكِيَّةِ وَتَفْقُدهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجَيْشِ وَالْمَالِ وَالشُّعُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيُسَلِّمُ لَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةَ الرَّئِيسَةِ وَالْإِسْتِبْدَادَ وَيَتَحَوَّلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ وَيُؤْتِرُ بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهٍ وَالتُّرْكِ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَتَفَتَّنُ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ الْمُغْلَبُ لِشَأْنِهِ فَيُجَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَجْرِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَيَرْجِعُ الْمَلِكُ إِلَى نِصَابِهِ وَيَضْرِبُ عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا يَقْتُلُ أَوْ يَرْفَعُ عَنِ الرَّئِيسَةِ فَقَطُّ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ الْأَقْلِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أَخْضَتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَمَرَّتْ لَهَا ذَلِكَ وَقَلَّ أَنْ تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَنَشْأَةِ أَبْنَاءِ الْمَلِكِ مُنْغَمِسِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرَّجُولَةِ وَأَفْوَا أَخْلَاقِ الدَّيَّانَاتِ وَالْأَخْطَارِ وَرَبَّوْا عَلَيْهَا فَلَا يَبْزَعُونَ إِلَى رِئَاسَةِ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبْدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا هُمْ فِي الْقُبُوعِ بِالْأَبْهَةِ وَالتَّنْفِيسِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلْمَوَالِي وَالْمُضْطَّاعِينَ عِنْدَ اسْتِبْدَادِ عَشِيرِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفِرَادِهِمْ بِهِ دُونِهِمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ خَرُورِيٌّ كَمَا قَدَّمَاهُ وَهَذَانِ مَرَضَانِ لَا بَرَاءَ لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَوَّلِ النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَا يَكُونُ مِنْ يَشَاءِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

### الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك وذلك ان الملك والسلطان حصل لأوليه منذ اول الدولة بعصبة قومه وعصبيته التي استنبعتهم حتى استحكمت له وقوميه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصبة من قبيل الملك او الموالي والصنائع فعصبيته مندرجة في عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يجاول في استبداده انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد والايترام والنقض يوم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمك الملك وشاراته

وَأَلْقَاهُ جُنْدَهُ وَبُعِدُ نَفْسَهُ عَنِ التَّهْمَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْأَسْتِبْدَادُ لِأَنَّهُ مُسْتَبَرٌّ فِي  
 اسْتِبْدَادِهِ ذَلِكَ بِالْحِجَابِ الَّذِي خَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوْلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَبِيلِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمُعَالِطُ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ أَهْلُ العَصِيَّةِ  
 وَقَبِيلُ المَلِكِ وَحَاوَلُوا الْأَسْتِثَارَ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكِمْ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةً تَحْمِلُهُمْ  
 عَلَى التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِنْقِيَادِ فِيهِ لَأَوَّلِ وَهَلَّةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ  
 بْنِ مَنصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلِي بَيْتِهِ فِي لِقَابِ الخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْنَعْ بِمَا قَبِيعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَامِ الْمُتَتَابِعَةِ فَطَلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَلِيفَتَهُ أَنْ يَعْبُدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فَذَمَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِابْنِ عَمِّ الخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابٌ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ وَهَلَكَ الْمُؤَيَّدُ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْتَبْدَلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَاخْتَلَتْ مَرَامِيمُ مُلْكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمَكِّنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ وَضَرُورِيَّاتِهِمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى المَعَامَلَةِ وَاقْتِضَاءِ الْحَاجَاتِ وَمَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهَا لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَانَعُهُ الْآخِرُ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الغَضَبِ وَالْإِنْفَةِ وَمُقْتَضَى القُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَيَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُفْضِي  
 إِلَى المُقَاتَلَةِ وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْهَرَجِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِذْهَابِ النُّفُوسِ الْمُفْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النُّوعِ وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُجْحَانَهُ بِالمُحَافَظَةِ فَاسْتَحَالَ بَقَاؤُهُمْ قُوْدِي دُونَ  
 حَاكِمٍ يَزْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاجْتَنَابُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوِزَاعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ وَلَا بَدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 العَصِيَّةِ لِمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُطَابَلَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ لِنُتُوجِهِ نُفُوحَهُ الْمُطَابَلَاتِ وَيَعْتَاجُ إِلَى الْمُدَافَعَاتِ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عابو الشيء كفرج لم يره اهلاً له كفي القاموس



مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَالْعَصَبِيَّاتُ مُتَفَاوِتَةٌ وَكُلُّ عَصَبِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَغَلُّبٌ عَلَى مَنْ يَلِيهَا مِنْ قَوْمِهَا وَعَشِيرَتِهَا وَلَيْسَ الْمَلِكُ لِكُلِّ عَصَبِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمَلِكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَنْ يَسْتَعْبِدُ الرَّعِيَّةَ وَيَجْبِي الْأَمْوَالَ وَيَبْعَثُ الْبُعُوثَ وَيَحْمِي الثُّغُورَ وَلَا تَكُونُ فَوْقَ يَدَيْهِ بَدٌّ قَاهِرَةٌ وَهَذَا مَعْنَى الْمَلِكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْمَشْهُورِ فَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصَبِيَّتُهُ عَنْ بَعْضِهَا مِثْلَ حِمَايَةِ الثُّغُورِ أَوْ جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ أَوْ بَعَثِ الْبُعُوثِ فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَمَّ حَقِيقَتُهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَرْبَرِ فِي دَوْلَةِ الْأَخَالِيبَةِ بِالْقَبْرَوَانِ وَالْمُلُوكِ الْعَجَمِ صَدَرَ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصَبِيَّتُهُ أَيْضًا عَنِ الْأَسْتِعْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالضَّرْبِ عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي وَكَانَ فَوْقَهُ حُكْمٌ غَيْرُهُ فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَمَّ حَقِيقَتُهُ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ أَمْرَاءِ النَّوَاحِي وَرُؤَسَاءِ الْجِهَاتِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْمُنْتَسِعَةِ النَّطَاقِ أَعْنِي تُوْجَدُ مُلُوكٌ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي النَّوَاحِي الْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ مِثْلَ صَهَابَةِ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَزَنَانَةَ مَعَ الْأُمُويِّينَ تَارَةً وَالْعَبِيدِيِّينَ تَارَةً أُخْرَى وَمِثْلَ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِثْلَ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ مِنَ الْفَرَسِ مَعَ الْأَيْسَكَنْدَرِ وَقَوْمِهِ الْيُونَانِيِّينَ وَكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَاعْتَبِرْهُ تَجِدُهُ وَاللَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

إِعْلَمْ أَنَّ مَصْلَحَةَ الرَّعِيَّةِ فِي السُّلْطَانِ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَجِسْمِهِ مِنْ حُسْنِ شَكْلِهِ أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ أَوْ عِظَمِ جِسْمَانِهِ أَوْ اتِّسَاعِ عِلْمِهِ أَوْ جُودَةِ خَطِّهِ أَوْ ثِقُوبِ ذَهَبِهِ وَإِنَّمَا مَصْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْأِضَافِيَّةِ وَهِيَ نِسْبَةٌ بَيْنَ مُنْتَسِبِينَ لِحَقِيقَةِ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَلِكُ لِلرَّعِيَّةِ الْقَائِمُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ فَالسُّلْطَانُ مَنْ لَهُ رَعِيَّةٌ وَالرَّعِيَّةُ مَنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَلَكَةَ وَهِيَ كَوْنُهُ يَمْلِكُهُمْ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الْجُودَةِ بِمَكَانٍ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أُمَّةٍ التُّوْجُوهِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُعَسِّفَةً كَانَ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَالْأَكْثَرُ أَنَّهُمْ وَيَعُودُ حُسْنُ الْمَلَكَةِ إِلَى الرَّفْعِ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِشًا بِالْعُقُوبَاتِ مُنْقِيًا عَنِ عَوْرَاتِ النَّاسِ وَتَعْلِيدِ ذُنُوبِهِمْ تَمْلِكُهُمُ الْخَوْفُ وَالذُّلُّ وَالْأَذْوَاءُ مِنْهُ بِالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ

وَالْمُخْدِيعَةَ فَتَخَلَّفُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ وَرُبَّمَا خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
وَالْمُدَافَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحِمَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ وَرُبَّمَا أَجْعَلُوا عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ نَفْسًا دَوْلَةً  
وَيَغْرَبُ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَهَرُهُ فَسَدَتْ الْعَصَبِيَّةُ لَهُ أَقْدَانُهُ أَوَّلًا وَفَسَدَ السِّيَاحُ  
مِنْ أَصْلِهِ بِالْعِجْرِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مَجَاوِزًا عَنْ سَبْتَانِهِمْ اسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
وَلَاذُوا بِهِ وَأَشْرَبُوا مَحَبَّتَهُ وَاسْتَمَاتُوا دُونَهُ فِي مَحَارِبِهِ أَعْدَائِهِ فَأَسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَالِكَةِ فَعَبِي النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَافَعَةُ بِهَا  
تَنْبِذُ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُمَلَةِ الرِّفْقِ بِهِمْ وَالنَّظَرِ  
لَهُمْ فِي مَعَايِسِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كَبِيرٍ مِنَ التَّعَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَلَمًا تَكُونُ مَلِكَةٌ  
الرِّفْقُ فِي مَنْ يَكُونُ يَقْطَأُ شَدِيدَ الذِّكَاةِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوْجَدُ الرِّفْقُ فِي  
الْفَقْرِ وَالْمُتَمَقِّلِ وَأَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي الْبِقْظِ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُ الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ لِيُفِزُوا  
نَظْرَهُ فِيمَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأَطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِيهَا بِالْعَهْدَةِ فَيَهْلِكُونَ  
لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سَبْرٍ أضعفكم وَهَذَا الْبَابُ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
فِي الْحَاكِمِ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاةِ وَأَخَذَهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ لَمَّا عَزَلَهُ  
عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعِجْرُ أَمْ لِحِيَابَتِهِ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
أَعَزَلْكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَهْمَلَ فَضْلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأَخَذَ مِنْ  
هَذَا أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَكُونُ مُفْرَطُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِثْلَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ وَعُمَرُ  
بْنُ الْعَاصِ لَمَّا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّمَسُّفِ وَسُوءِ الْمَالِكَةِ وَحَمَلِ الْوُجُودِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
طَبْعِهِ كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَالِكِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ  
وَالذِّكَاةَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانَ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِنْفِ إِنْسَانِيَّةٍ وَالنَّحْوُودُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكُرْمِ  
مَعَ التَّبْدِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَمَا فِي الشَّجَاعَةِ مَعَ الْمَوْجِ وَالْحَبْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسِ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ فَيُقَالُ شَيْطَانٌ رَمَتْ سَبْتَانُ  
وَأَمَّا ذَلِكَ وَاللَّهُ يُخَالِقُ مَا بَشَاهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لَمَا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ أَنَّهُ الْإِجْتِمَاعُ الضَّرُورِيُّ لِلْبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّغْلِبُ وَالْقَهْرُ  
الَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً عَنِ  
الْحَقِّ مُجْتَمِعَةً بَيْنَ تَعْتِ يَدَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحَمَلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْغَالِبِ عَلَى  
مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَمَهَوَاتِهِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِإِخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنَ الْخَلْفِ  
وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرُ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجِيءُ الْعَصِيَّةُ الْمُنْفِضَةُ إِلَى الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ فَوْجِبَ  
أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَائِنِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ يُسَلِّمُهَا الْكَافَّةُ بِتَقَادُورٍ إِلَى أَحْكَامِهَا  
كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَإِذَا خَلَّتِ الدُّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
لَمْ يَسْتَتِبْ أَمْرُهَا وَلَمْ يَنْبَغْ اسْتِبْلَاؤُهَا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فَإِذَا كَانَتْ  
هَذِهِ الْقَوَائِنُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَارِ الدُّوْلَةِ وَبَصْرَائِهَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ بِشَارِعٍ يُقَرِّرُهَا وَيَشْرَعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطُّ فَإِنَّهَا كَلَّمَا عَبَثُ  
وَبَاطِلٌ إِذْ غَايَتُهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ الْغَسْبُكُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا فَأَلْمَقْصُودُ  
بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمُنْفِضِي بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَاءَتْ الشَّرَائِعُ بِحَمَلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ  
عِبَادَةٍ وَمَعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلِاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجْرَتُهُ عَلَى  
مِنَاجِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ تَحُوطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ فَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى الْقَهْرِ وَالتَّغْلِبِ  
وَإِفْعَالِ الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ فِي مَرَعَاهَا فَجُورٌ وَعَدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى السِّيَاسَةِ وَأَحْكَامِهَا قَدْ مَذْمُومٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرٌ  
يَغْيِرُ نُورَ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ  
الْكَافَّةِ فِيمَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالِ الْبَشَرِ كُلِّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
مَعَادِهِمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطُّ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَقْصُودِ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحُ آخِرَتِهِمْ فَوْجِبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمَلُ الْكَافَّةِ

عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجِيهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ  
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِمْ مَقَامُهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ  
وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الْغَرَضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمَلُ  
الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَنْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةِ  
هِيَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمِ الْأَخْرَوِيَّةِ وَالذُّنُوبِيَّةِ أَرَجَعَهُ  
إِلَيْهَا إِذْ أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَرْجِعُ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى أَعْتَابِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي  
الْحَقِيقَةِ خِلَافَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ قَافَهُمْ ذَلِكَ  
وَأَعْتَبِرْهُ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ وَآلِلَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وَإِذْ قَدْ يَبَيَّنَّا حَقِيقَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّهُ نِيَابَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِزْنِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ تُسَمَّى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا فَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ إِمَامًا  
فَتَشْبِيهًُا بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَأَمَّا  
تَسْمِيَتُهُ خَلِيفَةً فَلِكُونِهِ بِخَلْفِ النَّبِيِّ فِي أُمَّةٍ فَيُقَالُ خَلِيفَةٌ بِإِطْلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
وَأَخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَتِهِ خَلِيفَةَ اللَّهِ فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ اقْتِبَاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لِلرَّسُولِ فِي  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلِهِ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ وَوَعَى  
الْجُمْهُورُ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْإِسْتِخْلَافَ إِنَّمَا هُوَ  
فِي حَقِّ الْغَائِبِ وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَلَا تُنْمِ إِذَا نَصَّبَ الْإِمَامَ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي  
الشَّرْعِ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ  
وَفَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسَلَّمَ النَّظَرُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي  
كُلِّ عَصْرٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُتْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ وَأَسْتَقَرَّ ذَلِكَ  
إِجْمَاعًا دَالًّا عَلَى وَجُوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مَدْرَكَ وَجُوبِهِ  
الْعَقْلُ وَأَنَّ الْإِجْمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجِبَ  
بِالْعَقْلِ لِضَرُورَةِ الْإِجْتِمَاعِ لِلبَشَرِ وَاسْتِحْجَاجِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُنْفَرِدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الْأَجْتِمَاعِ التَّنَازُعِ لِأَزْدِحَامِ الْأَغْرَاضِ فَمَا لَمْ يَكُنِ الْحَاكِمُ الْوَازِعَ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى  
 الْمَرْجِ الْمُوْذِنِ بِهَلَاكِ الْبَشَرِ وَاتِّقَاعِهِمْ مَعَ أَنْ حِفْظَ النَّوعِ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ  
 الْفَرُورِيَّةِ وَهَذَا الْمَعْنَى بَعِيْنَهُ هُوَ الَّذِي لَحَظَهُ الْحُكَمَاةُ فِي وُجُوبِ النُّبُوتِ فِي الْبَشَرِ  
 وَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى فَسَادِهِ وَأَنَّ إِحْدَى مُقَدِّمَاتِهِ أَنَّ الْوَازِعَ إِنَّمَا يَكُونُ بِشَّرْعٍ مِنْ اللَّهِ تُسَلِّمُ  
 لَهُ الْكِفَاةُ تَسْلِيمَ إِيمَانٍ وَاعْتِقَادٍ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلِّمٍ لِأَنَّ الْوَازِعَ قَدْ يَكُونُ بِسَطْوَةِ الْمَلِكِ  
 وَقَهْرِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَرْعٌ كَمَا فِي أُمَّةِ النُّجُوسِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ  
 كِتَابٌ أَوْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ أَوْ تَقُولُ يَكْفِي فِي رَفْعِ التَّنَازُعِ مَعْرِفَةُ كُلِّ وَاحِدٍ بِتَحْرِيمِ  
 الظُّلْمِ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَادِّعَاؤُهُمْ أَنَّ أَرْتِفَاعَ التَّنَازُعِ إِنَّمَا يَكُونُ بِوُجُودِ الشَّرْعِ  
 هُنَاكَ وَنَصَبِ الْإِمَامِ هُنَا غَيْرُ صَحِيحٍ بَلْ كَمَا يَكُونُ بِنَصَبِ الْإِمَامِ يَكُونُ بِوُجُودِ  
 الرُّؤْسَاءِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ أَوْ بِامْتِنَاعِ النَّاسِ عَنِ التَّنَازُعِ وَالتَّنَظُّمِ فَلَا يَنْهَضُ دَلِيلُهُمُ  
 الْعَقْلِيُّ الْمَبْنِيُّ عَلَى هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُدْرِكَ وُجُوبِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالشَّرْعِ وَهُوَ  
 الْأَجْمَاعُ الَّذِي قَدَّمَ نَاهُ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ بَعْدَ وَجُوبِ هَذَا النَّصَبِ رَأْسًا لَا  
 بِالْعَقْلِ وَلَا بِالشَّرْعِ مِنْهُمْ الْأَصَمُّ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ وَبَعْضُ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ وَالْوَاجِبُ  
 عِنْدَ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا هُوَ امْتِنَاعُ الْحُكْمِ الشَّرْعِ فَإِذَا تَوَاطَّاتِ الْأُمَّةُ عَلَى الْعَدْلِ وَتَنَفِيذِ  
 أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَخْتَجِ إِلَى إِمَامٍ وَلَا يَجِبُ نَصْبُهُ وَهَؤُلَاءِ مَحْجُوجُونَ بِالْأَجْمَاعِ  
 وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِنَّمَا هُوَ الْفِرَارُ عَنِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ مِنَ الْأَسْتِطَالَةِ  
 وَالْعَلْبِ وَالْأَسْتِمْتَاعِ بِالدُّنْيَا لَمَّا رَأَوْا الشَّرِيعَةَ مُتَمَثِّلَةً بِذِمِّ ذَلِكَ وَالنَّعْيِ عَلَى أَهْلِهِ  
 وَمُرَغِبَةٍ فِي رَفْضِهِ وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَذِمَّ الْمَلِكَ لِذَاتِهِ وَلَا حَظَرَ الْقِيَامَ بِهِ وَإِنَّمَا ذَمَّ  
 الْمَفَاسِدَ النَّاشِئَةَ عَنْهُ مِنَ الْقَهْرِ وَالظُّلْمِ وَالتَّمَتُّعِ بِاللَّذَاتِ وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي هَذِهِ مَفَاسِدَ  
 مَحْظُورَةَ وَهِيَ مِنْ تَوَابِعِهِ كَمَا أَتَى عَلَى الْعَدْلِ وَالنَّصْفَةِ وَإِقَامَةِ مَرَامِهِ الدِّينِ وَالذَّبِّ  
 عَنْهُ وَأَوْجَبَ بِإِزَائِمِهَا الثَّوَابَ وَهِيَ كَالهَا مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ فَإِذَا إِنَّمَا وَقَعَ الذَّمُّ لِلْمَلِكِ  
 عَلَى صِنْفِهِ وَحَالِ دُونَ حَالِ أُخْرَى وَلَمْ يَذِمَّهُ لِذَاتِهِ وَلَا طَلَبَتْ تَرْكُهُ كَمَا ذَمَّ الشُّهُوَّةَ  
 وَالغَضَبَ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ وَلَيْسَ مُرَادُهُ تَرْكُهُمَا بِالْكَلِمَةِ لِإِدْعَائِهِ الْفَرُورَةَ إِلَيْهَا وَأَمَّا  
 الْمُرَادُ تَضْرِيْفُهُمَا عَلَى مُقْتَضَى الْحَقِّ وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِمَا الْمَلِكُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِمَا وَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عِنْدَهُ

ثم نقول لهم إن هذا الفراز عن الملك بدم وجوب هذا النصب لا يفتنكم شيئاً لأنكم  
 موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل إلا بالعصية والشوكة  
 والعصية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وإن لم ينصب إمام وهو عين ما قرأتم  
 عنه وإذا تقرر أن هذا النصب واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع  
 إلى اختيار أهل العقد والحل فتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعاً طاعته لقوله  
 تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وأما شروط هذا المنصب فهي  
 أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والأعضاء مما يؤثر في الرأي  
 والعمل واختلفت في شرط خامس وهو النسب القرشي فأما اشتراط العلم فظاهر لأنه  
 إنما يكون منفذاً لأحكام الله تعالى إذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه  
 لها ولا يكتفي من العلم إلا أن يكون مجتهداً لأن التقليد ناقص والإمامة تستدعي  
 الكمال في الأوصاف والأحوال وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر  
 المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى بأشراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه  
 بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية  
 خلاف وأما الكفاية فهو أن يكون جريئاً على إقامة الحدود وأنتقام الحروب بصيراً  
 بها كفيلاً بحمل الناس عليها عارفاً بالعصية وأحوال الدعاء قوياً على معاناة السياسة  
 ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتبدير  
 المصالح وأما سلامة الخواص والأعضاء من النقص والمطلبة كالجبن والعمى والضم  
 والخرس وما يؤثر ففده من الأعضاء في العمل كفقيد اليدين والرجلين والأشيين  
 فشرط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه وإن كان  
 إنما يشين في المنظر فقط كفقيد إحدى هذه الأعضاء فشرط السلامة منه شرط  
 كمال ويلحق بفقدان الأعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في  
 اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالأسر وشبهه  
 وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجز باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عيبان ولا مشاقفة  
 فينتقل النظر في حال هذا المستولي فإن جرى على حكم الدين والمعدل وحديد  
 السياسة جاز قراره وإلا استنصر المسلمون من يقض يده عن ذلك ويدفع عنه

حَتَّى يُنْفَذَ فِعْلُ الْخَلِيفَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ عَلَى ذَلِكَ  
 وَاجْتِمَاعِ قُرَيْشٍ عَلَى الْأَنْصَارِ لَمَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ بَيْعَةَ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَقَالُوا مَنَا أَمِيرٌ  
 وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِأَنْ نُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِكُمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ الْأِمَارَةُ فِيكُمْ  
 لَمْ نَكُنْ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ فَحَجُّوا الْأَنْصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
 وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمَا بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِذَلِكَ وَثَبَّتْ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يَزَالُ هَذَا  
 الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَدْلَةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ  
 قُرَيْشٍ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ بِمَا تَأَلَّهُمْ مِنَ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ وَبِمَا أَنْفَقَتْهُمْ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ جَمَلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
 وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَأَشْبَهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَقْبِي اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
 وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرِ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ وُلِّيَ  
 عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو زَيْبَةٍ وَمَهْدَا لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ مَفْرَجَ التَّمْثِيلِ  
 وَالْفَرْضِ لِلْمُبَالِغَةِ فِي إِيْجَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى حَذِيفَةَ  
 حَيًّا لَوَلَّيْتُهُ أَوْ لَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الظَّنُّ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَذْهَبَ  
 الصَّحَابَةِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةُ الْوَلَاءِ حَاصِلَةٌ لِسَالِمٍ فِي قُرَيْشٍ  
 وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَعْظَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَهَا  
 مَفْقُودَةً فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمُفِيدِ  
 لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَذَرُ وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا صُرَاةُ النَّسَبِ قِرَاءَهُ غَيْرَ مُنْتَجِحٍ إِلَيْهِ إِذِ الْفَائِدَةُ  
 فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حِرْصًا مِنْ عُمَرَ رِضِيَّيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلْعَقُهُ فِيهِ لِأَئِمَّةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عَهْدَةٌ  
 وَمِنَ الْقَائِلِينَ بِتَقْبِي اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ لَهُ الْأَدْرَكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
 قُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاشِيِّ وَالْأَضْمِحَلَالِ وَأَسْتَبْدَادِ مُلُوكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فَاسْقَطَ شَرْطَ  
 الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالَ الْخُلَفَاءِ لِهَيْبِهِ وَبَقِي  
 الْجُمْهُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاشْتِرَاطِهَا وَصِحَّةِ الْإِمَامَةِ لِلْقُرَشِيِّ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
 الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سَقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى أَمْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ

الشُّوْكَةُ بِذَهَابِ الْعَصَبِيَّةِ فَقَدْ ذَهَبَتِ الْكِفَايَةُ وَإِذَا وَقَعَ الْإِخْلَالُ بِشَرْطِ الْكِفَايَةِ  
 تَطَرَّقَ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَى الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَسَقَطَ أَعْتِبَارُ شُرُوطِ هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُوَ خِلَافُ  
 الْإِجْتِمَاعِ . وَلِنَتَّكِمُ الْآنَ فِي حِكْمَةِ اشْتِرَاطِ النَّسَبِ لِيَتَحَقَّقَ بِهِ الصَّرَاحُ فِي مَقْصِدِ  
 الْمَذَاهِبِ فَنَقُولُ . إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَقَاصِدَ وَحِكْمٍ تَشْتَدُّ  
 عَلَيْهَا وَتُشْرَعُ لِأَجْلِهَا وَتُحْنُ إِذَا بَحَثْنَا عَنِ الْحِكْمَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ الْقُرَشِيِّ وَمَقْصِدِ  
 الشَّارِعِ مِنْهُ لَمْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى التَّبَرُّكِ بِوَصْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ فِي  
 الْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَصْلَةُ مَوْجُودَةً وَالتَّبَرُّكُ بِهَا حَاصِلًا لَكِنَّ التَّبَرُّكَ لَيْسَ مِنْ  
 الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا عَلِمْتَ فَلَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ الْمَصْلُحَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَهِيَ  
 الْمَقْصُودَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا وَإِذَا سَبَرْنَا وَقَسَمْنَا لَمْ نَجِدْهَا إِلَّا أَعْتِبَارَ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ  
 بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَالْفِرْقَةُ بِوُجُودِهَا لِصَاحِبِ الْمَنْصِبِ فَتَسْكُنُ  
 إِلَيْهِ الْمِلَّةُ وَأَهْلُهَا وَيَنْتَظِمُ حَيْثُ الْإِلْفَةُ فِيهَا وَذَلِكَ أَنْ قُرَيْشًا كَانُوا عَصَبَةً مُضَرًّا وَأَصْحَابَهُمْ  
 وَأَهْلُ الْغَلَبِ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَلَى سَائِرِ مُضَرِّ الْعِزَّةُ بِالْكَثْرَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَالشَّرْفِ  
 فَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَكِينُونَ لِعَاقِبَتِهِمْ فَلَوْ جُعِلَ الْأَمْرُ فِي سِوَاهُمْ  
 لَتَوَقَّعَ اقْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَعَدَمِ انْقِيَادِهِمْ وَلَا يَقْدِرُ غَيْرُهُمْ مِنْ قِبَالِهِمْ مُضَرًّا  
 أَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِ الْخِلَافِ وَلَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْكُرَّةِ فَتَنْفَرِقَ الْجَمَاعَةُ وَتُخْتَلَفَ الْكَلِمَةُ  
 وَالشَّارِعُ مُحْذَرٌ مِنْ ذَلِكَ حَرِيصٌ عَلَى اتِّفَاقِهِمْ وَرَفْعِ النِّزَاعِ وَالشَّتَاتِ بَيْنَهُمْ لِيَتَّصِلَ  
 اللَّحْمَةُ وَالْعَصَبِيَّةُ وَتَحْسُنَ الْحِمَايَةُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ  
 عَلَى سَوْقِ النَّاسِ بَعْضَ الْغَلَبِ إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهُمْ فَلَا يُخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ خِلَافِ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا فِرْقَةٍ لِأَنَّهُمْ كَغَمِيلُونَ حِينَئِذٍ يَدْفَعُهَا وَيَمْنَعُ النَّاسَ مِنْهَا فَأَشْتَرَطَ نَسَبُهُمُ الْقُرَشِيِّ  
 فِي هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ الْقَوِيَّةِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي أَنْظَامِ الْمِلَّةِ وَاتِّفَاقِ  
 الْكَلِمَةِ وَإِذَا انْتَضَمَتْ كَلِمَتُهُمْ انْتَضَمَتْ بِأَنْظَامِهَا كَلِمَةُ مُضَرٍّ أَجْمَعَ فَأَذْعَنَ لَهُمْ  
 سَائِرُ الْعَرَبِ وَانْقَادَتِ الْأُمَّمُ سِوَاهُمْ إِلَى أَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَوَطِئَتْ جُنُودُهُمْ قَاصِيَةَ الْبِلَادِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ الْفَتْوحَاتِ وَأَسْتَمَرَ بَعْدَهَا فِي الدَّوْلَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَضْمَحَلَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ  
 وَتَلَاشَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَيَعْلَمُ مَا كَانَ اقْتِرَاسُ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْغَلَبِ عَلَى بَطُونِ مُضَرِّ  
 مِنْ مَازِنِ أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَسِيَرَتِهِمْ وَتَقَطَّنَ لِذَلِكَ فِي أَحْوَالِهِمْ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ



فِي كِتَابِ السَّيْرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثُبِتَ أَنَّ أَشْرَاطَ الْقُرَشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ النَّزَاعِ بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالغَلْبِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يُخْصُّ الْأَحْكَامَ بِجِيلٍ وَلَا عَصْرٍ وَلَا أُمَّةٍ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الصِّكَايَةِ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلْمَةَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْقُرَشِيَّةِ وَهِيَ وُجُودُ الْعَصِيَّةِ فَأَشْرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولِي عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ دَلَى مِنْ مَعَهَا لِعَصْرِهَا لِيَسْتَنْبِهُوا مِنْ سِوَاهُمْ وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى حُسْنِ الْحَمَايَةِ وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَفْطَارِ وَالْآفَاقِ كَمَا كَانَ فِي الْقُرَشِيَّةِ إِذِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَّةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ وَافِيَةً بِهَا فَغَلَبُوا سَائِرَ الْأُمَمِ وَإِنَّمَا يُخْصُّ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلِّ قُطْرٍ يَمُنُّ تَكُونَ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ الْعَالِيَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيُرُدَّهُمْ عَنْ مَضَارِهِمْ وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يُخَاطَبُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ إِلَّا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ <sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَنْهَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ التَّرْعِيَّةِ جُعِلَ تَبَعًا لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلَنَّ فِي الْخُطَابِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلَ عِنْدَهُ بِالْقِيَاسِ وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَنْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَخُطِبَ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا لِلْأَمْرِ الْوُجُودِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعْلَمَ أَنَّ الشَّيْعَةَ لُغَةً هُمُ الصَّحْبُ وَالْأَتْبَاعُ وَبُطْلَانُ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُنْكَامِينَ مِنَ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذْهَبِهِمْ جَمِيعًا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَفُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَتَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا بِتَعْيِينِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنُ الدِّينِ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِغْفَالُهُ وَلَا تَفْوِضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْضُومًا مِنَ الصِّكَايَةِ وَالصَّخَائِرِ وَإِنْ

(١) قوله الامام ابن الخطيب هو المغر الرازي قاله نصر

عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَيْنَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصٍ يَنْقُلُونَهَا وَيُؤَدُّونَهَا  
 عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جَهَابِدَةُ السُّنَّةِ وَلَا تَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
 أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ أَوْ يَبْعِدُ عَنْ تَأْوِيلَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَتَنْقَسِمُ هَذِهِ النُّصُوصُ عِنْدَهُمْ إِلَى  
 جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ فَالْجَلِيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تُطْرَدْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
 إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
 وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأُولِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ  
 بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلِهَذَا  
 كَانَ حُكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ بَايَعَنِي عَلَى  
 رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يَبَايَعَهُ إِلَّا عَلِيٌّ وَمِنْ الْخَفِيِّ عِنْدَهُمْ بَعَثَ  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا لِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَنْزَلَتْ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
 بِهَا أَوْلَادَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ لِيَبْلُغَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
 الْقَارِيءَ الْمُبَلِّغَ قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَابْتِغَاءِ بَعْضِ الْأُمَّةِ أَنْهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى  
 عَلِيٍّ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاتَيْنِ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرَ بْنَ الْعَاصِ  
 أُخْرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدَلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَمِنْهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
 وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
 وَتَشْخِصِهِ وَكَذَلِكَ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْإِمَامِيَّةُ وَيَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ  
 حَيْثُ لَمْ يَقْدَمُوا عَلِيًّا وَيَبَايَعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَيَعْمَصُونَ فِي إِمَامَتَيْهَا وَلَا يُلْتَفَتُ  
 إِلَى نَقْلِ الْقَدَحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَاتِهِمْ فَهُوَ مَرْدُودٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
 الْأَدَلَّةَ إِنَّمَا اقْتَضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مُقَصِّرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
 الوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمُ الزَّيْدِيَّةُ وَلَا يَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ وَلَا يَعْمَصُونَ فِي إِمَامَتَيْهَا مَعَ  
 قَوْلِهِمْ بَانَ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لِكِنَّهِمْ يُجَوِّزُونَ إِمَامَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وُجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
 اخْتَلَفَتْ نُقُولُ هَؤُلَاءِ الشَّيْخَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَهَا فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ  
 بِالنِّصِّ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا بَدَأَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
 مَقَالَتِهِمْ بِاشْتِرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيمَانِ وَهِيَ أَصْلُ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَهَا  
 فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ لَكِنْ بِالِاخْتِيَارِ مَعَ الشُّبُوحِ وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زَاهِدًا جَوَادًا شَجِيحًا وَيَخْرُجُ دَاعِيًا إِلَى إِمَامَتِهِ وَهُوَ لِأَهْلِ زَيْدِيَّةٍ نِسْبَةٌ إِلَى صَاحِبِ  
 الْمَذْهَبِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبْطِ وَقَدْ كَانَ يُنَاطِرُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَى  
 أَشْرَاطِ الْخُرُوجِ فِي الْإِمَامِ فَيَلْزِمُهُ الْبَاقِرُ أَنْ لَا يَكُونَ أَبُوهُمَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ إِمَامًا  
 لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ وَلَا تَعَرَّضَ لِلْخُرُوجِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَتَّبِعُ عَلَيْهِ مَذَاهِبَ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَخَذَهُ  
 أَيُّمًا عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَلَمَّا نَاطَرَ الْأِمَامِيَّةَ زَيْدًا فِي إِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ وَرَأَوْهُ يَقُولُ  
 بِإِمَامَتِهِمَا وَلَا يَتَّبِرُ مِنْهُمَا رَفَضُوهُ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَبِذَلِكَ شُؤْمُ رَافِضَةٍ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ سَاقَهَا بَعْدَ عَلِيٍّ وَابْنِهِ السَّبْطَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ  
 ثُمَّ إِلَى وَلَدِهِ وَهُمْ الْكَيْسَانِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى كَيْسَانَ مَوْلَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافَاتٌ  
 كَثِيرَةٌ تَرَكَّهَا اخْتِصَارًا وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يُسَوِّنُ الْعُلَاةَ تَجَاوُزًا وَاحِدَ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ  
 فِي الْقَوْلِ بِاللَّوْهِيَّةِ هُوَ لِأَهْلِ الْأَئِمَّةِ إِمَامًا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ أَتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ أَنَّ  
 الْإِلَهَ حَلَّ فِي ذَاتِهِ الْبَشَرِيَّةَ وَهُوَ قَوْلُ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَاقْتَدَ حَرَقَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ مِنْ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَمَحْطَطٌ  
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْهُ فَصَرَخَ بِأَعْنَشِهِ وَالْبَرَاءَةَ  
 مِنْهُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنْ بَلَغَهُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَقُولُ إِنَّ كَمَالَ الْإِمَامِ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ فَإِذَا مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ  
 إِيكُونُ فِيهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ وَهُوَ قَوْلُ بِالْمُنَاسِخِ وَمِنْ هُوَ لِأَهْلِ الْعُلَاةِ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ وَاحِدٍ  
 مِنَ الْأَئِمَّةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَسَبِ مَنْ يَعْينُ لِذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَهُوَ لِأَهْلِ التَّوَاقِفِيَّةِ  
 فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَسْتَشْهَدُونَ لِذَلِكَ  
 بِقِصَّةِ الْخَضِرِ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّهُ فِي السَّمَاءِ وَالرَّعْدُ صَوْتُهُ  
 وَالْبَرْقُ فِي صَوْتِهِ وَقَالُوا مِثْلَهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَإِنَّهُ فِي جَبَلِ رَضْوَى مِنْ أَرْضِ  
 الْحِجَازِ وَقَالَ شَاعِرُهُمْ

وَأَلَا أَلْحَقُ أَرْبَعَةَ سَوَاهِ	أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ
هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاهُ	عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ
وَسَبْطُ عَيْشَتِهِ كَرَبْلَاهُ	فَسَبْطُ سَبْطِ إِيْمَانٍ وَبِرِّ
يَقُودُ الْجَيْشَ يَقْدُمُهُ اللَّوَاهُ	وَسَبْطُ لَا يَدُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى

تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ  
 وَقَالَ مِثْلَهُ غُلَاةُ الْأِمَامِيَّةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشْرِيَّةَ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنْ  
 أَيْمَتِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَسْكَرِيِّ وَبَلَقِبُونَهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
 فِي الْحِلَّةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ اعْتَقَلَ مَعَ أُمِّهِ وَعَابَ هُنَاكَ وَهُوَ يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ قِيمًا لِأَرْضِ  
 عَدْلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
 الْآنَ يَنْتَظِرُونَهُ وَيُسَمُّونَهُ الْمُنْتَظَرَ لِذَلِكَ وَيَقِفُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِبَابِ  
 هَذَا السِّرْدَابِ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرْكَبًا فِيهِ يَنْفُونَ بِاسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلخُرُوجِ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ  
 ثُمَّ يَنْفُضُونَ وَيَرْجِعُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
 الْوَاقِفِيَّةِ يَقُولُ إِنَّ الْأِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَشْهِدُونَ لِذَلِكَ بِمَا  
 وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرِيْبَةٍ وَقَتِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقْرَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِذَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمُعْجِزَةِ وَلَا يَصِحُّ الْأِسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدِ  
 الْحَمِيرِيِّ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ

إِذَا مَا الْمَرْءُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ وَعَلَّاهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخِضَابِ  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاسْتُهُ وَأَوْدَى فَقُمْ يَا صَاحِبَ نَبِكِ عَلَى الشَّابِ  
 إِلَى يَوْمٍ تُثُوبُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ  
 فَلَيْسَ بِعَائِدٍ مَا فَاتَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْآيَاتِ  
 أَدِينُ بِأَنَّ ذَلِكَ دِينُ حَقٍّ وَمَا أَنَا فِي الشُّورِ بِذِي أَرْتِيَابِ  
 كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنِ أَنَسٍ حَيُّوا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي التَّرَابِ

وَقَدْ كَفَانَا مَوْوَنَةٌ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ أَيْمَةُ الشَّيْعَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيَبْطِلُونَ أَحْتِجَاجَاتِهِمْ  
 عَلَيْهَا وَأَمَّا الْكَيْسَانِيَّةُ فَسَاقُوا الْأِمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
 وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْهَاشِمِيَّةُ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَاقَةِ مُنْصَرَفًا مِنَ الشَّامِ  
 أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدٌ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْإِمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمَلْقَبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده بالنعن والعهد واحداً  
بعد واحد إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس وكان منهم  
أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شعبة العباسية وربما  
يعضدون ذلك بأن حقيهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان حياً وقت  
الوفاة وهو أولى بالوراثة بمصيبة العمومة وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم  
فيها وإنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالنعن فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم  
أخيه الحسين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعياً  
إلى الإمامة فقتل وصلب بالكوفة وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فمضى  
إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن  
الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر  
المنصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي  
فوجه إليهم المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم  
بذلك كله وهي معذورة في كراماته وذمب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد محمد  
ابن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد  
ابن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقتض عليه وسبق إلى المعتصم فبسه  
ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية إن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أخوه  
عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع منصور ونقلوا الإمامة في عقبه  
وإليه انتسب دعي الزنج كما نذكره في أخبارهم وقال آخرون من الزيدية إن  
الإمام بعد محمد بن عبد الله أخوه أدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك  
وقام بأمره ابنه أدريس وأختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكاً بالمغرب  
إلى أن انقرضوا كما نذكره في أخبارهم وبقي أمر الزيدية بعد ذلك غير منظم  
وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل  
ابن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة  
في الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن  
ابن علي بن عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنيه طبرستان دولة وتوصل

الديلم من نسبهم إلى الملك والاسْتِنْدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ بِغَدَادٍ كَمَا نَذَرُوا فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الرِّضَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ سَاقُوهُمَا إِلَى وَلِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفِرْقَةٌ سَاقُوهُمَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ وَهُمْ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ لِوَقُوفِهِمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشْرٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَقَوْلِهِمْ بِغَيْبَتِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ بِالنَّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ وَفَائِدَةُ النَّصِّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدَمَاتٍ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقْبِهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلِ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوَّلُ  
 الْأَئِمَّةِ الْمَسْتُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَتِرُ وَتَكُونُ دَعَاؤُهُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شَوْكَةٌ ظَهَرَ وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ قَالُوا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَيْبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَسْتُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيُّ فِي كِتَابَةِ وَتَنَاجِي  
 النَّاسِ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ بِسِجْلَامَةَ وَمَلَكَ الْقَبْرِ وَانَ وَالْمَغْرِبَ وَمَلَكَ  
 بَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مِصْرَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ نِسْبَةً إِلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَةِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا بِالْبَاطِنِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَسْتُورِ وَيُسَمَّوْنَ  
 أَيْضًا بِالْحُلُودَةِ لِمَا فِي ضَمَنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْحَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَمَلَكَ حُصُونًا بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَزَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَتْهَا الْهَلَاكُ بَيْنَ مُلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ وَمُلُوكِ التُّرْكِ بِالْعِرَاقِ  
 فَانْقَرَضَتْ وَمَقَالَةُ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ \*  
 وَأَمَّا الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ فَرُبَّمَا خُصُّوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ  
 مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لِوَفَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرٍ فَنَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الرِّضَا الَّذِي عَهَدَ إِلَيْهِ الْعَامُونَ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ النَّقِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْمُسْكِرِيِّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير إلا أن هذيو أشهر مذاهبهم ومن اراد  
استيهاجها ومطاعتها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن خزم والشهرستاني وغيرهما ففيها  
بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

### الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طيبة للعصية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة  
الوجود وترتيبها كما قلناه من قبل وان الشرائع والديانات وكل امر يعمل عليه  
الجمهور فلا بد فيه من العصية اذ المطالبة لانتم الا بها كما قدمناه . فالعصية  
ضرورية للملة وبوجودها يتم امر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبياً الا في منعة  
من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذم العصية وتدب الى اطراحها وتركها فقال ان الله  
أذهب عنكم عيئة<sup>(١)</sup> الجاهلية وفخرها بالآباء انتم بنو آدم وادم من تراب وقال  
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله ونعى  
على اهله احوالهم من الاستمتاع بالخلاف والانسراف في غير القصد والتكسب  
عن صراط الله وانما حض على اللفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة \* واعلم  
ان الدنيا كلها وحوالها مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وانس مراده  
فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يتدب الى تركه اجماله بالكليّة او  
اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكليّة انما قصده تضرّفها في  
اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً وتتحد الوجهة كما  
قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله  
ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم  
الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار  
للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة  
فاذا كان الغضب لذلك كان مذموماً وإذا كان الغضب في الله والله كان ممدوحاً وهو  
من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكليّة  
فان من بطلت شهوته كان نقصاً في حقه وانما المراد تضرّفها فيما ابيح له باشماله

(١) عبة ضم العين وكسر الواو وكسر الهمزة وتشديد الهمزة والكسر والفتح والنزعة قاموس

عَلَى الْمَصَالِحِ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَّصِرًا فَطَوَّعَ الْأَوْامِرَ الْإِلَهِيَّةَ وَكَذَّبَ الْعَصِيَّةَ حَيْثُ  
 ذَمَّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مَرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ سَجَانٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرِ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْعَصِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَأَمْرٌ مَطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لَبَطَلَتِ الشَّرَائِعُ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ قِيَامُهَا إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ لَمَّا ذَمَّهُ الشَّارِعُ لَمْ يَذُمَّ  
 مِنْهُ الْغَلْبَ بِالْحَقِّ وَقَهَرَ الْكَافَّةَ عَلَى الدِّينِ وَرِعَاةِ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمُّهُ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 التَّغْلِبِ بِالْبَاطِلِ وَتَضْرِيْفِ الْأَدْمِيَّةِ طَوَّعَ الْأَغْرَاضِ وَالذَّهْوَاتِ كَمَا قُلْنَا فَلَوْ كَانَ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي غَلْبِهِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لِلَّهِ وَحَمَلِيْمٌ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْبَاطِلِ فِي النَّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أُهْبَةِ الْمَلِكِ وَزِيَةِ مِنْ  
 الْعَدِيدِ وَالْعَدَّةِ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَيْسُرِيَّةٌ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَفَرُّجِجِ الْعَدُوِّ وَبِنَا إِلَى مَبَاهِئِهِمْ بِزِيَةِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يُغَطِّئْهُ  
 لِمَا أَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالدِّينِ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضَ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يُقْنِعْهُ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْكِسْرِيَّةِ وَاتَّعَالِيهَا بَلْ كَانَ يُعْرِضُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكِسْرِيَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارِسَ فِي مَلِكِهِمْ مِنْ  
 ارْتِكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالْعُقْلَةَ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كِسْرِيَّةَ فَارِسَ وَبَاطِلِهِمْ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ بِهَا وَجَهُ اللَّهِ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَنِسْيَانِ عَوَائِدِهِ حَدْرًا مِنَ التَّبَاسُطِ بِالْبَاطِلِ  
 فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْتَضَاهُ النَّاسُ لِلْخِلَافَةِ وَهِيَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَجْرِ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّهُ مَظَنَّةٌ لِلْبَاطِلِ وَنِجْلَةٌ بِوَيْئِدِ لَأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَقَامَ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَّبِعًا سُنَنَ صَاحِبِهِ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْنَى أَثَرَهُ وَقَاتَلَ الْأُمَّةَ فَغَلِبَهُمْ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ بِاتِّزَاعِ



ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعه منهم ثم صارت إلى عثمان بن  
 عفان ثم إلى علي رضي الله عنهما والكل متبرئون من الملك منكبون عن طريقه  
 وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاصة الإسلام وبداعة العرب فقد كانوا أبعد  
 الأمم عن أحوال الدنيا وترفعها لا من حيث دينهم الذي يدعوهم إلى الزهد في النعم  
 ولا من حيث بداعتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفهِ الذي الفوه  
 فلم تكن أمة من الأمم أسغب عيشاً من مضر لما كانوا بالحجاز في أرض غير ذات  
 زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الأزياف وجوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها  
 من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتطاولون إلى خصبها ولقد كانوا كثيراً ما يأكلون  
 العقارب والخنافس ويفخرون بأكل العنبر وهو وبر الأبل يمهونه بالحجارة في الدم  
 ويطنخونه وقريباً من هذا كانت حال قريش في مطاعهم ومسالكهم حتى إذا اجتمعت  
 عصية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا  
 إلى أم فارس والرؤم وطلبوا ما كتب الله لهم من الأرض بوعد الصديق فأبتروا  
 ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرقة لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم  
 له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذه  
 الحضر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجلد وكان علي يقول  
 يا صفراء ويا بيضاء غري غري وكان أبو موسى يتجافى عن أكل الدجاج لأنه لم  
 يعهد لها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم بالجملة وإنما يأكلون  
 الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا أم ما كانت لأحد من أهل العالم قال المسعودي  
 في أيام عثمان أفتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنيه خمسون  
 ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما  
 مائتا ألف دينار وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد  
 وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق  
 ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان علي مرتبط عبد الرحمن  
 بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من النعم وبلغ الربع من متروكه  
 بعد وفاته أربعة وتسعين ألفاً وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر

بِالْفُؤُوسِ غَيْرَ مَا خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالصِّبَاحِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَبَنَى الرَّبِيزُ دَارَهُ  
 بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بِمِصْرَ وَالْكُوفَةَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةَ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
 بِالْكُوفَةِ وَشَيْدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْحِصْنِ وَالْأَجْرِ وَالسَّاجِ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعَقِيقِ وَرَفَعَ مَمَكَهَا وَأَوْسَعَ فِضَاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَعْلَاهَا شُرَفَاتٍ وَبَنَى  
 الْمِقْدَادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا نَجْصَةَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُنْبِيهِ خَمْسِينَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَهْ كَلَامُ الْمَسْعُودِيِّ  
 فَكَانَتْ مَكَايِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنَعِيًّا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
 حَلَالٌ لِأَنَّهَا غَنَائِمٌ وَفِيؤُوهُ وَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا تَدْلَى تَصَدَّقُوا فِي  
 أَحْوَالِهِمْ كَمَا قَانَاهُ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُومًا  
 فَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَتْ  
 حَالُهُمْ قَصْدًا وَتَفَقَّاتُهُمْ فِي سُبُلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ كَانَ ذَلِكَ الْإِسْتِكْثَارَ عَوْنًا لَهُمْ تَدْلَى  
 طُرُقِ الْحَقِّ وَأَكْتَسَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتْ الْبِدَاوَةُ وَالغَضَاضَةُ إِلَى نِهَائِهَا  
 وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَمَا نَمَّنَاهُ وَحَصَلَ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
 حُكْمُهُ ذَلِكَ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُكْمَ ذَلِكَ الرَّفِيعِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَصْرِفُوا  
 ذَلِكَ التَّغَلُّبُ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنِ مَقَاصِدِ الدِّيَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتْ  
 اللَّيْتَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْإِجْتِهَادُ وَلَمْ  
 يَكُونُوا فِي نَحَارِ بَيْتِهِمْ لِعَرَضِ دُنْيَوِيٍّ أَوْ لِإِثَارِ بَاطِلٍ أَوْ لِإِسْتِشْعَارِ حَفِيدٍ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ  
 مَتَوَهَّمٌ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ لِلْمَجْدِ وَإِنَّمَا ائْتَلَفَتْ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَبَّهَهُ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
 صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَافْتَلَوْا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصِيبُ عَلِيًّا فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةَ قَائِمًا  
 فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلَّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
 اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ وَالسَّنِيثَارَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُعَاوِيَةَ أَنْ  
 يَدْفَعَ عَنِ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ فُؤُوهُ طَبِيعِيٌّ سَاقَتَهُ الْعَصَبِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَأَسْتَشْعَرَتْهُ بِنُؤُمِيَّةٍ وَمَنْ  
 لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِفَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَأَعْوَصُوا عَلَيْهِ وَأَسْتَمَاتُوا  
 دُونَهُ وَلَوْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِنْفِرَادِ بِالْأَمْرِ لِوُقُوعِ فِي  
 اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعًا وَتَأَلَّفَهَا أَمُّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَرَاءَهُ كَبِيرٌ مُخَالَفَةٌ

وَقَدْ كَانَتْ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ  
 أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَأَيْتُهُ الْخِلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
 كَانَ يَخْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لِمَا ذَكَرْتَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُحَوَّلَ الْأَمْرَ  
 عَنْهُمْ إِثْلًا نَفَعَ الْفَرْقَةَ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ  
 فَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ أَنْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
 لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ نَكِيرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ أَنْفَرَدَ سُلَيْمَانُ وَأَبُوهُ دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمَلِكِ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا أَقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ النُّبُوَّةِ  
 وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدَ مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
 لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عَهْدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنْ ظَنَّهُمْ  
 كَانَ بِهِ صَالِحًا وَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُهُ قَلَمَ يَكُنْ لِعَهْدِ إِلَيْهِ  
 وَهُوَ بِعَقْدِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمُعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانَ  
 ابْنَ الْحَكَمِ وَأَبْنَهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمَلِكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبِطَالَةِ  
 وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مُتَحَرِّينَ لِمَقَاصِدِ الْحَقِّ جُنْدَهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَعْمَلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
 مِثْلَ خَشْيَةِ أَفْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصَدٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنَ الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلْفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ فَقَدْ أَخْتَجَّ مَالِكٌ  
 فِي الْمَوْطَأِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ وَعَدَالَتِهِمْ  
 مَعْرُوفَةٌ ثُمَّ تَدْرَجَ الْأَمْرُ فِي وُلْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
 وَتَوَسَّطَهُمْ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَزَعَّ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَزْبَعَةِ وَالصَّحَابَةِ جُنْدَهُ وَلَمْ  
 يَهْمِلْ ثُمَّ جَاءَ خَلْفَهُمْ وَأَسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَغْرَاضِهِمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَقَاصِدِهِمْ وَنَسُوا  
 مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَأَعْتَمَدَ الْحَقُّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا  
 دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعُوا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالِدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوَلَّى رِجَالَهَا الْأَمْرَ  
 فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمَلِكَ فِي وُجُوهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
 جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَتْ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِيهِمْ  
 فَأَعْطُوا الْمَلِكَ وَالْتَزَمَتْ حَقُّهُ وَأَنْعَمُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطِلِيهَا وَبَدَّوْا الدِّينَ وَرَأَوْهُمْ ظَاهِرِيًّا  
 فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِمَجْرَبِهِمْ وَأَنْزَاعِ الْأَمْرِ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكْنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا

يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَأَخْتِلَانَهُمْ فِي تَعَرِّي الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِيمٌ صَحَّةٌ مَا قُلْنَاهُ وَقَدْ حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنْ  
 أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَقَدْ حَضَرَ عُمُومَتَهُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ أَمَا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّارًا لَا يَبَالِي بِمَا صَنَعَ وَأَمَا سُلَيْمَانُ فَكَانَ هَمَّةُ بَطْنَهُ وَفَرَجُهُ وَأَمَا عُمَرُ فَكَانَ أَعْوَدَ  
 بَيْنَ عُمَيَّانَ وَكَانَ رَجُلُ الْقَوْمِ هِشَامُ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةَ ضَاطِبِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُمْ مِنْ  
 السُّلْطَانِ يَجُوطُونَهُ وَيَصُونُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسْنِيمِهِمْ مَعَالِي الْأُمُورِ وَرَفْضِهِمْ  
 دِيَانَتَهَا حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمْنًا لِمَكْرِهِ مَعَ أَطْرَاحِهِمْ صِيَانَةَ اخْتِلَافِهِ  
 وَاسْتِخْفَافِهِمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبَسْمُومَ الدَّلَّ وَتَقَى  
 عَنْهُمْ التَّعَمَّةَ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بَنَ مَرْوَانَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ التُّوبَةِ لَمَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَا أَيَّامَ السَّفَاحِ قَالَ أَقَمْتُ مَلِكِيًا ثُمَّ أَنَا بِي مَلِكُهُمْ فَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ  
 وَقَدْ بُسِطَتْ لِي فُرُشٌ ذَاتُ قِيمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَى نِيَابَتِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعِظَامَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لِمَ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ حَرَمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ أَجْرًا عَلَى ذَلِكَ عَيْدِنَا وَأَتْبَاعِنَا قَالَ فَلِمَ تَطْشُونَ  
 الرِّزْقَ بِدَوَابِكُمْ وَالْفَسَادَ حَرَمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلْ ذَلِكَ عَيْدِنَا وَأَتْبَاعِنَا بِجَهْلِهِمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الدِّبَاجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ حَرَمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَأَنْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُرْهِ مِنَّا فَأَطْرَقَ  
 يَنْكُتُ يَدِيهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عَيْدِنَا وَأَتْبَاعِنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَبْتَيْتُمْ مَا عَنَى  
 نَبِيِّنَا وَظَلَمْتُمْ فِيهَا مَلِكْتُمْ فَسَلَبَكُمْ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبَسْمُومَ الدَّلَّ بِذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ نَقِمَةٌ لَمْ  
 تُبْلَغْ غَايَتُهَا فِيكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُجْلِبَكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِلَيْدِي فِينَالِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ فَزَوَّدَ مَا أَحْتَجُّتَ إِلَيْهِ وَأَرْجِعُ عَنْ أَرْضِي فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ فَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوْلَادِهِ خِلَافَةً وَوَارِعُ  
 كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤَثِرُونَهُ عَلَى أُمُورِ دِيَانَتِهِمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) فواته عبدالله كذا في النسخة الترمذية وبعض النسخة وفي : ضها عبد الملك واطنه تصحفا قاله ندر

هَلَاكِهِمْ وَحَدَثُهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَهَذَا عُثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمْثَالُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَعَ مِنْ سَلْوِ  
السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ وَحِفْظًا لِلْإِثْمَانِ الَّتِي بِهَا حَفِظُوا الْكَلِمَةَ وَلَوْ أَدَّى  
إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذْ أَشَارَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ لِأَوَّلِ لَوَائِيهِ بِأَسْتِيفَاءِ الرُّبَيْرِ وَمَعَاوِيَةَ  
وَطَلْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَتَنْفِقَ الْكَلِمَةَ وَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ  
مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فِرَارًا مِنَ الْعِشْرِ الَّتِي بُنِيَتْ بِهَا الْإِسْلَامُ  
وَعَدَا عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ مِنَ الْغَدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتَ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ بِمَا أَشْرْتَ ثُمَّ عَدْتُ إِلَى  
نَظْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا رَأَيْتَهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ  
بَلْ أَعْلَمُ أَنَّكَ نَصَحْتَنِي بِالْأَمْسِ وَغَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَعْنِي مِمَّا أَشْرْتَ بِهِ زَائِدُ  
الْحَقِّ وَهَكَذَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِفَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَنَحْنُ

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيْقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا بَقِي وَلَا مَا نُرْقِعُ

فَقَدْ رَأَيْتُ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَقِيَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ مِنْ تَعَرِّيِ الدِّينِ  
وَمَذَاهِبِهِ وَالْجُرْيِ عَلَى مَنَاجِجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَظْهَرَ الْغَيْبُ إِلَّا فِي الْوَاوِزِ الَّتِي كَانَ دِينًا  
ثُمَّ انْقَلَبَ عَصِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ وَأَبْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
وَالصِّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وُلْدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَسْمَاءُ وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ التَّمَلُّبِ إِلَى غَايَتِهَا وَأَسْتَعْمِلَتْ  
فِي أَغْرَابِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالتَّقَلُّبِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَادِ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِوَلَدِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ بَاقِيًا فِيهِمْ لِبَقَاءِ عَصِيَّةِ  
الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ فِي الطُّورَيْنِ مُلْتَبِسٌ بَعْضُهُمَا بِبَعْضٍ ثُمَّ ذَهَبَ زَيْمُ الْخِلَافَةِ  
وَأَثَرُهَا بِذَهَابِ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءِ جَيْلِهِمْ وَتَلَاثِي أَحْوَالِهِمْ وَبَقِيَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا  
كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَبْرُكًا وَالْمَلِكِ  
يَجْمَعُ أَلْقَابَهُ وَمَنَاجِيَهُ لَهُمْ وَلَيْسَ لِلْخَلِيفَةِ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُلُوكُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ  
مِثْلَ صَنَاجِدِ مَعَ الْعَيْدِيِّينَ وَمَغْرَاوَةَ وَبَنِي يَفْرُتَ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
وَالْعَيْدِيِّينَ بِالْقَيْرَوَانِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وُجِدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوَّلًا ثُمَّ التَّبَسُّتْ  
مَعَانِيهَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ انْفَرَدَ الْمَلِكُ حَيْثُ أَفْرَقَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهُ

مَقْدَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة <sup>(١)</sup>

اعْلَمْ أَنَّ الْبَيْعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمُبَاعِعُ يُعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَبَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُطِيعُهُ نِيَابَةً بِكَلْفِهِ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشِطِ وَالْمُكْرَهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْعَهْدِ فَاشْبَهَ ذَلِكَ فِعْلَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فَسُمِّيَ بَيْعَةً مَصْدَرًا  
بَاعَ وَصَارَتِ الْبَيْعَةُ مُصَاحَةً بِالْأَيْدِي هَذَا مَدْلُولُهَا فِي عَرَفِ الْأُغَةِ وَمَعْنَى الشَّرْعِ وَهُوَ  
الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجَرَةِ وَحَيْثُمَا  
وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَحْلِفُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيَسْتَوْعِبُونَ الْإِيمَانَ كُلِّهَا لِذَلِكَ فَسُمِّيَ هَذَا الْإِسْتِيعَابُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ وَكَانَ الْإِكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَغْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَقْبَى مَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُقُوطِ يَمِينِ الْإِكْرَاهِ أَنْكَرَهَا  
الْوَلَاةُ عَلَيْهِ وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مِحْنَةِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكُفْرِيَّةِ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ أَوْ الذَّنْبِلِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ مَجَازًا لِمَا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَالْتِزَامُ الْأَدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَأَغْلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً وَاسْتَعْنَى بِهَا عَنْ مُصَاحَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي  
الْأَصْلِ لِمَا فِي الْمُصَاحَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّزْلِ وَالْإِتِّدَالَ الْمُنَافِيَيْنِ لِلرِّئَاسَةِ وَصَوْرِ  
الْمَنْصِبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِمَّنْ يَقْصِدُ التَّوَاضُعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَسَبَهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَافْتَهَمَ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعَرَفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أفعالُهُ عِبْثًا وَمَجَانًا  
وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ مِنْ أفعالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الموحدة اما بكسرهما على وزن شبعة بسكون الياء فيها فهي معبد النصارى ١٠٥

## الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

إِعْلَمُ أَنَّا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي الْإِمَامَةِ وَمَشْرُوعِيَّتِهَا إِمَّا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهِيَ وَآيَتُهُمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيُقِيمُ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ يَتَوَلَّاهَا وَيَتَّقُونَ يَنْظُرُهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثَقُوا بِهِ فِيهِمَا قَبْلُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَأَنْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمْرٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازَهُ وَأَوْجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَكَذَلِكَ عَهْدَ عُمَرَ فِي الشُّوزَى إِلَى السَّنَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَوَّضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَنْصَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَاجْتَهَدَ وَنَاطَرَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَى عَلِيٍّ فَاتَرَ عُثْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَوَاقِفِهِ إِبَاهُ عَلَى لُزُومِ الْإِفْتِدَاءِ بِالشَّيْخِينَ فِي كُلِّ مَا يَعْنُ دُونَ اجْتِهَادِهِ فَانْتَقَدَ أَمْرُ عُثْمَانَ لِذَلِكَ وَأَوْجِبُوا طَاعَتَهُ وَالسَّلَامَ مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ كَمَا عُرِفَ وَلَا يُنْهَى الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبِعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِذَلِكَ قَالَ بِأَتْيَاهِهِ فِي الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ أَوْلَى لِمَنْ خَصَّصَ التَّهْمَةَ بِالْوَالِدِ دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِبْتَارِ مَصْلَحَةٍ أَوْ تَوْفَعٍ مَفْسَدَةٍ فَتَنْتَفِي الظَّنُّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فِعْلُ مُعَاوِيَةَ مَعَ وِفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ لِإِبْتَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مُرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِذْ بَنُو أُمِيَّةٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضُونَ سِوَاهُمْ وَهُمْ عَصَابَةٌ فُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعٌ وَأَهْلُ الْقَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ وَمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا وَعَدَلَ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ حِرْصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ الْأَهْوَاءِ الَّذِي شَأْنُهُ أَهَمُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يَظُنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُ هَذَا فَعَدَّالَهُ

وَصَحْبَتُهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْبَارِ الصَّخَابَةِ لِذَلِكَ وَسُكُوتُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ  
 عَلَى اتِّقَاءِ الرَّبِّ فِيهِ فَلْيَسُوا مِمَّنْ يَأْخُذُكُمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَةٌ وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ مِمَّنْ تَأْخُذُهُ  
 الْعِزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَّ النَّهْرُ مَانِعَةً مِنْهُ وَفَرَارُ عَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ مِنَ الشُّغُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مَبَاحًا  
 كَانَ أَوْ مَحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِلَافَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ  
 عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَتَدَوَّرَ الْخِلَافُ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ  
 مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخِلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَرَّوْنَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ  
 مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ وَالرَّشِيدَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ  
 عَرَفَتْ عَدَالَتُهُمْ وَحَسَنَ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظْرُ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِثَارُ أَبْنَائِهِمْ  
 وَإِخْوَانِهِمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ سُنَنِ الْخِلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ فِي ذَلِكَ فَسَأَلْتُهُمْ غَيْرُ شَأْنِ أَوْلَادِكَ  
 الْخِلَفَاءِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَعُدْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَكَانَ الْوِزَاعُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ  
 أَحَدٍ وَزَاعٌ مِنْ نَفْسِهِ قَعِيدًا إِلَى مَنْ يَرْضِيهِ الدِّينُ فَقَطُّ وَآثَرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَلُوا كُلُّ  
 مَنْ يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَزَاعِهِ وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتِ الْعَصِيَّةُ قَدْ  
 أَشْرَفَتْ عَلَى غَايَتِهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْوِزَاعِ الدِّينِيِّ قَدْ ضَعُفَ وَأَحْتَجَّ إِلَى الْوِزَاعِ السُّلْطَانِيِّ  
 وَالْعَصْبَانِيِّ فَلَوْ عَهْدَ إِلَى غَيْرِ مَنْ تَرْتَضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَرَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَأَنْتَقَضَ أَمْرُهُ  
 سَرِيعًا وَصَارَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ  
 الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ  
 كَانَا وَالْبَيْنَ عَلَى مِثْلِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْجَمْعُ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَزَاعِ الدِّينِ أَفَلَا تَرَى إِلَى  
 الْأَمَامُونَ لَمَّا عَهْدَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَسَمَاءُ الرَّضَا كَيْفَ أَنْكَرَتْ  
 الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ وَتَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَبَايَعُوا لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَظَهَرَ مِنَ الْهَرَجِ  
 وَالْخِلَافِ وَأَنْقَطَعَ السُّبُلُ وَتَعَدَّدَ الثُّوَارُ وَالْحَوَارِجُ مَا كَادَ أَنْ يَصْطَلِمَ الْأَمْرُ حَتَّى بَادَرَ  
 الْأَمَامُونَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِعَمَلِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ اعْتِبَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ  
 فَالْعَصُورُ تَخْتَلِفُ بِالْخِلَافِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْمَصَائِبِ وَتَخْتَلِفُ  
 بِالْخِلَافِ الْمَصَالِحُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمٌ يَخُصُّ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَأَمَّا أَنْ  
 يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التِّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ



مِنْ اللَّهِ يَخْصُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَنْبَغِي أَنْ تُحْسِنَ فِيهِ النَّبِيَّةُ مَا أَمَكْنَ خَوْقًا مِنْ  
 الْعَبَثِ بِالْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْمَلِكِ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أُمُورٌ تَدْعُو  
 الضَّرُورَةَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مِنَ الْفَسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَأَيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ بِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ يَزِيدَ فَإِنَّهُ أَعَدَّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلَ بَلْ كَانَ يَعْدِلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي سَمَاعِ الْغِنَاءِ وَبِنَهَاؤِ عَنْهُ وَهُوَ أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلَفَةً وَلَمَّا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفَسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَتَقَضَّ بِيَعْتَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ أَتْبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ يَزِيدَ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ فُرَيْشٍ وَتَسْتَبِيعِ عَصَابَةِ مُضَرَ أَجْمَعِ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تُطَاقُ مَقَاوِمَتُهُمْ فَأَفْضَرُوا عَنْ يَزِيدَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهَيْدَاتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَوْثَرِ الْمُجْتَهِدُونَ وَلَا  
 يُنْكَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْبَرِّ وَتَعَرِّيِ الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَفَقْنَا اللَّهُ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدْعِيهِ  
 الشَّيْخَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصِحَّ وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ النُّقْلِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاةِ وَالْفَرَطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ وَسُئِلَ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعْيِدَ فَقَدْ عَهَدَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْيِدْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ لِالْعَبَّاسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ عَنْ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَطْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوَصَّ وَلَا عَهْدَ إِلَى أَحَدٍ وَشُبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ كَمَا يَزْعُمُونَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الْمَفُوضَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يُسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا أُسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يَشْتَهَرُ

كَمَا اشْتَهَرَ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَابُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِقِيَّاسِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
 فِي قَوْلِهِمْ أَرْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا أَفَلَا تَرْضَاهُ لِدِينَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
 أَنَّ الْوَصِيَّةَ لَمْ تَقَعْ وَيَدُلُّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالْعَهْدَ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمَا  
 كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَشَأْنُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقُ فِي بِنَايَةِ الْعَادَةِ  
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارِ لِأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ بِخَوَارِقِ الْعَادَةِ  
 مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَأَسْتِمَاتَةِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
 يُشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَيْرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خِطَابِ  
 اللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُتْلَى عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُحْتَجْ إِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصِيَّةِ لِمَا شَمِلَ النَّاسَ مِنْ صِبْغَةِ  
 الْإِنْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ وَمَا يَسْتَفِزُّهُمْ مِنْ تَتَابُعِ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ الْمَتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجَّهُوا مِنْهَا وَدَهَشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ  
 وَالْعَهْدِ وَالْعَصِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مُنْتَدِرًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا انْحَصَرَ  
 ذَلِكَ الْمَدَدُ بِذَهَابِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ثُمَّ بِنَاءِ الْقُرُونِ الَّتِي شَاهَدُوهَا فَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ  
 الصِّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتِ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْحُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَبِرْ أَمْرَ  
 الْعَصِيَّةِ وَبِنَايَةِ الْعَوَائِدِ فَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ وَالْخِلَافَةُ  
 وَالْعَهْدُ بِهَا مِنْهُمَا مِنَ الْمُهَيَّمَاتِ الْأَكْبَدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ فَانظُرْ  
 كَيْفَ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهِمَّةٍ فَلَمْ يَعْبُدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
 الْأَهَمِّيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةَ بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فِي الْحِمَايَةِ وَالْجِهَادِ وَشَأْنِ  
 الرِّدَّةِ وَالْفَتْوحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 ثُمَّ صَارَتْ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الْأُمُورِ لِلْإِثْمَانَةِ عَلَى الْحِمَايَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَبِرْتَ فِيهَا  
 الْعَصِيَّةَ الَّتِي هِيَ مِثْرُ الْوَازِعِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمِنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَاتُفِ الْكَفِيلُ  
 بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ التَّالِثُ شَأْنُ الْعُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْإِسْلَامِ  
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَاعْلَمْ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنِ  
 الْإِجْتِهَادِ فِي الْأَدَلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنَّ قُلْنَا  
 إِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْإِجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرْفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادِفْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ  
 فَإِنَّ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعِ فَيَبْقَى الْكُلُّ عَلَى أَحْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمَخْطِئُ

مِنْهَا وَالنَّائِبِ مُدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِجْمَاعًا وَإِنْ فُلْنَا إِنْ الْكُلُّ حَقٌّ وَإِنْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ  
 مُصِيبٌ فَأَحْرَى بِنَفْيِ الْخَطَا وَالنَّائِبِ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالنَّائِبِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافٌ أَجْتِهَادِيٌّ فِي مَسَائِلِ دِينِيَّةٍ ظَنِّيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعَةٌ عَلَيَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةُ عَلَيَّ فَإِنَّ الْأَسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُفْتَرِقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بِيَعَةَ عَلَيَّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَايَعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَتَّفِقُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُغْبِرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَقُدَامَةَ بْنَ مَطْعُونٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكَعْبَ  
 بْنَ مَالِكٍ وَالنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَحَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَفُضَالَهَ بْنَ عُبَيْدٍ وَأَمثالِهِمْ  
 مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَلُوا عَنْ بَيْعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرَكُوا الْأَمْرَ فَوْضَى حَتَّى يَكُونَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُؤَلِّهُ وَظَنُّوا بِعَلِيٍّ  
 هَوَادَةً فِي السُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْمَأْلَاةِ عَلَيْهِ فَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَقْدَرُ كَانَ مُعَاوِيَةَ إِذَا صَرَخَ بِمَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوجِّهُهَا عَلَيْهِ فِي سُكُوتِهِ فَقَطُّ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلِيٌّ أَنَّ بَيْعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَزَلِمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعِ مَنْ اجْتَمَعَ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَاءِ الْأَمْرِ فِي  
 الْمُطَالَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَتِمَّ كُنْ حِينَئِذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بَيْعَتَهُ لَمْ تَنْعَقِدْ لِافْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِالْأَفَاقِ وَلَمْ  
 يَحْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبَيْعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تُلْزَمُ بِعَقْدِ  
 مَنْ تَوَلَّاهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ فَوْضَى فَيُطَالَبُونَ  
 أَوَّلًا بِدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامِهِ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مُعَاوِيَةُ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَابْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ  
 وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ الثَّانِيَّ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ وَزُومِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَصَوُّبِ رَأْيِهِ فِيهَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِينِ الْخَطَا مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ

وَأَلْزَبِيرُ لِإِنْتِفَاعِهِمَا عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِيمَا نُقِلَ مَعَ دَفْعِ التَّائِبِينَ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
 كَالشَّانِ فِي الْجُبْهَيْدِينَ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
 الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَلَقَدْ سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلِي الْجَمَلِ وَصِفَتِي  
 فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَفِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشِيرٍ إِلَى  
 الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَبِّبٌ فِي عَدَالَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدْحٌ فِي  
 شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ وَأَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنَدَاتِ وَعَدَاةِ تَهُمُ  
 مَفْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَزِلَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
 أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَيْنَ الْأَنْصَافِ عَذَرْتَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
 الْإِخْتِلَافِ فِي عُثْمَانَ وَإِخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدُ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً أَبْتَلَى اللَّهُ  
 بِهَا الْأُمَّةَ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عُدُوَّهُمْ وَمَلَكَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدَّ يَارَهُمْ وَنَزَلُوا  
 الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
 نَزَلُوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُمَاةً لَمْ يَسْتَكْبِرُوا مِنْ شُجْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
 ارْتَاضُوا بِمُخْلَقِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعَصِيْبَةِ وَالْتَفَاخِرِ وَالْبُعْدِ عَنِ  
 سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مِلْكَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
 وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَتَقِيفَ وَهَدْلِيلَ وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَيَثْرِبَ الْأَوَّلِينَ  
 إِلَى الْإِيمَانِ فَأَسْتَنْجَفُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لِمَا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَنْسَابِهِمْ  
 وَكَثَرَتِهِمْ وَمُضَادَمَةِ فَارِسَ وَالرُّومِ مِثْلَ قِبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْعَةَ  
 وَقِبَائِلِ كِنْدَةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَعِيمَ وَقَيْسَ مِنْ مِصْرَ فَصَارُوا إِلَى الْفُضْضِ مِنْ قُرَيْشٍ  
 وَالْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمْرِ بِيضٍ فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّعَلُّلِ فِي ذَلِكَ بِالتَّظَلُّمِ مِنْهُمْ وَالْإِسْتِعْدَاءِ  
 عَلَيْهِمْ وَالطُّعْنِ فِيهِمْ بِالْعَجْزِ عَنِ السُّوْبِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوْبِيَّةِ وَفَسَّتِ الْمَقَالَةُ  
 بِذَلِكَ وَانْتَهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَبْلَغُوهُ عُثْمَانَ فَبَعَثَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
 مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبَرَ بَعَثَ ابْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأَمْثَلَهُمْ فَلَمَّ  
 يَنْكُرُوا عَلَى الْأَمْرَاءِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا عَلِمُوهُ فَلَمْ يَنْقَطِعِ  
 الطُّعْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ السَّنَاعَاتُ تَنْمُو وَرَمِي الْوَلِيدُ بْنُ عَقِبَةَ وَهُوَ عَلَى  
 الْكُوفَةِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّهُ عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْأَلُونَ عَزَلَ الْعُمَّالِ وَشَكَاوِ إِلَى عَائِشَةَ وَتَلِيَّ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَعَزَلَ  
 لَهُمْ عُثْمَانُ بَعْضَ الْعُمَّالِ فَلَمْ تَنْقَطِعْ بِذَلِكَ أَلْسِنَتُهُمْ بَلْ وَقَدْ سَعِيدُ بْنُ الْعَامِي وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ اعْتَرَضُوهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَعْرُولًا ثُمَّ انْتَقَلَ الْخِلَافُ بَيْنَ  
 عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَقَمَّوْا عَلَيْهِ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْعَزْلِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحَةٍ ثُمَّ تَقَلُّوا النَّكْبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَهُوَ مَتَسِّكٌ بِالِاخْتِهَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْغَوْغَاءِ وَجَاهُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُظْمِرُونَ طَلَبَ النُّصَةِ مِنْ عُثْمَانَ  
 وَهُمْ يُظْمِرُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يَتَعَاوَلُونَ تَسْكِينِ الْأُمُورِ وَرُجُوعِ عُثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَعَزَلَ لَهُمْ عَامِلٌ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ لَبَسُوا بِكِتَابِ مُدَلِّسٍ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ لَقَوْهُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ بَأَن يَقْتُلُهُمْ وَحَلَفَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا مَكَّنَا  
 مِنْ مَرْوَانَ خَائِنَهُ كَاتِبِكَ فَحَلَفَ مَرْوَانُ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَخَامَرُوهُ  
 يَدَارِهِ ثُمَّ يَشْوُهُ تَلِيَّ حِينَ غَفَلَهُ مِنَ النَّاسِ وَقَتْلُوهُ وَأَنْتَحَبَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَكُلُّ مَنْ هُوَ لِأَهْلِ  
 عُدُوِّهَا فِيهَا وَقَعَ وَكَلِمَتُهُمْ كَانُوا مُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعَلُّقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الزَّوَاقِعِ وَاجْتَهَدُوا وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعَالِمٌ بِهِمْ وَتَحْنُ لَا تَنْظُرُ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَقَالَاتُ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فِسْقُ  
 يَزِيدَ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شَيْعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ الْحُسَيْنَ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقُومُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ مُتَعَيْنٌ مِنْ أَجْلِ فِسْقِهِ لَا  
 سِيَّامًا مِنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ وَظَنُّهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكَتِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنَّ وَزِيَادَةً وَأَمَّا الشُّوْكَةُ فَلَطَّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِيهَا لِأَنَّ عَصِيَّةَ مِصْرَ كَانَتْ فِي فُرَيْشٍ  
 وَعَصِيَّةَ عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ فُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يُنْكَرُونَهُ وَإِنَّمَا نُسِبِي ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنَ الذُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرِ التَّوَسُّعِ وَتَرَدُّدِ الْمَلَائِكَةِ لِلنُّصَرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغْفَلُوا أُمُورَ عَوَائِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَارِعُهَا وَنَسِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدِفَاعِ  
 يُنْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَعْرُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهُولَةِ تَرَاجَعَ الْحُكْمُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلْعَوَائِدِ

فَعَادَتِ الْعَصِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمَنْ كَانَتْ وَأَصْبَحَتْ مُضْرُ أَطْوَعَ لِبَنِي أُمِيَّةٍ مِنْ سِوَاهُمْ  
 بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلَطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ لَا يُضِرُّهُ  
 الْغَلَطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلَطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مَنْوُطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ ذُنُوبُهُ الْقُدْرَةَ عَلَى  
 ذَلِكَ وَلَقَدْ عَدَلَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أُخْرَهُ وَغَيْرُهُ  
 فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
 اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يَزِيدَ بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
 التَّابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يُجُوزُ لِمَا بَنَسْنَا عَنْهُ مِنَ  
 الْهَرَجِ وَالِدِمَاءِ فَأَنْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أَتَمُّوهُ  
 لِأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ وَهُوَ أَسْوَأُ الْمُجْتَهِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنْ تَقُولَ بِتَأْتِيهِمْ هُوَ لَا بِمُخَالَفَةِ  
 الْحُسَيْنِ وَقُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
 عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَسْتَشْهِدُ بِهِمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ وَيَقُولُ سَأَلُوا جَابِرَ بْنَ  
 عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَ سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ وَسَهْلَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَلَهُمْ  
 وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ قُعُودَهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لَذَلِكَ لِعَلِمِهِ أَنَّهُ عَنْ اجْتِهَادٍ وَإِنْ  
 كَانَ هُوَ عَلَى اجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يُعَدُّ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَفِيُّ عَلَى شُرْبِ  
 النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ أَيْسَرَ كَذَلِكَ وَقِتَالَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ اجْتِهَادٍ هُوَ لَاءَ وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ  
 عَنْ اجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا اتَّفَقَ يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ وَلَا تَقُولُونَ إِنْ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
 وَلَمْ يُجِزْ هُوَ لَاءَ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَفَذُّ مِنْ أَعْمَالِ  
 الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالُ الْبُغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرَطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
 وَهُوَ مَفْقُودٌ فِي مَسْئَلَتِنَا فَلَا يُجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ وَلَا لِيَزِيدَ بَلْ هِيَ مِنْ فَعْلَانِهِ  
 الْمَوْكِدَةِ لِنَفْسِهِ وَالْحُسَيْنِ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَاجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
 كَانُوا مَعَ يَزِيدَ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَاجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلَطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
 فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنْ الْحُسَيْنُ قُتِلَ  
 بِشَرِّعِ جَدِّهِ وَهُوَ غَلَطٌ حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْعُقْلَةُ عَنْ أَشْرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ  
 الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْأَرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
 فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَعَلَّطَهُ فِي أَمْرِ الشُّوَكَةِ أَعْظَمُ لِأَنَّ بَنِي أَسَدٍ

لَا يُقَارِمُونَ بِنِي أُمَّيَّةٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ وَالْقَوْلُ بِتَعْيِينِ الْخَطَاةِ فِي جِهَةِ مَعَاوِيَةَ مَعَ عَلِيٍّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْمَاعَ مِنْكَ قَضَى لَنَا بِهِ وَلَمْ نَعِدْهُ مَا هُنَا. وَأَمَّا يَزِيدُ فَعَيَّنَ خَطَاةَ فَسَقَهُ وَعَبَدُ الْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَالَةً وَتَاهِيكَ بِعَدَالَتِهِ اخْتِجَاجُ مَالِكٍ بِفِعْلِهِ وَعُدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَى بَيْعَتِهِ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ تَنْعَقِدْ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْهَا أَهْلُ الْعَقْدِ وَأَخْلَى كَيْبَةَ مَرْوَانَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَيَّ خِلَافَ ذَلِكَ وَالسُّكْلُ مَجْتَمِعُونَ مَحْمُولُونَ عَلَى الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَّعَيْنِ فِي جِهَةِ مَنِهَمَا وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا قَرَّرْنَاهُ يُجِبُّ عَلَى قَوَاعِدِ الذَّمِّ وَقَوَائِمِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌ بِاعْتِبَارِ قَصْدِهِ وَتَحْرِيهِ الْحَقُّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تُعْمَلَ عَلَيْهِ أفعالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ قَبْلَهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاكُمْ غُرُضًا لِلْقَدْحِ فَمَنْ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالْعَدَالَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَفْسُقُوا الْكُذِبُ فَعَمَلُ الْخَبْرَةِ وَهِيَ الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْقِرْنِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ فَأَبَاكَ أَنْ تُعَوِّدَ نَفْسَكَ أَوْ لِسَانَكَ التَّمَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يُشَوِّشُ قَلْبَكَ بِالرَّيْبِ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ وَالتَّمَسُّ لَهُمْ مَذَاهِبَ الْحَقِّ وَطُرُقَهُ مَا اسْتَنْطَعَتْ فِهِمْ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنِ يَنِينَةٍ وَمَا فَاتَلُوا أَوْ قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَأَعْتَقِدُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعَدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لِيَقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَافْتَهُمُ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْرَاهِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمَصِيرُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية للخلافة

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَّصِرٌ فِي الْأَمْرَيْنِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَبِمُقْتَضَى التَّكْلِيفِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي هُوَ مَا مَوْرُؤٌ بِتَبْلِيغِهَا وَحَمَلِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَبِمُقْتَضَى رِعَايَتِهِ لِمَصَالِحِهِمْ فِي الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْعُمُرَانُ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ مَصَالِحِهِ كُنَّا لِنَلَّا بِفَسَادِ إِنْ أَهْمَلْتُمْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسَطَوْتَهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ نَعَمْ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلَ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهِدِيهِ

الْمَصَالِحِ فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ بِنَدْرِجٍ تَمَعَتْ الْخِلَافَةَ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْفَرِدُ إِذَا كَانَتْ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ مَرَاتِبٍ خَادِمَةٌ وَوِظَائِفٌ تَابِعَةٌ  
 تُتَعَبَّنُ خِطَطًا وَتُنَوِّزُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَظَائِفٌ فِيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوِظَافَتِهِ حَسَبَ مَا بَعِيَتْهُ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ بِنَدْرِجٍ تَمَعَتْ بِهِ هَذَا الْأَعْتِبَارِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَصَرَّفُهُ  
 الدِّينِي بِمَخْتَصِّ بِمَخْطَطٍ وَمَرَاتِبِهِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ الْأَيْسَلَامِيِّينَ فَلَمَّا كُرِيَ الْآنَ الْخِطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ وَنَزَجِعُ إِلَى الْخِطَطِ الْمُلُوكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخِطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتْيَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلِّهَا مُنْدَرِجَةٌ تَمَعَتْ  
 الْإِمَامَةَ الْكُبْرَى الَّتِي فِي الْخِلَافَةِ فَكَانَتْهَا الْإِمَامُ الْكَبِيرُ وَالْأَصْلُ الْجَمِيعُ وَهَذِهِ  
 كُلُّهَا مُنْفَرَعَةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا الْعُمُومِ نَظَرِ الْخِلَافَةِ وَتَصَرَّفُهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّينِيَّةِ وَالذَّنُوبِيَّةِ وَتَنْفِيذِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُمُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فَهِيَ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخِطَطِ كُلِّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِمُخْصِصِهِ الْمُنْدَرِجِ مَعَهَا تَمَعَتْ الْخِلَافَةَ وَلَقَدْ  
 يَشْهَدُ لَذَلِكَ اسْتِدْلَالُ الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْمِهِمْ أَرْضَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِدِينِنَا أَفَلَا تَرْضَاهُ لِدِينَانَا فَلَوْلَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لَمَا صَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثَبَتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صِنْفَانِ مَسَاجِدُ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةٌ الْفَاشِيَّةُ  
 مُعَدَّةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَلَيْسَتْ لِلصَّلَوَاتِ  
 الْعَامَّةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصَبُ لَهَا الْإِمَامُ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْحُسُوفَيْنِ وَالْأَسْتِسْقَاءِ وَتَعَبَّنُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلَى وَالْأَسْتِسْقَاءِ وَلِئَلَّا يَفْتَنَ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصْبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عِنْدَهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْجَبِيرَانِ  
 وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوْلَى فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَاوَزِدِيِّ وَغَيْرِهِ



فَلَا نَطُولُ بَدِّ كَرْمَا وَاقْدَ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوْلُونَ لَا يُقَلِّدُونَهَا لِقَبْرِهِمْ مِنْ النَّاسِ وَأَنْظَرُ  
 مَنْ طَعَنَ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرَصَّدَهُمْ لِذَلِكَ فِي أَوْقَاتِهَا  
 يَشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ بِمُبَاشَرَتِهِمْ لَهَا وَأَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلَفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
 الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَشَارُوا بِهَا وَاسْتَعْظَمُوا لِتَبْتِهَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ  
 أَنَّهُ قَالَ لِحَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ حِجَابَةً يَا بِي الْأَعْنَ ثَلَاثَةَ صَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ  
 بِالتَّأْخِيرِ وَالْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدُ فَإِنَّ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادَ الْقَاصِيَةَ  
 فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغَلْظَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
 وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنْابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْثِرُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَّةِ  
 كَالْمَعِيدِينَ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَدْوِيهَا فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِينَ  
 صَدَرُوا وَلْتِهِمْ وَأَمَّا الْفُتَيَا فَلِلْخَلِيفَةِ تَصَفُّحُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسُ وَرَدُّ الْفُتَيَا إِلَى مَنْ  
 هُوَ أَهْلٌ لَهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهَا مِنْ مَصَالِحِ  
 الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَتَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ  
 النَّاسَ وَالْمُدْرِسِ الْإِنْتِصَابُ لِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَبَشِيرِهِ وَالْجُلُوسُ لِذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
 مِنْ الْمَسَاجِدِ الْعِظَامِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَيْمَنِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
 اسْتِثْنَائِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَّةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنِ عَلَى أَنَّهُ  
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْتِينَ وَالْمُدْرِسِينَ زَائِرٌ مِنْ نَفْسِهِ بِمَنْعِهِ عَنِ  
 التَّصَدِّي لِمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَرْتِدُّ وَفِي الْأَثَرِ  
 أَجْرًا كُمْ عَلَى الْفُتَيَا أَجْرًا كُمْ عَلَى جَرَاثِيمِ جَهَنَّمَ فَلِلسُّلْطَانِ فِيهِمْ لِذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
 مَا تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْ رَدِّ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوُظَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
 الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَنْصِبُ الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسَبًا لِلتَّدَاعِي وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ إِلَّا  
 أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَكَانَ لِذَلِكَ مِنَ وَظَائِفِ  
 الْخِلَافَةِ وَمُنْدَرَجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يَبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
 يَجْعَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَفَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ قَوْلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شَرِيحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ  
 بِالْكُوفَةِ وَكَتَبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَشْهُورَ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ

وَهِيَ مُسْتَوْفَاةٌ فِيهِ يَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ فَأَنْهَمُ  
 إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمُ بِيحَقِّ لَا تَقَاذَلَهُ وَأَسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَتَجَلِّسِكَ  
 وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعُ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَبْتَاسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ أَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ  
 أَدْعَى وَالْيَمِينِ عَلَيَّ مَنْ أَنْكَرَ وَالصُّلْحَ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ  
 حَرَّمَ حَلَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضَيْتَهُ أَمْسِ فَرَأَجَمْتَ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ  
 لِرُسُودِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
 الْبَاطِلِ أَلَيْسَ فِيهَا يَنْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرَفَ الْأَمْثَالَ  
 وَالْأَشْبَاهَ وَقَسَّ الْأُمُورَ بِنِظَائِرِهَا وَأَجْمَلَ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
 فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَى لِلشُّكِّ  
 وَأَجْلَى لِلْعَمَى وَالْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدِّ أَوْ مُجْرِي عَلَيْهِ  
 شَهَادَةَ زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي نَسَبٍ أَوْ وِلَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَمَّا عَنِ الْإِيمَانِ وَدَرَأَ  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَإِيَّاكَ وَالْفَلَقَ وَالضُّجْرَ وَالنَّافِثَ بِالْخُصُومِ فَإِنَّ اسْتِفْرَارَ الْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ  
 الْحَقِّ يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذِّكْرَ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى كِتَابُ عُمَرَ وَإِنَّمَا  
 كَانُوا يُقْلِدُونَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِقِيَابِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثْرَةِ  
 اشْتغالها مِنَ الْجِهَادِ وَالْفَتْوحَاتِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
 غَيْرُهُمْ لِعِظَمِ الْعِنَايَةِ فَاسْتَحَقُّوا الْقَضَاءَ فِي الْوَأَقِعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
 بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقْلِدُونَهُ أَهْلَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوِلَاءِ  
 وَلَا يُقْلِدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْصِبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
 فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَخُصُوصًا كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَّ إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
 فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفُضْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُفِعَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
 التَّدْرِيجِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَاسْتَقْرَافِ مَنْصِبِ الْقَضَاءِ  
 آخِرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْمَعُ مَعَ الْفُضْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ اسْتِيفَاءَ بَعْضِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ  
 لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْوَالِ الْمُتَعَجَّرِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِينِ وَالْيَتَامَى وَالْمَغْلُوبِينَ وَأَهْلِ  
 السَّفْهِ وَفِي وَصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَافِهِمْ وَتَرْوِجِ الْأَبَايِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ  
 رَأْيِهِ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرْفَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ وَتَصْفِحِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالشُّوَابِ وَاسْتِيفَاءِ

الْعِلْمِ وَالْخَبْرَةِ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيُحْصَلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كُلُّهَا  
 مِنْ تَعَلُّقَاتِ وَظَائِفِهِ وَتَوَابِعِ وَلَايَتِهِ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلُ يَجْعَلُونَ الْقَاضِيَ النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظِيفَةٌ مُمْتَزِجَةٌ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَنَةِ وَنَصْفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ تَقْمَعُ الظَّالِمَ مِنَ الْخُصْمَيْنِ وَتَزْجُرُ الْمُتَعَدِّيَّ وَكَانَهُ يُمَضَى مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَيْرُهُمْ عَنْ إِمضائه وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالتَّقْرِيرِ وَأَعْتَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمْلِ الْخُصْمَيْنِ عَلَى الصُّلْحِ وَاسْتِخْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يَبْأَشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُهْتَدِيِّ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكََمَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ بِبِخْتِي بْنِ أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ الْقَاضِيَ قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطَّوَائِفِ وَكَانَ بِبِخْتِي بْنِ أَكْثَمَ يُخْرَجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْدَرُ بْنُ سَعِيدِ قَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الْوُظَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مُنَوَّضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَعَلِّقٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبْدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظِيفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الْوُظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ تَوْسَعُ النَّظَرُ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلتَّهْمَةِ فِي الْحُكْمِ تَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيُقِيمُ الْحُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَجَالِهَا وَيَتَحَكَّمُ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَيُقِيمُ  
 التَّنْزِيهِ وَالتَّأْدِيبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ الْجَرِيمَةِ ثُمَّ تُنَوِّمِي شَأْنِ هَاتَيْنِ الْوُظَائِفَتَيْنِ  
 فِي الدَّوَلِ الَّتِي تُنَوِّمِي فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ فَصَارَ أَمْرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَانَ  
 لَهُ تَقْوِيضُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَأَنْقَسَمَتِ وَظِيفَةُ الشَّرْطَةِ قِسْمَيْنِ مِنْهَا  
 وَظِيفَةُ التَّهْمَةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا وَمَبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الدَّوَلِ حَاكِمٌ يَتَحَكَّمُ فِيهَا بِمَوْجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ رُاجِعَةٍ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى تَارَةً بِأَسْمِ الْوَالِيِ وَتَارَةً بِأَسْمِ الشَّرْطَةِ وَبَقِيَ قِسْمُ  
 التَّنْزِيهِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرِيًّا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مَعَ مَا نَقَدَّمْ وَصَارَ

ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِ وَظِيْفَةِ وَلَايَتِهِ وَأَسْتَقْرَ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
 الْوِظِيْفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيْبَةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَمَّا كَانَ خِلَافَةَ دِينِيَّةً وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مِنْ  
 مَرَامِسِ الدِّينِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصِيْبَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْخِلَافِ  
 أَوْ بِالرَّقِ أَوْ بِالْأَضْطِنَاعِ مِمَّنْ يُؤْتَقَى بِكِفَايَتِهِ أَوْ غِنَائِهِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ وَلَمَّا أَتَقَرَّضَ  
 شَأْنُ الْخِلَافَةِ وَطَوَّرَهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ الدِّينِيَّةُ  
 بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَامِسِهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
 جُمْلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمَلِكُ لِسَوَائِهِمْ مِنْ أُمَّةِ التُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ  
 الْخِلَافِيَّةُ بَعْدًا عَنْهُمْ بِمَنْحَاهَا وَعَصِيْبَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيْعَةَ دِينُهُمْ  
 وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ نَحَلَتْهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ وَطَرِبَتْهُمْ  
 وَغَيْرُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَا دَانُوا بِالْمِلَّةِ فَقَطَّ قَصَارُوا  
 يُقَلِّدُونَهَا مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ مِمَّنْ كَانَ تَأَهَّلَ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالِمَةِ وَكَانَ أَوْلَيْكَ  
 الْمَثَاهِلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ الدَّوْلِ مِنْذُ مِثْنِ مِنَ السَّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَخَشَوْنَهَا  
 وَالتَّبَسُّوا بِالْحِضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعَيْنِهِمْ وَقِلَّةِ الْمَعَانَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
 الْخِطَّةُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُخْتَصَّةً بِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي  
 أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ انْقَدَ الْأَهْلِيَّةُ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
 الْحِضَارَةِ وَفَلَعَفَهُمْ مِنَ الْأَخْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْحَضَرَ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي التَّرْفِ وَالِدَعَّةِ الْبَعْدَاءِ عَنْ  
 عَصِيْبَةِ الْمَلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ وَصَارَ اعْتِبَارُهُمْ فِي الدَّوْلِ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا  
 بِالْمِلَّةِ وَأَخْذِهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
 يَكُنْ إِبْتَارُهُمْ فِي الدَّوْلِ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِدَوَاتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَلَمَّحُ مِنَ التَّجْمُلِ  
 بِمَكَانِهِمْ فِي تَجَالِسِ الْمَلِكِ لِتَعْظِيمِ الرَّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ  
 وَالْعَقْدِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ فَحُضُورٌ رَسْمِيٌّ لَا حَقِيْقَةَ وَرَأَاهُ إِذْ حَقِيْقَةُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِنَّمَا  
 فِي أَهْلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حَلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَدَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَخَذُ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْهُمْ وَتَلَقَّى الْفِتَاوَى مِنْهُمْ فَتَمَّ وَاللَّهُ الْوَفِيُّ وَرُبَّمَا يَظُنُّ بَعْضُ  
 النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاءِ  
 مِنَ الشُّوْرَى مَرْجُوحٌ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمَ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى مَا انْتَضِيهِ طَبِيعَةُ  
 الْعُمَرَانِ وَالْأَكَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئًا  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحُلَّ وَالْعَقْدَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى حَلِّ  
 أَوْ عَقْدِ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِهِ وَأَمَّا مَنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ  
 حِمَايَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّورَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 اعْتِبَارِهِ فِيهَا اللَّهُمَّ! الْأَشْرَاهُ فِيَمَا بَعَلَّمَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْأِسْتِفْتَاءِ خَاصَّةً وَأَمَّا شُورَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِإِفْقَادِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْقِيَامَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِجَمِيلِ الْأَعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ انْتَسَبَ وَأَمَّا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ فِي الْأَغْلَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمَا أَخْتَفَتْ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمُعَامَلَاتِ يَنْصُرُونَهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَرِهِمْ وَلَا يَنْصُرُونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلِ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفُ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ اتِّصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا اتِّصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ نَقْلِ  
 فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلَ أَهْلِ رِسَالَةِ الْقَشِيرِيِّ وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ فُقَهَاءِ النَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ أَقْتَفَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَإِذَا انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمَّةِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَالْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرِثَ بِصِفَةِ وَالْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصُبُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ  
 عَصْرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

(العدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَصْرِيحِهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةِ الْقِيَامُ عَنِ إِذْنِ الْقَاضِيِ بِالْمُتَهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَحْمَلًا عِنْدَ  
 الْأَشْهَادِ وَأَدَاءٍ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكُتِبَ فِي السُّجُلَاتِ تُحْفَظُ بِهِ حُقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلَا كُهُمْ  
 وَدِيُونُهُمْ وَسَائِرُ مُعَامَلَاتِهِمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعِدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْبِرَاءَةِ  
 مِنَ الْجُرْحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتْبِ السُّجُلَاتِ وَالْعُقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَانْتِظَامِ فُصُولِهَا وَمِنْ

جهة إحصاء شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه  
ولأجل هذه الشروط وما يحتاج إليه من الممران<sup>(١)</sup> على ذلك والمأوساة له أخصص  
ذلك ببعض المدول وصار الصنف القائمون به كأنهم مخصصون بالعدالة وليس كذلك  
وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح أحوالهم  
والكشف عن سيرهم رعاية لشروط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه  
من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن ذرّكه وإذا تعين هؤلاء  
لهذه الوظيفة عمّت الفائدة في تعيين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الأمصار  
وأشدّياؤ الأحوال واضطرار القضاة إلى الفصل بين المتنازعين بالثبوت الموثوق  
فيقولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الأمصار دكاكين ومصاطب  
يختصون بالجلوس عليها فيتعاملهم أصحاب المعاملات للاشهاد وتقييدهم بالكتاب  
وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة  
الشرعية التي هي أخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم

### الحسبة والسكة

إما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتمتع فرضه  
عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزز ويؤدب على قدرها  
ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات  
ومنع الحمالين وأهل السفن من الأكل في الحمل والحكم على أهل المباني  
المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي  
المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلوغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا  
يتوقف حكمه على تنازع أو استعذاء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه  
من ذلك ويؤخذ إليه وليس له إمضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالفسق  
والتدليس في المعاش وغيرها في المكاتب والموازين وله أيضاً حمل المطالين  
على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم وكانها أحكام

(١) الممران بكر الميم التمرن والاعتقاد على الشيء

يَنْزُهُ الْقَاضِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسُهُولَةِ اغْتِرَافِهَا فَتُدْفَعُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوِظَافَةِ لِيَقُومَ بِهَا  
فَوْضِعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَةً لِمَنْتَصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَمُويِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
وِلَايَةِ الْقَاضِي بُوُلِي فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَتْ وَظِيفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَصَارَ  
نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ انْدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأَفْرَدَتْ بِالْوِلَايَةِ  
وَأَمَّا السِّكَّةُ فَهِيَ النَّظَرُ فِي النُّقُودِ الَّتِي تَعَامَلُ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِفْظُهَا مِمَّا بُدِخِلَهَا  
مِنَ الْفِئْسِ أَوْ النِّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
جَمِيعِ الْأَعْتِبَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عِلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ النُّقُودِ بِالْإِسْتِجَادَةِ وَالْحُلُوصِ  
بِرِسْمِ تِلْكَ الْعِلَامَةِ فِيهَا مِنْ خَاتَمِ حَدِيدٍ أُتْخِذَ لِذَلِكَ وَنُقِشَ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَّةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
عَلَى الدِّرْهَانِ بَعْدَ أَنْ يُقَدَّرَ وَيُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تُرْمَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونَ  
عِلَامَةً عَلَى جُودَتِهِ بِحَسَبِ الْغَايَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصُ فِي مُتَعَارِفِ أَهْلِ  
الْقَطْرِ وَمَذَاهِبِ الدَّوْلَةِ الْحَاكِمَةِ فَإِنَّ السِّبْكُ وَالتَّخْلِيصَ فِي النُّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ  
وَإِنَّمَا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْإِجْتِهَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ الْفِئْءِ أَوْ قَطْرٍ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيصِ  
وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَمَّوْهَا إِمَامًا وَعِبَارًا يَعْتَبِرُونَ بِهِ نُقُودَهُمْ وَيَنْتَقِدُونَهَا بِمِثَالَتِهِ فَإِنَّ نَقْصَ  
عَنْ ذَلِكَ كَانَ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوِظَافَةِ وَهِيَ دِينِيَّةٌ بِهَذَا  
الْإِعْتِبَارِ فَتَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَاضِي ثُمَّ أَفْرَدَتْ  
لِهَذَا التَّمْيِيزِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَبْشَةِ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي الْوِظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَقِيَتْ مِنْهَا  
وَظَائِفٌ ذَهَبَتْ بِذَهَابِ مَا يُنْظَرُ فِيهِ وَأُخْرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْظِيفَةُ الْإِمَارَةِ وَالْوِزَارَةِ  
وَالْحَرْبِ وَالخِرَاجِ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً تَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِنِهَا بَعْدَ وَظِيفَةِ الْجِهَادِ وَوِظِيفَةُ  
الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِطُلَانِهِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الدُّوَلِ يُعَارِسُونَهُ وَيُدْرَجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِبًا فِي  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَا نَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
قَدْ بَطَلَتْ لِذُبُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ انْدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوِظَائِفُهَا فِي  
رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِذَا التَّمْيِيزِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ

## الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بأمير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو يحدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استنقلوا هذا اللقب بكثرته وطول إضافته وأنه  
يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى العجزة ويذهب منه التمييز بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكأنوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث بأسم الأئمة وهو فعل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاصي والخيرة بن شعبة وقيل يزيد بن جهم  
بألفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير  
المؤمنين وسمعتها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده ممة لا يشاركهم  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوصاً علياً باسم الإمام تعتله  
بالإمامة التي هي اخت الخلافة وتعرف أيضاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعتهم بخصوصه بهذا اللقب ولعن يسوقون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكأنوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء  
حتى إذا استولون على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شيعة بني العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الرايات للعرب على أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح أمير المؤمنين  
وكذا الرافضة بأفريقيا فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى



أَنْتَهَى الْأَمْرَ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ وَلِأَنَّهُ أَبِي الْقَاسِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ فَلَمَّا اسْتَوْتَقَّ لَهُمُ الْأَمْرَ دُعُوا مِنْ بَعْدِهِمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يُلَقَّبُونَ أَدْرِيسَ بِالْإِمَامِ وَأَبْنَهُ أَدْرِيسَ الْأَضْرَعَةَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا اللَّقَبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ سِمَةً لِمَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي فِي دِيَارِ الْعَرَبِ وَمَرَكَزُ الدَّوْلَةِ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحِ وَأَزْدَادُ  
 لِذَلِكَ فِي عُنُقِ الدَّوْلَةِ وَبَدْخِهَا لَقَبُ آخَرُ لِلْخُلَفَاءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَشْتِرَاقِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحْدَثَ لِذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ  
 الْأَعْلَامَ عَنِ امْتِنَانِهَا فِي السَّنَةِ السُّوقَةِ وَصَوْنًا لَهَا عَنِ الْأَبْتِدَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّنَاحِ وَالْمَنْصُورِ  
 وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَقْتَفَى أَثَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 وَمِصْرَ وَتَجَافَى بَنُو أُمِيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْقَضَاةِ وَالسَّنَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تُفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْخِضَارَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّبُوا كَسَلْتِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مَلِكِ الْحِجَازِ أَصْلِ الْعَرَبِ وَالْمِلَّةِ وَالْبُعْدِ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي فِي مَرْكَزِ الْعَصَبِيَّةِ  
 وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا مَتَّعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَّةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَاشْتَهَرَ مَا نَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْخَجْرِ وَاسْتَبْدَادِ الْمَوَالِي وَعَيْشِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِبْدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسَّمْلِ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخَذَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذَهَبٌ لَقِيَ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَاسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ عَصَبِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعٍ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِيُّ مِنَ الْعَجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعُ  
 عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاجَةُ عَلَى أُمْرَاءِ أَفْرِيقِيَّةَ وَزَنَاتُهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَمُلُوكُ  
 الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمِيَّةَ وَأَقْتَسَمُوهُ وَأَفْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَأَخْتَلَفَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَدَّوْا جَمِيعًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ . فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يُغَضِّطُهُمْ بِالْأَقَابِ

تَشْرِيفِيَّةٍ حَتَّى يُسْتَشْعَرَ مِنْهَا اتِّقَادُهُمْ. وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وِلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعِضُدِ  
الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَنَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَنِظَامِ الْمَلِكِ وَبِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةِ  
الْمَلِكِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدِيُّونَ أَيْضًا يَخْضُونَ بِهَا أَمْرًا صَنْهَاجَةً فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا  
عَلَى الْخِلَافَةِ قَنَعُوا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنِ الْأَقْبَابِ الْخِلَافَةِ أَدْبًا مَعَهَا وَعُدُولًا عَنِ  
سِمَاتِهَا الْخُصَّةِ بِهَا شَأْنَ الْمُتَغَلِّبِينَ الْمُسْتَبَدِّينَ كَمَا قُلْنَا هُ وَنَزَعَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَعَاجِمُ  
الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتِبْدَادُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَا كِبَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانَ وَتَلَاشَتْ  
عَصِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْحَعَتْ بِالْجُمْلَةِ إِلَى اتِّخَالِ الْأَقْبَابِ الْخَاصَّةِ بِالْمَلِكِ مِثْلِ النَّاصِرِ  
وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْأَقْبَابِ بِمَخْتَصُونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْأَتِّخَالِ مُشْعَرَةً بِالْخُرُوجِ عَنِ رِبْقَةِ  
الْوِلَاةِ وَالْإِصْطِنَاعِ بِمَا أَضَافُوهَا إِلَى الدِّينِ فَقَطَّ يَقُولُونَ صَلاَحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ  
نُورُ الدِّينِ. وَأَمَّا مَلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَقْتَسَمُوا الْأَقْبَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَزَّعُوهَا لِقُوَّةِ  
اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَيْهَا بِمَا كَانُوا مِنْ قَبِيلِهَا وَعَصِيَّتِهَا فَتَلَقَّبُوا بِالنَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ  
وَالْمُظَفَّرِ وَأَمْثَالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرَفٍ يَنْعَى عَلَيْهِمْ

مَا يَزِيدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ أَسْمَاءَ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدِ  
الْأَقْبَابِ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَلِمَةً يَحْكِي أَنْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنْهَاجَةٌ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْأَقْبَابِ الَّتِي كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْعَبِيدِيُّونَ يَلْقَبُونَ بِهَا لِلتَّشْبُوهِ بِمِثْلِ  
نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَاتَّصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَالُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ  
الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ بَعَدَتْ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَنَسُوا هَذِهِ الْأَقْبَابَ وَأَقْتَصَرُوا  
عَلَى اسْمِ السُّلْطَانَ وَكَذَا شَأْنَ مَلُوكِ مَغْرَابَةٍ بِالْمَغْرِبِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْبَابِ  
إِلَّا اسْمَ السُّلْطَانَ جَزِيًّا عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالغَضَاضَةِ وَلَمَّا عُجِيَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَعَطَّلَ  
دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ نَاشِفِينَ مَلِكُ لِمَتُونَةَ فَمَلَكَ الْعُدُونَيْنِ  
وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِقْتِدَاءِ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَكْمِيلًا  
لِمَرَامِهِ دِينِهِ فَطَاطَبَ الْمُسْتَظْهَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ يَبْعَتَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَأَبْنَهُ  
الْقَاضِيَّ أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِشْبِيلِيَّةِ بَطْلَانِ تَوْلَيْتَهُ إِيَّاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْلِيدَهُ ذَلِكَ  
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ بِعَهْدِ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَأَسْتَشْعَارِ زِيَرَتِهِمْ فِي لُبُوسِهِ وَرَثْبَتِهِ وَخَاطَبَهُ  
فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفِيًّا وَأَخْتِصَاصًا فَأَخَذَهَا قَبْمًا وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ دُعِيًّا لَهُ بِأَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمُرَابِطُونَ مِنْ انْتِحَالِ  
 الدِّينِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَاءَ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ أَخْبَانًا بِمَذَاهِبِ  
 الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ التَّأْوِيلِ  
 لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية  
 وسمي أتباعه الموحدين تعريضاً بذلك للكبير وكان يرى رأي أهل البيت في  
 الإمام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسُمِّيَ  
 بالإمام لما قلناه أولاً من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم وأردف بالمعصوم  
 إشارة إلى مذهبه في عصمة الإمام ونزعه عند أتباعه عن أمير المؤمنين أخذاً  
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الأعمار والولدان من أعقاب  
 أهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بإمير المؤمنين  
 وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استثناءً به  
 عن سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من  
 بعده كذلك دون كل أحد لانتفاء عصية قرئش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم ولما  
 انتقض الأمر بالمغرب وانتزعت زنانه ذهب أولهم مذاهب البداوة والسداجة وأتباع  
 لمتونة في انتحال اللقب بإمير المؤمنين أدباً مع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها  
 لبني عبد المؤمن أولاً ولبني أبي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب  
 بإمير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد استنبلاً في منازع الملك وتتميماً لمذاهبه  
 وسمايته والله غالب على أمره

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي بحملهم على أحكامها وشرائعها  
 ويكون كخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والنوع الإنساني أيضاً بما  
 تقدم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص بحملهم على  
 مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الإسلامية لما  
 كان الجهاد فيها مشروعاً للعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الإسلام طوعاً أو

كَرَاهَا اتَّخَذَتْ فِيهَا اَلْخِلَافَةَ وَالْمَلِكُ لِنَوْجِهِ اَلشُّوَكَةَ مِنْ اَلْقَائِمِينَ بِهَا اَلْيَهُمَا مَعًا وَاَمَّا  
 مَا سِوَى اَلْمِلَّةِ اَلْاِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَةً وَلَا اَلْجِهَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا اِلَّا  
 فِي اَلْمُدَافَعَةِ فَقَطْ فَصَارَ اَلْقَائِمُ بِاَمْرِ اَلدِّينِ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ اَلْمَلِكِ وَاِنَّمَا  
 وَقَعَ اَلْمَلِكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعَرَضِ وَاَلْاَمْرُ غَيْرُ دِينِي وَهُوَ مَا اَقْتَضَتْ لَهُمُ اَلْعَصِيَّةُ لِمَا  
 فِيهَا مِنْ اَلطَّلَبِ لِلْمَلِكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لِانَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْغَلْبِ عَلَى اَلْاُمَمِ  
 كَمَا فِي اَلْمِلَّةِ اَلْاِسْلَامِيَّةِ وَاِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِاِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِلذَلِكَ بَنِي  
 بَنُو اِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِمَا نَحْوُ اَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَا يَعْتَنُونَ  
 بِشَيْءٍ مِنْ اَمْرِ اَلْمَلِكِ اِنَّمَا هُمْ بِاِقَامَةِ دِينِهِمْ فَقَطْ وَكَانَ اَلْقَائِمُ بِهِ يَنْهَمُ بِسَمِي  
 اَلْكُوهِنَ كَاَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِ يَقِيمُ لَهُمْ اَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْقُرْبَانِ وَيَشْتَرِطُونَ  
 فِيهِ اَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِ لِاَنَّ مُوسَى لَمْ يُعْقِبْ ثُمَّ اخْتَارُوا  
 لِاِقَامَةِ اَلسِّيَاسَةِ اَلَّتِي هِيَ لِلْبَشَرِ بِالطَّبَعِ سَبْعِينَ سَنَةً كَانُوا يَتْلُونَ اَحْكَامَهُمُ الْعَامَّةَ  
 وَالْكُوهِنَ اَعْظَمُ مِنْهُمْ رُتْبَةً فِي اَلدِّينِ وَابَعْدُ عَنْ شَغَبِ اَلْاَحْكَامِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ  
 اِلَى اَنْ اسْتَحْكَمَتِ طَبِيعَةُ اَلْعَصِيَّةِ وَتَحَمَّضَتِ الشُّوَكَةُ لِلْمَلِكِ فَعَالَبُوا اَلْكِنَعَانِيِّينَ عَلَى  
 اَلْاَرْضِ اَلَّتِي اُورَثْتُمْ اَللّٰهُ يَنْتَبِ اَلْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى  
 صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِ فَمَارَبْتُمْ اُمَّمَ اَلْفِلِسْطِينِ وَالْكِنَعَانِيِّينَ وَالْاَرَمِّينَ وَارْدُنَّ وَعَمَانَ  
 وَقَارِبَ وَرِثَسْتَهُمْ فِي ذَلِكَ رَاجِعَةً اِلَى شِيُوخِهِمْ وَاَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ اَرْبَعِمِائَةِ  
 سَنَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ صَوْلَةُ اَلْمَلِكِ وَضَجَرَ بَنُو طَالُوتَ وَغَلِبَ اَلْاُمَمُ وَقُتِلَ جَالُوتُ مَلِكُ  
 اَلْفِلِسْطِينِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سَلِيمَانُ صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَحْكَمَ مُلْكُهُ وَامْتَدَّ  
 اِلَى اَلْحِجَازِ ثُمَّ اَطْرَافِ اَلْيَمَنِ ثُمَّ اِلَى اَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ اَقْتَرَقَ اَلْاَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ  
 سَلِيمَانَ صَلَوَاتُ اَللّٰهِ عَلَيْهِ بِهَقْتَضَى اَلْعَصِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ اِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتَا  
 اِخْدَاهُمَا بِالْحِزْبَةِ وَالْمَوْصِلَ لِلْاَسْبَاطِ الْعَشْرَةَ وَالْاُخْرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا  
 وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ غَلِبَهُمْ بَحْتُ نَصْرُ مَلِكِ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِاَيْدِيهِمْ مِنْ اَلْمَلِكِ اَوَّلًا اَلْاَسْبَاطُ  
 الْعَشْرَةَ ثُمَّ ثَانِيًا بَنِي يَهُوذَا وَبَيْتَ اَلْمَقْدِسِ بَعْدَ اِتِّصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوَ اَلْفِ سَنَةٍ وَخَرَّبَ  
 مَسْجِدَهُمْ وَاَحْرَقَ تَوْرَاتَهُمْ وَاَمَاتَ دِينَهُمْ وَنَقَلَهُمْ اِلَى اَصْبَهَانَ وَبِلَادِ الْعِرَاقِ اِلَى اَنْ  
 رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ اَلْكِنَعَانِيَّةِ مِنَ الْفَرَسِ اِلَى بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ

خُرُوجِهِمْ فَبَنَوْا الْمَسْجِدَ وَأَقَامُوا أَمْرَ دِينِهِمْ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ لِلْكَهَنَةِ فَقَطَّ وَالْمَلِكُ  
 لِلْفَرَسِ ثُمَّ غَلَبَ الْإِسْكَندَرُ وَبَنُو يُونَانَ عَلَى الْفَرَسِ وَصَارَ الْيَهُودُ فِي مَلَكَتِهِمْ ثُمَّ  
 قَتَلَ أَمْرَ الْيُونَانِيِّينَ فَأَعْتَزَ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ بِالْعَصِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَدَفَعُوهُمْ عَنِ الْإِسْتِيلَاءِ  
 عَلَيْهِمْ وَقَامَ بِمَلَكَتِهِمُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي وَقَاتَلُوا يُونَانَ حَتَّى  
 أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَغَلَبَهُمُ الرُّومُ فَصَارُوا تَحْتَ أَمْرِهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَفِيهَا  
 بَنُو هِيرُودُسَ أَحْشَارُ بَنِي حَشْمَنَائِي وَبَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ فَحَاصَرُوهُمْ مَدَّةً ثُمَّ أَفْتَحُوهَا عُنُوةً  
 وَأَفْخَشُوا فِي الْقَتْلِ وَالْهَدْمِ وَانْتَهَرُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَجْلَوْهُ عَنَّا إِلَى رُومَةَ وَمَا  
 وَرَاءَهَا وَهُوَ الْخَرَابُ الثَّانِي لِلْمَسْجِدِ وَيُسَمِّيهِ الْيَهُودُ بِالْجَلُوتَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ يَمُتْ لَهُمْ  
 بَعْدَهَا مَلِكٌ لِفُقْدَانِ الْعَصِيَّةِ مِنْهُمْ وَبَقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَلَكَتِ الرُّومِ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقِيمُ  
 لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمُ الرَّبِّيسُ عَلَيْهِمُ الْمَسْمِيُّ بِالْكَوْهِنِ ثُمَّ جَاءَ الْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالنَّسْخِ لِبَعْضِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ  
 الْعَجِيبَةُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
 وَآمَنُوا بِهِ وَأَكْثَرُهُمُ الْخَوَارِثُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ وَبَعَثَ مِنْهُمْ رُسُلًا إِلَى  
 الْأَفَاقِ دَاعِينَ إِلَى مِلَّتِهِ وَذَلِكَ أَيَّامُ أَوْغُسْطُسَ أَوَّلِ مُلُوكِ الْقِيَاصِرَةِ وَفِي مَدَّةِ هِيرُودُسَ  
 مَلِكِ الْيَهُودِ الَّذِي أَنْزَعَ الْمَلِكَ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي أَحْشَارِهِ فَحَسَدَهُ الْيَهُودُ وَكَدَّبُوهُ  
 وَكَاتَبَ هِيرُودُسَ مَلَكَتِهِمْ مَلِكَ الْقِيَاصِرَةِ أَوْغُسْطُسَ يُغْرِبُهُ بِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ  
 وَوَقَعَ مَا تَلَاهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَفْتَرَقَ الْخَوَارِثُونَ شَيْعًا وَدَخَلَ أَكْثَرُهُمْ بِلَادَ الرُّومِ  
 دَاعِينَ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَ بَطْرُسُ كَبِيرُهُمْ فَنَزَلَ بِرُومَةَ دَارَ مَلِكِ الْقِيَاصِرَةِ ثُمَّ  
 كَتَبُوا الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَسْخِ أَرْبَعٍ عَلَى اخْتِلَافٍ  
 رَوَايَاتِهِمْ فَكَتَبَ مَتَّى الْإِنْجِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَنَقَلَهُ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي  
 مِنْهُمْ إِلَى اللِّسَانِ اللَّاتِينِيِّ وَكَتَبَ لُوقَا مِنْهُمْ الْإِنْجِيلَ بِاللَّاتِينِيِّ إِلَى بَعْضِ أَكْبَارِ الرُّومِ  
 وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي مِنْهُمْ الْإِنْجِيلَ بِرُومَةَ وَكَتَبَ بَطْرُسُ الْإِنْجِيلَ بِاللَّاتِينِيِّ وَنَسَبَهُ  
 إِلَى مَرْقَاصَ تَلْمِيذِهِ وَأَخْتَلَفَتْ هَذِهِ النَّسْخُ الْأَرْبَعُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَلِمًا  
 وَحِيًّا صِرْقًا بَلْ مَشُوبَةٌ بِكَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِكَلَامِ الْخَوَارِثِيِّينَ وَكَلِمًا مَوَاعِظُ  
 وَقِصَصٌ وَالْأَحْكَامُ فِيهَا قَلِيلَةٌ جِدًّا وَاجْتَمَعَ الْخَوَارِثِيُّونَ الرُّسُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِرُومَةَ

وَوَضَعُوا قَوَانِينَ أَلْمَلَةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَبَرُوا بِهَا بِيَدِ أَفْلِيْمَنْطُسَ تَلْمِيذِ بَطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
 عِنْدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ الْقَدِيمَةِ الْفُوزَاةُ وَهِيَ خَمْسَةُ  
 أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يَوْشَعَ وَكِتَابُ الْقُضَاةِ وَكِتَابُ رَاعُوثَ وَكِتَابُ يَهُوذَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
 أَرْبَعَةٌ وَسِتْرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمُقَابِيَيْنِ لِأَنَّ كِرْيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عَزْرَا الْإِمَامِ  
 وَكِتَابُ أَوْشِرَ وَقِصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ أَيُّوبَ الصِّدِّيقِ وَرِزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
 ابْنِهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
 يَشُوعَ بْنِ شَارِحَ وَزَيْرِ سَلِيمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُتَقَاتُ مِنْ  
 الْحَوَارِيِّينَ نُسْخُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْقِتَالِيْقُونَ سَبْعُ رِسَائِلَ وَثَامِنُهَا الْإِبْرِيْكَيْسُ  
 فِي قِصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَفْلِيْمَنْطُسَ وَفِيهِ الْأَحْكَامُ  
 وَكِتَابُ أَبُوغَالْمَيْسِ وَفِيهِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا بْنِ زَبْدِي وَأَخْتَلَفَ شَأْنُ الْقِيَاصِرَةِ فِي الْأَخِيذِ  
 بِهَيْدِهِ الشَّرِيعَةِ نَارَةً وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا أُخْرَى وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمَ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
 أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَاسْتَمَرَّوْا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدِّينِ وَالْمَقِيمُ  
 لِمِرَاسِيْمِهِ يُسَمُّونَهُ الْبَطْرُكَ وَهُوَ رَئِيسُ أَلْمَلَةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيحِ فِيهِمْ يَمِثُّ  
 نُوَابِهِ وَخُلَفَاؤُهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنهُ مِنْ أَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْأَسْقَفَ أَيَّ نَائِبِ الْبَطْرُكِ  
 وَيُسَمُّونَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُقِيمُهُمْ فِي الدِّينِ بِالْقَيْسِ وَيَسْمُونُ الْمُتَقَطِّعَ  
 الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ بِالرَّهْبِ وَأَكْثَرُ خَلْوَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
 بَطْرُسُ الرَّسُولُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيذِ بِرُومَةَ يُقِيمُ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
 أَنْ قَتَلَهُ نِيرُونُ خَامِسُ الْقِيَاصِرَةِ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْبَطَارِقِ وَالْأَسَاقِفَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
 كُرْنِي رُومَةَ أَرِيُوسُ وَكَانَ مَرْقَاسُ الْإِنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ دَاعِيًا  
 سَبْعَ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَتَسَمَّى بِالْبَطْرُكِ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
 اثْنَيْ عَشَرَ قِسَاعًا عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرُكُ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ الثَّانِي عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
 وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بِنِيقِيَّةِ أَيَّامَ قُسْطَنْطِينِ  
 لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثًا عَشْرًا وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ فِي  
 الدِّينِ فَكُتِبَتْهُ وَسَمَّوْهُ الْإِمَامَ وَصَبَرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيهَا كُتُبُهُ أَنْ

البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه إلى اجتهاد الآيسة كما قرره حنايانلميذ  
مِرْقاس وأبطلوا ذلك الرأي وإنما يقدم عن بلاء واختبار من أئمة المؤمنين  
وَبُرُوسائهم فيقي الأمر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم  
مُجْتَمَعَاتٌ في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الأمر فيها على ذلك واتصل  
فيهم نيابة الأساقفة عن البطركية وكان الأساقفة يدعون البطرك بالآب أيضاً  
تَعْظِيمًا لَهُ فَاشْتَبَهَ الْأَسْمُ فِي أَعْصَارِ مُتَطَاوِلَةٍ يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرِكِيَّةٌ هَرَقَلَ بِاسْكَدْرِيَّةٍ  
فَارَادُوا أَنْ يُمَيِّزُوا الْبَطْرِكَ عَنِ الْأَسْقَفِ فِي التَّعْظِيمِ فَدَعَوْهُ الْآبَا وَمَعْنَاهُ أَبُو الْآبَاءِ  
وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس بن العميد في تاريخه ثم  
نقلوه إلى صاحب الكرسي الأعظم عندهم وهو كرسي بطرس الرسول كما قدمناه  
فلم يزل نعمة عليه حتى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه  
في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصارية كل على صاحبه  
فأختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة إلى أن استقرت لهم ثلاث  
طوائف هي فرقة ولا يلتفتون إلى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ثم  
اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالآبا على رأي  
الملكية ورومة للإفرنجية وملكهم قائم بملك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر  
على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيتهم وأحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر  
فيهم أساقفة يتوبون عنه في إقامة دينهم هنالك واختص اسم الآبا ببطرك رومة  
لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباء بين مؤخدين  
من أسفل والطلق بها مخمة والثانية مشددة ومن مذاهب الآبا عند الإفرنجية أنه  
يخضعهم على الانقياد لملك واحد يرجعون إليه في اختلافهم واجتماعهم تعرجاً من  
اقتراق الكلمة ويشعري به العصية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على  
جميعهم ويسمونه الآب بردور<sup>(١)</sup> وحرفته الوسطيين النال والطاء المعجمتين ومباشرة  
يضع الناج على رأسه للثبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظه الآب بردور وهذا

(١) المشهور فدما امبراطور بالطاء المهيلة والترسيس تقول امبرور ومعناها عدم ملك الملوك

مُخَصَّصٌ مَا أَوْزَدَنَاهُ مِنْ شَرَحِ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الَّذِينَ هُمَا الْأَبَا وَالْكُوهِنُ وَاللَّهُ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

## الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقباه

إِعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ يُحْمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا بَدَلَهُ مِنَ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَنْبَاءِ  
جَنَسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةٍ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ نَوْعِهِ  
وَمَنْ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حِمَايَةِ الْكَافَّةِ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كَفِّ عُدْوَانِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِمْضَاءِ الْأَحْكَامِ الْوِازِعَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَائِلَتِهِمْ وَإِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْمَهُمْ بِهِ الْبَلْوَى فِي مَعَايِشِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ مِنْ تَفْقُدِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذَرًا مِنَ التَّطْفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السِّبْكِ بِحِفْظِ النُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْعِشْرِ  
وَإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِنْقِيَادِ لَهُ وَالرِّضَى بِمَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَأَنْفِرَادِهِ  
بِالْمَجْدِ دُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْغَايَةِ مِنْ مُعَانَاةِ الْقُلُوبِ قَالَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُعَانَاةِ نَقْلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَاكِيهَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْأَسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأُولِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ التَّرْبِيَةِ أَوْ الْأَصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ لِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مَجَانَسَةِ خَلْقِهِمْ لَخَلْفِهِ فَنَتْمُ الْمَشَاكَلَةِ  
فِي الْأَسْتِعَانَةِ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي  
وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلْمِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ  
أَوْ بِجَبَابِهِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزْدَجِمُوا عَلَيْهِ فَيُسْغَلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مَهْمَاتِهِمْ أَوْ يَدْفَعِ النَّظَرَ  
فِي الْمَلِكِ كُنْهِ وَيَعْمَلَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَأَضْطَلَاعِهِ فَلِلذَلِكَ قَدْ تُوْجِدُ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفْتَرِقُ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَنْفَرَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَتَفَرَعُ إِلَى قَلَمِ الرَّسَائِلِ وَالْمَخَاطَبَاتِ وَقَلَمِ الْأَشْكُوكِ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْمَحَاسَبَاتِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَابَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيْوَانِ الْجَيْشِ وَكَالسَيْفِ يَتَفَرَعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْبِ

(١) الهيئة الخدمة وهم ممن يكسر الميم



وَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ الشُّعُورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوِزَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِأَحْتِمَالِ مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ وَالْدُنْيَا كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَأَلْحَاكُمْ الشَّرْعِيَّةَ مُتَعَلِّقَةً بِجَمْعِهَا وَمَوْجُودَةً إِكْلًا وَاحِدَةً مِنْهَا فِي سَائِرِ وُجُوهِهَا لِعُمُومِ تَعَلُّقِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْفَقِيهَ يَنْظُرُ فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَشُرُوطِ تَقْلِيدِهَا أَسْتِدَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانَ أَوْ تَعْوِيضًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةَ عِنْدَهُمْ كَمَا بَيَّأْتِي وَفِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأُمُورِ وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوِزَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ مِنْ وِزَارَةِ أَوْ جِيَايَةِ أَوْ وِلَايَةِ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ مِنْ أَنْسِحَابِ حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ إِلَّا أَنْ كَلَامَنَا فِي وِزَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَانِ وَوُجُودِ الْبَشَرِ لَا يَمَّا يَخْصُهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا عَلِمْتَ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَنَّهَا مُسْتَوْفَاةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِثْلِ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرِدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْفُقَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ اسْتِيفَاءَهَا فَعَلَيْكَ بِمَطَالَعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوِزَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَاهَا لِتَمَيِّزِ يَنْهَا وَبَيْنَ الْوِزَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطْ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِمَا نَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهِ الْمَوْفِقُ

الوزارة \* وهي أم الخطة السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كأنه يعمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع إلى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة لأنها إما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجدي والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب وإما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في

أُمُورِ جِبَايَةِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضَبَطَةٍ وَصَاحِبُ  
 هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجِبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ وَإِمَا أَنْ  
 يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدِحُوا عَلَيْهِ فَيُشْغِلُوهُ عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
 رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْتَجُّهُ فَلَا تَعْدُو أَحْوَالُهُ هَذِهِ الْأَزْبَعَةَ بِوَجْهِهِ وَكُلَّ خِطْمٍ  
 أَوْ رُتْبَةٍ مِنْ رُتْبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْفَعُ مِنْهَا مَا كَانَتْ الْإِعَانَةُ  
 فِيهِ عَامَّةً فِيمَا تَحْتُ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ إِذْ هُوَ يَقْتَضِي مُبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ دَائِمًا  
 وَمُشَارَكَتَهُ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَحْوَالِ مَلِكِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ خَاصًا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
 بِبَعْضِ الْجِهَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ ثَغْرِ أَوْ وِلَايَةِ جِبَايَةِ خَاصَّةً أَوْ  
 النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطَّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ فَإِنْ هَدِمَ كُلُّهَا نَظَرٌ فِي  
 أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبِهَا تَبَعًا لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعَامِّ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرُوسَةً لِأَوْلِيكَ  
 وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
 فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْأَخْطُوطُ كُلُّهَا بِذَهَابِ رَسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْعَمَلِ وَالرَّأْيِ  
 وَالْمُفَاوَضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُمْكِنْ زَوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيُفَاوِضُهُمْ فِي مَهْمَاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخُصُّ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
 بِمُفْصَلَاتِ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلَ وَأَحْوَالَهَا فِي كِسْرَى وَقَيْصَرَ  
 وَالنَّجَاشِي يُسَمُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَزَيْرَةَ وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِذَهَابِ  
 رُتْبَةِ الْمَلِكِ بِسِنَاجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَأَمَّا  
 حَالُ الْجِبَايَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْحِسَابِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِرُتْبَةٍ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أَمِيَّةً  
 لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
 مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ مِمَّنْ يُجِيدُهُ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَأَمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَهُ  
 لِأَنَّ الْأَمِيَّةَ كَانَتْ صِفَتَهُمُ اللَّيِّ امْتَاذُوا بِهَا وَكَذَا حَالُ الْمُخَاطَبَاتِ وَتَنْفِيذِ الْأُمُورِ لَمْ  
 تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةٌ خَاصَّةٌ لِلْأَمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كَثْمَانَ الْقَوْلِ  
 وَتَأْدِيتِهِ وَلَمْ تُخْرَجِ السِّيَاسَةُ إِلَى اخْتِيَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
 الْمَلِكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنْ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيُسْتَجَادُ لِخَلِيفَتِهِ أَحْسَنَهَا لِأَنَّ  
 الْكُلَّ كَانُوا يَعْبُرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِأَبْلَغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَخْطُوطُ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

بَسْتَنْبِ فِي كِتَابِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مَنْ يُحْسِنُهُ وَأَمَّا مُدَانَعَةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ  
فَكَانَ مَحْظُورًا بِالشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَفْعَلُوهُ فَلَمَّا انْقَابَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابِ كَانُ أَوَّلُ شَيْءٍ بُدِيَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّهُ دُونَ الْجُيُورِ بِمَا  
كَانُوا يَخْشَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ اغْتِيَابِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ  
وَعُمَرَ بْنِ الْعَامِرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَرْذِحَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشَغْلِهِمْ بِهِمْ عَنْ  
الْمُهَيِّمَاتِ فَانْتَفَدُوا مَنْ يَقُومُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَمَّوهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبَهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَلَيْتِكَ حِجَابَةَ بَابِي إِلَّا عَنِ ثَلَاثَةِ الْمَوْزِنِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
اللَّهِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ فَأَمْرٌ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبِ الطَّعَامِ إِثْمًا يَفْسُدُ ثُمَّ اسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَاهَرَ الْمَشَاوِرُ وَالْمُعِينُ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَاسْتِنْلَافِهِمْ وَاطَّاعِي عَلَيْهِ أَسْمُ  
الْوَزِيرِ وَبَقِيَ أَمْرُ الْحِسْبَانِ فِي الْعَوَالِي وَالذَّمِيَّينِ وَاتَّخَذَ لِلسَّجَلَاتِ كَاتِبٌ مَخْصُوصٌ  
حَوْطَةٌ عَلَى أَسْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَهَرَ فَتَفْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِمِثَابَةِ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَخْبِيعُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْخَطُّ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ اللِّسَانُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ الْوِزَارَةُ لِذَلِكَ أَرْفَعُ رُتَبِهِمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ نَكَّانَ النَّظَرَ لِلْوَزِيرِ عَامًّا فِي أَحْوَالِ التَّدْبِيرِ وَالْمَعَاوِضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاكِ وَالْمَطَالِبَاتِ وَمَا يَتَّبَعُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي دِيْوَانِ الْجُنْدِ وَفَرَضَ الْعَطَاءَ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ وَعَظُمَتْ مَرَاتِبُهُ  
وَأَزْتَفَعَتْ وَعَظُمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ فِي انْفِذِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعَمَّتْ لَهَا الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجُعِلَ لَهَا النَّظَرُ فِي دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ  
لَمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِطَّتُهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاكِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظَرِ فِي جَمْعِهِ وَتَفْرِيقِهِ  
وَأُضِيفَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ ثُمَّ جُعِلَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْقَلَمِ وَالتَّرْمِيمِ لِصَوْنِ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لَمَّا كَانَ اللِّسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَجُعِلَ الْخَاتَمُ لِسَجَلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الذَّبَاغِ وَالشَّبَاغِ وَدَفِعَ إِلَيْهِ فَصَارَ أَسْمُ الْوَزِيرِ جَامِعًا لِحِطِّي السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَعَانِي الْوِزَارَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ حَتَّى أَقْدَمَ دُعَى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَقِيَامِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
الْحِجَابَةَ الَّتِي هِيَ الْقِيَامُ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لِاسْتِنْدِكَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي

الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتماور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان  
أخرى وصار الوزير إذا استبدت تحتاجا إلى استنابة الخليفة إياه لذلك لتصح الأحكام  
الشرعية وتجي على حالها كما تقدمت فانتسبت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي  
حال ما يكون السلطان قائما على نفسه وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير  
مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم  
يكن لأولئك المتغلبين أن يتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء  
في القاب لأنهم خول لهم فتسوا بآلامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى  
أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يجعله به الخليفة من القاب كما تراه في القابهم  
وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاهم للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى  
آخر دولتهم وقد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة يتحملها بعض الناس  
فأمهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولأنهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من  
لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات وأختصت به وصارت خادمة للوزير وأخذ  
اسم الأمير بصاحب الحروب والجنود وما يرجع إليها ويده مع ذلك عالية على أهل  
الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبدادا واستمر الأمر على هذا ثم جاءت  
دولة الترك آخرًا بمصر قرأوا أن الوزارة قد أبدلت بترفع أو أئيك عنها ودفعها لمن  
يقوم بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مروسة نافسة  
فاستنكفت أهل هذه الرتبة العالية في الدلالة عن اسم الوزارة وصار صاحب  
الأحكام والنظر في الجندي يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في  
مدلوله وأخذ اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية وأما دولة بني أمية بالاندلس  
فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم فسدوا خطته أضاقا وأفردوا لكل  
صنف وزيرًا فجعلوا الحسبان المال وزيرًا والترسيل وزيرًا والنظر في حوائج المتطلبين  
وزيرًا والنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش  
متصدرة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد بينهم وبين  
الخليفة واحد منهم أرتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن

مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَرْتَفَعَتْ خِطَّةُ  
 الْحَاجِبِ وَمَرَّتَبَتُهُ عَلَى سَائِرِ الرُّتَبِ حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ يَنْتَحِلُونَ لِقَبِّهَا فَأَكْثَرُهُمْ  
 يَوْمئِذٍ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَدَّ كُرُهُ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانِ وَكَانَ  
 لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُوحٌ فِي اللَّيَاوَةِ فَأَغْفَلُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطَطِ أَوْلًا وَتَفَجَّحَ أَسْمَائُهَا كَمَا  
 تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْفَلَتِ الْأَمْرَ  
 أَوْلًا لِلْيَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى انْتِحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ اسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ ثُمَّ  
 اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمَوِيِّينَ وَقَلَّدُوهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ وَأَخْتَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ  
 يَحْجُبُ السُّلْطَانَ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُفُودِ وَالِدَّخِلِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي تَحِيَّتِهِمْ  
 وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُفُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحِجَابَةِ عَنْهُ مَا  
 شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَيُسَوِّونَ  
 هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالنَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي الْأَقَاءِ وَالرَّحِيَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانِ  
 وَالتَّقْدِيمِ بِالْوُفُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدُّوَيْدَارِ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ اسْتِجَابَ كَاتِبِ السِّرِّ وَالْمَخَابِ  
 الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَبِالْحَامِرَةِ وَحَالِهِمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُوَلِّي الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

( الحِجَابَةُ ) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُغْلِقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى  
 قَدَرِهِ فِي مَوَائِنِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مُنْزَلَةً يَوْمًا عَنِ الْخِطَطِ مَرُوسَةً لَهَا إِذِ الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ  
 فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ فَبَعِيَ بِمِصْرَ مَرُوسَةً  
 إِصْحَابِ الْخِطَّةِ الْعَلِيَّا الْمَسْمُومِي بِالنَّائِبِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ  
 الْحِجَابَةُ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ  
 فَمَنْ دُونَهُمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَفِيعَةً غَايَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَابْنِ حَلِيدٍ وَغَيْرِهِ  
 مِنْ حِجَابِيِّهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْأَسْتَبْدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتَصَّ الْمُسْتَبَدُّ بِأَسْمِ الْحِجَابَةِ لِشَرَفِهَا  
 فَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَا فِي مَظَاهِرِ الْمَلِكِ وَأَطْوَارِهِ  
 جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ فَلَمْ يَتْرُكُوا أَمْبَهُاءَ وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ شَرَفًا لَهُمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مَلِكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمَلِكِ وَأَسْمَائِهِ لِأَبْدَلِهِ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوَزَارَتَيْنِ

يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابه على حجابة السلطان عن العامة والخاصة  
 وبدي الوزارتين عن جميعه لسانتي السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب  
 وأفريقية ذكرا لهذا الاسم للبدوة التي كانت فيهم ورثها يوجد في دولة العبيديين  
 بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل \* ولما جاءت دولة الموحدين لم  
 تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتميز الخط وتعيينها بالأسماء  
 إلا آخرها فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم  
 الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كأمين عطية وعبد السلام  
 الكوني وكان له مع ذلك النظر في الحساب والأشغال المالية ثم صار بعد ذلك  
 اسم الوزير لأهل نسب الدولة من الموحدين كآبن جامع وغيره ولم يكن اسم  
 الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ \* وأما بنو أبي حنص بأفريقية فكانت الرئاسة  
 في دولتهم أولا والتقدم لوزير والرأي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين  
 وكان له النظر في الولايات والعزل وقود المساكين والحروب وأخص الحسبان  
 والد يوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب الأشغال ينظر فيها النظر المطلق في  
 الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه  
 أن يكون من الموحدين وأخص عندهم القلم أيضا بمن يجيد التزويل ويؤمن  
 على الأمرار لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا التزويل بلسانهم فلم  
 يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين بداره إلى  
 قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وتزيبها من رزق وعطاء وكسوة  
 ونفقة في المطابخ والإضبيلات وغيرها وحضر الخبرة وتنفيذ ما يحتاج إليه في  
 ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب ورثها أضافوا إليه كتابة العلامة على  
 السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة ورثها جعلوه غيره واستمر الأمر على  
 ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل  
 الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت الخطبة  
 أرفع الرتب وأوعبها للخطبة ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر  
 منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الحجر

وَالْإِسْتِدَارَ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابِ الَّتِي كَانَتْ سَامًا إِلَيْهِ وَبَاشَرَ أُمُورَهُ كُلَّهَا بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ  
اسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَالْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرَيْنَ فَلَا أَثَرَ لِأَسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِقَاسَةُ الْحَرْبِ وَالْمَسَاكِرِ فَهِيَ لِلْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرَّسَائِلِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُخَصِّنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ أَخْتَصَّتْ بَعْضَ الْبُيُوتِ الْمُصْطَفِيَةِ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجُبُهُ عَنِ الْعَامَةِ فَهِيَ رُتَبَةٌ عِنْدَهُمْ فَيَسَى  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمَرْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْجُنَادِ رَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِبَابِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ وَتَصْرِيْفِ عُقُوبَاتِهِ وَإِنْزَالِ سَطْوَاتِهِ وَحِفْظِ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سُجُونِهِ وَالْعَرِيفُ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ قَالِبُ لَهُ وَآخِذُ النَّاسِ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَةِ رَاجِعٌ  
إِلَيْهِ فَكَانَتْهَا وَزَارَةُ صُغْرَى. وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تَمَيِّزَ الْخِطَطِ لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَخُصُّونَ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْفِذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانَ وَالسَّجَلِ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَاهُ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
تَبِعَتِهَا وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْمَخْصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيذِ حَالِ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَةِ بِسُمُونِهِ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ إِلَّا أَنَّهُ يُجْمَعُ لَهُ التَّرْسِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى السَّجَلَاتِ كُلِّهَا فَيَلِيسَ مِنْكَ خِطَّةُ الْعَامَةِ كَمَا لِيغْرِمُ مِنَ الدَّوْلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكَ بِمِصْرَ فَأَسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضِعٌ لِحَاكِمِهِ مِنْ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَهُمْ التُّرْكَ  
يُنْفِذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوَضِيفَةُ عِنْدَهُمْ تَمَّتْ وَضِيفَةُ  
النِّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ التَّوَابَةِ وَالْعَزَلُ  
فِي بَعْضِ الْوُضَائِفِ عَلَى الْأَحْيَانِ وَيَقْطَعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيُنْتَهَى وَتُنْفِذُ أَوْامِرُهُ  
كَمَا تُنْفِذُ الْمَرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ وَكَانَ لَهُ النِّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَالْحِجَابِ الْحُكْمِ فَقَطَّ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافِعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارٍ مِنْ أَبِي الْإِنْقِيَادِ لِلْحُكْمِ وَطَوْرُهُمْ  
تَمَّتْ طَوْرَ النِّيَابَةِ وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكَ هُوَ صَاحِبُ جِيَابَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
اِخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جِزْيَةٍ ثُمَّ فِي تَصْرِيْفِهَا فِي الْإِنْفَاقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ

أَوْ الْجَرَائِدِ الْمُقَدَّرَةِ وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلِيَةُ وَالْعَزْلُ فِي سَائِرِ الْعُمَالِ الْمُبَاشِرِينَ لَهُدِهِ  
الْجَبَايَةِ وَالْتَمَنِيْدِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَسْتَاثِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِيْطِ الْقَائِمِينَ عَلَى دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ وَالْجَبَايَةِ لِاخْتِصَامِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مِصْرَ مِنْذُ عَصُورٍ قَدِيْمَةٍ وَقَدْ يُوَلِّيهَا السُّلْطَانُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشُّوْكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْتَزَكِ أَوْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِذَلِكَ وَاللَّهُ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُصَرِّفُهَا بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والجبایات

إِعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنْ الْوُظَايِفِ الْفَرُورِيَّةِ لِلْمَلِكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْجَبَايَاتِ وَحَنِظُ حَقُوقِ الدَّوْلَةِ فِي الدَّخْلِ وَالخَرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَسْمَائِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرَفِ أَعْطِيَاثِهِمْ فِي إِبَانَاتِهَا وَالرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَانِينِ الَّتِي يَرْتَبِهَا قَوْمَةُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَقَهَارِمَةُ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَنْطُورَةٌ فِي كِتَابِ شَاهِدِ بِنْفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالخَرْجِ مَبْنِيٌّ عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْمَهْرَةُ مِنْ أَهْلِ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْدِيْوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْعُمَالِ  
الْمُبَاشِرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كِتَابِ  
دِيْوَانِهِ وَهُمُ يَحْسِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَانَهُمْ يُعَادِثُونَ فَقَالَ دِيْوَانَهُ أَيْ نَجَائِنُ بِلُغَةِ الْفَرَسِ  
فَسَمِيَتْ مَوْضِعُهُمْ بِذَلِكَ وَحُدِفَتْ إِلَيْهَا لِكثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ تَخْفِيْفًا فَقَبِلَ دِيْوَانٌ ثُمَّ نُقِلَ هَذَا  
الِاسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْقَوَانِينِ وَالْحِسْبَانَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمٌ  
لِلشَّيْطَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ تَقْوِيْمِهِ فِي قَهْمِ الْأُمُورِ وَوُقُوفِهِمْ عَلَى  
الْجَلِيِّ مِنْهَا وَالخُفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا فَيَتَنَاوَلُ اسْمُ الدِّيْوَانِ كِتَابَ الرِّسَائِلِ وَمَكَانَ جُلُوسِهِ بِيَابِ السُّلْطَانِ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تَفَرَّدَ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ بِنَاطِرٍ وَاحِدٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يَفْرُدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَاطِرٍ كَمَا يَفْرُدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَإِفْطَاكَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أَعْطِيَاثِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا فَرَزَهُ أَوْلُوهَا . وَأَعْلَمُ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ فِي الدُّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْغَلْبِ وَالْأَسْتِبْلَاءِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَاثِ الْمَلِكِ وَفُنُونِ التَّمْهِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيْوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عُمَرُ



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبَبِ مَا آتَى بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَأَسْتَكْتَرُوهُ  
 وَتَعَبُوا فِي قَسْمِهِ فَسَمَوْا إِلَى إِحْصَاءِ الْأَمْوَالِ وَضَبَطِ الْعَطَاءِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
 الْوَلِيدِ بِالْدِيَّوَانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يَدْوُونُونَ فَعَبِلَ مِنْهُ عُمَرُ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
 الْهَرَمِزَانُ لَمَّا رَأَاهُ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ بِغَيْرِ دِيَّوَانٍ فَقِيلَ لَهُ وَمَنْ يَعْلَمُ بِغَيْبِهِ مِنْ بَغِيْبٍ مِنْهُمْ  
 فَإِنَّ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَى بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُطُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثَبَتْ لَهُمْ دِيَّوَانًا وَسَأَلَ  
 عُمَرُ عَنْ اسْمِ الدِّيَّوَانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَحَزْرَمَةَ  
 ابْنُ نُوْفَلٍ وَجُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كُتَّابِ قُرَيْشٍ نَكَبُوا دِيَّوَانَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
 عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
 فَأَلْفَاقْرَبُ مَكَّدًا كَانَ ابْتِدَاءُ دِيَّوَانِ الْجَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْمَسِيْبِ  
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَمَّا دِيَّوَانُ الْخُرَاجِ وَالْجَبَايَاتِ فَبَقِيَ بَعْدَ  
 الْإِسْلَامِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيَّوَانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيَّوَانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
 وَكُتَابِ الدَّوَاوِينِ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ التَّرْبِيقِينَ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَأَسْتَحَالَ  
 الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْتَقَلَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَّاضَةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْتَقِ الْحِضَارَةِ وَمِنْ سَنَاجِدِ  
 الْأَمِيَّةِ إِلَى حِنْدِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهْرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسْبَانِ  
 فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنَ سَعْدٍ وَابْنَ الْأَزْدِ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْقُلَ دِيَّوَانَ الشَّامِ إِلَى  
 الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ بَوْمِ ابْتِدَائِهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سَرْحُونُ كَاتِبُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
 لِكُتَّابِ الرُّومِ أَطْلُبُوا الْعَيْشَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيَّوَانُ  
 الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ كَاتِبَهُ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
 وَلَقِنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ فَرُوخَ كَاتِبِ الْحَجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قُتِلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ الْأَشْعَثِ اسْتَخْلَفَ الْحَجَّاجُ صَالِحًا هَذَا مَكَانَهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَنْقُلَ الدِّيَّوَانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
 إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ففَعَلَ وَرَغِمَ لِنَاكَ كُتَّابُ الْفَرَسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لَهُ دَرُّ  
 صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مِنتَهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي مَهَلٍ بَنِي نُوبَخْتِ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنْ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوِظِيْفَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِمَا  
 يَخْتَصُّ بِالْجَيْشِ أَوْ يَنْتِ الْعَمَالِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَتَمْيِيزِ النُّوَاحِي بِالصَّلْحِ وَالْعَنْوَةِ وَفِي تَقْلِيدِ

هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتائب وقوانين الحسابات فأمر راجع  
إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسطورة هناك وليست من غرض كتابنا وإنما تكلم  
فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من  
الملك بل هي ثلثه أركانه لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه  
فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد  
صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالاندلس  
والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين  
يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظير الولاية والعمال فيها  
ثم تنفيذها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الأشغال وكان ربما يليها  
في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بأفريقية وكان شأن  
الجمالية من الأندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الأندلس  
مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني أبي الحسن فاستكفوا بهم  
في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالاندلس ودألوا فيها بينهم وبين  
الموحدين ثم استقل بها أهل الحسبان والكتائب وخرجت عن الموحدين ثم لما  
استغلظ أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم  
وصار صاحبه مروءة للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت  
له في الدولة وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد  
وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظيره  
معتب ينظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسبان في الخارج والعطاء  
هذه أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
للسلطان وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمتموعة وصاحب ديوان العطاء يعرف  
بناظر الجيش وصاحب المال مخصص بأسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع إلى  
رتب كثيرة لا تنساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال والجبايات عن  
أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتمين للنظر العام

منها هذا الخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لعمولى من موالى السلطان وأهل عصبيته وأرباب السيوف في الدولة يزوج نظر الوزير إلى نظره ويتعهد جنده في متابعتيه ويسمى عندهم أستاذ الدولة وهو أحد الأمراء الأكبر في الدولة من الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال والحسبان مقصورة النظر إلى أمور خاصة مثل نظير الخاص وهو الدباشر لأموال السلطان الخاصة به من إقطاعاته أو سهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار وإن كان الوزير من الجند فلا يكون لأستاذ الدار نظره عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من ممالىكهم المسمى خازن الدار لأختصاص وظيفتها بمال السلطان الخاص . هذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من أمرها بالمغرب والله مصرف الأمور لا رب غيره

### ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستفتاء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فعاز الكتاب يؤذي كونه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسه ومن عطفه كما كان للعقلاء وأمراء العصابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أشرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة أخص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس ربيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقا ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسقى طين الختم ويطبغ به على طرفي السجل عند طيه وإصافه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامة أولا أو آخر على حسب الاختيار في عملها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بأرتناع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة المحكم

بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك  
 الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن العجاجة وصار أمرها إلى التفويض  
 ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة إبتاعا لما سلف من أمرها  
 فصارت الحاجب يريم الكاتب إمضاء كتابه ذلك بخط يضمنه ويتخير له من صيغ الإنقاذ  
 ما شاء ليأتمر الكاتب له ويضع العلامة الممتدة وقد يختص السلطان لنفسه بوضع  
 ذلك إذا كان مستبدا بأمره قائما على نفسه فيريم الأمر للكاتب ليضع علامته\* ومن  
 خطب الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه  
 وقصده ويوقع على القصص المرفوعة إليها أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز  
 لفظ وأبلغه فإما أن تصدر كذلك وإما أن يحدو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد  
 صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعها وقد كانت  
 جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها  
 فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها  
 حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار ومكثدا كان شأن القول\* وأعلم  
 أن صاحب هذه الخطة لا بد من أن يتخير أرفع طبقات الناس وأهل المروءة  
 والحسنة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما  
 يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة  
 الملوك من القيام على الآداب والتخلي بإقتضائهم مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق  
 مقاصد الكلام من البلاغة وأمرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة  
 إلى أرباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لأجل سداجة  
 العصبية فيختص السلطان أهل عصبيته بخطب دولته وسائر رتبة يقيّد المال والسيف  
 والكتابة منهم فأما رتبة السيوف فتستغني عن معاناة العلم وأما المال والكتابة  
 فيضطر إلى ذلك البلاغة في هديه والحسبان في الأخرى فيختارون لها من هذه الطبقة  
 ما دعت إليه الضرورة ويقلدونه إلا أنه لا تكون يد آخر من أهل العصبية غالبة  
 على يده ويكون نظره منصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق  
 فإن الكتابة عندهم وإن كانت لصاحب الإنشاء إلا أنه تحت يد أمير من أهل

عَصِيَّةِ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ بِالذُّوَيْدَارِ وَتَعْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُثُوقُهُ بِهِ وَأَسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَقَاصِدِ وَكُشْمَانِ الْأَسْرَارِ  
وَعَبْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمَعْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرَّتَبَةِ الَّتِي يُلَاحِظُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَأَنْتِقَائِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكِتَابِ وَحِيٌّ أَمَّا بَعْدُ فَحَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطْكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُكْرَمِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَصَرَّفْتُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ التَّحَاوُلَاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَايِسِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ  
أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ بِكُمْ بِنْتِظِمِ الْخِلَافَةِ تَحَاسِنًا وَتَسْتَقِيمِ أُمُورِهَا  
وِنُصْحَائِكُمْ بِصَلْحِ اللَّهِ لِلْخَلْقِ سُلْطَانِهِمْ وَتَعَمُّرِ بِلَادِهِمْ لَا يَسْتَفْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجِدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ  
وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ وَالسِّنْتِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطَشُونَ فَأَمْتَعَكُمْ  
اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَخْرَجَ إِلَى أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْعَمُودَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا بَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صِنْتِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي  
بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحَلِيمِ قَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحَكِيمِ مَقْدَمًا  
فِي مَوْضِعِ الْإِفْدَامِ مُعْجِمًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطُّوَارِقَ فِي أَمَاكِنِهَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْكَمَهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بِغَيْرِزَةِ عَقْلِهِ وَحَسَنِ أَدَبِهِ وَفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وُرُودِهِ وَعَاقِبَتُهُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عِدَّتَهُ وَعِتَادَهُ وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ  
وَعَادَتَهُ فَنَتَنَافَسُوا يَا مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَابِ وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنْتِكُمْ ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حَلِيَّةٌ

كُتِبَ كُمْ وَأَزُودُوا الْأَشْعَارَ وَأَعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالنَّجْمِ وَأَحَادِيثَهَا  
 وَسِيرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمَعُونَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَا تُضِعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
 فَإِنَّهُ قِوَامُ كُتَابِ الْخُرَاجِ وَأَزْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَابِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا وَسَنَسَفَ  
 الْأُمُورَ وَتَحَاقَرَهَا فَإِنَّهَا مُدِلَّةٌ لِلرِّقَابِ مُفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ وَنَزَّهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ  
 وَأَزَبَاوَا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَنَاهَاتِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ  
 وَالسَّخْفَ وَالْأَعْظَمَةَ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
 وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ الْيَقِينُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنْ نَبَا الزَّمَانَ  
 بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَأَسُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ وَيَثُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَقْعَدَ  
 أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبْرَ عَنِ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَرُودُهُ وَعَظْمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَأَسْتَظْهِرُوا  
 بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلَيْكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَأَسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ  
 حَاجَتِهِ إِلَيْهَا أَحَاطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصِفُهَا إِلَّا إِلَى  
 صَاحِبِهَا وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْتَدِرِ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ  
 الْحَالِ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْقُرَاءِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَكُمْ فَقَدْ  
 عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ  
 عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَأَحْتِمَالِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكَيْفَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ  
 مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّهِ وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ بِفَعَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْأَضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَشْعَرُوا  
 ذَلِكَ وَفَقَّحُوا اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحَرْمَانِ وَالْمُؤَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
 وَالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ فَنِعِمَّتِ السَّيْمَةُ هَذِهِ مِنْ وَسْمِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
 وَتَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْصِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ فَلْيُرَاقِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُوَثِّرْ  
 طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ إِلَيْهِ  
 أَرْزَقَهُمْ بِعِيَالِهِ ثُمَّ لَيْكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفُقَرَاءِ مُؤَفِّرًا وَلِلْبِلَادِ  
 عَامِرًا وَلِلرَّعِيَّةِ مُتَالِفًا وَعَنْ أَذَاهُمْ مُخَالِفًا وَلْيَكُنْ فِي تَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي مَحَلَّاتِ  
 خُرَاجِهِ وَأَسْتِقْضَاءِ حُقُوفِهِ رَفِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلَاتِقَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
 حُسْنَهَا وَقُبْحَهَا آعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحُسْنِ وَأَحْتَالَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقُبْحِ  
 بِاللِّطْفِ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهِيمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِسِيَاسَتِهَا

أَلْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَبْرَحْهَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شِبُوبًا أَثَقَاهَا  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُودًا تَوَقَّأَهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُونًا قَمَعَ  
 بِرَفْقِي هَوَاهَا فِي طَرَفِهَا فَإِنْ أَحْتَمَرَتْ عَطَنَهَا بِسِيرٍ فَيَسْلُسُ لَهُ قِيَادُهَا وَفِي هَذَا الْوَصْفِ  
 مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَالِيلٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْمَكَاثِبُ بِفَضْلِ  
 أَدْبِهِ وَشَرِيفِ صُنْعَتِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُعَاوَرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَاطِرُهُ وَيَنْهَمُّ  
 عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ أَوْ لِي بِالرِّفْقِي لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ  
 الَّتِي لَا تُخْبِرُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَقْدِرُ خَطَايَا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصِيرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
 الرَّكْبُ عَلَيْهَا إِلَّا فَارْتَفَعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أَمَرَكُمْ فِيهِ مِنْ  
 الرُّؤْيَةِ وَالْفِكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ وَالْإِسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَبَصِيرُ  
 مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَاقِفِ وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ وَالشَّفَقَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُعَاوِرَنَّ  
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَبِنَائِهِ وَخَدْمِهِ وَغَيْرِ  
 ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدَرِ حَقِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صُنْعَتِكُمْ خَدْمَةً  
 لَا تُحْمَلُونَ فِي خَدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحَفِظَةُ لِأَعْمَلِ مِنْكُمْ أفعالِ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْدِيرِ  
 وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ وَتَصَمَّتْ عَلَيْكُمْ وَأَحْذَرُوا  
 مَتَالِفَ السَّرْفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرْفِ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيُدِلَانِ الرَّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
 وَسَيِّمَا الْكُتَابِ وَأَرْبَابِ الْأَدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهَ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
 مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتِكُمْ ثُمَّ اسْلُكُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّبْدِيرِ أَوْجُهًا  
 مَحَجَّةً وَأَصْدَقَهَا حُجَّةً وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّبْدِيرِ أُمَّةً مُتَّفِقَةً وَهِيَ الْوَصْفُ الشَّائِلُ  
 لِصَاحِبِهِ عَنِ اتِّقَازِ عِلْمِهِ وَرُؤْيَتِهِ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ  
 مَنَطِقِهِ وَلْيُوجِزْ فِي أَبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصَالِحَةٌ لِأَعْمَلِهِ  
 وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّائِلِ عَنْ إِكْثَارِهِ وَلِيَضْرَعَ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَةِ تَوْفِيقِهِ وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ وَمَخَافَةَ  
 وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِيَدَيْهِ وَعَقْلِهِ وَأَدْبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ خَانَ مِنْكُمْ ظَنَّ أَنْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ  
 الَّذِي بَرَزَ مِنْ حَبِيلِ صُنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ  
 تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكْفِيَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
 كَلَفٍ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ

لِعِبَادِهِ التَّدْبِيرِ مِنْ مَرَاتِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعَجَبِ وَرَأَى ظَهْرَهُ وَرَأَى أَنْ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَخْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبِينَ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَازٍ بِرَأْيِهِ وَلَا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَاثِرَ عَلَى أُخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعِظَمَتِهِ وَالتَّنَذُّلِ لِعِزَّتِهِ وَالتَّعَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ تَلْزَمِهِ النَّصِيحَةَ بِإِزْمَةِ الْعَمَلِ وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَيْرُهُ كَلَامِي بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَنَمَّتُهُ بِهِ تَوْلَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَشَرَّ الطَّلَبَةِ وَالْكِتَابَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَدِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

(الشرطة) \* وَيُسَى صَاحِبِهَا لِهَذَا الْهَدْيِ بِأَفْرِيْقِيَةِ الْحَاكِمِمْ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ صَاحِبِ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ الرَّوَالِي وَهِيَ وَظِيْفَةٌ مَرُؤُوسَةٌ لِصَاحِبِ السَّيْفِ فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِي صَاحِبِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ أَسْلُ وَضَعِيهَا فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُقِيمُ أَحْكَامَ الْجُرَائِمِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْحُدُودَ بَعْدَ اسْتِيفَائِهَا فَإِنَّ التَّهْمَ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْجُرَائِمِ لَا نَظَرَ لِلسَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهَا وَلِلسِّيَاسَةِ النَّظَرُ فِي اسْتِيفَاءِ مُوجِبَاتِهَا بِإِفْرَازٍ يُكْرَهُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ إِذَا أَحْتَفَتْ بِهِ الْقَرَائِنُ لِمَا تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهَذَا الْأَسْتِبْدَادِ وَبِاسْتِيفَاءِ الْحُدُودِ بَعْدَهُ إِذَا تَنَزَّ عَنْهُ الْقَاضِي يُسَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْحُدُودِ بِالْأَمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهَا مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي وَنَزَّهُوا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَقَلَّدُوهَا كِبَارَ الْقَوَادِ وَعُظَمَاءَ الْأَخَاصِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةَ التَّنْفِيذِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَتْ حُكْمُهُمْ عَلَى الْأَهْمَاءِ وَأَهْلِ الرَّيْبِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الرِّعَاعِ وَالْقَبْرَةِ ثُمَّ عَظُمَتْ نِبَاهَتُهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَنُوعَتْ إِلَى شَرْطَةِ كَبْرَى وَشَرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ حُكْمُ الْكَبْرَى عَلَى الْأَخَاصِ وَالْأَهْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظُّلَامَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِ وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بِالْعَامَّةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكَبْرَى كُرْمِيٌّ بِبَابِ دَارِ السُّلْطَانِ وَرِجَالٌ يَتَبَوَّؤْنَ الْمَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَصْرِيفِهِ وَكَانَتْ



وَلَا يَتَّهَمُ لِأَكْبَرٍ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلوِزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ  
وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ بِالمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حِطٌّ مِنَ التَّنْوِيهِ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوهَا  
عَامَةً وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا رِجَالُ المُوَحِّدِينَ وَكِبَرًاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّحَكُّمُ عَلَى أَهْلِ  
المَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ فَسَدَ اليَوْمَ مَنْصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رِجَالِ المُوَحِّدِينَ وَصَارَتْ  
وَلَا يَتَّهَمُ لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنَ المُصْطَنَعِينَ . وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهذا المَهْدِ بِالمَشْرِقِ  
فَوَلَا يَتَّهَمُ فِي بُيُوتِ مَوَالِيهِمْ وَأَهْلِ أَصْطِنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالمَشْرِقِ فِي رِجَالِ  
التُّرْكِ أَوْ أَعْقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكِ يَتَخَبَّرُونَهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ  
مِنَ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الأَحْكَامِ ائْتَقَعَ مَوَادِّ الفَسَادِ وَحَسَمَ أَبْوَابَ الذُّعَارَةِ وَتَخَرَّبَ  
مَوَاطِنَ الفُسُوقِ وَتَفَرَّقَ بِمَجَامِعِهِ مَعَ إِقَامَةِ الأَخْذِودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا نَقَضِيهِ رِعَايَةَ  
المَصَالِحِ العَامَّةِ فِي المَدِينَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ العَزِيزُ الجَبَّارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
(قيادة الاساطيل) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخِطَطِهَا فِي مُلْكِ المَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ  
وَمَرُوسَةُ إِصْحَابِ السَّيْفِ وَتَمَّتْ حُكْمُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبَهَا فِي  
عُرْفِهِمُ البَلْمَنْدُ بِتَفْخِيمِ الأَلَمِ مَنقُولًا مِنْ لُغَةِ الأَفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْطِلَاحِ لُغَتِهِمْ  
وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ المَرْتَبَةُ بِمُلْكِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالمَغْرِبِ لِأَنَّهَا جَمِيعًا عَلَى ضِفَّةِ البَحْرِ  
الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ وَعَلَى عُدُوْتِهِ الجَنُوبِيَّةِ بِبِلَادِ البَّرْبَرِ كُلِّهِمْ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى  
الشَّامِ وَعَلَى عُدُوْتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِبِلَادِ الأَنْدَلُسِ وَالأَفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالرُّومِ إِلَى بِلَادِ  
الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى البَحْرُ الرُّومِيُّ وَالبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُدُوْتِهِ وَالسَّاكِنُونَ  
بِسَيْفِ هَذَا البَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُدُوْتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تُعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
البَحَارُ فَقَدْ سَكَنَتْ الرُّومُ وَالأَفْرَنْجِيَّةُ وَالْقُوطُ بِالعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا البَحْرِ الرُّومِيِّ  
وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمِتَاجِرِهِمْ فِي السَّنَنِ فَكَانُوا مَهْرَةً فِي رُكُوبِهِ وَالحَرْبِ فِي  
أَسَاطِيلِهِ وَلَمَّا أَسَفَ مِنْ أَسَفٍ مِنْهُمْ إِلَى مُلْكِ العُدُوَّةِ الجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ الرُّومِ إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ  
وَالْقُوطِ إِلَى المَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الأَسَاطِيلِ وَمَلَكُوهَا وَتَغَلَّبُوا عَلَى البَّرْبَرِ بِهَا وَانْتَزَعُوا  
مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْرَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا المَدُنُ الخَافِئَةُ مِثْلَ قَرْطَاجَةَ وَسَبِيْطَلَةَ وَجَلُولَاءَ وَمِرْنَاقَ  
وَشِرْشَالَ وَطَنْجَةَ وَكَانَ صَاحِبُ قَرْطَاجَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِحَارِبٍ صَاحِبِ رُومَةَ وَيَبْعَثُ  
الأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَشْحُونَةً بِالعَسَاكِرِ وَالعِدَدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا البَحْرِ

السَّاكِنِينَ حَفَافِهِ مَعْرُوفَةٌ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ مِصْرَ كَتَبَ عُمَرُ  
 ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ صِفَ لِي الْبَحْرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ  
 أَنَّ الْبَحْرَ خَلْقٌ عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ دُودٌ عَلَى عُدُوٍّ فَأَوْعَزَ حِينَئِذٍ بِبَيْعِ الْمُسْلِمِينَ  
 مِنْ رُكُوبِهِ وَلَمْ يَرْكَبْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَنْ أَفْتَتَ عَلَى عُمَرِ فِي رُكُوبِهِ وَنَالَ مِنْ  
 عِقَابِهِ كَمَا فَعَلَ بِعَرْفَجَةَ بْنِ هُرَيْثَةَ الْأَزْدِيِّ سَيِّدِ بَيْعِلَةَ لَمَّا أَغْرَاهُ عُمَانُ بِبَيْعِهِ غَزْوَهُ  
 فِي الْبَحْرِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَعَنْفَهُ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْغَزْوِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا  
 كَانَ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ أُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رُكُوبِهِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ  
 أَنَّ الْعَرَبَ لِيَدَاوِيهِمْ لَمْ يَكُونُوا مَهْرَةً فِي ثِقَاتِهِ وَرُكُوبِهِ وَالرُّومُ وَالْإِفْرَنْجَةُ لِمَارَسَتِهِمْ  
 أَحْوَالَهُ وَمَرْبَاهُمْ فِي التَّقَابِ عَلَى أَعْوَادِهِ مَرِنُوا عَلَيْهِ وَأَحْكَمُوا الدَّرَابَةَ بِثِقَاتِهِ فَلَمَّا  
 اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَشَخَّ سُلْطَانُهُمْ وَصَارَتْ أُمَّمُ الْعَجَمِ خَوْلَاءَهُمْ وَتَمَّتْ أَيْدِيهِمْ  
 وَتَقَرَّبَ كُلُّ ذِي صَنْعَةٍ إِلَيْهِمْ بِمَبْلَغِ صِنَاعَتِهِ وَاسْتَفْتَدُوا مِنَ التَّوَاتِيئَةِ فِي حَاجَاتِهِمْ  
 الْبَحْرِيَّةِ أُمَّمًا وَتَكَرَّرَتْ مِمَارَسَتُهُمْ لِلْبَحْرِ وَثِقَاتُهُ وَاسْتَفْتَدُوا بِصِرَاءِ رِيَابِهَا فَشَرُّوا إِلَى  
 الْجِهَادِ فِيهِ وَأَنْشَأُوا السُّفُنَ فِيهِ وَالشُّبْرَانِيَّ وَشَخَّنُوا الْأَسَاطِيلَ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَأَمْطَوْهَا  
 الْعَسَاكِرَ وَالْمُقَابِلَةَ لِمَنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ وَأَخْتَصُوا بِذَلِكَ مِنْ مَمَالِكِهِمْ  
 وَتَعُورِهِمْ مَا كَانَ أَقْرَبَ لِهَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى حَافِيهِ مِثْلَ الشَّامِ وَأَفْرِيْقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 وَأَوْعَزَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ عَامِلِ أَفْرِيْقِيَّةَ بِاتِّخَاذِ دَارِ صِنَاعَةِ  
 بِيْتُونِسَ لِأَنْشَاءِ الْآلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ حِرْصًا عَلَى مَرَامِهِ الْجِهَادِ وَمِنْهَا كَانَ فُتِحَ صِفَالِيَّةَ أَيَّامَ  
 زِيَادَةَ اللَّهِ الْأَوَّلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى يَدِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ شَيْخِ الْفَتِيَا وَفُتِحَ  
 قَوْصِرَةَ أَيْضًا فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ أَعَزَى صِفَالِيَّةَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ  
 أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَقَائِدِهِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ  
 وَكَانَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسَاطِيلُ أَفْرِيْقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ تَتَعَابَبُ  
 إِلَى بِلَادِهِمَا فِي سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَتَجُوسُ خِلَالَ السُّوَاهِلِ بِالْإِفْسَادِ وَالْتَحْرِيْبِ وَأَنْتَهَى  
 اسْطُولُ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ إِلَى مَا تَنَتِي مَرْكَبُ أَوْ نَحْوِهَا وَاسْطُولُ  
 أَفْرِيْقِيَّةَ كَذَلِكَ مِثْلَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ قَائِدُ الْأَسَاطِيلِ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ دُمَاحِسَ  
 وَسَرَفَاها لِلْحَطِّ وَالْإِفْلَاحِ بِجَاهِةٍ وَالْمِرْيَةِ وَكَانَتْ أَسَاطِيلُهَا مُجْتَمِعَةً مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ

مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لِيَتَّخِذَ فِيهِ السُّفُنُ اسْتَطُولُ يُرْجَعُ نَظَرُهُ إِلَى قَائِدٍ مِنَ النَّوَابِيَةِ يَدِيرُ أَمْرَ حَرْبِهِ  
 وَسِلَاحِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ وَرَأْسُ يَدِيرُ أَمْرَ جَرَيْتِهِ بِالرَّيْحِ أَوْ بِالْحِجَازِ فِي وَأَمْرَ إِزْسَانِهِ فِي  
 مَرَفَتِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَسَاطِيلُ لِفَزْوِمْحَتِمْ أَوْ غَرَضِ سُلْطَانِي مِهِمْ عَسْكَرَتِ بِمَرَفَتِهَا  
 الْمَعْلُومِ وَمَحْنَهَا السُّلْطَانُ بِرِجَالِهِ وَأَنْجَادِ عَسَاكِرِهِ وَمَوَالِيهِ وَجَمَلَهُمْ لِنَظَرِ أَمِيرٍ وَاحِدٍ  
 مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَرْجِعُونَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسْرِعُهُمْ لَوَجْهِهِمْ وَيَنْتَظِرُ  
 أَيَّاهُمْ بِالْفَتْحِ وَالْفَتْحِ وَالْفَتْحِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِهَيْدَةِ الدُّوَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ غَلَبُوا عَلَى هَذَا  
 الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَعَظُمَتِ صَوْلَتُهُمْ وَسُلْطَانُهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ  
 قَبْلُ بِأَسَاطِيلِهِمْ شَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ وَأَمْتَوُوا ظَهْرَهُ لِفَتْحِ سَائِرِ أَيَّاهُمْ فَكَانَتْ لَهُمْ  
 الْمَقَامَاتُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْفَتْحِ وَالْفَتْحِ وَمَلِكُ سَائِرِ الْجَزَائِرِ الْمُنْقَطِعَةِ عَنِ السَّوَاهِلِ  
 فِيهِ مِثْلُ مَيُورِقَةَ وَمَنُورِقَةَ وَيَابِسَةَ وَسِرْدَانِيَّةَ وَصَقْلِيَّةَ وَقَوْصِرَةَ وَمَالِطَةَ وَأَفْرِيطِشَ  
 وَقَبْرُسَ وَسَائِرِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَالْإِفْرَنْجِ وَكَانَ أَبُو الْفَاسِمِ الشَّرِيعِيُّ وَأَبْنَاؤُهُ يَغْزُونَ  
 أَسَاطِيلَهُمْ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ جَزِيرَةَ جَنُودَ فَتَنَقَّلُوا بِالظَّفَرِ وَالْفَتْحِ وَأَفْتَحَ تَجَاهِدَ الْعَامِرِيِّ  
 صَاحِبُ دَانِيَّةَ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ جَزِيرَةَ سِرْدَانِيَّةَ فِي أَسَاطِيلِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 وَأَرْبَعِينَ النَّصَارَى لَوْفَتَهَا وَالْمُسْلِمُونَ خَلَالِ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ لُجَّةِ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَصَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِمْ جَائِيَّةً وَذَاهِبَةً وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجِيزُ الْبَحْرَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ مِنْ صَقْلِيَّةَ إِلَى الْبَرِّ الْعَظِيمِ الْمَقَابِلِ لِمَا مِنَ الْعُدُوةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتُفَعُّ بِمُلُوكِ  
 الْإِفْرَنْجِ وَتُشْخِنُ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صَقْلِيَّةِ الْقَائِمِينَ  
 فِيهَا يَدْعُوهُ الْعَبِيدِيُّونَ وَأَنْحَازَتْ أُمَّةُ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْجَنَابِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ  
 مِنْهُ مِنَ السَّوَاهِلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لَا يَمْدُونَهَا وَأَسَاطِيلُ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ ضِرَاءَ الْأَسَدِ عَلَى فَرِيْسَتِهِ وَقَدْ مَلَأَتْ الْأَكْثَرَ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ  
 عُدَّةً وَعَدَدًا وَأَخْتَلَفَتْ فِي طَرُقِهِ سَلْمًا وَحَرْبًا فَلَمْ تَظْهَرْ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِيهِ الْوَأَحُ حَتَّى إِذَا  
 أَدْرَكَ الدُّوَلَةَ الْعَبِيدِيَّةَ وَالْأُمُورِيَّةَ الْفُشْلُ وَالْوَهْمُ وَطَرَقَهَا الْأَعْتِلَالُ مَدَّ النَّصَارَى أَيْدِيَهُمْ  
 إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَ صَقْلِيَّةَ وَأَفْرِيطِشَ وَمَالِطَةَ فَمَلِكُوها ثُمَّ الْخَوَاتِلِ السَّوَاهِلِ الشَّامِ  
 فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَمَلِكُوا طَرَابُلُسَ وَعَسَقَلَانَ وَصُورَ وَعَكَّاءَ وَاسْتَوْلُوا عَلَى جَمِيعِ الثُّغُورِ  
 بِالسَّوَاهِلِ الشَّامِ وَغَلَبُوا عَلَى يَتِّ الْمَقْدِسِ وَبَنُوا عَلَيْهِ كَيْسَةً لِمَظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَغَلَبُوا

بني خزرون على طرابلس ثم على قايس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهديّة مقرّ  
مأوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة  
الكرّة بهذا البحر وضعت شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم  
يعتوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد أن كان لهم به في الدولة العبيديّة عناية تجاوزت  
الحُد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك وبقيت  
بأفريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد  
موفور الأساطيل ثابت القوة لم يهينه عدو ولا كانت لهم به كرامة فكان قائد  
الأسطول به العهد لمتونة بن ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها  
عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد  
العدوتين جميعاً \* ولما استحكمت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكانت قائده  
أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صدّ غبار الموطنين بجزيرة سرويكش أسره النصارى  
من سواحلها وربّي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك ووليّ ابنه  
فأسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه ولحق يتونس ونزل على السيد بها من بني  
عبد المؤمن وأجاز مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرّة  
والكرامة وأجزل الصلة وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية وكانت  
له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
المسلمين على عهده في الكثرة والاستجداء إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما  
عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهديه باسترجاع  
ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس تابعت أساطيلهم بالمدد  
للك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فأمدهم  
بالعدد والأفوات ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك  
الجانب الشرقي من البحرية وتعدّد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
عن ممانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
سأطان المغرب لعهد من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ

مُلُوكِ شِيزَرٍ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ فَبَعَثَ عَبْدَ الصَّرِيمِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِتَحُولِ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَاهِمِ مِنْ أَمْدَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِشُغُورِ الشَّامِ وَأَصْحَبَةِ كِتَابِهِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّانِيِّ يَقُولُ فِي افْتِتَاحِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَنَاجِحِ وَالْمِيَامِنِ حَسْبَمَا  
 نَقَلَهُ الْعِمَادُ الْأَصْنَهَائِيُّ فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقَيْسِيِّ فَنَقِمَ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ نَجَافِيهِمْ عَنْ  
 خِطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَمَاهِمُ عَلَى مَنَاجِحِ الْبَرِّ وَالْمَكْرَامَةِ وَرَدَّهُمْ  
 إِلَى مَرَسِلِهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 غِنَايَةِ الدَّوْلَةِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ لِشَأْنِ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْأَسْتِعْدَادِ  
 مِنْهَا لِلدَّوْلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَأَعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَأَسْتَوْلَتْ أُمَّةُ  
 الْجَلَالِيَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْجَاوَا وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى سِيفِ الْبَحْرِ وَمَلَكُوا  
 الْجَزَائِرَ الَّتِي بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ قَوِيَتْ رِيحُهُمْ فِي بَسْطِ هَذَا الْبَحْرِ وَأَشْتَدَّتْ  
 شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمَسَاوَاةِ مَعَهُمْ  
 كَمَا وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ مَلِكِ زَنَاتَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ  
 مَرَامِهِ الْجِهَادِ مِثْلَ عُدَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ لِضَعْفِ الدَّوْلَةِ وَنِسْبَانِ عَوَائِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْبَدَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَأَنْقِطَاعِ  
 الْعَوَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجَعَ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الذُّبَابَةِ فِيهِ وَالْمِرَانِ  
 عَلَيْهِ وَالْبَصْرِ بِأَحْوَالِهِ وَعَلَبِ الْأُمَمِ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمُ الْمِرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثْرَةً مِنَ الْأَنْصَارِ  
 وَالْأَعْوَانِ أَوْ قَلَّةً مِنَ الدَّوْلَةِ تَسْتَجِيشُ لَهُمْ أَعْوَانًا وَتُوضِحُ لَهُمْ فِي هَذَا الْفَرَضِ مَسْلَكًا  
 وَبَقِيَتِ الرُّنْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الدَّوْلَةِ الْغَرْبِيَّةِ مَحْفُوظَةً وَالرَّمْسُ فِي مُعَانَاةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ  
 وَالرُّكُوبِ مَعْبُودًا لِمَا عَسَاهُ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَغْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ  
 الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَهْبِئُونَ الرَّيْحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ فَمِنَ الْمُشْتَهَرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 عَنْ كُتُبِ الْخُدَّانِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفْرِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَأَفْتِتَاحِ مَا وَرَاءَ  
 الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ

حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

## الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّ  
 الْحَاجَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمَيُّدٍ أَمْرِهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى  
 الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ فَقَطْ مُنْفَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ وَالسَّيْفُ شَرِيكٌ فِي  
 الْمَعُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصَبِيَّتُهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقِيلُ أَهْلُهَا بِمَا  
 يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدَمْنَاهُ فَتَعْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْأَسْتَظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى  
 الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّانُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمَيُّدِهَا  
 فَيَكُونُ لِلسَّيْفِ مَرْبِيَّةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا  
 وَأَكْثَرَ نِعْمَةً وَأَسْنَى إِقْطَاعًا وَأَمَّا فِي وَسَطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينُ صَاحِبُهَا بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنِ  
 السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَهَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ هَمُّهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمَلِكِ مِنَ الْجَبَايَةِ  
 وَالضَّبْطِ وَمَبَاهِجَةِ الدَّوْلِ وَتَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الْمُعِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْمَلُ الْحَاجَةُ  
 إِلَى تَضَرُّفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ أَعْمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنْابَتْ نَائِيَةً أَوْ  
 دُعِيَتْ إِلَى سَدِّ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سِوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا فَتَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي  
 هَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتْبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَثَرْوَةً وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ جَمَلًا  
 وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خُلُوتِهِ نَجِيًّا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ أَلْتَهُ النَّبِيُّ بِهَا يَسْتَظْهَرُ عَلَى تَحْصِيلِ  
 ثَمَرَاتِ مَالِكِهِ وَالنَّظَرَ إِلَى أَعْطَافِهِ وَتَثْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمَبَاهِجَةِ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ  
 الْوُزَرَءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعَدِينَ عَنِ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذِرِينَ عَلَى  
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ  
 بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَءُ إِذَا  
 سَكَتَتِ الدِّهْمَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إِعْلَمُ أَنَّ لِلسُّلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَحْوَالَ أَنْقَضِيهَا الْأَبْهَةُ وَالْبَذْخُ فَيَحْتَصُّ بِهَا وَيَتَمَيِّزُ

بِأَنْعَالِهَا عَنِ الرَّعِيَّةِ وَالْبِطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ فَلَمَّا نَذَرَ مَا هُوَ مُشْتَهَرٌ مِنْهَا  
بِمَبْلَغِ الْمَعْرِفَةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٍ  
الآلة \* فَمِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ اتِّخَاذُ الْآلَةِ مِنْ نَشْرِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّايَاتِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ  
وَالنَّفْعِ فِي الْأَبْوَابِ وَالقُرُونِ وَقَدْ ذَكَرَ أَرِسْطُو فِي الْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ  
أَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ إِزْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْمَائِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النُّفُوسِ  
بِالرُّوعَةِ وَآمَمَرِي إِنَّهُ أَمْرٌ وَجَدَانِي فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ يَجْعَلُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا  
السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ فَهُوَ صَحِيحٌ بَعْضُ الْأَعْتِبَارَاتِ \* وَأَمَّا  
الْحَقُّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ سَمَاعِ النِّغَمِ وَالْأَصْوَاتِ يَذُرُّهَا الْقَرَحُ وَالطَّرْبُ بِلَا  
شَكِّ يُصِيبُ زَوَاجِ الرُّوحِ نَشْوَةً يَسْتَسْهِلُ بِهَا الصَّعْبَ وَيَسْتَحْيِثُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ بِأَنْعَالِ الْأَيْلِ بِالْحِدَاءِ وَالْحَلِيلِ  
بِالصَّنِيرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْثِيرًا إِذَا كَانَتِ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً كَمَا  
فِي الْغِنَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَخْتَلِفُ لِسَامِعِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْلِ ذَلِكَ نَتَّخِذُ الْعَجْمَ فِي  
مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ (١) لَا طَبْلًا وَلَا بُوْقًا فَيُحْدِقُ الْعَمَّانُونَ بِالسُّلْطَانِ فِي  
مَوَكِبِهِ بِالْأَتَمِّ وَيُغَنُّونَ فَيَجْرُ كَوْنُ نَفُوسِ الشُّجْعَانِ بِضَرْبِهِمْ إِلَى الْأَسْتِمَاتَةِ وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي  
حُرُوبِ الْعَرَبِ مَنْ يَتَغَنَّى أَمَامَ الْمَوَكِبِ بِالشَّعْرِ وَيُطْرِبُ فَيَجِيئُ هِمُّ الْأَبْطَالِ بِمَا فِيهَا  
وَيُسَارِعُونَ إِلَى تَجَالِ الْحَرْبِ وَيَنْبَعِثُ كُلُّ قَرْنٍ إِلَى قَرْنِهِ وَكَذَلِكَ زَنَانَةٌ مِنْ أُمَّةٍ الْعَهْرِبِ  
بِتَقَدُّمِ الشَّاعِرِ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصَّنُوفِ وَيَتَغَنَّى فَيَجْرُكَ بِغِنَائِهِ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي وَيَبْعَثُ عَلَى  
الْأَسْتِمَاتَةِ مَنْ لَا يَطُنُّ بِهَا وَيُسْمَعُونَ ذَلِكَ الْغِنَاءَ تَأْصُوكَايَتٍ وَأَصْلُهُ كُلُّهُ فَرَحٌ يَخْتَلِفُ فِي  
النَّفْسِ فَيَنْبَعِثُ عَنْهُ الشُّجَاعَةُ كَمَا تَنْبَعِثُ عَنْ نَشْوَةِ الْحَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْقَرَحِ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَأَمَّا تَكْثِيرُ الرَّايَاتِ وَتَلْوِينُهَا وَإِطَالَتُهَا فَأَلْقَصِدُ بِهِ التَّهْوِيلَ لِأَنَّ كَثْرَتَهُ وَرُبَّمَا تَخْتَلِفُ  
فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّهْوِيلِ زِيَادَةً فِي الْأَقْدَامِ وَأَحْوَالِ النُّفُوسِ وَتَلْوِينَاتُهَا غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ \* ثُمَّ إِنَّ الْمُلُوكَ وَالِدُّوْلَ يَخْتَلِفُونَ فِي اتِّخَاذِ هَذِهِ الشَّارَاتِ فَمِنْهُمْ مَكْتَرٌ وَمِنْهُمْ  
مُقَلِّلٌ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ وَعِظَمِهَا فَأَمَّا الرَّايَاتُ فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحُرُوبِ مِنْ عَهْدِ الْخَلِيقَةِ

(١) قوله موسيقية وفي نسخة الموسيقى: وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر الميم بين التعتين اسم للنغم  
والأصْحَانِ وَتَوْفِيْعِهَا وَيُقَالُ فِيهَا مَوْسِيقِيَّةٌ وَيُقَالُ لِضَرْبِ الْآلَةِ مَوْسِيقِيَّةً أَنْظَرُ أَوْلَ سَنِينَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ شَهَابِ

وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ تَعْقِدُهَا فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْفِرَاقِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرْعُ الطُّبُولِ وَالنَّفْخُ فِي الْأَبْوَاقِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
الْمِلَّةِ مُتَجَافِينَ عَنْهُ تَنَزُّهَا عَنْ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفُضًا لِأَحْوَالِهِ وَأَحْتِقَارًا لِأَبَيْتِهِ الَّتِي لَبَسَتْ  
مِنَ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ مُلْكًا وَتَبَجَّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا وَلَابَسَهُمْ  
الْمَوَالِي مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ أَهْلِ الدُّوَلِ السَّائِمَةِ وَأَرْوَمِ مَا كَانَ أَوْلَيْكَ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
مَذَاهِبِ الْبَدَخِ وَالرَّفْرِ فَكَانَ مِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذَ الْأَلَةِ فَأَخَذُوا بِهَا وَأَذْنُوا لِعُمَالِهِمْ  
فِي اتِّخَاذِهَا تَنْوِيهَا بِالْمَلِكِ وَأَهْلِهِ فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ صَاحِبُ الثَّرَى أَوْ قَائِدُ الْجَيْشِ  
يَعْتَمِدُ لَهُ الْخِلَافَةَ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوِ الْعَبِيدِيِّينَ لِوَأَدِهِ وَيَخْرُجُ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ عَمَلِهِ مِنْ دَارِ  
الْخِلَافَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوَكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرِّبَابِ وَالْأَلَاتِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَوَكِبِ الْعَامِلِ  
وَالْخِلَافَةِ إِلَّا بِكثيرةِ الْأَلْوِيَةِ وَقِلَّتِهَا أَوْ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْخِلَافَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ لِرَابِتِهِ كَالسُّوَادِ  
فِي رَابَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ رَابَاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا حَزَنًا عَلَى شَهْدَائِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَنَعِيمًا  
عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِذَلِكَ سُمُّوا الْمَسْوَدَةَ \* وَلَمَّا افْتَرَقَ أَمْرُ الْهَاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَمُّوا إِلَى مَخَافَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَاتَّخَذُوا  
الرِّبَابَاتِ بِيضًا وَسُمُّوا الْمُبِيضَةَ لِذَلِكَ سَاطَرِ أَبْطَامِ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ وَدَاعِي صَعْدَةَ أَوْ مَنْ دَعَا إِلَى بَدْعَةِ الرَّاغِضَةِ  
مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْقَرَامِطَةِ وَلَمَّا نَزَعَ الْمَأْمُونُ عَنِ لُبْسِ السُّوَادِ وَشِعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
لَوْنِ الْخَضْرَاءِ لِمَجْعَلِ رَابِتِهِ خَضْرَاءً وَأَمَّا الْأَسْتِثْكَارُ مِنْهَا فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدِّ وَقَدْ كَانَتْ  
أَلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ أَمَّا خَرَجَ الْعَزِيزُ إِلَى قَنْعِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةَ مِنَ الْبُنُودِ وَخَمْسِمِائَةَ مِنْ  
الْأَبْوَاقِ وَأَمَّا مَلُوكُ الْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْهَاجَةَ وَغَيْرِهَا فَلَمْ يُخْتَصُّوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
وَشَوْهَا بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُوا مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ مَلُونَةً وَأَسْتَحْمَرُوا عَلَى الْأِذْنِ فِيهَا لِجَمَالِهِمْ  
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنَانَةِ قَصْرُوا الْأَلَةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالسُّوَادِ  
عَلَى السُّلْطَانَ وَحَفَرُوا بِهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عُمَّالِهِ وَجَمَلُوا لَهَا مَوَكِبًا خَاصًّا يَتَّبِعُ أَمْرَ السُّلْطَانَ  
فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةَ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مَكْتَبٍ وَمَقَلٍ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي ذَلِكَ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبْرُكَهَا بِالسَّبْعَةِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَبَنِي  
الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنَانَةِ وَقَدْ بَلَّغَتْ فِي



أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ فِيمَا أَدْرَكَكَهُ مِائَةٌ مِنْ الطُّبُولِ وَمِائَةٌ مِنَ الْبُنُودِ مَلُونَةٌ  
بِالْخَرِيرِ مَسْجُوعَةٌ بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَبِأَذُنُونَ لِلْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْقَوَادِ فِي  
أَتَّخِذُ رَايَةً وَاحِدَةً صَغِيرَةً مِنَ الْكُتَاتِ بِيضَاءَ وَطَبْلٍ صَغِيرٍ أَيَّامَ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوَزُونَ  
ذَلِكَ وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا  
خِصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الشَّالِشَ وَالْجُتْرَ وَهِيَ شِمَارُ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ اتَّعَدُّ  
الرَّايَاتُ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاقِجَ وَاحِدُهَا سَنْجَقٌ وَهِيَ الرَّايَةُ بِلِسَانِهِمْ. وَأَمَّا الطُّبُولُ فَيَبَالِغُونَ  
فِي الْأَسْنِكِ كَثَارِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيُبِيحُونَ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدِ عَسْكَرٍ أَنْ  
يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْجُتْرَ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ. وَأَمَّا الْجَلَالَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ  
أَمْرِ الْأَفْرَنْجِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتَّخِذُ الْأَلْوِيَةَ الْقَلِيلَةَ ذَاهِبَةً فِي الْحُجُورِ صُعْدًا  
وَمَعَهَا قَرْعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَابِيرِ وَتَفْخُ الضَّبِطَاتِ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبَ الْغِنَاءِ وَطَرِبَهُ فِي مَوَاطِنِ  
حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَسْمَاءُكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ

(السري) . وَأَمَّا السَّرِيرُ وَالْمَنْبِرُ وَالْتَفْتُ وَالْكُرْمِي فِيهِمْ أَعْوَادٌ مَنصُوبَةٌ أَوْ أَرَانِكُ  
مُنْصَدَةٌ لِحُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا مَرْتَعًا عَنْ أَهْلِ نَجْلِسِهِ أَنْ يُسَاطِرَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ  
ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَمِيرَةِ الذَّهَبِ  
وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كُرْمِيٌّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مَغْشَى بِالذَّهَبِ  
إِلَّا أَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدُّوَلُ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتَفْحَالِ وَالْتَرَفِ شَأْنِ الْأُجَبَةِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا  
وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدُّوَلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ  
مُعَاوِيَةُ وَأَسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ بَدَيْتُ فَاذْنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ  
الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأُجَبَةِ وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَامِيٍّ يَمِصُّرَ يَجْلِسُ  
فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُقَوِّسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
مَعْمُولًا عَلَى الْأَيْدِي جُلُوسِهِ شَأْنِ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامَهُ وَلَا يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِ وَفَاءً لَهُ  
بِمَا اعْتَقَدَ مَعَهُمْ مِنَ الذِّمَّةِ وَأَطْرَاحًا لِأُجَبَةِ الْمَلِكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِبنِي الْعَمَّاسِ  
وَالْعَبِيدِيَّينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا مِنَ الْأَمِيرَةِ وَالْمَنْابِرِ وَالْتَفْتُ مَا عَفَا عَنْ  
الْأَكْمِيرَةِ وَالْقِيَاصِرَةَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(السكة) وهي ألحتم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار التقدير من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير اشخاص الدرهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً وإن لم تقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المستخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المائلة على الدنانير والدرهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصارت علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في العقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الفسح بمنعم السلطان عليها بذلك النقوش المعروفة وكان ملوك النجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهداها أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند النجم إلى آخر أمرهم . ولما جاء الإسلام اغتيل ذلك لسداجة الدين وبدأوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير الفرس ودرامهم بين أيديهم ويردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصافون بها بينهم إلى أن تفاحش الفسح في الدنانير والدرهم لقفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدرهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لهما ولي الحجاج وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام سنة دوايق والمنقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم

أَيَّامَ الْفَرَسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ فِيرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
 وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أُخْتِجَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الرِّكَازِ أَخَذَ الْوَسْطُ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ فِيرَاطًا  
 فَكَانَ الْمِثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٍ وَقِيلَ كَانَتْ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ بِسْمَانِيَّةٍ دَوَانِقَ  
 وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَوَانِقَ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَةَ دَوَانِقَ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةَ دَوَانِقَ فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يُنْظَرَ  
 الْأَغْلَبُ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
 دَوَانِقَ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعِهِ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا انْقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمِثْقَالِ كَانَ  
 دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اتِّخَاذَ السِّكَّةِ لِصِيَانَةِ التَّقْدِينِ الْجَارِيَيْنِ فِي مَعَامَلَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِئَسِ عَيْنَ مَقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقْرَأَ لِعَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صُورًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاجِيهِمْ وَأَظْهَرَهَا  
 مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ بَنَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَمَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمِلَّةِ كُلِّهَا  
 وَكَانَ الدِّيْنَارُ وَالدِّرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
 يُكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَعْمِيدًا وَصَلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَفِي  
 الْوَجْهِ الثَّانِي التَّارِيخُ وَأَسْمَاءُ الْخُلَيفَةِ وَمَعَكُنَا أَيَّامَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
 وَأَمَّا صَنْهَاجَةُ فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مَنْصُورٌ صَاحِبُ بَعْجَانَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 ابْنُ حَمَادٍ فِي تَارِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْمَهْدِيُّ اتِّخَاذَ  
 سِكَّةِ الدِّرْهَمِ مُرَبَّعِ الشَّكْلِ وَأَنْ يُرْمَمَ فِي دَائِرَةِ الدِّيْنَارِ شَكْلُ مُرَبَّعٍ فِي وَسْطِهِ  
 وَبُعْلَامٍ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَعْمِيدًا وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخِرِ كِتَابًا فِي السُّطُورِ بِأَسْمِهِ  
 وَأَسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلَقَدْ كَانَ الْمَهْدِيُّ فِيمَا يُنْقَلُ يُنْعَتُ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرَبَّعِ نَعْتَهُ بِذَلِكَ  
 الْمَتَّكَلِمُونَ بِالْحَدَثَانِ مِنْ قَبْلِهِ الْخُفْرُونَ فِي مَلَاحِمِهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
 إِهَذَا الْعَهْدِ فَسِكَّتُهُمْ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالْدِنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَزَنًا بِالصَّنَجَاتِ  
 الَّتِي مُقَدَّرَةٌ بَعْدَهُ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نُقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَأَسْمِ  
 السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

وَتَحْتُمُ الْكَلَامَ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالدِّيْنَارِ الشَّرْعِيَيْنِ وَيَبَيِّنُ  
 حَقِيقَةَ مِقْدَارِهِمَا

وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ مُخْتَلِفَا السِّكَّةِ فِي الْمِقْدَارِ وَالْمَوَازِينِ بِالْأَفَاقِ  
 وَالْأَمْصَارِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالشَّرْعُ قَدْ تَعَرَّضَ لِذِكْرِهِمَا وَعَلَّقَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ  
 بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا فَلَا بُدَّ لَهُمَا عِنْدَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ وَمِقْدَارٍ  
 مُعَيَّنٍ فِي تَقْدِيرِ تَجْرِي عَلَيْهِمَا أَحْكَامُهُ دُونَ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ مِنْهُمَا فَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ  
 مُنْعَقِدٌ مُنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَعَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالنَّابِعِينَ أَنَّ الدِّرْهَمَ الشَّرْعِيَّ هُوَ الَّذِي تَزَنُ  
 الْعَشْرَةُ مِنْهُ سَبْعَةٌ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَوْقِيَّةُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَهُوَ عَلَى هَذَا سَبْعَةُ  
 أَغْشَارِ الدِّينَارِ وَوَزْنُ الْمِثْقَالِ مِنَ الذَّهَبِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ فَالدِّرْهَمُ  
 الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ أَغْشَارِهِ خَمْسُونَ حَبَّةً وَخُمْسًا حَبَّةً وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْإِجْمَاعِ  
 فَإِنَّ الدِّرْهَمَ الْجَاهِلِيَّ كَانَ يَنْهَمُ عَلَى أَنْوَاعٍ أَجْرُدُهَا الطَّبْرِيُّ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دَوَانِقٍ وَالْبَغْلِيُّ  
 وَهُوَ ثَمَانِيَةُ دَوَانِقٍ فَجَعَلُوا الشَّرْعِيَّ بَيْنَهُمَا وَهُوَ سِتَّةُ دَوَانِقٍ فَكَانُوا يُوجِبُونَ الزَّكَاةَ  
 فِي مِائَةِ دِرْهَمٍ بَغْلِيَّةً وَمِائَةِ طَبْرِيَّةٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًا وَقَدْ اخْتَلَفَتِ النَّاسُ هَلْ  
 كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ إِجْمَاعِ النَّاسِ بَعْدَ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَا .  
 ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَخْطَامُ فِي كِتَابِ مَعَالِمِ السَّنَنِ وَالْمَوَازِينِ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 وَأَنْكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ الشَّرْعِيَّانِ  
 مَجْهُولَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَعَ تَعَلُّقِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ  
 وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَا وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا كَانَا مَعْلُومِي الْمِقْدَارِ فِي ذَلِكَ  
 الْعَصْرِ لِجَرَبَانِ الْأَحْكَامِ يَوْمئِذٍ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْحُقُوقِ وَكَانَ مِقْدَارُهُمَا غَيْرَ مُشْخَصٍ  
 فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارِفًا بَيْنَهُمْ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمِقْدَارِ فِي مِقْدَارِهِمَا  
 قَرَنَهُمَا حَتَّى اسْتَفْحَلَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ وَدَعَتِ الْحَالُ إِلَى تَشْخِصِهِمَا فِي  
 الْمِقْدَارِ وَالْوِزْنِ كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْ كِلْفَةِ التَّقْدِيرِ وَقَارَنَ ذَلِكَ أَيَّامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فَشَخَّصَ مِقْدَارَهُمَا وَعَيْنَهُمَا فِي الْخَارِجِ كَمَا هُوَ فِي الذِّهْنِ وَنَقَشَ عَلَيْهِمَا  
 السِّكَّةَ بِأَسْمِهِ وَتَأْرِيخِهِ أَثَرُ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ وَطَرَحَ التَّقْوَدَ الْجَاهِلِيَّةَ رَأْسًا  
 حَتَّى خَلَصَتْ وَنَقَشَ عَلَيْهَا سِكَّةً وَتَلَاثِي وَجُرْدُهَا فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ  
 وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السِّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمِقْدَارِ الشَّرْعِيِّ فِي  
 الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَأَخْتَلَفَتْ فِي كُلِّ الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَصَوُّرِ مَقَادِيرِهِمَا

الشَّرْعِيَّةُ ذَهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أُمَّةٍ يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقُّوقَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سِكِّتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النَّسَبِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَأَمَّا وَزْنُ الدِّينَارِ بِأَثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسَطِ فَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ إِلَّا ابْنَ حَزْمٍ خَالَفَ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّ وَزْنَهُ أَرْبَعٌ وَتَمَانُونَ حَبَّةً . نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدَّهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَدَّوهُ وَهَمًّا وَعَظْمًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَوْفِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَتَعَارَفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمَتَعَارَفَةَ مُخْتَلَفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَفْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذَهْنًا لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

(الخاتم) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخَطِّطِ السَّاطِنِيَّةِ وَالْوِظَائِفِ الْمُلُوكِيَّةِ وَالْخَتْمُ عَلَى الرَّسَائِلِ وَالْمُصَكُّوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ قَيْلِ لَهُ إِنْ الْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثَ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِثْلَهُ قَالَ وَخَتَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيَسَ وَكَانَتْ قَلِيلَةً الْمَاءُ فَلَمْ يَدْرِكْ قَعْرَهَا بَعْدُ وَأَعْتَمَّ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ نَقْشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتْمِ بِهِ وَجُوهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الَّتِي تُجْعَلُ فِي الْأَصْبَعِ وَمِنْهُ خَتَمٌ إِذَا لَيْسَ وَيُطْلَقُ عَلَى النِّهَايَةِ وَالنَّهَامِ وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ إِذَا بَلَغْتُ آخِرَهُ وَخَتَمْتُ الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَائِي وَالذِّانَ وَيُقَالُ فِيهِ خِتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خِتَامُهُ مِسْكٌ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِالنِّهَايَةِ وَالنَّهَامِ قَالَ لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَاهِمِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْخِتَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَمْرَ يُجْعَلُ لَهَا فِي الدِّينِ سَدَادُ الطِّينِ أَوْ الْقَارِ يُحْفَظُهَا وَيُطَيَّبُ عَرَفَهَا وَذَوْقَهَا فَيُؤَلِّجُ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ عَرَفًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْمُودِينَ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى آخِرِهَا النَّاشِئِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نَقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ ثُمَّ غُمِسَ فِي مَدَفٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَفْحِ الْقِرْطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ

فِي ذَلِكَ الصَّفْحِ وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمٍ لَيْسَ كَالشَّمْعِ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مُرْتَسِمًا فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُ وَأَرْسَمَتْ فَقَدْ يُقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ الْيَمْنَى وَقَدْ يُقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى لِأَنَّ الْخَتْمَ يَقْلِبُ جِهَةَ الْخَطِّ فِي الصَّفْحِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ يَمِينٍ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَتْمُ بِهَذَا الْخَتَامِ بَعْنَسِهِ فِي الْمِدَادِ أَوْ الطِّينِ وَوَضَعِهِ  
 فِي الصَّفْحِ فَتَنْتَقِشُ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى النَّهَايَةِ وَالْأَمَامِ بِمَعْنَى صِحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتَفْوِذِهِ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مُلْفَى لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْخَتْمُ بِالْخَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 شَيْءٍ مِنْ نُعُوتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلْمًا عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ وَتَفْوِذِهِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارِفِ عِلْمًا وَيُسَمَّى خَتْمًا تَشْبِيهًا لَهُ بِأَثَرِ الْخَتَامِ الْأَصْفِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيَّ عِلْمًا وَخَطَّهُ الَّذِي يُنْقِذُ بِهِمَا أَحْكَامَهُ  
 وَمِنْهُ خَتَمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْخَلِيفَةِ أَيَّ عِلْمًا قَالَ الرَّشِيدُ لِيَعْقِبِي بِنِ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوْرَرَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَيُّهَا يَعْقِبِي يَا أَبْتَ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أُحْوَلَ الْخَتَامَ مِنْ يَمِينِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِّي لَهُ بِالْخَتَامِ عَنِ الْوِزَارَةِ لِمَا كَانَتْ الْعِلْمَةُ  
 عَلَى الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مِنْ وَظَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَهْدِهِمْ وَيَتَّهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ عِنْدَ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّفْحِ صَحِيفَةً يَبْضَاءُ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اشْتَرِطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ  
 فَهَوَّلَكَ وَمَعْنَى الْخَتْمِ هُنَا عِلْمَةٌ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِخَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُخْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمِ لَيْسَ فَتَنْتَقِشُ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حَزِمَ  
 وَعَلَى الْمَوَدُّوعَاتِ وَهُوَ مِنَ السَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي الْوَجْهِينِ آثَارُ الْخَتَامِ فَيَطْلُقُ عَلَيْهِ  
 خَتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْخَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيَّ الْعِلْمَةَ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ أَمَرَ لِعَمْرِ بْنِ الزُّبَيْرِ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَفَتَحَ الْكِتَابَ وَصَدَرَ الْمِائَةُ مِائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ  
 فَأَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةَ وَطَلَبَ بِهَا عَمْرًا وَحَسَبَهُ حَقًّا قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخَذَ مُعَاوِيَةَ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيْوَانَ الْخَتَامِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكُتُبَ وَلَمْ تَكُنْ

تَحْزِمُ أَي جَعَلَ لَهَا الدَّدَادَ وَدِيَوَانَ الخَتْمِ عِبَارَةً عَنِ الكُتَابِ القَائِمِينَ عَلَى انْتِزَاعِ  
 كُتُبِ السُّلْطَانِ وَالخَتْمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْهَلَامَةِ أَوْ بِالْحَزْمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيَوَانُ عَلَى مَكَانِ  
 جُلُوسِ هؤُلَاءِ الكُتَابِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي دِيَوَانِ الأَعْمَالِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ يَكُونُ  
 إِمَّا بِدَسِّ الوَرَقِ كَمَا فِي عُرْفِ كِتَابِ المَغْرِبِ وَإِمَّا بِإِصْطِقِ رَأْسِ الصَّحِيفَةِ عَلَى مَا  
 تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الكِتَابِ كَمَا فِي عُرْفِ أَهْلِ المَشْرِيقِ وَقَدْ يُجْعَلُ عَلَى مَكَانِ الدَسِّ أَوْ  
 الإِصْطِقِ هَلَامَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالإِطْلَاعِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ المَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
 مَكَانِ الدَسِّ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتِمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ نُقِشَتْ فِيهِ هَلَامَةٌ لِذَلِكَ فَيَرْتَسِمُ  
 النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي المَشْرِيقِ فِي الدَّوَلِ القَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللُّصْقِ بِخَاتَمٍ  
 مَنقُوشٍ أَيْضًا قَدْ غُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ مَعْدِيَةً لِلذَّكِّ صِبْغُهُ أَحْمَرٌ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
 النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدَّوَلَةِ العَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ الخَتْمِ وَكَانَ يُجَلَّبُ مِنْ  
 صِبْرَافٍ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا الخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الهَلَامَةُ المَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
 لِلسَّدَادِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ خَاصٌّ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلوَزِيرِ فِي الدَّوَلَةِ العَبَّاسِيَّةِ  
 ثُمَّ اخْتَلَفَ العُرْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيَوَانِ الكِتَابِ فِي الدَّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
 دَوْلِ المَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ المَلِكِ وَشَارَاتِهِ الخَاتَمَ للإِصْبَعِ فَيَسْتَجِيدُونَ صَوْعَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَيُرْصَعُونَهُ بِالقُصُوصِ مِنَ اليَاقُوتِ وَالقَبْرُوزِ وَالزُّمْرُودِ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
 شَارَةً فِي عُرْفِهِمْ كَمَا كَانَتْ البُرْدَةُ وَالقَضِيبُ فِي الدَّوَلَةِ العَبَّاسِيَّةِ وَالمُظَلَّةُ فِي الدَّوَلَةِ  
 العَبْدِيدِيَّةِ وَاللهُ مَصْرِفُ الأُمُورِ بِحُكْمِهِ

(الطراز) \* مِنْ أُهْبَةِ المَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَذَاهِبِ الدَّوَلِ أَنْ تُرْسَمَ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ  
 عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أُنْوَابِهِمُ المَعْدِيَةِ لِلْيَاسِيهِمْ مِنَ الحَرِيرِ أَوْ الدِّيَبَاجِ أَوْ  
 الأَبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَةٌ خَطِيئًا فِي نَسْجِ الثَّوْبِ الحَمَامًا وَإِسْدَاءً بِمَخِيطِ الذَّهَبِ أَوْ مَا يَخَالَفُ  
 لَوْنِ الثَّوْبِ مِنَ الخُيُوطِ المَلَوْنَةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
 وَوَضَعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ فَتَصِيرُ الثِّيَابُ المَلُوكِيَّةُ مُعْلَمَةً بِذَلِكَ الطِّرَازِ قَصْدُ التَّنْوِيهِ  
 بِإِلْسِيئِهَا مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّنْوِيهِ بِمَنْ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
 تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ لِوَالِيَتِهِ لِوُضُوعِهِ مِنْ وَطَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مُلُوكُ العَجَمِ مِنْ قَبْلِ الأِسْلَامِ  
 يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطِّرَازَ بِصُورِ المُلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالٍ وَصُورٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ ثُمَّ

أَغْتَاضَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ عَنِ ذَلِكَ بِكُتُبِ أَسْمَائِهِمْ مَعَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَجْرِي تَجْرِي  
 الْقَالِ أَوْ السَّجَلَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأُمُورِ وَأَنْفَحِ الْأَخْوَالِ وَكَانَتْ  
 الدُّورُ الْمَعْدَةُ لِنَسْحِ أَثْوَابِهِمْ فِي قُصُورِهِمْ تَسْمَى دُورَ الطَّرَازِ لِذَلِكَ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
 النَّظَرِ فِيهَا يُسَمَّى صَاحِبَ الطَّرَازِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصَّبَاحِ وَالْآلَةِ وَالْحَاكِمَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
 أَرْزَانِهِمْ وَتَسْمِيْلِ الْآتِيهِمْ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يَقْلُدُونَ ذَلِكَ لِخِوَاصِّ دَوْلَتِهِمْ وَثِقَاتِ  
 مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطَّوَائِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
 دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا ضَاقَ  
 نِطَاقُ الدَّوْلِ عَنِ التَّرَفِ وَالتَّفَنُّ فِيهِ لِيُضِيقَ نِطَاقَهَا فِي الْأَسْتِيْلَاءِ وَتَعَدَّدَتِ الدَّوْلُ تَعَطَّلَتْ  
 هَذِهِ الوَظِيفَةُ وَالوَلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدَّوْلِ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ  
 بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَوَّلَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لَمَّا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّدَاجَةِ الَّتِي لَقِيُوهُمَا عَنْ إِمَامِهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ تَوَمَرْتِ الْمَهْدِيِّ  
 وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الوَظِيفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
 مِنْهَا أَعْقَابُهُمْ آخِرَ الدَّوْلَةِ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ يَتَلَكَّ النَّبَاهَةَ وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ فَأَدْرَكْنَا بِالْمَغْرِبِ  
 فِي الدَّوْلَةِ الْمَرْبُوبَةِ لِعَنْفُوَانِهَا وَشُخُوحِهَا رَسْمًا جَلِيلًا لَقِيُوهُ مِنْ دَوْلَةِ أَنْ الْأَحْمَرِ مُحَاصِرِهِمْ  
 بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلِتْحَةٍ شَاهِدَةٍ بِالْآثَرِ وَأَمَّا دَوْلَةُ  
 التَّرِكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْهَا مِنَ الطَّرَازِ تَجْرِي أَعْرَاجُهَا عَلَى مِقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَعُمُرَانِ  
 بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُصْنَعُ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَلَيْسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
 يَنْسِجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صِنَاعِهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسْمَوْنَهُ  
 الْمَرْزُكَشَ لَفِظَةً أُعْجِمِيَّةً وَيُرْسَمُ أَسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَيُعَدُّ الصَّنَاعَ لَهُمْ فِيمَا  
 يُعْدُونَهُ لِلدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ الْأَلْفَتَةِ بِهَا وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفساطيط والسياج

إِعْلَمُ أَنَّ مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ وَتَرَفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْفَازَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
 الْكُتَّانِ وَالصُّوفِ وَالقُطْنِ قِيَامِي بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَنَوْعُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرِ  
 وَصَغِيرِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي الثَّرْوَةِ وَالْبَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ فِي يَوْمِهِمْ  
 الَّتِي جَرَّتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمَلِكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ



اَتَمَّا يَسْكُونُ يَوْمَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ التَّوْبَرِ وَالصُّوفِ وَلَمْ تَنْزِلِ الْعَرَبُ لِنَيْلِكَ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِعِزِّ وَاتِّمَامِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ بِطَعُونِهِمْ وَسَائِرِ  
 حَلِيلِهِمْ وَأَحْيَائِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِذَلِكَ كَثِيرَةً الْحَلَالِ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَفَرِّقَةً الْأَحْيَاءُ بَعِيدٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأُخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَاجُ إِلَى سَافَةِ  
 تَعَشُدُ النَّاسَ عَلَى أَثَرِهِ أَنْ يُقِيمُوا إِذَا ظَهَرَ وَنَقِلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحِجَاجِ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ وَقِصَّتُهُمَا فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رَوْحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مُقِيمِينَ فِي يَوْمِ رَحِيلِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةً مَشْهُورَةً وَمِنْ هَذِهِ الْوَالِيَةِ تُعْرَفُ  
 رُتْبَةُ الْحِجَاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِزَادَتِهِمْ عَلَى الظَّنِّ إِلَّا مَتَّ يَأْمُنُ بَوَادِرَ  
 السُّفَهَاءِ مِنْ أَحْيَائِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ الْحَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ اخْتَصَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ ثِقَةً بِعِنَائِهِ فِيهَا بِعَصِيَّتِهِ وَصِرَامَتِهِ فَلَمَّا تَفَنَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْحِضَارَةِ وَالْبَذَخِ وَنَزَلُوا الْمَدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَانْتَقَلُوا مِنْ سُكْنَى الْخِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظَهْرِ الْخُفِّ إِلَى ظَهْرِ الْحَافِرِ اتَّخَذُوا لِلسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ ثِيَابَ الْكُتَّانِ  
 يَسْتَعْمِلُونَ مِنْهَا يَوْمًا مُخْتَلَفَةً الْأَشْكَالَ مُقَدَّرَةً الْأَمْثَالَ مِنَ الْقَوْرَاءِ وَالْمُسْتَطِيلَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ  
 وَيَحْتَفِلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْأِحْتِفَالِ وَالزِّيَّاتِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ الْعَسَاكِرَ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِ وَفَازَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاجًا مِنَ الْكُتَّانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبَرْبَرِ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِ أَفْرَاكٍ بِالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقَطْرِ لَا يَكُونُ  
 لغيرِهِ . وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ جَنَحَتِ الدَّعْوَةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ إِلَى الْمَقَامِ بِقُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ نَحْفًا لِذَلِكَ ظَهَرُوهُمْ وَتَقَارَبَتِ السِّيَاجُ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ فِي مَعْسَكِرٍ وَاحِدٍ يَحْضُرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيطَةٍ  
 زَهْوًا أَيْقَانًا لِاخْتِلَافِ الْوَانِهِ وَأَسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَدْخِيَا وَتَرَفِيَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَانَةُ الَّتِي أَظَلَّتْنَا كَانَ سَفَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي يَوْمِ سُكْنَانِهِمْ  
 قَبْلَ الْمَلِكِ مِنَ الْخِيَامِ وَالْقِيَاطِينَ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَابِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنْ  
 التَّرَفِ بِمَكَانٍ إِلَّا أَنْ الْعَسَاكِرَ بِهِ تَصِيرُ عُرْضَةً لِلبِيَّاتِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْمَلُهُمْ

فِيهِ الصِّحَّةُ وَلِحَفَّتِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ الَّذِينَ تَكُونُ الْأَسْمَانَةُ دُونَهُمْ فَيَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَعْظِيمِ آخَرٍ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

### المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الْخِلَافِيَّةِ وَمِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ الْأِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرِفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ الْأِسْلَامِ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سِيَّاحًا عَلَى الْمَغْرَابِ فَيَجُوزُهُ وَمَا يَلِيهِ فَأَوْلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَنِيَانَ حِينَ دَعَمَهُ الْخَارِجِيُّ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوْلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْبَسَائِيُّ ثُمَّ اتَّخَذَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَعْيِينِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا تَعْدُ عِنْدَ حُصُولِ التَّرَفِّ فِي الدُّوَلِ وَالْإِسْتِحْجَالِ شَأْنِ أَحْوَالِ الْأَهْبَةِ كَمَا وَمَا زَالَ الشَّانُ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الْأِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّ الدُّوَلِ بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَعْلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقَيْرَوَانَ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ ثُمَّ وَلَا تَهْمُ عَلَى الْمَغْرِبِ مِنْ صَنَهَاجَةَ بَنُو بَادِيسَ بِنَاسَ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقَلَمَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوَحِّدُونَ سَائِرَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَمَحَا ذَلِكَ الرَّسْمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارُهُمْ وَلَمَّا اسْتَحْلَكَ الدَّوْلَةَ وَأَخَذَتْ بِحِطَّهَا مِنَ التَّرَفِّ وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مَلُوكِهِمْ فَأَتَّخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَتْ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً لِمَلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ الشَّانُ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ سُنَّةً لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخِطْبَةِ فَكَانَ الشَّانُ أَوَّلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلا يَتَّخِذُونَ الصَّلَاةَ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوْلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَنْبَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمَّا بَنَى جَامِعَهُ بِمِصْرَ وَأَوْلُ مَنْ دَعَا لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ ابْنُ عَبَّاسٍ دَعَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خِطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلْ أَعْمَلْ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ وَبَعْدَ أَخَذَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَنْبَرَ بَلَّغَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مِنْبَرًا تَرْتَفِي بِهِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَقَبِكَ فَعَرَمَتْ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْأَهْبَةَ وَحَدَّثَتْ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْخِطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنْابُوا

فِيهَا فَكَانَ الْخَطِيبُ يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنِيرِ تَتَوِيهَا بِأَسْمِهِ وَدَعَا لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْحَةَ الْعَالَمِ فِيهِ وَلِأَنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ مَظِنَّةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلِمَا ثَبَتَ عَنِ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعْهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفْرَدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِئْذَانُ صَارَ الْمُتَعَابُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يُشَارِكُونَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِأَسْمِهِمْ عَقِبَ أَسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ بِذَهَابِ تِلْكَ الدُّوَلِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنِيرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحُظِرَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ يَسُو  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفَلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرَّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 اسْتَوَابِ الْغَضَاظَةِ وَمَنَاحِي الْبِدَاوَةِ فِي التَّفَاؤُلِ وَالْحُسُونَةِ وَيَقْنَعُونَ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْإِجْمَاعِ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيَسْمُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْخِطْبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَنْحَى عَبَاسِيَّةً يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَّاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَفَتْ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَخْفَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالتَّصْرِيحِ بِأَسْمِهِ يُعْكَسَى  
 أَنَّ بَعْمُرَاسِينَ بْنَ زَبَانَ عَاهَدَ دَوْلَةَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ بَعْجِي بْنُ  
 أَبِي حَنْصِ عَلَى تَلْمَسَانَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ شَرَطَهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ أَسْمِهِ عَلَى مَنَابِرِ عَمَلِهِ فَقَالَ بَعْمُرَاسِينُ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ بِذِكْرُونِ عَلَيْهَا مَنْ شَاءَ وَ  
 وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهَدَ دَوْلَةَ بَنِي مُرِينَ حَضْرَهُ رَسُولُ الْمُتَنَصِّرِ الْخَلِيفَةَ  
 بِنُوسٍ مِنْ بَنِي أَبِي حَنْصِ وَتَالَتْ مُلُوكِهِمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضَ أَيَّامِهِ عَنْ شُهُودِ الْجَمْعَةِ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لِحُلُوقِ الْخِطْبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأُذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بَدَائِئِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْغَضَاظَةِ  
 وَالْبِدَاوَةِ فَإِذَا انْتَبَهَتْ عِيُونَ سِيَاسَتِهِمْ وَنَظَرُوا فِي أَعْطَافِ مَلِكِهِمْ وَأَسْتَمْتُوا شِيَاتِ  
 الْحِضَارَةِ وَمَفَائِي الْبَدَخِ وَالْأَبِيَّةِ انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ السِّيَامَاتِ وَتَفَنَّنُوا فِيهَا وَتَبَجَّرُوا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَنْفُوا مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِيهَا وَجَزَعُوا مِنْ أَنْفِقَادِهَا وَخَلُوعِ دَوْلَتِهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 بُسْتَانٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

إِعْلَمُ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمُقَاتَلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيفَةِ مُنْذُ بَرَأَهَا اللَّهُ وَأَصْلَهَا

إِزَادَةَ انْتِقَامِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَعَصَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلٌ عَصَبِيَّتُهُ فَإِذَا تَدَامَرُوا لِلذَّكَ  
 وَتَوَافَقَتِ الطَّائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ الْإِنْتِقَامَ وَالْأُخْرَى تُدَافِعُ كَأَنَّ الْحَرْبَ وَهُوَ أَمْرٌ  
 طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ لَا تَغْلُوعُهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَسَبَبُ هَذَا الْإِنْتِقَامِ فِي الْأَكْثَرِ إِمَّا غِيْرَةٌ  
 وَمُنَافَسَةٌ وَإِمَّا عُدْوَانٌ وَإِمَّا غَضَبُ اللَّهِ وَلِدِينِهِ وَإِمَّا غَضَبُ الْمَلِكِ وَسَعْيٌ فِي تَعْمِيدِهِ  
 فَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ الْمُتَنَاطِرَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ  
 الْعُدْوَانُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَّةِ الْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِينَ بِالْقَفْرِ كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكِ  
 وَالتُّزْكُمَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ وَمَعَابِهِمْ نِيْمًا  
 بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ أَذْنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُغْيَةَ لَهُمْ فِيْمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ  
 رُتْبَةٍ وَلَا مَلِكٍ وَإِنَّمَا هَمُّهُمْ وَنُصْبُ أَعْيُنِهِمْ غَلْبُ النَّاسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالثَّلَاثُ هُوَ  
 الْمُسَمَّى فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجِهَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهَا وَالْمَانِعِينَ  
 لِطَاعَتِهَا فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ الْحُرُوبِ الصِّنْفَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبُ بَغْيٍ وَفِتْنَةٍ  
 وَالصِّنْفَانِ الْآخِرَانِ حُرُوبُ جِهَادٍ وَعَدْلٍ وَصِنْفَةُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ وُجُودِهِمْ عَلَى تَوْعِينَ نَوْعٍ بِالرَّحْفِ صُورًا وَنَوْعٍ بِالْكِرِّ وَالْفَرِّ أَمَّا الَّذِي بِالرَّحْفِ  
 فَهُوَ قِتَالُ الْعَجَمِ كُلِّهِمْ عَلَى تَعَاقِبِ أَجَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِي بِالْكِرِّ وَالْفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ  
 وَالتُّرْكِ مِنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الرَّحْفِ أَوْثَقُ وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ وَذَلِكَ  
 لِأَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ تَرْتَّبُ فِيهِ الصُّوفُ وَتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُوفُ الصَّلَاةِ  
 وَيَمْشُونَ بِصُوفِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ قُدَمَا فَلِذَلِكَ تَكُونُ اثْبَتَ عِنْدَ الْمَصَارِعِ وَأَصْدَقَ فِي  
 الْقِتَالِ وَأَرْهَبَ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّهُ كَالْحَائِطِ الْمُمْتَدِّ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدِ لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ وَفِي  
 التَّنْزِيلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرُصُوصٌ أَيْ يَشُدُّ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ وَفِي الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا  
 وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ إِجْبَابِ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيمِ التَّوَلِّيِّ فِي الرَّحْفِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ  
 الصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا فَمَنْ وَلَّى الْعَدُوَّ ظَهْرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِالْمَصَافِ  
 وَبَاءَ بِأَثْمِ الْهَزِيمَةِ إِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَأَنَّهُ جَرَّهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا كَرِّهِمْ عَدُوَّهُمْ  
 فَعَظْمُ الذَّنْبِ لِعُمُومِ الْمَفْسَدَةِ وَتَعَدِّيَّهَا إِلَى الدِّينِ بِجُرْحِ سِيَاحِهِ نَعْدًا مِنَ الْكِبَائِرِ وَيَظْهَرُ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ أَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَأَمَّا قِتَالُ الْكِرِّ وَالْفَرِّ فَلَيْسَ فِيهِ

مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَمَنِ مِنَ الْمَزِيَّةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَّخِذُونَ وِرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يُلْجَأُونَ إِلَيْهِ فِي الْكُرِّ وَالْفَرِّ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامَ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 نَدَّ كُرُهُ بَعْدُ ثُمَّ إِنَّ الدَّوْلَةَ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُنُودِ الْمُتَسِّعَةَ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجِيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونَهَا كَرَادِسَ وَيُسَوِّونَ فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ صُوفَةً وَسَبَبٌ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُنُودُهُمُ الْكَثْرَةَ الْبَالِغَةَ وَحَشِدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النَّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي مَجَالِ الْحَرْبِ وَأَعْتَوْرُوا مَعَ عَدُوِّهِمُ الطَّعْنَ  
 وَالضَّرْبَ فَيُخْشَى مِنْ تَدَافُعِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِأَجْلِ النُّكْرَاءِ وَجَهْلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْعَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَضْمُونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرْتَبِنُونَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ وَرَأْسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ الْأَمِينَةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالدَّوْلَتَيْنِ وَصَدَرَ الْإِسْلَامَ فَيَجْعَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ عَسَاكِرًا مُنْفَرِدَةً بِصُفُوفِهِ مُمَيَّزَةً بِقَائِدِهِ وَرَأْيَتِهِ وَشِعَارِهِ وَيُسَمُّونَهَا الْمَقْدَمَةَ  
 ثُمَّ عَسَاكِرًا آخَرَ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى سَمْتِهِ يُسَمُّونَهَا الْيَمِينَةَ ثُمَّ عَسَاكِرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهَا الْمَيْسِرَةَ ثُمَّ عَسَاكِرًا آخَرَ مِنْ وِرَاءِ الْعَسَاكِرِ  
 يُسَمُّونَهَا السَّافَةَ وَيَقِفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْقِعَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ الْحَكِيمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصْرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرَهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسَاكِرِينَ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أَعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّعْبِئَةِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفَتْوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتْ الْعَسَاكِرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ لِيَتَخَلَّفَ  
 عَنْ رَحِيلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي التَّعْبِئَةِ فَأَخْبِجْ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنَ ذَلِكَ الْحِجَابِ  
 ابْنُ يُونُسَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ مَجْهُولٌ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا إِنَّمَا أَدْرَكْنَا دَوْلًا قَلِيلَةَ الْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي مَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّنَاكُرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجِيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْمَعُهُمْ  
 لَدَيْنَا حَالَةً أَوْ مَدِينَةً وَيَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِرْنَهُ وَيُنَادِيهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِاسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَأَسْتَعْنَى عَنْ تِلْكَ التَّعْبِئَةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ فِي الْحُرُوبِ ضَرْبُ الْمَصَافِ وِرَاءَ عَسَاكِرِهِمْ مِنْ

الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأً للنجاة في كرمهم وفترهم يطلبون به ثبات  
المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب إلى الغلب وقد فعله أهل الزحف أيضاً  
ليزيدهم ثباتاً وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القبلة في الحروب  
ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات  
ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون فنقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم  
وأنظر ما وقع من ذلك في القادسية وإن فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على  
المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبعجوها بالسيف على خراطيمها  
فنفرت ونكصت على أعقابها إلى مرابطها بالمدائن فجفا معسكر فارس لذلك وأنهبوا  
في اليوم الرابع \* وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فكانوا يتخذون  
لذلك الأسيرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته  
وجنوده من هو زعيم بالإستتابة دونه وترفع الرايات في أركان السرير ويخندق به سياج  
آخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرير ويصير فنة للمقاتلة وملجأ للكر  
والفر وجعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالساً على سرير نصبه لجلوسه  
حتى اختلف صفوف فارس وخالطه العرب في سريره وذلك فتحول عنه إلى الفرات وقيل \*  
وأما أهل الكرك والفر من العرب وأكثر الأمم البدوية الرحالة فيصفون لذلك  
إبلهم والظهر الذي يعمل طعامهم فيكون فئمة لهم ويسمونهم العجودة وليس أمة  
من الأمم الأولى تفعل ذلك في حروبها وتراه أوثق في الجولة وأمن من الغرة والهزيمة  
وهو أمر مشاهد وقد اغتمته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للثقال  
والفساطيط يجعلونها ساقفة من خلفهم ولا تغني غناء القبلة والآيل فصارت العساكر  
بذلك عرضة للهزائم ومستنصرة للفرار في المواقف \* وكان الحرب أول الإسلام  
كله زحفاً وكان العرب إنما يعرفون الكرك والفر لكن حملهم على ذلك أول  
الإسلام أمران أحدهما أن أعداءهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون إلى مقاتلتهم  
بمثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ  
فيهم من الإيمان والزحف إلى الاستتابة أقرب \* وأول من أبتل الصف في الحروب  
وصار إلى التعيبة كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي والجبري بعده

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْجَبْرِ فِي قَوْلِي الطَّوَارِجِ عَلَيْهِمْ شَيْبَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الْبَشْكُرِيِّ وَيَلْقَبُ أَبَا الذَّلْفَاءِ قَاتِلَهُمْ مَرَّوَانُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَئِذٍ أَنْتَهَى . فَتَنَسَّبِي قِتَالُ الزَّخْفِ بِإِبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تَنَوَّيَ الصَّفُّ وَرَاءَ الْمُقَاتِلَةِ بِمَا  
 دَاخَلَ الدَّوْلَ مِنَ التَّرَفِ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَمَا كَانَتْ بَدْوِيَّةً وَسَكَنَاهُمْ الْخِيَامُ مَكَانُوا  
 يَسْتَكْتَرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسَكَنَى النِّسَاءُ وَاتْرَادَنَ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَّوْا عَلَى تَرْفِ  
 الْمَلِكِ وَالْفُؤَسْكَنَى الْقُصُورِ وَالْحَوَاضِرِ وَتَرَكَوْا شَانَ الْبَادِيَةِ وَالْفَقْرِ نَسُوا لِذَلِكَ عَهْدَ الْإِبِلِ  
 وَالطَّعَائِنِ وَصَمَّبَ عَلَيْهِمْ أَمْتَاذُهَا فَمُخَلَّفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ عَلَى أَمْتَاذِ  
 الْفَسَاطِيطِ وَالْأَخْيَابِ فَاقْتَصَرُوا عَلَى الظَّهْرِ الْحَامِلِ لِلْإِثْقَالِ<sup>(١)</sup> وَالْأَبْنِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ صِنْتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يُغْنِي كُلَّ الْغِنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْأَسْتِجَانَةِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْأَهْلُ وَالْمَالُ يُغْنِي  
 الْمَبْرُومِينَ أَجْلَ ذَلِكَ وَتَضَرَّفَهُمُ الْهَيْبَاتُ وَتَفَرَّغُوا صُفُوفَهُمْ . وَلِمَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ خَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَاءَ الْعَسَاكِرِ وَتَأْكِيدِهِ فِي قِتَالِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنَ  
 الْإِفْرَنْجِ فِي جُنْدِهِمْ وَأَخْتَصُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ أَهْلِ وَطَنِهِمْ كُلِّهِ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانَ  
 يَتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِ خَرْبَ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رَدًّا لِلْمُقَاتِلَةِ أَمَامَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مَعْوَدِينَ لِلثَّبَاتِ فِي الزَّخْفِ وَالْإِجْتِلَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ  
 فَأَنْهَزَ السُّلْطَانَ وَالْعَسَاكِرُ بِإِجْتَالِهِمْ فَأَحْتَاجَ الْمُلُوكُ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمُتَعَوِّدَةِ الثَّبَاتِ فِي الزَّخْفِ وَهُمْ الْإِفْرَنْجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمْ الْمُحْتَدِقِينَ بِهِمْ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنَ الْأَسْتِجَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَخَفُّوا ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَا كَمَا مِنْ  
 مَعْوَفِ الْإِجْتَالِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانَ وَالْإِفْرَنْجِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ  
 عَادَتَهُمْ فِي الْقِتَالِ الزَّخْفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَقَعُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ وَقِتَالَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ مُمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدَيْنَا سَبَبَهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ \* وَبَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّةَ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ قِتَالَهُمْ مُنَاصَلَةً  
 بِالسِّهَامِ وَأَنَّ تَعَبُّةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَأَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَاءَ صَفِّ وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيُفَرِّغُونَ فِيهَا مَعَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاضَلُونَ

١ قوله للاتقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل عليه قوله في فصل المحتدق الاتي قريبا اذا تزلوا وضربوا بينهم امه

جُلُوسًا وَكُلُّ رِدْءٍ لِلَّذِي أَمَامَهُ أَنْ يَكْتَسِبَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّيَمَّ النَّصْرُ لِإِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ  
 عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْبِئَةٌ مُحْكَمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ حَفَرُ  
 الْخُنَادِقِ عَلَى مَعْسَكِهِمْ عِنْدَ مَا يَتَقَارَبُونَ لِلزَّخْفِ حَذْرًا مِنْ مَعْرَةِ الْبَيَاتِ وَالنَّجْمِ عَلَى  
 الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لِمَا فِي ظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ فَيَلُودُ الْجَيْشُ بِالْفِرَارِ  
 وَيَتَجِدُ النَّفْسُ فِي الظُّلْمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أَرْجَفَتِ الْعَسْكَرُ وَوَقَعَتِ  
 الْمَرْيَمَةُ فَكَانُوا لِذَلِكَ يَخْتَفِرُونَ الْخُنَادِقَ عَلَى مَعْسَكِهِمْ إِذَا تَزَلُّوا وَضَرَبُوا أَيْدِيَهُمْ  
 وَيُذِيرُونَ الْخُنَادِقَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حِرْصًا أَنْ يَخَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبَيَاتِ  
 فَيَتَخَذَلُوا وَكَانَتْ لِلدَّوْلِ فِي أَمْثَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ أَقْدَارُ بِأَحْتِشَادِ الرِّجَالِ وَتَمَحُّعِ  
 الْأَيْدِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْأَمْرَانِ وَتَخَوُّمَةِ الْمَلِكِ  
 فَلَمَّا خَرِبَ الْعُمَرَانُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدَّوْلِ وَقِلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ الْفَعْلَةِ نُسِيَ هَذَا الشَّأْنُ  
 جُمْلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَأَنْظَرُ وَصِيَّةَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَحَرِيضَهُ  
 لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صَنِيعِ تَجْدِ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي  
 كَلَامِهِ لَهُ فَسَوْا صُفُوفَكُمْ كَالْبَيْتَانِ الْمَرْصُوصِ وَقَدِمُوا الدَّارِعَ وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا  
 عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالنَّوْأَى عَلَى الْأَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَوْسَنُ لِلْأَسِنَّةِ  
 وَعَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلجَاشِ وَأَكْنُ لِلْقُلُوبِ وَأَخْفَتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِئْسَلِ  
 وَأَوْزَى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتِكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَأَسْتَمِعِينَا  
 بِالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ الصَّبْرُ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يَحْرُسُ الْأَزْدَ عَضُّوا  
 عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ وَشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورٍ بَيْنَ يَثَارُونَ  
 بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ حِينَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ إِنْ لَمْ يَسْبِقُوا يَوْمَئِذٍ  
 وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّيرَفِيُّ شَاعِرُ لِمَتُونَةَ  
 وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشَفِينَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ وَيَصِفُ ثَبَاتَهُ فِي حَرْبٍ  
 شَهَدَهَا وَيَذَكِّرُهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَحْدِيثَاتٍ تُنْبِئُكَ عَلَى مَعْرِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ  
 سِيَاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَّقَعُ      مِنْ مِينِكُمُ الْمَلِكُ الْهَامُ الْأَرْوَعُ  
 وَمَنْ الَّذِي عَدَرَ الْعَدُوَّ بِهِ دَجِي      فَانْقَضَ كُلُّ وَهْوٍ لَا يَنْزَعُزُعُ



تَمْضِي الْفَوَارِسُ وَالطَّعَانُ يَصُدُّهَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ وَضْعِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ  
أَنْزَلَ فِرْعَوْنَ يَا بَنِي صَنْهَاجَةَ  
إِنْسَانٌ عَيْنٌ لَمْ يُصِبْهَا مِنْكُمْ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَأْسِيفِ وَإِنَّهُ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ خَفِيَّةٍ  
يَا تَأْسِيفُ أُمَّ لِحْيَتِكَ عُدْرَةُ

ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ أَدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ  
لَا إِنِّي أَذْرِي بِهَا لَكِنَّهَا  
وَالْبَسَ مِنَ الْخَلْقِ الْمَضَاعِفَةَ الَّتِي  
وَالْهِنْدُ وَالرِّفِيقَ فَإِنَّهُ  
وَأَزَكَبَ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً  
خَنْدِيقَ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ تَحْلَةً  
وَالْوَادِ لَا تَعْبُرُهُ وَأَنْزِلْ عِنْدَهُ  
وَأَجْعَلْ مُنَاجِزَةَ الْجِيُوشِ عَشِيَّةً  
وَإِذَا تَضَايَقَتِ الْجِيُوشُ بِمَعْرِكٍ  
وَأَصْدَمْتَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْتَرُثُ  
وَأَجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ  
لَا تَسْمَعُ الْكُذَّابَ جَاءَكَ رُجُونًا

كَانَتْ مُلُوكُ الْفُرْسِ قَبْلَكَ تُوَلِّعُ  
ذِكْرِي تَعَضُّ الْمُؤْمِنِينَ وَتَنْفَعُ  
وَجَبَى بِهَا صَنِيعَ الصَّنَائِعِ تَبِعُ  
أَمْضَى عَلَى حَدِّ الدَّلَاصِ وَأَقْطَعُ  
حُصْنَا حَصِينًا لَيْسَ فِيهِ مِدْفَعُ  
سِيَانٍ تَتَّبِعُ ظَافِرًا أَوْ تَتَّبَعُ  
بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ جَيْشِكَ يَقْطَعُ  
وَوَرَاءَكَ الصِّدْقُ الَّذِي هُوَ أَمْنٌ  
ضَنْكَ فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ تُوسِعُ  
شَيْئًا فَأَخْطَاهَا نُكُولُ يُضْعَعُ  
لِلصِّدْقِ فِيهِمْ شِيْمَةٌ لَا تَخْدَعُ  
لَا رَأْيَ لِلْكَذَّابِ فِيمَا يَصْنَعُ

قَوْلُهُ وَأَصْدَمْتَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْتَرُثُ أَلَيْتُ مُخَالَفُ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ لَمَّا وُلَاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ أَسْمَعُ  
وَأَطِيعُ مِنْ أَحْتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرِكُهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا تُجِيبَنَّ مُسْرِعًا  
حَتَّى تُتَبِّينَ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
وَالْمَكِثَ وَقَالَ لَهُ فِي الْآخَرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْنَعَنِي أَنْ أُوْمَرَ سَاطِطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ

وَفِي التَّسْرِعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَنِ يَبَانَ ضِيَاعِ وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لَكِنَّ الْحَرْبَ لَا  
 يُصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّنَاقُلَ فِي الْحَرْبِ أَوْلَى  
 مِنَ الْخُفُوفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّبْرِيُّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ  
 أَنْ الصَّدَمَ بَعْدَ الْبَيَانِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ \* وَلَا تُتَوَقَّعُ فِي الْحَرْبِ بِالظَّفَرِ وَإِنْ  
 حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ وَإِنَّمَا الظَّفَرُ فِيهَا وَالغَلْبُ مِنْ قِبَلِ الْبَحْثِ وَالِاتِّفَاقِ  
 وَيَبَانَ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلْبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْجَيُوشُ  
 وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِجَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشُّجْعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صِدْقُ  
 الْقِتَالِ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَامٌ مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
 الْأَرْجَافِ وَالنَّشَانِيعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَاكِينِ الْمُرْتَفِعَةِ لِيَكُونَ  
 الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّرُ الْمُنْخَفِضُ لِذَلِكَ وَفِي الْكُمُونِ فِي الْغِيَاضِ وَمُطْمَئِنِّ الْأَرْضِ  
 وَالتَّوَارِي بِالْكَدَى حَوْلَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَتَدَاوَلَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّسُونَ  
 إِلَى النِّجَاةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَإِمَامٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَامَوِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
 لِلْبَشَرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا نَلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوْلِي الرَّهْبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَخْتَلُ مَرَآكِرُهُمْ  
 فَتَقَعُ الْهَزِيمَةُ وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ الْهَزَائِمُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ بِكَثْرَتِهَا بِعَمَلِ لِكُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبِينَ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْغَلْبِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
 ضَرُورَةٌ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ رَبُّ حِيلَةٍ  
 أَفْغَعَ مِنْ قَبِيلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وَقُوعَ الْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ غَالِبًا عَنْ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
 وَوُقُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى الْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْتَبِرُوا وَتَفَهَّمُوا  
 مِنْ وَقُوعِ الْغَلْبِ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَرْتُ  
 بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ غَلْبِهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَغَلْبِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفَتْوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفَلُ لِنَبِيِّهِ بِالِقَاءِ  
 الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَنْهَزِمُوا مُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
 أَنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْعَيُونِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلْبِ فِي الْحَرْبِ أَنْ  
 تُضِلَّ عِدَّةُ الْفُرْسَانَ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الشُّجْعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى عَشِيرَتِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجمان المشاهير وفي  
 الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له القلب وأعاد  
 في ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وإنما الصحيح  
 المعتبر في القلب حال العصبية أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم  
 وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لأن العصاب إذا كانت متعددة يقع بينها من  
 التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرق بين الفاعدين للعصبية تنزل كل عصبية منهم منزلة  
 الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة لأجل  
 ذلك فتهمه وأعلم أنه أصح في الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشي ولم يعمل على ذلك  
 الإنسكان شأن العصبية في حلة وبلدة وأنهم إنما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة  
 إلى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك  
 أول الكتاب مع أن هذا وأمثاله على تقدير صحته إنما هو من الأسباب الظاهرة  
 مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل  
 ذلك كهيلاً بالقلب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئاً منها لا يعارض الأسباب الخفية  
 من الخيل والخياع ولا الأمور السماوية من الرعب والخذلان الإلهي فأفهمه وتفهم  
 أحوال الكون والله مقدر الليل والنهار \* ويلحق بمعنى القلب في الحروب وأن أسبابه  
 خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعاً في أحد من طبقات  
 الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحليين للفضائل على العموم وكثير من  
 اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد  
 تصادف موضعاً وتكون طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت إنما  
 هما بالإخبار والإخبار يدخلها الذمور عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب  
 والتشيع ويدخلها الأوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال لخصائف  
 بالتلبيس والتضع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب لأصحاب التجلة والمراتب الدنيوية  
 بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والثفوس مولعة بحب الثناء  
 والناس متطاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا من الأكثر براغين في  
 الفضائل ولا منافسين في أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن

أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هُدْيِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْبَحْتِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قتلها وكثرتها

إِعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةَ الوَزَائِعِ كَثِيرَةَ الْجُمْلَةِ وَآخِرَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ  
كَثِيرَةَ الوَزَائِعِ قَلِيلَةَ الْجُمْلَةِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سَنَنِ الدِّينِ قَلْبَسَتْ  
تَقْتَضِيهِ إِلَّا الْمَغَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الوَزَائِعِ لِأَنَّ مِقْدَارَ  
الرِّكَاهَةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا رِكَاهَةُ الْحُبُوبِ وَالْمَاثِيَةِ وَكَذَا الْجَزْيَةُ وَالخَرَاجُ  
وَجَمِيعُ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ حَدُودٌ لَا تُعَدِّي وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سَنَنِ التَّغْلِبِ وَالْعَصِيَّةِ  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَالْبِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَامَحَةَ وَالْمُكَارَمَةَ وَخَفَضَ  
الْجِنَاحَ وَالتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْفَتْلَةَ عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقْلُ لِذَلِكَ  
مِقْدَارُ الوَظَيفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوَزِيْعَةِ الَّتِي تُجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ تَجْمُوعِهَا وَإِذَا قَلَّتِ الوَزَائِعُ  
وَالْوَظَائِفُ عَلَى الرِّعَايَا نَشِطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْأَعْتِمَارُ وَيَتَزَايَدُ الْحُصُولُ  
الْأَغْنِيَاطُ بِقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَإِذَا كَثُرَ الْأَعْتِمَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الوَظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ  
فَيَكْثُرُ الْجَبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَ مُلُوكُهَا وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ وَاتَّصَفُوا بِالْكَيْسِ وَذَهَبَ سِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّادَجَةِ وَخَلَقُهَا مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالتَّجَافِي  
وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَرُوضُ وَالْحِضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ وَتَخَلَّقَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ حَيْثُئِذٍ  
بِمَخْلُقِ التَّحَدُّقِ وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَائِجُهُمْ بِسَبَبِ مَا انْفَسَمُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ  
فَيَكْثُرُونَ الوَظَائِفَ وَالْوَزَائِعَ حَيْثُئِذٍ عَلَى الرِّعَايَا وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ  
الْمَغَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظِيْفَةٍ وَوَزِيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِتَكْثُرَ لَهُمُ الْجَبَايَةُ وَيَضَعُونَ  
الْمُكُوسَ عَلَى الْمَبَايِعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرْنَا بَعْدُ ثُمَّ تَنْدَرِجُ الزِّيَادَاتُ فِيهَا بِمِقْدَارِ  
بَعْدَ مِقْدَارٍ لِيَنْدَرِجَ عَوَائِدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تُنْقَلِ  
الْمَغَارِمُ عَلَى الرِّعَايَا وَتَهْضِمَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةً مَقْرُوضَةً لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ تَنْدَرِجُ قَلِيلًا  
قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ مِنْ زَادِهَا عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا مِنْ هُوَ وَاضِعُهَا إِنَّمَا ثَبَّتَ عَلَى الرِّعَايَا فِي  
الْأَعْتِمَارِ لِلذَّهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نَفْسِهِمْ بِقِلَّةِ النِّفْعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْعِهِ وَمَغَارِمِهِ وَبَيَّنَّ

ثَمَرَتِهِ وَقَائِدَتِهِ فَتَنْقِصُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَيْدِي عَنِ الْأَعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَنْقُصُ جُمْلَةُ الْجَبَايَةِ حِينَئِذٍ بِنُقْصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعِ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ الْوِظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النُّقْصَانَ فِي الْجَبَايَةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا تَقْصَحُ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزْبَعَةٍ إِلَى غَايَةِ لَيْسَ وَرَاءَهَا نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ لِكثَرَةِ الْإِتْفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْأَعْتِمَارِ وَكَثَرَةِ الْمَقَارِمِ وَعَدَمِ وِفَاءِ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوعَةِ بِهِ فَلَا تَزَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصٍ وَمِقْدَارُ الْوَزَائِعِ وَالْوِظَائِفِ فِي زِيَادَةٍ لِمَا يَسْتَفِيدُونَهُ مِنْ جَبْرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمَرَانُ بِذَهَابِ الْأَمَالِ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَبَعُودِ وَبَالٍ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْأَعْتِمَارِ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْأَعْتِمَارِ تَقَابُلُ مِقْدَارِ الْوِظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمِرِينَ مَا أَمْكَنَ فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ النَّفُوسُ إِلَيْهِ لِثِقَتِهَا بِإِدْرَاكِ الْمَنْعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس واخر الدولة

اعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا بَدْوِيَّةً كَمَا قُلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ لِعَدَمِ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا قَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْجَبَايَةِ حِينَئِذٍ وَفَاءً بِأَزِيدٍ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي الْحَضَارَةِ فِي التَّرَفِ وَعَوَائِدِهَا وَتَجْرِي عَلَى نَهْجِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ قَبْلَهَا فَيَكْتَفِرُ لِذَلِكَ خَرَجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْتَفِرُ خَرَجُ السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثَرَةً بِالْغَنَةِ بِنَفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثَرَةَ عَطَائِهِ وَلَا تَبِي بِذَلِكَ الْجَبَايَةَ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْجَبَايَةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَامِيَّةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ النَّفَقَةِ فَيَزِيدُ فِي مِقْدَارِ الْوِظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَاجَ وَالْحَاجَاتِ وَالتَّدْرِيجُ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَامِيَّةِ وَيُدْرِكُ الدَّوْلَةَ الْهَرَمُ وَتَضَعُ عِصَابَتَهَا عَنِ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْفَاقِصِيَّةِ فَتَقِلُّ الْجَبَايَةُ وَتَكْتَفِرُ الْعَوَائِدُ وَيَكْتَفِرُ بِكَثَرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْجَبَايَةِ يَضُرُّ بِهَا عَلَى الْبِيَعَاتِ وَيَفْرِضُ لَهَا قَدْرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَثْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السَّلْعِ فِي أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِذَلِكَ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثَرَةِ الْعَطَاءِ مِنْ زِيَادَةِ الْجِيُوشِ وَالْحَامِيَّةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْغَنَةِ فَتَضَعُ

الأسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضخم وقد كان وقع منه بأمصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والعبدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعادها بآثار الخبز وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى سمى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بأمصار الجريد بأفريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

### الفصل الرابعون

في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا ومفسدة للجبابة

إعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة الفوائد والتنفقات وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت إلى مزيد المال والجبابة فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة يalz زيادة في القاب المكوس إن كان قد استحدث من قبل وتارة بمقتضى العمال والجبابة وأمتكالك عظامهم لما يرون أنهم قد حصوا على شيء طائل من أموال الجبابة لا يظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجبابة لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الأرباح تكون على نسبة رؤوس الأموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الأسواق وبحسبون ذلك من إدراج الجبابة وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وإدخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فإن الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضا تنهني إلى غاية مجورهم أو تقرب وإذا رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيرا منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم وتكد ثم إن السلطان قد يتزع الكثير من ذلك إذا تعرض له غضا أو بأيسر ثمن أو لا يجده من يتاقسه في شرائه فيبغض ثمنه على بائعه ثم إذا حصل فوائد الفلاحة ومغلبها كله من زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع

الْفَلَاتِ وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
 تَفَاقُ الْبِيَعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالِيفُ الدَّوْلَةِ فَيُكَلِّفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
 تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشِرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَثْمَانِهَا إِلَّا الْقِيمَ وَأَزِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
 فِي ذَلِكَ نَاضِ أَمْوَالِهِمْ وَتَبَقَى تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِأَيْدِيهِمْ عُرُوضًا جَامِدَةً وَيَمَكُثُونَ عَطْلًا  
 مِنْ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسَبُهُمْ وَمَعَاشُهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الْفَرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ  
 فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السَّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنٍ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
 التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَذْهَبُ رَأْسُ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَيَتَعَدَّدُ ذَلِكَ وَيَتَكَرَّرُ  
 وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْعَنْبِ وَالْمُضَايِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمْوَالَهُمْ عَنْ  
 السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فِسَادِ الْجَبَايَةِ فَإِنَّ مُعْظَمَ الْجَبَايَةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْفَلَاحِينَ  
 وَالتَّجَارِ وَلَا سِيمَا بَعْدَ وَضْعِ الْمَكُوسِ وَنُومِ الْجَبَايَةِ بِهَا فَإِذَا انْتَقَبَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
 الْفَلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَارُ عَنْ التِّجَارَةِ ذَهَبَتِ الْجَبَايَةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَهَا النِّقْصُ الْمُتَفَاحِشُ وَإِذَا  
 قَابَسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْجَبَايَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْجَبَايَةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحِطِّ عَظِيمٍ مِنَ الْجَبَايَةِ فِيمَا  
 يُعَانِيهِ مِنْ شِرَاءِ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْعَبِيدِ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَكْسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
 تِلْكَ الصَّفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كُلِّهَا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْجَبَايَةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
 عُمُرَانِهِ وَأَخْذِ اللَّالِ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَنَقْصِهِمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَحْمِيرِ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالْفَلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ نَقَصَتْ وَتَلَاشَتْ بِالنَّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَاْفُ أَحْوَالِهِمْ فَأَقْبَمَ ذَلِكَ  
 وَكَانَ الْفَرَسُ لَا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ثُمَّ يَتَخَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
 الْفَضْلِ وَالدِّينِ وَالْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ بِشَرْطُونِ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
 الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صَنْعَةً فَيُضِرَّ بِجِيرَانِهِ وَلَا يَتَاجَرَ فَيُحِبَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَضَائِعِ  
 وَأَنْ لَا يَسْتَعْدِمَ الْعَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لَا يُشِيرُونَ بِخَيْرٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
 يُنْعِي مَالَهُ وَلَا يُدِرُّ مَوْجُودَهُ إِلَّا الْجَبَايَةَ وَإِدْرَارُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
 وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْأَخْذِ فِي تَحْمِيرِ الْأَمْوَالِ  
 وَتَسْمِيَتِهَا فَتَعْظَمُ مِنْهَا جَبَايَةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ قَلْحٍ فَإِنَّمَا هُوَ مَضْرُوبٌ  
 عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفَسَادٌ لِلْجَبَايَةِ وَنَقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ بَتَّهِيَ الْحَالُ بِهَوْلَاءِ الْمُنْسَلِخِينَ لِلتِّجَارَةِ

وَالْفَلَاحَةَ مِنَ الْأَمْراءِ وَالْمُتَغَلِّبِينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْفَلَاتِ وَالسَّلْعِ  
 مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بِلَدِهِمْ وَيَفْرِضُونَ لِنَفْسِهِمْ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَشَاءُونَ وَيَبْعُونَهَا فِي  
 وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَأَمُّ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا بِمَا يَفْرِضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى  
 وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرَّعِيَّةِ وَأَخْتِلَالِ أحوَالِهِمْ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ  
 يَدْخُلُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَغْنَى الثُّجَّارِ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا فِي صِنَاعَتِهِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُ  
 السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ بِسْمِهِمْ لِيَحْمِلَ عَلَى غَرَضِهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ سَرِيعًا  
 وَلَا سِيمًا مَعَ مَا يَحْمِلُ لَهُ مِنَ التِّجَارَةِ بِالْمَقْرَمِ وَلَا مَكْسَ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِنُموِ الْأَمْوَالِ  
 وَأَسْرَعُ فِي تَشْمِيرِهِ وَلَا يَفْهَمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الضَّرْرِ بِتَقْصِصِ حَيَاتِهِ فَيَنْبَغِي  
 لِلسُّلْطَانِ أَنْ يَحْتَدِرَ مِنْ هَوْلَاءِ وَيُعْرِضَ عَنْ سَعَابَتِهِمْ الْمُضْرَّةِ بِحَيَاتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَاللَّهُ  
 يَهْتَمُّ بِرُشْدِ أَنْفُسِنَا وَيَنْفَعُنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجَبَايَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تُنَوِّعُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصَبِيَّةِ  
 بِمِقْدَارِ غِنَائِهِمْ وَعَصَبِيَّتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا فُلْنَاهُ مِنْ قَبْلِ  
 فَرِيْسِهِمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَاوِفٍ لَهُمْ عَمَّا يَسْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِبدَادِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ عِزَّةٌ  
 وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي سُهْمَانِهِ مِنَ الْجَبَايَةِ إِلَّا الْأَقْلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَجِدُ حَاشِيَتَهُ  
 لِذَلِكَ وَأَذْيَالَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالسُّكَّانِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهَهُمْ مُتَقَلِّصٌ  
 لِأَنَّهُمْ مِنْ جَاهِ مَخْدُومِيهِمْ وَنِطَاقُهُ قَدْ ضَاقَ بِمَنْ يُزَاحِمُهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَفْجَلَتْ  
 طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَحَصَلَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْأَسْتِبدَادُ عَلَى قَوْمِهِ قَبْضُ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْجَبَايَاتِ  
 إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي سُهْمَانِهِمْ وَنَقِلُ حُظُوظِهِمْ إِذْ ذَاكَ لِقَلَّةِ غِنَائِهِمْ فِي  
 الدَّوْلَةِ بِمَا أَنْكَبَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْقِيَامِ بِالدَّوْلَةِ  
 وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَتَفَرَّدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْجَبَايَةِ أَوْ مُعْظَمِهَا وَيَتَحَوَّى عَلَى الْأَمْوَالِ  
 وَيَمْتَحِنُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مُهْمَاتِ الْأَحْوَالِ فَتُكْثِرُ ثَرْوَتُهُ وَتَمْتَلِي خَزَائِنُهُ وَيَتَسَّعُ نِطَاقُ  
 جَاهِهِ وَيَعْتَزُّ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَعْظُمُ حَالُ حَاشِيَتِهِ وَذَوْبُهُ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ  
 وَمَوْلَى وَشُرْطِيٍّ وَيَتَسَّعُ جَاهَهُمْ وَيَقْتَنُونَ الْأَمْوَالِ وَيَبْنِئُ ثَلُوثَهَا ثُمَّ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي



المرم بتلاشي العصية وفناء القليل المعاهدين للدولة أحتاج صاحب الأمر حينئذ  
إلى الأعوان والأوصار لكثرة الخوارج والمنار عين والثوار وتوهم الانتقاض فصار  
خراجه لظهورائه وأعوانه وهم أرباب السيوف وأهل العصيات وأفق خزائنه وحاصله  
في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والافتاق فيقل  
الخراج وتشتد حاجة الدولة إلى المال فيتقلص ظل النعمة والترف عن الخواص  
والعجائب والكتائب يتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد  
حاجة صاحب الدولة إلى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأثله آباؤهم من  
الأموال في غير سبيلها من إعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم  
وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الأموال التي اكتسبت  
في دولة سلفه وبجاههم فيضطلمها وينزعها منهم لنفسه شيئاً فشيئاً واحداً بعد واحد  
على نسبة رتبهم وتنكسر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها  
ورجاليتها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني العجد  
بعد أن يدعوه أهله ويرفعوه. وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني  
قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الأموية بالأندلس  
عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبني أبي عبدة وبني حدير وبني برز وأمثالهم  
وكذا في الدولة التي أدركناها لعهدنا سنة الله التي قد خلت في عبادِهِ

فصل \* ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم  
ينزعون إلى الفرار عن الرتب والتخلص من ربة السلطان بما حصل في أيديهم من  
مال الدولة إلى قطر آخر ويرون أنه أهنأ لهم وأسلم في إنفاقه وحصول ثمرته وهو  
من الأغلط الفاحشة والأوهام المفسدة لأحوالهم ودنياهم وأعلم أن الخلاص من  
ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع فإن صاحب هذا الغرض إذا كان هو الملك نفسه  
فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين ولا أهل العصية المزاحمون له بل في ظهور  
ذلك منه هدم ملكه وإتلاف نفسه بجاري العادة بذلك لأن ربة الملك يعسر  
الخلاص منها ولا سيما عند استفعال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن  
العجد والخلال والتخلي بالسرّ وما إذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان

وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلِ الرَّأبِ فِي دَوْلَتِهِ فَقَالَ أَنْ يُغْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوْلًا فَلَمَّا يَرَاهُ  
 الْمُلُوكُ أَنْ ذَوِيهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ بَلَّ وَسَائِرَ رَعَايَاهُمْ مَمَالِكُ لَهُمْ مُطَاعُونَ عَلَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ  
 فَلَا يَسْمَعُونَ بِحَلِّ رِبْقَتِهِ مِنْ أَلْخِدْمَةِ ضِنًّا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ وَغَيْرَةٌ  
 مِنْ خِدْمَتِهِ لِسِوَاهُمْ وَقَدْ كَانَ بَنُو أَمِيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْنَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِفَرِيضَةِ  
 الْحَجِّ لِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ وَفُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَحْجُ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبِيحَ الْحَجُّ لِأَهْلِ الدَّوَلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فِرَاقِ شَأْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَرُجُوعِهَا  
 إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِأَنَّهِنَّ وَإِنْ سَحَّحُوا بِحَلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَعُونَ بِاللِّجَانِي عَنِ ذَلِكَ  
 الْمَالِ لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَكْتَسِبُ  
 إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِهَا فَتَقُومُ نَفْسُهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ الْمَالِ وَالنِّقَامِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
 مِنَ الدَّوَلَةِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمْنَا أَنَّهُ خَاصٌّ بِذَلِكَ الْمَالِ إِلَى فُطْرٍ آخَرَ وَهُوَ فِي  
 النَّادِرِ الْأَوَّلِ فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَنْتَزِعُونَهُ بِالْإِرْهَابِ وَالنَّفْوَيفِ  
 تَعْرِضًا أَوْ بِالْقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ مَالُ الْجَبَايَةِ وَالدَّوَلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلانْتِفَاقِ فِي  
 الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْبَسَارِ الْمُتَكَسِّبِينَ مِنْ وُجُوهِ  
 الْمَعَاشِ فَآخَرَى بِهَا أَنْ تَمْتَدُّ إِلَى أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ وَالِدَّوَلِ الَّتِي تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالشَّرْعِ  
 وَالْعَادَةِ وَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بَيْعِي زَكَرِيَّا بْنُ أَحْمَدَ اللَّجِيَانِي تَاسِعُ أَوْ عَاشِرُ مُلُوكِ  
 الْحَفْصِيِّينَ بِأَفْرِيقَةَ الْخُرُوجِ عَنِ عَهْدَةِ الْمَلِكِ وَاللِّحَاقِ بِبِضْرٍ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
 الثُّغُورِ الْغَرْبِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لِعَزْوِ ثُونِسَ فَاسْتَمْلَأَ اللَّجِيَانِي الرَّحْلَةَ إِلَى ثَغْرِ ذَرَابُوسَ  
 يُورِي بِتَمَنِّيْدِهِ وَرَكِبَ السَّنِينَ مِنْ هُنَاكَ وَخَلَصَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
 جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخِزَانَتِهِمْ مِنَ  
 الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْجَوْهَرِ حَتَّى الْكُتُبِ وَأَحْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ عَلَى  
 الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُنَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنَ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ وَرَفَعَ  
 مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلِصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالْغَرَبِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا وَلَمْ يَبْقَ  
 مَعَاشُ ابْنِ اللَّجِيَانِي إِلَّا فِي جِرَابَتِهِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانِ وَعِشْرِينَ  
 حَسَبًا نَذَرَ فِي أَخْبَارِهِ فِهَذَا وَمِثَالُهُ مِنْ جُمْلَةِ التُّوسُواسِ الَّذِي يَعْتَرِي أَهْلَ الدَّوَلِ  
 لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَإِنَّمَا يَخْلُصُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمْ الْخُلَاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فَعَلَطُوا وَوَهَّمُوا وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشُّهُرَةِ بِخِدْمَةِ الدُّوَلِ كَانِ  
 فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْجِرَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْجَاهِ فِي انْتِحَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ  
 التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالدُّوَلِ أَنْسَابُ لَكِنِ  
 النَّبَسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَعُ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرِّزَاقُ وَهُوَ الْمُؤَفَّقُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَانِ  
 فَإِذَا أَحْتَجَّ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْجَبَايَاتِ أَوْ فَقِدَتْ فَلَمْ تَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حَيْثُ  
 مَا بِأَيْدِي الْحَاشِيَةِ وَالْحَامِيَةِ وَانْقَطَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ  
 تَقَاتُهُمْ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السُّوَادِ وَنَفَقَاتُهُمْ أَكْثَرُ مَادَّةِ الْأَسْوَاقِ مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ  
 الْكَسَادُ حَيْثُ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُ الْأَزْبَاحُ فِي الْمَتَاجِرِ فَيَقِلُّ الْخُرَاجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ  
 الْخُرَاجَ وَالْجَبَايَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ  
 لِلْقَوَائِدِ وَالْأَزْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنَّقْصِ لِقَلَّةِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حَيْثُ  
 يَقِلُّ الْخُرَاجُ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أُمَّ الْأَسْوَاقِ كُلِّهَا وَأَصْلُهَا  
 وَمَادَّتُهَا فِي الدُّخْلِ وَالخُرُجِ فَإِنْ كَسِدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَأَجْدِزَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ  
 أَنْ يَلْحَقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ  
 مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا حَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موذن بخراب العمران

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَكُنْسَابِهَا  
 لِمَا يَرَوْنَهُ حَيْثُ مِنْ أَنْ غَابَتْهَا وَمَصِيرَهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي  
 كُنْسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدَرِ الْأَعْتِدَاءِ وَنَسْبَتِهِ  
 يَكُونُ انْقِبَاضُ الرِّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْإِكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْأَعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًّا فِي  
 جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقُعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِدِهَابِهِ بِالْأَمْوَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ

مِنْ جَمِيعِ أَسْوَاقِهَا وَإِنْ كَانَ الْأَعْتِدَاءُ يَسِيرًا كَانَ الْأَنْقِبَاضُ عَنِ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ  
 وَالْعُمُرَانُ وَوُفُورُهُ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكَايِبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِبِينَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْمَعَاشِ وَأَنْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ  
 الْمَكَايِبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمُرَانِ وَأَنْقَبَضَتْ الْأَحْوَالُ وَأَبْذَعَرَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِبَالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فِيمَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَتْ سَاكِنُ الْقَطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَأَخْتَلَّ بِأَخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لِمَا أَنَّهَا صُورَةٌ  
 لِلْعُمُرَانِ تَفْسُدُ بِفَسَادِ مَادَّتِهَا ضَرُورَةٌ وَأَنْظَرُ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي الْخَبَرِ  
 الْفَرَسِيِّ عَنِ الْمُؤَبَّدَانِ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامَ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ وَمَا عَرَضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي انْكَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْمَثَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْبُومِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فِهْمِ كَلَامِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ بُومًا  
 ذَكَرَ أَيُّوْمَ نِكَاحِ بَوْمِ أَثْنِي وَإِنَّهَا شَرَطَتْ عَلَيْهِ عِشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخَرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامِ  
 فَقَبِلَ شَرْطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنْ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقَطَعْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَهْمَلُ مَرَامٍ فَتَبَّهَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبَّدَانِ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنْ الْمَلِكُ  
 لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالْتِصَافِ بِتَمَّتْ أَمْرِهِ وَتَنَبَّهَ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمُنْتَصَبُ  
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبُهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتُ إِلَى الضِّيَاعِ  
 فَأَنْزَعْتَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا وَعَمَارَهَا وَهُمُ أَرْبَابُ الْخَرَاجِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ وَأَقَطَعْتَهَا  
 الْحَاشِيَةَ وَالْخُدَمَ وَأَهْلَ الْبِطَالَةِ فَتَرَكَوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا يُصْلِحُ الضِّيَاعَ  
 وَسُوِّحُوا فِي الْخَرَاجِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْحَيْفُ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَرْبَابِ الْخَرَاجِ وَعُمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَنْجَلُوا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلُّوا دِيَارَهُمْ وَأَوْرَأُوا إِلَى مَا تَعَدَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُوهَا  
 فَقَلَّتْ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقَلَّتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُنُودُ وَالرُّعْيِيَّةُ وَطَمِعَ فِي  
 مَالِكَ فَارَسَ مَنْ جَاوَزَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِعِلْمِهِمْ بِانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا تَسْتَعِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مَلِكِهِ وَأَنْزَعَتِ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِي الْخِصَاصَةِ وَرُدَّتْ عَلَى أَرْبَابِهَا وَحُمِلُوا عَلَى رُسُومِهِمُ السَّالِفَةِ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَقَوَّيَ

مِنْ ضَعْفِ مِنْهُمْ فَعَمَّرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جُبَاةِ الْخَرَاجِ  
 وَقَوِيَتِ الْجُنُودُ وَقَطِيعَتِ مَوَادِّ الْأَعْدَاءِ وَشُحِنَتِ الثُّغُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مُبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ وَانْتَهَمَ مَلِكُهُ فَتَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ تُغْرِبُ لِلْعُمَرَانَ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخَرَابِ فِي الْعُمَرَانَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ قَدْ يُوجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي بِهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خَرَابٌ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَمَّا كَانَ  
 الْمِصْرُ كَبِيرًا وَعُمُرَانُهُ كَثِيرًا وَأَحْوَالُهُ مُتَّسِعَةً بِمَا لَا يَحْصُرُ كَانَ وَفُوعُ النِّقْصِ فِيهِ بِالْإِعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ بَسِيرًا لِأَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَعَ  
 الْأَعْمَالُ فِي الْمِصْرِ لَمْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَبُ نِلك الدَّوْلَةُ الْمُعْتَدِيَةُ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خَرَابِ الْمِصْرِ وَتَجِيءُ الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَتَرْقَعُهُ بِجِدَّتِهَا وَتَجْبُرُ النِّقْصَ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ  
 النِّقْصِ فِي الْعُمَرَانَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا يَدَّ مِنْهُ لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَوَبَّالَهُ عَائِدَةُ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخَذَ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكِ مِنْ بَيْدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ عِيُوضٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَلِ الظُّلْمُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَنْ أَخَذَ مَلِكٌ أَحَدًا أَوْ غَضَبَهُ  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَآبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرَضَ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرِضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجُبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُنْتَهَبُونَ لَهَا ظَالِمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَخُصَابُ الْأَمْلاكِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلَمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَائِدَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخَرَابِ الْعُمَرَانَ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا لِإِذْهَابِهِ الْأَمْالِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ فِسَادِ الْعُمَرَانَ وَخَرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَدِّنٌ بِانْقِطَاعِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُرَاعِيَةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الصَّرُورِيَّةِ الْخَمْسَةِ مِنْ حِنِظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتَ مُؤَدِّنًا بِانْقِطَاعِ النَّوعِ لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَغْرِيْبِ الْعُمَرَانَ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجِدَةً فَكَانَ تَحْرِيمُهُ مُهِمًّا وَأَدْلُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَصْرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوَضِعَ بِإِزَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الرَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِزَائِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلنَّوعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى

أَقْرَبَهَا مِنْ الرِّزَا وَالْقَتْلِ وَالسُّكْرِ إِلَّا أَنْ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَبُورِغٍ فِي ذِمَّةِ وَتَكَرَّرَ الوَعِيدُ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
أَلْوَاغٌ فِيهِ لِلقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَا نَقُولُ إِلَّا الْعُقُوبَةَ قَدْ وُضِعَتْ  
بِأَزَاءِ الخِرَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ القَادِرِ لِأَنَّ الخُحَارِبَ زَمَنَ حِرَاتِهِ قَادِرٌ فَإِنْ فِي  
الْجَوَابِ عَنِ ذَلِكَ طَرِيقَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَقْتَرِفُهُ مِنَ الخِجَابَاتِ فِي نَفْسِ  
أَمْوَالِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَابَقَةِ بِجِنَابَتِهِ  
وَأَمَّا نَفْسُ الخِرَابَةِ فَهِيَ خُلُوقٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ . الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الخُحَارِبُ لِأَبوصفٍ  
بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَعْنِي بِقُدْرَةِ الظَّالِمِ الْيَدِ الْمَبْسُوطَةِ الَّتِي لَا تَعَارُضُهَا قُدْرَةٌ فِيهِ الْمُؤَذِنُ  
بِالْخُرَابِ وَأَمَّا قُدْرَةُ الخُحَارِبِ فَأَيْضًا فِي إِخَافَةِ مَجْعَلِهَا ذَرِيعَةً لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ القُدْرِ الْمُؤَذِنِ بِالْخُرَابِ وَاللَّهُ  
قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلَامَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ العُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
وَتَسْخِيرُ الرِّعَايَا بِغَيْرِ حَقِّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَمَوَّلَاتِ كَمَا سَبَّيْنَا فِي  
بَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمَةُ أَعْمَالِ أَهْلِ العُمَرَانِ فَإِذَا مَسَّعِيهِمْ  
وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَوَّلَاتٌ وَمَكَايِبُ لَهُمْ بَلْ لَا مَكَايِبَ لَهُمْ سِوَاهَا فَإِنَّ الرِّعِيَّةَ  
الْمُعْتَمِلِينَ فِي العِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَايِبُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَلَّفُوا الْعَمَلَ  
فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَأَتَّخَذُوا سِخْرِيًّا فِي مَعَاشِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَأَغْنَصُوا قِيمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
وَهُوَ مُتَمَوَّلُهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حِظٌّ كَثِيرٌ مِنْ مَعَاشِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمْوَالُهُمْ فِي العِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنِ السَّعْيِ فِيهَا  
جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِقَاضِ العُمَرَانِ وَتَخَرُّبِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ  
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ العُمَرَانِ وَالِدَوْلَةِ التَّسَلُّطُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِشِرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَنْجَسِ الْأَنْثَمَانِ ثُمَّ فَرَضَ البَضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَرْزَعِ الْأَنْثَمَانِ عَلَى  
وَجْهِ الغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ وَرُبَّمَا تُفَرِّضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَنْثَمَانِ عَلَى  
التَّوَاخِي وَالتَّعَجُّلِ فَيَشْتَعِلُونَ فِي تِلْكَ الخِيسَارَةِ الَّتِي تَلْعَقُهُمْ بِمَا مُجِدُّهُمْ بِالطَّمَاعِ مِنْ جَبْرِ  
ذَلِكَ بِمَجْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ البَضَائِعِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَاءِ إِلَى بَيْعِهَا بِأَنْجَسِ  
الْأَنْثَمَانِ وَتَعُودُ خِيسَارَةٌ مَا بَيْنَ الصَّنَفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَعْزُ ذَلِكَ أَصْنَافُ

التُّجَّارِ الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ وَالْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ فِي الْبَضَائِعِ وَسَائِرِ السُّوقِ وَأَهْلَ  
الدِّكَائِينَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْفَوَاكِهِ وَأَهْلَ الصَّنَائِعِ فِيمَا يَتَّخِذُ مِنَ الْآلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ  
فَتَشْمَلُ الْخِسَارَةَ سَائِرِ الْأَصْنَافِ وَالطَّبَقَاتِ وَتَتَوَالَى عَلَى السَّاعَاتِ وَتُجْحِفُ بِرُؤُوسِ  
الْأَمْوَالِ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا وَلِيَّةً إِلَّا الْقَعُودَ عَنِ الْأَسْوَاقِ لِيَذْهَبَ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي  
جَبْرِهَا بِأَلْزَابِحٍ وَيَتَنَاقَلُ الْوَارِدُونَ مِنَ الْآفَاقِ لِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَيَتَّعَمُّهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَتَكْسُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَبْطُلُ مَعَاشُ الرِّعَايَا لِأَنَّ عَامَّتَهُ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَإِذَا كَانَتْ  
الْأَسْوَاقُ عَطْلًا مِنْهَا بَطَلَ مَعَاشُهُمْ وَتَنَقَّصُ جِبَايَةُ السُّلْطَانِ أَوْ تَفْسُدُ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا مِنْ  
أَوْسَطِ الدَّوْلَةِ وَمَا بَعْدَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الدُّكُوسِ عَلَى الْبِيَعَاتِ كَمَا قَدَّمْنَا وَبَيَّوُلُ ذَلِكَ  
إِلَى تَلَاثِي الدَّوْلَةِ وَفَسَادِ عُمَرَانَ الْمَدِينَةِ وَيَتَطَرَّقُ هَذَا الْخَلَلُ عَلَى التَّدْرِيجِ وَلَا يُشْعِرُ  
بِهِ هَذَا مَا كَانَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الذَّرَائِعِ وَالْأَسْبَابِ إِلَى اخْتِذِ الْأَمْوَالِ وَأَمَّا اخْتِذُهَا مَجَانًا  
وَالْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَعْرَافِهِمْ فَهُوَ يُفْضِي  
إِلَى الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ دَفْعَةً وَتَنَقُّصِ الدَّوْلَةِ سَرِيعًا بِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْمَرْجِ الْمُفْضِي إِلَى  
الْإِنْتِقَاصِ وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ حَظَرَ الشَّرْعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَشَرَعَ الْمَكَايَسَةَ فِي  
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَحَظَرَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ سَدًّا لِأَبْوَابِ الْمَفَاسِدِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى  
انْتِقَاصِ الْعُمَرَانِ بِالْمَرْجِ أَوْ بَطْلَانِ الْعِمَاشِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ  
حَاجَةُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ إِلَى الْإِكْتِسَابِ مِنَ الْعَمَالِ بِمَا يَعْزُضُ لَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فِي الْأَحْوَالِ  
فَيَكْثُرُ نَقَاتُهُمْ وَيَعْظُمُ الْخَرْجُ وَلَا يَبْنِي بِهِ الدَّخْلُ عَلَى الْقَوَانِينِ الْعُمُودَةِ يَسْتَعْدِثُونَ  
الْقَابَا وَوُجُوهًا يُوسِعُونَ بِهَا الْجِبَايَةَ لِيَفِي لَهُمْ الدَّخْلُ بِالْخَرْجِ ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّرَفُ يَزِيدُ  
وَالْخَرْجُ بِسَبَبِهِ يَكْثُرُ وَالْحَاجَةُ إِلَى أَمْوَالِ النَّاسِ تَشْتَدُّ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ يَزِيدُ  
إِلَى أَنْ تَحْمِيَ دَائِرَتَهَا وَيَذْهَبَ بِرِسْمِهَا وَيَغْلِبَهَا طَالِبُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
إِعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنِ مَنَازِعِ الْمَلِكِ كَمَا قَدَّمْنَا  
لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ أَمْرُهَا وَيَحْصُلُ اسْتِبْلَاؤُهَا وَالْبِدَاوَةُ فِي شِعَارِ  
الْعَصِيَّةِ وَالدَّوْلَةُ إِنْ كَانَ قِيَامُهَا بِالذِّمَنِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَإِنْ كَانَ قِيَامُهَا

بِعِزِّ الْقَلْبِ فَقَطَّ فَالْبِدَاوَةُ الَّتِي بِهَا يَحْتَصِلُ الْقَلْبُ بِعِيدَةٍ أَيْضًا عَنْ مَنَارِعِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ  
 وَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بَدْوِيَّةً كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى حَالِ الْغَضَاضَةِ وَالْبِدَاوَةِ  
 وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسُمُوْلَةِ الْإِذْنِ فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ عَنِ  
 النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُرُونه لِمَا يَكْثُرُ حِينَئِذٍ بِمَاشِيَتِهِ فَيَطْلُبُ  
 الْإِنْفِرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
 دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِبًا لَهُ عَنِ النَّاسِ بِقِيَمَةِ بِيَابِهِ لِهَيْدِهِ الْوَضِيئَةَ ثُمَّ إِذَا اسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ  
 وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَارِعُهُ اسْتَحَالَتْ أَخْلَاقُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَهِيَ أَخْلَاقُ  
 غَرِيبَةٍ مَخْصُوصَةٌ يَحْتَاجُ مَبَاشِرُهَا إِلَى مُدَارَاتِهَا وَمَعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا وَرَبْمَا جِهَالِ تِلْكَ  
 الْأَخْلَاقِ مِنْهُمْ بَعْضٌ مَنْ يَبَاشِرُهُمْ فَوْقَ فِيمَا لَا يُرْضِيهِمْ فَيَحْطِطُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
 مِنْهُ فَأَنْفَرَدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَابِ الْخَوَاصِّ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَحَجَبُوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
 عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حِفْظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُعَانِيَةِ مَا يُسَخِّطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنَ  
 التَّعَرُّضِ لِعِقَابِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرٌ أَخْصَّ مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ يُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
 خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابِ الثَّانِي يُفْضِي إِلَى  
 جَمَالِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابِ الْأَوَّلِ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
 الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَائِهِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ  
 الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْحَاجِبُ جَزِيًّا عَلَى مَذْهَبِ الْإِسْتِثْقَاقِ الصَّحِيحِ  
 ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتْ الدَّوْلَةَ مِنَ التَّرَفِ وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
 وَكَمَلَتْ خُلُقُ الْمَلِكِ عَلَى مَا يَجِبُ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
 أَخْصَّ بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانَ لِلْعَبَّاسِيَّةِ دَارُ الْخَاصَّةِ وَدَارُ الْعَامَّةِ كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ  
 فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوَلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَخْصَّ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحُجْرِ  
 عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمَلِكِ إِذَا نَصَبُوا الْأَبْنَاءَ مِنَ الْأَعْقَابِ  
 وَحَاوَلُوا الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبْدُ أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ بِطَانَةَ ابْنِهِ  
 وَخَوَاصَّ أَوْلِيَائِهِ يَوْمَهُ أَنْ فِي مَبَاشِرَتِهِمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
 لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ لِقَاءَ الْغَيْرِ وَيُعَوِّدَهُ مُلَابَسَةَ أَخْلَاقِهِ هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
 يَسْتَحْكِمَ الْإِسْتِيلَةَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَاعِيهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي



الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في العجبر ويكون دليلاً على هرم الدولة وتقاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يعاولون على ذلك يطبأعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لئلا ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

### الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما مستفحل وبتأبع من أحوال الترف والنعم إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالعباد ويتفرد به وبأنف حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب السامون له في ذلك بانفسهم ونزعوا إلى الفاصية إليهم من يلحق بهم مثل حالمين من الاعتزاز والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضايق ورجع عن الفاصية فيستبد ذلك التازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وأنظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حريزاً مجتمعا ونطاقاً ممتداً في الاتساع وعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلافة سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستهيتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك نزع ملك ولا رئاسة ولم يتم أمرهم له زاحمتهم العصية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذت بالتملص عن الفاصية نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس فاصية دولة الإسلام فاستحدث بها ملكاً واقطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع أدريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البرابرة من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الأغالبة في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتماناً وصنهاجة واستولوا على أفريقية والمغرب ثم مضر والشام والحجاز وغلبوا على الأدارسة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس

مركز العرب وأصنامهم ومادتهم الإسلام ودولة بني أمية العجدين بالاندلس  
ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيدين بأفريقية ومصر والشام والحجاز  
ولم تزل هذه الدولة إلى أن أصبح انفراطها متقارباً أو جميعاً وكذلك انقسمت دولة  
بني العباس بدول أخرى وكان بالفاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان والعلوية  
في الديلم وطبرستان وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء  
ثم جاء السجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضاً بعد الاستفحال كما  
هو معروف في أخبارهم وكذلك أعينته في دولة صنهاجة بالمغرب وأفريقية لما بلغت  
إلى غايتها أيام باديس بن المنصور خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك العرب لنفسه  
ما بين جبل اوراس إلى تلمسان وملوية وأخطت القلعة بجبل كتامة حبال المسيلة ونزلها  
واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطرى واستحدث ملكاً آخر فسما لملك آل باديس  
وبقي آل باديس بالقيروان وما إليها ولم يزل ذلك إلى أن انفرض أمرها جميعاً وكذلك  
دولة الموحدين لما تقلص ظلها ناز بأفريقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا  
ملكاً لأعقابهم بنوا حبيها ثم لما استفحل أمرهم واستولى على الغاية خرج على المملك  
الغربية من أعقابهم الأمير أبو بكر ياء يحيى ابن السلطان أبي إسحق إبراهيم رابع خلفائهم  
واستحدثت ملكاً بجبابة وقسنطينة وما إليها أورثه بنيه وقسموا به الدولة قسمين  
ثم استولوا على كرسي الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين أعقابهم ثم عاد الاستيلاء  
فيهم وقد انتهى الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاث وفي غير أعياص الملك من قومه  
كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك النجم بالمشرق وفي ملك صنهاجة بأفريقية  
فقد كان لآخر دولتهم في كل حصن من حصون أفريقية نائراً مستقل بأمره كما تقدم  
ذكره وكذا حال الجريد والزاب من أفريقية قبيل هذا العهد كما نذكره وهكذا شأن  
كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم بالتعرف والدعة ونقص ظل الغلب فينقسم  
أعياصها ومن يغلب من رجال دولتها الأمر ويشدد فيها الدول والله وارث الأرض ومن عليها

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحداً بعد واحد وبيننا أنها

تَعَدُّ لِلدَّوْلَةِ بِالطَّبَعِ وَأَنَّهَا كُلُّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لَهَا وَإِذَا كَانَ الْهَرَمُ طَبِيعِيًّا فِي الدَّوْلَةِ  
كَانَ حَدُوثُهُ بِمِثَابَةِ حَدُوثِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا يَبْعَثُ الْهَرَمُ فِي الْمَرْجِ الْحَيَوَانِي  
وَالْهَرَمُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُزْمَنَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ دَوَائِمُهَا وَلَا انْتِفَاعُهَا لِأَنَّ طَبِيعِيَّةَ الْأُمُورِ  
الطَّبِيعِيَّةِ لَا تَبْدُلُ وَقَدْ يَتَّبِعُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ مِنْ لَهُ يَقْظَةُ فِي السِّيَاسَةِ فَيَرَى مَا  
نَزَلَ بِدَوْلَتِهِمْ مِنْ عَوَارِضِ الْهَرَمِ وَيَظُنُّ أَنَّ مُمْكِنَ الْإِنْتِفَاعِ فَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِتَلَاغِي الدَّوْلَةِ  
وَإِصْلَاحِ مَرْجِهَا عَنْ ذَلِكَ الْهَرَمِ وَيَتَحَسَّبُ أَنَّهُ لِحَقِّهَا بِتَقْصِيرِ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ وَأَيْسَ كَذَلِكَ قَائِمًا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ مِنْ تَلَاغِيهَا  
وَالْعَوَائِدُ مَنَزَلَةٌ طَبِيعِيَّةٌ أُخْرَى فَإِنْ مَنْ أَدْرَكَ مِثْلًا أَبَاهُ وَأَكْثَرَ أَهْلِ بَيْتِهِ يَلْبَسُونَ  
الْحَرِيرَ وَالذَّبِيحَ وَيَتَحَلَّوْنَ بِالذَّهَبِ فِي السَّلَاحِ وَالْمَرَكَبِ وَيَتَحْتَجِبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي  
الْحِجَابِ وَالصَّوَاتِ فَلَا يُمْكِنُهُ مُخَالَفَةُ سَلَفِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْخُشُونَةِ فِي اللَّبَاسِ وَالزِّيِّ  
وَالِإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ إِذِ الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتَقْبِضُ عَلَيْهِ رُتْبَتَهُ وَلَوْ فَعَلَهُ لَرُمِيَ  
بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً وَخَشْيَ عَلَيْهِ عَائِدَةُ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي  
سُلْطَانِهِ وَانْظُرْ شَأْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي إِنْكَارِ الْعَوَائِدِ وَمُخَالَفَتِهَا لَوْلَا الْأَيُّدُ الْإِلَهِيَّةُ وَالنَّصْرُ  
السَّمَاوِيُّ وَرُبَّمَا تَكُونُ الْعَصِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَيَكُونُ الْأَهْبَةُ تُعَوِّضُ عَنْ مَوْجِعِهَا مِنَ  
النَّفُوسِ فَإِذَا أُزِيلَتْ تِلْكَ الْأَهْبَةُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصِيَّةِ تَجَاسَرَتِ الرِّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِذَهَابِ  
أَوْهَامِ الْأَهْبَةِ فَتَنْدَرِعُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأَهْبَةِ مَا أُمْكِنَهَا حَتَّى يَنْقُضِي الْأَمْرُ وَرُبَّمَا يَبْعَثُ  
عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تُؤْمِرُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ أَرْتَقَ عَنْهَا وَيُوهَضُ ذُبَالُهَا إِيمَاضَةَ الْخُمُودِ  
كَمَا يَقَعُ فِي الذُّبَالِ الْمُسْتَعْمَلِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مُقَارَبَةِ انْطِفَائِهِ يُوهَضُ إِيمَاضَةَ تَوْهَمِ أَنَّهَا اشْتِعَالٌ  
وَهِيَ انْطِفَاءٌ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَلَا تُغْفَلْ سِرًّا لَلَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فِي أَطْرَادِ وُجُودِهِ عَلَى مَا  
قَدَّرَ فِيهِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

### الفصل السابع والاربعون

في كيفية طرق الخلل للدولة

اعْلَمْ أَنَّ مَبْنَى الْمَلِكِ عَلَى أَسَاسَيْنِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا فَالْأَوَّلُ الشُّوْكَ وَالْعَصِيَّةُ وَهُوَ الْمَبْرُوعَةُ  
بِالْجُنْدِ وَالثَّانِي الْمَالُ الَّذِي هُوَ قَوَامُ أَوْلِيكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ  
الْأَحْوَالِ وَالْخُلُقِ إِذَا طَرَقَ الدَّوْلَةَ طَرَفَهَا فِي هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ فَلَنْذَكُرَ أَوْلَى طُرُوقِ

الْخَلَالِ فِي الشُّوَكَةِ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ نَزَجُ إِلَى طُرُقِهِ فِي الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ تَعْبِيدَ  
 الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا قُلْنَاهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ كَبْرَى جَامِعَةٍ  
 لِلْعَصَائِبِ مُسْتَنْبَعَةٍ لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتْ  
 الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَّعَ أَنْوْفَ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُجَدَّعُ أَنْوْفَ  
 عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ الْمُقَاسِمِينَ لَهُ فِي اسْمِ الْمَلِكِ فَيَسْتَدِ فِي جَدِّعِ أَنْوْفِهِمْ بِمَا بَلَغَ  
 مِنْ سَوَادِهِمْ لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَزِ وَالْغَلْبِ فَيَحِيْطُ بِهِمْ هَادِمَانِ وَهَمَا التَّرَفِ وَالْقَهْرِ  
 ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْضُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُوحِ الْمَلِكِ لِصَاحِبِ  
 الْأَمْرِ فَيَقْلِبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مَلِكِهِ فَيَأْخُذُهُمُ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَابِ  
 النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ فِيهِلِكُونَ وَيَقْلُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
 الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَنْبَعُهَا فَتَنْحَلُّ  
 عَزْوُهَا وَتَضَعُ شَكِيمَتَهَا وَتُسْتَبَدُّ عَنْهَا بِالْبَطَانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
 وَتُؤَخَذُ مِنْهُمْ عَصِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَتْ مِثْلَ تِلْكَ الشَّدَةِ الشُّكِيمَةِ لِقُفْدَانِ الرَّحْمِ وَالْقَرَابَةِ  
 مِنْهَا وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَقُوَّتَهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحْمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
 فِي ذَلِكَ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعِيَِّةِ وَيُحْسِ بِذَلِكَ أَهْلُ  
 الْعَصَائِبِ الْأُخْرَى فَيَتَجَاسَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَطَانَتِهِ تَجَاسُرًا طَبِيعِيًّا فِيهِلِكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
 وَتَتَّبِعُهُمُ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَقْلِدُ الْآخَرَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
 يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مُهْلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدَّمْنَا فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِمُ الْهَلَاكُ بِالتَّرَفِ  
 وَالْقَتْلِ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيَفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَتَوَرَّتْهَا وَيَصِيرُوا أَوْجَرَ  
 عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقْلُونَ لِذَلِكَ فَتَقِلُّ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزَلُ بِالْأَطْرَافِ وَالْأُغُورِ فَتَتَجَاسَرُ الرِّعَايَا  
 عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيَبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
 تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حَيْثُ مِنْ حُصُولِ غَرَضِهِمْ بِمَبَايَعَةِ أَهْلِ الْقَاصِيَةِ لَهُمْ  
 وَأَمْنِهِمْ مِنْ وُضُولِ الْحَمِيَّةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَاقُ حَتَّى  
 تَصِيرَ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِينِ إِلَى مَرَكَزِ الدَّوْلَةِ وَرُبَّمَا انْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
 ذَلِكَ بَدْوَلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا قُلْنَاهُ وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
 عَصِيَّتِهَا لَكِنْ إِذْغَانًا لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَلِغَلْبِهِمُ الْمَعْبُودِ وَأَعْتَبَزِ هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

إلا سلام كيف انتهت أولاً إلى الأندلس والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذاً في جميع  
 العرب بعصبة بني عبد مناف حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك بدمشق بقتل  
 عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبة بني أمية  
 بما أصابهم من الترف فأنقضوا وجاء بنو العباس ففضوا ابن أعنة بني هاشم وقتلوا  
 الطالبين وشردوهم فأنحلت عصبة عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد  
 عليهم أهل القاصية مثل بني الأغب بأفريقية وأهل الأندلس وغيرهم وأنقسمت  
 الدولة ثم خرج بنو أدريس بالمغرب وقام البربر بأمرهم إذعانا للعصبة التي لهم  
 وإنما أن تصلهم مقاتلة أو حامية للدولة فإذا خرج الدعاة أخيراً فينغلبون على الأطراف  
 والقاصية وتغصّل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت  
 الدولة تقلصاً إلى أن ينتهي إلى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف  
 فتهلك وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال أمدها بعد ذلك فتستغني  
 عن العصبة بما حصل لها من الصبغة في نفوس أهل إيلاتها وهي صبغة الانقياد والتسليم  
 منذ السنين الطويلة التي لا يعقل أحد من الأجيال مبدأها ولا أوليتها فلا يعقلون إلا  
 التسليم لصاحب الدولة فيستغني بذلك عن قوة العصاب ويكفي صاحبها بما حصل  
 لها في تمهيد أمرها الإجراء على الحامية من جندي ومرزوق ويعضد ذلك ما وقع في  
 النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد يتصور عصياناً أو خروجاً إلا والجمهور  
 منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده وربما كانت  
 الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم والانقياد  
 لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بخالفة ولا يتخلج في ضميرها انحراف عن  
 الطاعة فيكون أسلم من المخرج والانتقاض الذي يحدث من العصاب والعشائر  
 ثم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحرارة الفريزية في البدن  
 العادم للغذاء إلى أن تنتهي إلى وقتها المقدور ولكل أجل كتاب ولكل دولة  
 أمده والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار . وأما الخلل الذي يطرأ من جهة  
 المال فأعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق بالرعايا  
 والقصد في النفقات والتعفف عن الأموال فنتجاني عن الإمعان في الجباية والتحدثني

وَالكَيْسِ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحِسْبَانِ الْعَمَالِ وَلَا دَاعِيَةَ حَيْثُ إِلَى الْأَسْرَافِ فِي النَّفَقَةِ  
فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِيْلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْجِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
إِلَى التَّرَفِ وَيَكْثُرُ الْإِنْفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْأُمَّمِ  
بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَرْزَاقِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرَفُ فَيَكْثُرُ الْأَسْرَافُ فِي النِّفَقَاتِ وَيَنْتَشِرُ ذَلِكَ فِي الرِّعَايَةِ  
لَأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مَلُوكِهَا وَعَوَائِدِهَا وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى ضَرْبِ الْمَكْسُوسِ عَلَى  
أَثْمَانِ الْبِيَعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِدْرَارِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرَفِ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
بِالزَّرْفِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ سُلْطَانِهِ وَأَرْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِ  
فَلَا تَقْبِي بِهَا الْمَكْسُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْحَلَتْ فِي الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لِمَنْ تَخْتَبِئُ بِهَا  
مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ نَقْدٍ  
فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشِبْهِهِ أَوْ بغيرِ شِبْهِهِ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ قَدْ تَجَامَرَ عَلَى  
الدَّوْلَةِ بِمَا لَحِقَهَا مِنَ الْفُشْلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتُدَاوِي بِسَكِينَةِ  
الْعَطَايَا وَكثْرَةِ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ وَلَا تَحْتَدُّ عَنْ ذَلِكَ وَليجَّةً وَتَكُونُ جَبَاةُ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
قَدْ عَظُمَتْ ثُرُوتُهُمْ فِي هَذَا الطَّوْرِ بِكثْرَةِ الْجَبَايَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا اتَّسَعَ لِذَلِكَ  
مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِأَحْتِجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَشُو السَّعَايَةَ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
مِنْ بَعْضٍ لِلْمُنَافَسَةِ وَالْحَقْدِ فَتَعْمَهُمُ النَّكَبَاتُ وَالْمُصَادَرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
تَذْهَبَ ثُرُوتُهُمْ وَتَنَلَّاشِي أَمْوَالَهُمْ وَيُفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَجْهَةِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
أَصْطَلَمَتْ نِعْمَتُهُمْ تَجَاوَزَتْهُمُ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ مِنَ الرِّعَايَا سَوَاءً وَكَوْنُ الْوَهْنِ  
فِي هَذَا الطَّوْرِ قَدْ لَحِقَ الشُّوْكَ وَضَعُفَتْ عَنِ الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ فَتَنْصَرِفُ سِيَاسَةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ حَيْثُ إِلَى مُدَارَاةِ الْأُمُورِ بِبَدْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعُ مِنَ السَّيْفِ لِقَلَّةِ غِنَائِهِ فَتَعْظُمُ  
حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى النِّفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَغْنَى فِيهَا يُرِيدُ وَيَعْظُمُ الْهَرَمُ  
بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَامَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النُّوَاحِي وَالدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عَوَاثِمَ فِي كُلِّ طَوْرِ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
أَنْ تُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ وَتَنْعَوِضَ مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ الْكَمَلِ فَإِنْ قَصَدَهَا ظَالِبٌ أَنْزَعَهَا مِنْ  
أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَإِلَّا بَقِيَتْ وَهِيَ تَنَلَّاشِي إِلَى أَنْ تَضْمَجَلَ كَالذَّبَالِ فِي السِّرَاجِ إِذَا  
فَنِيَ زَيْبُهُ وَطَفِي وَأَلَّهُ مَالِكُ الْأَمْوَالِ وَمُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتبجدها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخلت الدولة المستقرة في الهرم والانتعاش  
تكون على نوعين إما بان يستبد ولاة الأعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتقلص  
ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه  
عنه أبناؤه أو مواليه ويستفحل أهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويتزغ ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم  
وتقلص ظلمها عن القاصية واستبد بنو ساسان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام  
وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الأموية بالاندلس واقترق ملكها في الطوائف  
الذين كانوا ولائها في الأعمال وانقسمت دولا وملوكا اوزنوها من بعدهم من  
قرايبهم أو مواليتهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حربا لانهم  
مستقرون في رئاستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وإنما  
الدولة اذ ركها الهرم وتقلص ظلمها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني  
بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الأمم والقبائل إما بدعوة يجعل الناس  
عليها كما اشرنا اليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبيرا في قومه قد استجحل أمره  
فتسمو بهم إلى الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة  
المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له وقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالطلبة  
إلى ان يظفروا بها ويوزنون<sup>(١)</sup> كما يشين والله سبحانه وتعالى اعلم

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة  
قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الأطراف اذا  
تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر  
كما قدمناه لان قصارهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع

(١) قوله ويزنون وفي نسخة ويرفون من الرفو بالراء والقام ١٠

الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لابد لهم من المطالبة لأن قوتهم وافية بها فإن ذلك إنما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاؤه ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تنكوز وتصل إلى أن يقع لولم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب إنما يقع كما قدمناه بأمور نفسانية وهمية وإن كان العدد وال سلاح وصدق القتال كفيلاً به لكنه قاصر مع تلك الأمور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من أرفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فكثير بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من همم أتباعه وأهل شوكتها وإن كان الأقربون من بطانته على بصيرة في طاعته ومؤازرته إلا أن الآخرين أكثر وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستقرة يرجع إلى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فتضحل عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم ألهم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وأيضاً فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكمت لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات وأختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ازبباط الخيول واستجدادة الأسلحة وتعظم فيهم الأبهة المملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختياراً واضطراراً فيرهبون بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة بهزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق إلى قلوبهم أوهام الرعب بما يباينهم من أحوال الدولة المستقرة ويخرمون عن قتالهم من أجل ذلك فيصبر أمرهم إلى المطاوله حتى تأخذ المستقرة مأخذها من الهرم ويستحکم الخلل فيها في العصبية والجباية فينتثر حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وأيضاً فأهل الدولة المستجدة كلهم مبائنون للدولة المستقرة بالنسابة وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مفخرون لهم ومنايدون بما وقع من هديه المطالبة وبطمعهم في الاستيلاء عليه فنتهكن



المباحة بين أهل الدولتين سراً وجبراً ولا يصل إلى أهل الدولة المستجدة خبر عن  
 أهل الدولة المستقرة يصيبون منه غيرة<sup>(١)</sup> باطناً وظاهراً لأنقطاع المداخلة بين الدولتين  
 فيقيمون على المطالبة وهم في إجماع ويتكلمون عن المناجزة حتى يأذن الله بزوال  
 الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الخلال في جميع جهاتها واتضح لأهل الدولة  
 المستجدة مع ما كان يخفى منهم من مرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما أقطعوه  
 من أعمالها وتقصوه من أطرافها فتبعث مهمهم يداً واحدة للمناجزة ويذهب ما كان  
 بث في غرائبهم من التوهمات وتنتهي المطاولة إلى حدها ويقع الاستيلاء أخيراً  
 بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بخراسان  
 بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين أو تزيد وحينئذ تم لهم الظفر  
 واستولوا على الدولة الأموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم  
 كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى أمر العلوية وسما  
 الديلم إلى ملك فارس والعراقين فمكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى أقطعوا  
 أصهاراً ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام داعيتهم بالمغرب  
 أبو عبد الله الشيعي ببني كرامة من قبائل البربر عشر سنين ويزيد تطاول بني الأغلبي  
 بأفريقية حتى ظفروا بهم واستولوا على المغرب كله وسموا إلى ملك مضر فمكثوا  
 ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون إليها العساكر والأساطيل في كل وقت ويحوي  
 المدد لمدافعتهم برّاً وبحراً من بغداد والشام وملكوا الإسكندرية والقيوم  
 والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك إلى الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم  
 جوهراً الكاتب بعساكره مدينة مضر واستولى عليها وأقنع دولة بني طنج من أصولها  
 وأختط القاهرة فجاء الخليفة بعد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة أو نحوها منذ  
 استيلائهم على الإسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني ساسان  
 وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحواً من ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين بخراسان  
 حتى استولوا على دولته ثم رحلوا إلى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام  
 من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة عام سبعة عشر وستمائة فلم  
 يتم لهم الاستيلاء إلا بعد أربعين سنة وكذا أهل المغرب خرج به المرابطون من

(١) قوله غيرة بكسر العين أي غفلة

لِمَثُونَةٍ عَلَى مَلُوكِهِ مِنْ غِرَاوَةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْمُوَحِدُونَ  
 يَدْعُوهُمْ عَلَى لِمَثُونَةٍ فَمَكَثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُعَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى  
 كُرْسِيِّهِمْ بِعَمْرَأَكِشٍ وَكَذَا بَنُو مَرْيَمَ مِنْ زَنَانَةٍ خَرَجُوا عَلَى الْمُوَحِدِينَ فَمَكَثُوا يَطَاوَلُونَهُمْ  
 نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوْلُوا عَلَى فَاوَسَ وَأَقْتَطَعُوهَا وَأَعْمَالَهَا مِنْ بَعْضِهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
 فِي مُعَارِبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِعَمْرَأَكِشٍ حَسْبَمَا نَذَرْنَا ذَلِكَ  
 كُلَّهُ فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدَّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدَّوَلِ الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَطَاوَلَةِ  
 وَالْمَطَاوَلَةِ سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
 الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَيْفَ كَانَ اسْتِبْلَاؤُهُمْ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ لِثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ مِنْ  
 وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُجْزَأَةً مِنْ مُجْزَأَاتِ نَبِيِّنَا  
 سِرُّهَا اسْتِمَاتَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِبْعَادًا بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي مُلُوكِ  
 عَدُوِّهِمْ مِنَ الرَّغْبِ وَالْتِخَاذُلِ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ الْمَقْرَّرَةِ فِي مَطَاوَلَةِ الدَّوَلِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ مِنْ مُجْزَأَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 الْمَتَعَارِفِ ظُهُورُهَا فِي الْعِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُجْزَأَاتِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
 يُعْتَرَضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة اليونان والمجاعات  
 إِنْ عُلِمَ أَنَّ قَدْرَ تَقَرَّرَ لَكَ فِيهَا مَا سَلَفَ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الرَّفِيقِ  
 فِي مَلَكَتِهَا وَالْإِعْتِدَالِ فِي إِيَالَتِهَا إِمَّا مِنَ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنَ  
 الْمَكَارِمَةِ وَالْحَمَاسَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدَّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكََةُ  
 رَفِيقَةً مُحْسِنَةً انْبَسَطَ أَمَالُ الرَّعَايَا وَانْتَشَطُوا لِلْعُمُرَانِ وَأَسْبَابُهُ فَتَوَفَّرَ وَبَكَثَرُ النَّسَائِلِ  
 وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْتَدْرِيجِ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقْلِ وَفِي  
 انْقِضَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدَّوْلَةُ عَلَى نِهَائِيَّةِ عُمْرِهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَمُكُونُ حِينَئِذٍ الْعُمُرَانُ فِي  
 غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَّخِرَ الدَّوْلَةِ يَكُونُ فِيهَا الْإِجْتِافُ  
 بِالرَّعَايَا وَسُوءُ الْمَلَكََةِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَا لِأَنَّ الْإِجْتِافَ وَإِنْ حَدَثَ  
 حِينَئِذٍ وَقَلَّتِ الْجَبَابَاتُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمُرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدْرِيجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْمَوْتَانَ تَكَثَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
 وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْجَمَاعَاتُ فَالْقَبْضُ النَّاسِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْقَلْعِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ  
 فِي آخِرِ الدُّوَلَةِ مِنَ الْعُدُونِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْحَيَاتِيَّاتِ أَوْ الْفِتَنِ الْوَارِقَةِ فِي انْتِقَاصِ الرِّعَايَا  
 وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ لِهَرَمِ الدُّوَلَةِ فَيَقِلُّ اخْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَثَمَرَتُهُ  
 بِمُسْتَمِرِّ الوجودِ وَلَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقَلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
 وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضْعُفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالنِّيمَارُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنَّ  
 النَّاسَ وَانْفُوسَ فِي أَقْوَاتِهِمْ بِالْإِخْتِكَارِ فَإِذَا قُفِدَ الْإِخْتِكَارُ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْجَمَاعَاتِ  
 فَغَلَا الزَّرْعُ وَعَجَزَ عَنْهُ أَوْلُو الْخِصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضَ السَّنَوَاتِ الْإِخْتِكَارُ مَفْقُودًا  
 فَشَمَلَ النَّاسَ الْجُوعُ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَا  
 أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِإِخْتِلَالِ الدُّوَلَةِ فَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَفُوعُ الْوَبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
 الْغَالِبِ فَسَادُ الْهُوَاءِ يَكْثُرُ الْعُمُرَانِ لِكَثْرَةِ مَا يُخَالِطُهُ مِنَ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
 وَإِذَا فَسَدَ الْهُوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمَلَابِسُهُ دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
 مَزَاجِهِ فَإِنَّ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّئَةِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّوَاعِينُ وَأَمْرَاضُهَا  
 مَخْصُوصَةٌ بِالرِّئَةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفْنُ وَيَتَضَاعَفُ  
 فَتَكْثُرُ الْحَمِيَّاتُ فِي الْأَرْجَةِ وَتَمْرَضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
 الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمُرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرُ الدُّوَلَةِ لِمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ  
 الْمَلَكَةِ وَرَفِيقِهَا وَفَلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
 تَخَالُفَ الْخَلَاءِ وَالْفَقْرِ بَيْنَ الْعُمُرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمَوُّجُ الْهُوَاءِ يَذْهَبُ بِمَا يَحْصُلُ فِي  
 الْهُوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفَنِ بِمُخَالِطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهُوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنَّ  
 الْمَوْتَانَ يَكُونُ فِي الْمُدُنِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمُرَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كَمَا صَرَّحَ بِالشَّرِيقِ  
 وَقَاسَ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

فِي أَنَّ الْعُمُرَانَ الْبَشَرِيَّ لَا يَدُلُّهُ مِنْ سِيَاسَةِ يَنْتَظِمُ بِهَا أَمْرَهُ  
 اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْأَجْتِمَاعَ الْبَشَرِيَّ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ مَعْنَى  
 الْعُمُرَانِ الَّذِي تَتَكَلَّمُ فِيهِ وَأَنَّهُ لَا يَدُلُّهُمْ فِي الْأَجْتِمَاعِ مِنْ وَازِعٍ حَاكِمٍ يَرْجِعُونَ

إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ نَارَةٌ يَكُونُ مُسْتَنَدًا إِلَى شَرْعٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُوجِبُ انْقِيَادَهُمْ  
إِلَيْهِ إِيْمَانُهُمْ بِالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُبْلَغُهُ وَنَارَةٌ إِلَى سِيَاسَةِ عَقْلِيَّةٍ يُوجِبُ  
انْقِيَادَهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ الْحَاكِمِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ فَالْأُولَى  
يَحْضُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِلْمِ الشَّارِعِ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْمُرَاعَاةِ نَجَاةَ  
الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةُ إِنَّمَا يَحْضُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمَدِينِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْجَمْعِ فِي نَفْسِهِ وَخَلْقِهِ حَتَّى يَسْتَعْنُوا عَنِ الْحُكْمِ رَأْسًا  
وَيَسْمُونَ الْجَمْعَ الَّذِي يَحْضُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينِيَّةِ الْفَاصِلَةِ وَالْقَوَانِينِ  
الْمُرَاعَاةِ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدِينِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
الْإِجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدِينِيَّةُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
بَعِيدَةٌ الْوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالْقَدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
الَّتِي قَدَّمَاهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى الْعُمُومِ وَمَصَالِحُ  
السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مَلِكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفَرَنْسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
الْحِكْمَةِ وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْمِلَّةِ وَلَعَلَّهَا خِلَافَةٌ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
مُعْنِيَةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَحْكَامُ الْمَلِكِ مُنْدرِجَةٌ فِيهَا. الْوَجْهُ الثَّانِي  
أَنْ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمَلِكُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ فِي هَذِهِ تَبَعًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْإِجْتِمَاعِ الَّتِي لِسَائِرِ  
الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يُجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا نَقَضِيهِ  
الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِحَسَبِ جِهَدِهِمْ فَقَوَانِينُهَا إِذَا جُمِعَتْ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِيَّةٍ وَأَدَابِ  
خُلُقِيَّةٍ وَقَوَانِينِ فِي الْإِجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ ضَرُورِيَّةٍ  
وَالْاِقْتِدَاءِ فِيهَا بِالشَّرْعِ أَوْلَا ثُمَّ الْحُكْمَاءُ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكُ فِي سَبْرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأُودِعَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وُلَاهُ  
الْمَأْمُونُ الرِّقَّةَ وَصَرَّ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو طَاهِرٍ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ عَهْدَ إِلَيْهِ  
فِيهِ وَوَصَاةٌ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحَثُّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيمِ بِمَا لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مَلِكٌ

وَلَا سَوْقَةٌ . وَنَصُّ الْكِتَابِ ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدَّةِ  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُزَابَلَةِ سُخْطِهِ وَأَحْظَ رَعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ  
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصُمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَجِّيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
عِقَابِهِ وَالْإِيمِ عَذَابِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ مِنْ أَسْتَرَكَ  
أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَالزَّمْكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالِدْفَعَ  
عَنْ حَرِيْبِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرِّيهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
وَمَوْأخِذُكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْفِقُكَ عَلَيْهِ وَسَائِلُكَ عَنْهُ وَمُنْبِيكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخْرَجْتَ  
فَفَرَّغْ لِدَلِّكَ فَهَمَّكَ وَعَقْلَكَ وَبَصْرَكَ وَلَا يُشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَمَلِكُ  
شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تُزِمُّ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ فَعَلَّكَ  
الْمَوْاطَبَةَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
قَبْلَكَ وَبَوَابِهَا عَلَى سُنَنِهَا مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
فِي قِرَاءَتِكَ وَتَدَكُّنِ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدِكَ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ رَأْيِكَ وَنَيْتِكَ  
وَأَحْضُضِ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَأَدَابِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ثُمَّ اتَّبِعْ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالْمُتَابَرَةِ عَلَى خِلَافَتِهِ وَافْتِتَاءِ أَثَرِ السَّابِقِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ نَاسِنٌ  
عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَفْوَاهِ وَيَأْزُومُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ  
وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِتِّمَامِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَهَيَّلَنَّ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ  
مِنَ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَامِلِينَ  
بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَزَيَّنُّ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّابُّ لَهُ وَلَحْتُ عَلَيْهِ وَالْمَعْرِفَةُ  
بِمَا يَنْفَرُّ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزِدَادُ الْمَرْءُ مَعْرِفَةً وَإِجْلَالًا  
لَهُ وَدَرَكًَا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ  
لِسُلْطَانِكَ وَالْأَلْسَةِ بِكَ وَالثِّقَةَ بِعَدْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ

نَفْعًا وَلَا أَخْصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرَّشْدِ وَالرُّشْدُ دَائِلٌ عَلَى  
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةٌ بِالْإِقْتِصَادِ وَكَذَلِكَ فِي  
 دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ  
 وَمَعَالِمِ الرَّشْدِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَمَرْضَاتِهِ وَمِرَافَقَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا  
 يُورِثُ الْعِزَّ وَيُحَصِّلُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَنْصَلِحَ أُمُورَكَ  
 بِأَفْضَلِ مِنْهُ فَإِنَّهُ وَاهْتَدِ بِهِ نَتِمَّ أُمُورَكَ وَتَزِدْ مَقْدِرَتَكَ وَتَنْصَلِحَ عَامَّتَكَ وَخَاصَّتَكَ وَأَحْسِنِ  
 ظَنِّكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمَ لَكَ رَعِيَّتُكَ وَالتَّمَسُّبُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِمُ  
 بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُنْهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ  
 أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَثْمٌ إِثْمٌ فَأَجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ  
 الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَرْفُضْ فِيهِمْ بِعَيْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ  
 وَرِياضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
 وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْقَمْرِ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يَنْقُصُ لِدَاذَةَ عَيْنِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ  
 تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةَ وَرَاحَةٍ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ  
 النَّاسَ إِلَى حُبِّكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعَكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ  
 وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ  
 وَحَيَاظَةِ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمَلِ مَوَؤَنَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ  
 فَإِنَّهُ أَقْوَمٌ لِلدِّينِ وَأَحْيَا لِللسُّنَةِ وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَفَرَّدَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ  
 تَفَرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَوْلٍ عَمَّا صَنَعَ وَتَجَزَّى بِمَا أَحْسَنَ وَمُواخِذٌ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
 وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ وَأَسْلَكَ بِمَنْ تَسُوَّهُ بَرَعَاهُ  
 نَهَجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى وَأَقِيمَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ  
 وَمَا اسْتَحَقُّوه وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عِقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي  
 تَقَرُّبِكَ فِي ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَأَعْتَزِمِ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ  
 الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ لَكَ مَرْؤَتُكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ  
 عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنِ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَشَدُّ لِسَانِكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغَضُ  
أَهْلِ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا تَقْرِبُ الْكُذُوبِ وَالْجَرَائِةِ  
عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَائِمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ حَاطِمَتَهَا لِأَنَّ النَّمِيمَةَ لَا  
يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَائِلُهَا لَا يَسْلُمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَخْبِ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
وَالصِّدْقِ وَأَعِزِّ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ وَأَسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ الرَّحِمَ وَأَبْغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ  
تَعَالَى وَإِعْزِزْ أَمْرَهُ وَالتَّسِينِ فِيهِ ثَوَابُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَأَجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ  
وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ وَأَظْهِرْ بِرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ وَأَنْعِمْ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
وَقُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
وَأَثِرِ الْحَلْمِ وَالْوَقَارِ وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّبِيشَ وَالغُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَرِيعٌ إِلَى تَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَأَخْلَصْ لِلَّهِ وَبِحَدِّهِ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَنْ يَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ  
النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعْمَ اللَّهُ وَإِحْسَانَهُ  
وَأَسْتَطَاعُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهَ تَنَسُّكٍ وَتَمَكُّنٍ ذَخَائِرِكَ  
وَكُوزِكَ الَّتِي تَدْخِرُ وَتَكْتُمُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمُ وَالتَّقَدُّ  
لِأُمُورِهِمُ وَالْحِفْظَ لِدِمَائِهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا اكْتَشِرَتْ وَأَدْخِرَتْ  
فِي الْخِزَانِ لَا تَنْمُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صِلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْأَذِيَّةِ  
عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَبَّتْ بِهَا الْوِلَايَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَقِدْ  
فِيهَا الْعِزَّ وَالْمَنْفَعَةَ فَلْيَكُنْ كَنْزُ خِزَانَتِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
وَوَفِّرْ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقَهُمْ وَأَوْفِ مِنْ ذَلِكَ حِصَّةَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا  
يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَائِشَهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبْتَ الزَّمَانَ  
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جِبَابَةِ خِرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ  
وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا سَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا  
أَرَدْتَ وَأَجْهَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلْيَعْظُمُ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ  
الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَأَثْبِهِمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ

تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُوبَهَا هَوْلَ الآخِرَةِ فَتَنْهَوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّهَوُّنَ يُورِثُ التَّغْرِيبَ  
وَالتَّغْرِيبَ يُورِثُ البُورَةَ وَلا يَكُنْ عَمَلَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْجُ النَّوَابِ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَمَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَأَعْتَمِدْ بِزِدِكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَإِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَإِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَلا  
تُحَقِّرَنَّ ذَنْبًا وَلا تُمَالِنَنَّ حَاسِدًا وَلا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلا تَصِلَنَّ كُفُورًا وَلا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلا تُصَدِّقَنَّ نَعَمًا وَلا تُأْمَنَنَّ غَدَارًا وَلا تُؤَالِجَنَّ فَاسِقًا وَلا تُتَبِعَنَّ غَاوِيًا وَلا تُحَمَّدَنَّ  
مُرَائِيًا وَلا تُحَقِّرَنَّ إِنْسَانًا وَلا تُرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلا تُحْسِنَنَّ بَاطِلًا وَلا تُلَاحِظَنَّ مُضْحِكًا  
وَلا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلا تَزْهَوَنَّ فَخْرًا وَلا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلا تُبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلا تُمَشِينَنَّ مَرَحًا  
وَلا تُفْرِطَنَّ فِي طَلَبِ الآخِرَةِ وَلا تَرْفَعَنَّ لِلنَّعَامِ عَيْنًا وَلا تُغْمِضَنَّ عَن ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُحَابَاةً وَلا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثِرْ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَأَسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَن أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّقَّةِ وَالْبُخْلِ وَلا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فِتْنَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعَيْتَكَ مِنَ الشَّيْخِ وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرٌ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعَيْتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَن أُمُورِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ  
عَلَيْهِمْ وَأَبْدِي مَنْ صَافَكَ مِنْ أَوْلِيائِكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ وَاجْتِنِبِ  
الشَّيْخَ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانُ بِهِ رَبَّهُ وَإِنَّ الْعَامِيَّ بِمَنْزِلَةِ خِزْيٍ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْتِكَ حِطًّا وَنَصِيبًا وَابْتِغِ أَنْ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَأَعِدْ لِنَفْسِكَ  
خَلْقًا وَأَرْضًا بِعَمَلٍ وَمَذْهَبًا وَتَفَقَّدِ الْجُنْدَ فِي دَوَائِبِهِمْ وَمَكَاتِبِهِمْ وَأَدِرَّ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ يَذْهَبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ فَاقْتَهُمْ بِقَوِي لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَزِيدَ  
قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَأَنْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحَيْطَتِهِ وَإِنْصَافِهِ وَعِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَبِرِّهِ  
وَتَوْسِيعَتِهِ فَزَايِلُ مَكْرُوهِ أَحَدِ الْبَائِسِينَ بِاسْتِشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَلزُومِ الْعَمَلِ بِهِ  
لَنَلْقَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَقَلَاحًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ



الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعَدَّلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
 الْأَرْضِ وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرَّعِيَّةِ وَتَأْتِي السُّبُلُ  
 وَتَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الدَّعِيشَةُ وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ  
 وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيُقِيمُ الدِّينَ وَيَجْرِي السَّنَنَ وَالشَّرَائِعَ فِي تِجَارِيهَا وَأَشْتَدَّ  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعَ عَنِ النَّطْفِ وَأَمْسَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَقْلَ الْأَهْمَلَةَ وَأَبْغَدَ  
 عَنِ الصَّعْبِ وَالْقَلْبِ وَأَفْنَعَ بِالْقِسْمِ وَأَنْتَفَعَ بِتِجْرَتِكَ وَأَنْتَبَهَ فِي حِمَّتِكَ وَأَسَدَّدَ فِي مَنْطِقِكَ  
 وَأَنْصَفَ الْخِصْمَ وَقَفَّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَأَبْلَغَ فِي الْحُجَّةِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
 مُحَابَاةً وَلَا تِجَامَلَةً وَلَا لُؤْمَةً لِأَيِّهِمْ وَتَثَبَّتْ وَتَأَنَّ وَرَأَيْتُ وَأَنْظَرْتُ وَتَمَكَّرْتُ وَتَدَبَّرْتُ وَأَعْتَبَرْتُ  
 وَتَوَاضَعْتُ لِرَبِّكَ وَأَرْزَقْتُ بِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ وَسَاطِئِ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى سَفْكَ  
 دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ عَظِيمٍ أَنْتَهَا كَمَا لَمَّا بَغِيْرَ حَقِّهَا وَأَنْظَرْتُ هَذَا  
 الْخِرَاجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرَفْعَةً لِأَهْلِهِ  
 تَوْسِئَةً وَمِنْعَةً وَلِعُدُوهِ وَعَدُوِّهِمْ كِتَابًا وَغِيْظًا لِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مَعَادِيهِمْ ذُلًّا وَصَغَارًا  
 فَوَزَعَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ وَالْعُمُومِ وَلَا تَدْفَعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
 لَشَرَفِهِ وَلَا عَنْ غَنِيِّ لِعِنَاهُ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لَكَ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَتِكَ وَلَا  
 تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْإِحْتِمَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِأَنْفُسِهِمْ وَالزَّمُ لِرِضَاءِ الْعَامَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوِلَايَتِكَ  
 خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيمَهُمْ فَخُذْ  
 مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَقُومِهِمْ وَنَفْذِهِ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ وَأَسْتَعْمِلْ  
 عَلَيْهِمْ أَوْلِيَّ الرَّأْيِ وَالتَّنْذِيرِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالتَّخْبِرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ وَوَسِّعْ  
 عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا نَقَلْتِ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ فَلَا  
 يُشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى أَثْرَتَهُ وَقَعْتَ فِيهِ بِالْوَجِبِ  
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسُنَ الْأَخْذُوثَةُ فِي عَمَلِكَ وَأَجْتَرَّتْ بِهِ  
 الْحُجَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتْ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَّتِ الْخَيْرَاتُ بِإِيْدِكَ وَقَسَّتِ الْعِمَارَةُ  
 بِنَاحِيَتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خِرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
 ارْتِيَاضِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكَانَتْ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ

مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ  
 فَتَأْسِفُ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمُ عَلَيْهِ شَيْئًا مُحَمَّدٌ عَافِيَةٌ أَمْرُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْعَلْ فِي  
 كُلِّ كُوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِرِّهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ  
 حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ  
 فَانظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ  
 حُسْنَ الدَّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمْضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ  
 فِيهِ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدَّرَهُ وَاتَّاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ  
 فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنُقِضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ  
 وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ  
 وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِيكَ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ اللِّغْدَاءَ مُرًّا وَحَوَادِثَ  
 تَهْلِكُ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا  
 أَخْرَجْتَ عَمَلَهُ أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ يَنْتَفِلِكُ ذَلِكَ حَتَّى تَمْرَضَ مِنْهُ وَإِذَا أَمْضَيْتَ  
 لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ وَانظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ  
 وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَّوْتَ صَفَاءَ طَوْبَتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمَظَاهِرَتَهُمْ  
 بِالنُّصْحِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ وَتَعَاهَدِ أَهْلَ الْبَيْتَاتِ مِمَّنْ  
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ وَأَحْتَمِلْ مَوَؤَنَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا لِحَالَتِهِمْ مَسًّا  
 وَأَفْرُدْ نَفْسَكَ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ  
 وَالْمُحْتَقِرُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْئَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 مِنْ رَعِيَّتِكَ وَمُرُومِهِمْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِصَلِيحِ اللَّهِ بِهِ أَمْرُهُمْ  
 وَتَعَاهَدِ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَأَيَّامَهُمْ وَأَزَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءَهُ  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَاةِ لَهُمْ لِيُصَلِّحَ اللَّهُ بِذَلِكَ  
 عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَةً وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَصْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَدِّمِ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ  
 مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لَا كَثْرُوهُ فِي الْجُرَايَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْصِبْ لِمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دُورًا  
 تَأْوِيهِمْ وَقَوَامًا يَرْفِقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يِعَاجِلُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفُهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُؤَدِّ  
 ذَلِكَ إِلَى إِسْرَافٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حَقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيَتِهِمْ

لَمْ يُرْفِعِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وِلَايَتِهِمْ طَمَعًا فِي نَيْلِ  
الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرَّفِيقِ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا تَبَرَّمِ الْمُتَصَنِّعِ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ  
وَيُسْغِلُ فِكْرَهُ وَذَهْنَهُ فِيهَا مَا يَبَالُغُ بِهِ مِنْ مَوْثِقَةٍ وَمَشَقَّةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرْتَعِبُ فِي الْعَدْلِ  
وَيَعْرِفُ مُحَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرَبُهُ إِلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرَ الْأَذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَكَنَ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بِشْرَكَ وَلَنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالنُّطْقِ  
وَأَعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أُعْطِيتَ فَاعْطِ بِسَاحَةٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَالنَّجَاسِ  
لِلصَّيْحَةِ وَالْأَجْرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتِنَانِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ تَلِي ذَلِكَ تِجَارَةً مُرَبِّحَةً  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
وَالرِّئَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأَمْرِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ اعْتَصِمِ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُجَّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيْعَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبِإِقْلَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبِ  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى مُضْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالَكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعِ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقِ إِسْرَافًا وَأَكْثِرْ مَجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ  
وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَمَخَالَطَتِهِمْ وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِبْرَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عِيًّا فِيكَ لَمْ تَمْنَعَهُ  
هَيْبَتِكَ عَنْ إِهْنَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقَمِ فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحُ  
أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَأَنْظُرْ عُمَّالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ فَوْقَ لِكُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفَنَّا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عُمَّالِكَ وَأُمُورِ الدُّوَلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُوْرِدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَقْلَكَ وَكُرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْنُهُ وَأَسْتَحْفِرُ  
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَأَضْرِفُهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالتَّشْبِثِ فِيهِ وَلَا تَمَنَّ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تُوْبِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ  
وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضْمَنْ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَفَهْمِ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْعِمِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَسْتَخِرُهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّلَاحِ وَأَهْلِهِ وَلِيَكُنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ رُضَىٰ وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكُّبًا وَلِلْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا وَأَنَا  
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَسِّنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكِلَاءَتَكَ وَالسَّلَامُ . وَحَدَّثَ الْإِخْبَارِيُّونَ  
 أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ أُعْجِبَ بِهِ النَّاسُ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ فَلَمَّا فُرِيَ  
 عَلَيْهِ قَالَ مَا أَبْقَى أَبُو الطَّيِّبِ بَعْضِي طَاهِرًا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَالتَّدْبِيرِ وَالرَّأْيِ  
 وَالسِّيَاسَةِ وَصَلَاحِ الْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ وَحِظِّ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ الخُلَفَاءِ وَتَقْوِيمِ الخِلَافَةِ إِلَّا  
 وَقَدْ أَحْكَمَهُ وَأَوْصَىٰ بِهِ ثُمَّ أَمَرَ الْمَأْمُونُ فَمَكْتُبَ بِهِ إِلَىٰ جَمِيعِ الْعُمَّالِ فِي النَّوَاحِي  
 لِيَقْتَدُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ هَذَا أَحْسَنُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك

إِعْلَمَ أَنَّ فِي الْمَشْهُورِ بَيْنَ النُّكَافَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَعْرِ الْأَعْضَارِ أَنَّهُ لَا بُدَّ  
 فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ ظُهُورِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُؤَيِّدُ الدِّينَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَتَّبِعُهُ  
 الْمُسْلِمُونَ وَيَسْتَوِلِي عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيُسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ وَيَكُونُ خُرُوجُ  
 الدَّجَالِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ النَّابِئَةِ فِي الصُّبْحِ عَلَى أَثَرِهِ وَأَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ مِنْ  
 بَعْدِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ أَوْ يَنْزِلُ مَعَهُ فَيَسَاعِدُهُ عَلَى قَتْلِهِ وَيَأْتِي بِالْمَهْدِيِّ فِي صَلَاتِهِ وَيَحْتَجُّونَ  
 فِي الشَّانِ بِأَحَادِيثَ خَرَجَهَا الْأَئِمَّةُ وَتَكَلَّمُوا فِيهَا الْمُنْكَرُونَ لِذَلِكَ وَرُبَّمَا عَارَضُوا  
 بَعْضَ الْأَخْبَارِ وَالْمُتَّصِرَةِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الْفَاطِمِيِّ طَرِيقَةَ أُخْرَى وَنَوْعٍ مِنْ  
 الْأَسْتِدْلَالِ وَرُبَّمَا يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْكُشْفِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ طَرَاثِقِهِمْ . وَنَحْنُ  
 الْآنَ نَذَكُرُ هُنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الشَّانِ وَمَا لِلْمُنْكَرِينَ فِيهَا مِنَ الْمَطَاعِينَ  
 وَمَا لَهُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ مِنَ الْمُسْتَنْدِثِ نَتَّبِعُهُ بِذِكْرِ كَلَامِ الْمُتَّصِرَةِ وَرَأْيِهِمْ لِيَتَّبِعَ  
 لَكَ الصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَنَقُولُ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ خَرَجُوا أَحَادِيثَ  
 الْمَهْدِيِّ مِنْهُمْ التُّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَزْزَارِيُّ وَمَا جَاءَ وَالْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ  
 وَأَسْنَدُواهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ عَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَطَلْحَةَ وَابْنَ  
 مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأُمِّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ وَتَوْبَانَ وَقُرَّةَ  
 ابْنِ إِيَّاسٍ وَعَلِيٍّ الْهَلَالِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزءٍ بِأَسَانِيدٍ رُبَّمَا يَعْزُضُ لَهَا

المنكرون كما نذكره إلا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على  
 التعديل فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو  
 سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك رُبما يتطرق  
 إلى رجال الصحيحين فإن الإجماع قد اتصل في الأمة على تلقيهما بالقبول والعمل  
 بما فيهما وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفعا وليس غير الصحيحين بمثابتهما  
 في ذلك فقد نجد مجالل الكلام في أسانيدهما بما نقل عن أئمة الحديث في ذلك.  
 وأقد توغل أبو بكر بن أبي خيثمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للأحاديث  
 الواردة في المهدي فقال ومن أغربها إسنادا ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائد  
 الأخبار مستندا إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب  
 وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب وحسبك هذا غلوا والله أعلم  
 بصحة طريقه إلى مالك بن أنس على أن أبا بكر الإسكافي عندهم منهم وضاع  
 وأما الثرمذي فخرج هو وأبو داود بسنديهما إلى ابن عباس من طريق عاصم بن أبي  
 النجود أحد القراء السبعة إلى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه  
 رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وأسم أبيه اسم أبي . هذا لفظ أبي داود  
 وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة إن ما سكت عليه في كتابه فهو صالح  
 ولفظ الثرمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي  
 وفي لفظ آخر حتى يلي رجل من أهل بيتي وكلاهما حديث حسن صحيح ورواه أيضا  
 من طريق موقفا على أبي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من  
 أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على  
 ما أصلت من الاحتجاج بأخبار عاصم إذ هو إمام من أئمة المسلمين (انتهى) إلا  
 أن عاصمًا قال فيه أحمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئًا للقرآن خيرا ثقة والأعمش  
 أحفظ منه وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف  
 عليه في زر وأبي وائل يُشير بذلك إلى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد

كَانَ ثِقَةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ أَضْطَرَّ ابْنُ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِنْ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ عَاصِمٌ ثِقَةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِيهِ ابْنُ عَلِيَّةٍ فَقَالَ كُلُّ مَنْ اسْمُهُ عَاصِمٌ سَيِّئٌ الْحِفْظُ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصِّدْقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْحَافِظُ  
 وَأَخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ النَّسَائِيِّ وَقَالَ ابْنُ حَرَّاشٍ فِي حَدِيثِهِ تَكْرَةً وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْعَقِيلِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْحِفْظِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا اسْمُهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْحِفْظِ وَقَالَ أَيْضًا سَمِعْتُ  
 شُعْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْجُودِ وَفِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الذَّهَبِيُّ ثَبَتَ فِي  
 الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ أَحْتَجُّ أَحَدًا بِأَنَّ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَا لَهُ فَقَوْلُ أَخْرَجَا لَهُ  
 مَقْرُونًا بغيره لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رِوَايَةِ قَطَنِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَائِمِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِمَلَأَهَا  
 عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَقَطَنُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى ابْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ  
 مُعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَّا أَنَّ الْعَجَلِيَّ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْيَعٌ قَلِيلٌ وَقَالَ ابْنُ  
 مُعِينٍ مَرَّةً ثِقَةٌ شَيْعِيٌّ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قَطَنِ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا نَكْتُبُ عَنْهُ وَقَالَ مَرَّةً كُنْتُ أَمْرُ بِهِ وَادَّعَى مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ لَا يُحْتَجُّ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا لِسُوءِ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثِقَةٍ أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 ابْنَ الْمُغِيرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ النَّسْفِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ إِنْ أَبْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا مَهَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ مِجْرَاجٍ مِنْ صَلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِأَمِّهِ نَبِيِّكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخَلْقِ بِمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنَ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ عَلَى مَقْدَمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنصُورٌ يُوَطِّي  
 أَوْ يُمَكِّنُ لِأَلِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنْتَ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ

عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ أَوْ قَالَ إِجَابَتُهُ سَكَتَ أَبُو دَاوُدَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي  
 هَارُونَ هُوَ مِنْ وُلْدِ الشَّيْبَةَ وَقَالَ السُّلَيْمَانِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ  
 لَا بَأْسَ فِي حَدِيثِهِ خَطَأً وَقَالَ الذَّهَبِيُّ صَدَقَ لَهُ أَوْهَامٌ وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبِيُّ وَإِنْ  
 خَرَجَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَاتُهُ عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطِعَةٌ  
 وَكَذَلِكَ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمُغْبِرَةِ . وَأَمَّا السَّنَدُ الثَّانِي فَأَبُو الْحَسَنِ فِيهِ  
 وَهَلَالُ بْنُ عُمَرَ مَجْهُولَانِ وَلَمْ يُعْرَفِ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْهُ  
 أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ  
 ابْنَ نَقِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَذْكُرُ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ نَعَمْ هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ وَلَمْ يَتَّكِمْ عَلَيْهِ بِالصَّحِيحِ وَلَا  
 غَيْرِهِ وَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ وَقَالَ لَا يَتَّبِعُ عَلِيُّ بْنُ نَقِيلٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ  
 وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ رِوَايَةِ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ صَاحِبٍ لَهُ عَنْ  
 أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا  
 إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيَخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهِ فَيَبَايَعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ  
 فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ بَعَثٌ مِنَ الشَّامِ فَيَخْفِئُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيَبَايَعُونَهُ ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
 أَخْوَالُهُ كَلْبٌ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعَثًا فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعَثُ كَلْبٍ وَالْخَلِيفَةُ لِمَنْ لَمْ  
 يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ فَيَقْسِمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَلْتَمِسُ إِلَّا سِلَاحَ مُجِيرَانِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَيَلْبِثُ سَبْعَ سِنِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَوَاهُ  
 أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ  
 الْمُبْتَهَمُ فِي الْأَسْنَادِ الْأَوَّلِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِينَ لَا مَطْعَنَ فِيهِمْ وَلَا مَعْمَرٌ وَقَدْ  
 يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَقَتَادَةُ مُدَلِّسٌ وَقَدْ عَنَّنَهُ وَالْمُدَلِّسُ لَا يُقْبَلُ  
 مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَا صُرِّحَ فِيهِ بِالسَّمَاعِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ تَضَرُّعٌ يُذَكِّرُ الْمَهْدِيَّ  
 نَعَمْ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبْوَابِهِ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا وَتَابَعَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ  
 الْحَدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجِبَّةُ أَقْنِي

الْأَنْفَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلَأُ سَبْعَ مِائِينَ هَذَا لَفْظُ  
 أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ أَشْمُ الْأَنْفِ أَفْنَى أَجَلِي  
 يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعِيشُ هَكَذَا وَيَسْطُ بِسَارِهِ  
 وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ بَيْمِنِهِ السَّبَابَةُ وَالْإِبْهَامُ وَعَقْدُ ثَلَاثٍ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ مَبْحُوحٌ  
 عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ ١٠٠٠. وَعُمَرَانُ الْقَطَّانُ مُخْتَلَفٌ فِي الْأَخْبَاجِ بِهِ إِنَّمَا أُخْرِجَ  
 لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقَطَّانُ لَا يَحْدِثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ  
 لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحٌ  
 الْحَدِيثُ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَقَالَ  
 النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجْرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
 وَمَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَقْبَى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ يَفْتَوَى شَدِيدَةً فِيهَا سَفَكَ الدِّمَاءَ وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ  
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ الْأَمِّيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
 الْخَدْرِيِّ قَالَ خَشِينًا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ قَسَالَنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِنْ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُخْرِجُ وَيَعِيشُ خَسَا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ الشَّائِكُ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَلِكَ  
 قَالَ سَنِينَ قَالَ فَيَحْيَى إِلَيْهِ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي قَالَ فَيَحْتُولُهُ فِي تَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
 يَحْمَلَهُ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ  
 فَسَبَّحَ وَإِلَّا فَسَبَّحَ فَتَنَعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا فَطُتْ تَوَاتُرًا فِي الْأَرْضِ أَكْلَهَا وَلَا  
 يَدْخُرُ مِنْهُ شَيْءٌ وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ  
 إِنَّهُي وَزَيْدُ الْعَمِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الدَّارِقُطَنِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
 وَزَادَ أَحْمَدُ إِنَّهُ فَوْقَ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ وَفَضَلَ ابْنَ عَيْسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
 يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَا شَيْءَ وَقَالَ مَرَّةً  
 يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ مُتَمَسِكٌ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ وَابْنُ  
 الْحَدِيثِ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
 وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ عَامَةٌ مَا يَرْوِيهِ وَمَنْ يَرْوِي عَنْهُمْ ضَعْفَاهُ عَلَى أَنَّ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ



شُعْبَةَ لَمْ يَرْوِ عَنْ أَضْمَنْتَ مِنْهُ وَفَدَّ يُقَالُ إِنْ حَدِيثَ الرَّمُذِيِّ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَهُ عَدَاؤُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَهُ عَدَاؤُهُ مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى عَنْهُمَا قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَبْعُدُهُ أَنْتَهَى وَأَخَادِيثُ مُسْلِمٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمَهْدِيِّ وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ مِنْهَا وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُنْمَلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَقَالَ فِيهِ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا وَيُعْطِي الْمَالَ صَعَاعًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا يَعْنِي حِجَابًا وَقَالَ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ مَعَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عُبَيْدٍ لَمْ يُخْرِجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ أَحَدًا تَكَلَّمَ فِيهِ ثُمَّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مَطَرِ الزَّرَاقِيِّ وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْمَلَأُ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَيُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ عَنَدِي فِيَمَلِكُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأْتَ جَوْرًا وَظُلْمًا وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَعَنْ شَيْخِهِ مَطَرِ الزَّرَاقِيِّ وَأَمَّا شَيْخُهُ الْأَخْرُؤِيُّ وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ فَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا مَتَّهِمٌ بِالْكَذِبِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ فِي تَضْعِيفِهِ وَأَمَّا الرَّاويُّ لَهُ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فَهُوَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى يَلْقَبُ أَسَدَ السَّنَةِ وَإِنْ قَالَ الْبُخَارِيُّ مَشْهُورُ الْحَدِيثِ وَأَسْتَشْهَدُ بِهِ فِي صَحِيحِهِ وَأَخْتَجُّ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى ثِقَةٌ لَوْ لَمْ يُصَنَّفْ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْأَوْصَالِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ وَاصِلٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ

النَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ  
 وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا وَتَمْلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ نَسْطًا وَعَدْلًا كَمَا  
 مَلِئْتُ جَوْزًا وَظَلَمًا يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ وَيَنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَالَ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي  
 سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبُو الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا  
 الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يَمَرِّفَهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ  
 رَوَايَتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةِ أَبِي الصَّدِيقِ عَنْهُ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ إِنَّهُ يُجْهَلُ  
 لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ فَلَمْ  
 يُخْرِجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثِّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ  
 يَرْوَى عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَابُ بْنُ بُشَيْرٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ  
 قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ فَنِيَّةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا  
 رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا نَزَلَ نَزَى  
 فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكَرَهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ أَخَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ  
 بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَنَظْرِيْدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ  
 رَايَاتٌ سَوْدٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَبَرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيَقْتَاتِلُونَ وَيُبْصِرُونَ فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا  
 فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا نَسْطًا كَمَا مَلَأُوْهَا جَوْزًا  
 فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى النَّجَجِ أَنْتَهَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرَفُ  
 عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ كَانَ رَفَاعًا  
 يَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ مِنْ كِبَارِ أَيْمَةِ  
 الشُّعْبَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَقَالَ مَرَّةً حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَحْيَى  
 ابْنُ مَعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْعَجَلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِآخِرِهِ يُلْقِنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ  
 بِكُتُبِ حَدِيثِهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ سَمِعْتُهُمْ  
 يُضَعِّفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

ابْنُ عَدِيٍّ هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِن مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَّحَ الْأَيْمَةُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرَّايَاتِ وَقَالَ  
 وَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا سَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرَّايَاتِ لَوْ حَلَفَ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 أُسَامَةُ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُورِدَ  
 الْعَقِيلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضُّعْفَاءِ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ بَاسِينَ الْعَجَلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَبَاسِينَ الْعَجَلِيُّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قَوِيَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جِدًّا وَأُورِدَ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَمَالِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْأَسْتِنْكَارِ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَّا الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنَّا بِنَا يَحْتَمِ اللَّهُ كَمَا بِنَا فَتَحَ وَبِنَا يَسْتَنْقِدُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَبِنَا  
 يُؤَلِّفُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةٍ بَيْنَهُ كَمَا بِنَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشِّرْكِ قَالَ  
 عَلِيُّ أَمْؤُونُونَ أَمْ كَافِرُونَ قَالَ مَقْتُونٌ وَكَافِرٌ أَنْتَهِى وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُيْبَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرِ الْخَضْرَمِيِّ وَهُوَ أَوْضَعُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ مَنَا كَبِيرٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ كَانَ ابْنُ  
 لُيْبَةَ شَيْخًا أَحْمَقَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَجْلِسُ مَعْنًا فَيُصِرُّ  
 سَجَابَةً فَيَقُولُ هَذَا عَلِيٌّ قَدَّمَ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْضُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْضُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَلَا تَسْبُوا أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِن سَبُوا أَمْثَرَهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ  
 الْإِبْدَالَ يُوْشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلْتُمْ الثُّعَالِبَ غَلَبْتُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَيَابِتِ الْمُكْثَرِ  
 يَقُولُ بِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْمَقِلُ يَقُولُ بِهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّارَتُهُمْ أُمَّتٌ يَلْقُونَ

سَعِ رَايَاتِ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلَكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ حَرِيمًا وَيُرِدُّ اللَّهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْفِتْمَةَ وَنِعْمَتَهُمْ وَقَاصِيَتَهُمْ وَرَأْسَهُمْ ١٠٠٠. وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ لُهَيْبَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ صَحِيحٌ إِلَّا سَنَادَهُ لَمْ يُخْرِجَاهُ فِي رِوَايَتِهِ ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيُرَدُّ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى الْفِتْمَةِ الخ وَأَبَسَ فِي طَرِيقِهِ ابْنُ لُهَيْبَةَ وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ هِيَ بَاتِ ثُمَّ عَقَدَ يَدَيْهِ سَبْعًا فَقَالَ ذَلِكَ يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ اللَّهُ اللَّهُ فُتِلَ وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْمًا قَرَمًا كَقَرْعِ السَّحَابِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ عِدَّتُهُمْ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ لَمْ يَسْبِقُهُمُ الْأَوْلُونَ وَلَا يَنْدِرِكُهُمُ الْآخِرُونَ وَعَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أْتَرِيدُهُ فُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْأَخَشَبِينَ فُلْتُ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ وَلَا أَدْعَاهَا حَتَّى أَمُوتَ وَمَاتَ بِهَا بِنْتُ مَكَّةَ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ أَنْتَهَى وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَطْ فَإِنَّ فِيهِ عَمَّارًا الذَّهَبِيُّ وَبُونِسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ وَلَمْ يُخْرِجْ لُهُمَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَبْقَرِيُّ وَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ أَحْمَدًا بَلْ اسْتَشْهَدَا مَعَ مَا يَنْصُمُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَشْبِيعِ عَمَّارِ الذَّهَبِيِّ وَهُوَ وَإِنْ وَثَقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ عَنْ سَفِيَّانَ أَنَّ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَطَعَ عِرْقَ قَوْيْنِهِ فُلْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي التَّشْبِيعِ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ الْيَمَامِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَحْتُ وَوَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْرَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ أَنْتَهَى وَعِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ وَإِنْ أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَإِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ مُتَابِعَةٌ وَقَدْ ضَعَفَهُ بَعْضُ وَوَثَقَهُ آخَرُونَ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ هُوَ مُدَلِّسٌ فَلَا يَقْبَلُ إِلَى أَنْ يُصْرَحَ بِالسَّمَاعِ عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ لَا نَدْرِي مَنْ هُوَ ثُمَّ قَالَ الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَإِنْ وَثَقَهُ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ

مُعِين لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَاهُ يُفْقِي فِي مَسَائِلَ وَيُخْطِئُ  
 فِيهَا وَقَالَ ابْنُ حَبَّانٍ كَانَ مِمَّنْ نَحَسَ عَطَاؤُهُ فَلَا يُجْتَنَّبُ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ  
 ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بَدْعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرَضَ كُتُبَ مَالِكٍ وَالنَّاسُ يَنْكُرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ  
 هُنَا يَبْقَدَادَ لَمْ يُجْتَنَّبْ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَمَلَهُ اللَّهُبِيُّ مِمَّنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِّنْ تَكَلَّمَ  
 فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ قَالَ  
 مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ  
 فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سِتْرٍ لَا أَذْكَرُهُ لِمَنْ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ  
 أَرْبَعَةٌ مِنَّا السَّفَاحُ وَمِنَّا الْمُنْدِرُ وَمِنَّا الْهَدْيِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ بَيْنَ لِي هَوْلَاءُ الْأَرْبَعَةِ  
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قَتَلَ أَنْصَارَهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَا الْمُنْدِرُ أَرَاهُ قَالَ  
 فَإِنَّهُ يُعْطَى الْمَالَ الْكَثِيرَ وَلَا يَتَعَاطَمُ فِي نَفْسِهِ وَيُنْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَا الْمَنْصُورُ  
 فَإِنَّهُ يُعْطَى النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ  
 وَأَمَا الْهَدْيِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُوزًا وَتَأْمَنُ الْبَهَائِمُ السَّبَاعَ وَتَلْقِي  
 الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِيدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَادُ كَبِيدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأَسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخْرَجْ جَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ  
 ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنِ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلَ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ  
 فَلَا كَثْرُونَ عَلَى تَضْعِيفِهِ ١٠٠. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبْرِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا  
 لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ ١٠٠.

وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِينَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَبَا فَلَابَةَ الْجَرْنِيَّ وَذَكَرَ اللَّهُبِيُّ وَغَيْرَهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ  
 وَفِيهِ سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالنَّدَائِسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنَنْ وَلَمْ يُصْرَحْ بِالسَّمْعِ  
 فَلَا يُقْبَلُ وَفِيهِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنِ هَمَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّشْيِيعِ وَعَمِّي فِي آخِرِ وَفْتِهِ فَخَلَطَ  
 قَالَ بَنُ عَدِي حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَنَسَبُوهُ إِلَى التَّشْيِيعِ  
 إِنَّتْهِ. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الزَّيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

لِهَيْعَةَ عَنْ أَبِي رَزَعَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ بَعْنِي  
 سُلْطَانَهُ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لِهَيْعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثِ عَلِيِّ الَّذِي خَرَجَهُ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ لِهَيْعَةَ ضَعِيفٌ وَإِنْ شَيْخَهُ عُمَرَ بْنَ جَابِرٍ أضعفُ  
 مِنْهُ وَخَرَجَ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ  
 أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَبَّحُ  
 وَإِلَّا فَتَحْمَانُ وَإِلَّا فَتَسْبِغُ تَنَعَمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا بِغَيْثِهَا تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا  
 وَلَا تَدْخُرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْمَالِ كُدُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي  
 فَيَقُولُ خُذْ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَارِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْعِجْلِيُّ زَادَ الْبَزَارِيُّ وَلَا نَعْلَمُ  
 أَنَّهُ تَابِعُهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حَبَانَ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثَّقَاتِ  
 وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ صَالِحٌ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ اختلفوا فِيهِ وَقَالَ أَبُو رَزَعَةَ  
 لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ الْعِجْلِيَّ  
 حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ وَأَنَا شَاهِدٌ لَمْ نَكْتُبْهَا تَرَكَتْهَا عَلَى عَمَدٍ وَكُتِبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ  
 كَأَنَّهُ ضَعِيفٌ وَخَرَجَهُ أَبُو بَعْلَى الْمُوصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ حَدَّثَنِي خَلِيلِي  
 أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا أَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ  
 بَيْتِي فَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَكَمْ بِمَلِكٍ قَالَ خَمْسًا وَأَثْنَتَيْنِ قَالَ قُلْتُ وَمَا  
 خَمْسًا وَأَثْنَتَيْنِ قَالَ لَا أَدْرِي ١٠٠. وَهَذَا السُّنَدُ غَيْرُ مُتَّحَجٍّ بِهِ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بَشِيرُ بْنُ نَهْيِكَ  
 وَقَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ فَقَدْ أَحْتَجُّ بِهِ الشَّيْخَانِ وَوَثِقَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ  
 أَبِي حَاتِمٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ رَجَاهُ ابْنِ أَبِي رَجَاءٍ الشُّكْرِيُّ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ قَالَ  
 أَبُو رَزَعَةَ ثِقَةٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ضَعِيفٌ وَقَالَ مَرَّةً صَالِحٌ وَعَلَّقَ  
 لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثًا وَاحِدًا وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي  
 مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ قُرَّةِ بْنِ إِيَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَتَمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَإِذَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي اسْمُهُ  
 أَنَسِيُّ وَأَسْمُ أَبِيهِ أَنَسُ بْنُ أَبِي يَمَلَاها عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ  
 مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا وَلَا تَدْخُرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا يَلْبَثُ فِيكُمْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا

بِعْنِي سَنِينَ ١٠٠ هـ . وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْحُجْبِيِّ بْنِ الْغُخْرَمِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ بَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ  
تَلَّحَى لِلْعَبَّاسِ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَطَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَبِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمَلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا  
وِظُلْمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمَلَأَ الْأَرْضَ فِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى السَّمِيْعِيَّ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمَهْدِيِّ . انْتَهَى . وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ ١٠١ هـ . وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَحْكُونَ فِتْنَةً  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَشَاجَرَ جَانِبٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ أَمِيرَكُمْ فَلَانٌ .  
١٠٢ هـ . وَفِيهِ الْمُشَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَصْرِيحٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
وَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَبْوَابِهِ وَتَرَجَمَهُ اسْتِثْنَاءً فَهَذِهِ جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَهَا  
الْأئِمَّةُ فِي شَأْنِ الْمَهْدِيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتَ لَمْ يَخْصُصْ مِنْهَا مِنْ  
التَّقْدِيمِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرُبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُتَكَلِّمُونَ لِشَأْنِهِ بِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدِ الْجَنْدِيِّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحِ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ  
مُعِينٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ ثِقَةٌ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ تَعَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَأَخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ قَوْمَةٌ يَرَوُونَهُ كَمَا تَقَدَّمَ وَيُنَسَّبُ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أُدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةً يَرَوُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبَانَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُسلًا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَثْرُوكٌ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرَبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لِمَهْدِيَّ الْأَعْيَسَى أَيْ  
لَا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ الْأَعْيَسَى يُعَاوَلُونَ بِهَذَا التَّأْوِيلِ رَدَّ الْأَحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعِ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِحَدِيثِ جُرَيْجِ وَمِثْلِهِ مِنَ الْغَوَارِقِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَخُوضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ

بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْضُلُ عَنْهَا مِنْ نَتَائِجِ الْمَوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ  
 مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْضِيلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَادِّعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
 بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّيِّ مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي مَذَاهِبِهِمْ  
 ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ وَكَثُرَتِ التَّأْيِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
 الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْبِيَّةَ الْإِمَامِ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
 مِنْ مَاتَ مِنَ الْأَيْمَةِ بِنَوْعِ التَّنَاسُخِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ مَجِيءَ مَنْ يَقْطَعُ بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ  
 وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدَلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
 فِي الْكُشْفِ وَفِيَا وَرَاءَ الْحَسَنِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
 وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ لِقَوْلِهِمْ بِالْوَهْبِيَّةِ الْأَيْمَةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
 وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَانَهُ يُعَاكِ مَذَهَبَ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
 وَالنُّقْبَاءِ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلُوا فِي الدِّيَانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَدًا طَرِيقَهُمْ  
 فِي لُبْسِ الْخُرْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
 بِالْإِتِّزَامِ الطَّرِيقَةَ وَأَتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْجُنْدِ مِنْ شُيُوخِهِمْ وَلَا يُعْلَمُ هَذَا عَنِ عَلِيِّ مِنْ  
 وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
 أُسْوَةٌ فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَفِي تَخْصِيصِ هَذَا بِعَلِيِّ دُونَهُمْ رَاحَةٌ مِنَ التَّشْيِيعِ قَوِيَّةٌ يُفْهَمُ  
 مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلُهم فِي التَّشْيِيعِ وَأَنْفِرَاطُهُمْ فِي سِلْكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمْثَلَاتُ كُتُبِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْفَاطِمِيَّةِ الْمُنْتَظِرَةِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُمَالِيهِ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْقَنُهُ بِنَفْسِهِمْ  
 عَنْ بَعْضٍ وَكَانَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أُصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
 الْمُعْجَمِينَ فِي الْقِرَائَاتِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَاخِمِ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا  
 فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِي هَذَا وَكَثُرَ مِنْ تَكَلُّمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
 الْفَاطِمِيَّةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَافِي فِي كِتَابِ عِنَقَاءِ مُغْرِبٍ وَأَبْنُ قَسِي فِي كِتَابِ خَلْعِ  
 النَّعْلَيْنِ وَعَبْدُ الْحَقِّ بْنُ سَبْعِينَ وَأَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيزُهُ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ  
 وَكَثُرَ كَلِمَاتُهُمْ فِي شَأْنِهِ الْفَازُ وَأَمْثَالُ وَرُبَّمَا بَصَّرِحُونَ فِي الْأَوَّلِ أَوْ بَصَّرِحُ مَفْسِرُونَ



كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النَّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
 وَالْهُدَى بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَعْقِبُ الْخِلَافَةَ الْمَلِكُ ثُمَّ يَعُودُ تَجَرُّبًا  
 وَتَكَبُّرًا وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَمَّا كَانَ فِي الْمَعْمُودِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعَ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجَبَتْ  
 أَنْ يَحْيَا أَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْحَقِّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ بِخِلَافَتِهَا ثُمَّ يَعْقِبُهَا الدَّجَلُ مَكَانَ الْمَلِكِ وَالتَّسَلُّطِ  
 ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِمَجَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا إِعْمًا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمَلِكِ  
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةُ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالْدَّجَلُ بَعْدَهَا  
 كِتَابَةٌ عَنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكَفْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ عَلَى نِسْبَةٍ  
 الثَّلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ  
 الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ إِنْكَارُ مَنْ لَمْ يُزَاوِلْ عِلْمَهُ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَحْصَى  
 مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامًا ظَاهِرًا كَبِيْرًا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَإِمَامًا بَاطِنًا مِمَّنْ  
 كَانَ مِنْ حَقِيْقَةِ آلِ وَالْآلِ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَلْقَبْ مَنْ هُوَ آلُهُ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ  
 الْحَلْبِيِّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عِتْقَاءَ مَغْرِبٍ مِنْ تَأْلِيْفِهِ خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ وَكُنِيَ عَنْهُ بِابْنَةِ  
 الْفِضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مَثَلِي فِي مَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ آتَى بَيْتًا وَأَكَمَّهُ حَتَّى إِذَا تَمَّ يَبْقَى مِنْهُ  
 إِلَّا مَوْضِعُ لُبْنَةٍ فَإِنَّا تِلْكَ اللَّبْنَةُ يُفَسِّرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللُّبْنَةِ حَتَّى أَكَمَمْتُ الْبَنِيَانَ  
 وَمَعْنَاهُ النَّبِيُّ الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النَّبُوَّةُ الْكَامِلَةُ وَيُمَثِّلُونَ الْوِلَايَةَ فِي تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا  
 بِالنَّبُوَّةِ وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ أَيَّ حَائِزِ الرَّتْبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
 الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ حَائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النَّبُوَّةِ نَمَكَنِي الشَّارِحُ  
 عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةَ بِابْنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَهَمَّا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ  
 فِيهِمَا فِيهِ لُبْنَةٌ وَاحِدَةٌ فِي التَّمْثِيلِ فِي النَّبُوَّةِ لُبْنَةٌ ذَهَبٌ وَفِي الْوِلَايَةِ لُبْنَةٌ فِضَّةٌ لِلتَّفَاوُتِ  
 بَيْنَ الرَّتْبَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجْعَلُونَ لُبْنَةَ الذَّهَبِ كِتَابَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلُبْنَةَ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنِ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَهَذَا خَاتِمُ الْأَوْلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي مَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
 الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ خ ف ج مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَرَسَمَ حُرُوفًا ثَلَاثَةً يُرِيدُ عَدَدَهَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَهُوَ الْخَاءُ الْهَمْجَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ

فَوْقُ سِتْمِائَةٍ وَأَفَاءُ أُخْتُ الْقَافِ بِشَمَانِينَ وَالْجِيمُ الْمُعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلُ ثَلَاثَةٌ  
وَذَلِكَ سِتْمِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَهِيَ آخِرُ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا أَنْصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَمَلُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلِدُهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلِدِهِ وَأَنَّ خُرُوجَهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّبْعِ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ الْإِمَامُ النَّاجِمُ مِنْ  
بَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلِدُهُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ  
وَسِتْمِائَةٍ فَيَكُونُ عُمُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعَشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْيَوْمِ الْحَمْدِيِّ وَأَبْتِدَاءُ الْيَوْمِ الْحَمْدِيِّ  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وِفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَمَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ الْعَلْتِيفِ الْوَلِيِّ الْمُنْتَظَرِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمُشَارِكِ إِلَيْهِ بِحَمْدِ  
الْمَهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوْلِيَاءِ وَلَيْسَ هُوَ بِنَبِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ وَوَلِيُّهُ أَبْتَعَثَهُ رُوحُهُ وَوَحْيِيهِ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالَمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَانِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبَشَرَى تَتَابَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْحَمْدِيِّ إِلَى قُبُلِ الْخَمْسِمِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَتَأَكَّدَتْ وَتَضَاعَفَتْ بِبِشَائِرِ الْمَشَائِخِ بِتَقْرِيْبِ وَقْتِهِ وَأَزْدِلَافِ زَمَانِهِ مِنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلْمُ جَرًّا قَالَ وَذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيُجَدِّدُ الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَفْتَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ فَيَنْقَوِي  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو الْإِسْلَامُ وَيُظْهِرُ دِينَ الْخَيْفِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقْتُ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ وَقَالَ الْكِنْدِيُّ أَيْضًا  
الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْمُعْجَمَةِ بَعْنِي الْمَفْتَحُ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةٌ عَدَدُهَا سَبْعِمِائَةٌ  
وَثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ وَسَبْعٌ دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عَيْسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصَلِّحُ الدُّنْيَا  
وَتَمَشِي الشَّاةُ مَعَ الذَّنْبِ ثُمَّ مَبْلَغُ مُلْكِ الْعَجْمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عَيْسَى مِائَةٌ وَسِتُّونَ عَامًا  
عَدَدُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَهِيَ ق ي ن دَوْلَةٌ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مَهْدِي إِلَّا عَيْسَى فَمَعْنَاهُ لَا مَهْدِي تَسَاوِي هِدَايَتَهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
بِحَكْمٍ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عَيْسَى وَهَذَا مَذْفُوعٌ بِعَدِيثِ جَرِيحٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً

بِعَنِي قُرْشِيًّا وَقَدْ أُعْطِيَ الْوُجُودُ أَنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 سَيَكُونُ فِي آخِرِهِ وَقَالَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ أَوْ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتُّ وَثَلَاثُونَ  
 وَاتَّقِضَاؤُهَا فِي خِلَافَةِ الْحَسَنِ وَأَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ فَيَكُونُ أَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ خِلَافَةَ أَخِي  
 يَا وَائِلِ الْأَسْمَاءِ فَهُوَ سَادِسُ الْخُلَفَاءِ وَأَمَّا سَابِعُ الْخُلَفَاءِ فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْباقُونَ  
 خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ ذُرِّيَةِ عَلِيٍّ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ إِنَّكَ لَدُو قُرَيْشِيهَا يُرِيدُ الْأُمَّةَ أَيَّ إِنَّكَ  
 لَخَلِيفَةٌ فِي أَوْلِيَّهَا وَذُرِّيَّتِكَ فِي آخِرِهَا وَرُبَّمَا اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْقَائِلُونَ بِالرُّجْعَةِ  
 فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي تَقْسِي  
 بِيَدِهِ لَتَتَفَقَّنَ كُوْزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ اتَّفَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُوْزَ كِسْرَى فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَالَّذِي يَهْلِكُ قَيْصَرٌ وَيُنْفِقُ كُوْزُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْمُنْتَظَرُ حِينَ يَفْتَحُ  
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ كَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَمُدَّةُ حُكْمِهِ بَضْعٌ وَالْبَضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ وَقِيلَ إِلَى عَشْرِ وَجَاءَ ذِكْرُ  
 أَرْبَعِينَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ سَبْعِينَ وَأَمَّا الْأَرْبَعُونَ فَأِنَّهَا مُدَّتُهُ وَمُدَّةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةَ  
 الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ قَالَ وَذَكَرَ أَصْحَابُ  
 النُّجُومِ وَالْقِرَاطَاتِ أَنَّ مُدَّةَ بَقَاؤِ أَمْرِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا  
 فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَارِيًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْعَدْلِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ  
 فَتَكُونُ مُلْكًا أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي وَاصِلٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نَزُولُ عَيْسَى  
 بِكَوْنِهِ فِي وَقْتِ خِلَافَةِ الْعَصْرِ مِنَ الْيَوْمِ الْحَمْدِيُّ حِينَ تَمُضِي ثَلَاثَةٌ أَرْبَاعُهُ قَالَ وَذَكَرَ  
 الْعَسْكَنِيُّ بِعُقُوبِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْقِرَاطَاتِ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ  
 الْقُرْآنُ إِلَى الثُّورِ عَلَى رَأْسِ فِجِ مَجْرَقِينَ الضَّادِ <sup>(١)</sup> أَلَمْ تُجَمِّعْهُ وَالْحَاءُ الْمُهْمَلَةَ يُرِيدُ ثَمَانِيَةَ  
 وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ مِنَ الْمَجْرَةِ يَنْزِلُ الْمَسِيحُ فَيَجْعَلُكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 قَالَ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عَيْسَى يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ يَنْزِلُ بَيْنَ  
 مَهْرُودَتَيْنِ يَعْنِي حَلْتَيْنِ مَرْعَرَتَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ مُصَصَّرَتَيْنِ وَاصِمًا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنَعَةِ الْمَلَائِكِينَ  
 لَهُ لِمَةٌ كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ

(١) الضاد عند البخاريه جمع بين والضاد بسين اء٠ قاله نصر

كَاللُّوْلُو كَثِيرُ خِيَلَانِ الْوَجْهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبِيَاضِ وَالْحُمْرَةِ  
 وَفِي آخَرَ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ فِي الْغَرْبِ وَالْغَرْبُ دَلْوُ الْبَادِيَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ مِنْهَا وَيَلِدُ زَوْجَتَهُ  
 وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَ أَنَّ عَيْسَى بِسُوتِ بِلْمَدِينَةِ وَيُدْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ  
 ابْنِ أَخْطَابٍ وَجَاءَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحْشِرَانِ بَيْنَ نَيْبَتَيْنِ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاطِلٍ وَالشَّيْخَةُ  
 قَوْلُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَائِحِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثٌ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى أَي لَا يَكُونُ مَهْدِيَّ إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبَتْهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ نَسَبَتْهُ عَيْسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُوسَوِيَّةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمِ النَّسَخِ إِلَى كَلَامٍ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يُعِينُونَ فِيهِ الْوَقْتُ وَالرَّجُلُ وَالْمَكَانُ بِأَدَلَّةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحْكُمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَنْقُضِي الزَّمَانَ وَلَا أَثَرَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِهِ رَأْيِ آخَرَ مُتَّعَلِّ كَمَا  
 تَرَاهُمْ مِنْ مَفْهُومَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءٍ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ نُجُومِيَّةٍ فِي هَذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مَجْدِدٍ لِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَمَرَامِ الْحَقِّ وَيَتَّخِذُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قَرَّبَ مِنْ عَصْرِنَا فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ فُلَيْدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْبَرَهُمْ أَبُو يَحْيَى الْبَادِي  
 كَبِيرُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِدُهُ صَاحِبُنَا  
 أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّا عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَدْكُورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَا أوردَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفِينَا جَمِيعَهُ بِمَبْلَغِ طَاقَتِنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَقَرَّرَ  
 لِهَيْكَلِ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ دَعَاةٍ مِنَ الدِّينِ وَالْمَلِكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصِيَّةِ ظُهُورِهِ وَتُدْفَعُ  
 عَنْهُ مِنْ يَدْفَعُهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصِيَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ بَلْ وَفَرَيْشِ أَجْمَعَ قَدْ تَلَّسَّتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 أُمَّ آخِرُونَ قَدْ اسْتَعَلَّتْ عَصِيَّتَهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ فَرَيْشِ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَيَنْبَغُ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنِ وَبَنِي حُسَيْنِ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَمَائِبُ بَدْوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَأَرَائِمِهِمْ يَبْلُغُونَ  
 الْأَفَاقَ مِنَ الْكثَرَةِ فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُؤَافِقُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةُ وَاهِيَةٌ بِإِظْهَارِ

كَلِمَتِهِ وَحَمَلِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلِ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصَبِيَّةٍ وَلَا شَوْكَةٍ إِلَّا تَجَرَّدَ نِسْبَةٍ فِي أَهْلِ  
الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُمَكِّنُ لِمَا اسْتَفَنَاهُ مِنَ الْبُرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَامَّةُ  
وَالْأَعْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مِمَّنْ لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يُفِيدُهُ فَيُجِيبُونَ  
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ تَقْلِيدًا لِمَا اشْتَهَرَ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِي وَلَا يَعْلَمُونَ  
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا يَبْنَاهُ وَأَكْثَرَ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَطْرَافِ  
الْعُمُرَانِ مِثْلِ الزَّابِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْ ضَعْفَاءِ الْبَصَائِرِ  
يَقْصِدُونَ رِبَاطًا بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمَلْتَمِينَ مِنْ كِدَالَةٍ وَأَعْتَقَادِهِمْ  
أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعْمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأُمَمِ وَبُعْدُهُمْ عَنِ  
يَقِينِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثْرَةِ أَوْ قِلَّةِ أَوْ ضَعْفِ أَوْ قُوَّةِ وَلِبُعْدِ الْقَاصِيَةِ عَنِ مَنَالِ  
الدَّوْلَةِ وَخُرُوجِهَا عَنِ نِطَافِهَا فَتَقْوَى عِنْدَهُمُ الْأَوْدَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ بِخُرُوجِهِ عَنِ رِبْقَةِ  
الدَّوْلَةِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا تَحْصُلُ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْصِدُ ذَلِكَ  
الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ لِلتَّائِسِ بِدَعْوَةِ يَمِيَّةٍ تَمَامَهَا وَسَوَاسًا وَحُمُقًا وَقَتْلَ  
كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَبْلِيَّ قَالَ خَرَجَ بِرِبَاطِ مَاسَةٍ لِأَوَّلِ  
الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانُ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُتَعَلِّي التَّصَوُّفِ يُعْرَفُ  
بِالتَّوَيْزِرِيِّ نِسْبَةً إِلَى نُوزَرَةَ مُصْغَرًا وَأَدْعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكُزُولَةٍ وَعَظْمِ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤْسَاهُ الْمَصَامِدَةَ عَلَى أَمْرِهِمْ فَدَسَّ  
عَلَيْهِ السَّكْسُوسِيُّ مَنْ قَتَلَهُ بَنَاتًا وَأَتَمَّلَ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي غَمَارَةٍ فِي آخِرِ الْمِائَةِ  
السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التِّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالتَّبَّاسِ وَأَدْعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
مِنْ غَمَارَةٍ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ عَنُودَ وَحَرَّقَ أَسْوَاقَهَا وَأَرْتَمَلَ إِلَى بَلَدِ الْمَرْزَمَةِ فَقُتِلَ بِهَا  
غِيلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَذْكَورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا  
وَهُوَ أَنَّهُ صَحِبَ فِي حِجَّةٍ فِي رِبَاطِ الْعِبَادِ وَهُوَ مَدْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ فِي جَبَلٍ تَلْمَسَانَ  
الْمُطَّلِ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَتَّبِعًا مَعْظَمًا كَثِيرَ التَّلْمِيذِ  
وَالْخُدَامِ قَالَ وَكَانَ الرِّجَالُ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالنَّقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
وَتَا كَدَّتِ الصُّحْبَةُ بَيْنَنَا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنْتُمْ إِنَّمَا جَاءُوا

مِنْ مَوْطِنِهِمْ بِكَرْبَلَاءَ لَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ وَانْتَحَالَ دَعْوَةَ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ فَلَمَّا عَايَنَ  
 دَوْلَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَيُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مُنَازِلُ تَلْمَسَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرْجِعُوا فَقَدْ  
 أَرَى بِنَا الْغَلَطُ وَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقَتْنَا وَيَدُلُّ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى أَنَّهُ  
 مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنْ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الْمُكَافِئَةِ لِأَهْلِ الْوَقْتِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ  
 غَرِيبٌ فِي ذَلِكَ الْوَطَنِ وَلَا شَوْكَةَ لَهُ وَأَنَّ عَصِيَّةَ بَنِي مُرَيْنَ لِنَيْلِكَ الْعَهْدِ لَا يُقَاوِمُهَا أَحَدٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ اسْتَكَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَأَنْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَقِنَ  
 أَنَّ عَصِيَّةَ الْفَوَاطِمِمْ وَفُرَيْشٍ أَجْمَعَ قَدْ ذَهَبَتْ لَا سِيمَا فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنْ التَّعَصُّبَ  
 لِشَأْنِهِ لَمْ يَتْرُكْهُ لِهَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَتَمُّ لَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَتْ بِالْمَغْرِبِ لِهَيْدِهِ  
 الْعُصُورِ الْقَرِيبَةِ نَزْعَةٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ لَا يَتَحَلُّونَ فِيهَا دَعْوَةَ فَاطِمِيٍّ  
 وَلَا غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَنْزِعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ الْوَاحِدُ فَالْوَاحِدُ إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ  
 وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَيَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُعْتَوْنَ بِإِصْلَاحِ السَّائِلَةِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ فَسَادِ الْأَعْرَابِ فِيهَا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِهِمْ فَيَأْخُذُونَ فِي تَغْيِيرِ  
 الْمُنْكَرِ بِمَا اسْتَطَاعُوا إِلَّا أَنْ الصَّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَمْ تُسْتَحْكَمْ لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ الْعَرَبِ  
 وَرُجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا إِلَّا قِصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالنَّهْبِ لَا يَعْقِلُونَ فِي تَوْبَتِهِمْ  
 وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى مَنَاحِي الدِّينَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا الْمَعْصِيَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْمُقَرَّبَةِ وَمِنْهَا  
 تَوْبَتُهُمْ فَجَعَدَ ذَلِكَ الْمُنْتَحِلَ لِلدُّعَاةِ وَالْقَائِمِ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ غَيْرَ مُتَعَمِّقِينَ فِي فُرُوعِ  
 الْإِقْتِدَاءِ وَالِاتِّبَاعِ إِنَّمَا دِينُهُمْ الْأَعْرَاضُ عَنِ النَّهْبِ وَالْبَغْيِ وَإِفْسَادِ السَّائِلَةِ ثُمَّ  
 الْأَقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَفْصَى جُهْدِهِمْ وَشَتَانِ بَيْنَ هَذَا الْأَجْرِ مِنْ إِصْلَاحِ  
 الْخَلْقِ وَمِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَاتَّفَقُوهَا مُتَمَتِّعٌ لَا تُسْتَحْكَمْ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الدِّينِ وَلَا يَكْمُلُ  
 لَهُ نَزْوَعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجُمَّلَةِ وَلَا يَكْثُرُونَ وَيَخْتَلِفُ حَالُ صَاحِبِ الدُّعَاةِ مَعَهُمْ فِي  
 اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ فَإِذَا هَلَكَ أُنْحَلَّ أَمْرُهُمْ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ  
 وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بِأَفْرَبِيَّةَ لِرَجُلٍ مِنْ كَعْبٍ مِنْ سُلَيْمٍ يُسَمَّى قَاسِمَ بْنَ مِرَّةَ بْنِ أَحْمَدَ فِي  
 الْعَاثَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ مِنْ بَطْنِ مِنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلِمٍ  
 وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةَ وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ  
 يَسْتَبْأَ أَمْرُ تَابِعِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَسْبَمَا يَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قَبَائِلِ

سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَتَشَبَّهُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيَلْبَسُونَ  
فِيهَا وَيَتَحَلُّونَ أُمَّةَ السُّنَّةِ وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ  
مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن معنى الجنر

إِعْلَمُ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَ مَا يَحْدُثُ  
لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيمَا الْحَوَادِثِ الْعَامَّةِ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ  
مُدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَهْوُّنِهَا وَالتَّطَلُّعَ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ مَحْبُوبُونَ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْ  
النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى الوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكُهَّانِ لِمَنْ قَصَدَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ مَعْرُوفَةٌ وَقَدْ نَجِدُ فِي الْمُدُنِ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَلُّونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ  
لِعَاجِزِ بَحْرِيٍّ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَتَصَيَّبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالِدَّ كَأَكْبِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ  
يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَتَغْدُو عَلَيْهِمْ وَتَرْوِحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصِبَانُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعْفَاءِ الْعُقُولِ  
يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أَمْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ وَالنَّجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمُعَاشِرَةِ وَالْعِدَاوَةِ وَأَمْثَالِ  
ذَلِكَ مَا بَيْنَ خَطِيءِ فِي الرَّمْلِ وَيُسْمَوْنَهُ الْمُنَجِّمَ وَطَرِيقِ بِالْحَصِي وَالْحُبُوبِ وَيُسْمَوْنَهُ الْحَاسِبَ  
وَيَنْظُرُ فِي الْمَرَابَا وَالْمِيَاهِ وَيُسْمَوْنَهُ ضَارِبَ الْمِنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْفَاشِيَةِ فِي  
الْأَمْصَارِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مَحْبُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ  
أَطَّلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ وَلايَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَمْتَنِي بِذَلِكَ وَتَطَّلِعُ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ  
وَالْمُلُوكُ فِي أَمَادِ دَوْلَتِهِمْ وَلِذَلِكَ أَنْصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنْ  
الْأُمَّةِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنَجِّمٍ أَوْ وَلايٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مَلِكٍ يَرْتَقِبُونَهُ أَوْ  
دَوْلَةٍ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَاحِمِ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ  
الْمُلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَسْمَائِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلُ ذَلِكَ الْحَدَّثَانِ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكُهَّانُ  
وَالْعَرَّافُونَ يَرْتَجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ الْعَرَبِ مِنَ الْمَلِكِ وَالْدَّوْلَةِ  
كَمَا وَقَعَ لِسُقٍ وَسَطِيجٍ فِي تَاوِيلِ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَضْرٍ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ أَخْبَرَهُمْ بِمَلِكِ  
الْحَبَشَةِ بِلَادَهُمْ ثُمَّ رُجِعَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمَلِكُ وَالْدَّوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ

تَأْوِيلُ سَطِيحِ لِرُؤْيَا الْمُؤَبَّدَانِ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِهَا مَعَ عَبْدِ الْحَسْبِ وَأَخْبَرَهُمْ  
 بِظُهُورِ دَوْلَةِ الْعَرَبِ وَكَلَّمَا كَانَ فِي جَبَلِ الْبَرْبَرِ كَهَانٌ مِنْ أَشْهَرِهِمْ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ مِنْ  
 بَنِي يَفْرَنْ وَيُقَالُ مِنْ غَمْرَةٍ لَهُ كَلِمَاتٌ حَدَّثَانِيَةَ عَلَى طَرِيقَةِ الشَّعْرِ بِرِطَائِنِهِمْ وَفِيهَا حَدَّثَانٌ  
 كَثِيرٌ وَمُعْظَمُهُ فِيمَا يَكُونُ لِرِزْنَاتِهِ مِنَ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ  
 أَهْلِ الْجَبَلِ وَهُمْ يَزْعَمُونَ تَارَةً أَنَّهُ وَلِيٌّ وَتَارَةً أَنَّهُ كَاهِنٌ وَقَدْ يَزْعَمُ بَعْضُ مَزَاعِمِهِمْ أَنَّهُ  
 كَانَ نَبِيًّا لِأَنَّ تَارِيخَهُ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْعَجْرَةِ بِكَثِيرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ يَسْتَدُّ الْجَبَلُ إِلَى  
 خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ كَانَ لِمَهْدِهِمْ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَهُمْ الْمُتَمَقِّبِينَ فِيهِمْ  
 كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمِثْلِهِ عِنْدَمَا يَبْعَثُهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَوَقَعَ  
 مِنْهُ كَثِيرٌ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمُدَّتِهَا عَلَى الْعُمُومِ وَفِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّوْلَةِ وَأَعْمَارِهَا  
 عَلَى الْخُصُوصِ وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ فِي مَنْ صَدَرَ الْإِسْلَامُ لِأَثَارِ مَنْقُولَةٍ عَنِ الصَّحَابَةِ  
 وَخُصُوصًا مَسَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كَتَبِ الْأَخْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنِبِيهِ وَأَمثالهما وَرُبَّمَا  
 اقْتَبَسُوا بَعْضَ ذَلِكَ مِنْ ظَوَاهِرِ مَا تُورِدُهُ تَأْوِيلَاتٌ مُحْتَمَلَةٌ وَوَقَعَ لِحُجْرٍ وَأَمثالِهِ مِنْ أَهْلِ  
 اللَّيْلِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَدَمٌّ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْكَشْفُ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَايَةِ وَإِذَا  
 كَانَ مِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي ذَوْبِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ فِيكُمْ مُحَدِّثِينَ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَيْدِ الرَّتْبِ الشَّرِيفَةِ وَالْكَرَامَاتِ  
 الْمَوْهُوبَةِ وَأَمَّا بَعْدَ صَدْرِ الْعِلْمِ وَحَيْثُ عَلِقَ النَّاسُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْإِسْطِلَاحَاتِ  
 وَتُرْجِمَتِ كُتُبُ الْحُكَمَاءِ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْثَرَ مُعْتَمِدِهِمْ فِي ذَلِكَ كَلَامُ  
 الْمُتَمَقِّبِينَ فِي الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِنَ الْقِرَائِنَاتِ وَفِي الْمَوَالِيدِ وَالْمَسَائِلِ  
 وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ مِنَ الطَّوَالِعِ لَهَا وَهِيَ شَكْلُ الْفَلَكِ عِنْدَ حُدُوثِهَا فَلْتَدَكُرُ الْآنَ  
 مَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْأَثَرِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ الْمُتَمَقِّبِينَ أَمَّا أَهْلُ الْأَثَرِ فَلَهُمْ فِي  
 مَدَّةِ الْمَلَلِ وَبَقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ الشَّهْبِيلِيِّ فَإِنَّهُ نَقَلَ عَنِ الْعَطْرِيِّ مَا  
 يَقْتَضِي أَنَّ مَدَّةَ بَقَاءِ الدُّنْيَا مِنْذُ الْعِلْمِ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ وَنُقِضَ ذَلِكَ بِظُهُورِ كَلْبِيهِ وَهُوَ مُسْتَدَمٌّ  
 الْعَطْرِيِّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جَمْعِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَدْ كُرْ  
 لِذَلِكَ دَلِيلًا وَسِرُّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ تَقْدِيرُ الدُّنْيَا بِأَيَّامِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ سَبْعَةٌ  
 ثُمَّ الْيَوْمُ بِالْفِ سَنَةٍ لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي



الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاءَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ  
 وَالْوَسْطَى وَقَدَرَا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَيْرُورَةِ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِيهِ يَكُونُ عَلَى التَّقْرِيبِ نِصْفَ سَبْعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوَسْطَى عَلَى السَّبَابَةِ فَتَكُونُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةُ نِصْفَ سَبْعِ الْجُمُعَةِ كُلِّهَا وَهُوَ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمِلَّةِ  
 خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةَ سَنَةٍ أَغْنَى  
 الْمَاضِي وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلِّهَا سِتُّ آلَافِ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لشيءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ مَعَ وَفُوعِ الْوُجُودِ بِخِلَافِهِ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَبِيَّ الزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ بُعِثْتُ  
 أَنَا وَالسَّاءَةُ كَهَاتَيْنِ فَأَمَّا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرِيعٌ غَيْرُ شَرِيعَتِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمِلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ الْآخِرِ لَوْ سَاعِدَهُ  
 التَّحْقِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمَكْرُورِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ (الم يسطع نص حق كره) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجَمَلِ فَكَانَ سَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةً<sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُنْقِضِي مِنَ الْآلِفِ الْآخِرِ قَبْلَ بَعْثِهِ  
 فَهَذِهِ هِيَ مُدَّةُ الْمِلَّةِ قَالَ وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَقَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَبْعُدُ لَا يَقْتَضِي ظُهُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السِّيرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُخْتَبِ بْنِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ  
 وَهُمَا أَبُو يَامِرَ وَأَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَا مِنَ الْأَحْرَفِ الْمُقَطَّعَةِ أَلَمْ وَتَا وَلَاهَا عَلَى بَيَانِ  
 الْمُدَّةِ بِهَذَا الْحِسَابِ قَبَلْتُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ فَقَالَ الْمَصُّ ثُمَّ اسْتَزَادَ الرَّثْمَ ثُمَّ اسْتَزَادَ الْعَرَّ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَمْرٌ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا نَدْرِي أَقَلِيلًا أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيرًا ثُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو يَامِرَ مَا يُدْرِيكُمْ  
 لَعَلَّهُ أَعْطَى عَدَدَهَا كُلِّهَا تِسْعِمِائَةً وَأَرْبَعِ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَزَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

١ هنا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف المذكورة ٦٩٢

آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ١٠. وَلَا يَقُومُ مِنَ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيرِ الْمَلَّةِ بِهَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ دَلَالَهَ هَذِهِ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْدَادِ لَيْسَتْ طَبِيعِيَّةً وَلَا عَقْلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ بِالتَّوَاضُعِ وَالْإِصْطِلَاحِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حِسَابَ الْجَمَلِ نَعَمْ إِنَّهُ قَدِيمٌ مَشْهُورٌ وَقَدِيمُ الْإِصْطِلَاحِ لَا يَصِيرُ حُجَّةً وَلَيْسَ أَبُو بَاسِرٍ وَأَخُوهُ حَتَّى يَمِينٌ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَادِيَةً بِالْحِجَازِ غُفْلًا عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ حَتَّى عَنْ عِلْمِ شَرِيْعَتِهِمْ وَفِقْهِ كِتَابِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَإِنَّمَا يَتَأَقَّفُونَ مِثْلَ هَذَا الْحِسَابِ كَمَا تَتَلَفَّهَ الْعَوَامُّ فِي كُلِّ مَلَّةٍ فَلَا يَنْهَضُ السُّهَيْلِيُّ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَدْعَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ فِي الْمَلَّةِ فِي حَدِيثَانِ دَوَّلَتَهَا عَلَى الْخُصُوصِ مُسْنَدٌ مِنَ الْأَثَرِ إِجْمَالِيٍّ فِي حَدِيثِ خَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَدِيثَةِ بِنِ الْيَمَانِ مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهَبِيِّ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَيْشٍ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ بْنِ ذُوَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ حَدِيثَةُ بِنِ الْيَمَانِ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أُنْسِي أَصْحَابِي أُمَّ تَنَاسَوْهُ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدٍ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا لَا يَبِخُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَاهُ بِأَنَّهُمْ وَأَمَّمُ أَبِيهِ وَتَبِيئَتِهِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ أَعْدَمَ أَنَّهُ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا كَانَ صَحِيحًا فَهُوَ مُجْمَلٌ وَبِفَتْحِهِ فِي بَيَانِ إِجْمَالِهِ وَتَعْيِيبِ مَبْهَمَاتِهِ إِلَى آثَارِ أُخْرَى يُجُودُ أَسَانِيدُهَا وَقَدْ وَقَعَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ كِتَابِ السُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَوْقَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ حَدِيثَةِ أَيْضًا قَالَ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا فَأَتَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ عَنْهُ حَفِظَهُ مِنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ هُوَ لَاءُ ١٠. وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرْنَا بِهِ حَفِظَهُ مِنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ١٠. وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا تَعْمُولَةٌ عَلَى مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْإِشْتِرَاطِ لِأَنَّ الْمَعْبُودَ مِنَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَوْمَاتِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَقَرَّرَ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ مَعَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ائْتَمَرُوا فِي رِجَالِهِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ فِي

ابْنِ فَرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مِنْ أَكْبَرِ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ يُعْرَفُ مِنْهُ وَيُنْكَرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحِينَ وَوَقَّعَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعَفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَأَبُو قَبِيصَةَ ابْنُ ذُوئُبٍ مَجْهُولٌ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوزِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 بَسَّنَدُونِ فِي جَدَّتَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَفْرِ وَبَزَعْمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمٌ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ مِنْ طَرِيقِ الْآثَارِ وَالنُّجُومِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنَدَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ كِتَابَ الْجَفْرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بِنْتُ سَعِيدِ الْعِجْلِيِّ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزِّيَادِيَّةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَرْوِيهِ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَقَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى  
 الْعُمُومِ وَبَعْضُ الْأَشْخَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَ ذَلِكَ لَجَعْفَرٍ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَشْفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْعِجْلِيُّ وَكَتَبَهُ وَسَمَّاهُ الْجَفْرَ بِاسْمِ الْجِلْدِ  
 الَّذِي كُتِبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَفْرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْإِسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ الْمَعَانِي مَرْوِيَّةٌ عَنْ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ يَتَّصِلْ رِوَايَتُهُ وَلَا عَرَفَتْ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَوَاطِئُ مِنَ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَضْمَحُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعْمَ الْمُسْتَنَدُ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ فَهَمْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ بَعْضَ  
 فِرَائِطِهِ بِوَقَائِعِ تَكُونُ لَهُمْ فَتَصِحُّ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ مِنْ مِصْرَ عِ  
 وَعَصَاهُ نَفْرَجٌ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتْ الْكِرَامَةُ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَآثَارًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَعِنَايَةٍ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوَلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَانظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي إِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْحَلِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ بِالْيَمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمِهِ لِقَنَةِ أَنْ دَعْوَتَهُ تَمُّ هُنَاكَ وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِغْثَالِ

دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقِيَّةَ قَالَ بَنَيْتُهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْفَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ صَاحِبِ  
 الْحِمَارِ أَبِي يَزِيدَ بِالْمُدَيَّةِ وَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ مُنْتَهَى مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبْرُ بِبُلُوغِهِ إِلَى  
 الْمَكَانِ الَّذِي عَيْنُهُ جَدُّهُ أَبُو عَيْبِدٍ اللَّهُ فَأَيَّقَنَ بِالظَّفَرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فِهْرَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
 إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْمُتَجَمُّونَ فَيَسْتَنْدُونَ  
 فِي حَدَثَانِ الدَّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ  
 مِنْ الْقِرَانَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَلَوِيِّينَ رُحَلَ وَالْمُشْتَرِي بَقَرَتَانِ فِي  
 كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمُثَلَّثَةِ مِنَ الثَّلَاثِ  
 الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمُثَلَّثَةِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ  
 مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوجِهِ الثَّلَاثَةُ فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ  
 ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمُثَلَّثَةِ بِثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعُ عَوَدَاتٍ فِي مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
 سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى الثَّلَاثِ الْأَيْمَنِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمُثَلَّثَةِ إِلَى الْمُثَلَّثَةِ  
 الَّتِي تَلِيهَا أَعْنِي الْبُرْجِ الَّذِي بَلِي الْبُرْجِ الْآخِرِ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمُثَلَّثَةِ وَهَذَا  
 الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسَطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ  
 الْعَلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مَرَّةً  
 وَاحِدَةً وَالْوَسَطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ فِي كُلِّ مُثَلَّثَةٍ اثْنَتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِثْلَيْنِ  
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مُثَلَّثَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعَلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةِ بُرْجٍ  
 وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً بَقَرَتَانِ فِي بُرْجِ آخَرَ عَلَى ثَلَاثِيهِ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجَةٍ أَوْ دَقَائِقِهِ  
 مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعُ الْقِرَانُ يَكُونُ أَوَّلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
 الْأَسَدِ وَهَلِيهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِّينَ  
 سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرَ الْقِرَانِ وَعَوْدَ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
 الثَّرَائِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدَهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسَطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
 أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
 الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسَطُ عَلَى ظُهُورِ  
 الْمُتَعَلِّقِينَ وَالطَّالِبِينَ لِلْمَلِكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالِدُّعَاةِ وَخَرَابِ الْمُدُنِ أَوْ  
 عُمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَانَاتِ قِرَانُ النَّحْسَيْنِ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سنة مرة ويسمى الرابع وبرزج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط  
المرج فتحتم دلالته هذا القرآن في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج  
وحرارة العساكر وعصيان الجند والوزباء والقحط ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر  
السعادة والثخوسة في وقت فراغهما على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن أحمد  
الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك ورجوع المرجح إلى العقرب له أثر  
عظيم في الملة الإسلامية لأنه كان دليلاً فالمولد النبوي كان عند قران العلويين  
برزج العقرب فلما رجع هنالك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل  
العلم والدين ونقصت أحوالهم وربما أنهدم بعض بيوت العبادة وقد يقال إنه كان  
عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني أمية والمتوكل من بني العباس فإذا  
روعيت هذه الأحكام مع أحكام القرانات كانت في غاية الأحكام وذكر شاذان  
البلخي أن الملة تنهي إلى ثلاثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال  
أبو معشر يظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال خراش  
رأيت في كتب القدماء أن المعجمين أخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة  
فيهم وأن دليهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم أربعين سنة وقال  
أبو معشر في كتاب القرانات الفسحة إذا انتقلت إلى السابعة والعشرين من الحوت فيها  
شرف الزهرة ووقع القرآن مع ذلك ببرزج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ  
دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة مائة ومدته على ما بقي من درجات شرف  
الزهرة وهي إحدى عشرة درجة بتقريب من بروج الحوت ومدته ذلك ستمائة وعشرون  
سنة وكان ظهور أبي مسلم عند انتقال الزهرة وتوقع القسمة أول الحمل وصاحب  
الجند المشتري وقال يعقوب بن إسحاق الكندي إن مدة الملة تنهي إلى ستمائة  
وثلاث وتسعين سنة قال لأن الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة  
وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي إحدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها  
ستون فيكون ستمائة وثلاثاً وتسعين سنة قال وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء  
ويعضده الحروف الواقعة في أول السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الجمل  
قلت وهذا هو الذي ذكره السهلي والغالب أن الأول هو مستند السهلي فيما نقلناه

عنه قال خراش سأل هرمز إفريد الحكيم عن مدة أردشير وولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين وأجودها أربعمائة وسبعا وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون لأن طالع القرآن الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القرآن في شرفها فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزرجهر الحكيم عن خروج الملك من فارس إلى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري بغوص إلى الزهرة وينقل القرآن من الهوائية إلى العقرب وهو مائي وهو دليل العرب فهذه الأدلة تنفي للملّة بمدة دور الزهرة وهي ألف وستون سنة وسأل كسرى أبرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجهر وقال توفيل الرومي النجم في أيام بني أمية إن ملة الإسلام تبقى مدة القرآن الكبير تسعمائة وستين سنة فإذا عاد القرآن إلى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فحينئذ إما أن يفتقر العمل به أو يتجدد من الأحكام ما يوجب خلاف الظن قال خراش واتفقوا على أن خراب العالم يكون بأسيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكنونات وذلك عند ما يقطع قلب الأسد أربعاً وعشرين درجة وهي حد المريخ وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة وذكر خراش أن ملك زابلستان بعث إلى المأمون بحكيمه ذوبان اتحفه به في هديّة وأنه تصرف للمأمون في الاختيارات بحروب أخيه وبعقد اللواء لطاهر وأن المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فأخبره بأنقطع الملك من عقبه واتصاليه في ولد أخيه وأن العجم يتغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق فيملكون إلى الشام والفرات وسنجون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام صصة بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترك الذين أشار إلى ظهورهم بعد الديلم هم السجوقية وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع قال خراش واتفق القرآن إلى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة

ليزدجرد وبعدها إلى برج العقرب حيث كان قرآن الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي  
 في الحوت هو أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وشعوبل  
 السنة الأولى من القرآن الأول في المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين  
 وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك. وأما مستند المعجمين في دولة علي الخصوص  
 فمن القرآن الأوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة  
 وجهانها من الثمران والقائمين بها من الأمم وعند ملوكهم وأماهم وأعمارهم ونحلهم  
 وأديانهم وعوائدهم وحرورهم كما ذكر أبو معشر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه  
 الدلالة من القرآن الأصغر إذا كان الأوسط دالا عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول  
 وقد كان يعقوب ابن إسحاق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرانات الكائنة  
 في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر  
 فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وأنها نهايته وأشار إلى انقراضها والحادثة على  
 بغداد أنها تقع في منتصف المائة السابعة وأنه بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقع  
 على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها  
 هلاك كوميك التبر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد  
 وقع بالعرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر أنه وضع ليبي  
 عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن  
 ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون  
 وكتب في الحديثان وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب  
 صنائع الدولة قال بعث إلي الربيع والحسن في غزائهما مع الرشيد أيام أبيه فحجتهما  
 جوف الليل فإذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحديثان وإذا مدة المهدي فيه  
 عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فإذا  
 وقف عليه كنتم قد نعيتم إليه نفسه فالأما الحيلة فاستدعيت عبسة الوراق مولى  
 آل بديل وقلت له أسخ هذه الورقة وأكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا  
 أنني رأيت العشرة في تلك الورقة والأربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي ثم كتبت  
 الناس من بعد ذلك في حديثان الدول منظوماً ومنشوراً ورجزاً ما شاء الله أن يكتبوه

وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُتَفَرِّقَةٌ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتُسَمَّى الْمَلَاحِمَ وَبَعْضُهَا فِي حَدِّثَانِ الْمَلَّةِ عَلَى التَّمُومِ  
 وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةِ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَسُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا أَصْلٌ  
 يَعْتَمِدُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَلَاحِمِ بِالْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ  
 مُرَائَةَ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ عَلَى زَوِيِّ الرَّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَّةُ أَنَّهَا مِنْ  
 الْحَدِّثَانِ الْعَامِّ فَيُطِيقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي سَمِعْتَهُ مِنْ شُيُوخِنَا  
 أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةِ لِمَثُونَةَ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَبِيلَ دَوَاتِيمَ وَذَكَرَ فِيهَا اسْتِزْلَاجَهُمْ عَلَى  
 سَبْتَةِ مِنْ يَدِ مَوَالِي بَنِي حَمُودٍ وَمُلْكِهِمْ لِعُدُوِّهِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالْمَلَاحِمِ يَدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 أَيْضًا قَصِيدَةٌ تُسَمَّى التَّبَعِيَّةَ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرَبٌ وَقَدْ يَطْرَبُ الطَّائِرُ الْمُغْتَصَبُ  
 وَمَا ذَاكَ مِنِّي لِلَّهِوِ أَرَاهُ وَلَكِنْ إِنِّدَكَارَ بَعْضِ السَّبَبِ  
 قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ نَيْتٍ أَوْ أَلْفٍ فِيمَا يُقَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ وَأَشَارَ  
 فِيهَا إِلَى الْفَاعِطِيِّ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَمِنَ الْمَلَاحِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا مَلْعَبَةٌ  
 مِنَ الشُّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَسُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْفِرَّانَاتِ لِعَصْرِهِ الْعَلَوِيِّينَ  
 وَالنَّحْسِينَ وَغَيْرَهَا وَذَكَرَ مِثْلَهُ فَيْلًا بِفَاسَ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ وَأَوَّلُهُ  
 فِي صِنَعِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرْفِهِ خِيَارًا فَافْهَمُوا بِاقُومِ هَذَا فِي الْإِشَارَا  
 نَجْمِ زَحَلِ أَخْبَرَ بِذِي الْعَلَامَا وَبَدَّلَ الشُّكْلَا وَهِيَ صِلَامَا  
 شَاشِيَةَ زَرْقَا بِدَلِّ الْعَامَا وَشَاشَ أَرْقَ بِدَلِّ الْفَرَارَا  
 يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّ ذَا التَّبَعِيَّةِ لِأَنَّ سَانَ يَهُودِي بَصَلَبَ فِي بَلَدَةِ فَاسَ فِي يَوْمِ عِيدِ  
 حَقِّي يَجِيهِ النَّاسُ مِنَ الْبُؤَادِي وَفَتَلَهُ بِاقُومِ عَلَى الْفَرَادِ  
 وَأَيَّانُهُ نَحْوُ الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْفِرَّانَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ وَمِنَ الْمَلَاحِمِ الْمَغْرِبِ  
 أَيْضًا قَصِيدَةٌ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى زَوِيِّ الْبَاءِ فِي حَدِّثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصِ  
 بَنِي سَمِينٍ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ مَسُوبَةٌ لِابْنِ الْأَبَارِ وَقَالَ لِي قَاضِي فُسْطَاطِيَّةِ الْخَطِيبِ الْكَبِيرِ  
 أَبُو عَلِيٍّ بَنِي بَادِسَ وَكَانَ بَصِيرًا يَمَّا يَقُولُهُ وَهُوَ قَدِمَ فِي التَّنْجِيمِ فَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا ابْنُ الْأَبَارِ  
 لَيْسَ هُوَ الْحَافِظُ الْأَنْدَالِيُّ الْكَاتِبُ مَقْتُولُ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خَبِاطٌ مِنْ أَهْلِ



نُونِسَ تَوَاطَّاتِ شُهْرَتُهُ مَعَ شُهْرَةِ الْحَافِظِ وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُنْشِدُ هَذِهِ  
الْأَيَّاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعًا

عَدِيرِي مِنْ زَمَنِ قَلْبِ يَغْرُ بِأَرْقِهِ الْأَشْنَبِ  
وَمِنْهَا وَيَبْعَثُ مِنْ جَيْشِهِ فَائِدًا وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى مَرْقَبِ  
فَتَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ أَخْبَارُهُ فَيُقْبَلُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَدْلِهِ سِيرَةً وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجَابِ

ومنها في ذكر احوال نونس على العموم

فَأَمَّا رَأَيْتِ الرُّسُومَ أَمَحَتْ وَوَدَّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبَ  
تُغْذِي فِي التَّرْحُلِ عَنْ نُونِسَ تَضْيِفُ الْبَرِيءِ إِلَى الْمَذْنِبِ  
فَسَوَفَ تَكُونُ بِهَا فِتْنَةٌ

وَوَقَّفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةِ أُخْرَى فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَنْصِ هُوَ لِأَبِي نُونِسَ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى الشَّهْرِ عَاشِرِ مَلُوكِهِمْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ شَقِيقُهُ وَيُعْرَفُ بِالْوَثَّابِ فِي نُسْخَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُعْنِي بِذَلِكَ نَفْسَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَمِنْ  
الْمَلَاخِمِ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمَلْعَبَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى الْهَوْبِيِّ عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ

دعني بدمعي الهتان فترت الامطار ولم تفر

واستقت كلها الويدان واني تملى وتغدر

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ بَيْنَ عَامَّةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْغَالِبِ عَلَيْهَا الْوَضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْهَا  
قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْحَارِفُ فِيهِ مَنْ يَنْتَحِلُهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَوَقَّفْتُ بِالْمَشْرِقِ  
عَلَى مَلْحَمَةٍ مَنْسُوبَةٍ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِهَ الْأَلْفَاظَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا  
اللَّهُ لِيَحْتَلِلَهُ إِلَى أَوْفَاقٍ عَدَدِيَّةٍ وَرَمُوزٍ مَلْفُوزَةٍ وَأَشْكَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَامَّةٍ وَرُؤُوسٍ مَقْطَعَةٍ  
وَتَمَاثِيلٍ مِنْ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رَوِيِّ اللَّامِ وَالْغَالِبِ أَنَّهَا كَلَّمَا  
غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عَلِيٍّ مِنْ نِجَامَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

أقوله فاما رايت اصله فان رايت زيدت ما وادغمت في ان الشرطية الحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما  
رايت والاولى هي الموجودة في النسخة النونسية ١٠٠٠ قاله نصر

مَلَا حِمٍّ أُخْرَى مَنَسُوبَةٌ لِابْنِ سِينَاءَ وَابْنِ عِقَابٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ لِأَنَّ  
 ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَائَاتِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مَلْحَمَةٍ مِنْ حَدَثَانِ دَوْلَةِ  
 التُّرْكِ مَنَسُوبَةٍ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجِرْبِقِيُّ وَكَلَّمَا الْغَازُ بِالْحُرُوفِ أَوْلَاهَا  
 إِنَّ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سُوْلِي مِنْ عِلْمِ جَفْرِ وَمِصْبِي وَالِدِ الْحَسَنِ  
 فَافْهَمْ وَكُنْ وَاعِيًا حَرْفًا وَجَمَلْتَهُ وَالْوَصْفَ فَافْهَمْ كَفَعْلِ الْحَاذِقِ الْقَطِينِ  
 أَمَا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ لَكِنِّي أَذْكَرُ الْآلِيَّ مِنَ الزَّمَنِ  
 بِشَهْرِ بِيَهْرَمَنْ يَبْقَى بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِجَاءَ مِيعَمٍ بَطِيئُ نَامٍ فِي الْكُنَنِ  
 شَيْنٌ لَهُ أَثَرٌ مِنْ تَعْتِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ قَضَى أَي ذَلِكَ الْمِنَنِ  
 فَمِصْرُ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرَبِجَانُ فِي مُلْكٍ إِلَى الْيَمَنِ  
 وَأَيَّانَهَا كَثِيرَةٌ وَالغَالِبُ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صِنْعَتِهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرَةٌ  
 وَمَعْرُوفُ الْإِنْتِحَالِ

حَكَى الْمُؤَرِّخُونَ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ وَرَاقٌ ذَكَرِي يُعْرَفُ  
 بِاللَّاتَالِي يَبْلُ الْأُورَاقَ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِخَطِّ عَتِيقٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ  
 الدَّوْلَةِ وَيُسِيرُ بِهَا إِلَى مَا يَعْرِفُ مَبَاهِمَ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الرَّفْعَةِ وَالْجَؤِ كَانَهَا مَلَا حِمٍّ وَيَحْتَصِلُ  
 عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَاتِرِهِ مِيسَا مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
 وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحِ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ  
 وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيَنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَصَبَ لِنَاكَ عِلَامَاتٍ يُعَوِّدُ بِهَا عَلَيْهِ فَبَدَّلَ لَهُ  
 مَا أَغْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا لِحُجَّاهُ  
 بِأُورَاقٍ مِثْلِهَا وَذَكَرَ اسْمَ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبِعِلَامَاتٍ ذَكَرَهَا وَأَنَّهُ بَلِي  
 الْوِزَارَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءُ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا  
 فِي أَيَّامِهِ وَأَوْقَفَ مُفْلِحًا هَذَا عَلَى الْأُورَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَا حِمٍّ مِنْ هَذَا  
 النَّوْعِ مِمَّا وَقَعَ وَمِمَّا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ جَمِيعَهُ إِلَى دَانَالٍ فَأَعْجَبَ بِهِ مُفْلِحٌ وَوَقَفَ عَلَيْهِ  
 الْمُقْتَدِرُ وَأَهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعِلَامَاتِ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَوِزَارَتِهِ  
 بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْكُذْبِ وَالْجُهْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ  
 الْمَلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسِبُونَهَا إِلَى الْبَاجِرْبِقِيِّ مِنْ هَذَا النَّوْعِ وَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ ابْنَ

شَيْخِ الْخَلْفَةِ مِنَ الْأَجْمِ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَنِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَعَنْ هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ الْبَاجِرِيُّ وَكَانَ عَارِفًا بِطَرَائِقِهِمْ فَقَالَ كَانَ مِنْ  
الْقَلَنْدَرِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حَلْقِ اللَّحْيَةِ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَيُؤْمِي  
إِلَى رِجَالٍ مُعَيَّنِينَ عِنْدَهُ وَيُغَزُّ عَلَيْهِمْ بِمُحْرُوفٍ بَعِيْنَهَا فِي خِيَمِهَا لِمَنْ يَرَاهُ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا  
يَطْهَرُ نَظْمٌ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَتَمَاهَدُهَا فَتَنَوَّقَاتٌ عَنْهُ وَوَلِيَ النَّاسُ بِهَا وَجَعَلُوهَا  
مَلْحَمَةً مَرْمُوزَةً وَزَادَ فِيهَا الْفَرَاصُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَشَخِلَ الْعَامَّةُ بِفِكَ  
رُمُوزَهَا وَهُوَ أَمْرٌ مُشْتَبِعٌ إِذِ الرَّمْزُ إِنَّمَا يَهْدِي إِلَى كَشْفِهِ قَانُونَ يُعْرَفُ قَبْلَهُ وَيُوضَعُ  
لَهُ وَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْحُرُوفِ فَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا النِّظْمِ لَا يَتَجَاوَزُهُ  
قِرَاءَتٌ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَاعِلِ شِفَاءً لِمَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال  
وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك  
وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ الْبِنَاءَ وَاخْتِطَاطَ الْمَنَازِلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْحِضَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
التَّرَفُ وَالِدَعَةُ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ وَذَلِكَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبِدَاوَةِ وَنَازِعِيهَا وَأَيْضًا فَالْمَدَنُ وَالْأَمْصَارُ  
ذَاتُ هِيََاكِلٍ وَأَجْرَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ لَا لِلْخُصُوصِ فَحَتَّاجٌ  
إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَيْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الْفَرُوقِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي نَمُّ بِهَا  
الْبَلْوَى حَتَّى يَكُونَ نُزُوعُهُمْ إِلَيْهَا اضْطِرَارًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِكْرَامِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَسَوْقِيهِمْ  
إِلَيْهِ مُضْطَهَدِينَ بِعَصَا الْمَلِكِ أَوْ مَرْغَبِينَ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الَّذِي لَا يَبْقَى بِكَثْرَتِهِ إِلَّا

الْمَلِكُ وَالِدَوْلَةُ فَلَا بُدَّ فِي تَمْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَأَخْطِاطِ الْمُدُنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بُنِيَ الْمَدِينَةُ وَكَمُلَ تَشْيِيدُهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا وَبِمَا اقْتَضَتْهُ الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعُمُرُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ عُمُرُ لَهَا فَإِنْ كَانَ عُمُرُ الدَّوْلَةِ قَصِيرًا وَقَفَتْ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعُ عُمُرَانِهَا وَخَرِبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمُدَّتْهَا مُنْفِصِحَةٌ  
 فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُ وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيْبَةُ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ وَنِطَاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَيَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تَتَسِعَ الْخِطَّةُ وَتَبْعَدَ الْمَسَافَةُ وَيَنْفَسِحَ ذَرَعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بِبَغْدَادَ وَأَمْثَالِهَا. ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَأْرِيخِهِ أَنَّ الْحُمَامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِبَغْدَادَ لِعَهْدِ  
 الْمَأْمُونِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَقَارِبَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمُرَانِ وَكَذَا حَالُ  
 الْقَيْرَوَانِ وَقُرْطُبَةَ وَالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُشِيدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لِمَوْحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَارِبَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَةً بِمِدَّتِهَا الْعُمُرَانِ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لِوُجُودِهَا وَيَسْتَمِرُّ عُمُرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِقَاسِ وَبِجَايَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبِعِرَاقِ  
 الْعَجَمِ مِنَ الْمَشْرِقِ الْمَوْجُودِ لَهَا الْعُمُرَانُ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدَاوَةِ إِذَا أَنْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَاتِهَا مِنَ الرِّفَةِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالْمُسْكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَنْزِلُونَ الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَّلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَوْسُئَةِ  
 مَادَةٌ تُفِيدُهَا الْعُمُرَانُ بِتَرَادُفِ السَّاكِنِ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرَقًا  
 لِسَاحِجِهَا فَيَزُولُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقِصُ عُمُرَانُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَبْذُغِرَ مَا كَانَتْهَا وَتَخْرِبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةَ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَيْرَوَانِ وَالْمَهْدِيَّةِ وَقَلْعَةَ بَنِي حَمَادٍ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمْثَالِهَا فَتَفْهَمُهُ وَرُبَّمَا يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مُخْطِطِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرَ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَخْذُهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنِ اخْتِطَاطِ مَدِينَتِهِ يَنْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةُ سِيَاحِجَهَا وَتَتَزَايِدُ مَبَانِيهَا وَمَصَانِعُهَا بِتَزَايِدِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرَفُّهَا  
 وَتَسْتَجِدُّ عُمُرَانِهَا عُمُرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِقَاسِ وَالْقَاهِرَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ اضْطَرُّوا لِلْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَمْصَارِ  
لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالرَّاحَةِ وَحَطَّ الْأَثْقَالُ وَأَسْتِكْمَالَ  
مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أُمُورِ الْعُمَرَانِ فِي الْبَدْوِ وَالثَّانِي دَفْعُ مَا يَتَوَقَّعُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ  
الْمَنَازَعِينَ وَالْمُشَاغِبِينَ لِأَنَّ الْمِصْرَ الَّذِي يَكُونُ فِي تَوَاحِيهِمْ رُبَّمَا يَكُونُ مَلْجَأً  
لِمَنْ يَرُومُ مَنَازِعَتَهُمْ وَالخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتِزَاعَ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي سَمَّوْا إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ  
فَيَعْتَصِمُ بِذَلِكَ الْمِصْرِ وَيُقَالِبُهُمْ وَمُغَالِبَةُ الْمِصْرِ عَلَى نِهَائِهِ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ  
وَالْمِصْرُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَسَاكِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتِنَاعِ وَنِكَايَةِ الْحَرْبِ مِنْ  
وَرَاءِ الْجُدْرَانِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ عَدَدٍ وَلَا عَظِيمٍ شَوْكَةٍ لِأَنَّ الشُّوْكَةَ وَالْعَصَابَةَ  
إِنَّمَا أَحْتِجِجَ إِلَيْهَا فِي الْحَرْبِ لِلشَّبَاتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ بَعْدِ كَرَّةِ الْقَوْمِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ  
الْجَوْلَةِ وَثَبَاتِ هَوْلَاءِ بِالْجُدْرَانِ فَلَا يَضْطَرُّونَ إِلَى كَبِيرِ عِصَابَةٍ وَلَا عَدَدٍ فَيَكُونُ حَالُ  
هَذَا الْحُصْنِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِهِ مِنَ الْمَنَازَعِينَ مَا يَفِئُ فِي عَضُدِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَرُومُ الْأَسْتِيْلَاءَ  
وَيُخْضِدُ شَوْكَةَ اسْتِيْلَائِهَا فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ أَجْنَابِهِمْ أَمْصَارًا أَنْتَضَمُوهَا فِي اسْتِيْلَائِهِمْ لِلْأَمْنِ  
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْإِنْفِرَامِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِصْرٌ اسْتَحْدَثُوهُ ضَرُورَةً لِتَكْمِيلِ عُمُرَانِهِمْ  
أَوْ لِأَوْحَاطِ اثْقَالِهِمْ وَلَيْسَ كُونَ شَجًّا فِي حَلْقٍ مِنْ يَرُومُ الْعِزَّةَ وَالْإِمْتِنَاعَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَائِفِهِمْ  
وَعَصَائِبِهِمْ فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمَلِكَ يَدْعُو إِلَى نَزُولِ الْأَمْصَارِ وَالْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لِرَبِّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

قَدْ قَدِّمْنَا ذَلِكَ فِي آثَارِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَبَانِي وَغَيْرِهَا وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ  
تَشْيِيدَ الْمَدِينِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاجْتِمَاعِ الْقَعْلَةِ وَكَثْرَتِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً  
مُتَّسِعَةً الْمَالِكِ حُشِرَ الْقَعْلَةُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَجُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى عَمَلِهَا وَرُبَّمَا اسْتَعِينَ فِي  
ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِالْهِنْدَامِ الَّذِي يُضَاعَفُ الْقَوِيَّ وَالْقَدْرَ فِي حَمْلِ أَثْقَالِ الْبِنَاءِ

لِعَجْزِ الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْمَخَالِ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا بَتَوْهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمُ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيوَانَ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ  
وَحَنَابَا الْمَعْلُوقَةِ وَشَرِشَالَ بِالْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ يَقْدِرُهُمْ مَتَرَفٌ قَبْلَ أَوْجَعْتَمِينَ فَيَتَخَيَّلُ  
لَهُمْ أَجْسَامًا تَنَاسِبُ ذَلِكَ الْأَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ كَثِيرٌ فِي طُولِهَا وَقُدْرَتِهَا لِتَنَاسِبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
الْقَدْرِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُعْفَلُ عَنْ شَأْنِ الْهِنْدَامِ وَالْمَخَالِ وَمَا أَقْتَضَتْهُ فِي  
ذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْهِنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَفَلِّحِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَأَسْتَعْمَالَ  
الْحِجَلِ فِي نَقْلِ الْأَجْرَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ الْعَجْمِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِمَا قُلْنَا  
عَيَانًا وَكَثْرًا آثَارِ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الِتِهَادِ تَسْمِيًا الْعَامَّةَ عَادِيَّةً نِسْبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِتَوَاهُمِهِمْ  
أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعِهِمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعَظْمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعُفِ قُدْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فَقَدْ نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الَّذِينَ تُعْرَفُ مَقَادِيرُ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ وَهِيَ فِي  
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَظْمِ أَوْ أَعْظَمَ كِإِيوَانَ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
وَالصَّنْهَاجِيِّينَ وَأَثَرُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ وَكَذَلِكَ بِنَاةُ الْأَغَالِبَةِ فِي  
جَامِعِ الْقَيْرَوَانَ وَبِنَاةُ الْمُوَحَّدِيِّينَ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ وَرِبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِعَهْدِ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْمَنْصُورَةِ بِإِرَاقٍ تَلْمَسَانَ وَكَذَلِكَ الْحَنَابَا الَّتِي جَلَبَ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْطَبَةَ  
الْمَاءِ فِي الْقَنَاةِ الرَّأكِيَّةِ عَلَيْهَا مَائِلَةٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي نَقَلَتْ  
إِلَيْنَا أَخْبَارَ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَثَبَتْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مَقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا  
هَذَا رَأْيٌ وَلَيْعَ بِهِ الْقُصَّاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَنَجِدُ يَبُوتَ تَمُودَ فِي الْحَجْرِ مَخُونَةً  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا يَبُوتُهُمْ يَمُرُّ بِهَا الرُّكْبُ الْحِجَازِيُّ  
أَكْثَرَ السَّنِينَ وَيُشَاهِدُونَهَا لِاتِّزِيدَ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَسَمَكِهَا عَلَى الْمُتَعَاهِدِ وَإِنَّهُمْ  
لِيَبَالِغُونَ فِيهَا بِعَتَقِدُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لِيَزْعُمُونَ أَنَّ عَوْجَ بَنِ عِنَاقٍ مِنْ جِبَلِ الْعَمَالِقَةِ  
كَانَ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيًّا فَيَشْوِيهِ فِي الشَّمْسِ يَزْعُمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةٌ  
فِيمَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَرَّ فِيمَا لَدَيْنَا هُوَ الضَّوْءُ لِأَنَّهُ يَنْعَكِسُ الشَّمْعُ بِمُقَابَلَةِ سَطْحِ  
الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا الشَّمْسُ فِي نَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ كَوْكَبٌ مُضِيٌّ  
لَا مِزَاجَ لَهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى  
نِسْبَةِ قُوَّتِهَا فِي أَصْلِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل بينائها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيَّةِ  
 وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عِظَمِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِالْمُنْدَامِ كَمَا قَالْنَا  
 فَيُتَعَاوَنُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَرْزَمَةٍ مُتَعَاوِيَةٍ إِلَى أَنْ تَتِمَّ فَيَبْتَدِئُ الْأَوَّلُ  
 مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَبَعْقِبُهُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَ شَأْنَهُ فِي حَضْرٍ  
 الْفَعْلَةِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمُلَ وَيَكُونُ مَائِلًا لِلْعِيَانِ بَظَنَّهُ  
 مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْأَخْرَبِ إِنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْظُرِي فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ  
 سِدِّ مَارِبَ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَا بْنُ يَشْجَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَعَاقَهُ الْمَوْتُ عَنْ  
 إِنْتِامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حَبْرَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَمِثْلُ هَذَا مَا نَقَلَ فِي بِنَاءِ قَرْطَاجَةَ وَقَاتَهَا الرَّاكِبَةُ  
 عَلَى الْحَنَابَا الْعَادِيَّةِ وَأَكْثَرُ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ  
 الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا نَجِدُ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ بَشَّرِعُ فِي أَخْطَابِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ  
 أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي إِنْتِامِهَا بَقِيَتْ بِحَالِهَا وَلَمْ يَكْمُلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ  
 أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ أَثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ نَعْجُزُ الدُّوْلُ عَنْ هَدْمِهَا وَتَخْرِيبِهَا مَعَ  
 أَنَّ الْهَدْمَ أَيْسَرُ مِنَ الْبِنَاءِ بِكَثِيرٍ لِأَنَّ الْهَدْمَ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالْبِنَاءُ  
 عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُ قُوَّتَنَا الْبَشَرِيَّةَ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سُهُولَةِ الْهَدْمِ  
 عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي اسْتَسْتَهَتْ مُفْرَطَةُ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا  
 وَقَعَ لِلْعَرَبِ فِي إِيْوَانَ كِنَرِي لَمَّا اعْتَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ  
 وَهُوَ فِي مَحَبَّةٍ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ وَأَثَرُكُمْ مَائِلًا يُسَدِّلُ  
 بِهِ عَلَى عِظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ فَأَتَمَّهُمْ فِي النَّصِيحَةِ  
 وَقَالَ أَخَذْتُهُ الثُّعْرَةَ لِلْعَجْمِ وَاللَّهُ لَأَصْرَعَنَّهُ وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَأَتَمَّ  
 لَهُ الْفُؤُسُ وَحَمَاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ أَخْلَّ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَّهُ وَخَافَ  
 الْفَضِيحَةَ بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَافِي عَنْ الْهَدْمِ فَقَالَ لَا تَفْعَلْ وَأَسْتَمِرَّ  
 عَلَى ذَلِكَ لِئَلَّا يُقَالَ عَجْزَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكِ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ الْعَجْمِ  
 فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ وَأَقْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي بِمِصْرَ

وَجَمَعَ الْقَلْعَةَ إِهْدَمَهَا فَلَمْ يَجَلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي تَقْبِهِ فَأَنْتَهَوْا إِلَى جَوِّ بَيْنِ الْحَائِطِ وَالظَّاهِرِ  
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْخَيْطَانِ وَهُنَالِكَ كَانَ مُنْتَهَى هَدْيِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيهَا يُقَالُ مَنْفَذُ ظَاهِرٍ  
وَيَزْعُمُ الرَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رِكَازًا بَيْنَ تِلْكَ الْخَيْطَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ حَنَابَا الْمَلَقَةِ  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ تَعْتَاجُ أَهْلِ مَدِينَةِ نُؤَسَ إِلَى انْتِخَابِ الْحِجَارَةِ لِبِنَائِهِمْ وَتَسْتَجِيدُ الصَّنَاعُ  
حِجَارَةَ تِلْكَ الْحَنَابَا فَيَحَاوِلُونَ عَلَى هَدْمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَسْقُطُ الصَّيْرُ مِنْ جُدْرَانِهَا  
إِلَّا بَعْدَ عَضْبِ الرِّبِيِّ وَيَجْتَمِعُ لَهُ الْعَوَاقِلُ الْمَشْهُورَةُ تَهْتَدُ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صِبَايَ  
كَثِيرًا وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة  
اعلم ان المدن قرار يتخذها الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه  
فتؤثر الدعة والسكون وتوجهه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار  
والمأوى وجب ان يرعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع  
وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيرعى لها ان يدار على منازلها جميعا  
سياح الاسوار وان يكون وضع ذلك في متسع من الامكنة اما على هضبة متوغرة  
من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر  
او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ويمم يرعى في ذلك  
للعماية من الالآت السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان  
راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعفن او مروج خبيثة أسرع اليها  
العين من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن  
التي لم يرع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر  
المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بأفريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يتخلص من  
حمى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل  
البكري في سبب طوئته انه وقع فيها خفر ظهر فيه اناء من نحاس مختم بالارصاص  
فلما فُض ختامه منه دُخان الى الجور وانقطع وكان ذلك مبدأ أمراض الحميات  
فيه وازاد بذلك ان الاناء كان مستملا على بعض أعمال الطلسمات لوبائه وانه



ذَهَبَ مَرُّهُ بِذَهَابِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهَا الْعَفْنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَةِ وَمَبَاحِثِهِمْ  
 الرُّكَيْكَةِ وَالْبِكْرِيِّ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَاسْتِنَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِمَعْنَى يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا  
 أَوْ يَتَبَيَّنُ خَرَفَهُ فَنَقَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَةَ  
 الْعَفْنَةَ أَكْثَرُ مَا يَهَيِّئُهَا لِتَعْظِيمِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ رُكُودَهَا فَإِذَا تَخَلَّتْهَا الرِّيحُ  
 وَتَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَفْنِ وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبِلْدِ  
 إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِنِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
 الرِّيحُ الْمُتَخَلِّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّاكِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْتِمَوجِ وَإِذَا خَفَّ  
 السَّاكِنُ لَمْ يَجْعِدِ الْهَوَاءَ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوَّجَهُ وَيَبْقَى سَاكِنًا رَاكِدًا وَعَظُمَ عَفْنُهُ  
 وَكَثُرَ ضَرَرُهُ وَبَلَدُ فَايَسَ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ مَا كَانَتْ أَفْرِيقِيَّةُ مُسْتَجِدَّةَ الْعُمَرَانِ كَثِيرَةً  
 السَّاكِنِ تَمَوَّجُ بِأَهْلِهَا مَوْجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوَّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطَرَابِهِ وَتَخْفِيفِ  
 الْأَذَى مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفْنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَ مَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكَدَ هَوَاؤُهَا  
 الْمُتَمَعِّنِينَ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَفْنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْتَا عَكْسَ  
 ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وَضَعْتَ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طَيْبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِنِ فَكَانَتْ  
 أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنِ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَايَسَ  
 إِيَّانَا الْعَمْدِ الْمَسْمِيِّ بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَقَهَّمَهُ تَبَعْدُ مَا قُلْتُهُ لَكَ  
 وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا الْمَاءُ بَأَنَّ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
 نَهْرٍ أَوْ بِإِزَائِهَا عِيُونٌ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ فَإِنَّ وُجُودَ الْمَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يُسَهِّلُ عَلَى السَّاكِنِ  
 حَاجَةَ الْمَاءِ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وُجُودِهِ مَرْفِقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَةً وَمِمَّا يُرَاعَى  
 مِنَ الْمَرَافِقِ فِي الْعُدُنِ طَيْبُ الْمَرَاعِي لِسَائِمَتِهِمْ إِذْ صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
 دَوْجِنِ الْحَيَوَانِ لِلنِّتَاجِ وَالضَّرْعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَرَاعِي فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
 طَيِّبًا كَانَ ذَلِكَ أَرْزَقَ بِجَاهِهِمْ لِمَا يُعَانُونَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي بُعْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
 الْمَزَارِعُ فَإِنَّ الرُّزُوعَ هِيَ الْأَفْوَاتُ فَإِذَا كَانَتْ مَزَارِعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
 اسْتِهْلًا فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالْبِنَاءُ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
 تَعْمُ الْبَلُوى فِي اتِّخَاذِهِ لَوْ قُودِ النَّيْرَانِ لِلِإِصْطِلَاءِ وَالطَّبِيخِ وَالخَشْبُ أَيْضًا ضَرُورِيٌّ  
 لِسَقْفِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الخَشْبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنْ

البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول  
وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو إليه ضرورة الساكن وقد يكون المواضع  
غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي أو إنما يراعي ما هو أهم على نفسه وقومه ولا  
يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لأول الإسلام في المدن التي اختطوها  
بالعراق وأفريقية فإنهم لم يراعوا فيها إلا الأمم عندهم من مراعي الإبل وما يصلح  
لها من الشجر والماء المالح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعي  
السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقبروان والكوفة والبصرة وأمثالها  
ولهذا كانت أقرب إلى الخراب ما لم تراع فيها الأمور الطبيعية

ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين  
أمة من الأمم موقورة العدو تكون صريحاً للمدينة متى طرقتا طارق من العدو  
والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن يساحتها عمران  
للقبائل أهل العصابات ولا موضعاً متوعراً من الجبل كانت في غيرة للبيات وسهل طروقها  
في الأساطيل البحرية على عدوها وتعينها لها لما يأمن من وجود الصريح لها وأن  
أحضرت المتوردين للذعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه  
كالإسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة وسلا ومتى كانت القبائل  
والعصابات موطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريح والنير وكانت متوعرة المسالك على  
من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وتلى أسنمتها كان لها بذلك منعة من العدو  
ويشؤون من طروقها لما يكابدونه من وعرها وما يتوقعونه من إجابته صريحها كما في  
سبنة وبجاية وبلد القل على صغرها فأنهم ذلك واعتبره في اختصاص الإسكندرية  
باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها بركة وأفريقية وإنما اعتبر  
في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو  
للإسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعاً اختصها بشريفه وجعلها مواطن

لعبادته بضاعف فيها الثواب وتتمو بها الأجور وأخبرنا بذلك على السن رؤسائه وأنبيائه  
 لطفًا بعبادته وتسهيلاً للطرق السعادة لهم. وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع  
 الأرض حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت  
 الحرام الذي بمكة فهو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن  
 يؤذن في الناس بالهجرة إليه فبناه هو وأبنته إسماعيل كما نصه القرآن وقام بما أمره الله  
 فيه وسكن إسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم إلى أن قبضهما الله ودفنا  
 بالحجر منه. وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرها الله ببناء  
 مسجده وتصببها كلبه ودفن كثير من الأنبياء من ولد إسحاق عليه السلام حوايه .  
 والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة إليها  
 وإقامة دين الإسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملجده الشريف في تربتها  
 فهذه المساجد الثلاثة فرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار  
 من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشر إلى شيء من  
 الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها إلى أن كمل ظهورها  
 في العالم فأما مكة فأوليتها فيما يقال أن آدم صلوات الله عليه بناها فباله البيت  
 المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وإنما اقتبسوه  
 من تحملي الآية في قوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ثم بعث الله  
 إبراهيم وكان من شأنه وشان زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف وأوحى  
 الله إليه أن يترك أبنته إسماعيل وأمه هاجر بالهجرة فوضعهما في مكان البيت وسار  
 عنهما وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم  
 بها حتى احتملوا وسكوا إليهما ونزلوا معهما حواشي زمزم كما عرف في موضعه  
 فأخذ إسماعيل بموضع الكعبة بيتا يأوي إليه وأدار عليه سياجا من الردم وجعله  
 زربا لغنمه وجاء إبراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام أمر في آخرها  
 ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بأبنته إسماعيل ودعا الناس إلى  
 حجه وبقي إسماعيل ساكنا به ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت  
 مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهزعون

إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَقْصَى مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ دَنَاءِ  
 أَوْ نَأَى فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَعْبُجُ الْبَيْتَ وَتُعْظِمُهُ وَأَنَّ تَبَعًا كَسَاهَا الْمَلَاءُ  
 وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مِفْتَاحًا وَنُقِلَ أَيْضًا أَنَّ الْفُرْسَ كَانَتْ تَحْجُهُ وَتُقَرِّبُ  
 إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَالِي الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمَزَمَ كَانَا مِنْ  
 قَرَابَتِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لِحُزْمِ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خَوْلَتِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 خَرَجَتْ خُرَاعَةٌ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ وَأَنْشَرُوا وَأَشْعَبُوا إِلَى  
 كِنَانَةَ ثُمَّ كِنَانَةَ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وِلَايَةُ خُرَاعَةَ فَعَلَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ فَصِيَّ بِنْتُ كِلَابِ بِنْتُ الْبَيْتِ وَسَقَفَهُ بِخَشَبِ  
 الدُّمْرِ وَجَرِيدِ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَفْتُ بِشَوْبِي رَاهِبَ الدُّورِ وَالَّتِي بَنَاهَا فَصِيٌّ وَالْمِضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ

ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَهَدَّمَ وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النَّفَقَةَ لِذَلِكَ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ وَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَةٌ بِسَاحِلِ جَدَّةَ فَأَشْتَرُوا خَشَبَهَا لِلسَّقْفِ وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ  
 الْقَامَةِ فَعَمَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ فَعَمَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لِئَلَّا  
 تَدْخُلَهُ السُّيُولُ وَقَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ عَنْ إِنْتِمَائِهِ فَقَصَّروا عَنْ قَوَاعِيدِهِ وَتَرَكَوا مِنْهُ سِتًّا  
 أَذْرُعٍ وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ الْحَجْرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
 الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحَصَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَرَحَفَتْ إِلَيْهِ جِيُوشُ بَزِيدِ  
 بْنِ مَعَاوِيَةَ مَعَ الْحَصِينِ بْنِ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ فَأَصَابَهُ  
 حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
 أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَأُحْتِجَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَتْ عَنْ أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَمَعَ  
 الْوُجُوهَ وَالْأَكْبَارَ حَتَّى عَابَنُوهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالتَّحْرِي فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
 فَأَادَرَ عَلَى الْأَسَاسِ الْحُسْبَ وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صَنْعَاءَ  
 فِي الْفِضَّةِ وَالْكُنْسِ فَحَمَلَهَا وَسَالَ عَنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ الْأُولَى لِيَجْمَعَ مِنْهَا مَا أحتاج  
 إِلَيْهِ ثُمَّ فَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ

ذَرَاعًا وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لِاصْصِقَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ فَرَشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالرَّخَامِ وَصَاغَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَفَّحَ الْأَبْوَابَ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحُجَّاجُ لِحِصَارِهِ أَيَّامًا  
 عَبْدُ الْمَلِكِ وَرَمَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمَنْجَنِيقاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ  
 بَابْنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ يَهْدِمُهُ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ قُرَيْشٍ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ وَيُقَالُ إِنَّهُ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ صِحَّةَ رِوَايَةِ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَرِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُ أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبِنَائِهِ  
 مَا تَحْمَلُ فَهَدَمَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا سِتًّا أَذْرُعًا وَشَبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أَسَاسِ قُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْقُرَيْشِيَّ وَمَا تَحْتَ عَتَبَةِ يَابِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يَغْيِرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بِنَاءُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبِنَاءُ الْحُجَّاجِ فِي الْخَائِطِ صَلَّةُ  
 ظَاهِرَةِ الْعِيَانِ لِحَمَّةِ ظَاهِرَةِ بَيْنِ الْبِنَاءَيْنِ وَالْبِنَاءُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الْبِنَاءِ بِمِقْدَارِ اصْبِغْ شِبْهُ  
 الصَّدْعِ وَقَدْ لُحِمَ وَيَعْرِضُ هُنَا اشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُنَافَاتِهِ لَمَّا يَقُولُهُ النُّقْبَاءُ فِي أَمْرِ الطُّوْافِ  
 وَيُحْتَدُّ الطُّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرَوَانَ الدَّائِرِ عَلَى أَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا فَيَقَعُ  
 طَوَافُهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنْ الْجُدُرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ الشَّاذِرَوَانَ وَكَذَا قَالُوا فِي نَقِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بَدَّ مِنْ رُجُوعِ الطُّائِفِ مِنَ  
 النَّقِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ فَائِمًا لئَلَّا يَقَعَ بَعْضُ طَوَافِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدُرَانُ  
 كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا مَخْلَصَ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْحُجَّاجُ هَدَمَ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ تَقَلَّ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِالنِّحَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَاءَيْنِ وَتَمَيِّزُ أَحَدِ  
 الشَّقَيْنِ مِنَ الْأَعْلَى عَلَى الْآخَرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ جِبَانِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطَّ لِيَدْخُلَهُ فَهِيَ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا يَحْتَمِلُ مِنَ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فِضَاءً لِلطُّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدُرٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَأَشْتَرَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَاعَةِ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ بِعُمَدِ

الرَّخَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنْصُورُ وَابْنُ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَّتَ الزِّيَادَةُ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَتَشْرِيفُ اللَّهِ إِيَّاهَا الْبَيْتَ وَعَيْنَانَهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْبَطًا لِلْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شَرَائِعَ الْحَجِّ وَمَنَاسِكَهٖ وَأَوْجَبَ لِحَرَمِهِ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَالْحَقِّ مَا لَمْ يُوجِبْهُ لِغَيْرِهِ فَمَنَعَ كُلَّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ النَّحِيظِ إِلَّا إِزَارًا يَسْتُرُهُ وَحَمَى الْعَائِدِيهِ بِالرَّانِعِ فِي مَسَارِحِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْآفَاتِ وَلَا يُرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا يُصَادُ لَهُ وَحَشٌّ وَلَا يُحْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ . وَحَدُّ الْحَرَمِ الَّذِي يُتَخَصَّمُ بِهِدِهِ الْحَرَمِيَّةُ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةٌ أَمْيَالٍ إِلَى التَّنْعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةٌ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطِعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةٌ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ نَمْرَةٍ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةٌ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطِعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبْرُهَا وَنُسَمَى أُمَّ الْقُرَى وَنُسَمَى الْكَعْبَةَ لِعُلُوقِهَا مِنْ أَسْمِ الْكَعْبِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَعْمَشِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاءَ بَكَّةَ أَبَدَلُوهَا مِيمًا كَمَا قَالُوا لِأَزْبٍ وَلَا زِمٍ لِقُرْبِ الْعَجْرَجِينَ وَقَالَ النَّخَعِيُّ يَا أَبَاءَ وَبِالْمِيمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الزُّهْرِيُّ يَا أَبَاءَ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ وَبِالْمِيمِ لِلْحَرَمِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَّمُ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعْظَمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْعَثُ إِلَيْهَا بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مِثْلَ كِسْرَى وَغَيْرِهِ وَفِصَّةَ الْأَسْيَافِ وَغَرَآلِ الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَلَّهُمَا عِنْدَ الْمُطَلِّبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمْزَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَتَحَ مَكَّةَ فِي الْجَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أَوْقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ يَهْدُونَ لِلْبَيْتِ فِيهَا أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً مَرَّتَيْنِ بِمِائَتِي فَنَطَّارٍ وَزَنَا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَنْعَنْتَ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرَبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَعْزَمْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْرَقِيُّ وَفِي الْبَخَارِ - يُسْنِدُهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ وَقَالَ جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا الَّذَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَالُ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَفْطَسِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمَدٌ إِلَى

الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا يستفح به  
 نحن أحق به نستعين به على حربنا وأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة  
 من يومئذ (واما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصائبة  
 موضع الزهرة وكانوا يقربون إليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التي هناك  
 ثم دثر ذلك الهيكل وأخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم . وذلك أن  
 موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما  
 وعد الله أباهم إسرائيل وأباه إسحق من قبله وأقاموا بأرض التيه أمره الله بأخذ  
 قبة من خشب السنت عير بالوحي مقدارها وصفتها وهياكلها وتمائليها وأن يكون  
 فيها التابوت ومائدة بصحافها ومئارة يقناديلها وأن يصنع مذبحا للقربان وصف ذلك  
 كله في التوراة أكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت  
 الذي فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكلمت  
 ووضع المذبح عندها . وعهد الله إلى موسى بأن يكون هارون صاحب القران ونصبوا  
 تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون إليها ويتقربون في المذبح أمامها ويتعرضون  
 للوحي عندها . ولما ملكوا الشام بقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة  
 بيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له  
 ذلك وعهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة  
 موسى عليه السلام وأخذ عمده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه  
 وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتمائليها وأوعيته ومئارته ومفتاحه من الذهب وجعل  
 في ظهره قبرا ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من  
 صهيون بلد أبيه داود تعلمه الأسباط والكهنوتية حتى وضعه في القبر ووضعت القبة  
 والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعله من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم  
 خربه بفتح نصر بعد ثمانمائة سنة من بنيه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر  
 الأحجار ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني إسرائيل إهده بإعانه يهمن  
 ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من سبي بفتح نصر وحدث لهم في  
 بنيانه حدودا دون بناء سليمان بن داود عليها السلام فام يتجاوزوها ثم تداوتهم

مُلُوكِ بُونَانَ وَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَاسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ ثُمَّ لَبِي  
 حَسَمَنَائِي مِنْ كَهَنَتِهِمْ ثُمَّ أَصْهَرِيْمَ حَيْرُودُسَ وَلَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَبَنَى حَيْرُودُسُ بَيْتَ الْقُدْسِ  
 عَلَى بِنَاءِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَأْتَقُ فِيهِ حَتَّى أَكْمَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ فَلَمَّا جَاءَ طَيْطُسُ  
 مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَعَظِيمُهُ وَمَلِكُ أَمْرُهُمْ خَرَبَ بَيْتَ الْقُدْسِ وَمَسْجِدَهَا وَأَمَرَ أَنْ يُزْرَعَ  
 مَكَانَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرُّومُ بِيَدِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانُوا بِتَعْظِيمِهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ حَالَ  
 مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَخْذِ بِبَيْتِ النَّصَارَى نَارَةً وَتَرَكَهُ أُخْرَى إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ  
 وَتَنَصَّرَتْ أُمُّ هِيلَانَةَ وَأَزْتَحَلَّتْ إِلَى الْقُدْسِ فِي طَلَبِ الْخَشْبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ  
 بِزَعْمِهِمْ فَأَخْبَرَهَا الْقَسَاوِسَةُ بِأَنَّهُ زَمِيَ بِخَشْبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَنِّي عَلَيْهَا الْقَمَامَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ  
 فَأَسْفَرَجَتِ الْخَشْبَةُ وَبَدَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَمَامَاتِ كَيْسَةَ الْقَمَامَةِ كَانَتْهَا عَلَى قَبْرِهِ بِزَعْمِهِمْ  
 وَهَرَبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ الزَّبَلِ وَالْقَمَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى  
 غَطَّاهَا وَخَفِيَ مَكَانُهَا جِزَاءً بِزَعْمِهَا لِمَا فَعَلُوهُ بِقَبْرِ الْمَسِيحِ ثُمَّ بَنَوْا بِإِزَاءِ الْقَمَامَةِ بَيْتَ لَحْمٍ  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ  
 وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْقُدْسِ وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَأَرَى مَكَانَهَا وَقَدْ عَلَاهَا الزَّبَلُ  
 وَالتُّرَابُ فَكَشَفَ عَنْهَا وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبِدَاوَةِ وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهِ مَا أذنَ اللَّهُ  
 مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَا سَبَقَ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ فِي فَضْلِهِ حَسْبَمَا ثَبَتُ ثُمَّ أَحْفَلَ الْوَلِيدُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سُنَنِ مَسَاجِدِ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْفَالِ  
 كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَفِي  
 مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ بِلَاطِ الْوَلِيدِ وَالزَّمَّ مَلِكِ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ السَّلْمَةَ  
 وَالْمَالَ لِبِنَاءِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَأَنْ يُنْمِقُوها بِالْفَسْفَسَاءِ فَطَاعَ لِذَلِكَ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى  
 مَا اقْتَرَحَهُ ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَعْوَامَ الْخَمْسِيَّةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي آخِرِهَا  
 وَكَانَتْ فِي مَلَكََةِ الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءَ الْقَاهِرِ مِنَ الشَّيْعَةِ وَأَخْتَلَّ أَمْرُهُمْ زَحَفَ الْفَرَنْجِيُّ  
 إِلَى بَيْتِ الْقُدْسِ فَمَلِكُوهُ وَمَلِكُوهُ مَعَهُ عَامَةً تُقَرُّ الدَّامُ وَبَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ  
 مَذْبَحَ كَيْسَةَ كَانُوا يُعْظِمُونَهَا وَيَفْتَخِرُونَ بِبِنَائِهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ  
 أَيُّوبَ الْكُرْدِيِّ بِمَلِكِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَبِحَا أَثَرِ الْعَبِيدِيِّينَ وَبَدَعَهُمْ زَحَفَ إِلَى الشَّامِ  
 وَجَاهَدَ مَنْ كَانَ بِهِ مِنَ الْفَرَنْجِيِّ حَتَّى عَظِمَهُمْ عَلَى بَيْتِ الْقُدْسِ وَعَلَى مَا كَانُوا مَلِكُوهُ



مِنْ تُغُورِ الشَّامِ وَذَلِكَ لِنَحْوِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ النَّجْرَةِ وَهَدَمَ تِلْكَ الْكَيْسَةَ  
 وَأَظْهَرَ الصَّخْرَةَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِيَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَعْزِضُ  
 لَكَ إِلَّا شَكَاكُ الْمَعْرُوفِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ  
 أَوَّلِ بَيْتٍ وَضِعَ فَقَالَ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قِيلَ نَكَمَ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ  
 سَنَةً فَإِنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ بِنَاءِ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمِقْدَارِ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَسَايِمَانَ  
 لِأَنَّ سَايِمَانَ بَانِيَهُ وَهُوَ يُنْفِئُ تِلْكَ الْآلِفَ بِكَثِيرٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ  
 لَيْسَ الْبِنَاءُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَوَّلُ بَيْتٍ عَيْنَ الْعِبَادَةِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عَيْنَ  
 لِلْعِبَادَةِ قَبْلَ بِنَاءِ سَايِمَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَقَدْ نُقِلَ أَنَّ الصَّابِئَةَ بَنَوُا عَلَى الصَّخْرَةِ مِثْلَ  
 الزُّهْرَةَ فَاعْتَلَّ ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَضَعُ الْأَصْنَامَ وَالنَّمَاثِيلَ  
 حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَفِي جَوْفِهَا وَالصَّابِئَةُ الَّذِينَ بَنَوُا هَيْكَلَ الزُّهْرَةَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَبْعُدُ مُدَّةُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بِنَاءٌ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سُلَيْمَانُ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَهَمُّهُ فِيهِ حُلُّ هَذَا الْإِشْكَالِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَهِيَ الْمَسْمُومَةُ بِثَرِبَ  
 فَهِيَ مِنْ بِنَاءِ ثَرِبَ بْنِ يَهُوَيْهِلَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيمَا  
 مَلَكَوهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ثُمَّ جَاوَزَهُمْ بَنُو قَيْلَةَ مِنْ غَسَّانَ وَغَابُوهُمْ عَلَيْهِمَا وَعَلَى حُصُونِهِمَا .  
 ثُمَّ أُرِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا لِمَا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فَوَاجَرَ إِلَيْهَا  
 وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ وَنَزَلَ بِهَا وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَيُوتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ  
 قَدْ أَعَدَّهُ لِذَلِكَ وَشَرَّفَهُ فِي سَابِقِ أَرْزَلِهِ وَأَوَاهِ أِبْنَاءِ قَيْلَةَ وَنَصَرُوهُ فَلِذَلِكَ سُمُّوا الْأَنْصَارَ  
 وَنَمَتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَى قَوْمِهِ وَفَتَحَ  
 مَكَّةَ وَمَلَكَهَا وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ فَأَهْمَهُمْ ذَلِكَ فَخَاطَبَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَوِّلٍ حَتَّى إِذَا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفُ بِهَا وَجَاءَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ بِالْإِخْفَاءِ  
 بِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْمَلِكِ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا ثَبَتَ  
 عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ عَنْ رَفِيعِ بْنِ مُخَدَّجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ نَقَلَ ذَلِكَ أَبُو الْوَهَّابِ فِي الْعَهْوَةِ إِلَى أَحَادِيثِ أُخْرَى

تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَتْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ . وَأَصْبَحَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَانِيَةً  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَجَمَعَ إِلَيْهَا الْأُمَمُ بِأَفْئِدَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَأَنْظَرُ كَيْفَ تَدَرَّجَتْ  
 الْفَضِيلَةُ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الْمُعْظَمَةِ بِالسَّبْقِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ لَهَا وَتَفَهَّمْ سِرَّ اللَّهِ فِي الْكُونِ  
 وَتَدْرِجِيهِ عَلَى تَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا . وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ  
 فَلَا تَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا يُقَالُ مِنْ شَأْنِ مَسْجِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَرَنْدِيبَ مِنْ  
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ لِكَفَنِهِ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ يُعْرَفُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ فِي الْقَدِيمِ مَسَاجِدُ  
 يُعْظَمُونَهَا عَلَى جِهَةِ الذِّيَانَةِ بِرَعْمِهِمْ مِنْهَا بِيُوتِ النَّارِ لِلْفَرَسِ وَهَبَا كُلُّ يُونَانَ وَبِيُوتِ الْعَرَبِ  
 بِالْحِجَازِ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَدْمِهَا فِي غَزْوَاتِهِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ مِنْهَا  
 بِيُوتًا لَسْنَا مِنْ ذِكْرِهَا فِي شَيْءٍ إِذْ هِيَ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ وَلَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ دِينِي وَلَا يُلْتَفَتُ  
 إِلَيْهَا وَلَا إِلَى الْخَبَرِ عَنْهَا وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي التَّوَارِيخِ فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْأَخْبَارِ  
 فَعَلَيْهِ بِهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

### الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْطَارَ كَانَتْ لِلْبَزِيرِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَكَانَ عُمَرَانُهَا كُلُّهُ بَدْوِيًّا وَلَمْ تَسْتَمِرَّ فِيهِمُ الْحِضَارَةُ حَتَّى تُسْتَكْمَلَ أَحْوَالُهَا وَالذُّوْلُ  
 الَّتِي مَلَكَتْهُمْ مِنَ الْإِفْرَنْجَةِ وَالْعَرَبِ لَمْ يَطَّلُ أَمْدُ مَلَكَتْهُمْ فِيهِمْ حَتَّى تَرْتَمِخَ الْحِضَارَةُ  
 مِنْهَا فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْبَدَاوَةِ وَشُؤُونُهَا فَكَانُوا إِلَيْهَا أَقْرَبَ فَلَمْ تَكُنْ مَبَايِسِهِمْ وَأَيْضًا  
 فَالصَّنَائِعُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَزِيرِ لِأَنَّهَا أَعْرَقُ فِي الْبَدْوِ وَالصَّنَائِعُ مِنْ تَوَابِعِ الْحِضَارَةِ وَإِنَّمَا  
 تَبِمُ الْمَبَايِسُ بِهَا فَلَا بَدَّ مِنَ الْخَلْقِ فِي تَعْلُمِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْبَزِيرِ انْتِحَالُهَا لَمْ يَكُنْ  
 لَهُمْ تَشَوُّقٌ إِلَى الْمَبَايِسِ فَضَلَّ عَنْ الْمَدُنِ وَأَيْضًا فَهْمُ أَهْلِ عَصِيَّاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا يَخْلَوُ  
 عَنْ ذَلِكَ جَمْعٌ مِنْهُمْ وَالْأَنْسَابُ وَالْعَصِيَّةُ أَجْتَمِعُ إِلَى الْبَدْوِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدُنِ  
 اللَّحْمَةُ وَالسُّكُونُ وَيَصِيرُ سَاكِنًا عِيَالًا عَلَى حَامِيَّتِهَا فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ لِذَلِكَ يَسْتَكُونُونَ  
 عَنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْإِقَامَةِ بِهَا فَلَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّرَفُ وَالغِنَى وَقَلِيلٌ مَا هُوَ  
 فِي النَّاسِ فَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرَانُ أَفْرِيْقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدْوِيًّا أَهْلَ خِيَامِهِمْ  
 وَظَوَاعِنَ وَقِبَاطِينَ وَكَانَ فِي الْجِبَالِ وَكَانَ عُمَرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى

وَأَمَّارًا وَرَسَائِقَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَآمَتَالِهَا لِأَنَّ  
 الْعَجَمَ لَبَسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَّبِعُونَ فِي مِرَاحَتِهَا وَالنَّجَاحِهَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
 وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ  
 عَصِيئَةً كَذَلِكَ وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالنَّجَاحِ عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ  
 بِأَبْسَالَةٍ وَيُصِيرُهُ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فَأَفْهَمَهُ وَقَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرْبَرِ بَعِيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضًا أُعْرِقُ فِي الْبَدْوِ  
 وَأَبْعَدُ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَبْضَافَكَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْعَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَلَمَّا تَمَلَّكُوها لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمْدُ حَتَّى تَسْتَوْفِي رُسُومَ الْخِضَارَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا بِمَا  
 وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيْضًا فَكَانَ الَّذِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعًا مِنَ الْعُمَالَةِ أَوْ الْبُنْيَانِ  
 وَالْإِسْرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ  
 بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَفْعَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ  
 أَحَدٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَلَا تُطَالُوا فِي الْبُنْيَانِ وَالزُّمُو السَّنَةَ تَلْزَمُكُمْ الدَّوْلَةُ وَعَهْدٌ إِلَى  
 أَنْفِدِ وَتَقْدِمَ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَرْفَعُوا بُنْيَانًا فَوْقَ الْقَدَرِ قَالُوا وَمَا الْقَدَرُ قَالَ لَا يَقْرَبُكُمْ  
 مِنَ السَّرْفِ وَلَا يُغْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمَّا بَعْدَ الْعَهْدِ بِالَّذِينَ وَالتَّحْرُجُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
 الْمَقَاصِدِ وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَالذَّرْفِ وَاسْتَعْدَمَ الْعَرَبُ أُمَّةَ الْفَرَسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ  
 الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَتْهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالتَّرْفِ فَجِيئَتْ شِيدُوا الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعَ  
 وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيبًا بِانْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمْدُ لِكثْرَةِ الْبِنَاءِ وَأَخْطِطَاطِ  
 الْمَدُنِ وَالْأَمَّارِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ فَالْفَرَسُ طَالَتْ مَدَنُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا  
 مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقَبْطُ وَالنَّبَطُ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادَ وَثُمُودَ وَالْعِمَالِقَةَ  
 وَالتَّبَاعَةَ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كَالْهَيْمِ أَكْثَرُ  
 عَدَدًا وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ أَثَرًا وَاسْتَبْصَرَ فِي هَذَا تَجِدُهُ كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ  
 وَمَنْ عَلَيْهَا

## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْبِدَاوَةِ وَالْبَعْدُ عَنِ الصَّنَائِعِ كَمَا قَدَّمْنَا فَلَا تَكُونُ الْمَبَانِي  
وَبِئْسَ فِي تَشْيِيدِهَا وَلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَمْسُ بِهِ وَذَلِكَ قَلَّةٌ مَرَاعَاتِهِمْ لِحُسْنِ  
الْإِخْتِيَارِ فِي اخْتِطَاطِ الْمَدِينِ كَمَا قَلْنَا فِي الْمَكَانِ وَطَيْبِ الْهَوَاءِ وَالْمِيَاهِ وَالْمَزَارِعِ  
وَالْمَرَاعِي فَإِنَّهُ بِالْتَفَاوُتِ فِي هَذَا تَتَفَاوَتُ جُودَةُ الْمَضِرِّ وَرَدَاءَتُهُ مِنْ حَيْثُ الْعُمَرَانُ  
الطَّبِيعِيُّ وَالْعَرَبُ يَمْعَزِلُ عَنْ هَذَا وَإِنَّمَا يُرَاعُونَ مَرَاعِي إِبْلِهِمْ خَاصَّةً لَا يُبَالُونَ بِالْمَاءِ  
طَلَبَ أَوْ حَبْتٌ وَلَا قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ وَلَا يَسْأَلُونَ عَنْ زَكَاةِ الْمَزَارِعِ وَالْمَنَابِتِ وَالْأَهْوِيَةِ  
لَا تَنْتَهِلُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَقْلِبُهُمُ الْحُبُوبَ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ وَأَمَّا الرِّيحُ فَالْفَقْرُ مُخْتَلِفٌ لِلْمَهَابِ  
كُلِّهَا وَالظَّنُّ كَثِيرٌ لَهُمْ بِطَيْبِهَا لِأَنَّ الرِّيحَ إِنَّمَا تَخْبُثُ مَعَ الْقَرَارِ وَالسُّكْنَى وَكَثْرَةَ  
الْفَضَلَاتِ وَانظُرْ لَمَّا اخْتَطَطُوا الْكُرُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالْقَيْرَوَانَ كَيْفَ لَمْ يُرَاعُوا فِي اخْتِطَاطِهَا  
إِلَّا مَرَاعِي إِبْلِهِمْ وَمَا يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ وَمَسَالِكِ الظَّنِّ فَكَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْوَضْعِ  
الطَّبِيعِيِّ لِلْمَدِينِ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا مَادَةٌ تَمُدُّ عُمَرَانَهَا مِنْ بَعْدِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا أَنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
الْعُمَرَانِ فَقَدْ كَانَتْ مَوَاطِنُهَا غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ لِلْقَرَارِ وَلَمْ تَكُنْ فِي وَسْطِ الْأُمَمِ فَيُعَمَّرُهَا النَّاسُ  
قَلِيلًا وَهَلَّةٌ مِنَ الْإِنْجِلَالِ أَمْرٌ مِمَّا وَذَهَابَ عَصَبِيَّتِهِمْ الَّتِي كَانَتْ مِسَاجًا لَهَا أَتَى عَلَيْهَا الْخُرَابُ  
وَالْإِنْجِلَالُ كَلَنْ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَنْ يَحْكُمُ لِمَنْ يَحْكُمُ

## الفصل العاشر

في مبادي الخراب في الامصار

إِعْلَمُ أَنَّ الْأَمْصَارَ إِذَا اخْتَطَّتْ أَوْ لَا تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَسَاكِينِ وَقَلِيلَةَ آلَاتِ الْبِنَاءِ  
مِنَ الْحَجَرِ وَالْجَبْرِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُعَالَى عَلَى الْحَيْطَانِ عِنْدَ الثَّانِقِ كَالرُّجْحِ وَالرَّخَامِ وَالرَّبْرِجِ  
وَالرُّجَاجِ وَالْفُسَيْفَسَاءِ وَالصَّدْفِ فَيَكُونُ بِنَاؤُهَا يَوْمَئِذٍ بَدْوِيًّا وَالْآلَاتُ فَاسِدَةٌ فَإِذَا عَظُمَ  
عُمَرَانُ الْمَدِينَةِ وَكَثُرَ سَاكِنُهَا كَثُرَتِ الْآلَاتُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ حِينَئِذٍ وَكَثُرَتِ الصَّنَائِعُ  
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا مِنْ ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بِشَأْنِهَا فَإِذَا تَرَاجَعَ عُمَرَانُهَا وَخَفَّتْ سَاكِنُهَا  
قَلَّتِ الصَّنَائِعُ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَفُقِدَتِ الْإِجَادَةُ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِحْكَامُ وَالْمَعَالَاةُ عَلَيْهِ بِالتَّنْمِيقِ  
ثُمَّ انْقَلَبَتِ الْأَعْمَالُ لِعَدَمِ السَّاكِنِ فَيَقِلُّ جَلْبُ الْآلَاتِ مِنَ الْحَجَرِ وَالرَّخَامِ وَغَيْرِهِمَا

فَتَفْقَدُ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشْيِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَنْقَلِبُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى مَصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِقَلَّةِ الْعُمَرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوْلَاؤُهُمْ لَا تَزَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يَفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جُمْلَةً فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عَوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيحِ بِالْكَلْبَةِ فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدَرِ وَتَظْهَرُ عَلَيْهَا سِيمَاءُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْخُرَابِ إِنْ قُدِرَ لَهَا بِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمُرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَشْتَدُّ ضَرُورَةً الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أضعافًا فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخَطِئَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصَّتِهِ مِنْهُ وَإِذَا اتَّخَذَ لِتَحْصِيلِ السَّنَةِ أَوْ الصَّنْعَةِ مِنْ حَدَادٍ وَبِجَارٍ لِلآلَاتِ وَقَائِمٍ عَلَى الْبَحْرِ وَإِنَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السُّبُلِ وَسَائِرِ مَوْثِقِ الْقُلُوعِ وَتَوَزُّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأضعافِهِمْ مَرَّتَ فَيُتَعَمَلُ بِهَا بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مَضْرٍ إِذَا وُزِعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ أَكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقْلِ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورَاتِ فَتُضْرَفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَقِيمِهِ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حَظٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ أَنَّ الْمَكْسَبَ إِنَّمَا هِيَ قِيمَةُ الْأَعْمَالِ فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَعْمَالُ كَثُرَتْ قِيمَتُهَا بَيْنَهُمْ فَكَثُرَتْ مَكْسَبُهُمْ ضَرُورَةً وَدَعَتْهُمْ أَحْوَالُ الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرَفِ وَحَاجَاتِهِ مِنَ النَّائِقِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْآيَةِ وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخُدَمِ وَالْمَرَآكِبِ وَهَدْيِهِ كُلِّهَا أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِقِيمَتِهَا وَيَخْتَارُ الْحَمْرَةَ فِي صِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا فَتَنْفَقُ أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَيَكْثُرُ دَخْلُ الْمِصْرِ

وَخَرَجَهُ وَيَحْصُلُ الْبَسَارُ بِمَنْحَلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمُرَانُ زَادَتْ الْأَعْمَالُ  
 ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرْفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتْ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَأَسْتَنْبَطَتِ الصَّنَائِعُ  
 لِتَحْمِيلِهَا فَزَادَتْ فِيهَا وَتَضَاعَفَتِ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَتَفَقَّتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
 بِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الرَّائِدَةَ كُلَّهَا  
 تَخْتَصُّ بِالتَّرْفِ وَالْفَنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمِصْرُ إِذَا  
 فَضَلَ بِعُمُرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضَلُهُ بِزِيَادَةِ كَسْبٍ وَرَفِهِ بِعَوَائِدٍ مِنَ التَّرْفِ لَا تُوجَدُ فِي الْآخِرِ  
 فَمَا كَانَ عُمُرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرْفِ أْبْلَغَ مِنْ حَالِ  
 الْمِصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَنِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالنَّاجِرِ مَعَ  
 النَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوقِيِّ مَعَ السُّوقِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
 الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مَثَلًا بِحَالِ فَاسٍ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِهِ مِثْلَ بَجَايَةَ  
 وَتَلْمَسَانَ وَسَبْتَةَ نَجْدَ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
 بِفَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلْمَسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِ أَهْلِهِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ تَلْمَسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
 تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِّ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطُّ وَيُقَصِّرُونَ عَنْهَا وَمَا  
 ذَلِكَ إِلَّا لِنِسَاوَةِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكَانَتْهَا كُلُّهَا أَسْوَاقَ الْأَعْمَالِ وَالخَرْجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
 نِسْبَتِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسٍ دَخَلَهُ كِفَاةُ خَرَجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلْمَسَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالخَرْجُ  
 أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِفَاسٍ أَكْثَرُ لِنِفَاقِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
 التَّرْفُ فَالْأَحْوَالُ أَوْضَحُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفُسْطَاطِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةَ حَتَّى  
 تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُؤْتِي أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعَدُّ فِي الْأَمْصَارِ إِذْ  
 هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُرَى وَالْمَدَرِّ فَلِذَلِكَ نَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضِعْفَاءَ الْأَحْوَالِ  
 مُتَقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا يَفْضُلُ مَا يَتَأْتَلُونَهُ  
 كَسْبًا فَلَا تَنْمُو مَكَاسِبُهُمْ وَنَمَّ لِذَلِكَ مَسَاكِينُ مَحَاوِجٍ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
 ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السُّؤَالَ بِفَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السُّؤَالِ بِتَلْمَسَانَ  
 أَوْ وَهْرَانَ وَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسٍ السُّؤَالَ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ أَثْمَانَ ضَعَائِلِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ  
 يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرْفِ وَأَقْتِرَاحِ الْمَاكِلِ مِثْلَ سُؤَالِ الْعَمْرِ وَالسَّمَنِ

وَعِلَاجِ الطَّبَخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونِ كَالْفَرْبَالِ وَالْأَلْيَةِ وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ مِثْلَ هَذَا  
 بِتَلْمَسَانَ أَوْ وَهْرَانَ لَأَسْتَنْصَرَ وَعَنَّفَ وَزَجَرَ وَبَيَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ  
 وَمِصْرَ مِنَ التَّرَفِ وَالغِنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
 بِالْمَغْرِبِ يَنْزِعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لِذَلِكَ وَإِنَّا بَيَّغْنُهُمْ مِنْ أَنَّ شَأْنَ الرِّفْقِ بِمِصْرَ  
 أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لِيُبَادِرَ إِيثَارَ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
 عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالٍ مُخْتَزَنَةٍ لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِيثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرُ مِنْ  
 عُمَرَ بْنِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَعَظُمَتْ لِدَيْكَ أَحْوَالُهُمْ. وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ  
 فَمُتَّكَفِيٌّ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الْخُرْجُ وَبِالْعَكْسِ وَمَتَى عَظُمَ  
 الدَّخْلُ وَالْخُرْجُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ السَّاكِنِ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلَّ شَيْءٍ بَيَّغْنُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
 فَلَا تُنْكِرُهُ وَأَعْتَبْرُهُ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمُكَاسِبَةِ الَّتِي  
 يَسْهَلُ بِسَبَبِهَا الْبَدَلُ وَالْإِيثَارُ عَلَى مُبْتَغِيهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ  
 الْوَاحِدَةِ وَكَيْفَ تَخْتَابُ أَحْوَالِيَا فِي هُجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا فَإِنَّ بُيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالرَّوَدَةِ  
 وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيْبَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَقْنِشَتِهَا بِبَثْرِ الْحُبُوبِ وَسَوَاقِطِ الْفَتَاتِ فَيَزِدُّ حِمَّ  
 عَلَيْهَا غَوَاشِيَا النَّعْلِ وَالخَشَاشِ وَيَلْحَقُ فَوْقَهَا عَصَابُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانًا وَتَمْتَلِي شِبَعًا  
 وَرِيًّا وَيُوتُ أَهْلُ الْخِصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءُ الْكَاسِدَةُ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
 يُحَلِّقُ بِجَوِّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَايَا بُيُوتِهِمْ فَاِرَةٌ وَلَا هِرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ  
 تَسْفُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ م وَتَغْشَى مَنَازِلَ الْكِرْمَاءِ

فَتَأْمَلُ مِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَأَعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْأَنْاسِي بِغَاشِيَةِ الْعُجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَفَتَاتِ  
 الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَسُهُولَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْدُلُهَا لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
 لَوْجُودِ امْتَالِهَا لَدَيْهِمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ اتَّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثْرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرَانِ تَابِعٌ لِكَثْرَتِهِ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل الثاني عشر

في اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات

مِنَ الْخِنْطَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَلْبَافِلَاءَ وَالْبَصَلِ وَالثُّومِ وَأَشْبَاهِهِ وَمِنْهَا الْحَاجِي وَالْكَمَالِي  
 مِثْلُ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَائِكِبِ وَسَائِرِ الْمَصَانِعِ وَالْمَبَانِي فَإِذَا  
 اسْتَجَرَّ الْمِضْرُ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رَخِصَتْ أَسْعَارُ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَغَلَّتْ  
 أَسْعَارُ الْكَمَالِي مِنَ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِضْرِ وَضَعُفَ  
 عُمُرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ فِرْوَورَاتِ الْقُوتِ فَتَتَوَفَّرُ  
 الدَّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَهْمِلُ قُوتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوتَ مَنْزِلِهِ لِشَهْرِ وَأَوْ سَنَتِهِ  
 قِيمَةً اتِّخَاذِهَا أَهْلَ الْمِضْرِ أَجْمَعٍ أَوْ الْأَكْثَرِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْرِ أَوْ فِيهَا قُرْبَ مِنْهُ  
 لَا بَدَأَ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَنْخَذٍ لِقُوتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تُسَدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِضْرِ فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِضْرِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ  
 فَبَرَزَتْ أَسْعَارُهَا فِي الْغَالِبِ إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ آفَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 اخْتِكَارُ النَّاسِ إِيَّاهَا لِمَا يَتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ آفَاتِ لِبَدَلَتِ دُونَ تَمَنٍّ وَلَا عِوَضٍ لِكَثْرَتِهَا  
 بِكَثْرَةِ الْعُمُرَانِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْآدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمُرُ بِهَا  
 الْبَلَوَى وَلَا يَسْتَفِرَّقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِضْرِ أَجْمَعِينَ وَلَا الْكَثِيرِ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 الْمِضْرُ إِذَا كَانَ مُسْتَجِرًّا مَوْفُورًا الْعُمُرَانِ كَثِيرًا حَاجَاتِ التَّرْفِ تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنْهَا كُلُّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ الوجودُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ قُصُورًا بِالْعَاقِبَةِ وَيَكْثُرُ الْمُسْتَأْمُونَ لَهَا وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَزْدَحِمُ أَهْلُ الْأَعْرَاضِ  
 وَيَبْدُلُ أَهْلُ الرِّفَةِ وَالتَّرْفِ أُمْنَانَهَا بِإِسْرَافِ فِي الْعِلَاقِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْعِلَاقُ كَمَا تَرَاهُ . وَأَمَّا الصَّنَائِعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمُرَانِ  
 فَسَبَبُ الْعِلَاقِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرْفِ فِي الْمِضْرِ بِكَثْرَةِ  
 عُمُرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِرَازُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِحُدُومَتِهِمْ وَأَمْتِهَانِ أَنْفُسِهِمْ لِسُهُولَةِ الْعِمَاشِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَاتِهَا وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ الْمُتَرَفِّينَ وَكَثْرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى أَمْتِهَانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مِهْنِهِمْ فَيَبْدُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مِرَاحِمَةً وَمُنَافَسَةً فِي الْأَسَانِثَارِ بِهَا فَيَعْتَزُّ الْعَمَالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحِرْفِ وَتَغْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِضْرِ فِي ذَلِكَ . وَأَمَّا الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةُ وَالْقَلِيلَةُ  
 السَّاكِنِ فَأَقْوَاتُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقَلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِضْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوتِ



فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْمِلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَتَحَكَّرُونَ فِيَعْرُ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَقْلُو ثَمَنَهُ عَلَى مُسْتَاهِهِ وَأَمَّا مَرَاتِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةٌ بِقَلَّةِ السَّاكِنِ وَضَعْفِ الْأَقْوَالِ فَلَا تَنْفُقُ لَدَيْهِمْ سُوقَةٌ فَيُخْتَصُّ بِالرُّخْصِ فِي سِعْرِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةٌ مَا يَبْرُضُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَكُوسِ وَالْمَعَارِمِ لِلشَّاطِنِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابِ الْحَقْرِ وَالْحَيَاةِ فِي مَنَافِعِ وَصُولِهَا عَنِ الْبِيَعَاتِ لِمَا يَمْسُهُمْ وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأَسْعَارُ فِي الْأَمْصَارِ أَغْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذِ الْمَكُوسُ وَالْمَعَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَثُرَتْهَا فِي الْأَنْصَارِ لَا سَبَبًا فِي آخِرِ الدَّوَلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةٌ عِلَاجِهَا فِي الْخَارِجِ وَيُحَافِظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مِمَّا الْجَاهُ النَّصَارَى إِلَى سَيْفِ أَنْجَرٍ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعَّرَةِ الْخَطِيفَةِ الزَّرَاعَةِ النَّصِيدَةِ النَّبَاتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الرَّأْيِيَّةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ الْمَزَارِعِ وَالنُّدُنِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَفَلَحِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْعِلَاجُ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادِّ مِنَ الزَّبَلِ وَغَيْرِهِ لَهَا مَوْتَةٌ وَصَارَتْ فِي فَلَاحِهِمْ نَفَقَاتٌ لَهَا خَطَرٌ فَأَعْتَبَرُوا فِي سِعْرِهِمْ وَأَخْتَصُّ قَطْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْفَلَاءِ مِنْذُ اضْطَرَّ لَهُمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا الْعَمُورِ بِالْإِسْلَامِ مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِفَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قَطْرِهِمْ أَنَّهَا لِقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهْمُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعَمُورِ فَلَمَّا فِيمَا عَلِمْنَاهُ وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ أَنْ يَخْلُو مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنِ فِدَانِ لَوْ مَزْرَعَةٌ أَوْ قَلْحٌ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ أَوْ الطَّرَاءِ عَلَى الْوَطَنِ مِنَ الْغَزَاةِ النُّجَاهِدِينَ وَلِهَذَا يُخْتَصُّ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَهِيَ أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِي عِلَاءِ سِعْرِ الْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرْبَرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فِي زَكَاةِ مَنَابِتِهِمْ وَطَيْبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْعُمُونُ جُمْلَةً فِي الْقَلْحِ مَعَ كَثْرَتِهِ وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِلَدِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمُرَانَ يَكْثُرُ تَرْفُهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَتَكَثُرُ

حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ  
وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيْزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِأَزْدِ حَامِ الْأَعْرَاضِ عَلَيْهَا  
مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي  
قِيَمِ الْبِيَعَاتِ وَيَعْظُمُ فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَكَثُرَ لِذَلِكَ  
نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بِالْفِعْلِ عَلَى نِسْبَةِ عُمُرَانِهِ وَيَعْظُمُ خَرْجُهُ فَيَعْتَنِجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ  
الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوَاقِفِهِمْ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ  
يَكُنْ دَخَلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا بِمَكَانِ كَسْبِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْكَسْبِ  
فَلَمْ يَتَأْتَلْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَكَنِي الْمِصْرِ الْكَبِيرِ لِفَلَاءِ  
مَرَافِقِهِ وَعَزِيْزَةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلْتَهُ بِأَقْلِ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَائِلٌ عَوَائِدِ التَّرَفِ  
فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَوَاقِفِهِ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْمِصْرِ وَسَكَنَاهُ  
مِنَ الْبَادِيَةِ فَسَرِيْعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَفْتَضِحُ فِي أَسْطِطَانِهِ إِلَّا مَنْ يُقَدِّمُ مِنْهُمْ تَأْتَلُ  
الْمَالِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ وَيَعْرِى إِلَى الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمُرَانِ مِنَ  
الدَّعْوَةِ وَالْتَّرَفِ فَيُخَيِّدُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمِصْرِ وَيَنْتَظِمُ حَالَهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ  
وَتَرَفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ بَدَاةِ عُمُرَانِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ حَبِيْطٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرقة والغقر مثل الامصار

إِعْلَمُ أَنَّ مَا تَوَقَّرَ عُمُرَانُهُ مِنَ الْأَقْطَارِ وَتَعَدَّدَتِ الْأُمَمُ فِي جِهَاتِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ  
أَنْسَمَتِ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أُمُورُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظَمَتِ دَوْلَتُهُمْ وَمَعَالِكُهُمْ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَمَا سَبَّأُ فِي ذِكْرِهِ مِنْ أَنَّهَا سَبَبٌ  
لِلثَّرْوَةِ بِمَا يَفْضَلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالضَّرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ  
عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثْرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأْتَلُونَهُ حَسْبَمَا نَذَرْنَا ذَلِكَ فِي  
فَصْلِ الْمَعَاشِ وَيَبَيِّنُ الرِّزْقِ وَالْكَسْبِ فَيُزِيدُ الرِّقَةَ لِذَلِكَ وَيَتَسَبَّحُ الْأَحْوَالُ وَيَجِي  
الْتَّرَفِ وَالْغِنَى وَتَكْثُرُ الْحَيَاةُ لِلدَّوْلَةِ بِتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فَيَكْثُرُ مَالُهَا وَيَتَسَبَّحُ سُلْطَانُهَا  
وَيَتَمَتَّنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاوِلِ وَالْحَضُورِ وَأَخْطَاطِ الْمُدُنِ وَتَسْبِيحِ الْأَمْصَارِ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ  
بِأَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مِثْلَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَبَاحِيَةِ الشَّمَالِ كُلِّهَا

وَأَفْطَارِهَا وَرَأَى الْبَحْرَ الرُّومِيَّ لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ الْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ  
 دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَدِينُهُمْ وَخَوَاضِرُهُمْ وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ فَالَّذِي نَشَاهِدُهُ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارِ الْأُمَّمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ فِي  
 رَفِهِمْ وَأَنْسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
 الْأَفْصَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّفَةِ غَرَائِبُ  
 تَسِيرُ الرُّكْبَانُ بِحَدِيثِهَا وَرُبَّمَا تُتَلَقَى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ وَيَحْسَبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ  
 الْعُلَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَأْتِي فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِيَّةَ أَكْثَرَ بِأَرْضِهِمْ  
 أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَفْدَمِينَ مِنَ الْأُمَّمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَمَعْدِنُ  
 الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَفْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبَضَاعَةِ فَإِنَّمَا يَجَابُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتَّجَارَةِ فَلَوْ  
 كَانَ الْمَالُ عَتِيدًا مَوْفُورًا لِدَيْهِمْ لَمَّا جَابُوا بَضَائِعَهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ يَتَخَوْنَ بِهَا الْأَمْوَالَ وَلَا  
 اسْتَعْنَوْا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجَهْلَةِ . وَلَقَدْ ذَهَبَ الْمُنْجَمُونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفْرَبُوا  
 مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَأَنْسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا فَقَالُوا يَا نَّ عَطَايَا الْكُوكَبِ  
 وَالسِّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصَصًا فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ  
 صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ النَّجْمِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا قُلْنَا . وَهُمْ  
 إِنَّمَا أَعْطَوْا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ النَّجُومِيَّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا  
 ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعُمَرَانِ وَأَخْطَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَفْطَارِهِ وَكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ  
 لِقَيْدِ كَثْرَةِ النَّسَبِ بِكثْرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُهُ فَلِذَلِكَ أَخْطَصَ الْمَشْرِقُ بِالرِّفَةِ  
 مِنْ بَيْنِ الْأَقَاتِ لِأَنَّ ذَلِكَ لِمَجْرِي الْأَثْرِ النَّجُومِيَّ فَقَدْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ  
 لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَأَنَّ الْمَطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمَرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا يَبْدُ مِنْهُ .  
 وَأَعْتَبِرْ حَالَ هَذَا الرِّفَةِ مِنَ الْعُمَرَانِ فِي فُطْرِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَبَرْقَةِ لَمَّا خَفَّ سَكْنُهَا وَتَنَاقَصَ  
 عُمْرَانُهَا كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِطَاصَةِ وَضَعْفَتِ جِبَابَاتُهَا  
 فَقَلَّتْ أَمْوَالُ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلَ الشِّيعَةِ وَصَنَاجِحَ بِهَا عَلَى مَا بَلَغَكَ مِنَ الرِّفَةِ  
 وَكَثْرَةِ الْحَيَايَاتِ وَأَنْسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطِيَانِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ  
 تَرْقَعُ مِنَ الْفَقْرِ وَإِنِّي إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ لِحَاجَاتِهِ وَمِهْمَانِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ بِحَيْثُ حَمَلَ

جَوْهَرِ الْكَاتِبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ الْفَحْمِلِ مِنَ الْمَالِ بِسَعْدِهَا لِأَزْرَاقِ  
الْجُنُودِ وَأَعْطِيَتِهِمْ وَنَفَقَاتِ الْغَزَاةِ وَقَطْرُ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ أْفْرِيقِيَّةَ  
قَلَمٌ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوحِدِينَ مُنْسَعَةً وَجَبَابَاتُهُ مَوْفُورَةً  
وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَفْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمَرَانِ فِيهِ وَتَأْفُصِهِ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمَرَانَ  
الْبُرْبَرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ وَتَقْصَعَنْ عَنْ مَعْبُودِهِ تَقْصَا ظَاهِرًا مَحْسُوسًا وَكَأَدَ أَنْ يَلْحَقَ فِي أَحْوَالِهِ  
بِمِثْلِ أَحْوَالِ أْفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمَرَانُهُ مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ  
السُّودَانِ فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَفْصَى وَرَفَقَةَ وَهِيَ الْيَمِّمُ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا فَقَارًا  
وَخَلَاءَ وَصَحَارَى إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسِيفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ مِنَ التَّلُولِ وَاللَّهُ وَارِثُ  
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الخامس عشر

في تائل العقار والضباع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها

اعْلَمْ أَنَّ تَائِلَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ الْكَثِيرَةَ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ التَّرْوَةِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلَاكُ  
الَّتِي تَخْرُجُ فِيمَتَّهَا عَنِ الْحَدِّ وَلَوْ بَلَّغَتْ أَحْوَالَهُمْ فِي الرَّفِّهِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
مُلْكُهُمْ وَتَأْتَلُهُمْ لَهَا تَدْرِيجًا إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ حَتَّى تَأْتِيَ أَمْلَاكُ  
الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرُ لِنِكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ بِحِوَالَةِ الْأَسْرَاقِ فَإِنَّ الْعَقَارَ  
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْآخِرَى عِنْدَ فَنَاءِ الْحَامِيَةِ وَخَرَقِ السِّيَاحِ وَتَدَاعِي الْمِصْرِ إِلَى  
الْحَرَابِ ثَقُلَ الْغَبْطَةُ بِهِ لِقَلَّةِ الْمَنْعَةِ فِيهَا بِتَلَاثِي الْأَحْوَالِ فَتَرْخِصُ فِيهَا وَتَسْمُكُ  
بِالْأَثْمَانِ الْيَسِيرَةِ وَتَتَخَطَّى بِالْمِيرَاثِ إِلَى مُلْكٍ آخَرَ وَقَدْ اسْتَجَدَّ أَمِصْرُ شَبَابَةً بِاسْتِحْقَالِ  
الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَانْتَضَمَتْ لَهُ أَحْوَالٌ رَائِقَةٌ حَسَنَةٌ تَحْصُلُ مَعَهَا الْغَبْطَةُ فِي الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ  
لِكثَرَةِ مَنَافِعِهَا حِينَئِذٍ فَتَعْظُمُ فِيهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ وَهَذَا مَعْنَى الْحِوَالَةِ  
فِيهَا وَيُصْبِحُ مَالِكُهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعِيهِ وَكَتْسَابِهِ إِذْ قُدْرَتُهُ  
تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ . وَأَمَّا فَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ لِمَالِكِهَا فِي حَاجَاتِ  
مَعَاشِهِ إِذْ هِيَ لَا تَنِي بِعَوَائِدِ التَّرْفِ وَأَسْبَابِهِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْعَالِبِ لِسَدِّ الْخَلَّةِ وَضَرُورَةِ  
الْمَعَاشِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ مَشِيخَةِ الْبُلْدَانِ أَنَّ الْقَصْدَ بِإِفْتِنَاءِ الْمَلِكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ

إِنَّمَا هُوَ الْخَشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرُكُ خَلْفَهُ مِنَ النَّدْبِيَّةِ الضَّعْفَاءِ لِيَكُونَ مَرَبَاهُمْ بِهِ وَرِزْقَهُ فِيهِ وَتَشْوَهُمْ بِفَائِدَتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْاِكْتِسَابِ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكَايِبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوَالِدِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ التَّكْسِبِ لِضَعْفِ فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْمَعَايِشِيِّ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قَوَامًا لِحَالِهِ هَذَا قَصْدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي أَقْتِنَائِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِّينَ فَلَا وَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِمَحَاوَلَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي حِنْسِهِ وَقِيَمَتِهِ فِي الْمِضْرِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رُبَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأَمْرَاءِ وَالْوَلَاةِ وَأَغْتَصَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى يَبْعِهِ مِنْهُمْ وَنَالَتْ اِمْتِحَابَهُ مِنْهُ مَضَارٌّ وَمَعَاظِبُ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَضْرِيَّ إِذَا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ وَكَثُرَ الْعَقَارُ وَالضِّيَاعُ تَأَثَّلَتْ وَأَصْبَحَ أَغْنَى أَهْلُ الْمِضْرِ وَرَمَقَتْهُ الْعْيُونُ بِذَلِكَ وَانْفَسَحَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِ وَالْعَوَائِدِ زَاحِمَ عَلَيْهَا الْأَمْرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَغَمَّوْا بِهِ وَلَمَّا فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ تَمْتَدُّ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا يَدِيرُ وَيُنَافِسُونَهُ فِيهِ وَيَتَحَيَّلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمْكِنٍ حَتَّى يُعْصَلُوهُ فِي رِبْقَةِ حُكْمِهِ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمَوْأَخَذَةِ ظَاهِرٍ يَنْزِعُ بِهِ مَالَهُ وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي الْغَالِبِ إِذِ الْعَدْلُ النَّمُوحُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ اللَّابِثُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعُودُ مُلْكًا عَضْرَضًا فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ الشَّهِيرَةِ فِي الْأُمَمَرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَدُودُ عَنْهُ وَجَاهٍ يَنْسَحِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمَلِكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصَبِيَّةٍ يَتَحَمَّاهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَرْتَعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ الْعُدْيِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهَبًا يُوْجِرُ التَّخْيَلَاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكْمِ وَاللَّهُ يَنْحُكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في من الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ بانصال الدولة ورسوخها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحِضَارَةَ هِيَ أَحْوَالٌ عَادِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِ

العُمرانِ زيادةً تَنفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الرِّفَةِ وَتَفَاوُتِ الأَئِمِّ فِي العِلَّةِ وَالكَثْرَةِ تَقَاوُتًا غَيْرَ  
 مُنَحَصِرٍ وَتَنَعٌ فِيهَا عِنْدَ كَثْرَةِ التَّفَنُّنِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
 وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى القَوْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهَرَّةِ فِيهِ وَيَقْدَرُ مَا يَتَزَيَّدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
 تَتَزَيَّدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الجِيلُ بِهَا وَمَتَى اتَّصَلَتِ الأَيَّامُ وَتَعَايَنَتِ تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ  
 حَذَقَ أولئك الصَّنَاعُ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْمَارُ بِطُولِهَا وَأَنْفَسَاحِ أَمِّيهَا  
 وَتَكَرَّرِ أَمْثَالِهَا تَزِيدُهَا اسْتِنْعَاجًا وَرُسُوخًا وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الأَمْصَارِ لِاسْتِنْعَاجِ  
 العُمرانِ وَكَثْرَةِ الرِّفَةِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
 تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعِيَّةِ وَتُنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَتَتَسَّعُ أَحْوَالُهُمْ بِالجَاهِ أَكْثَرَ مِنْ  
 اتِّسَاعِهَا بِالْمَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرَجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
 مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ المِصْرِ وَهُمْ أَكْثَرُ فَتَعَظُمُ لِذَلِكَ ثَرَوَتُهُمْ وَيَكْثُرُ غِنَاهُمْ وَتَتَزَيَّدُ  
 عَوَائِدُ التَّرَفِ وَمَذَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكِمُ لَدَيْهِمُ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فُنُونِهِ وَهَذِهِ هِيَ الحِضَارَةُ .  
 وَلِهَذَا تَجِدُ الأَمْصَارَ الَّتِي فِي القَاصِيَةِ وَلَوْ كَانَتْ مَوْفُورَةً العُمرانِ تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَحْوَالُ البِدَاوَةِ  
 وَتَبْعُدُ عَنِ الحِضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا بِخِلَافِ المَدِينِ المُتَوَسِّطَةِ فِي الأَقْطَارِ الَّتِي هِيَ  
 مَرَكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِجِوَارَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفِيضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَالْمَاءِ  
 يَخْفَرُ مَا قَرَبَ مِنْهُ فَمَا قَرَبَ مِنَ الأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الجُفُوفِ عَلَى البَعْدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا  
 أَنَّ السُّلْطَانَ وَالدَّوْلَةَ سُوقٌ لِلعَالَمِ فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرَبَ مِنْهُ وَإِذَا  
 أَبْعَدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْتَقَدَتِ البَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتِ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَايَنَتِ  
 مَلُوكُهَا فِي ذَلِكَ المِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَحْكَمَتِ الحِضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوخًا  
 وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي اليَهُودِ لَمَّا طَالَ مُلْكُهُمْ بِالشَّامِ نَحْوًا مِنَ الأَلْفِ وَارْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ رَسَخَتْ  
 حَضَارَتُهُمْ وَحَدَّثُوا فِي أَحْوَالِ المَعَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالتَّفَنُّنِ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الأَطْعِمِ  
 وَالمَلَابِسِ وَسَائِرِ أَحْوَالِ المَنْزِلِ حَتَّى إِنَّمَا لَتُؤْخَذُ عَنْهُمْ فِي الغَالِبِ إِلَى اليَوْمِ وَرَسَخَتْ  
 الحِضَارَةُ أَيْضًا وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ فَكَانُوا  
 فِي غَايَةِ الحِضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا القِبْطُ دَامَ مُلْكُهُمْ فِي الخَلِيقَةِ ثَلَاثَةَ الأَلْفِ مِنَ السِّنِينَ  
 فَرَسَخَتْ عَوَائِدُ الحِضَارَةِ فِي بِلَدِهِمْ مِصْرَ وَأَعْقَبَهُمْ بِهَا مُلْكُ اليُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مُلْكُ  
 الأِسْلَامِ النَّايِغِ لِلكُلِّ فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الحِضَارَةِ بِهَا مُتَّصِلَةً وَكَذَلِكَ أَيْضًا رَسَخَتْ

عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمارة والتبابعة الآفا  
 من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس  
 بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الآفا من السنين فلم  
 يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضا  
 رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقبط  
 ثم ما أعقبها من ملك بني أمية الآفا من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فاتصت فيها  
 عوائد الحضارة واستحكمت. وأما أفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام  
 ملك ضخم إنما قطع الإفرنجية إلى أفريقية البحر وماكوا الساحل وكانت طاعة  
 البربر أهل الصحابة لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوقاز وأهل المغرب  
 لم تجاوزهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر ولما جاء  
 الله بالإسلام وملك العرب أفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب إلا قليلا  
 أول الإسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن أسنقر منهم بأفريقية والمغرب  
 لم يبعد بهما من الحضارة ما يقد فيه من سلفه إذ كانوا برابرة منغمسين في البداوة  
 ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب اليهود على يد ميسرة المطرفي أيام هشام  
 ابن عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا  
 لأدريس فلا تعدد دولته فيهم عربية لأن البرابرة الذين تولوها ولم يكن من العرب  
 فيها كثير عدد وبقيت أفريقية للأغالبة ومن إليهم من العرب فكان لهم من الحضارة  
 بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث  
 ذلك عنهم كتمامه ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعائة سنة  
 وأنصرت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب  
 بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا  
 العهد يؤنس فيمن سلف له بالقماعة أو القيروان أو المهدية سلف فتجد له من الحضارة  
 في شؤون منزله وعوائد أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا  
 في أكثر أنصار أفريقية وأيس كذلك في المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بأفريقية  
 أكثر أمدا منذ عهد الأغالبة والشيعية وصنهاجة وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة

الْمُوحِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْحَضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَتْ  
 لِدَوَائِبِهِمْ مِنَ الْأَسْيَابِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا  
 وَكَرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النِّطَاقِ مَا عَلِمْتَ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ  
 وَأَسْتَحْكَمَتْهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
 النَّصَارَى إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحَضَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا بِتُونِسَ  
 أَمْزَجَتْ بِحَضَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ السَّافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
 وَأَفْرِيقِيَّةِ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ عِنِّي عَلَيْهِ الْخُلَاةُ وَرَجَعَ إِلَى أَعْقَابِهِ وَعَادَ الْبُرْبُرُ  
 بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْحَشُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَانْتَارَ الْحَضَارَةَ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
 أَكْثَرَ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ اتِّدَاوَلُ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
 وَاقْرَبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمَتَرَدِّدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَنْظُنْ لِهَذَا  
 السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيٌّ عَنِ النَّاسِ وَأَعْلَمُ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَهِيَ حَالُ الدُّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
 وَالضَّعْفِ وَكَثْرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ وَعَظْمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثْرَةِ النِّعْمَةِ وَالْيَسَارِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلَةَ وَالْمَلِكَ صُرَّةَ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمْرَانَ وَكُلَّهَا مَادَّةٌ لِهَامِنِ الرَّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
 وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْجَبَايَةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْغَالِبِ مِنْ أَسْوَأِهِمْ وَمَتَجَرِّمِ  
 وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِهَا أَنْبَتَ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
 فَهِيَ ذَاهِبَةٌ عَنْهُمْ فِي الْجَبَايَةِ وَالنَّجَاحِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَعَلَى نِسْبَةِ حَالِ الدُّوَلَةِ  
 يَكُونُ يَسَارُ الرَّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ يَسَارِ الرَّعَايَا وَكَثْرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدُّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
 كُلُّهُ الْعُمْرَانُ وَكَثْرَتُهُ فَأَعْتَبِرْهُ وَتَأَمَّلْهُ فِي الدُّوَلِ تَجِدُهُ وَاللَّهُ يَحْكُمُ وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةَ الْعُمْرَانَ وَنَهَايَةَ لِعَمْرِهِ وَإِنَّمَا مَوْذَنَةٌ بِفَسَادِهِ  
 قَدْ يَنَالُكَ فِيمَا سَلَفَتْ أَنَّ الْمَلِكَ وَالِدُوَلَةَ غَايَةَ لِلْعَصَبِيَّةِ وَأَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةَ لِلْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
 الْعُمْرَانَ كُلَّهُ مِنْ بِدَاوَةٍ وَحَضَارَةٍ وَمَلِكٍ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمُرٌ مَحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
 اشْخَاصِ الْمَمْلُوكَاتِ عُمُرًا مَحْسُوسًا وَتَبَيَّنَ فِي الْعَقُولِ وَالْمَنْقُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلنَّاسِ  
 غَايَةٌ فِي تَزَايُدِ قُوَّاهُ وَنُمُوِّهَا وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ سِنَ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَّتِ الطَّبِيعَةُ عَنِ اثْرِ الشُّبُوهِ  
 وَالنُّمُوِّ بُرْهَةً ثُمَّ تَأْخُذُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِنْحِطَاطِ فَلْتَعَلَّمْ أَنَّ الْحَضَارَةَ فِي الْعُمْرَانَ أَيْضًا



كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلوا لأهل العمران  
دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخاطب بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن  
في الترف واستجدادة أحواله والكلف بالصنائع التي توثق من أصنافه وسائر فؤونه  
من الصنائع المهيئة للمطابخ أو السلايس أو الباني أو الفرش أو الآنية ولسائر  
أحوال المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند  
البدوة وعدم التأني فيها وإذا بلغ التأني في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة  
الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها  
ولا دنياها أما دنيا فلا تستحكم صبغة العوائد التي يغسر نزوعها وأما دنياها فلكثرة  
الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويحجز وينكسب عن الوفاء بها. ويأنه أن  
المضر بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهله والحضارة لتفاوتت بنفقات العمران فمتى  
كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وقد كنا قدمنا أن المضر الكثير  
العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته ثم تزيدها المكوس غلاء لأن  
الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استنفالها وهو زمن وضع المكوس في  
الدول أكثر خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود إلى البياعات بالغلاء لأن  
السوق والتجار كلهم يحسبون على ساعيم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة  
أنفسهم فيكون المكس لذلك داخل في قيم البياعات وأثمانها فتعظم نفقات أهل  
الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف ولا يعدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من  
أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكايبهم كلها في النفقات ويتتابعون في الإملاق  
والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبيائع فيكسد الأسواق ويفسد  
حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة  
على العموم في الأسواق والعمران وأما فساد أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص  
فمن الكد والعمب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تخصيصها وما يعود على  
النفس من الضرر بعد تخصيصها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق  
والشر والفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف  
النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم أجرياء على

الكذب والمقامرة والنش والخلافة والسرفقة والتجور في الأيمان والزباني البساعات  
 ثم تجدهم أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه وأطراح الحشمة  
 في الخوض فيه حتى بين الأقارب وذوي التحريم الذين تقتضي اليدوة الحياء منهم  
 في الإقذاع بذلك وتجددهم أيضاً أبصر بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه أن ينالهم  
 من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصبر ذلك عادة وخلقاً  
 لا كثيرهم إلا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة  
 ويجارهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولداهم ممن أهمل عن التأديب وغلب عليه  
 خلق الجوار وإن كانوا أهل أنساب وبيوتات وذلك أن الناس بشر ممتثالون وإنما  
 تماثلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه  
 لم ينفعه زكاه نسبه ولا طيب منيته ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوي  
 الأحساب والأصالة وأهل الدول منطرحين في الغمار منتحلين للحرف الدنيئة في  
 معاشهم بما فسد من أخلاقهم وما تلوثوا به من صبغة الشر والسفاسة وإذا كثرت ذلك  
 في المدينة أو الأمة تأذن الله بمخرباتها وأقراضها وهو معنى قوله تعالى وإذا أردنا أن  
 نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . ووجهه حينئذ  
 أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم  
 أحوالهم وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحداً واحداً اختل نظام المدينة وخربت  
 وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص أن المدينة إذا كثرت فيها غرس النارج  
 تأذنت بالخراب حتى أن كثيراً من العامة يتحامي غرس النارج بالدور وليس المراد  
 ذلك ولا أنه خاصية في النارج وإنما معناه أن البساتين وإجراء المياه هو من  
 توابع الحضارة ثم إن النارج واللبنة والسرور وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة  
 هو من غاية الحضارة إذ لا يقصد بها في البساتين إلا أشكالها فقط ولا تغرس إلا بعد  
 التفتن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصير وخرابه كما  
 قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب إذ الدفلى لا يقصد بها إلا  
 تلون البساتين بنورها ما بين أحمر وأبيض وهو من مذاهب الترف . ومن مفاسد  
 الحضارة أنهمالك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات

الْبَطْنِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَلَاذِ فَيُفْضِي ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ النَّوْعِ فَأَقْبَهُمْ ذَلِكَ وَاعْتَبَرَهُ بِهِ  
 أَنْ غَايَةَ الْعُمْرَانِ هِيَ الْحِضَارَةُ وَالْتَرَفُ وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ انْقَلَبَ إِلَى الْفَسَادِ وَأَخَذَ فِي  
 الْهَرَمِ كَالْأَعْمَارِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْحَيَوَانَاتِ بَلْ تَقُولُ إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَاصِلَةَ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالْتَرَفِ  
 هِيَ عَيْنُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِإِقْتِدَارِهِ عَلَى جَلْبِ مَنَافِعِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ  
 وَأَسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضْرِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ حَاجَاتِهِ إِذَا عَجَزَ لِمَا  
 حَصَلَ لَهُ مِنَ الدَّعْوَةِ أَوْ تَرَفُّهُ لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَرْبِي فِي النَّعِيمِ وَالْتَرَفِ وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ  
 ذَمِيمٌ وَكَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَأَسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضْرِي بِمَا  
 قَدْ فَقَدَ مِنَ خُلُقِ الْإِنْسَانِ بِالْتَرَفِ وَالنَّعِيمِ فِي قَهْرِ التَّأْدِيبِ فَهُوَ بِذَلِكَ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ  
 الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ أَيْضًا غَالِبًا بِمَا فَسَدَتْ مِنْهُ الْعَوَائِدُ وَطَاعَتُهَا وَمَا تَلَوَّنَتْ بِهِ  
 النَّفْسُ مِنْ مَكَانَتِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَإِذَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ فِي قُدْرَتِهِ  
 عَلَى إِخْلَاقِهِ وَدِينِهِ فَقَدْ فَسَدَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَصَارَ مَسْحًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَبِهَا الْأَعْتِبَارُ كَانَ  
 الَّذِينَ يَتَرَبَّوْنَ عَلَى الْحِضَارَةِ وَخُلُقِهَا مَوْجُودُونَ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ احْتِضَارَةَ هِيَ  
 مِنَ الْوُقُوفِ لِعُمُرِ الْعَالَمِ فِي الْعُمْرَانِ وَالْدَوْلَةِ وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
 لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ

### الفصل التاسع عشر

في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تحرب بخراب الدولة وانقراضها  
 قَدْ اسْتَقْرَيْنَا فِي الْعُمْرَانِ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا اخْتَلَّتْ وَانْتَقَضَتْ فَإِنَّ الْمِصْرَ الَّذِي  
 يَكُونُ كُرْسِيًّا لِسُلْطَانِهَا يَنْقُضُ عُمْرَانَهُ وَرُبَّمَا يَنْتَهِي فِي انْتِقَاضِهِ إِلَى الْخُرَابِ وَلَا يَكَادُ  
 ذَلِكَ يَنْخَلْفُ وَالسَّبَبُ فِيهِ أُمُورٌ الْأَوَّلُ أَنَّ الدَّوْلَةَ لَا بُدَّ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ الْمُقْتَضِيَةِ  
 لِلتَّجَافِي عَنِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْبُعْدِ عَنِ التَّحَدُّقِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى تَخْفِيفِ الْجَبَايَةِ وَالْمَغَارِمِ  
 الَّتِي مِنْهَا مَادَّةُ الدَّوْلَةِ فَتَقِلُّ النِّفَقَاتُ وَيَقِلُّ التَّرْفُ فَإِذَا صَارَ الْمِصْرُ الَّذِي كَانَ كُرْسِيًّا  
 لِلْمَلِكِ فِي مَلَكَتِهِ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُ التَّرَفِ فِيهَا نَقَصَ التَّرْفُ  
 فَيَمُنُّ تَحْتَ أَيْدِيهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ لِأَنَّ الرُّعَايَا تَبِعَ الدَّوْلَةَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى خُلُقِ الدَّوْلَةِ  
 إِذَا طَوَعًا لِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنْ تَقْلِيدِ مَتَّبِعِيهِمْ أَوْ كَرْهًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ خُلُقُ الدَّوْلَةِ  
 مِنَ الْإِنْتِبَاحِ عَنِ التَّرَفِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَقَلَّتْ الْعَوَائِدُ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْعَوَائِدِ فَتَقْصُرُ

لتلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب  
 المصير . الأمر الثاني أن الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالقلب وإنما  
 يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر  
 إحداهما على الأخرى في العوائد والأحوال وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي  
 الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة ومستبعدة وقبيحة  
 وخصوصاً أحوال الترف فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج  
 عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة  
 الأولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير . الأمر الثالث أن كل أمة لا  
 بد لهم من وطن وهو منشأهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكاً آخر صار تبعاً  
 للأول وأما صارت تابعة لأما صار الأول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط  
 الكرسي نخوم الممالك التي للدولة لأنه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن  
 مكان الكرسي الأول وتهوى أفئدة الناس من أجل الدولة والسلطان فينتقل إليه  
 العمران ويخف من مصير الكرسي الأول والحضارة إنما هي توفّر العمران كما  
 قلناه فتتقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلاجونية في عدولهم  
 بكرسيهم عن بغداد إلى أصفهان والعرب قبلهم في العدول عن المدائن إلى الكوفة  
 والبصرة ولبي العباس في العدول عن دمشق إلى بغداد ولبي مرين بالعرب في  
 العدول عن مراكش إلى فاس وبالجملة فأتخذ الدولة الكرسي في مصير  
 يخل بعمران الكرسي الأول . الأمر الرابع أن الدولة الثانية لا بد فيها من تبع  
 أهل الدولة السابقة وأشباعها بتحويلهم إلى فطر آخر يؤمن فيه عائلتهم على الدولة  
 وأكثر أهل المصير الكرسي أشباع الدولة إما من الحامية الذين نزلوا به أول  
 الدولة أو أعيان المصير لأن لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم  
 بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شعبة لها وإن لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم  
 بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة نحو آثار الدولة السابقة فينقلهم  
 من مصير الكرسي إلى وطنها المنمكين في ملكيتها فبعضهم على نوع التغريب  
 والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدي إلى النفرة حتى لا يتقي في

مِصْرَ الْكُرْمِيِّ إِلَّا الْبَاعَةَ وَالْمَحَلُّ مِنْ أَهْلِ الْقَلْعِ وَالْبِيَارَةِ وَسَوَادِ الْعَامَةِ وَيَنْزِلُ مَكَانَهُمْ حَامِيَتَهَا وَأَشْيَاعَهَا مَنْ يَشْتَدُّ بِهِ الْمِصْرُ وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِصْرِ أَعْيَانُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ سَاكِنَةٌ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ ثُمَّ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمَرَانُ آخِرُ فِي ذِلِّ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ وَتَحْصُلُ فِيهِ حِضَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدْرِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمِثَابَةِ مَنْ لَهُ بَيْتٌ عَلَى أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ فَأَظْهَرَ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ وَيَقْتَرِحُهُ فَيُخْرَبُ ذَلِكَ الْبَيْتَ ثُمَّ يُعِيدُ بِنَاءَهُ ثَانِيًا وَقَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي هِيَ كِرَامِي لِلْمَلِكِ وَشَاهِدُنَاهُ وَعَلِمْتَاهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّبَبَ الطَّبِيعِيَّ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمَلِكَ الْعُمَرَانَ بِمِثَابَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَّةِ وَهُوَ الشَّكْلُ الْحَافِظُ بِنَوْعِهِ لَوْجُودِهَا وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ انفِكَارُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ فَالِدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمَرَانَ لَا تُتَصَوَّرُ وَالْعُمَرَانُ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكُ مُتَعَدِّرٌ لِمَا فِي جِلْبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ الدَّاعِي إِلَى الْوَارِعِ فَتَتَعَيَّنُ السِّيَادَةُ لِتِلْكَ إِمَّا الشَّرْعِيَّةَ أَوْ الْمَلِكِيَّةَ وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ وَإِذَا كَانَا لَا يَنْفَكَا فَاخْتِلَالُ أَحَدِهِمَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ كَمَا أَنَّ عَدَمَهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَدَمِهِ وَالْحُلُلُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خَلَلِ الدَّوْلَةِ الْكُلِّيَّةِ مِثْلَ دَوْلَةِ الرُّومِ أَوْ الْفَرَسِ أَوْ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ بَنِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ وَأَمَّا الدَّوْلَةُ الشَّخْصِيَّةُ مِثْلَ دَوْلَةِ الْأَنْبَشِيِّينَ أَوْ هُرَيْرِ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ الرَّشِيدِ فَأَشْخَاصُهَا مُتَعَاقِبَةٌ عَلَى الْعُمَرَانَ حَافِظَةٌ لَوْجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَقَرِيبَةٌ الشَّيْءِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَلَا تُؤَثِّرُ كَثِيرٌ اخْتِلَالُ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ بِالْحَقِيقَةِ الْفَاعِلَةَ فِي مَادَّةِ الْعُمَرَانَ إِنَّمَا هِيَ الْعَصَبِيَّةُ وَالشُّوْكَةُ وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى أَشْخَاصِ الدَّوْلَةِ فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا عَصَبِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الْعُمَرَانَ ذَهَبَتْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ وَعَظُمَ الْخُلَلُ كَمَا قَرَّرْنَاهُ أَوْلَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض  
وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا لِمَا فِي طَبِيعَةِ  
الْعُمَرَانَ مِنَ التَّعَاوُنِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنَ الْأَعْمَالِ يَخْتَصُّ بِبَعْضِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَيَقُومُونَ عَلَيْهِ  
وَيَسْتَبْصِرُونَ فِي صِنَاعَتِهِ وَيَخْتَصُّونَ بِوُضَائِفِهِ وَيَجْعَلُونَ مَعَالِمَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَهُمْ مِنْهُ لِعُمُومِ

البلوى به في المضر والحاجة إليه وما لا يستدعي في المضر يكون غفلاً إذ لا فائدة  
لمنتحله في الإحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل معبر  
كالخياط والحديد والنجار وأمثالها وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله فإنما يوجد  
في المدن المستبجرة في العماراة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج  
والصايع والدهان والطباخ والصفار والفراش واللباح وأمثال هذه وهي متفاوتة  
ويقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تتحدث صنائع لذلك النوع  
فتوجد بذلك المضر دون غيره ومن هذا الباب الحمايات لأنها إنما توجد في الأمصار  
المستحضرة المستبجرة العمران لما يدعو إليه الترف والغنى من التمتع ولذلك  
لا تكون في المدن المتوسطة وإن نزع بعض الملوك والرؤساء إليها فيختطها  
ويجري أحوالها إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب  
وتفر عنها القومة لئلا فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود المصيبة في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين أن الاتصال موجود في طباع البشر وإن لم يكونوا أهل نسب  
واحد إلا أنه كما قدمناه أضعت مما يكون بالنسب وأنه تحصل به العصبية بعضاً مما  
تحصل بالنسب وأهل الأمصار كثير منهم ملتجئون بالصهر يجذب بعضهم بعضاً إلى  
أن يكونوا لحمًا لحمًا وقرابة قرابة ويجد بينهم من العداوة والصدقة ما يكون بين  
القبائل والعشائر مثله فيتفرقون شيعاً وعصائب فإذا نزل الهرم بالدولة وانقلص ظل  
الدولة عن القاصية احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم والنظر في حماية بلدهم  
ورجعوا إلى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفس بطباعها متطولة إلى الغلب  
والرئاسة فتطمع المشيخة خلاء الجور من السلطان والدولة القاهرة إلى الاستبداد  
وينزع كل صاحب ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيخ والأحلاف ويبدلون  
ما في أيديهم للأوغاد والأوشاب فيعضون كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف  
على أكنافه ليقص من أعنتهم ويتبعهم بالقتل أو التغريب حتى يخمد منهم الشوكات  
النافذة ويقلم الأظفار الحارشة ويستبد بمضره أجمع ويرى أنه قد استحدث ملكاً

يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم من عوارض  
 الجدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملوك الأعظم أصحاب القبائل  
 والعشائر والعصيات والزخوف والحروب والأقطار والممالك فينتحلون بها من اجلس  
 على السرير واتخاذ الآلة وإعداد المراكب للسير في أقطار البلد والتختم والسسيبة  
 والخطاب بالتمويل ما يستخر منه من يشاهد أحوالهم لما انتحلوه من شارات الملك التي  
 لبسوا لها أهل إيمان ففهم إلى ذلك نقلص الدولة والتعام بعض القرابات حتى صارت عصبية  
 وقد يتزده بعضهم عن ذلك ويحري على مذهب السداحة فرارا من التعريض بنفسه للسخرية  
 والعبث وقد وقع هذا بأفريقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد  
 من طرابلس وقابس وتوزر ونقطة وقفصة وبسكرة والزاب وما إلى ذلك سموا إلى  
 مثلها عند نقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على أمصارهم  
 واستبدوا بأمرها على الدولة في الأحكام والحجاية وأعطوا طاعة معروفة وصفقة  
 ممرضة وأقطعوها جانباً من الملاينة والملاطفة والانتقاد وهم بمنزل عنه وأورثوا  
 ذلك أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لأعقاب الملوك  
 وخلفهم ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عندهم بالسوق حتى نحا ذلك  
 مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في  
 أخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بأمصار الجريد  
 أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين ومليكهم عبد المؤمن  
 بن علي ونقلهم كلهم من إماراتهم بها إلى المغرب ونحا من تلك البلاد آثارهم كما  
 نذكر في أخباره وكذا وقع بسببته لآخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون  
 غالباً في أهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرئاسة في المضر وقد يحدث  
 التغلب لبعض السفلة من الفوغاء والدهماء وإذا حصلت له العصبية والالتحام بالأوغاد  
 لأسباب يجرها له المقدار فيغلب على المشيخة والعلية إذا كانوا فاقدين للعصبة والله  
 سبحانه وتعالى غالب على أمره

## الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجليل الغالبيين عليها أو المختطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير إعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم والذين والعلية صورة للوجود والمملك وكلها مواد له والضرورة مقدمة على المادة والذين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن بطانة الأعاجم وقال إنها خبيث أي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وعربية ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان بقي في الدلالات على أصله وسمي لساناً حضرياً في جميع امصار الإسلام وأيضاً فأكثر أهل الامصار في اللغة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها المالكين في ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أوزنهم وديارهم واللغات متوارثة بقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجم شيئاً فشيئاً وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من العرب فإنها كانت أعرق في العروبية ولما تملك العجم من الديلم والشجوقية بعدهم بالمشرق وزنانه والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والأستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عنابة المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وسار ذلك مرجعاً لبقاء اللغة العربية المضرية من الشعر والكلام إلا قليلاً بالامصار فلما ملك التتر



وَالْمَعُولُ بِالْمَشْرِقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْجُوحُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَمَمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارَسَ وَأَرْضِ الْمُنْدِ وَالسِّنْدِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الشَّمَالِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشِّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا بَقِيَ تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيًّا بِالْقَوَانِينِ  
 الْمَتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحَنِظَ كَلَامِهِمْ إِمْنُ بَسْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَلِكَ وَرُبَّمَا بَقِيَتْ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُضَرِّيَّةُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَلَبًا لَهَا  
 فَاتَّعَفَفَتْ بِبَعْضِ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنْ كُنْتُ الْعُلُومَ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ الْعِجْمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيْسُهُ فِي الْعِجَالِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله  
 من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية  
 اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويمونه في حالاته واطواره من لدن نشوئه  
 الى اشدوه الى كبره والله الغني وانتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للانسان  
 وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال خلق لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا  
 منه ومنخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد به وبه  
 الانسان مبسوط على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وايدي البشر منشرة  
 فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاخر الا بعوض فالانسان متى  
 اقتدر على نفسه وتجاوز الضعفت سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها  
 في تحصيل حاجاته وضروراته يدفع الاعراض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله

الرِّزْقَ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُضِلِحِ لِلزَّرَاعَةِ وَأَمْثَالِهِ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا  
تَكُونُ مُعِينَةً وَلَا بُدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا كَمَا بَأْتِي فَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكْسَبُ مَعَاشًا إِنْ  
كَانَتْ بِمَقْدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِبَاشًا وَمُتَمَوْلًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ  
الْمُحَاصِلِ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مَنَفَعَتُهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَلَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ مِنْ إِنْتَافِهِ فِي مَصَالِحِهِ  
وَحَاجَاتِهِ سُمِّيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَّا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ  
فَأَنْفَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ  
وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَلِّكُ مِنْهُ جِنْدٌ بِسَعْيِ الْعَبْدِ  
وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ التَّرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِبَالِكِ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى  
رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مَنَفَعَةٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى انْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةٌ  
مُسَمَّى الرِّزْقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُعْتَزِلُ فِي تَسْمِيَتِهِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ  
يَصِحُّ تَمَلُّكُهُ وَمَا لَا يَتَمَلَّكُ عِنْدَهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا النُّصُوبَاتِ وَالْحَرَامَ كُلَّهُ  
عَنْ أَنْ يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْهَا رِزْقًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ الْعَاقِبَ وَالظَّالِمَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ  
بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مِنْ بَشَاءٍ وَلَهْمٌ فِي ذَلِكَ حُجُجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعٌ بَسَطَهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ  
الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْإِفْتِنَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى التَّحْصِيلِ فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنَ  
سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى فَأَتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيَ  
إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِهَامِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمُتَمَوْلٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا يَنْتَسِبُ مِثْلَ الصَّنَائِعِ فَظَاهِرٌ  
وَإِنْ كَانَ مُقْتَنَى مِنَ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعْدِنِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا  
تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْحَجَرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قِيَمَةً لِكُلِّ مَتَمَوْلٍ وَهُمَا الذَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَّةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْعَالِيَةِ  
وَإِنْ أَقْتَنَى سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ الْقَصْدُ تَحْصِيلُهُمَا بِمَا يَقَعُ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا يَمْعَزَلُ فَهَذَا أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَالْقَنِيَّةِ وَالذَّخِيرَةِ وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا  
كُلُّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَا يُفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتَنِيهِ مِنَ الْمَتَمَوْلَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَائِعِ  
فَالْمَقَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ قِيَمَةٌ عَمَلِهِ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَّةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَآيَسَ  
بِمَقْصُودٍ بِنَفْسِهِ الْقَنِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَائِعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ النِّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ

مَعَهَا الْخَشَبُ وَالغَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهِمَا أَكْثَرُ فَقِيَمَتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
الصَّنَائِعِ فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَمَةِ ذَلِكَ الْمَقَادِرِ وَالْقِنِيَةِ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْضُرْ قِنِيَتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مَلَا حِظَّةُ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
فَتُجْعَلُ لَهُ حِمْمَةٌ مِنَ الْقِيَمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مَلَا حِظَّةُ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَعْتَبَارَ الْأَعْمَالِ وَالنَّفَقَاتِ فِيهَا مَلَا حِظٌّ فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ كَمَا  
قَدَّمَاهُ لِكِنَّهُ خَفِيَ فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفُلْحِ فِيهَا وَمَوْنَتُهُ بِسِيرَةٍ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْفُلْحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادِرَ وَالْمُكْتَسَبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا هِيَ  
فِيمَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَتَبَيَّنَ مَسْمَى الرِّزْقِ وَأَنَّهُ الْمُنْتَفَعُ بِهِ فَقَدَبَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ  
وَالرِّزْقِ وَشَرَحَ مَسْمَاهُ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا فُقِدَتِ الْأَعْمَالُ أَوْ قَلَّتْ بَانْتِقَاصِ الْعُمُرَانِ  
تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْأَتْرَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ السَّاكِنِ كَيْفَ يَقِلُّ الرِّزْقُ  
وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدُ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمُرَانُهَا  
أَكْثَرَ يَكُونُ أَهْلِهَا أَوْسَعَ أَحْوَالًا وَأَشَدَّ رَفَاهِيَةً كَمَا قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَقُولُ  
الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمُرَانُهَا إِنْبَاءً قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنَّ الْأَنْهَارَ وَالْعِيُونَ  
يَنْقَطِعُ جِزْيُهَا فِي الْقَفْرِ لَمَّا أَنَّ قَوْرَ الْعِيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْإِمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
بِالْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَإِلْمُ يَكُونُ إِنْبَاطٌ وَلَا أَمْتِرَاءٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ  
بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَجِفُّ الصَّرْعُ إِذَا تَرَكَ أَمْتِرَاؤُهُ وَانْظُرْهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُعْهَدُ فِيهَا الْعِيُونَ  
لِأَيَّامِ عُمُرَانِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهَا الْخُرَابُ كَيْفَ تَفُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَمَا لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ  
الْعَيْشِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَيْشُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْضُرُ إِلَّا بِهَذِهِ جُمِلَتْ مَوْضِعًا لَهُ عَلَى  
طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ ثُمَّ إِنْ تَحْصِيلُ الرِّزْقِ وَكَسْبُهُ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ يَدِ الْغَيْرِ  
وَأَنْتِزَاعِهِ بِالْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونِ مَعَارِفٍ وَبُسْمَى مَعْرَمًا وَجِبَابِيَةً وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ  
مِنَ الْحَيَوَانَ الْوَحْشِيِّ بِأَفْتِرَاسِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ وَبُسْمَى أَصْطِيَادًا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فَضُولِهِ الْمُنْصَرَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
 مَنَافِعِهِمْ كَالَّذِينَ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دُودِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
 فِي الرِّزْقِ وَالسُّجْرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرَتِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كُلُّهُ قَلْحًا وَإِنَّمَا  
 أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مُعِينَةٍ وَتُسَمَّى الصَّنَائِعُ مِنْ كِتَابَةِ  
 وَنِجَارَةٍ وَخِيَاطَةٍ وَحَيَاكَةِ وَفُرُوسِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مُعِينَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
 الْأَمْتِهَانَاتِ وَالنَّصْرَفَاتِ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْبَضَائِعِ وَإِعْدَادِهَا لِلْأَعْوَاضِ  
 إِمَّا بِالْتَقَلُّبِ بَهَا فِي الْبِلَادِ وَاحْتِكَارِهَا وَأَرْزِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَيُسَمَّى هَذَا تِجَارَةً  
 فَهَذِهِ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
 كَالْحَرِيرِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفِلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
 فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبِ طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
 الْجَبَابِيَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْقَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفِلَاحَةُ وَالصَّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجُوهُ  
 طَبِيعِيَّةٍ لِلْمَعَاشِ أَمَّا الْفِلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كُلِّهَا بِالذَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ  
 فِطْرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تُنْسَبُ فِي الْخَلِيقَةِ إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
 مَعْلَمُهَا وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَوَّلُ وَجُوهِ الْمَعَاشِ وَأَنَّهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
 الصَّنَائِعُ فَهِيَ ثَانِيَتُهَا وَمُتَأَخِّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَّفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَالْأَنْظَارُ  
 وَلِهَذَا لَا يُوْجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْحَضَرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٍ عَنْهُ وَمِنْ هَذَا  
 الْمَعْنَى نُسِبَتْ إِلَى أَدْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْخَلِيقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَنْبِطُهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
 بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَلَا كَثْرَ مِنْ  
 طُرُقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحْيَلَاتٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ  
 لِيَحْصَلَ فَايِدَةُ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ وَلِلذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمُكَّاسَبَةَ لِمَا أَنَّهُ  
 مِنْ بَابِ الْمُقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِمَالٍ الْغَيْرِ مَجَانًا فَلِهَذَا اخْتَصَّ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ اتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَسْبَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ  
 الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ

غناه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الأمانة ومعاشها  
 إذ كلهم يتسحب عليهم حكم الأمانة والملك الأعظم هو ينبوع جدواولهم وأما ما  
 دون ذلك من الخدمة فسببها أن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون  
 عاجزاً عنها لما زبي عايد من خلق التمتع والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه  
 أجراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان إذ الثقة  
 بكل أحد عجز ولأنها تزيد في الوظائف وأخرج وتدل على العجز والخنث الذي ينبغي  
 في مذاهب الرجولية التزه عنهم إلا أن العوائد تقب طابع الإنسان إلى ما لونها فهو  
 آين عوائده لا آين نسبه ومع ذلك فالخدم الذي يستكفي به ويوثق فضائه كالمفقود  
 إذ الخديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات إما مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يتحصل  
 بيده وإما بالعكس في إحداهما فقط مثل أن يكون مضطلماً غير موثوق أو موثوقاً غير  
 مضطلع فإما الأول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أحداً استعماله بوجه إذ  
 هو بأضطلاله وثيقته غني عن أهل الرتب الدنياة ومحتقر لمثال الأجر من الخدمة  
 لاقتداره على أكثر من ذلك فلا يستعمله إلا الأمرأه أهل الجاه العريض للموم  
 الحاجة إلى الجاه وأما الصنف الثاني وهو ممن ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي  
 لعاقلي استعماله لأنه يجهف بخدومه في الأمرين مما فيض عليه لعدم الأضطناع  
 تارة وبذهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاة فهذان الصنفان لا  
 يطمع أحد في استعمالهما ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين موثوق غير مضطلع  
 ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذاهبان ولكل من الترجحين وجه  
 إلا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لأنه يؤمن من تضيقه ويعاقل على التحرز  
 من خيانتة جهد الاستطاعة وأما المضيق ولو كان مأموناً فصرره بالتضيق أكثر من  
 نفعه فأعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر  
 على كل شيء

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بماش طبيعي  
 اعلم ان كثيراً من ضعفاء العقول في الأمصار يعرضون على استخراج الأموال من

تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَسْتَعُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ مَخْتَزِنَةٌ  
كُلُّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مَخْتُمٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَائِمِ سِحْرِيَّةٍ لَا يَفْضُخْتُمُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَثَرَ  
عَلَى عِلْمِهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ النَّجْوَرِ وَالْدُّعَاءِ وَالْقُرْبَانِ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ يَرَوْنَ  
أَنَّ الْأَفْرِيقِيَّةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي  
الْصُّحُفِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ  
يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْقَيْطِ وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشْبِهُ حَدِيثَ  
خُرَافَةَ مِنْ أَنْتِهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حَنْزِرٍ مَوْضِعِ الْمَالِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طَلْسَمَهُ  
وَلَا خَبْرَهُ فَيَجِدُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالرِّيدَانِ أَوْ يُشَاهِدُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوْاهِرَ مَوْضُوعَةً  
وَالْحَرَسُ دُونَهَا مُنْتَضِينَ سِيُوفَهُمْ أَوْ تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى يَظُنَّهُ حَسَفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ  
مِنَ الْمَذَرِ وَنَجِدُ كَثِيرًا مِنْ طَلَبَةِ الْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ  
وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْزَاقِ الْمَخْتَزِمَةِ الْحَوَاشِي إِمَّا بِخُطُوطٍ عَجْمِيَّةٍ أَوْ  
بِمَا تُرْجِمُ بِلُغَتِهِمْ مِنْهَا مِنْ خُطُوطِ أَهْلِ الدَّفَائِنِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِنِهَا  
يَسْتَعُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْتَوْنَهُ عَلَى الْحَفْرِ وَالطَّلَبِ وَبِمَوْهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا  
حَمَلَهُمْ عَلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِهِمْ طَلَبُ الْجَاهِ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَنَالِ الْحُكَّامِ وَالْعُقُوبَاتِ وَرَبَّمَا  
تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ بِمَوْهُ عَلَيْهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا  
بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ بِمَعزِلٍ عَنِ السِّحْرِ وَطَرَفِهِ فَتَوَلَّعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ بِمَجْمَعِ  
الْأَيْدِي عَلَى الْأَحْتِفَارِ وَالنَّسْرِ فِيهِ يَظْلَمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرُّمَّاءِ وَعَيُونِ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا  
لَمْ يَعْثُرُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطَّلَسِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ  
يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنِ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ وَالَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْقَالِبِ زِيَادَةً  
عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ عَنِ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنَ  
التَّجَارَةِ وَالْفَلْعِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَطْلُبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمُخْتَرَفَةِ وَعَلَى غَيْرِ الْعَجْزِ الطَّبِيعِيِّ مِنْ  
هَذَا وَأَمثالِهِ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ وَرُكُونًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ  
وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَآكِنْسَابِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوفِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِسْتِغْنَاءِ ذَلِكَ مِنْ  
غَيْرِ وَجْهِهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجَهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
لِمَنَالِ الْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةَ التَّرَفِ وَعَوَائِدُهُ وَخُرُوجَهَا

عَنْ حَدِّ النَّهَابَةِ حَتَّى تُقْصِرَ عَنْهَا وَجْهَهُ الْمَكْسَبِ وَمَذَاهِبُهُ وَلَا تَقْبِي بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
عَنِ الْمَكْسَبِ بِالْحِجْرَى الْعَاطِيَةِ لَمْ يَجِدْ وَلِجَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا التَّهَنُّبِي لَوْجُودِ الْعَمَالِ الْعَظِيمِ  
دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كَلَامَةِ ابْنِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَسْرِمَا فَيَعْرِضُ تَلَى ابْتِغَاءَ ذَلِكَ  
وَيَسْعَى فِيهِ جُهْدَهُ وَلَوْلَا نَأْيُ كَثُرٍ مِنْ تَرَاهُمْ يَحْرُصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمُ الْمُتَرَفُونَ مِنْ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَنْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ الْمَتَّسِعَةِ الْأَحْوَالِ بِمِثْلِ مِصْرَ وَمَا فِي  
مَعْنَاهَا فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُغْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ وَهَسَاءَ لَهُ الرَّكْبَانِ عَنْ شَوَازِهِ  
كَمَا يَحْرُصُونَ عَلَى الْكِيمِيَاءِ هَكَذَا بَأَغْنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مَذَاوِضِهِ مَنْ يَلْقَوْنَهُ مِنْ  
طَلَبَةِ الْمَغَارِبَةِ لَعَلَّهُمْ يَعْثُرُونَ مِنْهُ تَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ وَيَزِيدُونَ تَلَى ذَلِكَ أَلْبَحْثَ عَنْ  
تَغْوِيرِ الْعِيَاهِ لِمَا يَرُونَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كَلَمَّا فِي تِجَارِي النَّيْلِ وَأَنَّهُ أَعْظَمُ  
مَا يَسْتَرُ دَفِينًا أَوْ يُغْتَرَا فِي تِلْكَ الْأَنْاقِ وَيُحْمَوُهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ الدَّفَاتِرِ الْمُفْتَعَلَةِ  
فِي الْأَعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِحِرَابَةِ النَّيْلِ تَسْتُرًا بِذَلِكَ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّى يَحْصَلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ فَيَعْرِضُ سَامِعٌ ذَلِكَ مِنْهُمْ تَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخِرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مُبْتِغَاؤِ  
مِنْ هَذِهِ كَلَفًا بِشَأْنِ السَّخِرِ مُتَوَارِثًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوْلِيهِ فَعُلُومُهُمُ السَّخِرِيَّةُ وَأَنْزَارُهَا  
بَاقِيَةٌ بِأَرْفِهِمْ فِي الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَقِصَّةُ سَحْرَةٍ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ بِأَخْصَاءِهِمْ بِذَلِكَ  
وَقَدْ تَنَاقَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قِصِيدَةً يَنْسُبُونَهَا إِلَى حُكْمَاءِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ  
الْعَمَلِ بِالْتغْوِيرِ بِصِنَاعَةِ سَحْرِيَّةٍ حَسَبَمَا تَرَاهُ فِيهَا وَهِيَ هَذِهِ

يَا طَالِبًا لِلْبَيْرِ فِي التَّغْوِيرِ	إِسْمَعِ كَلَامَ الصِّدْقِ مِنْ خَبِيرِ
دَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَفُوا فِي كُنُهِهِمْ	مِنْ قَوْلِ بَيْهَتَانٍ وَلَقَطِ عُرُورِ
وَأَسْمَعِ لِصِدْقِ مَقَالِي وَنَصِيحِي	إِنْ كُنْتَ مِيمَنَ لَا يَرَى بِالزُّورِ
فَإِذَا أَرَدْتَ تَغْوَرَ الْبَيْرِ الَّتِي	حَارَتْ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ
صَوَّرَ كُصُورَتِكَ الَّتِي أَوْقَفْتَهَا	وَالرَّأْسُ رَأْسُ الشَّيْلِ فِي التَّقْوِيرِ
وَيَدَاهُ مَاسِكَتَانِ لِلْحَبْلِ الَّذِي	فِي الدَّلْوِ يُنْشَلُ مِنْ قَرَارِ الْبِيرِ
وَيَصُدْرُهُ هَاهُ كَمَا عَابَتْهَا	عَدَدُ الطَّلَاقِ أَحْذَرُ مِنَ التَّكْرِيرِ
وَيَطَّأُ عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مَلَامِسِ	مَشِيِ الْأَلْيَبِ الْكَيْسِ النِّعْرِيْرِ
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ خَطٌّ دَائِرٌ	تَرْيِيعُهُ أَوْلَى مِنَ التَّكْوِيرِ

وَأَذْبَجَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّحْنَ بِهِ  
 بِالسُّنْدُرُوسِ وَبِاللَّبَانِ وَمِيعَةً  
 مِنْ أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرَ لَا أَرْقِي  
 وَيَشُدُّه خَيْطَانُ صُوفٍ أَيْضًا  
 وَالطَّلَاحُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَبْنُو  
 وَالْبَدْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدِ عَطَارِدٍ  
 وَأَقْصِدُهُ عُقْبَ الذَّبْحِ بِالتَّبْخِيرِ  
 وَالْقِسْطِ وَالْبِسْهُ بِثَوْبٍ حَرِيرٍ  
 لَا أَخْضَرَ فِيهِ وَلَا تَكْذِيرِ  
 أَوْ أَحْمَرَ مِنْ خَالِصِ التَّحْمِيرِ  
 وَيَكُونُ بَدَهُ الشَّهْرِ غَيْرَ مُبِيرِ  
 فِي يَوْمِ سَبْتِ سَاعَةِ التَّذْيِيرِ

يعني أن تكون الطاءات بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندي أن هذه القصيدة من  
 تمويهات المتخرفين فلهم في ذلك أحوال غريبة وأصطلاحات عجيبه وتنتهي التخرife  
 والكذب بهم إلى أن يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة ليمثل هذه  
 ويخترعون الحفر ويضعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم  
 ثم يقصدون ضعفاء العقول بأمثال هذه الصحائف ويعثون على كبراء ذلك المنزل  
 وسكاه ويوهمون أن به ديناً من المال لا يعبر عن كثيره ويطلبون المال لأشتره  
 المعاقير والبخورات لجل الطلسم ويعدونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هناك  
 بأنفسهم ومن فليهم فينبعث لما يراه من ذلك وهو قد خدع وليس عليه من حيث لا  
 يشعر وينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليحفي عند محاورتهم  
 فيما يتلونه من حفر وبخور وذبح حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام في ذلك على  
 الحقيقة فلا أصل له في علم ولا خبر وأعلم أن الكون وإن كانت توجد لكنها  
 في حكم النادر وعلى وجه الاتفاق لا على وجه القصد إليها وليس ذلك بامر تعم  
 به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت الأرض ويختمون عليها بالطلاسم لا  
 في القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين  
 الجاهلية إنما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب وأيضاً فمن آخزن مائة وختم  
 عليه بالأعمال السحرية فقد بالغ في إخفائه فكيف ينصب عليه الأدلة والامارات  
 لمن يتفديه ويكتب ذلك في الصحائف حتى يطالع على ذخيره أهل الأمتار والآفاق  
 هذا يتأفض قصد الإخفاء وأيضاً فأفعال العقلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود  
 في الانتفاع ومن آخزن المال فإنه يختزنه لوليه أو قريبه أو من يؤثره وأما أن



يَقْصِدُ إِخْفَاءَهُ بِالْكَلْبِيَّةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
 بِالْكَلْبِيَّةِ مَعْنَى سِيَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقَلَاءِ بِوَجْهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
 أَيْنَ أَمْوَالُ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِنَا وَمَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْوُفُورِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنْ  
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْتَعَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَاسِبُ مِثْلُ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ  
 وَالرَّصَاصِ وَسَائِرِ الْعَقَارَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمُرَانِ يُظْهِرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَزِيدُ  
 فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا انْتَقَلَ مِنْ  
 قَطْرٍ إِلَى قَطْرٍ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ اغْتِرَاضِهِ وَالْعُمُرَانُ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنْ  
 نَقَصَ الْمَالُ فِي الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ فَلَمْ يَنْقُصْ بِيَلَادِ الصَّقَالِبَةِ وَالْإِفْرَنْجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
 مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ الْآلَاتُ وَالْمَكَاسِبُ وَالْعُمُرَانُ  
 يُوقِرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يُدْرِكُهَا الْبَلَاءُ حَكَمَا يُدْرِكُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ  
 وَيُسْرِعُ إِلَى اللَّوْلُوءِ وَالْجَوْهَرِ أَعْظَمَ مِمَّا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ  
 وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ بِنَالِهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
 وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكَنْوُزِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكَةِ الْقِبْطِ  
 مِنْذُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يُدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
 وَالْجَوْهَرِ وَاللَّيْلِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقِبْطِ وَمَلَكَ  
 الْفَرَسُ بِلَادَهُمْ تَقَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
 كَأَهْرَامٍ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
 مَظَنَّةً لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيُعْتَرَى عَلَى الدِّفِينِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَدْفِنُونَهُ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدِّفِينِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَائِبَتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
 مَعْدَةٌ لِذَلِكَ قَصَّارَتِ قُبُورُ الْقِبْطِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مَظَنَّةً لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
 عَنَى أَهْلُ مِصْرَ بِالنَّبْحِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ ضُرِبَتْ  
 الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ آخِرِ الدَّوَلَةِ ضُرِبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ خَرِيْبَةٌ عَلَى مَنْ  
 يَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَمِيِّ وَالْمُهَوِّسِينَ فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَمَطِّطُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
 الدَّرِيْعَةَ إِلَى الْكَشْفِ عَنْهُ وَالذَّرْعَ بِاسْتِخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخَلِيْبَةِ فِي جَمِيعِ  
 مَسَاعِيهِمْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ وَأَبْتَلِي بِهِ أَنْ

يَتَعَوَّدُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَبَنَصِرَتْ عَنْ طُرُقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِالْمَحَالَّاتِ وَالْمَكَاذِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْحُظْوَةَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ يَسَارًا وَثَرْوَةً مِنْ فَاقِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ مُخْدُومٌ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّزَانِفِ وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَأَلْتَأَسُ مُعِينُونَ لَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِي أَوْ حَاجِي أَوْ كَمَا لِي فَتَحْصُلُ قِيمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ بِسْتَعْمَلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ فَتَتَوَقَّرُ قِيمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ فَهُوَ بَيْنَ قِيمِ الْأَعْمَالِ بِكَتْسِهَا وَقِيمِ أُخْرَى تَدْعُوهُ الْضَرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَتَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتُقْبَلُ الْغَنَى لِأَقْرَبِ وَقْتٍ وَيَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ يَسَارًا وَثَرْوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ الْإِمَارَةُ أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ مَالٍ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا هُمْ أَكْثَرُ التُّجَّارِ وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَيْسَرَ بِكَثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِنَيْكِ أَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اشْتَهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مُعَامَلَةَ اللَّهِ فِي إِزْفَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْإِعْتِمَالِ فِي مَضَالِحِهِمْ وَأَمْرَعَتِ الْيَهِيمِ الثَّرْوَةَ وَأَصْبَحُوا مَيَّاسِيرَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِيمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتِ الْمَعُونَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ رَأَيْنَا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَادًا فِي الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَفِي الْبَدْوِ يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْفَلْحِ وَالتَّجْرِ وَكُلُّهُ هُوَ قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ لَا يَبْرُحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْمُو مَالُهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغَنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَيَتَجَبُّ مَنْ لَا يَفْطَنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي حَالِ ثَرْوَتِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتلقى

وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَتْ لَنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ قِيمٌ أَعْمَالِهِمْ  
وَلَوْ قُدِّرَ أَحَدٌ عَطْلٌ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ فَاقِدَ الْكَسْبِ بِالْكَامِيَةِ وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ  
وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدْرُ قِيمَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُمُو كَسْبِهِ  
أَوْ نَقْصَانُهُ وَقَدْ يَتَنَا إِنَّمَا أَنَّ الْجَاهُ يُفِيدُ الْمَالَ لِمَا يَحْتَصِلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ  
بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ  
أَوْ مَالٍ عَوْضًا عَمَّا يَحْتَصِلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَقِيمَتِهَا أَمْوَالٌ وَتَرْوَةٌ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالنِّسَارَ لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
ثُمَّ إِنَّ الْجَاهَ مُتَوَزِعٌ فِي النَّاسِ وَمُتَرْتَّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ يَنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى  
الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ فَوْقَهُمْ بَدٌّ عَالِيَةٌ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ خَيْرًا وَلَا نَفْعًا بَيْنَ أَبْنَاءِ  
جَنْسِهِ وَيَبِينُ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشَهُمْ وَيَتَسَرَّرُ  
مَصَالِحَهُمْ وَيَتِيمٌ بَقَاؤُهُمْ لِأَنَّ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِيمٌ وَجُودُهُ إِلَّا بِالْعَمَاقِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ  
أَقْدُ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَفْرُوضَةٍ لَا يَصُحُّ بَقَاؤُهُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعَمَاقُ لَا يَحْتَصِلُ إِلَّا بِالْإِكْرَامِ  
عَلَيْهِ لِحَبْلِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النَّوْعِ وَلِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ  
إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرُّؤْيَةِ لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا فَلَا  
بَدٌّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرَهُ أَبْنَاءُ النَّوْعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِتَمِّمِ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ فِي بَقَاءِ هَذَا  
النَّوْعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا مَغْرِبًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْجَاهَ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَامِلَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى  
التَّصَرُّفِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسْلُطِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ  
لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى  
أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالذَّاتِ وَالتَّانِي  
دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِيمٌ وَجُودُ  
الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرِّ يَسِيرٍ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَقَعُ

عَلَى مَا يَطَّوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْبَسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَفُوعِ الظُّلْمِ فِي الخَلِيقَةِ فَفَهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ التَّمْرِانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مَنْ دُونَهَا مِنْ  
 الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَعِدُّ بِيَدِي أَجْزَاءِ مَنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
 وَيَزِدَادُ كَسْبَهُ تَصَرُّفًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَأَجْزَاءُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
 عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ المَعَاشِ وَبِتَسْرِعٍ وَبِضَيْقٍ بِحَسَبِ الطَّبَقَةِ وَالطُّورِ الَّذِي فِيهِ  
 صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ أَجْزَاءُ مَنْسَعًا كَانَ الكَسْبُ النَّاسِيَّ عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيْقًا قَلِيلًا  
 فَثَلْثُهُ وَقَافِدُ أَجْزَاءِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ يُسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
 سَعْيِهِ ذَاهِبًا وَآيَا فِي تَسْمِيَّتِهِ كَأَكْثَرِ التُّجَّارِ وَأَهْلِ الفِلاحةِ فِي الغَالِبِ وَأَهْلِ الصَّنَائِعِ  
 كَذَلِكَ إِذَا فَقَدُوا أَجْزَاءَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَأَيُّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى الفَقْرِ  
 وَالخِصَاصَةِ فِي الأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ تَرَوَةٌ وَإِنَّمَا يُرْمَقُونَ العَيْشَ تَرْمِيمًا وَيَدَافُونَ  
 ضَرُورَةَ الفَقْرِ مُدَافَعَةً وَإِذَا تَمَرَّرَ ذَلِكَ وَأَنَّ أَجْزَاءَ مُتَفَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالخَيْرَ مُقْتَرِنَانِ  
 مُحْصُولُهُ عَلِمَتْ أَنَّ بَدْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَجْلَهَا وَأَنَّ بَادِلَهُ مِنْ أَجْلِ النُّعْمِ  
 وَإِنَّمَا يَبْدُلُهُ إِمْنٌ تَحْتَ يَدِهِ فَيَكُونُ بَدْلُهُ بِيَدِ عَالِيَةٍ وَعِزَّةٌ فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى  
 خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ العِزِّ وَالْمُلُوكِ وَإِلَّا فَيَتَعَذَّرُ حُصُولُهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنْ  
 الخُضُوعِ وَالتَّمَلُّقِ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا أَجْزَاءِ الحُصُولِ لِلسَّعَادَةِ وَالكَسْبِ وَإِنْ  
 أَكْثَرَ أَهْلِ التَّرَوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهَذَا التَّمَلُّقِ وَلِهَذَا نَعْبُدُ الكَثِيرَ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفِ  
 وَالتَّمَلُّقِ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ أَجْزَاءِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسَبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
 إِلَى الفَقْرِ وَالخِصَاصَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الكِبْرَ وَالتَّرَفَ مِنَ الأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
 مِنْ تَوْهَمِ الكَمَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بَضَاعَتِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالعَالِمِ المُتَجَرِّبِ  
 فِي عِلْمِهِ وَالكَاتِبِ الحَبِيدِ فِي كِتَابَتِهِ أَوْ الشَّاعِرِ البَلِيغِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُحْسِنٍ فِي  
 صِنَاعَتِهِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ لِمَا بِيَدِهِ فَيَعْدُّ لَهُ تَرَفُّعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهَّمُ  
 أَهْلُ الأَنْسَابِ مِمَّنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مَشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طَوْرِ بَعِيرُونَ بِهِ بِمَا  
 رَأَوْهُ أَوْ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي المَدِينَةِ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
 إِلَيْهِمْ وَوَرِاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ فِي الحَاضِرِ بِالأَمْرِ المَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
 الحِيلَةِ وَالبَصْرِ وَالتُّجَّارِ بِالأُمُورِ قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِياجًا

إِلَيْهِ وَتَجِدُ هُوَ لِأَيِّ الْأَصْنَافِ كُلِّهِمْ مُتَرَفِّعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَسْتَلْقُونَ لِمَنْ  
هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَصْفِرُونَ مِنْ سِوَاهُمْ لِاعْتِقَادِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَنْكِفُ أَحَدُهُمْ  
عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَيَعُدُّهُ مَذَلَّةً وَهَوَانًا وَسَنَهًا وَيُحَاسِبُ النَّاسَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ  
إِيَّاهُ بِمِقْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْقِدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ ذَلِكَ  
وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ أَلْمُومُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَمِرُّ فِي عَنَاءٍ عَظِيمٍ  
مِنْ إِجْبَابِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِبَابَةِ النَّاسِ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْصُلُ لَهُ الْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ لِمَا فِي  
طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ النَّالِ وَقَدْ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ مَنْ لَمْ يَلْحَقْ فِي الْكَمَالِ وَالْتِرْفَعِ عَلَيْهِ  
إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنُوعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ وَالْأَسْطِطَالَةِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي ضَمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا  
فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَفْقُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقْتَهُ النَّاسُ بِهَذَا التَّرْفَعِ وَلَمْ  
يَحْصُلْ لَهُ حَظٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفَقَدَ الْجَاهَ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ  
الْمَقْتِ وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ تَعَاهُدِهِمْ وَغَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَفَسَدَ مَعَاشُهُ وَبَقِيَ  
فِي خِصَاصَةٍ وَفَقْرٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَأَمَّا الثَّرْوَةُ فَلَا تَحْصُلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا أَشْتَهَرَ  
بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْكَامِلَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ مِنَ الْحَظِّ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رُزِقَ مِنْ  
الْمَعْرِفَةِ وَاقْتَطِعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَظِّ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خُلِقَ لِشَيْءٍ يُسِرُّهُ وَاللَّهُ الْمَقْدِرُ  
لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ بَقِيَ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْمَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَيَرْتَفِعُ فِيهَا كَثِيرٌ  
مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلِيَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلِ إِذَا بَلَغَتْ نَهَايَتَهَا  
مِنَ الْعُتْبِ وَالْأَسْطِطَالَةِ انْفَرَدَ مِنْهَا مَنْبَتُ الْمَلِكِ بِمُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيَسَّسَ مِنْ سِوَاهُمْ  
مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبِ دُونَ مَرَاتِبَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَانَهُمْ حَوَّلَ  
لَهُ فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدُّوَلَةُ وَشَخَّخَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حِينئذٍ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلُّ  
مَنْ انْتَمَى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِعُنَائِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ  
مُهَيَّمَاتِهِ فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ السُّوْقَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِجِدِّهِ وَنُصْحِهِ وَيَتَزَلَّفُ  
إِلَيْهِ بِوُجُوهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظِيمٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْتِمَاقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلُ  
نَسَبِهِ حَتَّى يَرْتَمِحَ قَدَمَهُ مَعَهُمْ وَيَنْظِمُهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ  
مِنَ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمُ فِي عَدَدِ أَهْلِ الدُّوَلَةِ وَنَاشِئَةِ الدُّوَلَةِ حِينئذٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ  
ذَلُّوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهْدُوا أَكْثَانَهُمْ مُغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ لَمْ

تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِأَثَرِهِ وَيَجْرُونَ فِي مِضْمَارِ الدَّوْلَةِ بِسَبِّهِ  
فِيْمَقْتَهُمُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَيَبِيعُهُمْ وَيَبِيعُ إِلَى هَوْلَاءِ الْمُصْطَفِعِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقَدِيمِهِ وَلَا يَنْهَبُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِلَّا مَا دَأُّهُمْ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْتِمَاقُ وَالْإِعْتِمَالُ فِي  
عَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَعُّ جَاهُهُمْ وَتَعْلَمُونَ مَنَازِلَهُمْ وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخُوطُاطِرُ  
بِمَا يَحْضُلُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ وَيَبْقَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فِيْمَا هُمْ فِيهِ مِنْ  
التَّرْفَعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَوْلَاءِ  
الْمُصْطَفِعِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ  
الْمُصْطَفِعِينَ فِي الْغَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان  
ونحو ذلك لا نعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ كَمَا قَدَمْنَاهُ قِيَمَةُ الْأَعْمَالِ وَإِنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَانِ عَامَةً الْبَلَوَى بِهِ كَانَتْ قِيَمَتُهَا  
أَعْظَمَ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَةً الْخَلْقِ  
وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِنْ أَقْبَلِ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَخْجِجَ إِلَى الْفَتْيَا وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَضْطِرَّارِ وَالْعُمُومِ فَيَقَعُ الْأَسْتِغْنَاءُ عَنْ هَوْلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَإِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَامِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حَقًّا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النُّحُورِ الَّذِي قَرَزْنَاهُ لَا يَسَاوِيهِمْ بِأَهْلِ  
الشُّوْكَةِ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّينِ وَالْمَرَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِكُنْهٖ يُقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُمُومِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَلَا يَصِحُّ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لِشَرَفِ  
بِضَائِعِهِمْ أَعِزَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهُ حَقًّا  
يَسْتَدْرُونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَفْرُغُ أَوْقَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهَذِهِ الْبِضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسَعُهُمْ أَنْبَدَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لِشَرَفِ بِضَائِعِهِمْ فَهُمْ يَمْعَزِلُونَ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا نَعْظُمُ ثَرَوَتَهُمْ فِي الْغَالِبِ وَلَقَدْ  
بَاحَثْتُ بَعْضَ الْفَضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوْقَ يَدِي أَوْزَاقٌ مُخْرَقَةٌ مِنْ حِسَابَاتِ الدَّوَابِّ

بَدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدُّخْلِ وَالْخُرُجِ وَكَأَنَّهُ فِيمَا طَالَمَتْ فِيهِ أَرْزَاقُ  
الْقَضَاءِ وَالْإِيْمَةِ وَالْمَوْذَنِينَ فَوَقَفْتُهُ عَلَيْهِ وَعَلِمَ مِنْهُ صِحَّةَ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ  
مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ وَاللَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْغَالِبِ وَلَا مِنْ الْمُتَرَفِينَ وَيَخْتَصُّ مَنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السِّكَّةَ بَعْضُ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هُدَيْهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُ الذُّلُّ  
وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَسْتِكْثَارِ مِنْهُ وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بَابَ مَا يُحْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأَشْتِغَالِ  
بِأَلَةِ الزَّرْعِ أَوْ تَجَاوَزِ الْحَدِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ  
الْمُضْطَرِّ إِلَى التَّحَكُّمِ وَالْبَدُّ الْعَالِيَةُ فَيَكُونُ الْفَارْمُ ذَلِيلًا بَأْسًا بِمَا تَشَاوَلَهُ أَيْدِيهِ  
الْقَهْرِ وَالْإِسْتِطَالَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزَّرْكَاءُ مَغْرَمًا  
إِشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْعَضُوضِ التَّائِخِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ التَّمَسُّطُ وَالْجُورُ وَنَسِيَانُ حُقُوقِ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي الْمَتَمَوْلَاتِ وَاعْتِبَارُ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمَلُوكِ وَالِدُّوْلِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

إِعْلَمُ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةٌ الْكَسْبِ بِتَنْمِيعَةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السِّلْعِ بِالرُّخْصِ وَيَعْبَهُهَا  
بِالْفَلَاءِ أَيَّامَ كَانَتِ السِّلْعَةُ مِنْ دَقِيقِ أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانَ أَوْ قِمَاشٍ وَذَلِكَ الْقَدْرُ النَّامِي  
يُسَمَّى رِبْحًا فَأَلْحَاوَلُ لِذَلِكَ الرِّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَزِنَ السَّاعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ  
مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْفَلَاءِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَإِمَّا أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَنْفِقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلْعَةَ  
أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التُّجَّارِ  
لِطَلْبِ الْكَشْفِ عَنِ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلِمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتَرَاهُ الرُّخِيسِ وَيَبِيعُ  
الْفَالِي فَقَدْ حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَرَّرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من  
 ثمن الشراء إما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلدٍ هي فيه أنفق وأعلى أو بيعها  
 بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يسير إلا أن المال إذا  
 كان كثيراً عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه  
 التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في  
 تقاضي أثمانها وأهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطفيف العجيف بالبضائع  
 ومن المطلق في الأثمان العجيف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نموؤه  
 ومن الجحود والإنكار المسحوت لرأس المال إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة  
 وغنى الحكم في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك  
 أحوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التاجر من الربح إلا بعظم العناء والمشقة  
 أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فإن كان جريئاً على الخسومة بصيراً بالحسبان شديد  
 المحاكمة مقدماً على الحكم كان ذلك أقرب له إلى النصفة بجزء منه منهم  
 ومحاكته وإلا فلا بد له من جوار يدرع به يوقع له الهينة عند الباعة ويحبل  
 الحكم على إنصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الأول  
 وكرهاً في الثاني وأما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكم  
 فينبغي له أن يجتنب الاختراقات بالتجارة لأنه يعرض ماله للضياع والذهب وبصير  
 ما كلة الباعة ولا يكاد يتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعة  
 شرهون إلى ما في أيدي الناس سواءم متوثبون عليه ولولا وازع الأحكام لأصبحت  
 أموال الناس نهباً ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله  
 أو فضل على العالمين

## الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك  
 وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعاؤون البيع والشراء ولا بد فيه من



المُكَايَسَةُ ضَرُورَةٌ فَإِنْ أَقْتَصِرَ عَلَيْهَا أَقْتَصِرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا وَهِيَ أَعْيَى خُلُقِ الْمُكَايَسَةِ  
بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَرْوَةِ الَّتِي تَتَخَلَّقُ بِهَا الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ وَأَمَّا إِنْ أُسْتُزِلَ خُلُقُهُ بِمَا يَتَّبِعُ  
ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْهُمْ مِنَ الْمُسَاحِكَةِ وَالغَشِّ وَالْخَلَابَةِ وَتَعَاهُدِ الْإِيمَانِ  
الْكَاذِبَةِ عَلَى الْإِيمَانِ رَدًّا وَقُبُولًا فَأَجْدِرُ بِذَلِكَ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْمَدَلَّةِ لِمَا  
هُوَ مَعْرُوفٌ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ الرِّئَاسَةِ يَتَحَامُونَ الْأَحْرَافَ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ لِأَجْلِ مَا يُكَسِبُ  
مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَيَتَحَامَاهُ لِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ  
جَلَالِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي النَّادِرِ بَيْنَ الْوُجُودِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَهُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التَّاجِرُ الْبَصِيرُ بِالتِّجَارَةِ لَا يَنْقُلُ مِنَ السَّلْعِ إِلَّا مَا تَعْمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ  
وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ إِذْ فِي ذَلِكَ تَفَاقُ سَاعَتِهِ وَأَمَّا إِذَا اخْتَصَّ نَقْلَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ  
فَقَطَّ فَقَدْ يَتَعَدَّرُ تَفَاقُ سَاعَتِهِ حِينَئِذٍ بِأَعْوَازِ الشِّرَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ  
فَتَمَكُّسُ سُوقُهُ وَتَفْسُدُ أَرْبَاحُهُ وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السَّلْعَةَ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا يَنْقُلُ  
الْوَسْطَ مِنْ صِنْفِهَا فَإِنَّ الْعَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السَّلْعِ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ التَّرْوَةِ  
وَحَاشِيَةُ الدُّوَلَةِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أَسْوَأَ فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطِ مِنْ كُلِّ  
صِنْفٍ فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ جِهَةً فِيهِ تَفَاقُ سَاعَةٍ أَوْ كَسَادُهَا وَكَذَلِكَ نَقْلُ السَّلْعِ مِنَ الْبَلَدِ  
الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ يَكُونُ أَكْثَرَ فَائِدَةً لِلتِّجَارِ وَأَعْظَمَ  
أَرْبَاحًا وَأَكْفَلَ بِجَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ السَّلْعَةَ الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً  
لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْفَرَرِ فِي طَرِيقِهَا فَيَقِلُّ حَامِلُوهَا وَيَعْرِضُ وُجُودُهَا وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ  
عَلَّتْ أَثْمَانُهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ وَالطَّرِيقُ سَابِلًا بِالْأَمْنِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ  
يَكْثُرُ نَاقِلُوهَا فَتَكْثُرُ وَتَرْتَخِصُ أَثْمَانُهَا وَلِهَذَا تَجِدُ التِّجَارَةَ الَّتِي يُولَعُونَ بِالدُّخُولِ إِلَى  
بِلَادِ السُّودَانَ أَرْزَقَهُ النَّاسُ وَأَكْثَرُهُمْ أَمْوَالًا لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ وَعَارِضِ الْمَغَازَةِ  
الصَّعْبَةِ الْمَخْطَرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ لَا يُوْجَدُ فِيهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَا كُنْ مَعْلُومَةً يَهْتَدِي  
إِلَيْهَا أَدِلَّاهُ الرُّكْبَانُ فَلَا يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ فَتَجِدُ

سِلْعِ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةٌ لَدَيْنَا فَتُخْتَصُّ بِالْعِلَاءِ وَكَذَلِكَ سَاعِنَا لَدَيْهِمْ فَتَعْتَمِدُ بَضَائِعُ التُّجَّارِ مِنْ تَنَاقُلِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمُرْتَدُّونَ فِي أَفْقٍ وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبُلْدَانِهِ ففَائِدَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَنْ بَاحَهُمْ نَافِيَةٌ كَثِيرَةٌ أَلْسِنَةٌ وَكَثِيرَةٌ نَاقِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

### الفصل الثالث عشر

#### في الاحتكار

وَمِمَّا اشْتَهَرَ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَرِ وَالْتَجَرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنْ اخْتِكَارَ الرِّزْقِ لِيَحْيِيَ أَوْقَاتَ الْعِلَاءِ مَشُومٌ وَأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى فَائِدَتِهِ بِالْتَلَفِ وَأَخْسِرَانِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُونَ إِلَى مَا يَبْدُلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَالِ اضْطِرَارًا فَتَبْقَى النَّفُوسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ النَّفُوسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ تَجَانًا وَلَعَلَّهُ الَّذِي أَعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَجَانًا فَالنَّفُوسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعَذْرِ فَهُوَ كَالْمُكْرَمِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ وَالْمَأْكُولَاتِ مِنَ الْمَبِيعَاتِ لَا اضْطِرَّارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا التَّفَنُّنُ فِي الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْدُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِأَخْبَارٍ وَحِرْصٍ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أَعْطَاهُ فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عُرِفَ بِالْإِخْتِكَارِ تَجْتَمِعُ الْقَوَى الْفَسَانِيَّةُ عَلَيْهِ مُتَابِعِينَ لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَفْسُدُ رِبْحُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيمَا يُنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ ظَرِيفَةٍ عَنْ بَعْضِ مَشِيخَةِ الْمَغْرِبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَادِي بِقَاسٍ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَكِّيُّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْتَارَ بَعْضُ الْأَقَابِ الْخَزَنِيَّةِ لِجَرَابَتِهِ قَالَ فَاطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ مِنْ مَكْسِ الْخَمْرِ فَاسْتَضْمِكَ الْخَامِرُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَجِبُوا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَبَايَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا فَاخْتَارَ مِنْهَا مَا لَا تُتَابِعُهُ نَفْسُ مُعْطِيهِ وَالْخَمْرُ قُلٌّ أَنْ يَبْدَلَ فِيهَا أَحَدٌ مَالَهُ إِلَّا وَهُوَ طَرِبٌ مَسْرُورٌ بِوُجُودَاتِهِ غَيْرُ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مَلَا حِظَّةٌ غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَكْنِي الصُّدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص.

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ وَالْمَعَاشَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالصَّنَاعِ أَوْ التِّجَارَةِ  
وَالنِّجَارَةِ هِيَ شِرَاهُ الْبَضَائِعِ وَالسَّلْعِ وَأَدَّخَارُهَا تَحِينَ بِهَا حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ بِالزِّيَادَةِ فِي  
أَثْمَانِهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا وَيَحْضُلُ مِنْهُ الْكَسْبُ وَالْمَعَاشُ لِلْمُحْتَرِفِينَ بِالتِّجَارَةِ دَائِمًا فَإِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصُ فِي سَاعَةٍ أَوْ عَرَضٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَلْبُوسٍ أَوْ مَتَمَوْلٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَلَمْ يَحْضُلْ لِلتَّاجِرِ حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ فَسَدَ الرِّبْحُ وَالنِّعْمَةُ يَطُولُ تِلْكَ الْمُدَّةُ وَكَسَدَتْ  
سُوقُ ذَلِكَ الصَّنِفِ فَقَعَدَ التُّجَّارُ عَنِ السَّعْيِ فِيهَا وَقَسَدَتْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ  
أَوَّلًا بِالزَّرْعِ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَدِيمَ رُخْصُهُ يَفْسُدُ بِهِ حَالُ الْمُحْتَرِفِينَ بِسَائِرِ أَطْوَارِهِ مِنْ  
الْفَلْحِ وَالزِّرَاعَةِ لِقَلَّةِ الرِّبْحِ فِيهِ وَتَدَارِيهِ أَوْ فَقْدِهِ فَيَفْقِدُونَ التَّمَاءَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ  
يَعْبُدُونَهُ عَلَى قَلَّةٍ وَيَعُودُونَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالنَّخْصَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ فَسَادُ حَالِ الْمُحْتَرِفِينَ أَيْضًا بِالطَّخَنِ وَالنَّجْزِ وَسَائِرِ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِالزِّرَاعَةِ مِنَ الْحَرْثِ إِلَى صَيْرُورَتِهِ مَا كُؤُلًا وَكَذَا يَفْسُدُ حَالُ الْجُنْدِ إِذَا كَانَتْ  
أَرْزَاقُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْفَلْحِ زَرْعًا فَإِنَّهَا تَقْلُ حَيَاتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَجَزَّوْنَ عَنِ  
إِقَامَةِ الْجُنْدِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِسَبَبِهَا وَمَطَالِبُونَ بِهَا وَمَنْقَطِعُونَ لَهَا فَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَكَذَا إِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصُ فِي السُّكَّرِ أَوْ الْعَسَلِ فَسَدَ جَمِيعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَقَعَدَ الْمُحْتَرِفُونَ عَنِ  
التِّجَارَةِ فِيهِ وَكَذَا الْمَلْبُوسَاتُ إِذَا اسْتَدِيمَ فِيهَا الرَّخْصُ فَإِذَا الرَّخْصُ الْمَفْرُطُ يُعْجَفُ  
بِمَعَاشِ الْمُحْتَرِفِينَ بِذَلِكَ الصَّنِفِ الرَّخِيبِ وَكَذَلِكَ الْغَلَاءُ الْمَفْرُطُ أَيْضًا وَإِنَّمَا مَعَاشُ  
النَّاسِ وَكَسْبُهُمْ فِي التَّوَسُّطِ مِنْ ذَلِكَ وَسُرْعَةَ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَعِلْمُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْعَوَائِدِ الْمُنْقَرَّةِ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ وَإِنَّمَا يُخَمَدُ الرَّخْصُ فِي الزَّرْعِ مِنْ بَيْنِ الْمَيْمِعَاتِ  
لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَأَضْطِرَّارِ النَّاسِ إِلَى الْأَقْوَاتِ مِنْ بَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْعَالَةِ مِنَ  
الْمَخْلُقِ هُمْ الْأَكْثَرُ فِي الْعُمَرَانِ فَيَعْمُرُ الرَّفْقُ بِذَلِكَ وَيُرْجِعُ جَانِبَ الْقُوْتِ عَلَى جَانِبِ  
التِّجَارَةِ فِي هَذَا الصَّنِفِ الْخَاصِّ وَاللَّهُ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروءساء وبعيدة من المروءة  
 قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد  
 والازباج ولا بد في ذلك من المكابسة والمماحكة والتخذي وما رسة الخصومات واللجاج  
 وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمروءة وتجرح فيها لان  
 الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعود بآثار الخير والزركاء  
 وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ إن سبقت وتكررت وتنقص  
 خلال الخير إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات  
 الناشئة عن الأفعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في أطوارهم فمن  
 كان منهم سافل الطور مخالفا لأشرار الباعة أهل العش والخلاية والفجور في الأثمان  
 إقرارا وانكارا كانت رذاعة تلك الخلق عنه أشد وغابت عليه السفسفة وبعده عن  
 المروءة واكتسابها بالجملة والأفلا بد له من تأثير المكابسة والمماحكة في  
 مروءته وفقدان ذلك منه في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل  
 قبله أنهم يدرعون بالجاه ويعرض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر  
 وذلك ان يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل  
 يسه فحصلت له تروءة معينة على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهورا ومهرة بين أهل  
 عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه  
 ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره وإتخافه فيبدونه عن  
 تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مروءتهم أرتخ  
 وابتعد عن تلك الحاجة إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فإنهم  
 يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ورفاقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يدرون  
 من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وماتعمالون

### الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم  
 أعلم ان الصنعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عمليا هو جسماني

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ فَتَقْلِبُهَا بِإِنْمَابَشَرَةٍ أَوْعِبُ لَهَا وَأَكْمَلُ لِأَنَّ  
 الْمُبَاشَرَةَ فِي الْأَحْوَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ أُمَّمٌ فَائِدَةٌ وَالْمَلَكَةُ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ تَحْضُرُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَتَكَرَّرَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرْتَمِعَ صُورَتُهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقْلِبُ الْمَعَابِنَةَ أَوْعِبُ وَأُمَّمٌ مِنْ تَقْلِبِ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ فَالْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ  
 عَنِ الْخَبَرِ عَلَى قَدْرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَائِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمَرْكَبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يُتَخَصَّصُ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمَرْكَبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمُ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِسَاطِنِهِ  
 أَوَّلًا وَلِإِنَّهُ يُتَخَصَّصُ بِالضَّرُورِيِّ الَّذِي يَتَمَوَّنُ الدَّوَاعِيَ عَلَى تَقْلِبِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَمَرْكَبَاتِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالْإِسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى تَكْمَلَ وَلَا يَحْضُرُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يَحْضُرُ  
 فِي أَرْزَاقِ وَأَجْزَالِ إِذْ خُرُوجِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهُ إِذَنْ مِنْ زَمَانٍ وَلِهَذَا تُجَدُّ الصَّنَائِعُ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوْجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَزَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورَ التَّرَفِّ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَائِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يُتَخَصَّصُ  
 بِأَمْرِ الْمَعَاشِ فَضَّرُورِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ ضَّرُورِيٍّ وَإِلَى مَا يُتَخَصَّصُ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصِيَّةُ  
 الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنْ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةُ وَالْحِزَارَةُ وَالنِّجَارَةُ  
 وَالْحِدَادَةُ وَأَمْثَالُهَا وَمِنْ الثَّانِي الْوَرَاقَةُ وَهِيَ مَعَانَاةُ الْكُتُبِ بِالْإِنْتِسَاحِ وَالْتَجْلِيدِ وَالغِنَاءِ  
 وَالشُّعْرُ وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الثَّلَاثِ الْجُنْدِيَّةُ وَأَمْثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

فِي إِنْ الصَّنَائِعِ إِنَّمَا تَكْمَلُ بِكَمَالِ الْعِمْرَانِ الْحَضْرِيِّ وَكَثْرَتِهِ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يُسْتَوْفِ الْعِمْرَانُ الْحَضْرِيُّ وَتَمَدَّنَ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَعَاشِ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْخِنِطَةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّنَتِ الْمَدِينَةُ وَتَزَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَفَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرْفَ الزَّائِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَمَالَاتِ مِنَ الْمَعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالغَدَائِيَّةِ فَهُوَ

مُقَدَّمٌ لِّضُرُورِيَّتِهِ عَلَى الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الضَّرُورِيِّ وَعَلَى مِقْدَارِ عُمُرَانِ  
الْبَلَدِ تَكُونُ جُودَةُ الصَّنَائِعِ اللَّتَانِي فِيهَا حَبِيئِيذٌ وَاسْتِجَادَةٌ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا بِمَجِيئِ تَتَوَفَّرُ  
دَوَاعِي التَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ وَأَمَّا الْعُمُرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوْ الْقَلِيلُ فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا  
الْبَسِيطَ خَاصَّةً الْمُسْتَعْمَلَ فِي الضَّرُورِيَّاتِ مِنْ نَجَارٍ أَوْ حَدَادٍ أَوْ خِيَّاطٍ أَوْ حَاكِكٍ أَوْ  
جَزَّارٍ وَإِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ بَعْدُ فَلَا تُوجَدُ فِيهِ كَامِلَةٌ وَلَا مُسْتَجَادَةٌ وَإِنَّمَا يُوْجَدُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ  
الضَّرُورَةِ إِذْ هِيَ كُلُّهَا وَسَائِلٌ إِلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ لِنَاتِهَا وَإِذَا زَخَرَ بِعَمْرِ الْعُمُرَانِ  
وَطَلِبَتْ فِيهِ الْكَمَالَاتُ كَانَ مِنْ جُمَلَتِهَا النَّاتِقُ فِي الصَّنَائِعِ وَاسْتِجَادَتِهَا فَكَمَلَتْ  
بِجَمِيعِ مَتَمِّمَاتِهَا وَتَزَايَدَتْ صَنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ التَّرَفِ وَأَحْوَالُهُ مِنْ  
جَزَّارٍ وَدَبَّاحٍ وَخَرَّازٍ وَصَائِغٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْتَهِي هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِذَا اسْتَجَرَّ الْعُمُرَانُ  
إِلَى أَنْ يُوْجَدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالنَّاتِقُ فِيهَا فِي الْغَايَةِ وَتَكُونُ مِنْ وُجُوهِ الْعِمَاشِ  
فِي الْمِصْرِ لِمُنْتَحِلِهَا بَلْ تَكُونُ قَائِدَتِهَا مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الْأَعْمَالِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُ  
فِي الْمَدِينَةِ مِثَالُ الدَّهَانِ وَالصَّفَّارِ وَالْحَمَّامِيِّ وَالطَّبَّاحِ وَالشَّمَّاعِ وَالْمُرَّاسِ وَمُعَلِّمِ الْغِنَاءِ  
وَالرَّفِصِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ عَلَى التَّوْقِيعِ وَمِثْلُ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يَعَانُونَ صِنَاعَةَ انْتِسَاخِ  
الْكِتَابِ وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْحِيحِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُ فِي الْمَدِينَةِ  
مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ إِذَا كَانَ الْعُمُرَانُ  
خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ كَمَا بَلَّغْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْلَمُ الطُّيُورَ الْعُجْمَ وَالْحُمْرَ  
الْإِنْسِيَّةَ وَيَتَخَيَّلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِأَيْهَامِ قَلْبِ الْأَعْيَانِ وَتَعَلِّمِ الْحِدَاءِ وَالرَّفِصِ  
وَالْمَشِيِّ عَلَى الْخَيْطِ فِي الْمَهْوَاءِ وَرَفَعِ الْأَثْقَالَ مِنَ الْحَيَوَانَ وَالنَّجَّارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ  
الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تُوجَدُ عِنْدَنَا بِالْمَغْرِبِ لِأَنَّ عُمُرَانَ أَمْصَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالنَّاهِرَةَ  
أَدَامَ اللَّهُ عُمُرَانَهَا بِالْمُسْلِمِينَ

### الفصل الثامن عشر

في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امده  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَوَائِدُ الْعُمُرَانِ وَالْأَوَانِ وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا  
تُرْسَخُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَطُولِ الْأَمَدِ فَتَسْتَحْكِمُ صِبْغَةَ ذَلِكَ وَتُرْسَخُ فِي الْأَجْيَالِ  
وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصِّبْغَةُ عَسَرَ نَزْعُهَا وَإِهْدَا نَجِدُ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي كَانَتْ اسْتَجَرَّتْ فِي

الْحِضَارَةَ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمَرَانَهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَّتَ فِيهَا آثَارًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَبَسَتْ فِي غَيْرِهَا  
 مِنَ الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمَرَانِ وَلَوْ بَلَّغَتْ مَبَالِغَهَا فِي الْوُفُورِ وَالْمَكْتَرَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا  
 لِأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمَرَانِ مُسْتَحْكِمَةٌ رَاسِخَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
 وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ تَبْلُغْ الْعَايَةَ بَعْدُ وَهَذَا كَالْحَالِ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
 فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
 أَمْصَارِهَا كَالْمَبَانِي وَالطَّبِخِ وَأَصْنَافِ الْعِنَاءِ وَاللَّهْرِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَوْتَارِ وَالرَّانِصِ  
 وَتَنْصِيدِ الْفُرُشِ فِي الْقُصُورِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصَوْنِ الْآيَةِ مِنْ  
 الْمَعَادِنِ وَالخَرْفِ وَجَمِيعِ الْمَوَاعِينِ وَإِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
 يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ وَعَوَائِدُهَا فَجَدُّهُمْ أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَنَجَدُ صَنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
 لَدَيْهِمْ فَهُمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَظٌّ مُتَمَيِّزٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
 عُمَرَانُهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْمَكْتَرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمَرَانَ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُودِ وَمَا ذَاكَ  
 إِلَّا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ رُسُوخِ الْحِضَارَةِ فِيهِمْ بِرُسُوخِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ دَوْلَةِ  
 الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطُّوَّائِفِ وَهَلُمَّ جَرَّافَتِ الْحِضَارَةَ فِيهَا مَبَالِغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي قَطْرِ  
 الْأَمَّا يُنْقَلُ عَنِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَيْضًا لِطُولِ أَمَادِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
 الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْأَسْتِجَادَةِ وَالتَّنْمِيقِ وَبَقِيَّتْ صِبْغَتُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
 الْعُمَرَانِ لَا تُفَارِقُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَقِضَ بِالْكُلِّيَّةِ حَالُ الصَّبْغِ إِذَا رَسَخَ فِي الثُّوبِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ ثُونَسٍ فِيمَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحِضَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَالْمَوْحِدِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَحْكَمَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
 دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَاعِفٌ بِرُسُومِهَا مِنْهَا تُنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ اقْتَرِبَ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا  
 وَتَزْدَدُ الْمَسَافِرِينَ مِنْ قَطْرِهَا إِلَى قَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
 عُسُودًا فَيَنْقِلُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَتَحْكَمِ صَنَائِعِهِمْ مَا يَقَعُ لَدَيْهِمْ مَوْجِعَ الْأَسْتِخْسَانِ  
 فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُتَشَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
 مَا أَنَّ أَكْثَرَ سَاكِنِيهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ الْجَلَاءِ لِعَهْدِ الْعِمَانَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالٌ وَإِنْ كَانَ عُمَرَانُهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ  
 إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا تَحُولُ إِلَّا بِزَوَالِ مَحَلِّهَا وَكَذَا نَجِدُ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَرَاكِشَ وَقَلْعَةَ

أَبْنِ حَمَادٍ أُنْزَا بَاقِيَا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا الْيَوْمَ خَرَابًا أَوْ فِي حُكْمِ الْخُرَابِ  
وَلَا يَتَفَتَّنُ لَهَا إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ النَّاسِ فَيَجِدُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ آثَارًا تَدُلُّهُ عَلَى مَا كَانَ بِهَا  
كَأَنَّ الْخَطَّ الْمَحْضُورَ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تسجد وتكثر اذا كثر طالبيها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَمَحُّ بِعَمَلِهِ أَنْ يَقَعَ تَجَانًا لِأَنَّهُ كَسْبُهُ  
وَمِنْهُ مَعَاشُهُ إِذْ لَا فَايْدَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ فَلَا يَبْصُرُهُ إِلَّا فِيمَا لَهُ  
قِيَمَةٌ فِي مِضْرِهِ لِيَعُودَ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ وَإِنْ كَانَتْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا التَّفَاقُ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ الصَّنَاعَةُ بِمِثَابَةِ السَّاعَةِ الَّتِي تَنْفُقُ سُوقُهَا وَتُجَلَّبُ لِلْبَيْعِ فَتَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي  
الْمَدِينَةِ لِتَعْلَمَ تِلْكَ الصَّنَاعَةَ لِيَكُونَ مِنْهَا مَعَاشُهُمْ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً لَمْ  
تَنْفُقْ سُوقُهَا وَلَا يُوَجَّهْ قَصْدٌ إِلَى تَعْلَمِهَا فَاخْتَصَّتْ بِالْتَرَكِ وَفَقِدَتْ لِلْإِهْمَالِ وَلِهَذَا يُقَالُ  
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُعْنَى بِدَعْنَى أَنْ صِنَاعَتُهُ هِيَ قِيَمَتُهُ أَيْ  
قِيَمَةُ عَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعَاشُهُ وَأَيْضًا فَهِيَ سِرٌّ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَإِجَادَتَهَا إِنَّمَا  
تَطْلُبُهَا الدَّوْلَةُ فَهِيَ الَّتِي تَنْفُقُ سُوقُهَا وَتُوَجَّهُ الطَّالِبَاتُ إِلَيْهَا وَمَا لَمْ تَطْلُبْهَا الدَّوْلَةُ وَإِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا غَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِضْرِ فَلَيْسَ عَلَى نِسْبَتِهَا لِأَنَّ الدَّوْلَةَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ وَقِيَمَتُهَا  
تَفَاقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ فِيهَا عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ فَمَا تَنَقَّ مِنْهَا كَانَ أَكْثَرِيًّا  
ضَرُورَةً وَالسُّوقَةَ وَإِنْ طَلَبُوا الصَّنَاعَةَ فَلَيْسَ طَلِبُهُمْ بِعَامٍّ وَلَا سُوقُهُمْ بِدَاقِقَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ

### الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع  
وَذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تُسْجَدُ إِذَا أُحْتِجَّ إِلَيْهَا وَكَثُرَ طَالِبُهَا وَإِذَا ضَعُفَتْ  
أَحْوَالُ الْمِضْرِ وَأَخَذَ فِي الْهَرَمِ بِانْتِقَاضِ عُمْرَانِهِ وَقَلَّةِ سَاكِنِيهِ تَنَاقَصَ فِيهِ التَّرَفُ وَرَجَعُوا  
إِلَى الْأَقْنِصَارِ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ أَحْوَالِهِمْ فَتَقَلَّ الصَّنَائِعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَاجِعِ التَّرَفِ لِأَنَّ  
مَاحِبَهَا حِينَئِذٍ لَا يَصِحُّ لَهُ بِهَا مَعَاشُهُ فَيَقْرُبُ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ يَمُوتُ وَلَا يَكُونُ خَلْفٌ مِنْهُ



فَيَذْهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جُمْلَةً كَمَا يَذْهَبُ النَّقَّاشُونَ وَالصُّوَّاعُ وَالْكَتَّابُ وَالنَّسَّاحُ وَأَمْثَالُهُمْ  
مِنَ الصَّنَائِعِ لِحَاجَاتِ التَّرْتِفِ وَلَا تَزَالُ الصِّنَاعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضَعَلَ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

### الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمَرَانِ الْحَضْرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا وَالْعَجْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ عُدْوَةٌ النَّجْرِ الرَّومِيِّ  
أَقْوَمُ النَّاسِ عَلَيْهَا لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْعُمَرَانِ الْحَضْرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمَرَانِهِ حَتَّى  
إِنَّ الْإِبِلَ الَّتِي آذَانَتِ الْعَرَبَ عَلَى التَّوْحُشِ فِي الْقَفْرِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَفْقُودَةٌ مَرَاعِيهَا وَالرِّمَالُ الْمَهِيئَةُ لِنَتَاجِهَا وَهَذَا نَجْدُ أَوْطَانِ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكَوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلُ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى يَجْلِبَ إِلَيْهِ مِنْ قَطْرٍ آخَرَ وَأَنْظُرَ بِلَادَ الْعَجْمِ  
مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضِ التُّرْكِ وَأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْبَرَتْ فِيهِمْ الصَّنَائِعُ  
وَأَسْتَجْلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَعَجْمُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَرْبَرِ مِثْلُ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِرُسُوحِهِمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مِنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السِّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ قَلَّةُ الْأَمْصَارِ بِقَطْرِهِمْ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِذَلِكَ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنِيَ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسْجِهِ وَالنَّجْدِ فِي خَزَرِهِ وَدَبْغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحَضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا الْمَبَالِغَ لِعُمُومِ الْبَلْوَى بِهَا  
وَكَوْنِ هَذَيْنِ أَغْلَبَ السَّلْعِ فِي قَطْرِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِ مِنْذُ مَلِكِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَطِ وَالْقَبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومِ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَرَسَخَتْ فِيهِمْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جِهَاتِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَلَمْ يَمِجْ رَسْمُهَا وَأَمَّا الْيَمَنُ وَالْبَحْرَانُ وَعُمَانُ وَالْجَزِيرَةُ وَإِنْ مَلَكَهُ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مَلَكَهُ الْآفَامِ مِنَ السِّنِينَ فِي أُمَّةٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَأَخْتَطَبُوا  
أَمْصَارَهُ وَمُدْنَهُ وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرْتِفِ مِثْلَ عَادَ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَمِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمِ وَالتَّبَاعِيَةَ وَالْأَذْوَاءَ فَطَالَ أَمَدُ الْمَلِكِ وَالْحَضَارَةِ وَأَسْتَحْكَمَتْ صِبْغَتُهَا وَتَوَفَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلْ بِلَى الدُّوَلَةِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ فَبَقِيَتْ مُسْتَجِدَّةً حَتَّى الْآنَ وَأَخْتَصَتْ بِذَلِكَ  
الْوَطَنِ كَصِنَاعَةِ الْوَشْيِ وَالْعَصْبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوْلِ الشِّيَابِ وَالْحَرِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ

الارضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثاني والعشرون

فمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى  
ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا  
يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم  
ترسخ صفتها والسبب في ذلك أن الملكات صنات للنفس وألوان فلا تزدهم دفعة  
ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها فإذا  
تلوت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون  
الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة أضعف وهذا بين يشهد له الوجود  
فقل أن تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معا  
على رتبة واحدة من الإجارة حتى أن أهل العلم الذين ملكتهم فكريه فهم يهتدوا  
المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد  
ملكة علم آخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه إن طلبه إلا في الأقل النادر من  
الأحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلويبه بلون الملكة الحاصلة في  
النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه

### الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة الى امهات الصنائع

إعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في  
العمران فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد إلا أن منها ما هو ضروري  
في العمران أو شريف بالموضع فنخصها بالذكر وتترك ما سواها فأما الضروري  
فألفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والنجاعة وأما الشريفة بالموضع فالتوليد  
والكتابة والوراقة والغناء والطب فأما التوليد فإنها ضرورية في العمران  
وعامة البلوى إذ بها تحصل حياة المولود ونتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولدون  
وأما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه ويتفرع

عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَمَوْضُوعُهُ مَعَ ذَلِكَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ  
الْوَرَاقَةِ فَبِهَا حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجَتُهُ وَمُقَيِّدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ وَمُبَاغَةٌ ضَمَائِرَ  
النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ وَمُخَلِّدَةٌ نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الْعُجْفِ وَرَافِعَةٌ رُتَبَ  
الْوُجُودِ لِلدَّعَايِ وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَهُوَ نَسَبُ الْأَصْوَاتِ وَمَنْظَرُ جَمَالِهَا لِلِاسْتِمَاعِ وَكُلُّ هَذِهِ  
الصَّنَائِعِ الثَّلَاثِ دَاعٍ إِلَى مَخَالَطَةِ الْمَلُوكِ الْأَعْظَمِ فِي خَلْوَاتِهِمْ وَتَجَالِسِ أُنْسِهِمْ فَلَهَا  
بِذَلِكَ شَرَفٌ لَبَسَ لِغَيْرِهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَتَابِعَةٌ وَمُتَمَنِّئَةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَغْرَاضِ وَالِدَّوَاعِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

### الفصل الرابع والعشرون

#### في صناعة الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ ثَمَرَتُهَا اخْتِزَاؤُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ بِالْقِيَامِ عَلَى إِثَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا  
أَزْدِرَاعِيهَا وَعِلَاجُ نَبَاتِهَا وَتَعْمِيدُهُ بِالسَّقْيِ وَالتَّنْمِيَةِ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ ثُمَّ حِصَادِ سُبُلِهِ  
وَأَسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غِلَافِهِ وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لِذَلِكَ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ وَهِيَ  
أَقْدَمُ الصَّنَائِعِ لِمَا أَنَّهَا مَحْصَلَةٌ لِلْقُوَّةِ الْمُكْمَلِ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَالِبًا إِذْ يُمَكِّنُ وُجُودَهُ  
مِنْ دُونَ الْقُوَّةِ وَلِهَذَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِالْبَدْوِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ مِنَ الْحَضَرِ  
وَسَابِقٌ عَلَيْهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِذَلِكَ بَدْوِيَّةً لَا يَقُومُ عَلَيْهَا الْحَضَرُ وَلَا يَعْرِفُونَهَا لِأَنَّ  
أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَةٌ عَلَى الْبَدَاوَةِ فَصَنَائِعُهُمْ ثَانِيَةٌ عَنِ صَنَائِعِنَا وَتَابِعَةٌ لَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى مَقِيمُ الْعِبَادِ فِيمَا أَرَادَ

### الفصل الخامس والعشرون

#### في صناعة البناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صَنَائِعِ الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَعْمَلِ فِي اخْتِزَاؤِ  
الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ لِلْكِنِّ وَالْمَأْوَى لِللَّابِدَانِ فِي الْمُدُنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا جُبِلَ  
عَلَيْهِ مِنَ الْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُفَكِّرَ فِيمَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى مِنَ الْحَرِّ  
وَالْبَرْدِ كَاخْتِزَاؤِ الْبُيُوتِ الْمُكْتَنَفَةِ بِالسَّقْفِ وَالْحِطَّانِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا وَالْبَشَرُ مُخْتَلِفٌ  
فِي هَذِهِ الْجَبَلَةِ الْفِكْرِيَّةِ فَمِنْهُمْ الْمُعْتَدِلُونَ فِيهَا فَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ بِأَعْتِدَالِ أَهَالِي الثَّنَائِي  
وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيَعْبُدُونَ عَنِ اخْتِزَاؤِ ذَلِكَ لِقُصُورِ

أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية فيأدرؤن للغيران والكهوف المعدة من غير  
علاج ثم المعتدلون المتخذون للمأوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث  
يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون طرق بعضهم بعضاً فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة  
ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جميعاً مدينة واحدة وميضراً واحداً ويحوطهم الحكة  
من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون إلى الانصاف ويتخذون المعامل  
والعصون لهم ولعن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معانهم من الأمراء وكبار  
القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلمون عليه ويناسب مزاج هواهم  
وأختلاف أهوالهم في الغنى والفقير وكذا حال أهل المدينة الواحدة فمنهم من  
يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف  
الكبيرة لكثرة ولديه وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويكسها  
بالكلس ويعالي عليها بالأضغعة والأحصن ويبلغ في ذلك بالتجديد والتنميق إظهاراً  
للسلطة بالعباية في شأب المأوى ويهيئ مع ذلك الأتراب والمطامير للاختزان  
لأقواته والأسطبلات لربط مقرباته إذا كان من أهل الجود وكثرة التابع والخاصية  
كالأمراء ومن في معانهم ومن بني الدويرة والبيوت لنفسه وسكته وولده لا  
يتعني ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقنصاره على الكين الطبيعي للبشر وبين  
ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة أيضاً عند تأسيس الملوك وأهل  
الدول المدن العظيمة وأهلها كل المرتفعة ويالغون في إنقان الأوضاع وعلو الأجرام  
مع الأحكام لتبلغ الصناعة مبلغاً وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك وأكثر  
ما تكون هذه الصناعة في الأقاليم المعتدلة من الرابع وما حوالية إذا الأقاليم المنخفضة  
لا بناء فيها وإنما يتخذون البيوت حطائر من القصب والطين وإنما يوجد في الأقاليم  
المعتدلة له وأهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم  
أقاصر ثم هي تتنوع أنواعاً كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران  
ملصقاً بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويكسها كسها جسم واحد  
ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف  
العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد يبعد

مَا يَتَّيْنُهُمَا بِمَا يَرَاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرَعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
 يُرْبِطُ عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ وَالْجُدْرِ وَيَسُدُّ الْجِهَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِلَوْحَيْنِ  
 آخَرَيْنِ صَغِيرَيْنِ ثُمَّ يُوضَعُ فِيهِ التُّرَابُ مُخْلَطًا بِالْكِلْسِ وَيُرَكَّزُ بِالْمَرَكَزِ الْمَعْدَةِ  
 حَتَّى يَتَمَّ رَكَزُهُ وَيَخْتَلِطَ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يَزَادُ التُّرَابُ ثَانِيًا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمْتَلِي ذَلِكَ الْخَلَاءَ  
 بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الْكِلْسِ وَالتُّرَابِ وَصَارَتْ جِسْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يُعَادُ  
 نَصَبُ اللَّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكَّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَيُنْتَظَمَ الْأَلْوَاحُ كُلُّهَا سَطْرًا مِنْ  
 فَوْقِ سَطْرٍ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَائِطُ كُلُّهُ مُتَّحِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّايِبَةَ  
 وَصَانِعَهُ الطُّوَابَ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ يُجَلَّلَ الْحَيْطَانُ بِالْكِلْسِ بَعْدَ أَنْ يُجَلَّ  
 بِالْمَاءِ وَيُخَمَّرُ أُسْبُوعًا أَوْ أُسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرٍ مَا يَعْتَدِلُ مَرَاجِعُهُ عَنِ إِفْرَاطِ النَّارِ بِإِلْمُوسَةِ  
 لِللِّحَامِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عِلَاقَهُ مِنْ فَوْقِ الْحَائِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ وَمِنْ  
 صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ يُعَدَّ الْخَشَبُ الْحَكِيمَةَ الْبِجَارَةَ أَوْ السَّازِجَةَ عَلَى حَائِطِي  
 الْبَيْتِ وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةً بِالْدَسَائِرِ وَيَصَّبُ عَلَيْهَا التُّرَابُ وَالْكِلْسُ  
 وَيُسَطُّ بِالْمَرَكَزِ حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَيَعَالَى عَلَيْهَا الْكِلْسُ كَمَا يُعَالَى  
 عَلَى الْحَائِطِ وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّرْبِيبِ كَمَا يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ  
 الْحَيْطَانِ الْأَشْكَالُ الْجُسْمَةُ مِنَ الْجِصِّ يُخَمَّرُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
 الْبَلَلِ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ تَخْرِيْمًا بِمِثْقَابِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرَوَاقٌ  
 وَرُبَّمَا عُولِي عَلَى الْحَيْطَانِ أَيْضًا يَقَطَعُ الرَّخَامَ وَالْأَجْرَ وَالْخَرْفَ أَوْ بِالصِّدْفِ أَوْ  
 السَّبِجِ يُفَصَّلُ أَجْزَاءً مُتَجَانِسَةً أَوْ مُخْتَلِفَةً وَتُوضَعُ فِي الْكِلْسِ عَلَى نِسْبٍ وَأَوْضَاعٍ  
 مُقَدَّرَةٍ عِنْدَهُمْ يَتَدَوُّ بِهِ الْحَائِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُنْمِنَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
 مِنْ بِنَاءِ الْجِبَابِ وَالصَّهَارِيجِ لِسَفْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرَّخَامِ الْقَوْرَاءِ  
 الْحَكِيمَةُ الْخَرْطُ بِالْفُوهَاتِ فِي وَسْطِهَا لِنَبْعِ الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِيجِ يُجَلَّبُ إِلَيْهِ مِنْ  
 خَارِجِ الْقَنَوَاتِ الْمُنْفِصَةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتَخْتَلِفُ الصَّنَاعُ فِي  
 جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحِذْقِ وَالْبَصْرِ وَيَعْظُمُ عُمْرَانُ الْمَدِينَةِ وَيَنْسَبُ قِيمَكُثْرُونَ وَرُبَّمَا  
 يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَوْلَاءِ فِيمَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
 فِي الْمَدِينِ لِكَثْرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمْرَانِ يَتَشَاخُونَ حَتَّى فِي الْقَضَاءِ وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى

وَالْأَسْفَلَ وَمِنَ الْإِتِّفَاعِ بظَاهِرِ الْبِنَاءِ مِمَّا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الْفَرَرِ فِي الْحَيْطَانِ قَبِيحٌ  
جَارُهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَافِذِ  
لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ وَالْفَضَلَاتِ الْمُسْرَبَةِ فِي الْفَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدَّعِي بَعْضُهُمْ حَقًّا بَعْضٍ فِي  
حَائِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَدَانِهِ لِتَضَائِقِ الْجَوَارِ أَوْ يَدَّعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اخْتِلَالَ حَائِطِهِ  
خَشِيئَةً سَقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنِ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ  
يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ بِمَجِثْ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ  
لِمَنْفَعَتِهَا وَأَمثالُ ذَلِكَ وَيَخْتَفِي جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصْرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَخْوَالِهِ  
الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَارِدِ وَالْقَمَطِ وَمَرَاكِرِ الْخَشَبِ وَمِثْلِ الْحَيْطَانِ وَأَعْتَدِهَا وَقَسَمِ  
الْمَسَاكِينَ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِبِ الْمِيَاهِ فِي الْفَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً  
بِمَجِثْ لَا تَنْحَرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْحَيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ الْبَصَرُ  
وَالنَّهْرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرِهِمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ بِالْجُودَةِ وَالْقُصُورِ فِي الْأَجْبَالِ بِاعْتِبَارِ  
الدُّوَلِ وَقُوَّتِهَا فَإِنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَالَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ الْحَضَارَةِ وَكَثْرَتِهَا بِكَثْرَةِ  
الطُّالِبِ لَهَا فَالذَّكَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ بَدْوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَتَقَرَّرُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى  
غَيْرِ فُطْرِهَا كَمَا وَقَعَ لِلوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ أَجْمَعَ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ  
وَمَسْجِدِهِ بِالشَّامِ فَبِعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةِ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ  
إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ عُرْضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ  
مِنَ الْهَنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْوِيَةِ الْحَيْطَانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْمِيَاهِ بِأَخْذِ الْأَرْتِفَاعِ وَأَمثالِ ذَلِكَ  
فِيحْتَاجُ إِلَى الْبَصْرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَثْقَالِ بِالْهَنْدَامِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ  
الْعَظِيمَةَ إِذَا شِيدَتْ بِالْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَعْجِزُ قُدْرُ الْفَعْلَةِ عَنْ رَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنْ  
الْحَائِطِ فَيَتَحِيلُ لِذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحَجَلِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِقِ مِنْ أَثْقَابِ مُقَدَّرَةٍ عَلَى  
نِسْبِ هَنْدَسِيَّةٍ تُصِيرُ الثَّقِيلَ عِنْدَ مَعَانَاةِ الرُّفْعِ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ لَفَةٍ  
وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَصُولِ هَنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءَ الْهَيْأَةِ كُلِّ  
الْمَائِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَسْبَابَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي  
الْعَظِيمِ الْجِسْمَانِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحَيْكَلِ الْهَنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْتَاهُ  
فَتَفَهَّمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدعي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا يتحصر بما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا يبست وأول منافعها أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للإيكاء والدود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يغشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيتخذون منها العمدة والأوتاد والخيام والحدوج لقطعانهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير إلى الضرورة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها ليعتاج صاحبها إلى تنصيل الخشب أولاً إما بمشيب أصغر منه أو الزاح ثم تركب تلك التفاصيل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعه إعداد تلك التفاصيل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمتم الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عود حدث التأنق في صناعة ذلك واستجدته بقرائب من الصناعة كمالية لبست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل نهضة القطع من الخشب بصناعة الخراط بجمع بزبها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالدمائر فتبدو لأي العين منسجمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجبي أنق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدمير وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سنجيه في الماء بقواديه وكل كليله ليكون ذلك الشكل أعون

لَهَا فِي مُصَادَمَةِ الْمَاءِ وَجَعَلَ لَهَا عَوْضَ الْحَرَكََةِ الْحَيَوَانِيَّةَ الَّتِي لِلسَّمَكِ تَحْرِيكَ الرِّيحِ  
وَرُبَّمَا أُعِينَتْ بِحَرَكََةِ الْمَقَادِيفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلَابِ مُتَحَاجَّةٍ  
إِلَى أَصْلِ كَبِيرٍ مِنَ الْمُنْدَسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ مُتَحَاجٌّ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عَمُومًا أَوْ خُصُوصًا  
وَتَنَاسُبُ الْمَقَادِيرِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الْمُهَنْدِسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أَيْمَةُ الْمُنْدَسَةِ  
الْيُونَانِيُّونَ كُلُّهُمْ أَيْمَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أَوْفَلِيدُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَصُولِ فِي  
الْمُنْدَسَةِ نَجَّارًا وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ وَكَذَلِكَ أَبُو نِيَّوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَزْوَطَاتِ وَمِيلَاوَسُ  
وغيرُهُمْ وَفِيمَا يُقَالُ أَنَّ مُعَلِّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أُنشِئَتْ  
سَفِينَةُ النِّجَاحِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُجِزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبْرُ وَإِنْ كَانَ مُمَكَّنًا أَعْنِي  
كَوْنَهُ نَجَّارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ النَّقْلِ عَلَيْهِ لِجِدِّ  
الْأَمَادِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْإِشَارَةِ إِلَى قِدَمِ النِّجَارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا  
قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُجِعِلَ كَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَفَهَّمُ أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي  
الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

هَاتَانِ الصَّنَاعَتَانِ صَرُورِيَّتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرِّفْقِ فَالْأُولَى  
تَنْسِجُ الْقَزْلَ مِنَ الصُّوفِ وَالْكُتَّانِ وَالْقَطْنَ إِسْدَاءً فِي الطُّولِ وَالْحَمَامًا فِي الْعَرْضِ  
لِنَلِكَ النَّسِجَ بِاللِّحَامِ الشَّدِيدِ فَيَتِمُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ فَمِنْهَا الْأَكْسِيَّةُ مِنَ الصُّوفِ  
لِلْإِسْتِمَالِ وَمِنْهَا النَّيَابُ مِنَ الْقَطَنِ وَالْكُتَّانِ لِلْبَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَّةُ لِتَقْدِيرِ الْمَنَسُوجَاتِ  
عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تُفَصَّلُ بِالْمَقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ  
تُلْحَمُ تِلْكَ الْقِطْعُ بِالْخِيَاطَةِ الْمُحْكَمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْبِيئًا أَوْ تَفْسُحًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ  
الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخُضْرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ يَسْتَعْنُونَ عَنْهَا  
وَإِنَّمَا يَشْتَمِلُونَ الْأَثْوَابَ أَشْيَاءًا وَإِنَّمَا تَقْصِيلُ النَّيَابِ وَتَقْدِيرُهَا وَالْحَمَامُ بِالْخِيَاطَةِ  
لِلْبَاسِ مِنْ مَذَاهِبِ الْخِضَارَةِ وَفُنُونِهَا وَتَفَهَّمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَعْرِيمِ الْأَخْيَاطِ فِي الْحَجِّ لِمَا  
أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ الْحَجِّ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى بُدْوِ الْعَلَانِيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى



كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يُعَلِّقَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طِيبًا وَلَا نِسَاءً  
وَلَا مَخِيطًا وَلَا خَنًا وَلَا بَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَهُ  
مَعَ أَنَّهُ يَفْقَدُهَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةً وَإِنَّمَا يَجِيءُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْعَمَشِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا  
لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ إِخْلَاصُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ  
سُبْحَانَكَ مَا أَزْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَزْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ . وَهَاتَانِ الصِّنَعَتَانِ  
قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلْقَةِ لِمَا أَنَّ الدِّفءَ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُعْتَدِلِ وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُ  
إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَخْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دِفءٍ وَلِهَذَا يَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ  
أَنَّهُمْ عُرَاةٌ فِي الْغَالِبِ وَلِقَدِمَ هَذِهِ الصَّنَائِعُ بِنَسَبِهَا الْعَامَّةُ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُبَّمَا يَنْسَبُونَهَا إِلَى هِرْمِسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هِرْمِسَ هُوَ أَدْرِيسُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل الثامن والعشرون

#### في صناعة التوليد

وَهِيَ صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنَ  
الرِّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يُضْلِحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ عَلَى مَا  
نَذَكَّرْهُ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّهِنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوْرَاتِ  
بَعْضٍ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَائِلَةُ اسْتُعِيرَ فِيهَا مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَالْقَبُولِ  
كَأَنَّ النِّسَاءَ نُعْطِيهَا الْجَنِينَ وَكَأَنَّهَا تَقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ  
فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارُهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِمَكْنَتِهِ هِيَ تِسْعَةٌ  
أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَوْلُودِ مِنَ الزُّوْعِ لِلذَّكَ وَالنِّسَاءِ  
عَلَيْهِ الْمَنْفَعَةُ فَيَعْسُرُ وَرُبَّمَا مَزَّقَ بَعْضَ جَوَانِبِ الْفَرْجِ بِالضَّغْطِ وَرُبَّمَا انْتَقَعَ بَعْضُ  
مَا كَانَ مِنَ الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا آيَاتٌ يَشْتَدُّ  
بِهَا الْوَجَعُ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلْقِ فَتَكُونُ الْقَائِلَةُ مَعِينَةً فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ بِغَمَزِ الظَّهْرِ  
وَالْوَرِكَيْنِ وَمَا يَحَاذِي الرَّحِمَ مِنَ الْأَسْفَلِ نَسَاقٌ بِذَلِكَ فِعْلُ الدَّافِعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينَ  
وَتَسْهِيلِ مَا يَصُوبُ مِنْهُ بِمَا يُمَكِّنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ عُسْرَةٌ ثُمَّ إِنْ أُخْرِجَ الْجَنِينَ  
بَقِيَتْ يَتْنُهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوَصْلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَغَدَّى مِنْهَا مُتَّصِلَةً مِنْ مَرْتَبَةِ جِهَاهُ وَتِلْكَ

التوصله عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان  
 الفضلة ولا تضرب بمعاها ولا يرحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكسي أو بما  
 تراه من وجوه الأندمال ثم إن الجنين عند خروجه من ذلك المنفذ الذيق وهو رطب  
 العظام مهل الإنطاف والأثناء فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها القرب  
 التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالتمز والإصلاح حتى يرجع كل عضو إلى  
 شكله الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سويًا ثم بعد ذلك تراجع النساء  
 وتحاذيها بالتمز والملاينة بلحروج أغشية الجنين لأنها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً  
 ويخشى عند ذلك أن تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية  
 وهي فضلات فتتغير ويسبب عفناً الماء الرحم فتقع الملاك فتعاذر القابلة هذا وتعاول  
 في إعانة الدفع إلى أن تخرج تلك الأغشية التي كانت قد تأخرت ثم ترجع إلى المولود  
 فتخرج أعضائه بالأدهان والذورات القابضة لتشده وتغف رطوبات الرحم  
 وتخشكه لرفع لها ته وتسطه لاستفراغ نطوف دماغه وتفرغره بالأموق لدفع السدد  
 من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوي النساء بعد ذلك من ألومن الذي أصابها  
 بالطلق وما لحق رحمها من ألم الانفصال إذ المولود إن لم يكن عضواً طبيعياً فحالة  
 التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله ألم  
 يقرب من ألم القطع وتداوي مع ذلك ما يلحق النرج من ألم من جراحة التمزيق  
 عند الضغط في الخروج وهذه كلها أدواء نجد هؤلاء القرايل أبصر بدوائها وكذلك  
 ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين انفصال نجهن أبصر بها  
 من الطبيب الماهر وما ذاك إلا لأن بدن الإنسان في تلك الحالة إنما هو بدن إنساني  
 بالقوة فقط فإذا جاوز انفصال صار بدنًا إنسانياً بالكلية فكانت حاجته حينئذ إلى الطبيب  
 أشد منه الصناعة كما تراه ضرورية في العمران للنوع الإنساني لا يتم كون  
 أشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه  
 الصناعة إما بخلق الله ذلك لهم معجزة وخرقا للعادة كما في حق الأنبياء صلوات  
 الله وسلامه عليهم أو بالهام وهداية إليهم لها المولود ويفطر عليها فيتم وجودهم  
 من دون هذه الصناعة فأما شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيراً وونه ما روي أن

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَدَ مَسْرُورًا مَخْتُونًا وَأَضْعَا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ  
 إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يُنْكَرُ  
 وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْعَجْمُ تُخْتَصُّ بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَالْتَعَلُّ وَغَيْرِهَا فَمَا ظَنُّكَ  
 بِالْإِنْسَانِ الْمَفْضَلِ عَلَيْهَا وَخُصُّوَصًا بِمَنْ أَخْصَصَ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
 لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْأَقْبَالِ عَلَى الْكُذْبِيِّ أَوْضَحَ شَايِدٍ عَلَى وَجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
 الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ بَطْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكَمَاءِ  
 الْأَنْدَلُسِ فِيمَا أَحْتَجُّوا بِهِ لِعَدَمِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَاسْتِحْصَالِ انْقِطَاعِ الْمَكْرِيَّاتِ  
 وَخُصُوصًا فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَالُوا أَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لَاسْتِحْصَالِ وَجُودِهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
 بِمَوْجُودِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ تَوَنُّ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
 هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتَهَا إِلَى حِينِ الْفِصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودُ الصَّنَائِعِ دُونَ  
 الْفِكْرِ مُسْتَمْتَعٌ لِأَنَّهَا تُنْمِرُهُ وَتَأْبَهُ لَهُ وَتَكَلَّفَ ابْنُ سِينَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِمُخَالَفَتِهِ  
 إِبَاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوْدِهِ ثَانِيًا  
 لِإِقْتِضَاءَاتِ فَلَكِيَّةٍ وَأَوْضَاعِ غَرِيبَةٍ تَنْدُرُ فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَقْتَضِي تَغْيِيرَ طَبِئَةٍ مُنَاسِبَةٍ  
 لِمِرَاجِهِ بِمِجْرَارِهِ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ الْإِلَهَامُ لِتَرْبِيَّتِهِ  
 وَالخُنُوعِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَجُودُهُ وَفِصَالُهُ وَأَطْنَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرَّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا  
 رِسَالَةَ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ وَهَذَا الْأَسْتِدْلَالُ غَيْرُ مُصَحِّحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
 الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى إِسْنَادِ الْأَنْعَامِ إِلَى الْعَلَّةِ  
 الْمَوْجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَاسِطَةً عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ  
 بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا الْمَكْلُوفِ ثُمَّ لَوْ سَلَّمْنَا جَدًّا فَنَائِبًا  
 مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ بِخَلْقِ الْإِلَهَامِ لِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
 الْفَرُورَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ  
 خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا فَرَزْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقَ الْإِلَهَامُ فِي شَخْصٍ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
 خَلْقِهِ فِيهِ لِمَصَالِحِ غَيْرِهِ فَكَلَّا الْمَذْهَبِينَ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبَطْلَانِ فِي مَنَاحِيهِمَا  
 لِمَا فَرَزْتَهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار ودون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرفت من فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة  
 الاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداد او حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم  
 ان اصل الامراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
 الجامع للطيب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء واصل كل داء  
 البرودة فاما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية رأس الداء فالحمية  
 الجوع وهو الاحتياج من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو اصل  
 الادوية واما قوله اصل كل داء البرودة فمعنى البرودة ادخال الطعام على الطعام  
 في المعدة قبل ان يتم هضم الاول ومنزح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ  
 حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى الماضية والغاذية الى ان يصير دما  
 ملائما لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تاخذه النامية فيقلب لحما وعظما ومعنى  
 المضم طبخ الغذاء بالحرارة الفريزية طورا بعد طور حتى يصير جزءا بالذبل من  
 البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في اللحم ولا كنه الاشدق أثرت فيه حرارة  
 اللحم طبخا سيرا وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما  
 ثم اجدها مضغا وترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة  
 المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صنو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل  
 ما رسب منه في المعى نفلا ينفذ الى الحزجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك  
 الكيموس الى ان يصير عيضا وتنفق عليه رغوة من الطبخ هي الصفراء وترسب  
 منه اجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الفريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه  
 فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الخال  
 الفريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني  
 وتأخذ النامية ما خدها في الدم فيكون لحما ثم غليظه نظاما ثم يرسل البدن ما  
 يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق والاعاب والنخاط والدغ هذه  
 صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي

الحميات وسببها أن الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في كل طور  
 من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضجه وسببه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى  
 يكون أغلب على الحار الغريزي أو إدخال الطعام إلى المعدة قبل أن تسوفي طبخ  
 الأول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الأول بحالته أو يتوزع عليهما فيقصُر عن  
 تمام الطبخ والنضج وتزسيته المعدة كذلك إلى الكيد فلا تقوى حرارة الكيد  
 أيضاً على إنضاجه وربما بقي في الكيد من الغذاء الأول فضلة غير ناضجة وتُرسل  
 الكيد جميع ذلك إلى العروق غير ناضج كما هو فإذا أخذ البدن حاجته الملائمة  
 أرسله مع اللصقات الأخرى من العرق والدمع والألعاب إن اقتدر على ذلك وربما  
 يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والسعدة وتترايد مع الأيام وكل  
 ذي رطوبة من المتزجات إذا لم يأخذه الطبخ والنضج بعفن فيتعفن ذلك الغذاء  
 غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن فيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في  
 بدن الإنسان بالحمى واختبر ذلك بالطعام إذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل إذا  
 تعفن أيضاً كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الأبدان  
 وهي رأس الأمراض وأصله كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء  
 عن المريض أسابيع معلومة ثم يتناول الأغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في  
 حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون  
 ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في  
 البدن إما في الأجزاء الرئيسية أو في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض  
 القوي الموجودة له هذه كلها جواع الأمراض وأصلها في الغالب من الأغذية وهذا  
 كله مرفوع إلى الطبيب ووقوع هذه الأمراض في أهل الحضرة والأمصار أكثر  
 ليصيب عيشتهم وكثرة ما كلهم وقله انصلاهم على نوع واحد من الأغذية وعدم  
 توقيتهم لتناولها وكثيراً ما يغلطون بالأغذية من التوابل والبقول والفواكه رطباً وباساً  
 في سائل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع أو أنواع فربما عددنا في  
 اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعاً من النبات والحيوان فيصير الغذاء مزاج  
 غريب وربما يكون غريباً عن ملاءمة البدن وأجزائه ثم إن الأهرية في الأمصار

تفسد بمخالطة الأبخرة العنينة من كثرة الفضلات والأهوية منشطة للأرواح ومقوية  
 بنشاطها الأثر الحار الفريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم  
 في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر فيهم أثراً فكان  
 وفوق الأمراض كثيراً في المدن والأمصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه  
 الصناعة وأما أهل البدو فما كולם قليل في الغالب والتجوع أغلب عليهم لقلّة الحبوب  
 حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها جيلة لاستمرارها ثم الأدم قليلة لديهم  
 أو مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه إنما يدعو إلى ترّف الحضارة  
 الذين هم بمعزل عنه فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها  
 من دلاءمة البدن وأما أهويتهم فقليلة الغن لقلّة الرطوبات والعفونات إن كانوا  
 ظواغين ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو  
 طلب الحاجات ليمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويجود ويفقد  
 إدخال الطعام على الطعام فتكون أمراضهم أصح وأبعد من الأمراض فنقل حاجتهم  
 إلى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذاك إلا للاستغناء عنه إذ  
 لو احتج إليه لوجد لأنه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو إلى سكناه سنة الله  
 في عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلاً

### الفصل الثلاثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية  
 وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس  
 فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان  
 التي يميز بها عن الحيوان وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتنادي بها الأغراض  
 إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم  
 والمعارف وصحف الأولين وما كتبه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه  
 والمنافع وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر  
 الاجتماع والعمران والتناغم في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في  
 المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمران ولهذا

نَجِدُ أَكْثَرَ الْبَدْوِ أُمِّيِّينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ  
خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ فَرَاغَتْهُ غَيْرَ نَافِذَةٍ وَنَجِدُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ عُمُرَانَهَا عَنِ  
الْحَدِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ وَأَسْهَلَ طَرِيقًا لِاسْتِحْجَابِ كَلِمِ الصَّنْعَةِ فِيهَا تَمَا يَخْجَى لَنَا عَنْ مِصْرَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَنَّ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ يَلْقَوْنَ تَلِيَّ أَلِهَ تَعْلِيمِ قَوَائِنَ وَأَحْكَامًا  
فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيَزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ أَلِهَ بَاشِرَةَ بِتَعْلِيمِ وَضَعِهِ فَتَعْتَضِدُ لَدَيْهِ رُتْبَةُ الْعِلْمِ  
وَالْحَسَنُ فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَا كَتَبْتُهُ تَلِيَّ أُمَّ الْجَوْهَرِ وَإِنَّمَا أَتَى هَذَا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ  
وَوُفُورِهَا بِكَثْرَةِ الْعُمُرَانِ وَاتِّسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بِالْفَا بِالْفَا  
مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ التَّبَاعَةِ بِمَا بَلَّغَتْ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالْتَرَفِ وَهُوَ  
السَّمِيُّ بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحِيرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الْمُنْذِرِ  
نَسْبَاءِ التَّبَاعَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالنَّجْدِ دِينَ لِمَلِكِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ  
مِنَ الْإِبَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ التَّبَاعَةِ لِقُصُورِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتْ الْحَضَارَةُ وَتَوَابِعُهَا  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنِ ذَلِكَ وَمِنَ الْحِيرَةِ لُقِنَتْ أَهْلُ الطَّائِفِ وَقُرَيْشٌ فِيمَا ذُكِرَ  
وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْحِيرَةِ هُوَ سَفِيَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةٍ  
وَأَخَذَهَا مِنْ أَسْلَمَ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلُ مُسْكِنٍ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا  
مِنَ إِيَادِ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَمْ يَسَاحُوا الْعِرَاقَ إِذَا سَارُوا جَدِيدًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ لِأَنَّ إِيَادَ وَإِنْ نَزَلُوا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ  
وَالْخَطِّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْحَضْرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَائِحِهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لُقِنُوهَا  
مِنَ الْحِيرَةِ وَلُقِنَهَا الْحِيرَةُ مِنَ التَّبَاعَةِ وَحَمِيرٌ هُوَ الْأَلْيَقُ مِنَ الْأَنْوَالِ وَكَانَ لِحَمِيرِ كِتَابَةَ  
لِسَمِيِّ الْمَسْنَدِ حُرُوفَهَا مُنْفَصَلَةً وَكَانُوا يَمْنَعُونَ مِنْ تَعَلُّمِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيرٍ تَعَلَّمَتْ  
مِصْرُ الْكِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَجِدِينَ لَهَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَعَتْ بِالْبَدْوِ  
فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِتْقَانِ وَالْتَشْيِيقِ لِبُؤْنِ مَا بَيْنَ الْبَدْوِ  
وَالصَّنَاعَةِ وَأَسْتَفْنَاءِ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتْ كِتَابَةَ الْعَرَبِ بِدَوِيَّةٍ مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ لِأَنَّ هُوَ لَأَهْلَهُ

أَقْرَبُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْصَارِ وَالِدَوْلِ وَأَمَّا مُضَرُّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدَ  
عَنِ الْخَضِرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمِضَرٌ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْغَايَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِنْفَانِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لَمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنْظَرُوا مَا وَنَعَ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رَسْمِهِمُ الْمُصَحَّفِ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّحَابَةُ بِخُطُوطِهِمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِجَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا أَفْتَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ أَقْنَى التَّابِعُونَ  
مِنَ السَّلْبِ رَسْمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكَ كَمَا بِمَا رَسَمَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرُ  
الْخَلْقِ مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَلَقُّونَ لِوَجْهِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يَقْتَضِي لِهَذَا الْعَهْدِ خَطُّ وَلِي  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكَ كَمَا وَبِتَبَعِ رَسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَيْنَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا كَتَبُوهُ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَأَثْبِتَ رَسْمًا وَنَبَهَ الْعُلَمَاءَ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يَزَعُمُهُ بَعْضُ الْمُعْتَزِلِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكِمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا بَخَّيْلٌ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خُطُوطِهِمْ لِأَصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا بَخَّيْلٌ بَلْ لِكُلِّهَا وَجْهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَنْبِ فِي لَا أَذْبَحَنَّهُ إِنَّهُ تَنبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لَمْ يَسْعَ وَفِي زِيَادَةِ الْيَاءِ فِي بَابِ  
إِنَّهُ تَنبِيهُ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ  
التَّحْضُّ وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهَاً لِلصَّحَابَةِ عَنْ تَوْمِ  
النَّقْصِ فِي قِلَّةِ إِجَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالٌ فَزَهَرُوا عَنْ نَقْصِهِ وَتَسَبَّوْا بِهِمُ  
الْكَمَالَ بِإِجَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ مِنْ رَسْمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدِينِيَّةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
كَمَا رَأَيْتَهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِيٌّ بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذْ لَا يَبْعُدُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْخِلَالِ وَإِنَّمَا يَبْعُدُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ الْعُمُرَانِ وَالتَّعَاوُنِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لِشَرَفِهِ وَتَنْزِهِهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالْعُمُرَانِ كُلِّهَا وَلَيْسَتْ الْأَمِيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا تَعْنُ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَتَحْنُ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومِ الْأَصْطِلَاحِيَّةِ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَنْزَهُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِخِلَافِنَا ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَفَتَحُوا



الأمصارَ ومَلَكُوا المَمَالِكَ وَنَزَلُوا البَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَأَحْتَاجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى المَكْتَابَةِ  
أَسْتَعْمَلُوا الخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمَهُ وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَقَّتِ الإِجَارَةُ فِيهِ وَأَسْتَحْكَمَ وَبَاقَ  
فِي الكُوفَةِ وَالبَصْرَةِ رُتْبَةً مِنَ الإِثْقَانِ إِلاَّ أَنهَا كَانَتْ دُونَ الغَايَةِ وَالخَطُّ الكُوفِيُّ  
مَعْرُوفُ الرِّسْمِ لِهَذَا العَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ العَرَبُ فِي الأَقْطَارِ وَالمَمَالِكِ وَافْتَتَحُوا أَفْرِيقِيَّةَ  
وَالْأَنْدَلُسَ وَأَخْطَطَ بَنُو العَبَّاسِ بَغْدَادَ وَتَرَقَّتْ الخُطُوطُ فِيهَا إِلَى الغَايَةِ لَمَّا اسْتَجْرَمَتْ فِي  
العُمُرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الإِسْلَامِ وَمَرْكَزَ الدَّوْلَةِ العَرَبِيَّةِ وَكَانَ الخَطُّ البَغْدَادِيُّ مَعْرُوفَ  
الرِّسْمِ وَتَبِعَهُ الأَفْرِيقِيُّ المَعْرُوفُ وَسَمِعُهُ القَدِيمُ لِهَذَا العَهْدِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الخَطِّ  
المَشْرِقِيِّ وَيَخْتَصِرُ مَلِكُ الأَنْدَلُسِ بِالأَمُويِّينَ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الخِصَارَةِ وَالصَّنَائِعِ  
وَالخُطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خَطِّهِمُ الأَنْدَلُسِيُّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرِّسْمِ لِهَذَا العَهْدِ وَطَمًا بَحْرُ  
العُمُرَانِ وَالخِصَارَةِ فِي الدَّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَعَظَمَ المَلِكُ وَتَفَقَّتْ أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَانْتَسَخَتِ الكُتُبُ وَأُجِيدَ كِتَابُهَا وَتَجَلِيدُهَا وَمِلَّتْ بِهَا القُصُورُ وَالتَّحْرِيثُ  
المَلُوكِيَّةُ بِمَا لَا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَنَافَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا أُنْجِلَ نِظَامُ  
الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتِ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَجْمَعُ وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الخِلَافَةِ  
فَأَنْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الخَطِّ وَالمَكْتَابَةِ بِلِ وَالْعِلْمِ إِلَى مِصْرَ وَالقَاهِرَةِ فَلَمْ تَزَلْ أَسْوَاقُهَا  
نَافِقَةً لِهَذَا العَهْدِ وَلَهُ بِهَا مَعْلَمُونَ يَرْتَمُونَ لِتَعَلِيمِ الحُرُوفِ بِقَوَانِينِ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
مَتَعَارَفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ المَتَعَلِّمُ أَوْ يُعَلِّمُ أَشْكَالَ تِلْكَ الحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الأَوْضَاعِ  
وَقد لَقِنَهَا حَسَنًا وَحَذِقَ فِيهَا دُرْبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَانِينَ عِلْمِيَّةً فَتَجَمَّى أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
وَأَمَّا أَهْلُ الأَنْدَلُسِ فَأَفْتَرَقُوا فِي الأَقْطَارِ عِنْدَ تِلَاشِي مَلِكِ العَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ  
الْبُرَبْرِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ أُمَّةُ النُّصْرَانِيَّةِ فَأَنْشَرُوا فِي عُدُوةِ المَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ مِنْ لَدُنِ  
الدَّوْلَةِ الأَمْتُونِيَّةِ إِلَى هَذَا العَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ العُمُرَانِ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خَطُّهُمْ عَلَى الخَطِّ الأَفْرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَنُسِيَ خَطُّ القَبْرَوَانِ  
وَالْمَهْدِيَّةِ بِنِسْبَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خُطُوطُ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ كَلِّهَا عَلَى الرِّسْمِ  
الأَنْدَلُسِيِّ بِنُوسِ وَمَا إِلَيْهَا لِتَوْفُرِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الحَالِيَّةِ مِنْ شَرْقِ الأَنْدَلُسِ  
وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمٌ بِبِلَادِ الجَرِيدِ الَّذِينَ لَمْ يُنَاقِطُوا كِتَابَ الأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَرَّسُوا بِمِجَازِهِمْ  
إِنَّمَا كَانُوا يَغْدُونَ عَلَى دَارِ المَلِكِ بِنُوسِ فَصَارَ خَطُّ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خُطُوطِ

أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة  
والدرف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجهه  
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما  
كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رمت بالحضارة فيعسر نحوها  
وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لوزن من الخط الأندلسي  
لقرب جزارهم وسقوط من خرج منهم إلى فارس قريباً واستعمالهم إياهم سائر  
الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط  
بأفريقية والمغربيين مائلة إلى الرداء بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا  
انسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة بكثرة ما يقع فيها من  
الفساد والتخفيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد  
عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

### الفصل الحادي والثلاثون

#### في صناعة الوراقة

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها  
بالرعاية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية  
بجزر زاخر بالمراق والأندلس إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة  
وتفاق أسواق ذلك لدهمهما فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على  
تتأقلمها في الآفاق والأعمار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين  
للانتساح والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكنبية والدواوين واختصت بالأمصار  
العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لانتساح العلوم وكتب الرسائل السلطانية  
والإقطاعات والصكوك في الرؤوق المهبأة بالصناعة من الجلد لكثرة الرّفه وقلة  
الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقصروا على الكتاب في الرق تشرافاً  
للمكتوبات وميلاً بها إلى الصحة والأيقان ثم طمأ بجزر التأليف والتدوين وكثر  
ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة

الكاغِدِ وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصُكُوكَهُ وَأَتَمَّذَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ  
 صُحُفًا لِمَكْتُوبَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَبَلَغَتْ الْإِجَادَةُ فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ وَقَفَتْ  
 عِنَايَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهَيْمَةُ أَهْلِ الدُّوَلِ عَلَى ضَبْطِ الدَّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَضَمُّنِهَا بِالرِّوَايَةِ  
 الْمُسْنَدَةِ إِلَى مُؤَلِّفِهَا وَوَضْعِهَا لِأَنَّهُ الشَّانُ الْأَمُّ مِنَ التَّضَمُّنِ وَالضَّبْطِ فَبِذَلِكَ تُسْنَدُ  
 الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا وَالْفَتْيَا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا الْمُجْتَمِعِ فِي طَرِيقِ اسْتِنَابِهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ  
 تَضَمُّنُ الْمُتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مُدَوِّنِهَا فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلِ لَهُمْ وَلَا فِتْيَا وَهَكَذَا كَانَ  
 شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتِهِ فِي الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ الصِّنَاعَةِ  
 الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ إِذْ تَمَرَّتْهَا الْكُبْرَى مِنْ مَعْرِفَةِ تَضَمُّنِ الْأَحَادِيثِ  
 وَحُسْنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا وَمَوْفُوفِهَا مِنْ مَوْضِعِهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَتَخَفَّتْ زُبْدَةٌ  
 فِي ذَلِكَ الْأَمَّاتِ الْمُتَلَقَّاتُ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَّةِ وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لَعَوًا مِنَ الْعَمَلِ  
 وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةٌ الرِّوَايَةِ وَالْإِسْتِغَالِ بِهَا إِلَّا فِي تَضَمُّنِ تِلْكَ الْأَمَّاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا  
 مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ لِلْفِتْيَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالَ سِنَدِهَا  
 بِمُؤَلِّفِهَا لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 مَعْبَدَةَ الطَّرِيقِ وَاصْحَحَةَ الْمَسَالِكِ وَلِهَذَا تَجِدُ الدَّوَاوِينَ الْمُنْتَسِخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ  
 عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِثْقَانِ وَالْإِحْكَامِ وَالصِّحَّةِ وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ  
 أُصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنِ  
 وَيَسُدُّونَ عَلَيْهَا يَدَ الضَّنَانَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ لِهَذَا الْعَهْدِ جُمْلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ  
 لَا تَقْطَعُ صِنَاعَةَ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرِّوَايَةِ مِنْهُ بِإِنْتِقَاصِ عُمُرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ وَصَارَتْ  
 الْأَمَّاتُ وَالْدَّوَاوِينُ تُنسخُ بِالْخَطِّ الْيَدَوِيِّ تَنْسَخُهَا طَلِبَةُ الْبُرْجِ صَحَائِفَ مُسْتَحْجَمَةً بِرَدَائِعِ  
 الْخَطِّ وَكَثْرَةَ الْفَسَادِ وَالْتَضَمُّنِ فَتَسْتَعْلِقُ عَلَى مُتَصَفِّحِهَا وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
 النَّادِرِ وَأَيْضًا فَقَدْ دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفِتْيَا فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَعْرُوفَةِ غَيْرِ مَرْوِيَّةِ  
 عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَبَعَ ذَلِكَ أَيْضًا مَا  
 يَتَصَدَّى إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّالِيفِ لِقَلَّةِ بَصَرِهِمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمِ الصَّنَائِعِ الرِّوَايَةِ  
 بِمِقَاصِدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرَّمَمِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا إِثَارَةٌ خَفِيَّةٌ بِالْإِتِّحَاءِ وَهِيَ الْإِضْمِحْلَالُ  
 فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ يَنْقَطِعُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ

أَنَّ صِنَاعَةَ الرَّوَايَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَتَصْبِيحُ الدَّوَابِّ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى  
مُتَّبِعِيهِ لِنَفَاقِ أَسْوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَدَّ كُرُهُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنَ  
الْإِجَادَةِ فِي الْإِنْتِسَاحِ هُنَالِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلعَجْمِ وَفِي خُطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِحِصْرٍ فَفَسَدَ  
كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثاني والثلاثون

#### في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ تَلْحِينُ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسْبٍ مُنْتَظِمَةٍ  
مَعْرُوفَةٍ يُوقَعُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْفِيعًا عِنْدَ قَطْعِهِ فِيَكُونُ نَعْمَةً ثُمَّ تَوَاقُفُ تِلْكَ النِّعْمُ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسْبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَيَلْتَمِسُ مَعَهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ  
الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ تَتَنَاسَبُ  
فِيَكُونُ صَوْتٌ نِصْفَ صَوْتٍ وَرُبْعَ آخَرَ وَخُمْسَ آخَرَ وَجُزْءَ مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرَ  
وَإِخْتِلَافٌ هَذِهِ النِّسْبِ عِنْدَ تَأْدِيبِهَا إِلَى السَّمْعِ بِمُغْرُوجِهَا مِنَ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرَكَيبٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا  
أَهْلُ عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ إِسَاقُوا ذَلِكَ التَّلْحِينَ  
فِي النِّعْمَاتِ الْغِنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ أُخْرَى مِنَ الْجَمَادَاتِ إِمَّا بِالْقَرْعِ أَوْ بِالنَّفْخِ فِي  
الْآلَاتِ نَتَّخِذُ لِذَلِكَ قَرَى لَهَا لَذَّةٌ عِنْدَ السَّمْعِ فَمِنْهَا إِهْدَاءُ الْعَهْدِ أَصْنَافٌ مِنْهَا مَا يُسَمَّوْنَهُ  
الشَّبَابَةَ وَهِيَ قِصْبَةُ جَوْفَاءَ بِأَبْجَاشٍ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّتُ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ  
مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْجَاشِ وَيُقَطَّعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ  
جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْجَاشِ وَضَعًا مُتَعَارِفًا حَتَّى يَحْدُثَ النِّسْبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتَتَّصِلَ  
كَذَلِكَ مُتَنَاسِبَةً فَيَلْتَمِسُ السَّمْعُ بِإِذْرَاقِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جِنْسِ هَذِهِ  
الْآلَةِ الْمَزْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الزَّلَامِيَّ وَهُوَ شَكْلُ الْقِصْبَةِ مَحْنُوتَةٌ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ  
جَوْفَاءَ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لِأَجْلِ ائْتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُنْفَرِدَتَيْنِ كَذَلِكَ بِأَبْجَاشٍ مَعْدُودَةٍ  
يُنْفَخُ فِيهَا بِقِصْبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوصَلُ فَيَنْفِذُ النَّفْخُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّتُ بِنَعْمَةٍ حَادَّةٍ يُجْرَى  
فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْجَاشِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يَجْرَى فِي الشَّبَابَةِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْآلَاتِ الزَّمْرُ إِهْدَاءُ الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ بُوقٌ مِنْ نَحَاسٍ أَجْوَفٌ فِي مِقْدَارِ

الدَّرَاعِ يَتَسَعُ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَنْفِرَاجٌ مَخْرُجُهُ فِي مِقْدَارِ دُونَ الْكَفِّ فِي شَكْلِ بَرِّي  
 الْقَلَمِ وَيُنْفَخُ فِيهِ بِقَصَبَةٍ صَغِيرَةٍ تُؤَدِّي الرِّيحَ مِنَ الْقَمِّ إِلَيْهِ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ نَحِيئًا دُونَهَا  
 وَفِيهِ ابْتِغَاشٌ أَيْضًا مَعْدُودَةٌ وَتُقَطَّعُ نِعْمَةٌ مِنْهَا كَذَلِكَ بِالْأَصَابِعِ عَلَى النَّاسِبِ فَيَكُونُ  
 مَلْدُودًا وَمِنْهَا آلَاتُ الْأَوْتَارِ وَهِيَ جَوْفَاهُ كُلُّهَا إِمَّا عَلَى شَكْلِ قِطْعَةٍ مِنَ الْكُرَةِ مِثْلِ  
 الْمُرَبِّطِ وَالرَّبَابِ أَوْ عَلَى شَكْلِ مُرَبَّعٍ كَالْقَانُونِ تُوضَعُ الْأَوْتَارُ عَلَى بَسَائِطِهَا مَشْدُودَةٌ  
 فِي رَأْسِهَا إِلَى دُسْرِ جَانِلَةٍ لِيَأْتِيَ شِدُّ الْأَوْتَارِ وَرِخْوَتُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِإِدَارَتِهَا ثُمَّ  
 تُفْرَعُ الْأَوْتَارُ إِمَّا بَعْدَ آخِرٍ أَوْ بِوَتَرٍ مَشْدُودٍ بَيْنَ طَرَفَيْ قَوْسٍ يَحْرُ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ  
 يُطْلَى بِالشَّمْعِ وَالْكَنْدَرِ وَيُقَطَّعُ الصَّوْتُ فِيهِ بِتَخْفِيفِ الْيَدِ فِي إِمْرَارِهِ أَوْ نَقْلِهِ مِنْ  
 وَتَرٍ إِلَى وَتَرٍ وَالْيَدُ الْبَسْرَى مَعَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ آلَاتِ الْأَوْتَارِ تُوقَعُ بِأَصَابِعِهَا عَلَى  
 أَطْرَافِ الْأَوْتَارِ فِيمَا يَفْرَعُ أَوْ يَحْكُ بِالْوَتَرِ فَتَحْدُثُ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً مَلْدُودَةٌ  
 وَقَدْ يَكُونُ الْفَرَعُ فِي الطُّسُوتِ بِالْقُضْبَانِ أَوْ فِي الْأَعْوَادِ بَعْضُهَا يَبْعُضُ عَلَى تَوْقِيعٍ مُنَاسِبٍ  
 يَحْدُثُ عَنْهُ التَّنَادُّ بِالْمَسْمُوعِ وَلَسْبَيْنَ لِكَ السَّبَبِ فِي اللَّذَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْغِنَاءِ وَذَلِكَ أَنْ  
 اللَّذَّةَ كَمَا تَفَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ هِيَ إِدْرَاكُ الْمَلَائِمِ وَالْحَسُّوسُ إِنَّمَا تُدْرِكُ مِنْهُ كَيْفِيَّةٌ  
 فَإِذَا كَانَتْ مُنَاسِبَةً لِلمُدْرِكِ وَمَلَائِمَةً كَانَتْ مَلْدُودَةٌ وَإِذَا كَانَتْ مُنَافِيَةً لَهُ مُنَافِرَةٌ  
 كَانَتْ مُؤَلِّمَةً فَالْمَلَائِمُ مِنَ الطُّعُومِ مَا نَاسَبَتْ كَيْفِيَّتَهُ حَاسَةً الذَّوْقِ فِي مَزَاجِهَا وَكَلَّمَ  
 الْمَلَائِمُ مِنَ الْمَلْمُوسَاتِ وَفِي الرِّوَائِحِ مَا نَاسَبَ مِزَاجَ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ الْبُخَارِيِّ لِأَنَّهُ  
 الْمُدْرِكُ وَإِلَيْهِ تُؤَدِّيهِ الْحَاسَةُ وَهَذَا كَانَتْ الرِّبَاحِينَ وَالْأَزْهَارُ الْعَطْرِيَّاتُ أَحْسَنَ  
 رَائِحَةٍ وَأَشَدَّ مَلَاءِمَةً لِلرُّوحِ لَغَلْبَةِ الْحَرَارَةِ فِيهَا أَلْبَنِي هِيَ مِزَاجُ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَأَمَّا  
 الْمَرْتَبَاتُ وَالْمَسْمُوعَاتُ فَالْمَلَائِمُ فِيهَا تَنَاسُبُ الْأَوْضَاعِ فِي أَشْكَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا فَهُوَ  
 أَنْسَبُ عِنْدَ النَّفْسِ وَأَشَدُّ مَلَاءِمَةً لَهَا فَإِذَا كَانَ الْعَرْنِيُّ مُتَنَاسِبًا فِي أَشْكَالِهِ وَمَخَاطِيطِهِ  
 أَلْبَنِي لَهُ بِحَسَبِ مَادَّتِهِ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ عَمَّا نَقَضِيهِ مَادَّتُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ كَمَالِ الْمُنَاسِبَةِ  
 وَالْوَضْعِ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ فِي كُلِّ مُدْرِكٍ كَانَ ذَلِكَ حِينئِذٍ مُنَاسِبًا  
 لِلنَّفْسِ الْمُدْرِكَةِ فَتَلْتَدُّ بِإِدْرَاكِ مَلَائِمِهَا وَهَذَا تَجِدُ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَهْتَرِينَ فِي الْحُبِّ  
 يَعْبرُونَ عَنْ غَايَةِ مَحَبَّتِهِمْ وَعَشْقَتِهِمْ بِأَمْتِزَاجِ أَرْوَاحِهِمْ بِرُوحِ الْحَبُوبِ وَفِي هَذَا سِرٌّ  
 تَفْهَمُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَهُوَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَإِنْ كَانَ مَا سِوَاكَ إِذَا نَظَرْتَهُ وَتَأَمَّلْتَهُ

رَأَيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اتِّحَادًا فِي الْبِدَاءِ يَشْهَدُ لَكَ بِهِ اتِّحَادُ كَمَا فِي الْكُونَ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الْوُجُودَ يَشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا تَقُولُهُ الْحِكْمَاءُ فَتَوَدُّ أَنْ يَنْزَجَ  
بِشَاهِدَاتٍ فِيهِ الْكَمَالَ يَتَّحِدُ بِهِ بَلْ تَرُومُ النَّفْسُ حِينَئِذٍ الْخُرُوجَ عَنِ الْوَهْمِ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَالْكُونَ وَلَمَّا كَانَ أَنْسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
إِلَى أَنْ يَدْرِكَ الْكَمَالَ فِي تَنَاسُبِ مَوْضُوعِهَا هُوَ شَكْلَةُ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا إِذْ رَأَى الْكَمَالَ لِلْجَمَالِ  
وَالْحُسْنِ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَيُلْهَجُ كُلُّ  
إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْثِيِّ أَوْ الْمَسْمُوعِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْحُسْنُ فِي الْمَسْمُوعِ أَنْ  
تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَنَافِرَةً بِدَلَالَةِ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْمَهْمَسِ  
وَالْجَهْرِ وَالرَّخَاوَةِ وَالشَّدَّةِ وَالْقَلْقَلَةِ وَالضَّمَطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
لَهَا الْحُسْنَ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدَى دَفْعَةٍ بَلْ يَتَدَرِّجُ ثُمَّ يَرْجِعُ كَذَلِكَ  
وَهَكَذَا إِلَى الْمَثَلِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَوْسُطِ الْمَعَارِيرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأَمَّلْ هَذَا مِنْ أَفْتَاتِحِ  
أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكِبِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ أَوْ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
وَتَأْنِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلَ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نِصْفِهِ أَوْ ثُلُثِهِ أَوْ  
جُزْءٍ مِنْ كَذَا مِنْهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ التَّنْقُلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مَلَأَمَةً  
مَلْدُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِطًا وَيَكُونُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
لَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صِنَاعَةٍ كَمَا نَجِدُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشِّعْرِيَّةِ وَتَوَقُّعِ  
الرَّقِصِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةُ بِالْمِضْمَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ يَهْدِيهِ  
الْمِثَابَةُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيَجِدُونَ فِي تِلَاخِينِ أَصْوَاتِهِمْ كَمَا أَنَّ الْمَزَامِيرَ فِطْرِيَّةً  
يُحْسِنُ مَسَاقِيمَهُمْ وَتَنَاسُبُ نَعْمَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَحْدُثُ بِالْتَّرَكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطِّبَاعِ تَوَافِقُ صَاحِبَهَا فِي الْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا نَشْرَحُهُ بَعْدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَالِكُ  
رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقِرَاءَةَ بِالتَّلْحِينِ وَأَجَارَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَلْحِينُ  
الْمَوْسِيقِيِّ الصَّنَاعِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي حَظِّهِ إِذْ صِنَاعَةُ الْغِنَاءِ مُبَيَّنَةٌ لِلْقُرْآنِ  
بِكُلِّ وَجْهِ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَدَاءَ يَحْتَاجُ إِلَى مِقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لِتَعْيِينِ أَدَاءِ الْحُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ اتَّبَاعُ الْحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمَقْدَارِ الْمَدِّ عِنْدَ مَنْ يُطْلِقُهَا أَوْ يُقْصِرُهَا وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَالتَّلْحِينُ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قُلْنَا فِي حَقِّهِ قِيَمَةُ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهَا قَدْ يَخْلُفُ بِالْآخِرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقْدِيمُ الرَّوَايَةِ مُتَعَيَّنٌ  
 مِنْ تَغْيِيرِ الرَّوَايَةِ الْمُنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْآدَاءِ الْمَعْتَبَرِ فِي  
 الْقُرْآنِ بِوَجْهِهِ وَإِنَّمَا مَرَادُهُمُ التَّلْحِينُ الْبَسِيطُ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمِضْمَارِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ فَيَرِدُ دُأْصَوَاتُهُ تَرْدِيدًا عَلَى نَسَبٍ يُدْرِكُهَا الْعَالِمُ بِالْفَنَاءِ وَغَيْرُهُ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 بِوَجْهِهِ كَمَا قَالَه مَالِكٌ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنْزِيهُهُ الْقُرْآنَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ تَحَلُّ خُشُوعٍ بِذِكْرِ الْعَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامَ التَّنَادِ بِإِذْرَاكِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الْعِبَادَةِ رِضِي  
 اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ آوَيْتُ مِنْ مَرَامِينَ مَرَامِيرِ  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدَ وَالتَّلْحِينَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حُسْنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ  
 وَالْإِبَانَةُ فِي نَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَالنُّطْقِ بِهَا وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْغِنَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي الْعُمُرَانِ إِذَا تَوَقَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الضَّرُورِيِّ إِلَى الْحَاجِيِّ ثُمَّ إِلَى الْإِسْكَمَالِيِّ وَتَنَنُوا  
 فَحَدَّثَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ فَرَّغَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ  
 وَالْمُهَيِّمَةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الْفَارِغُونَ عَنْ سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ  
 تَفَنُّنًا فِي مَذَاهِبِ الْمَلْدُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ الْعَجَمِ قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنْهَا بَعْضُ زَاخِرٍ فِي  
 أَمْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ وَيُولَعُونَ بِهِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ لِمُلُوكِ  
 الْفَرَسِ أَهْتِمَامٌ بِالْأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَتَجَامِعَهُمْ وَيَعْنُونَ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ الْعَجَمِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي كُلِّ أَفْئِ مِنْ أَفَاقِهِمْ وَمَمْلَكَةِ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوْلَا فَنُّ الشَّعْرِ يُؤَلِّفُونَ فِيهِ الْكَلَامَ أَجْزَاءَ  
 مُتَسَاوِيَةً عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَهَا فِي عِدَّةِ حُرُوفِهَا الْمَعْتَرِكَةِ وَالسَّاكِنَةِ وَيُفْضِلُونَ الْكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِالْإِفَادَةِ لَا يَتَعَطَّفُ عَلَى الْآخِرِ  
 وَيُسْمَوْنَ الْبَيْتَ فَتَلَاثِمُ الطَّبَعِ بِالْتَجْزِئَةِ أَوْلَا ثُمَّ يَتَنَاسَبُ الْأَجْزَاءُ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَبَادِيءِ  
 ثُمَّ يَتَأَدَّبُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَتَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَلَهَجُوا بِهِ فَا مَنَازَ مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 بِحَظِّهِ مِنَ الشَّرْفِ لَيْسَ لغيرِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَعَلُوهُ دِيْوَانًا لِأَخْبَارِهِمْ

وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَتَحَكُّمًا لِقَرَائِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِجَادَةِ الْأَسَالِبِ وَأَسْتَمَرُّوا  
 عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْمَعْتَرِكِ وَالسَّاكِنِ مِنَ الْحُرُوفِ  
 قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مِنْ تَنَاسُبِ الْأَصْوَاتِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْمَوْسِيقَى إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ  
 يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَتَّجِرُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةَ وَكَانَتِ الْبِدَاوَةُ أَغْلَبَ  
 فِعْلِهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ أَحَدَاةُ مِنْهُمْ فِي حِدَاءِ إِبْلِهِمْ وَالْفُتْيَانِ فِي فِضَاءِ خَلْوَاتِهِمْ فَرَجَعُوا الْأَصْوَاتِ  
 وَتَرَنَمُوا وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّرَنَّمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءٌ وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ نَوْعِ  
 الْقِرَاءَةِ تَغْيِيرًا بِالْفَتَنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّهَا أَبُو اسْتِحْقَاقِ الرَّجَّاجُ بِأَنَّهَا تُذَكِّرُ  
 بِالْغَابِرِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيُّ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ النِّعَمَاتِ مُنَاسَبَةً  
 بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو رَشِيْقٍ آخِرَ كِتَابِ الْعُمْدَةِ وَغَيْرُهُ وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السِّنَادَ  
 وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَفِيفِ الَّذِي يُرَقِّصُ عَلَيْهِ وَيُمَشِي بِاللَّفِّ وَالْمَرْمَارِ  
 فَيَضْطَرِبُ وَيَسْتَحِفُّ الْحُلُومَ وَكَانُوا يُسَمُّونَ هَذَا الْمَرْجَ وَهَذَا الْبَسِيطَ كُلُّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ  
 هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تُنْفِطَنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ شَأْنِ الْبَسَائِطِ كُلِّهَا مِنَ  
 الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنِ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوْلُوا  
 عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْعَجَمِ وَغَلِبُوا عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاضَةِ عَلَى  
 الْحَالِ الَّتِي عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْفِرَاقِ وَمَا لَيْسَ  
 بِنَافِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عِنْدَهُمْ إِلَّا التَّرْجِيحُ  
 الْقِرَاءَةِ وَالتَّرَنُّمِ بِالشَّعْرِ الَّذِي هُوَ دِينُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ التَّرَفُ وَغَابَ عَلَيْهِمْ  
 الرِّفْقُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غِنَائِهِمُ الْأَمَمِ صَارُوا إِلَى نِضَارَةِ الْعَيْشِ وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ وَأَسْتَحْلَاءِ  
 الْفِرَاقِ وَاقْتَرَقَ الْمُغْنُونَ مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ  
 وَغَنُوا جَمِيعًا بِالْعِيدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَازِفِ وَالْمَزَامِيرِ وَسَمِعَ الْعَرَبُ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ  
 فَلَحَنُوا عَلَيْهَا أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ لَشَيْطَانُ الْفَارِسِيِّ وَطُوَيْسُ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عُبَيْدِ  
 اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَلَحْنَهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُكُمْ ثُمَّ أَخَذَ عَنْهُمْ  
 مَعْبُدٌ وَطَبَقْتُهُ وَأَبْنُ شُرَيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تُتَدَرَّجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامُ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَأَبْنِ اسْتِحْقَاقِ وَأَبْنِ حَمَادٍ وَكَانَ مِنْ  
 ذَلِكَ فِي دَوْلَتِهِمْ بَغْدَادَ مَا تَبِعَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَهُ بِهِ وَبِمَجَالِسِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَعُوا فِي اللَّهِ



وَاللَّعِبِ وَاتَّخَذَتْ آلَاتُ الرِّفْقِ فِي الْمَلِيسِ وَالْقُضْبَانَ وَالْأَشْعَارُ الَّتِي بَرَزَتْ بِهَا عَلَيْهِ  
وَجُمِلَ صِنْفًا وَحَدَهُ وَاتَّخَذَتْ آلَاتُ أُخْرَى لِلرِّفْقِ تُسَمَّى بِالْكَرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسْرَجَةٌ مِنَ الْخَشَبِ مُعَلَّقَةٌ بِأَطْرَافِ أَقْبِيَةِ يَلْبَسُهَا النَّسْوَانُ وَيُحَاكِبْنَ بِهَا أَمْتِطَاءَ الْخَيْلِ  
فِيكَرُونَ وَيَفْرُونَ وَيُثَاقِفُونَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ الْمَعْدَّةِ لِلْوَلَامِ وَالْأَعْرَاسِ وَأَيَّامِ  
الْأَعْيَادِ وَجَالِسِ الْفَرَاغِ وَاللَّهْوِ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِيَعْنَادِ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْحَوْصَلِيِّينَ عَلَامٌ اسْمُهُ زَرْيَابٌ أَخَذَ عَنْهُمْ الْغِنَاءَ فَأَجَادَ فَصَرَفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غَيْرَةً مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِيمَتِهِ وَرَكِبَ لِلْقَائِمِ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالْحُرَايَاتِ وَأَحْلَاهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَتُدْمَأَمِهِ بِمَكَانٍ فَأَوْرَثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَرْوَاقِ  
الْعُلُوِّاتِ وَطَمَا مِنْهَا بِأَسْبِيلِيَّةِ بَحْرٍ زَاخِرٍ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُودِ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَأَنْتَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صِبَابَةٌ عَلَى تَرَاجُعِ عُمُرَانِيَّاتِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلَتِهَا وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ آخِرُ مَا يَحْتَصِلُ فِي الْعُمُرَانِ مِنَ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَمَالِيَّةٌ فِي  
غَيْرِ وَظَنِيَّةٌ مِنَ الْوُظَائِفِ إِلَّا وَظِيفَةُ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنْ  
الْعُمُرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَاجُعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب  
قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة وأن  
خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والآدراكات عن المحسوسات  
أولاً ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً  
تسكروناً ذاتاً روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع  
من العلم والنظر يفيدها عقلاً فريداً والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون  
علمي مستفاد من تلك الملكة فهذا كانت الحكمة في التجربة تفيد عقلاً والحضارة  
الكاملة تفيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرة أبناء  
الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها  
وهذه كلها قوانين تنتظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع

أَكْثَرُ إِفَادَةٍ لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ إِفَادَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَرِيَانُهُ أَنْ فِي



## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنائها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعلم طبيعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ شَارَكَهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ  
وَالغذاء وَالْكَيْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَيَّزَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ  
وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَنْبَاءِ جِنْسِهِ وَالْإِجْتِمَاعِ الْمُهَيَّءِ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبَاءُ  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صَلَاحِ أَخْرَافِهِ فَهُوَ مُنْصَرِّفٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا  
يَفْتَرُّ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةٌ عَيْنٌ بَلْ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَسْرَعُ مِنْ لَعْنِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا  
الْفِكْرِ تَنْشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدَّمَ نَاهُ مِنَ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لِأَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ  
بَلِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَدْعِيهِ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاغِبًا فِي تَحْصِيلِ مَا آيَسَ

عنده من الإدراك فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو  
أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على  
أخذه وعلمه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض  
له لذاته واحدا بعد آخر ويتحرر على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة  
ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتلشوف نفوس  
أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيزعمون إلى أهل معرفته ويحیی التعليم من هذا  
فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر

### الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الخلق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة  
في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسأله وأساليب فروعه من أصوله وما  
لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلا وهذه الملكة  
هي في غير الفهم والوعى لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعىها  
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدى فيه وبين العاني الذي لم  
يعرف عنه وبين العالم النحرير والملكة إنما هي للعالم أو الشاري في الفنون دون من  
سواها فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعى والملكات كلها جنسية سواء  
كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجنسيات كلها تحسوسة  
فتفتقر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير  
المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفتق وجيل وبدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة  
أختلاف الاصطلاحات فيه فلكل علم من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم  
يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإنما كان  
واحدا عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تختلف في تعليمه اصطلاح المتقدمين  
والمبتدئين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته نجد  
الاصطلاحات في تعليمه مختلفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه  
وإن الفرر ذلك فأعلم أن سند تعليم العلم لهذا العلم كاد ينقطع عن أهل المغرب

بِأَخْتِلَالِ عُمُرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدُّوَلِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا  
 كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَيْرَوَانَ وَقُرْطُبَةَ كَانَتَا حَاضِرَتِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَبْجَرَ عُمُرَانُهُمَا  
 وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِذَةٌ وَبُحُورٌ زَاخِرَةٌ وَرَسَّخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمَ لِأَمْتِدَادِ  
 عُمُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَلَمَّا خَرَبْنَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
 كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِمَرَاكِشَ مُسْتَفَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسَّخِ الْحَضَارَةُ بِمَرَاكِشَ لِبَدَاوَةِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُوحِدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبَ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا بِمَبْدَأِهَا فَلَمْ تَتَّصِلْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ  
 فِيهَا إِلَّا فِي الْأَوَّلِ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ بِمَرَاكِشَ أَرْجَحَلُ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيْقِيَّةِ  
 الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ زَيْتُونٍ لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيذَ الْإِمَامِ ابْنِ  
 الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّفَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
 يَعْلَمُ كَثِيرًا وَتَعْلِيمُهُ حَسَنٌ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبِ الدَّكَّالِيُّ  
 كَانَ أَرْجَحَلُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةِ مِصْرَ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَأَسْتَقَرَّ بِهَا  
 وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهُمَا أَهْلُ تُونِسَ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهَا جِيلًا  
 بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى أَتَى إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحِ بْنِ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيذِهِ  
 وَانْتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تَلْمَسَانَ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيذِهِ فَإِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
 مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَجَايَسَ بِأَعْيَانِهَا وَتَلْمِيذِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتَلْمَسَانَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَلَّةِ بِمَعِيَّتِ بَعْثِي بِخَشْيِ انْقِطَاعِ سَنَدِهِمْ ثُمَّ أَرْجَحَلُ مِنْ زَوَاوَةِ سِنِّي  
 آخِرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشْدَلِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيذَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
 الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شِهَابِ الدِّينِ الْفَرَّافِيِّ فِي بَجَايَسَ وَاحِدَةٍ  
 وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّفَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ يَعْلَمُ كَثِيرًا وَتَعْلِيمُهُ مُفِيدٌ وَنَزَلَ  
 بِبَجَايَةَ وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرُبَمَا انْتَقَلَ إِلَى تَلْمَسَانَ عُمُرَانُ الْمَشْدَلِيِّ مِنْ  
 تَلْمِيذِهِ وَأُوطِنَهَا وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيذُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِبَجَايَةَ وَتَلْمَسَانَ قَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
 مِنَ الْقَلِيلِ وَبَقِيَتْ فَاسُ وَسَائِرُ أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
 انْقِرَاضِ تَعْلِيمِ قُرْطُبَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَلَمْ يَتَّصِلْ سَنَدُ التَّعْلِيمِ فَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
 وَالْحَدِّقُ فِي الْعُلُومِ وَأَيْسَرُ طَرِيقُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقَى اللِّسَانَ بِالْمَحَاوَرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ فِي  
 الْمَسَائِلِ الْعَامِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُ شَأْنَهَا وَيَحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذَهَابَ الْكَثِيرِ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فِي مُلَازِمَةِ الْمَجَالِسِ الْعِلْمِيَّةِ سُكُوتًا لَا يَنْطِقُونَ وَلَا  
 يُعَاوِضُونَ وَعِنَابَتِهِمْ بِالْحِفْظِ أَكْثَرَ مِنَ الْحَاجَةِ فَلَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ مِنْ مَلَكَهَ التَّصَرُّفِ  
 فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ ثُمَّ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَنْ يَرَى مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ بَعْدَ مَلَكَتِهِ قَاصِرَةٌ فِي  
 عِلْمِهِ إِنْ فَاوَضَ أَوْ نَاطَرَ أَوْ عَلَّمَ وَمَا أَنَاهُمْ الْقُصُورُ إِلَّا مِنَ قِبَالِ التَّعْلِيمِ وَأَنْقِطَاعِ سَنَدِهِ  
 وَإِلَّا فَعَنَظُهُمْ أَبْلَغُ مِنْ حِفْظِ سِوَاهُمْ لِشِدَّةِ عِنَابَتِهِمْ بِهِ وَظَنُّهُمْ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمَلَكَهَةِ  
 الْعِلْمِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَمِمَّا يَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ أَنَّ الْمُدَّةَ الْعَمِيَّةَ لَسَكَنِي طَلَبَةِ  
 الْعِلْمِ بِالْمَدَارِسِ عِنْدَهُمْ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَهِيَ بِتُونِسَ خَمْسُ سِنِينَ وَهَذِهِ الْمُدَّةُ بِالْمَدَارِسِ  
 عَلَى الْمُتَعَارَفِ هِيَ أَقَلُّ مَا يَتَأْتَى فِيهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ حُصُولُ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْمَلَكَهَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ  
 الْيَأْسِ مِنْ تَحْصِيلِهَا فَطَالَ أَمْدُهَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذِهِ الْمُدَّةِ لِأَجْلِ عُسْرِهَا مِنْ قِلَّةِ الْجُودَةِ  
 فِي التَّعْلِيمِ خَاصَّةً لِأَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ قَدْ دَهَبَ رَسْمُ التَّعْلِيمِ مِنْ  
 بَيْنِهِمْ وَذَهَبَتْ عِنَابَتُهُمْ بِالْعُلُومِ لِتَنَاقُصِ عُمَرَانَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مِنْذُ مِئْتِينَ مِنَ السِّنِينَ  
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رَسْمِ الْعِلْمِ فِيهِمْ إِلَّا فَنُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ أَقْتَصَرُوا عَلَيْهِ وَأَمْحَقَطَ سَنَدُ  
 تَعْلِيمِهِ بَيْنَهُمْ فَأَمْحَقَطَ بِحِفْظِهِ وَأَمَّا الْفِقْهُ بَيْنَهُمْ فَرَسْمُ خَوٍّ وَأَثَرٌ بَعْدَ عَيْنٍ وَأَمَّا الْعُقُلِيَّاتُ  
 فَلَا أَثَرَ وَلَا عَيْنَ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِيهَا بِتَنَاقُصِ الْعُمَرَانَ وَتَغْلِبِ الْعَدُوِّ  
 عَلَى عَامَتِهَا إِلَّا قَلِيلًا بِسَيْفِ الْبَحْرِ شَغْلُهُمْ بِمَعَايِشِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ شُغْلِهِمْ بِمَا بَعْدَهَا وَاللَّهُ  
 غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَلَمْ يَنْقَطِعْ سَنَدُ التَّعْلِيمِ فِيهِ بَلْ أَسْوَاقُهُ نَافِقَةٌ وَبُحُورُهُ  
 زَاخِرَةٌ لِاتِّصَالِ الْعُمَرَانَ الْمَوْفُورِ وَاتِّصَالِ السَّنَدِ فِيهِ وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْصَارُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي  
 كَانَتْ مَعَادِنَ الْعِلْمِ قَدْ خَرِبَتْ مِثْلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ  
 أَدَالَ مِنْهَا بِأَمْصَارِ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ وَانْتَقَلَ الْعِلْمُ مِنْهَا إِلَى عِرَاقِ الْعَجْمِ بِخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ  
 النَّهْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ تَزَلْ مُؤَفُّورَةٌ وَعُمَرَانُهَا  
 مُتَّصِلَةٌ وَسَنَدُ التَّعْلِيمِ بِهَا فَائِمًا فَأَهْلُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْتَمُوا فِي صِنَاعَةِ تَعْلِيمِ  
 الْعِلْمِ وَفِي سَائِرِ الْأَصْنَائِعِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظَنُّ كَثِيرٌ مِنْ رِحَالَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنْ عَقُولُهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ أَكْمَلُ مِنْ عَقُولِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَنََّّهُمْ أَشَدُّ  
 نَبَاهَةً وَأَعْظَمُ كَيْسًا بِفِطْرَتِهِمْ الْأُولَى وَأَنَّ نَفْسَهُمْ النَّاطِقَةَ أَكْمَلُ بِفِطْرَتِهَا مِنْ نَفْسِ  
 أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَيَعْتَقِدُونَ التَّنَاوُتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَتَشَبَّهُونَ لِذَلِكَ

وَيُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
 قُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَفَاوُتٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ الَّذِي هُوَ تَفَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
 اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمُتَحَرِّفَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ فَإِنَّ الْأَمْرِجَةَ فِيهَا مُنَحَرِفَةٌ  
 وَالنَّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَّلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ  
 هُوَ مَا يَحْتَصِلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَزِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
 الصَّنَائِعِ وَتَزِيدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي أَحْوَالِهِمْ فِي  
 الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
 وَمَعَامَلَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقِفُ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
 مَا يَتَنَاقَلُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَانَتْهَا حُدُودٌ لَا تُعَدَّى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
 صِنَائِعٌ يَتَلَقَّاهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرَجْعِ  
 مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرٌ يُكْسِبُهَا عَقْلاً جَدِيداً تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى وَيَنْهَيَا بِهَا  
 الْعَقْلَ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ وَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنِ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
 لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْحُمُرَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجْجَمَ مِنَ الْعَاشِي وَالطَّائِرِ  
 مُفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يُسْتَعْرَبُ نُدُوزَهَا وَيَعْجِزُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَهْمِهَا وَحَسَنُ  
 الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَّةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانَ ذِكَاةً فِي عَقْلِهِ  
 وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَاتِ الْخَاصَّةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدَمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
 بِالْإِدْرَاكِاتِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَيَزِدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْسًا لِمَا يَرْجَعُ إِلَى  
 النَّفْسِ مِنَ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ فَيُظَنُّ الْعَامِّيُّ تَفَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
 الْآتِرَى إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُحْتَايًا بِالذِّكَاةِ مُمْتَلِكًا  
 مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى إِنْ الْبَدْوِيَّ أَيْظُنُّ أَنَّهُ قَدْ فَانَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِجَادَتِهِ فِي مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
 الْحَضَرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدْوِيُّ فَلَمَّا أَمْتَلَأَ الْحَضَرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحَسَنُ  
 تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنِ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا لِكَمَالٍ فِي عَقْلِهِ وَإِنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
 قَاصِرَةٌ بِفِطْرَتِهَا وَجِبِلَّتِهَا عَنِ فِطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
 أَعْلَى رُتْبَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْكَمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رَوْتِقُ الصَّنَائِعِ وَالتَّعْلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَارًا تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَكَذَا  
 أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ أَرْسَخَ رُتْبَةً وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبَ إِلَى الْبِدَاوَةِ لَمَّا قَدَّمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنَّ الْمُغْفَلُونَ فِي بَادِيءِ الرَّأْيِ أَنَّهُ  
 لِيَكْمَالَ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اخْتَصَمُوا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ فَتَقَهَّمَهُ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعم الحضارة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا  
 أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْتُمُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمُرَانِهَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ وَالْحِضَارَةِ  
 وَالذَّرْفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَائِعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْعَمَاشِ قَمْتِي  
 فَضَلَّتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمُرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْعَمَاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
 فِي خَاصِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ مِمَّنْ تَشَأُ فِي  
 الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْبُتْمَدِيَّةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا التَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِي لِفَقْدَانِ الصَّنَائِعِ  
 فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَلَا يَدُلُّهُ مِنَ الرَّحَلَةِ فِي طَلْبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَبْجِرَةِ  
 شَأْنَ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَأَعْتَبِرْ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادَ وَفَرْطَبَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ  
 لَمَّا كَثُرَ عُمُرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحِضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ الْعِلْمِ  
 وَتَقَنَّوْا فِي أَصْطِلَاحَاتِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَأَسْتَنْبَاطِ الْمَسَائِلِ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَرْبَوَاعِي  
 الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَاتُوا الْمُنَآخِرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمُرَانُهَا وَأَبْدَعَتْ سُكَّانُهَا أَنْطَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ  
 بِمَا عَلَيْهِ جُمْلَةٌ وَقَدَّ الْعِلْمُ بِهَا وَالتَّعْلِيمُ وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمُرَانَهَا مُسْتَبْجِرَةٌ  
 وَحِضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مُنْذُ الْآفِ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَتَقَنَّتْ وَمِنْ  
 جِبَانَتِهَا تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِيهَا وَحَفِظَهُ مَا وَقَعَ لِهَذِهِ الْعُصُورِ بِهَا مُنْذُ مَائَتَيْنِ مِنَ  
 السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ مِنْ أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلَمْ جَرًّا وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّرَاءَ  
 التُّرْكِ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَّةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَغْلِقُونَهُ مِنْ دُرِّ بَيْتِهِمْ لِمَا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 الرِّقِّ أَوْ الْوِلَاةِ وَمَا يَخْشَى مِنْ مَعَاطِبِ الْمَلِكِ وَنُكْبَاتِهِ فَاسْتَكْتَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ

وَأَزْوَابًا وَالرُّبُطُ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ الْمُعْتَلَةَ يَجْعَلُونَ فِيهَا شَيْئًا كَأَلْوَالِيهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهَا أَوْ  
يُصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ غَالِبًا مِنَ الْجَنُوحِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْتِمَاسِ الْأَجْرِ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ  
فَكَثُرَتْ الْأَوْقَافُ لِذَلِكَ وَعَظُمَتِ الْبَلَدَاتُ وَالْفَوَائِدُ وَكَثُرَ طَلَبُ الْعِلْمِ وَمُعَلِّمُهُ بِكَثْرَةِ  
جَرَائِمِهِمْ مِنْهَا وَأَزْمَعَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَتَفَقَّتْ بِهَا أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِحَارِهَا وَاللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخُوضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَبَدَأُوا لُؤُنَهَا فِي الْأَمْسَارِ تَخْصِيلاً وَتَعْلِيماً هِيَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٍ طَبِيعِيٍّ لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٍ نَقْلِيٍّ يَأْخُذُهُ عَمَّنْ  
وَضَعَهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلْسَافِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ  
بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضُوعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْحَاءِ بَرَاهِينِهَا  
وَوُجُوهِ تَعْلِيمِهَا حَتَّى يَقِفَهُ <sup>(١)</sup> نَظَرُهُ وَيَخْتَهُ عَلَى الصَّوَابِ مِنَ الْخَطَا فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ الْوَضْعِيَّةُ وَهِيَ كَكُلِّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنِ  
الْوَاضِعِ الشَّرْعِيِّ وَلَا جَمَالَ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي الْخَلْقِ الْفُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ  
لِأَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ الْحَادِثَةَ الْمُتَعَابِقَةَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ النَّقْلِ الْكُلِّيِّ بِعَجْرَدٍ وَضَعِهِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى الْإِلْحَاقِ بِوَجْهِ قِيَاسِيٍّ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقِيَاسَ يَتَفَرَّغُ عَنِ الْخَبَرِ بِثُبُوتِ الْحُكْمِ  
فِي الْأَصْلِ وَهُوَ نَقْلِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى النَّقْلِ لِتَفَرُّغِهِ عَنْهُ وَأَضَلَّ هَذِهِ الْعُلُومُ  
النَّقْلِيَّةُ كَكُلِّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوعَةٌ لَنَا مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهَيَّئُهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَتَبِعُ ذَلِكَ عُلُومُ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْمَلَّةِ وَبِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ  
كَثِيرَةٌ لِأَنَّ الْمُكَلَّفَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَقْرُوضَةَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آبَائِهِ جَنْسِهِ وَهِيَ مَا خُوذَتْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ بِالنَّصِّ أَوْ بِالِاجْتِمَاعِ أَوْ  
بِالِإِلْحَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَانِ الْفَاضِلِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ ثُمَّ  
بِإِسْنَادِ نَقْلِهِ وَرَوَاتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعدياً فنول وقفته على كذا أي اطالعته عليه قاله نصر



رَوَايَاتِ الْقُرْآنِ فِي قِرَاءَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّافِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَّ التَّيَمُّ لِيَقَعَ التَّوْتُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ  
 الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أُصُولِهَا مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الِاسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أُصُولُ الْفَقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَخَصُّصُ الشُّعْرَةِ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفَقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنْهَا بَدَنِيٌّ وَمِنْهَا قَلْبِيٌّ وَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْحُسْنَى وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدْرِ وَالْحِجَاجِ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقَائِدِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ تَمُدَّهَ الْعُلُومُ اللَّسَانِيَّةُ لِأَنَّهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فِرْنِهَا عِلْمُ اللُّغَةِ وَعِلْمُ النَّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَابِ حَسْبَمَا نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا كَلِمًا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ النَّقَائِيَّةُ كَلِمًا مُخْتَصَّةٌ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِيهِ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيْعَةِ الْمُبْلِغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَمَبَايِنَةٌ  
 لِجَمِيعِ الْمِلَلِ لِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمِلَلِ فَمَعْجُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَعْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ  
 وَالزُّبَانَ وَالْهَيْكُلَ وَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَةِ فَغَضِبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ آتِكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَقِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِيٌّ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ  
 نَفَقَتْ أَسْوَاقَهَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَنْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاطِرِينَ إِلَى  
 الْغَايَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ فَوْقَهَا وَهَدَيْتِ الْأَصْطِلَاحَاتُ وَزَيَّيْتِ الْفُنُونُ لِحَاجَاتِ مَنْ وَرَاءَ الْغَايَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالنَّعْمِيقِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوْضَاعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا الْعَلِيمُ  
 وَأَخْصَصَ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسْبَمَا نَذَكُرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِتِنَاقُصِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَانْقِطَاعِ سِنْدِ الْعِلْمِ وَالنَّعْمِ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ

بِالْمَشْرِقِ وَالظَّنُّ بِهِ نَفَاقُ الْعِلْمِ فِيهِ وَاتَّصَلَ التَّعْلِيمُ فِي الْعُلُومِ وَفِي مَسَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الْفَرُورِيَّةِ وَالْكِمَالِيَّةِ لِكثْرَةِ عُمُرَانِهِ وَالْحِضَارَةِ وَوُجُودِ الْإِعَانَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِالْجِرَائَةِ  
مِنَ الْأَوْقَافِ الَّتِي أُتِّسَمَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنزَلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَفْتَيْ الْمُنْصَحَفِ وَهُوَ  
مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طُرُقٍ  
مُخْتَلَفَةٍ فِي بَعْضِ الْفَاطِمِ وَكَيْفِيَّاتِ الْحُرُوفِ فِي آدَائِهَا وَتَنَوُّقِ ذَلِكَ وَأَشْتَهَرَ إِلَى أَنْ  
اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٌ تَوَاتَرَتْ تَقْلُهَا أَيْضًا بِآدَائِهَا وَأَخْتَصَّتْ بِالْإِنْسَابِ إِلَى مَنْ  
أَشْتَهَرَ بِرِوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْغَنِيِّ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ أُصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخْرَى لِحَقِّقَتْ بِالسَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْوَى قُوَّتُهَا  
فِي النُّقْلِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِهَا وَقَدْ خَالَفَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ إِلَّا كَثُرَ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالتَّسْهِيلِ لِعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقِرَاءَةُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ وَرِوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كَتَبَتِ الْعُلُومُ وَوَدَّوَتْ فَكُتِبَتْ فِيهَا كُتَيْبٌ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْمًا مُفْرَدًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جَيْلٍ بَعْدَ جَيْلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوْلَى الْعَامِرِيِّينَ وَكَانَ  
مُعْتَبَرًا بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ بَيْنِ فُنُونِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَأَجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرَّضَهُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ بِحَضْرَتِهِ فَكَانَ سَهْمُهُ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَأَخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَائِيَّةِ وَالْجُزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ فَتَفَقَّتْ بِهَا سُوقُ  
الْقِرَاءَةِ لِمَا كَانَ هُوَ مِنْ أئِمَّتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِعَهْدِهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّائِي وَبَلَغَ الْعِنَايَةَ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَأَنْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَدَّلُوا عَنْ غَيْرِهَا وَأَعْتَمَدُوا

مِنْ يَنْبَاقِ كِتَابِ التَّبْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
 ابْنُ فَيْزَةَ مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ قَعْمَدَ إِلَى تَهْدِيبِ مَا دَوَّنَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلْخِيصِهِ فَتَنَزَّهَ ذَلِكَ  
 كَلْمُهُ فِي قَصِيدَةٍ لَفَزَ فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَّاءِ بِحُرُوفِ اب ج د تَرْتِيبًا أَحْكَمَهُ لِيَتَبَسَّرَ عَلَيْهِ مَا  
 قَصَدَهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَلِيَكُونَ أَمْتَهُلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ تَنْظِمِهَا فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا الْقُرَّانَ اسْتِيعَابًا  
 حَسَنًا وَعَنَى النَّاسُ بِحِفْظِهَا وَتَلْقِينِهَا لِلْوِلْدَانِ الْعَمَلِينَ وَجَرَى أَمْتَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْتَارِ  
 الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرُبَّمَا أُضِيفَتْ إِلَى قَبْلِ الْقُرَّاءَاتِ فَنُ الرَّسْمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
 حُرُوفِ الْقُرَّانِ فِي الْمُنْخَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِيَّةُ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى  
 غَيْرِ الْعَرُوفِ مِنْ فِئَسِ الْخَطِّ كَرِ يَادَةُ الْيَاءِ فِي بَابِ يَدِ وَرِ يَادَةُ الْآلِفِ فِي لَأِ أَذْبَجَنُهُ  
 وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءِ وَالظَّالِمِينَ وَحَذَفَ الْآلِفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
 رُسِمَ فِيهِ مِنَ الْبَاءَاتِ مَمْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى شَكْلِ الْهَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
 مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرَّسْمِ الْمُعْجَنِي عِنْدَ الْكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ الْخُفَالَةُ  
 لِأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ أَخْبِجَ إِلَى حَضْرَتِهَا فَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كَتَبِهِمْ  
 فِي الْعُلُومِ وَأَنْتَهَتْ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي الْمَذْكُورِ فَكَتَبَ فِيهَا كُتُبًا مِنْ  
 أَشْهُرِهَا كِتَابُ الْحَقِيقِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَنَظَمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِئِيُّ فِي  
 قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رُويِ الرَّاءِ وَوَلَعَ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ الْخِلَافُ فِي الرَّسْمِ فِي  
 كَلِمَاتِ وَحُرُوفِ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سَائِمَانُ بْنُ نِجَاحٍ مِنْ مَوَالِي نِجَاهِدٍ فِي  
 كُتُبِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي وَالْمَشْهُورُ بِجَمَلِ عُلُومِهِ وَرِوَايَةِ كُتُبِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
 بَعْدَهُ خِلَافُ آخَرَ فَتَنَزَّهَ الْخُرَّازُ مِنَ الْعَتَاخِرِينَ بِالْمَغْرِبِ أَزْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
 عَلَى الْحَقِيقِ خِلَافًا كَثِيرًا وَعَزَاهُ لِأَقْلِبِيهِ وَأَشْهَرَتْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
 وَهَجَّرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِئِيِّ فِي الرَّسْمِ

(واما التفسير) . فاعلم ان القرآن نزل بلغه العرب وعلى اساليب بلاغتهم  
 فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملاً جملاً  
 وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد  
 الايمانية ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون  
 ناسخاً له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجملة ويميز الناسخ من المنسوخ

وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ كَمَا  
عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنبَأْنَا نِعْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ النَّابِعُونَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتِ الْمَعَارِفُ  
عُلُومًا وَوَدَّتِ الْكُتُبُ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَنُقِلَتِ الْآثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنِ  
الصَّحَابَةِ وَالنَّابِعِينَ وَأَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبْرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالْثَعَالِبِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْآثَارِ ثُمَّ صَارَتِ عُلُومُ اللِّسَانِ  
صِنَاعِيَّةً مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضُوعَاتِ اللُّغَةِ وَأَحْكَامِ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ فِي التَّرَاكِبِ  
فَوَضِعَتِ الدَّوَاوِينَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى نَقْلِ وَلَا  
كِتَابٍ فَتَنُومِي ذَلِكَ وَصَارَتْ تُعَلَّمُ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَأَخْبِجَ إِلَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بِلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صِنْفَيْنِ تَفْسِيرِ نَقْلِي  
مُسْنَدٍ إِلَى الْآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ  
وَمَقَاصِدِ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالنُّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالنَّابِعِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ  
فِي ذَلِكَ وَأَوْعَزُوا إِلَّا أَنْ كُتِبَتْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْفَتْحِ وَالسَّمِينِ وَالنَّهْجِ  
وَالْمَرْدُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنْ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَابَتْ  
عَلَيْهِمُ الْبِدَاوَةُ وَالْأَمِيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّفُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا انْتَشَقَّ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ  
فِي أَسْبَابِ الْمُكْرَمَاتِ وَبَدَأَ الْخَلِيقَةَ وَأَسْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ  
الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَهُ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنَ  
النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوْرَةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ بَادِيَةٌ مِثْلَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا  
مَا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُمْ مِنْ حَمِيرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ  
فَلَمَّا أَسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْتَلِطُونَ  
لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدَأِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَى الْحِدْثَانِ وَالْمَلَاخِمِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَهُوَ لَأَوْلَى  
مِثْلُ كُتُبِ الْأَجْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مَنِيبَةَ وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَأَمْتَلَاتِ النَّفَاسِيرُ  
مِنَ الْمَنْقُولَاتِ عِنْدَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَخْبَارٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ مِمَّا  
يُرْجَعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتَنْتَحَرَى فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ وَتَسَاهَلُ الْمُفَسِّرُونَ فِي

مثل ذلك وملاوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة  
 الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد  
 صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت  
 بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتخصيص وجاء أبو محمد بن  
 عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى  
 الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المعنى  
 وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق  
 والصف الأخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب  
 والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل  
 أن يفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار  
 اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما اشتمل  
 عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق  
 إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث  
 تعرض في أي القرآن من طرق البلاغة فصارت ذلك للتحققين من أهل السنة المعروف  
 عنه وتحرير الجمهور من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة  
 وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم  
 إنه مأثور من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في  
 هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويريز من  
 عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه في  
 الاعتزال بأدلة تزييفها ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة  
 لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتائه في سائر فنون البلاغة  
 وفوق كل ذي علم عليم

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه

وَذَلِكَ بِمَا ثَبَتَ فِي شَرِيْعَتِنَا مِنْ جَوَازِ النَّسْخِ وَوُقُوعِهِ لُظْفًا مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ  
بِاعْتِبَارِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالَى مَا نُنسِخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فَإِذَا تَعَارَضَ الْخَبْرَانِ بِالْإِنْفِي وَالْإِثْبَاتِ وَتَعَدَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ التَّأْوِيلِ  
وَعُلِمَ تَقْدِمُ أَحَدِهِمَا تَعَيَّنَ أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ نَأْمِخُ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ أَمْرِ عُلُومِ  
الْحَدِيثِ وَأَضْعَبِيَا قَالَ الزُّهْرِيُّ أَعْيَابُ الْفُقَهَاءِ وَأَعْجَزُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَأْسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رِضِي اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ قَدَمٌ وَسِخَةٌ وَمِنْ  
عُلُومِ الْأَحَادِيثِ النَّظَرُ فِي الْأَسَانِيدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِوُقُوعِهِ  
عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشَّرْطِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا وَجِبَ نَمَا يَغَابَ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
اِخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجْتَهِدُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي يُحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنَّ وَهُوَ  
بِمَعْرِفَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَإِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِالنَّقْلِ عَنْ أَعْلَامِ الدِّينِ  
بِتَعَدُّلِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ مِنَ الْجَرَحِ وَالْفُتْلَةِ وَيَكُونُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقَبُولِ أَوْ التَّرْكِ  
وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَؤُلَاءِ النُّقْلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفَاوُتُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَعَمُّدُهُمْ فِيهِ  
وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْأَسَانِيدُ اِتَّفَاقَتْ بِاتِّصَالِهَا وَانْقِطَاعِهَا بِأَنْ يَكُونَ الرَّاوي لَمْ يَلْقَ  
الرَّاوي الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِسَلَامَتِهَا مِنَ الْعِلَلِ الْمُوهِنَةِ لَهَا وَتَنْتَهِي بِالتَّفَاوُتِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
فَحِكْمٌ يَقْبُولُ الْأَعْلَى وَرَدَّ الْأَسْفَلَ وَيُخْتَلَفُ فِي الْمَتَوَسِّطِ بِحَسَبِ الْمَنْقُولِ عَنْ  
أئِمَّةِ الشَّانِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْقَاطِطُ أَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلَ  
الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمَنْقَطِعِ وَالْمُعْضِلِ وَالشَّاذِ وَالْغَرِيبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنْ أَلْقَابِهِ الْمُتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ وَيُؤَبَّوْا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنَقَلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ  
لَأئِمَّةِ اللِّسَانِ أَوْ الْوَفَاقِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْتِارِ الرَّاويَةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةِ  
أَوْ كِتَابَةِ أَوْ مَنَاقِلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ وَتَفَاوُتِ رُتَبِهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ  
وَالرَّدِّ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِكَلَامٍ فِي الْقَاطِطِ نَقَعَ فِي مَتُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكَلٍ  
أَوْ تَصْحِيفٍ أَوْ مُفْتَرِقٍ مِنْهَا أَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظَرُ فِيهِ أَهْلُ  
الْحَدِيثِ وَغَالِبُهُ وَكَانَتْ أَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ  
مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
بِالشَّامِ وَمِصْرَ بِالْجَمِيعِ مَعْرُوفُونَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَعْيَانِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا فِي الصَّحِيحَةِ لِاسْتِبْدَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
 الْقَبْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَانُّبِهِمْ عَنِ قَبُولِ الْحَجْوَلِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَسِنْدِ الطَّرِيقَةِ  
 الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامِ مَالِكِ عَالِمِ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَحْبَابُهُ مِثْلُ  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
 الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ تَقْلِيدًا وَتَحَرُّوا الصَّحِيحَ حَتَّى أَكْمَلُواهَا  
 وَكَتَبَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَأِ أَوْدَعَهُ أُصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
 الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ وَرَتَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ ثُمَّ عَنِ الْحَافِظِ بِعَرَفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَسَانِيدِ  
 الْمُخْتَلَفَةِ وَرُبَّمَا يَقَعُ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ زَوَاةٍ مُخْتَلِفِينَ وَقَدْ يَقَعُ الْحَدِيثُ  
 أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْعَمَانِيِّ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ  
 إِمَامُ التَّحْدِيثِ فِي عَصْرِهِ فَخَرَّجَ أَحَادِيثَ السُّنَّةِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطَّرِيقِ  
 الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَاعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَكَرَّرَ الْأَحَادِيثَ بِسُوقِهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَعَمَّنَهُ الْحَدِيثُ فَتَكَرَّرَتْ  
 لِذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةِ <sup>(١)</sup> آلَافِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ  
 آلَافٍ مُتَكَرِّرَةٌ وَفَرَّقَ الطَّرِيقِ وَالْأَسَانِيدِ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةً فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
 مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَتْ مُسْنَدُهُ الصَّحِيحُ. حَذَا فِيهِ حَدُوثُ  
 الْبُخَارِيِّ فِي تَقْلِيدِ الْعُجْجَعِ عَلَيْهِ وَحَذَفَ الْمُتَكَرَّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطَّرِيقِ وَالْأَسَانِيدِ  
 وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَتَرَاوَجَهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
 النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السُّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَقَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
 الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرَّتْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
 دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلِسُّنَّةِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
 فِي الْعِلْمِ وَهِيَ أُمَّهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي السُّنَّةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ  
 فِي الْأَغْلَبِ وَمَعْرِفَةِ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرُبَّمَا يُفْرَدُ  
 عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيُجْعَلُ فَنَاءُ بَرَأْسِهِ وَكَذَلِكَ الْغَرِيبُ وَاللِّئَامُ فِيهِ تَأَلَّفَتْ مَشْهُورَةٌ

ثم المؤلف والمختلف وقد آلت الناس في علوم الحديث وأكثروا ومن فحول علمائه  
 وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتاليفه فيه مشهورة وهو الذي هدبه وأظهر محاسنه  
 وأشهر كتاب المتأخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح كان لهداً أوائل المائة  
 السابعة وتلاه عجيبي الدين النوي بمثل ذلك والقرن شريف في معزاه لأنه معرفة ما  
 يحفظ به السنن المتقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد مخرج شيء من  
 الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على  
 تعدد هم وتلاحق عصرهم وكفائتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئاً من السنة أو  
 يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وإنما تنصرف العناية لهذا العهد إلى  
 تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرؤية عن مصنفها والنظر في أسانيدھا إلى  
 مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والأحكام لتتصل  
 الأسانيد محكمة إلى منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه  
 الأمهات الخمس إلا في القليل فإما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه  
 واستغاثوا من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها ومن  
 أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك  
 يحتاج إلى إمعان النظر في التنقيح في تراجمه لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث  
 بسند أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه له كما تضمنه من المعنى  
 الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب  
 كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح  
 كأبن بطلال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم  
 الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون أن أحداً من علماء الأمة لم  
 يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء  
 المغرب به وأكبو عليه وأجمعوا على تفصيله على كتاب البخاري من غير الصحيح  
 مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجم وأملى الإمام المارزي من  
 فقهاء المالكية عليه شرحاً ومناه المعلم بفوائد مسلم اشتمل على عيون من علم  
 الحديث وفنون من الفقه ثم أكمله الفاضل عياض من بعده وسمه إكمال



المعلم وتلاهنا فحبي الدين التوروي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما  
 فجاء شرحاً وافياً . وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم ما خذ الفقهاء فأكثر شرحها  
 في كتب الفقه إلا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك  
 ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضوعاتها والأسانيد التي اشتملت على الأحاديث  
 المتعمول بها من السنة . وأعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح  
 وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها الأئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق  
 في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها  
 وأسانيدها بحيث لوروي حديث بغير سنده وطريقه يفتنون إلى أنه قد قلب عن  
 وضعه ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد على بغداد  
 وقصد التحذون امتحانه فسأله عن أحاديث قبلوا أسانيدها فقال لا أعرف هذه  
 ولكن حدثني فلان ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ورد كل  
 متن إلى سنده وأقروا له بالإمامة . وأعلم أيضاً أن الأئمة المجتهدين تفأوتوا في  
 الأكثر من هذه الصناعة والافلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغ  
 روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها ومالك رحمه الله إنما صح عنه ما في كتاب  
 الموطأ<sup>(١)</sup> وغايتها ثلثمائة حديث أو نحوها . وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في  
 مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما آداه إليه اجتهاده في ذلك وقد نقول بعض  
 المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلماذا قلت روايته  
 ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب  
 والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيشعن عليه طلبه وروايته والجد والتشمير  
 في ذلك ليأخذ الدين عن أصول صحيحة ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها  
 وإنما قلل منهم من قلل الرواية لأجل المطاعن التي تعترض فيها وألعل التي تعرض  
 في طرقها سيما وأخرج مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما  
 يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته

(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة احاديثه اولها ٥٠٠ ثانياً ٢٠٠

ثالثها الف وثبت رابعها ١٢٢٠ خامسها ٦٦٦ وليس فيه قول بها في هذه النسخة قاله نصر الموريني

لِضَعْفِ فِي الطَّرِيقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رَوَايَةَ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ  
 الْمَدِينَةَ دَارُ الْعُجْرَةِ وَمَأْوَى الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كَانَتْ شُغْلُهُمْ بِالْحِجَابِ  
 أَكْثَرَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَلَّتْ رَوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَأَنْتَعَمَلُ  
 وَضَعْفِ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْيَقِينِيِّ إِذَا عَارَظَهَا الْفِعْلُ النَّسَبِيُّ وَقَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا رَوَايَةُ فَقَلَّ  
 حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رَوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَمِّدًا فَخَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَبَدَّلَ تَلَى أَنَّهُ رِبِّ كِبَارِ  
 الْمُتَجَهِّدِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِمَادُ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالْتِمُوسُ عَلَيْهِ وَأَعْتَبَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا  
 وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ الْجُمْهُورُ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَأَنْكَلُ  
 عَنْ اجْتِهَادِ وَقَدْ تَوَسَّعَ اصْطِحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رَوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّحْطَاوِيُّ  
 فَأَكْثَرَ وَكَتَبَ مُسْنَدَهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْدُلُ الصَّحِيحِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ  
 الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبَغَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا تُجْمَعُ عَالِيهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ كَمَا قَالُوهُ وَشُرُوطُ  
 الطَّحْطَاوِيِّ غَيْرُ مُتَّفِقٍ عَلَيْهَا كَالرِّوَايَةِ عَنِ الْمَسْنُورِ الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قَدِمَ الصَّحِيحَانِ  
 بَلَى وَكُتِبَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأَخُّرِ شَرْطِهِ عَنْ شُرُوطِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قِيلَ فِي  
 الصَّحِيحَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِبَةِ الْإِجْمَاعِ تَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ  
 الْمَتَّفِقِ عَلَيْهَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبَةٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ  
 وَالنَّاسِ الْخَارِجِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

فِي تِلْمِ الْفِقْهِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ  
 الْفِقْهُ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْوُجُوبِ وَالْحُدُورِ وَالنَّدْبِ  
 وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ وَهِيَ مُتَّفَاقَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا  
 مِنَ الْأَدَلَّةِ فَإِذَا اسْتُخْرِجَتْ الْأَحْكَامُ مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ قِيلَ لَهَا فِقْهُ وَكَانَ السَّلْفُ  
 يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيهَا بَيْنَهُمْ وَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ خُرُورُهُ أَنَّ  
 الْأَدَلَّةَ غَالِبًا مِنَ النُّصُوصِ وَهِيَ بِالْعَرَبِ وَالْفُقَهَاءِ الْفَائِظَاتُ الْكَثِيرُ مِنْ مَعَانِيهَا  
 اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَأَيْضًا فَالسُّنَّةُ مُخْتَلِفَةٌ الطَّرِيقُ فِي الثُّبُوتِ وَتَمَعَارِضُ فِي الْأَكْثَرِ  
 أَحْكَامُهَا فَتَتَّحَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَالْأَدَلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلِفٌ فِيهَا  
 وَأَيْضًا فَالْوَقَائِعُ الْمُتَّجِدَّةُ لَا تُؤَفَّقُ فِيهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ ظَاهِرٍ فِي الْمُنْصَرَفِ

فَيَعْمَلُ عَلَى الْمَنْصُوصِ لِمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذِهِ كَلِمَاتُ إِشَارَاتٍ لِلْخِلَافِ ضَرُورِيَّةِ الْوُقُوعِ  
وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
أَهْلَ فُتْيَا وَلَا كَانَ الدِّينُ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِالْحَامِلِينَ لِلْقُرْآنِ  
الْعَرَابِينَ بِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَمُحْكَمِهِ وَسَائِرِ دَلَالَتِهِ بِمَا تَلَقَّوهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ لِذَلِكَ الْقُرَّاءَ أَيَّ الدِّينِ  
بِقِيَامِ أَوْنِ الْكِتَابِ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمَّيَّةً فَأَخْتَصَّ مِنْ كَانٍ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
بِهَذَا الْأَمْرِ لِعَرَابِيَّةِ يَوْمئِذٍ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَدَرَ الْعِلْمُ ثُمَّ عَظُمَتْ أَمْصَارُ الْإِسْلَامِ  
وَذَهَبَتِ الْأُمَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمُتَمَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْأِسْتِنْبَاطُ وَكَمَلَ الْفِقْهُ  
وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَّلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَانْقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةَ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَلِيلًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكْتَرُوا مِنَ الْقِيَاسِ  
وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمُقَدَّمُ جَمَاعَتِهِمْ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ  
الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا الْعَمَلَ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيَّةُ وَجَعَلُوا الْمَدَارِكَ كَلِمَاتًا  
مُخَصَّرَةً فِي النُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْجَلِيَّ وَالْعِلْمَةَ الْمَنْصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
لِأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلْمَةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّيَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
أَبْنُ عَلِيٍّ وَآبَتُهُ وَأَصْحَابُهَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْمَذَاهِبُ الْجُمْهُورِيَّةُ الْمَشْتَهَرَةُ  
بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبِ ابْتِدَعُوهَا وَفَقَّهَ أَنْفَرُدُوا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
فِي تَنَاوُلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِالْقَدْحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بِعَصْمَةِ الْأَئِمَّةِ وَرَفَعَ الْخِلَافَ عَنْ  
أَقْوَالِهِمْ وَهِيَ كَالْأَصُولِ وَاهِيَّةٌ وَشَدَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَحْتَفِلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
بَلْ أَوْسَعُوهَا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقَدْحِ فَلَا تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا تَزْوِي كُتُبَهُمْ  
وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشِّعَّةُ فِي بِلَادِهِمْ وَحَيْثُ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ  
فَائِمَةٌ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتُبٌ وَتَأَلِيفٌ  
وَأَرَادَ فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةٌ ثُمَّ دُرِسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أَيْمَتِهِ وَإِنْكَارِ  
الْجُمْهُورِ عَلَى مُنْتَحَلِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْمَجْلُودَةِ وَرُبَّمَا يَعْرِفُ كَثِيرٌ مِنَ الطَّالِبِينَ

مِمَّنْ تَكَلَّفَ بِإِتِّحَالِ مَذْهَبِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ يَرُومُ أَخَذَ فِقْهِيهِمْ مِنْهَا وَمَذْهَبِهِمْ فَلَا  
 يَخْلُو بِطَائِلٍ وَيَصِيرُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عُدَّ بِهِدِهِ النِّعْلَةَ مِنْ  
 أَهْلِ الْبِدْعِ بِنَقْلِهِ الْعِلْمَ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ  
 بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِفْظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَمَهْرَ فِيهِ  
 بِاجْتِهَادِ زَعْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
 فَتَقَمَّ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتِهْجَانًا وَإِنْكَارًا وَتَلَقَّوْا كُتُبَهُ بِالْإِغْفَالِ وَالْتِرَاكِ  
 حَتَّى إِذَا نَهَى يَخْضَرُ يَبْعَثُهَا بِالْأَسْرَاقِ وَرُبَّمَا تَمَزَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ  
 أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَأَمَامُهُمُ الَّذِي  
 اسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي الْفِقْهِ لَا يُلْحَقُ شَهِدَ لَهُ  
 بِذَلِكَ أَهْلُ جَلْدَتِهِ وَخُصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامَهُمْ مَالِكُ  
 ابْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيُّ إِمَامَ دَارِ الْهَجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَخْصَصَ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِ آخِرِ  
 الْأَحْكَامِ غَيْرِ الْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى  
 أَنَّهُمْ فِيمَا يَنْفُسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةٌ لِدِينِهِمْ وَاقْتِدَائِهِمْ  
 وَهَكَذَا إِلَى الْجَلِيلِ الْمُبَاشِرِينَ لِعَمَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَخْذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 وَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْ أَصُولِ الْأَدَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنُّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ  
 فَأَنْكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يَخْصُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأُمَّةِ  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّينِيِّ عَنِ اجْتِهَادِ وَمَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى لَمْ يَعْتَبِرْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الْجَلِيلُ  
 بِالْمُشَاهَدَةِ لِلْجَلِيلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةٌ اقْتِدَائِهِمْ  
 بِعَيْنِ ذَلِكَ يَعْزَمُ الْحَلَّةُ ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابُ بِهَا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ  
 الْإِتِّفَاقِ الْجَامِعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ  
 فِي الْأَدَلَةِ وَاتِّفَاقِ هُوَ الْوَلَاءُ فِي فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُسْتَدِينِينَ إِلَى مُشَاهَدَةِ مَنْ قَبْلَهُمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ  
 الْمَسْأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْرِيرِهِ أَوْ مَعَ الْأَدَلَةِ الْمُخْتَلَفِ  
 فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَشَرَعَ مِنْ قَبْلِنَا وَالْإِسْتِصْحَابِ لَكَانَ الْيَقِينُ كَمَا كَانَ مِنْ بَعْدِ  
 مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَأَبِي أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَزَجَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْأَنْجَارِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْتَصَّ بِمَذْهَبٍ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذْهَبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلَيْهِ التَّحَدِيثِينَ وَقَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ بِضَاعَتِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَأَخْتَصُوا بِمَذْهَبِ  
 آخِرٍ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَهُمْ لِأَرْبَعَةِ وَدَرَسَ الْمُقَلِّدُونَ مِنْ سِوَاهُمْ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرِيقَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعُلُومِ وَلَمَّا عَاقَ عَنْ  
 الْوُصُولِ إِلَى رُتْبَةِ الْأَجْتِهَادِ وَلَمَّا خُشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوثِقُ  
 بِرَأْيِهِ وَلَا بِدِينِهِ فَصَرَّحُوا بِالْعِزِّ وَالْإِعْوَازِ وَرَدُّوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 أَخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يَتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعِبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا تَقْلُودُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمِلَ كُلُّ مُقَلِّدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَضَحِيحِ الْأُصُولِ  
 وَأَتَّصَلَ سَنَدُهَا بِالرَّوَايَةِ لِأَخْضُوعِ الْيَوْمِ لِلْفَقْهِ غَيْرُ هَذَا وَمُدْعَى الْأَجْتِهَادِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 مَرْدُودٌ عَلَى عَقِيدَةِ مَهْجُورٍ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَيْمَةِ الْأَزْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمُقَلِّدُهُ قَلِيلٌ لِبُعْدِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْأَجْتِهَادِ  
 وَأَصَانَتِهِ فِي مُعَاذَةِ الرَّوَايَةِ وَالْأَخْبَارِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَأَكْثَرُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِظًّا لِلْسُنَّةِ وَرَوَايَةِ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَلْدُهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْصَّ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ تَأْيِيدُهُمْ وَمَنَاظَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسُنَتْ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 تَقَلَّهَ إِلَيْهِ الْقَاضِي بْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ فِي رِحْلَتَيْهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمُقَلِّدُوهُ  
 بِمِصْرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَامُوا الْخَلْفِيَّةَ فِي النَّتَوَى وَالتَّدْرِيسِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظُمَتْ مَجَالِسُ الْمَنَاظَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَشَخِّتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالِهِمْ ثُمَّ دَرَسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسِ  
 الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا نَزَلَ عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِمِصْرَ أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَشْهَبُ وَابْنُ الْقَاسِمِ

وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ الْحَارِسُ بْنُ مَسْكِينٍ وَبَنُوهُ ثُمَّ أَنْقَرَضُ بْنُ أَهْلِ السَّنَةِ مِنْ مِصْرَ  
 يَظْهَرُ دَوْلَةُ الرَّافِضَةِ وَتَدَاوَلَ بِهَا فِقْهُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَتَلَاثَى مِنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
 دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّافِضَةِ عَلَى بَدِ صِلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فِقْهُ  
 الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ وَتَفَقَّتْ سُوْفُهُ  
 وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ مِنَ الْحَلَبَةِ الَّتِي رَيْتَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَبُوِيَّةِ  
 بِالشَّامِ وَعِزُّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ ابْنُ الرَّقْعَةِ بِمِصْرَ وَنَقِي الدِّينِ بْنُ  
 دَقِيقِ الْعَيْدِيِّ ثُمَّ نَقِي الدِّينِ السَّبْكَيُّ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ أَتَى ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
 بِمِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ سِرَاجُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْبَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ كَثِيرُ  
 الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَأَمَّا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاخْتَصَّ بِمَذْهَبِهِ  
 أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُقَلِّدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
 الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رِحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مُنْتَهَى سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةَ يُؤَمِّدُ دَارُ  
 الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْأَخْذِ عَنِ عُلَمَاءِ  
 الْمَدِينَةِ وَشَيْخَهُمْ يُؤَمِّدُ وَإِمَامُهُمْ مَالِكٌ وَشُبُوخُهُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلْمِيذُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
 إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَّدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقَتُهُ وَأَيْضًا  
 فَأَلْبَادُوهُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يُعَانُونَ الْحِضَارَةَ الَّتِي  
 لِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الْبِدَاوَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
 الْمَالِكِيُّ غَضًا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَنْفِيحُ الْحِضَارَةِ وَتَهْدِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
 وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مَخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
 الْأَجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاحْتَأَجُوا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْأِلْحَاقِ وَتَفْرِيقِهَا عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ  
 بَعْدَ الْأِسْتِنَادِ إِلَى الْأَصُولِ الْمَقْرَّرَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
 مَلَكَتِهِ رَاسِخَةٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوْ التَّفْرِيقِ وَاتَّبَعَ مَذْهَبَ إِمَامِهِمْ  
 فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْمَلَكَتُ هِيَ عِلْمُ الْفِقْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقَلِّدُونَ  
 لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَقْرَبُوا بِمِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
 الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَطَبَقْتُهُ مِثْلُ ابْنِ خُوَيْرِزْمَدَادَ وَأَبْنِ اللَّبَابِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
 الْأَهْبَرِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنِ بْنِ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدِ الرَّهَابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ

بعضر ابن القاسم وأمهيب وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقتهم ورحل  
من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك  
في الأندلس ودون فيه كتاب الواحجة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية  
ورحل من أفریقیة أسد بن الفرّات فكاتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل  
إلى مذهب مالك وكاتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القيروان  
بكتابه وسمي الأسدیة نسبة إلى أسد بن الفرّات فقرأ بها يهجون على أسد ثم ارتحل  
إلى المشرق ولقي ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأسدیة فرجع عن كثير  
منها وكاتب سحنون مسألتها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكاتب لاسد أن يأخذ بكتاب  
سحنون فأبى من ذلك فترك الناس كتابه وأبعوا مدونة سحنون على ما كان فيها من  
اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة والاختلاط وعكف أهل  
القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواحجة والعتبية ثم اختصر ابن  
أبي زيد المدونة والاختلاط في كتابه المسمى بالاختصر ولخصه أيضاً أبو سعيد  
البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده انه سنيحة من أهل  
أفریقیة وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية  
وهجروا الواحجة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح  
والإيضاح والجمع فكاتب أهل أفریقیة على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل  
ابن بونس واللخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم وكاتب أهل الأندلس  
على العتبية ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله وجمع ابن أبي زيد جميع ما في  
الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب التوارد فاشتمل على جميع أقوال  
المذاهب وقرع الأمهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن بونس معظمه في كتابه على  
المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفقین إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان  
ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحجاب  
لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعدد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرناج  
للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن  
المبشر وابن الأثير وابن الرشيقي وابن شاس وكانت بالأندلس سكندرية في بني عوف

وَبَنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءِ اللَّهِ وَلَمْ أَدْرِ عَمَّنْ أَخَذَ مَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ لِكَيْتِهِ جَاءَ بَعْدَ  
 أَنْفِرَاضِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَذَهَابِ فِيهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فُقَهَاءِ السُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخِرَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ عَكَفَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بَجَايَةِ لِمَا كَانَ كَبِيرُ مَشِيخَتِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الزَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمِصْرَ وَنَسَخَ مُخْتَصَرَهُ  
 ذَلِكَ فَجَاءَ بِهِ وَانْتَشَرَ بِقَطْرِ بَجَايَةِ فِي تَلْمِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْفِقْهِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ بَتَدَاوُلُونَ قِرَاءَتَهُ وَبِتَدَارُسُونَهُ لِمَا يُؤَثَّرُ عَنِ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ التَّرغِيبِ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مَشِيخَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَابِقِ حَلَبَتِهِمْ فِي الْأَجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ بَتَعَامَدُونَ كِتَابَ التَّنْذِيرِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَضَمُّنُهَا سِهَامِ الْفَرِيضَةِ مِمَّا تَصِحُّ بِاعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مَنَاسَخَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ سِهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِسَابِ تَضَمُّنِ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى حَتَّى يَصِلَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْفَرِيضَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجْزِئَةٍ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَنَاسَخَاتُ أَكْثَرَ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَأَثْنَيْنِ وَتَمَعَّدُ لِنِزَاجِهَا بَعْدَ أَكْثَرِ وَقَدَّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ فَرِيضَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلَ أَنْ يُقَرَّ بَعْضُ الْوَرَثَةِ بِوَارِثٍ وَيُنْكَرُ الْآخَرُ  
 فَتُصَحَّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينَئِذٍ وَيُنْظَرُ مَبْلَغُ السِّهَامِ ثُمَّ تُقَسَّمُ التَّرَكَّةُ عَلَى نِسْبَةِ سِهَامِهِ  
 الْوَرَثَةِ مِنْ أَصْلِ الْفَرِيضَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا فِيهِ وَجَعَلُوهُ فَنًا  
 مُفْرَدًا وَالنَّاسُ فِيهِ تَأَلَّفُوا كَثِيرَةً أَشْهَرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْخَلَوَفِيِّ ثُمَّ الْجَعْدِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ النَّعْرِ الطَّرَابُلُسِيُّ وَأَمثالُهُمْ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأَلِيفٌ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعِبَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَاعِ فِي الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ



وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
 يجمع بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة  
 يقينية عند ما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأقطار بها  
 عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
 إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والأصرف في الجذور  
 وأمثال ذلك فيسئلون بها تاليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما  
 يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتمصيل الماكة في  
 المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث  
 المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
 رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد  
 بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا التحل بعيد وأن المراد بالفرائض  
 إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعبادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى  
 يصح فيها النصفية والثابته وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
 علم الشريعة كلياً ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص  
 أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
 والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا تلى عموم مشتمل  
 الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
 الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يعمل إلا على ما كان يحمل  
 في عصرهم فهو الیق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات  
 اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدراً واكثرها فائدة  
 وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
 الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة النبوية له فعلى عهد النبي  
 صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تلتقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله

بِحِطَابِ شِفَاهِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ وَلَا إِلَى نَظَرٍ وَقِيَّاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَعْدَرُ الْحِطَابُ الشِّفَاهِي وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ثُمَّ يُنْزَلُ الْإِجْمَاعُ مَنْزِلَتَهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى النُّكْرِ عَلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مُسْتَدِّدٍ لِأَنَّ مِثْلَهُمْ لَا يَتَّفِقُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ثَابِتٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ بِعَصْمَةِ الْجَمَاعَةِ فَصَارَ الْإِجْمَاعُ دَلِيلًا ثَابِتًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِذَا هُمْ يَقِيسُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِنْهَا وَيُنَظِّرُونَ الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالَ بِإِجْمَاعِ مِنْهُمْ وَتَسْلِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدَرِجْ فِي الْأَنْصُوصِ الثَّابِتَةِ فَفَاسُوهَا بِمَا ثَبَتَ وَالْحَقُّوْهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِلْتِقَاقِ تَصَحُّحِ تِلْكَ الْمَسَاوَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْمِثْلَيْنِ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا شَرْعِيًّا بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَّاسُ وَهُوَ رَابِعُ الْأَدِلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْقِيَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ شُدُودٌ وَالْحَقُّ بَعْضُهُمْ بِهِذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَدِلَّةٍ أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِأَنَّهَا أَوْفَى مَدَارِكِهَا وَشُدُودِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلَ مَبَاحِثِ هَذَا الْفَنِّ النَّظْرُ فِي كَوْنِ هَذِهِ أَدِلَّةً فَأَمَّا الْكِتَابُ فَدَلِيلُهُ الْعَمُجَزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَنَنِهِ وَالْتَوَاتُرُ فِي نَقْلِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَجَالٌ لِلِاخْتِجَالِ وَأَمَّا السُّنَّةُ وَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِحُّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا مُعْتَصِدًا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْفَازِ الْكِتَابِ وَالرُّسُلِ إِلَى النَّوَاحِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ أَمْرًا وَنَاهِيًّا وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَلِاتِّفَاقِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى انْكَارِ مُخَالَفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأُمَّةِ وَأَمَّا الْقِيَّاسُ فَبِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ هَذِهِ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْمَنْقُولَ مِنَ السُّنَّةِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَضْيِيقِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ النَّاقِلِينَ لِتَمَيِّزِ الْحَالَةِ الْحَصِيلَةِ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ وَجُوبِ الْعَمَلِ وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ قَوَاعِدِ الْفَنِّ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

معرفة النسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في  
دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تركيب الكلام  
على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين  
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة  
لأهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها لأنها جيلة  
وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قديماً ألجهاً إلى التعمردون لذلك  
ينقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة  
أحكام الله تعالى ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تركيب الكلام وهي  
استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تركيب الكلام  
وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة  
أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل  
أهل الشرع وجهاً من العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة  
لا تثبت قياساً والمشترك لا يراد به معناه معاً والواو لا تقتضي الترتيب والعام إذا  
أخرجت أفراداً أخص منه هل يبقى حجة فيما عداها والأمر للوجوب أو الندب والفرع  
أو التراخي والنهي يقتضي النساد أو الصحة والمطلق هل يعمل على المقيد والنص  
على العملة كافي في التعدد أم لا وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها  
من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن  
فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس وبمائل من الأحكام وينفتح الوصف الذي  
يطلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل من تبين أوصاف ذلك التحمل أو وجود  
ذلك الوصف والفرع من معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى  
من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن . (واعلم) أن هذا الفن من الفنون المستحدثة  
في العملة وكان السلف في غيبة عنه بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج  
فيها إلى مزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في  
استفادة الأحكام خصوصاً فمنهم أخذ معظمها وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون  
إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب

الصِّدْرُ الْأَوَّلُ وَانْقَلَبَتِ الْعُلُومُ كُلُّهَا صِنَاعَةً كَمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ قَبْلِ اخْتِجَاعِ الْفُقَهَاءِ وَانْتِجَاعِ الْمُتَحَدِّثِينَ  
 إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ وَالْقَوَاعِدِ لِاسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْأَدَلَّةِ فَكَتَبُوهَا فَنَأَى  
 قَائِمًا بِرَأْسِهِ سَمَوَهُ أَصُولَ الْفِقْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَمَلَى فِيهِ رِسَالَتَهُ الْمَشْهُورَةَ تَكَلَّمَ فِيهَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَالْيَكْيَانِ وَالْخَبَرِ وَالنَّسْخِ  
 وَحُكْمِ الْعِلَّةِ الْمَنْصُوصَةِ مِنَ الْقِيَاسِ ثُمَّ كَتَبَ فِقْهَهُ الْحَنْفِيَّةَ فِيهِ وَحَقَّقُوا تِلْكَ الْقَوَاعِدَ  
 وَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ فِيهَا وَكَتَبَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ كِتَابَةَ الْفُقَهَاءِ فِيهَا  
 أَمَسَ بِالْفِقْهِ وَالْيَقِيْنَ بِالْفُرُوعِ إِكْتِرَاءَ الْأَمْثَلَةِ مِنْهَا وَالشُّوَاهِدِ وَبِنَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهَا عَلَى  
 الدِّكْتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُجَرِّدُونَ صُورَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ عَلَى الْفِقْهِ وَيَمِيلُونَ إِلَى  
 الْأَسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ مَا أَمَكْنَ لِأَنَّهُ غَالِبُ فُرُوعِهِمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ فَكَانَ لِقِطْعَةِ الْحَنْفِيَّةِ  
 فِيهَا الْبَدُ الطُّوْلَى مِنَ الْغَوْصِ عَلَى النَّكْتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالنَّقِاطِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مِنْ مَسَائِلِ  
 الْفِقْهِ مَا أَمَكْنَ وَجَاءَ أَبُو زَيْدٍ الدَّبُوسِيُّ مِنْ أَيُّمْتِهِمْ فَكَتَبَ فِي الْقِيَاسِ بِأَوْسَعِ مِنْ  
 جَمِيعِهِمْ وَتَمَّ الْأَبْحَاثَ وَالشُّرُوطَ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ وَكَمَلَتْ صِنَاعَةُ أَصُولِ الْفِقْهِ  
 بِكَمَالِهِ وَتَهَدَّتْ مَسَائِلُهُ وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ وَعَرَفِي النَّاسُ بِطَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ مَا كَتَبَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ كِتَابُ الْبَرْهَانِ لِأَمَامِ الْحُرَمِيِّ وَالْمُسْتَصْفَى  
 لِلْفَرَايِ وَهُمَا مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَكِتَابُ الْعَهْدِ لَعَبْدِ الْجُبَّارِ وَشَرْحُهُ الْمُعْتَمَدُ لِأَبِي الْحَسَنِ  
 الْبَصْرِيِّ وَهُمَا مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَكَانَتِ الْأَزْبَعَةُ قَوَاعِدَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ ثُمَّ خَلَصَ هَذِهِ  
 الْكُتُبُ الْأَزْبَعَةُ فَحَالًا مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمَتَأَخِّرِينَ وَهُمَا الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ  
 الْخَطِيبِ فِي كِتَابِ الْمَحْصُولِ وَسَيِّفُ الدِّينِ الْأَمْدِيِّ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَأَخْتَلَفَتْ  
 طَرِيقَتُهُمَا فِي الْفَنِّ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَالْحِجَاجِ فَأَبْنُ الْخَطِيبِ أَمِيلٌ إِلَى الْأَسْتِكْثَارِ مِنَ  
 الْأَدَلَّةِ وَالْأَخْجَاجِ وَالْأَمْدِيُّ مَوْلَعٌ بِتَحْقِيقِ الْمَذَاهِبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَأَمَّا كِتَابُ  
 الْمَحْصُولِ فَأَخْتَصَرَهُ تَلْمِيزُ الْإِمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ التَّحْصِيلِ وَتَاجُ  
 الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ الْحَاصِلِ وَاقْتَنَطَفَ شَهَابُ الدِّينِ الْقِرَافِيِّ مِنْهُمَا مُقَدِّمَاتُ  
 وَقَوَاعِدُ فِي كِتَابِ صَغِيرِ مَمَاهُ التَّنْقِيحَاتِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْمِنْهَاجِ  
 وَعَرَفِي الْمُبْتَدِئُونَ بِهَدْيِ الْكُتَابِينَ وَشَرْحَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا كِتَابُ الْأَحْكَامِ  
 الْأَمْدِيِّ وَهُوَ أَكْثَرُ تَحْقِيقًا فِي الْمَسَائِلِ فَلِخَصَّةِ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ فِي كِتَابِهِ

المعروف بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوَلَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَعِنَى أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَبِعِطَانَتِهِ وَشَرْحِهِ وَحَصَّاتِ زُبْدَةِ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْفَنِّ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْحَنْفِيَّةِ فَكُتِبُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَةٍ فِيهَا لِلْمُقَدَّمِينَ تَأْلِيفُ أَبِي زَيْدِ الدَّبُوبِيِّ وَأَحْسَنُ كِتَابَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أَتَمِّهِمْ وَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ  
 مِنْ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْإِحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبِدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَيُّمَةُ الْعُلَمَاءِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ بِنْدَاوَلُونَهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأَوْلَعَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ بِشَرْحِهِ وَالْحَالُ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ وَتَعْيِينُ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَاللَّهُ يَنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَكَرَّمَهُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) . فَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْفِقْهَ الْمُسْتَنْبَطَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ خِلَافًا لَا يَبُدُّ مِنْ وَقُوعِهِ لِمَا  
 قَدَّمَاهُ وَأَتَّسَعَ ذَلِكَ فِي الْمِلَّةِ اتِّسَاعًا عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُقَلِّدِينَ أَنْ يَقْتَدُوا مَنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ انْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْأَجْتِهَادِ  
 لِصُعُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَافْتِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِوَى  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فَأَقِيمَتِ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ أَصُولَ الْمِلَّةِ وَأَجْرِي الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا تَجَرَّسَى الْخِلَافُ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ  
 وَالْأَصُولِ الْفِقْهِيَّةِ وَجَرَّتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَاطَرَاتُ فِي تَضْحِجِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبٍ إِمَامِهِ تَجَرَّسَى  
 عَلَى أَصُولِ صَوِيحَةٍ وَطَرَائِقِ قَوْمِيَّةٍ يَجْتَنِعُ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأَجْرِيَتْ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ قِتَارَةٌ يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةٌ بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ  
 يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةٌ بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَاطَرَاتِ بَيَانُ مَا خِذَ هُوَ لِوَلَاءِ الْأَيْمَةِ وَمَشَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَانَ هَذَا  
 الْعِصْفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافِيَّاتِ وَلَا يَبْدُ إِصْحَاحِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا

إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط  
وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف  
بأدلة وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة ما أخذ الأئمة وأدلتهم ومراتب  
المطالعين له على الاستدلال عليه وتأليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تأليف  
المالكية لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت  
فهم لذلك أهل النظر والبحث . وأما المالكية فالأثر أكثر معتمد وليسوا بأهل  
نظر وأيضا فأكثرهم أهل القرب وهم بادية غنم من الصنابع إلا في الأقل وللغزالي  
رحمة الله تعالى فيه كتاب المآخذ ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعلية ولأبن القصار  
من شيوخ المالكية عيون الأدلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه  
جميع ما ينسب عليها من الفقه الخلافية مدرجا في كل مسألة ما ينسب عليها من الخلافات  
(وإما الجدال) وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية  
وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المتناظرين  
في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما  
يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند  
حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والتجيب وحيث يسوغ له  
أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعا وتعل اعتراضه أو معارضته وأين  
يجب عليه الشكوت وتخصيه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه إنه معرفة  
بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدية سؤالا  
كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره وهي طريقان طريقة البردوي وهي خاصة بالأدلة  
الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدي وهي عامة في كل  
دليل يستدل به من أي علم كان وأكثره استدلال وهو من المناحي الحسنة  
والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة وإذا اعتبرنا النظر المنطوق كان في الغالب  
أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقضية فيه محفوظة  
مراعاة لتجرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدي هو أول من كتب  
فيها ونسبت الطريقة إليه وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصرا وتبعه من بعده

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَى أَثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ النَّالِيَةُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْضِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ إِلَّا سَلَامِيَّةً  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَالِيَّةٌ وَلَيْسَتْ خَرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل العاشر

#### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ النُّجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُنْخَرِفِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنِ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَسِرِّ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلَنُقَدِّمَ هُنَا لَطِينَةً فِي بُرْهَانِ عَقْلِيٍّ يَكْشِفُ لَنَا عَنِ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَأْخِذِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَفِيمَا يُنْظَرُ وَيُشِيرُ إِلَى حُدُوثِهِ فِي الْعِلْمَةِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضْعِهِ فَنَقُولُ إِنَّ الْحَوَادِثَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سِوَالِهَا كَانَتْ مِنَ الذُّوَاتِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوْ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا يَتَّقَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَزَالُ تَزَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرَاقِبَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْبَابِهَا تَنْفَسِحُ وَتَنْضَاعَفُ  
طَوَلًا وَعَرَضًا وَيَحَارُ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصِرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْعُجِيطُ سِيمَا  
الْأَفْعَالُ الْبَشَرِيَّةُ وَالْحَيَوَانِيَّةُ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْغَالِبِ عَنِ تَصَوُّرَاتِ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْفِعْلِ وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٍ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ  
مِنَ التَّصَوُّرَاتِ مَجْهُولٌ سَبَبُهُ إِذْ لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الْفِكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنِ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يُحِيطُ عَلَمًا فِي الْغَالِبِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةٌ ظَاهِرَةٌ  
وَيَقَعُ فِي مَدَارِكِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مَحْضُورَةَ لِلنَّفْسِ وَتَمَّتْ طَوْرُهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَنِطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تُدْرِكُ  
الْكَثِيرَ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ

إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا فَإِنَّهُ وَادٍ يَهِيمُ فِيهِ الْفِكْرُ وَلَا يَحْتَلُو مِنْهُ بَطَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ  
بِحَقِيقَةٍ قَالَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْتُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَرُبَّمَا أَنْقَطَعَ فِي وَقُوفِهِ عَنِ الْأَرْتِقَاءِ إِلَى  
مَا فَوْقَهُ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الصَّالِينَ الْهَالِكِينَ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِرْمَانِ وَالْخُسْرَانِ  
الْمَبِينِ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفَ أَوْ الرَّجُوعَ عِنْدَهُ فِي قُدْرَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ بَلْ هُوَ لَوْ  
يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ وَصِيقَةٌ تَسْتَحْكِمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا تَعْلَمُهَا إِذْ لَوْ  
عَلِمْنَاهَا لَتَحَرَّزْنَا مِنْهَا فَلْتَحَرَّزَ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْهَا جُمْلَةً وَأَيْضًا نَوْجَهُ تَأْثِيرِ  
هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مُسَبِّبَاتِهَا مَجْهُولٌ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْعَادَةِ لِأَنَّ  
الشَّاهِدَ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى الظَّاهِرِ وَحَقِيقَةَ التَّأْثِيرِ وَكَيْفِيَّتَهُ مَجْهُولَةٌ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
إِلَّا قَلِيلًا فَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وَإِلْفَانِهَا جُمْلَةً وَالتَّوَجُّهِ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
كُلِّهَا وَفَاعِلِهَا وَمُوجِدِهَا لِتَرْسُخِ صِفَةِ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا الشَّارِعُ الَّذِي هُوَ  
أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وَطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِإِطْلَاعِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ الْحِسِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ  
فَقَدْ أَنْقَطَعَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَأَنْ سَجَّ فِي بَعْرِ النَّظَرِ وَالتَّجَسُّبِ عَنْهَا وَعَنْ  
أَسْبَابِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَّا بِالْحَبِيبَةِ فَلِذَلِكَ  
نَهَانَا الشَّارِعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ وَأَمَرْنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ  
الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَلَا تَشَقَّنَّ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الْفِكْرُ مِنْ  
أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْإِحْاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَسَفَهُ  
رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ فِي بَادِيءِ رَأْيِهِ مُنْخَصَرٌّ فِي مَدَارِكِهِ  
لَا يَبْدُوهَا وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ الْأَلَا تَرَى الْأَصْمَ كَيْفَ  
يَنْخَصِرُ الْوُجُودُ عِنْدَهُ فِي الْخَمْسُوسَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَيَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ  
صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى أَيْضًا يَسْقُطُ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَرْئِيَّاتِ وَلَوْلَا مَا يَرُدُّهُمْ  
إِلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْأَبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمُ وَالسَّكَّافَةِ لَمَا أَقْرَبُوا بِهِ لِكَيْفِهِمْ  
يَتَّبِعُونَ الْكُفَّافَةَ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَا بِمُقْتَضَى فِطْرَتِهِمْ وَطَبِيعَةِ إِدْرَاكِهِمْ وَلَوْ  
سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْجَمُ وَنَطَقَ لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرًا لِلْمَعْقُولَاتِ وَسَاقِطَةً لَدَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ  
فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَلَعَلَّ هُنَاكَ ضَرْبًا مِنَ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مُدْرَكَاتِنَا لِأَنَّ إِدْرَاكَنَا مَخْلُوقَةٌ



مُخَدَّثَةٌ وَخَلَقَ اللهُ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْحَضْرُ مَجْهُولٌ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ  
 ذَلِكَ وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُعِيطٌ فَاتَمَّهِمْ إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَاتِكَ فِي الْحَضْرِ وَأَتَّبِعْ مَا أَمَرَكَ  
 الشَّارِعُ بِهِ مِنْ أَعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ  
 طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعِ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ  
 وَمُدَارِكِهِ بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ فَأَحْكَامُهُ بِقِيَّةٌ لَا كَلِيبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ  
 أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكُلَّ مَا  
 وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مَحَالٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ  
 بِهِ الذَّهَبُ فَطَمَعُ أَنْ يَزِنَ بِهِ الْجِبَالَ وَهَذَا لَا يُدْرِكُ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرُ  
 صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْ يُعِيطَ بِاللهِ  
 وَبِصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْحَاصِلِ مِنْهُ وَتَقَطَّنَ فِي هَذَا الْغَلَطِ وَمَنْ يُقَدِّمُ  
 الْعَقْلَ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَقُصُورِ فَهْمِهِ وَأَضْحِجَالِ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ  
 لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَإِذْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَمَّ الْأَسْبَابَ إِذَا تَجَاوَزْتَ فِي الْأَرْتِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكِكَ  
 وَوُجُودِنَا خَرَجْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرَكَةً فَيُضِلُّ الْعَقْلُ فِي بَدَأِ الْأَوْهَامِ وَيَجَارُ وَيَنْقَطِعُ  
 فَإِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَفْوِيضُ ذَلِكَ إِلَى  
 خَالِقِهَا الْمُحِيطِ بِهَا إِذْ لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلُّهَا تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعَلِمْنَا بِهِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ حَيْثُ صُدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ الْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
 إِدْرَاكَكَ ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ  
 حُكْمِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَكْتِفُ  
 بِهَا النَّفْسُ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكَ الطَّاعَةِ  
 وَالْإِتْقَانِ وَتَقَرُّبِ الْقَلْبِ عَنْ شَوَاطِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَنْقَلِبَ الْمُرِيدُ السَّالِكُ  
 رَبَانِيًا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْعَلْمِ فِي الْعَقَائِدِ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالِاتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا  
 وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا خَذَهُ مِنَ الشَّرْبَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ  
 مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لَفَرَّ عَنْهُ وَأَسْتَكْفَفَ أَنْ يَبْأَسِرَهُ فَضْلًا عَنِ التَّمَسُّحِ  
 عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَطْفِ وَالْحَنُوقِ وَالصَّدَقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ

مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ مَقَامَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْضُرُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرٌ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُضُورُ مَلَكَتِهَا فَمَتَى رَأَى يَتِيمًا  
 أَوْ مَسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَّحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثُّوبَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَهْتَرُ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَهُ عَنْهُ ثُمَّ يَتَّصِقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عَلَيْكَ بِالرُّوحِيَّةِ مَعَ  
 اتِّصَافِكَ بِهِ وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ خَيْرُورَةٌ وَهُوَ أَزْوَاقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ  
 قَبْلَ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنِ بَعْزِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مَرَارًا غَيْرَ مُنْخَصِرَةٍ فَتَزْبُحُ الْمَلَائِكَةُ وَيَحْضُرُ الْإِتِّصَافُ وَالْتَّحْقِيقُ وَيَعْبِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْعَجْرَدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجِدْوَى وَالنَّفْعِ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النَّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّاسِئِيُّ عَنِ الْعَادَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طَلِبَ اعْتِقَادَهُ  
 فَالْكَمَالُ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي الْحَاصِلِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طَلِبَ عَمَلَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالُ فِيهَا فِي حُصُولِ الْإِتِّصَافِ وَالْتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الْأَقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْمُؤَاطَبَةِ  
 عَلَيْهَا هُوَ النَّحْصِلُ لِهَذِهِ الثَّمَرَةِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ فُرْقَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يَجْعِدُ فِيهَا مُنْتَهَى لَدَائِهِ  
 وَفُرْقَةَ عَيْنِهِ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهْمُ بِهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَافِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَفَقِنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي التَّكْلِيفِ  
 كُلِّهَا حُصُولُ مَلَكَتِ رَاسِخَةٍ فِي النَّفْسِ يَحْضُرُ عَنْهَا عِلْمٌ أَضْطَرَّارِيٌّ لِلنَّفْسِ هُوَ التَّوْحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي تَحْضُرُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَالٌ فِي التَّكْلِيفِ  
 الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ وَيَتَفَهَّمُ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّكْلِيفِ وَيَتَّبِعُهَا هُوَ بِهَذِهِ  
 الْمَثَابَةِ ذُو مَرَاتِبٍ أَوَّلُهَا التَّصْدِيقُ الْقَلْبِيُّ الْمَوْافِقُ لِلسَّانِ وَأَعْلَاهَا حُصُولُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْعَمَلِ مُسْتَوَلِيَّةٍ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَتِجِ الْجَوَارِحَ  
 وَتَنْدَرِجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ حَتَّى تَنْخَرِطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصْدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَقَارِفُ السُّؤْمَانَ

مَعَهُ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِذْ حُصُولُ الْمَلَكََةِ وَرُسُوحُهَا مَانِعٌ مِنَ الْإِنْحِرَافِ عَنِ مَنَاجِحِهِ  
طَرَفَةَ عَيْنٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَفِي حَدِيثٍ  
هَرَفَلْ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي  
أَصْحَابِهِ هَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُخْطَةً لِيَبِيهِ قَالَ لَا قَالَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَيْثُ تُغَالَطُ  
بَسَاطَتُهُ الْقُلُوبَ وَمَعْنَاهُ أَنْ مَلَكَةَ الْإِيمَانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ عَسَرَ عَلَى النَّفْسِ مَخَالَفَتَهَا شَأْنَ  
الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمِثَابَةِ الْجِبِلَّةِ وَالْمِطْرَةِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ  
مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِصْمَةِ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ وَاجِبَةٌ لِلنَّبِيِّاءِ وَجُوبًا  
سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةُ الْمُؤْمِنِيَّةِ حُصُولًا تَابِعًا لِأَعْمَالِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَبِهَذِهِ الْمَلَكََةُ  
وَرُسُوحُهَا يَقَعُ التَّفَاوُثُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي بُنِيَ عَلَيْكَ مِنْ أَقَابِلِ السَّلَفِ وَفِي تَرَاجِمِ  
الْتَبْخَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءَ مِنَ  
الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كُلِّهِ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَكَتِهِ وَهُوَ  
فِعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُثَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ  
وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مُنِعَ مِنَ التَّفَاوُثِ كَمَا قَالَ أئِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُثُ وَلَيْسَ  
ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي اتِّعَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصْدِيقُ إِذِ التَّصْدِيقُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ  
رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقْلٌ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْخُلَاصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفَيْصَلُ  
بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقْلٌ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَفَاوُثُ وَإِنَّمَا  
التَّفَاوُثُ فِي الْحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا فَلَنَاهُ فَأَفْهَمَ وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ  
لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعَيْتٌ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا بِقُلُوبِنَا وَاعْتِقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْإِفْرَارِ بِالسِّنْتِنَا وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي  
تَقَرَّرَتْ فِي الدِّينِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ  
الْإِيمَانِيَّةُ الْمُقَرَّرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَلِنُشِرَ إِلَيْهَا مُجْمَلَةٌ لِيَتَبَيَّنَ لَكَ حَقِيقَةُ هَذَا النَّفْسِ  
وَكَيفِيَّةُ حَدُوثِهِ فَتَقُولُ . إَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِقِ الَّذِي رَدَّ

الْأَفْعَالِ كُلِّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ تَجَانُّتًا عِنْدَ الْمَوْتِ  
 إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يُعْرِفْنَا بِكُنْهِ حَقِيقَةِ هَذَا الْخَلْقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مُتَعَدِّرٌ عَلَى إِدْرَاكِنَا  
 وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا فَكَلَّفْنَا أَوْلَا أَعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنِ مِثَابَةِ الْخَلْقِيِّينَ وَالْإِلَهِ  
 لِمَا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ لَعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنِ صِفَاتِ النُّقْصِ  
 وَالْإِلْتِصَابِ الْخَلْقِيِّينَ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَالْإِلْمِ بِتَيْمِّ الْخَلْقِ لِلتَّمَانُعِ ثُمَّ أَعْتِقَادَ أَنَّهُ  
 عَالِمٌ قَادِرٌ فَبِذَلِكَ لَيْتِمُ الْأَفْعَالُ شَاهِدٌ قُضِيَتْهُ لِكَمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخَلْقِ وَمُرِيدٌ وَالْإِلْمِ  
 بِمُخْصَصِ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَمُقَدِّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا  
 بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعِنَايَتِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرٍ فَإِنْ كَانَ عَبَثًا فَهُوَ لِلْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ  
 بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ أَعْتِقَادَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنَ شِقَاةِ هَذَا الْمَعَادِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ  
 بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَمَامِ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِتِّبَاءِ بِذَلِكَ وَيَبَانَ  
 الطَّرِيقَيْنِ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أَمَهَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُعَلَّلَةٌ بِأَدَلَّتِهَا  
 الْعَقْلِيَّةِ وَأَدَلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ وَأَرْشَدَ  
 إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأَئِمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَّضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ  
 أَكْثَرَ مَثَارَهَا مِنَ الْآيِ الْمُتَشَابِهَةِ فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْخِلَافِ وَالْمُنَظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ  
 بِالْعَقْلِ وَزِيَادَةٍ إِلَى النُّقْلِ فُحِثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلَيْبِنَ لَكَ تَفْصِيلُ هَذَا الْمَجْمَلِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَّ فِيهِ وَصَفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةَ مِنْ غَيْرِ  
 تَأْوِيلٍ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ وَهِيَ سُلُوبٌ كُلُّهَا وَصَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي  
 كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ  
 وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيٌ أُخْرَى قَلِيلَةٌ نُوهِمُ التَّشْبِيهِ وَقَضَوْا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ  
 فَأَمَّنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَاهَا بَيِّنٌ وَلَا تَأْوِيلٌ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ إِفْرَاطُهَا  
 كَمَا جَاءَتْ أَيْ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا لِحُجُوزِ أَنْ  
 تَكُونَ أَبْتِلَاءً فَيَجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهِمْ مُبْتَدَعَةٌ اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنْ  
 الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّشْبِيهِ فَفَرِيقٌ أَشْبَهُوا فِي الذَّاتِ بِأَعْتِقَادِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا  
 بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَعَّوْا فِي التَّجْسِيمِ الصَّرِيحِ وَمُخَالَفَةً آيِ التَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الْآيِ  
 هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةَ لِأَنَّ مَعْقُولِيَّةَ الْجِسْمِ تَقْتَضِي النُّقْصَ وَالْإِتِّقَارَ وَتَغْلِبُ

آيات السُّبُوبِ فِي التَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدَ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ أَوْلَى مِنْ  
 التَّمَلُّقِ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الَّتِي لَنَا عَنْهَا غَيْبَةٌ وَجَمَعَ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بِنَاءٍ وَبَاهِمٍ ثُمَّ يَفْرُونَ مِنْ شِنَاعَةِ  
 ذَلِكَ يَقُولِينَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمَعَ  
 بَيْنَ تَقْيٍ وَإِثْبَاتٍ إِنْ كَانَ بِالْمَعْقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْجِسْمِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَتَقُوا  
 الْمَعْقُولِيَّةَ الْمُتَعَارِفَةَ فَقَدْ وَافَقُونَا فِي التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُمْ لِنَظَرِ الْجِسْمِ أَمَّا مِنْ  
 أَسْمَائِهِ وَيَتَوَقَّفُ مِثْلُهُ عَلَى الْأُذُنِ وَفَرِيْقٍ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّفَاتِ كَمَا ثَبَتَ  
 الْجِهَةِ وَالْإِسْتِوَاءَ وَالنُّزُولَ وَالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَآلَ قَوْلِهِمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
 فَزَعَوْا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالصَّوْتِ جِهَةٌ لَا كَالجِهَاتِ نُزُولٌ لَا  
 كَالنُّزُولِ يَعْنُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَانْدَفَعَ ذَلِكَ بِمَا انْدَفَعَ بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظُّوَاهِرِ  
 إِلَّا أَعْقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا هِيَ لِئَلَّا يَكُرَّ النَّفْيُ دَلَى مَعَانِيهَا بِتَفْهِيمِهَا  
 مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا تَنْظَرُ مَا تَرَاهُ فِي عَقِيدَةِ الرَّسَالَةِ لِأَنَّ أَبِي زَيْدٍ  
 وَكِتَابِ التَّخْتَصِرِ لَهُ وَفِي كِتَابِ الْخَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْوَلِيِّ وَغَيْرِهِمْ فَأَيْتُهُمْ يُعْمَمُونَ عَلَى هَذَا  
 الْمَعْنَى وَلَا تَمُضُ عَيْنُكَ عَنْ الْقُرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
 كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلَّعَ النَّاسُ بِالنُّدُوبِ وَالنَّبْعِ فِي سَائِرِ الْأَنْحَاءِ وَالْفَتْ  
 الْمُنْكَكِمُونَ فِي التَّنْزِيهِ حَدَّثَتْ بَدْعُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي تَعْمِيمِ هَذَا التَّنْزِيهِ فِي آيِ السُّبُوبِ  
 فَقَضَوْا بِتَفْهِيمِ صِفَاتِ الْمَعْنَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
 لِمَا يَلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّدِ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مَرْدُودٌ بِأَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الْأَنْدَاءِ  
 وَلَا غَيْرَهَا وَقَضَوْا بِتَفْهِيمِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مَرْدُودٌ  
 لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبُنْيَةِ فِي مَدْلُولِ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعِ أَوِ الْبَصَرِ  
 وَقَضَوْا بِتَفْهِيمِ الْكَلَامِ لِشَبْهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَعْقِلُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
 بِالنَّفْسِ فَقَضَوْا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ بِدَعْوَةِ صَرَحِ السَّلَفِ بِخِلَافِهَا وَعَظُمَ خَرَرُ هَذِهِ الْبَدْعِ  
 وَلَقِنَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَنْ أَيْمَتِهِمْ تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أَيْمَةُ السَّلَفِ فَاسْتَحْتَلَّ  
 لِحِلْفِهِمْ إِبْسَارُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِانْتِهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدَلَّةِ  
 الْعَتَلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبَدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
 الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَتَقَى التَّشْبِيهِ وَثَبَتَ الصِّفَاتِ

الْمَعْنَوِيَّةَ وَقَصَرَ النَّزِيَّةَ عَلَى مَا فَصَّرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدَلَّةُ الْخُصِيصَةُ لِعُمُومِهِ  
 فَأَثَبَتْ الصِّفَاتِ الْأَزْبِجَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
 النُّقْلِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهُذِهِ الْبِدْعِ  
 مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ وَالْتَحْسِينِ وَالْتَفْيِيعِ وَكَمَلَ الْعَقَائِدَ فِي الْبَعْتَةِ وَأَحْوَالِ  
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْتَوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْحَقُّ بِذَلِكَ الْكَلَامَ فِي الْإِمَامَةِ لِمَا ظَهَرَ حِينَئِذٍ  
 مِنْ بَدْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يُجِبُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينَهَا  
 وَالْخُرُوجَ عَنِ الْعَهْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ هِيَ لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ وَقَضَارَى أَمْرِ الْإِمَامَةِ  
 أَنَّهَا قَضِيَّةٌ مَصْلِحَةٌ إِجْمَاعِيَّةٌ وَلَا تُلْحَقُ بِالْعَقَائِدِ فَلِذَلِكَ أَحْقُوقَهَا بِمَسَائِلِ هَذَا الْفَنِّ وَسَمَّوْا  
 تَجْمُوعَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِمَامًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَهِيَ كَلَامٌ مِرْفُوعٌ وَلَيْسَتْ  
 بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَامًا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَالْخُرُوضِ فِيهِ هُوَ تَنَازُعُهُمْ فِي اثْبَاتِ الْكَلَامِ  
 النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَاتَّفَقَى طَرِيقَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلْمِيزُهُ  
 كَأَبْنِ مِجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَأَخَذَعَتْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَصَدَّرَ لِلْإِمَامَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
 وَهَدَيْهَا وَوَضَعَ الْمَقْدِمَاتِ الْعَقَائِدِيَّةَ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْأَدَلَّةُ وَالْأَنْظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ اثْبَاتِ  
 الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخِلَاءِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانِينَ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ آدِلَتُهُمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ  
 اعْتِقَادِهَا لِتَتَوَقَّفَ تِلْكَ الْأَدَلَّةُ عَلَيْهَا وَأَنَّ بَطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذَنُ بِبَطْلَانِ الْمَدْلُولِ  
 وَجُمِلَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
 صُورَةَ الْأَدَلَّةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْأَقْدِسَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي الْعِلْمَةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
 بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِمَلَابَسَتِهَا الْعُلُومَ الْفَلْسَفِيَّةَ الْمُبَابَةِ لِلْعَقَائِدِ  
 الشَّرْعِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ  
 الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْعَمَّالِيِّ فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
 فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَأَخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعَقَائِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ عُلُومُ الْمَنْطِقِ فِي الْعِلْمَةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
 قَانُونٌ وَمَعْيَارٌ الْأَدَلَّةِ فَقَطُّ يُسَبَّرُ بِهِ الْأَدَلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبَّرُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ تَنَظَّرُوا فِي تِلْكَ  
 الْقَوَاعِدِ الْمَقْدِمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي

أدلت إلى ذلك وربما أن كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات  
والإلهيات فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان  
المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاصي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم  
مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة  
فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير  
من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المعنى  
الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليد  
ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع  
في العلمين فحسبوه فيها واحدا من اشتباه المسائل فيهما. وأعلم أن المتكلمين  
أما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته  
وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو  
بعض من هذه الكائنات إلا أن نظره فيها مخالفت لنظر المتكلم وهو ينظر في  
الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل  
وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته  
وتنظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدل على الموجد وبالجملة فهو موضوع علم  
الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من  
حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه  
عن تلك العقائد وإذا تأملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه  
صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والأدلة علمت  
حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وأنه لا يعدوه ولقد اختلفت الطريقتان  
عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلاسفة بحيث لا يتميز أحد  
الفنيين من الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوابع  
ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع ناليفهم إلا أن هذه الطريقة قد بعث بها  
بعض طلبه العلم للإطلاع على المذاهب والإغراق في معرفة الحجاج لو فور ذلك  
فيها وأما معاذة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فإنما هو للطريقة القديمة

لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَضَلَّهَا كِتَابُ الْإِرْشَادِ وَمَا حَذَا حَذْوَهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّذِّ عَلَى  
 الْفَلَّاسِفَةِ فِي عَقَائِدِهِ فَعَلَيْهِ بِكُتُبِ الْفِرَاقِي وَالْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَتْ فِيهَا  
 مُخَالَفَةٌ لِلْإِضْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْأَخْتِلَاطِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْإِلْتِبَاسِ فِي  
 الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَوْلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ  
 هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذِ  
 الْمُلْحَدَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ قَدْ أَنْقَرَضُوا وَالْأئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ كَثُرُوا شَأْنُهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
 وَدَوَّنُوا وَالْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّمَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَأَمَّا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
 إِلَّا كَلَامٌ تَنَزَّهَ الْبَارِيُّ عَنْ كَثِيرِ إِهْمَاتِهِ وَإِطْلَافِهِ وَتَقَدَّرَ سُؤْلُ الْجَنِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
 قَوْمٍ مَرَّ بِهِمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِيضُونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَوْلَاءُ فَقِيلَ قَوْمٌ يُنَزِّهُونَ اللَّهَ  
 بِالْأَدَلَّةِ عَنْ صِفَاتِ الْحُدُوثِ وَسِمَاتِ النُّقْصِ فَقَالَ نَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يُسْتَحْوِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
 لَكِنْ قَائِدَتُهُ فِي أَحَادِ النَّاسِ وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ فَائِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ إِذْ لَا يَحْسُنُ بِمِجَالِ السَّنَةِ الْجَهْلُ  
 بِالْحَجَجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَقَائِدِهَا وَاللَّهُ وَوَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

## الفصل الحادي عشر

### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْعِلْمَةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ  
 لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً الْحَقِّ  
 وَالْهُدَايَةِ وَأَضَلَّهَا الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
 زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَرِزِينَتِهَا وَالزُّهْدُ فِيمَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَدُنْهُ وَمَالٍ وَجَاهٍ وَالْإِنْتِرَادُ  
 عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ فَلَمَّا فَشَا الْإِقْبَالُ  
 عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَنَحَ النَّاسُ إِلَى مُخَالَطَةِ الدُّنْيَا أَخْصَنَ الْمُقْبِلُونَ  
 عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَمَمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَمَمِ  
 اشْتِقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ الصَّفَا  
 أَوْ مِنَ الصِّفَةِ فَبَعِيدٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنَ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
 يَخْتَصُوا بِلُبْسِهِ قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالِاشْتِقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمُ فِي الْقَالِبِ  
 مُخْتَصُونَ بِلُبْسِهِ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لُبْسِ فَأَخِرِ الثِّيَابِ إِلَى لُبْسِ الصُّوفِ



فَلَمَّا اخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِمَذْهَبِ الرُّهْدِ وَالْإِنْتِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصَّوْا  
بِمَا خِذَ مَذْرَكَةً لَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ  
بِالْإِدْرَاكِ وَالْإِدْرَاكُ تَوْعَانُ إِدْرَاكِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
وَإِدْرَاكِ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّضَى وَالغَضَبِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَالرُّوحُ الْعَاقِلُ وَالْمَتَمَرِّفُ فِي الْبَدَنِ نَشَأُ مِنْ  
إِدْرَاكِتِ وَإِرَادَاتِ وَأَحْوَالِ وَهِيَ الَّتِي يُمَيَّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
كَمَا يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْفَرَحُ وَالْحُزْنُ عَنِ إِدْرَاكِ الْعُلُومِ أَوْ الْمَتَلَذُّ بِهِ  
وَالنَّشَاطُ عَنِ الْحَمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْإِعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ فِي مُجَاهَدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
يُذْ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنْ كُلِّ مُجَاهَدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَتِلْكَ الْحَالُ إِمَّا أَنْ  
تَكُونَ نَوْعَ عِبَادَةٍ فَتَرْتَمِجُ وَتَصِيرُ مَقَامًا لِلْمُرِيدِ وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
تَكُونَ صِفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْمُرِيدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلسَّمَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرِيدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَتَقَدَّمَهَا الْإِيمَانُ وَيُصَاحِبُهَا وَتَنْشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصِّفَاتُ  
فَتَأْتِي وَتَمْرَاتٌ ثُمَّ تَنْشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
تَقْصِيرٌ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَلَ فَنَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا آتَى مِنْ قِبَلِ التَّقْصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
فِي الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَلِهَذَا يَحْتَاجُ الْمُرِيدُ إِلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي  
سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّتَائِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ ضَرُورِيٌّ وَقُصُورُهَا  
مِنْ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْمُرِيدُ يَجِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يُشَارِكُهُمْ  
فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْعَفْلَةَ عَنْ هَذَا كَانَتْ شَامِلَةً وَغَايَةَ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ  
إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا إِلَى هَذَا النَّوعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِأَطَاعَاتٍ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
وَالْأَمْتِثَالِ وَهَؤُلَاءِ يَبْحَثُونَ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوْاجِدِ لِيَطْمَئِنُّوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
التَّقْصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلِّهَا مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّرُوكِ  
وَالكَلَامِ فِي هَذِهِ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوْاجِدِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنِ الْمُجَاهَدَاتِ ثُمَّ تَسْتَقِرُّ لِلْمُرِيدِ

مَقَامًا يَتَرَفَّى مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ثُمَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ آدَابٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتٌ فِي  
 الْأَفْظَانِ تَدُورُ بَيْنَهُمْ إِذِ الْأَوْضَاعُ اللَّغَوِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَعَانِي الْمَتَعَارِفَةِ فَإِذَا عَرَضَ مِنَ  
 الْمَعَانِي مَا هُوَ غَيْرُ مَتَعَارِفٍ أَصْطَلَحْنَا عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِلَفْظٍ تَبَسَّرَ فِيهِ مِنْهُ فَلِهَذَا  
 اخْتَصَّ هَؤُلَاءُ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ لِوَاحِدٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْكَلَامُ  
 فِيهِ وَصَارَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَنَاءِ وَهِيَ الْأَحْكَامُ  
 الْعَامَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَمَلَاتِ وَصِنْفٌ مَخْصُوصٌ بِالْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ بِهِدْيِهِ  
 الْمَجَاهِدَةِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَالْكَالِمُ فِي الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الْعَارِضَةِ فِي طَرِيقِهَا  
 وَكَيْفِيَّةِ التَّرَفِّي مِنْهَا مِنْ ذَوْقِهِ إِلَى ذَوْقِ وَشَرْحِ الْأَصْطِلَاحَاتِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ فَلَمَّا كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُونَتْ وَأَثَمَتِ الْفُقَهَاءُ فِي الْفَنَاءِ وَأُصُولِهِ وَالْكَالِمُ وَالْتَفْسِيرُ  
 وَغَيْرِ ذَلِكَ كَتَبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي طَرِيقِهِمْ فَبَيْنَهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي  
 الْوَرَعِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي الْأَخْذِ وَالْتَرَكِ كَمَا فَعَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِ  
 الرِّسَالَةِ وَالسَّهْرُورِيُّ فِي كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ وَأَمْثَالُهُمْ وَجَمَعَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
 بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الْأَحْيَاءِ فَدَوَّنَ فِيهِ أَحْكَامَ الْوَرَعِ وَالْإِقْتِدَاءِ ثُمَّ بَيَّنَّ آدَابَ  
 الْقَوْمِ وَسُنَنَهُمْ وَشَرَحَ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي عِبَارَاتِهِمْ وَصَارَ عِلْمُ التَّصَوُّفِ فِي الْبَيْلَةِ عِلْمًا  
 مَدُونًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ عِبَادَةً فَقَطْ وَكَانَتْ أَحْكَامًا إِنَّمَا تُتَلَقَّى مِنْ صُدُورِ  
 الرِّجَالِ كَمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي دُونَتْ بِأَنَّ كِتَابَ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ  
 وَالْأَصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمَجَاهِدَةَ وَالْخُلُوعَةَ وَالذِّكْرَ يَتَّبِعُهَا غَالِبًا كَشَفِ  
 حِجَابِ الْحِسِّ وَالْإِطْلَاعُ عَلَى عَوَالِمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ الْحِسِّ إِدْرَاكُ شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَالرُّوحُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَالِمِ وَسَبَبُ هَذَا الْكَشْفِ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا رَجَعَ عَنِ الْحِسِّ  
 الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ضَعُفَتْ أَحْوَالُ الْحِسِّ وَقَوِيَّتْ أَحْوَالُ الرُّوحِ وَغَلَبَتْ سُلْطَانَتُهُ  
 وَتَجَدَّدَتْ نُشُوءُهُ وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنَّهُ كَالغِذَاءِ لِتَسْمِيَةِ الرُّوحِ وَلَا يَزَالُ فِي نُعْمٍ  
 وَتَزْيِيدٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شُهودًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عِلْمًا وَيَكْشِفُ حِجَابَ الْحِسِّ وَيُبَيِّنُ وَجُودَ  
 النَّفْسِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلْمَوَاجِبِ الرَّبَّانِيَّةِ  
 وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْفَتْحِ الْإِلَهِيِّ وَتَقَرُّبُ ذَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأُنْفِ الْأَعْلَى  
 أَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا الْكَشْفُ كَثِيرًا مَا يَبْرُضُ لِأَهْلِ الْمَجَاهِدَةِ فَيَدْرِكُونَ مِنْ حَقَائِقِ

الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك بذركون كثيرا من الواقيات قبل وقوعها ويصرفون  
 بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم فالعظماء منهم  
 لا يعتبرون هذا الكشف ولا يصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالكلم  
 فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك مخنة ويتعدون منه إذا هاجمهم وقد كانت  
 الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه الجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات  
 أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي  
 رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة من أشتملت رسالة  
 الفسيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم ثم إن قوما من المتأخرين  
 انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق  
 الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إمامة القوى الحسية وتغذية الروح  
 العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها  
 فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وأنهم كشفوا  
 ذات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطن هكذا قال الفزالي  
 رحمه الله في كتاب الإحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة ثم إن هذا الكشف  
 لا يكون صحيحا كاملا عندهم إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة لأن الكشف قد  
 يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم  
 من المرتاضين وليس مرادنا إلا الكشف النائي عن الاستقامة ومثاله أن المرأة  
 الصقيلة إذا كانت مخدبة أو مقعرة وحوزي بها جهة المرئي فإنه يشكك فيه معوجا  
 على غير صورته وإن كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحا فالاستقامة للنفس  
 كالانسياط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال ولما عني المتأخرون بهذا النوع  
 من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح  
 والعرش والكرمي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن  
 فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس  
 البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا وقبولا إذ هي من قبيل الوجدانيات وربما  
 قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فإني بالأغراض

فَالْأَغْمَضُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ وَالْعُلُومِ كَمَا فَعَلَ الْفَرَعَانِيُّ شَارِحُ  
قَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارُضِ فِي الدِّيْبَاجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
صُدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَرْتِيبِهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنِ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
هِيَ مَظْهَرُ الْإِحْدِيَّةِ وَهُمَا مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
غَيْرُ وَيُسَمَّوْنَ هَذَا الصُّدُورَ بِالْتَجَلِّيِّ وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الذَّاتِ عَلَى نَفْسِهِ  
وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةِ الْإِبْجَادِ وَالظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ  
كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
الْإِبْجَادِ الْمُنَزَّلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلِ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْحَضْرَةِ  
الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَاللُّوْحِ وَالْقَلَمِ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَأَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
الْمَحْمُودِيَّةِ وَيَصْدُرُ عَنِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْحَضْرَةِ الْمُبَانِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ  
الْمِثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْعَرْشُ ثُمَّ الْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاقُ ثُمَّ عَالَمُ الْعُنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ التَّرَكِيبِ هَذَا  
فِي عَالَمِ الرَّتْقِ فَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الْإِنْتِقِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ التَّجَلِّيِّ  
وَالْمَظَاهِرِ وَالْحَضْرَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مُقْتَضَاهُ لِعَرُوضِهِ  
وَأَجْلَاقِهِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ كَلَامِ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَرُبَّمَا  
انْكَرَ بظَاهِرِ الشَّرْحِ هَذَا التَّرْتِيبَ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ رَأْيٌ أَعْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعْقُلِهِ وَتَفَارِيعِهِ بِرِزْمُونِ قَبْلِهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادِّهَا وَالْعُنَاصِرُ إِنَّمَا كَانَتْ  
بِمَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي نَفْسِهَا قُوَةٌ بِهَا كَانَ وُجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمَرْكَبَاتِ  
فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرَكِيبُ كَالْقُوَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
الْعُنَاصِرِ بِهَيُولَاهَا وَزِيَادَةُ الْقُوَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَةُ الْحَيَوَانِيَّةُ لِتَضَمَّنُ الْقُوَةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
وَزِيَادَةُ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا وَكَذَا الْقُوَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ يَتَضَمَّنُ الْقُوَةَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ وَكَذَا الدُّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَةُ الْجَلْمَعَةُ لِلْكُلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ  
هِيَ الْقُوَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَنْبَتَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً وَجَمَعَتْهَا وَأَحَاطَتْ  
بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخِفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جِهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
 وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْمَفْصَلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهَا مُنْدرَجَةٌ فِيهَا وَكَانَتْ  
 بِكُونِهَا فَتَارَةً يُمَثِّلُونَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ النَّوْعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَا وَتَارَةً بِالْكُلِّ  
 مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرُونَ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
 مِنَ الْوُجُودِ وَإِنَّمَا أَوْجِبَهَا عِنْدَهُمُ الْوَهْمُ وَالْخَيَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ  
 فِي تَقْرِيرِهِ هَذَا الْمَذْعَبِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَبِيهُ بِمَا نَقُولُهُ الْحُكْمَ مَا فِي  
 الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مَشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عَدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
 بِوَجْهِهِ وَكَذَا عِنْدَهُمُ الْمَوْجُودَاتُ الْمَحْسُوسَةُ كُلُّهَا مَشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ  
 فَإِذَا الْوُجُودُ الْمَفْصَلُ كُلُّهُ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ  
 الْبَشَرِيِّ جُمْلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
 وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالسَّكَوَاتُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لِوُجُودِ الْخَوَاسِرِ  
 الْمُدْرِكَةِ لَهَا لِمَا جُعِلَ فِي الْمُدْرِكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْمُدَارِكِ فَقَطْ فَإِذَا فُقِدَتِ الْمُدَارِكُ الْمَفْصَلَةُ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
 أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ بِجَمَالِ النَّائِمِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَقَعَدَ الْحِسَّ الظَّاهِرَ فَقَدَ كُلَّ  
 مَحْسُوسٍ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا يُفْصَلُهُ لَهُ الْخَيَالُ قَالُوا فَكَيْفَا الْقَيْظَانُ إِنَّمَا يَعْتَبِرُ تِلْكَ  
 الْمُدْرِكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مُدْرِكِهِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قُدِرَ فَقَدَ مُدْرِكِهِ فَقَدَ التَّفْصِيلُ  
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمَوْجُودُ لَا الْوَهْمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ هَذَا  
 مُلْخَصٌ رَأَيْتُمْ عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ لِأَنَّا نَقْطَعُ بِوُجُودِ  
 الْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ يَقِينًا مَعَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبِوُجُودِ السَّمَاءِ الْمُظَلَّةِ  
 وَالسَّكَوَاتِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْغَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانِ قَاطِعٌ بِذَلِكَ وَلَا يُكَابِرُ أَحَدٌ  
 نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
 الْكَشْفِ رُبَّمَا يَعْزِضُ لَهُ تَوْهَمُ هَذِهِ الْوَحْدَةِ وَيُسَمِّي ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
 يَتَرَفَّى عَنْهُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
 الْعَارِفِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا يَدُ لِلْمُرِيدِ عِنْدَهُمْ مِنْ عَقَبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهُ يُخْشَى  
 عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وُقُوفِهِ عِنْدَهَا فَتَخَسَّرُ صَفِيقَتَهُ فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ

إِنَّ هَوْلَاءَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكُتُوبِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحِجْرِ  
 تَوَعَّلُوا فِي ذَلِكَ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْخُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أُشْرْنَا إِلَيْهِ وَمَلَأُوا  
 الصُّحُفَ مِنْهُ مِثْلُ الْهَرَوِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ وَغَيْرُهُ وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ  
 سَبْعِينَ وَتَلْمِذُهُمَا ابْنُ الْعَفِيفِ وَابْنُ الْفَارِضِ وَالنَّجْمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قِصَائِهِمْ وَكَانَ  
 سَلَفُهُمْ مَخَالِطِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْخُلُولِ وَالْهَيْمَةِ  
 الْأَيْمَةِ مَذْهَبًا لَمْ يُعْرَفْ لِأَوْلَاهِمُ فَأُشْرِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ وَأَخْطَطَ  
 كَلَامَهُمْ وَأَشَابَهُتْ عَقَائِدُهُمْ وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَمَعْنَاهُ رَأْسُ  
 الْعَارِفِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقْبَضَهُ  
 اللَّهُ ثُمَّ يُورِثُ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ  
 الْأَشْرَافَاتِ فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا فَقَالَ جُلُّ جَنَابِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ  
 أَوْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ وَهَذَا كَلَامٌ لَا تَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ  
 شَرْعِيٌّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَهُوَ بَعِينُهُ مَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ وَدَانُوا بِهِ ثُمَّ قَالُوا  
 بِتَرْتِيبِ وُجُودِ الْأَيْدِي بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ كَمَا قَالَ الشَّيْخَةُ فِي النُّقْبَاءِ حَتَّى إِذَا لَمَّا  
 اسْتَدُوا لِبَاسِ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا لَطَرِيقَتِهِمْ وَيُخَلِّقُوا رَفْعَهُ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَإِلَّا فَعَلِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ  
 بِتَخْلِيَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَرْهَدَ  
 النَّاسَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرَهُمْ عِبَادَةً وَلَمْ يُخْتَصَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
 فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤْتَرُ عَنْهُ فِي الْخُصُوصِ بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أُسُوفَةً فِي الدِّينِ وَالزُّهْدِ  
 وَالْجَاهِدَةِ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ هَوْلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَمَا شَحَنُوا  
 كُتُبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ يُبْنَى أَوْ إِثْبَاتٌ وَإِنَّمَا هُوَ  
 مَا خُذَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ إِنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفُتْيَا انْتَدَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى هَوْلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَشَمَلُوا بِالنَّكِيرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ  
 فِيهِ تَفْصِيلٌ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الْكَلَامُ عَلَى الْجَاهِدَاتِ وَمَا  
 يَحْتَصِلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِتَحْصُلِ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي

تَصِيرُ مَقَامًا وَيَتَرَفَّى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا دُنَاهُ وَتَأْنِيهَا الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
الْمُدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْمِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيْبِ الْأَكْوَانِ فِي  
صُدُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكْوِينِهَا كَمَا مَرَّ وَتَأْتِيهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
الْكَرَامَاتِ وَرَابِعُهَا الْفَاظُ مُوَهَّمَةُ الظَّاهِرِ صَدَرَتْ مِنْ الْكَثِيرِ مِنْ أَيْمَةِ الْقَوْمِ يَعْبُرُونَ  
عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشَّطْحَاتِ تُسْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُحْسِنٌ وَمَتَأَوِّلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
فِي الْجَاهِدَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْتَصِلُ مِنَ الْأَذْوَابِ وَالْمَوَاجِدِ فِي تَنَائِجِهَا وَتَحَاسِبَةِ النَّفْسِ  
عَلَى التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَابُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحَقُّقُ بِهَا هُوَ  
عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كَرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْمَغِيْبَاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى إِنْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ  
الْحَقِّ وَمَا أَحْتَجُّ بِهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايْنِيَّ مِنْ أَيْمَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى إِنْكَارِهَا  
لِلنَّبَاتِ بِهَا بِالْمُعْجَزَةِ فَقَدْ فَرَّقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالتَّعْدِي وَهُوَ دَعْوَى  
وُقُوعِ الْمُعْجَزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنَّ وَقُوعَهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجَزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقَابِيَّةٌ فَإِنَّ صِفَةَ تَنَصُّدِيقِ فُلُوْ وَتَمَّتْ مَعَ  
الْكَاذِبِ ابْتَدَلَتْ صِفَةَ نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الوجودَ شَاهِدٌ بِوُقُوعِ الْكَثِيرِ  
مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابَرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ وَأَكْبَارِ السَّلَفِ كَثِيرٌ  
مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُوبَاتِ  
وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ لِمَا أَنَّهُ وَجَدَانِيٌّ  
عِنْدَهُمْ وَفَائِدُ الْوَجْدَانِ عِنْدَهُمْ بِمَعْزَلٍ عَنِ أَذْوَابِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تُعْطَى لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى  
مُرَادِهِمْ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَمْ تُوَضَّعْ لِلْمُتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ التَّحْسُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَتَعَرَّضَ  
لِلْكَلامِ فِي ذَلِكَ وَتَتَرَكَّهُ فِيمَا تَرَكَاهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمَّ شَيْءٌ مِنْ  
هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُوَافِقِ لظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ  
الْمُوَهَّمَةُ الَّتِي يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالشَّطْحَاتِ وَيُوَآخِذُهُمْ بِهَا أَهْلُ الشَّرْعِ فَاعْلَمْ أَنَّ  
الْإِنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ وَالْوَارِدَاتُ تَمْلِكُهُمْ حَتَّى  
يَنْطَفُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْعَجُوبُ مَعْدُودٌ فَهَنْ

عُلِمَ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَأَقْتَدَاوَهُ حُمِلَ عَلَى الْقَصْدِ الْجَمِيلِ مِنْ مَثَلِهِ وَأَنَّ الْعِبَارَةَ عَنِ  
 الْمَوَاجِدِ صَعْبَةٌ لِإِقْدَانِ الْوَضْعِ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَبِي بَرِيدٍ وَأَمْثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يُعَلِّمْ فَضْلَهُ  
 وَلَا أَشْتَهَرَ فَمَوَازِدُهُ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مَا يَعْمَلُنَا عَلَى  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمِثْلِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حِسِّهِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ الْحَالُ فَمَوَازِدُهُ  
 أَيْضًا وَهَذَا أَفْتَى الْفُقَهَاءُ وَأَكْبَرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَبْلِ الْحَلَّاجِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حُضْرِهِ وَهُوَ مَالِكٌ  
 لِحَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّسَالَةِ أَعْلَامُ الْمِلَّةِ الَّذِينَ أَشْرَفْنَا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُنْ لَهُمْ حِرْصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمْهُمُ الْإِتْبَاعُ وَالْإِقْتِدَاءُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَلْ بِهِ بَلْ يَفْرُونَ مِنْهُ وَيَرُونَ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْحِجَابِ وَأَنَّهُ إِدْرَاكٌ مِنْ إِدْرَاكَاتِ  
 النَّفْسِ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا تَحْصُرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعَلِمُ اللَّهُ أَوْسَعُ  
 وَخَلْقُهُ أَكْبَرُ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهِدَايَةِ أَمَّا كُفْلًا يَنْطِقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يَذَرُ كُونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخَلُوضَ فِي ذَلِكَ وَمَنَعُوا مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخَلُوضِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَلْتَزِمُونَ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْتِزَامِهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْعَرِيدِ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثاني عشر

#### في علم تعبير الرؤيا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ حَادِثٌ فِي الْمِلَّةِ عِنْدَمَا صَارَتْ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّؤْيَا وَالْعَبِيرُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّلَفِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخَلْفِ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَمَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا لِإِلَّا كِتْفَاءِ فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْأَفْأَلُ رُؤْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صِنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْبِيرِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبُتَ عَنِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّؤْيَا مُدْرَكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا  
 الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا



الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِنَ الرُّؤْيَا فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْآيَةَ  
 رُؤْيَا بَسَّأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ابْتِسَابًا بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الدِّينِ وَإِعْزَازُهُ وَأَمَّا  
 السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُدْرِكًا لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ وَهُوَ الْبَحَارُ اللَّطِيفُ الْمُبِيعُ  
 مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ اللَّحْمِيِّ يَنْتَشِرُ فِي الشَّرَيَّاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ وَبِهِ  
 تَكْمُلُ أفعالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِحْسَانُهَا فَإِذَا ادْرَكَهُ الْمَلَالُ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي  
 الْإِحْسَاسِ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَتَضْرِيفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَغَشْيِ سَطْحِ الْبَدَنِ مَا يَغْشَاهُ  
 مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ انْحَبَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ فَيَسْتَجِمُّ بِذَلِكَ  
 لِمَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ فَتَعَطَّلَتِ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النَّوْمِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
 أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَاقِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالرُّوحُ  
 الْعَاقِلُ مُدْرِكٌ لِجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِذَاتِهِ إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ وَإِنَّمَا  
 يَحْتَجُّ مِنْ تَعَلُّقِهِ لِلْمَدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْأَشْتِغَالِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِهِ  
 فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَعْقِلُ  
 كُلَّ مُدْرِكٍ فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَّتْ شَوَاغِلُهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ إِدْرَاكِ لِحَقِّهِ مِنْ عَالَمِهِ  
 بِقَدَرِ مَا تَجَرَّدَ لَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ خَفَّتْ شَوَاغِلُ الْحِسِّ الظَّاهِرِ كُلُّهَا وَهِيَ الشَّاغِلُ  
 الْأَعْظَمُ فَأَسْتَعَدَّ لِاقْبُولِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمَدَارِكِ اللَّائِقَةِ مِنْ عَالَمِهِ وَإِذَا ادْرَكَ مَا يُدْرِكُ  
 مِنْ عَوَالِمِهِ رَجَعَ إِلَى بَدَنِهِ إِذْ هُوَ مَا دَامَ فِي بَدَنِهِ جِسْمَانِيٌّ لَا يُمْكِنُ لَهُ التَّصَرُّفُ إِلَّا  
 بِالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِلْعِلْمِ إِنَّمَا هِيَ الدَّمَاغِيَّةُ وَالْمُتَصَرِّفُ مِنْهَا  
 هُوَ الْخَيَالُ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ مِنَ الصُّورِ الْمُحَسَّوسَةِ صُورًا خَيَالِيَّةً ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الْحَافِظَةِ  
 تَحْفَظُهَا لَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ النَّفْسُ مِنْهَا  
 صُورًا أُخْرَى نَفْسَانِيَّةً عَقْلِيَّةً فَيَتَرَفَّى التَّجَرُّدُ مِنَ الْمُحَسَّوسِ إِلَى الْعَقُولِ وَالْخَيَالِ  
 وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ إِذَا ادْرَكَتِ النَّفْسُ مِنْ عَالَمِهَا مَا تُدْرِكُهُ الْقِتَّةُ إِلَى الْخَيَالِ  
 فَيُصَوِّرُهُ بِالصُّورَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ فَيَرَاهُ النَّائِمُ كَأَنَّهُ مُحَسَّوسٌ  
 فَيَتَنَزَّلُ الْمُدْرِكُ مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ إِلَى الْحِسِّيِّ وَالْخَيَالِ أَيْضًا وَاسِطَةً هَذِهِ حَقِيقَةُ

الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث الأحلام الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن إن كانت تلك الصور منزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام وأما معنى التعبير فأعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره فإنما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأعظم فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العدو فيصورها الخيال في صورة الحية فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة غسوسة وأن المدرك ورأها وهو يهتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك فيقول مثلا هو السلطان لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه بها السلطان وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية وأمثال ذلك ومن المرئي ما يكون صريحا لا يفتقر إلى تعبير لجلالها ووضوحها أو لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاث وأعلم أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مدركه فإنما يصوره في القوالب المعتادة للعيس وما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد أعمى أن يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالأواني لأنه لم يدرك شيئا من هذه وإنما يصور له الخيال أمثال هذه في شبيها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمسمومات ولتخفيف المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم إن علم التعبير علم يقوئين كلية بني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغبط وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهمم ولأمر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم مري وفي موضع آخر يقولون تدل على

الْحَيَاةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمَعْبَرُ هَذِهِ الْقَوَائِنَ الْكُلِّيَّةَ وَيُعْبَرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
 قَتَضِيهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُعَيِّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ مَا هُوَ الْبَاقِي بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
 الْبَقْطَةِ وَمِنْهَا فِي النَّوْمِ وَمِنْهَا مَا يَنْقَدِحُ فِي نَفْسِ الْمَعْبَرِ بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
 مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّلَفِ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
 مِنْ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَائِنِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْفَتْ  
 الْكِرْمَانِي فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ الْفَتْ الْمَكَلَمُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَأَكْثَرُوا وَالْمَتَدَاوِلُ  
 بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِي مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ مِثْلَ  
 الْمُنْتَعِ وَغَيْرِهِ وَكُنْتُ لِإِلْشَارَةِ لِلْسَّالِفِي وَهُوَ عِلْمٌ مُغْنِيٌّ بِزُورِ الذُّبُورَةِ لِلْمُنَاسِبَةِ الَّتِي  
 يَنْهَمَا كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ فَهِيَ غَيْرُ  
 مُخْتَصِيَّةٌ بِعِلْمِهِ بَلْ يَوْجِدُ النَّظَرَ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
 وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْذُ كَانَ عُمَرَانُ الْخَلِيقَةَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومَ  
 الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ عِلْمٌ يَعْصِمُ  
 الذِّهْنَ عَنِ الْخَطَا فِي اقْتِنَاصِ الْمَطَالِبِ الْعَجُوبَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ وَفَائِدَتُهُ  
 تَمْيِيزُ الْخَطَا مِنَ الصَّوَابِ فِيمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاطِرُ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَوَارِيفِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
 تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِي الْكَائِنَاتِ بِمُنْتَهَى فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْعَشُوسَاتِ  
 مِنَ الْأَجْسَامِ الْعَنْصُرِيَّةِ وَالْمُكَوَّنَةِ عَنْهَا مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ وَالْأَجْسَامِ  
 النَّفْسِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَنْبَعِثُ عَنْهَا الْحَرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
 هَذَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
 الطَّبِيعَةِ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
 النَّاطِرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتُسَمَّى الْعَالِمِ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْمُنْدَسَةِ وَهُوَ  
 النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِمَّا الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمُنْتَصِلَةِ  
 وَهِيَ إِمَّا ذُو بَعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أَسْبَاطٍ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ

الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها إما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض وثانيها علم الأزمات الطبيعي وهو معرفة ما يعرض لكم المتفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وتسميته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددتها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالأزمات الطبيعي أولاً ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الإلهيات ولكل واحد منها فروع تفرع عنه فمن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الأزياج وهي قوانين لحساب حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروعها النظر في النجوم على الأحكام النجومية ونحن نذكر عليكم عليها واحداً بعد واحد إلى آخرها وأعلم أن أكثر من عني بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمان العظيمان في الدولة قبل الإسلام وهما فارس والروم فكانت أسواق العلوم نافية لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصره لهم فكان لهدية العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرتهم من القبط عنابة بالسحر والتجامة وما يتبعها من الطلالم وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان فأخص بها القبط وطى بجرها فيهم كما وقع في المثلوث من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البراري بصعيد مصر ثم تابعت الملل بحظر ذلك وتعميره فدرست علومه وبطلت كان لم تكن إلا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع والله أعلم بصحتها مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختيارها وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك ولقد يقال إن هذه العلوم إنما وصلت إلى يونان منهم

حين قتل الإسكندر دياراً وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم  
 مما لا يأخذه الحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد  
 ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقيتها للمسلمين فكتب  
 إليه عمر أن أطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن  
 يكن ضللاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها  
 عن أن تصل إلينا. وأما الروم فكانت الدولة منهم يونان أولاً وكان لهذه العلوم  
 بينهم مجال رحب وحدتها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم  
 واخص فيها المشاهون منهم أصحاب الرواق بطريقتهم حسنة في التلخيص كانوا يقرأون  
 في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعاليمهم على ما  
 يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم  
 إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفرودمي وتامسطيون وغيرهم  
 وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غاب الفرس على ملكهم وانتزع  
 الملك من أيديهم وكان أرسطو في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً وكان يسمى  
 المعلم الأول فطار له في العالم ذكر. ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقيصرية  
 وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الميل والشرايع فيها وبقيت  
 في صحتها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنها قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم  
 باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لأهل الظهور الذي لا كفاء له وأبتروا الروم  
 ملكهم فيما أبتروه للأمم وأبدا أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا  
 تبجح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم  
 وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الإطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما  
 سمعوا من الأساقفة والأفيسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما سمو إليه أفكار الإنسان  
 فيها فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه يكتب العالم مترجمه  
 فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على  
 ما فيها وأزدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في  
 العلم رغبة بما كان يتحله فأنبعث لهذه العلوم حرصاً وأودد الرسل على ملك الروم

فِي اسْتِخْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَانْتِسَاطِهَا بِالْحَطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَعَثَ الْمُتَرْجِمِينَ لِلذَّكَاءِ قَاوِمِي  
 مِنْهُ وَاسْتَوْعَبَ وَعَكَمَتْ عَلَيْهَا النُّظَارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَدَقُوا فِي فُنُونِهَا وَأَتَمَّتْ إِلَى  
 الْغَايَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالَفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَأَخْتَصَّوهُ بِالرَّدِّ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهُرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَابِينَ وَأَرْبَابًا عَلِيًّا مِنْ تَقَدُّمِهِمْ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ فِي الْعِلْمَةِ أَبُو نُصَيْرٍ الْفَارَابِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَالْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِعِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخِرِينَ بَلَّغُوا الْغَايَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِالشُّهُرَةِ وَالذِّكْرِ وَأَقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى التَّحَالِ الْعَالِمِ  
 وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النِّجَامَةِ وَالسِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَوَقَفَتْ الشُّهُرَةُ فِي هَذَا الْمُنْتَحَلِ  
 عَلَى مَسَلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَجْرِيَّيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيذِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْمِنَّةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِيهَا دَاخِلَةٌ وَأَسْتَهْوَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ بِمَا حَبَّبُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ أَرْتَكَبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَمَّا  
 رَكَدَتْ رِيحُ الْعُمَرَانِ بِيَهْمَا وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ أَضْحَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُسُومِهِ تَجِدُهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَضَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مَوْفُورَةً وَخُصُوصًا فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنَّهُمْ عَلَى صِحِّهِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لِتَوْفُرِ عُمَرَانِهِمْ وَأَسْتِخْرَاجِ  
 الْحُضَارَةِ فِيهِمْ وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِمِصْرَ عَلَى تَالِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عَظَمَاءِ هِرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خُرَّاسَانَ يُشِيرُ بِسَعْدِ الدِّينِ التَّنَازَلِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْبَيَانِ  
 تَشْهَدُ بَانَ لَهُ مَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَثْنَائِهَا مَا بَدُلُ عَلَى أَنَّ لَهُ أَطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَّمَ عَالِيَةً فِي سَائِرِ الْعُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِبِلَادِ الْأَفْرَنْجِيَّةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ نَافِقَةٌ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَجَدِّدَةٌ وَمَجَالِسَ  
 تَعْلِيمَهَا مُتَعَدِّدَةٌ وَدَوَابِهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ وَطَلَبَتِهَا مُتَكَثِرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

## الفصل الرابع عشر

### في العلوم العددية

وَأُولَئِهَا الْأَزْتِمَاطِيْقِيُّ وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأْلِيفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي أَوْ بِالضَّعِيفِ مِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَفَاضِلَةً بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنْ جَمَعَ الطَّرْفَيْنِ مِنْهَا مُسَاوٍ لِيَجْمَعَ كُلَّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمِثْلَ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ عِدَّةُ تِلْكَ الْأَعْدَادِ فَرْدًا مِثْلَ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلَ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ بِكُونِ أُولَئِهَا نِصْفَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفَ ثَالِثِهَا الخ أَوْ يَكُونُ أُولَئِهَا ثَلَاثَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثَلَاثَ ثَالِثِهَا الخ فَإِنْ ضَرَبَ الطَّرْفَيْنِ أَحَدَهُمَا فِي الْآخِرِ كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدَهُمَا فِي الْآخِرِ وَمِثْلَ مُرَبِّعِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا وَذَلِكَ مِثْلَ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ اثْنَيْنِ فَأَرْبَعَةٌ فَثَمَانِيَةٌ فَسِتَّةٌ عَشَرَ وَمِثْلَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِّ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمُثَلَّثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْمُرَبَّعَاتِ وَالْمُخَمَّسَاتِ وَالْمُسَدَّسَاتِ إِذَا وُضِعَتْ مُتَتَالِيَةً فِي سَطْرِهَا بِأَنْ يُجْمَعَ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مُثَلَّثَةً وَتَوَالِي الْمُثَلَّثَاتُ هَكَذَا فِي سَطْرٍ نَعَتْ الْأَضْلَاعِ ثُمَّ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ مُثَلَّثٍ ثَلَاثَ الضَّيَاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُرَبَّعَةً وَتَزِيدُ عَلَى كُلِّ مُرَبَّعٍ مُثَلَّثَ الضَّيَاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُخَمَّسَةً وَهَلُمَّ جَرًّا وَتَوَالِي الْأَشْكَالُ عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاعِ وَيَحْدُثُ جَدْوَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فِيهِ عَرْضُ الْأَعْدَادِ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُثَلَّثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُرَبَّعَاتُ ثُمَّ الْمُخَمَّسَاتُ الخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ بَالِغًا مَا بَلَغَ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طُولًا وَعَرْضًا خَوَاصُّ غَرِيبَةٌ اسْتَقْرِيَتْ مِنْهَا وَتَقَرَّرَتْ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلُهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصًّا مُخْتَصَّةً بِهِ تَضَمَّنَهَا هَذَا الْفَرْقُ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْفَرْقُ أَوَّلُ أَجْزَاءِ التَّعَالِيمِ وَأَثْبَتَهَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ الْحِسَابِ وَلِلْمُحْكَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَأْلِيفٌ وَأَكْثَرُهُمْ يَدْرِجُونَهُ فِي التَّعَالِيمِ وَلَا يُفْرِدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ أَبُو سَيْنَا فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُتَدَاوِلٍ وَمَنْفَعَتُهُ فِي الْبَرَاهِينِ لَا فِي الْحِسَابِ فَهَجَرُوهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَغْلَصُوا زُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ

كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْبَنَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع  
 علم العدد صناعة الحساب ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالضَّمِّ وَالْتَفْرِيقِ  
 فَأَلْضَمُّ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ تُضَاعَفُ عِدَدًا بِأَحَادٍ عِدَدٍ  
 آخَرَ وَهَذَا هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَّا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عِدَدٍ  
 مِنْ عِدَدٍ وَمَعْرِفَةِ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَفْصِيلُ عِدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا  
 مُحْصَلَةً وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكَسْرِ  
 وَمَعْنَى الْكَسْرِ نِسْبَةُ عِدَدٍ إِلَى عِدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالضَّمِّ  
 وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجُذُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمُرْبَعُ  
 فَإِنَّ تِلْكَ الْجُذُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أَحْتَجِجُ إِلَيْهَا  
 لِلْحِسَابِ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالْفَتْ النَّاسُ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوَلُوهَا فِي الْأَمْصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْوِلْدَانِ  
 وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمُ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفٌ مُتَّصِحَةٌ وَبِرَاهِينٌ مُنْتَظِمَةٌ فَيَنْشَأُ  
 عَنْهَا فِي الْغَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرَبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ  
 أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يُغْلِبُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ صِحَّةِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ  
 فَيَصِيرُ ذَلِكَ خُلُقًا وَبِتَعَوُّدِ الصِّدْقِ وَيَلْزِمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّأَلِيفِ الْمَبْسُوطَةُ فِيهَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ كِتَابُ الْحَصَارِ الصَّغِيرِ وَالْبَيْنُ الْبِنَاءِ الْعَرَاكِي فِيهِ تَلْخِيصٌ ضَاطِحٌ  
 لِتَوَانِينِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابِ مِمَاهِرِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَفْلِقٌ عَلَى الْمُبْتَدِيَّةِ  
 بِمَا فِيهِ مِنَ الْبِرَاهِينِ الْوَاتِقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ أَدْرَكْنَا الْمَشِيخَةَ تُعْظِمُهُ  
 وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْأَسْتِفْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ بَيِّنَاتِ عُلُومِ  
 التَّعَالِيمِ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاضِحَةٌ كُلُّهَا وَإِذَا فُصِّدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءُ الْعَلَلِ  
 فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى الْفَهْمِ مَا لَا يُوْجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فَتَأَمَّلْهُ  
 وَابْتَهِ بِهَيْدِي بُرُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ . ( ومن فروع الجبر والمقابل ) . وَهِيَ  
 صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْجَهْلِيُّ مِنْ قَبْلِ الْعِلْمِ الْمَفْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ  
 تُقْتَضِي ذَلِكَ فَاصْطَلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ جَعَلُوا لِلْجَهْلِيَّاتِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالضَّرْبِ  
 أَوَّلَهَا الْعَدَدُ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْجَهْلِيُّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْجَهْلِيِّ إِلَيْهِ وَثَانِيهَا  
 الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ جَهْلِيٍّ فَهُوَ مِنْ جِهَةِ إِبْهَامِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جَذْرٌ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ



فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَتَالِثُهَا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مِنْهُمْ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسْرِ فِي  
 الْمَضْرُوبِينَ ثُمَّ يَقَعُ الْعَمَلُ الْمَفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتَخْرُجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيُقَابِلُونَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَجْتَرُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكَسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيُعْطُونَ الْمَرَاتِبَ إِلَى أَقَلِّ الْأَسُوسِ إِنْ أَمَكْنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْجَبْرِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعَدَدُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَوَاحِدٍ تَعَيَّنَ قَالِمَالُ وَالْجَدْرُ يَزُولُ إِبْهَامُهُ بِمُعَادَلَةِ الْعَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجَدُورَ فَيَتَعَيَّنُ بَعْدَتِهَا وَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أُخْرِجَهُ الْعَمَلُ الْهَنْدَسِيُّ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْإِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْهَمَةٌ فَيَعِينُهَا ذَلِكَ الضَّرْبُ الْمَفْصَلُ وَلَا  
 يُمَكِّنُ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ مَا أَنْتَهتِ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلٍ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجَدْرٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٌ أَوْ مُرَكَّبَةٌ تُجِي سِتَّةَ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخُوارِزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ شِجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى أَثَرِهِ فِيهِ وَكَتَابُهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَشَرَحَهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْقُرْشِيِّ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَيْمَةِ التَّعَالِيمِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنْهِيَ الْمُعَامَلَاتِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَّغَهَا إِلَى فَوْقِ الْعَشْرِينَ وَاسْتَخْرَجَ لَهَا كُلِّهَا أَعْمَالًا وَأَتْبَعَهُ بِرَاهِبِنِ هَنْدَسِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْمُعَامَلَاتُ ) . وَهُوَ  
 تَصْرِيْفُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمَدُنِ فِي الْبَيْعَاتِ وَالسَّاحَاتِ وَالزَّكَاةِ وَنَسَائِرِ مَا  
 يَعْضُ فِيهِ الْعَدَدُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ يُصْرَفُ فِي صِنَاعَتِنَا ذَلِكَ الْحِسَابُ فِي الْمَجْهُولِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجَدُورِ وَغَيْرِهَا وَالْفَرْضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْمِرَانِ وَالذُّبَّةِ بِتَكَرُّرِ الْعَمَلِ حَتَّى تَرْتَبِحَ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصِّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأَلَّفَتْ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزَّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّمْحِ وَأَبِي مُسْلِمِ بْنِ خَالِدُونَ مِنْ تَلْمِيذِ مُسْلِمَةَ الْعَجْرِيَّيْنِ وَأَمْثَالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفُرَائِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٍ فِي تَصْحِيحِ السِّهَامِ لِذَوِي الْفُرُوضِ  
 فِي الْوَرَاثَاتِ إِذَا تَعَدَّتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَأَنْكَسَرَتْ سِيَهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ أَجْمَاعِهَا وَتَزَاحَمَتْ عَلَى أَعْمَالِ كُلِّهِ أَوْ كَانَ فِي الْفُرِيضَةِ إِفْرَازٌ

وإنكار من تعض الورثة فتحتاج في ذلك كله إلى عمل بعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححاً حتى تكون حظوظ الورثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحبه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحكام الورثة من الفروض والعول والأقارار والإنكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تضيح الشهان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندني أن ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات فإنها أقل من أن تكون في كميتها ثلث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد آلت الناس في هذا الفن قديماً وحديثاً وأوعبوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوزي وكتاب ابن المنمر والجعدي والسردي وغيرهم لكن الفضل للحوزي فكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله سليمان الشطي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب وإمام الحرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع بابه في العلوم وزسوخ قدمه وكذا للحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء بمنة وكرمه لا رب سواه

### الفصل الخامس عشر

#### في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم وإما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزاياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرسجا إلى غير نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى

كِتَابِ الْأُصُولِ وَكِتَابِ الْأَرْكَانِ وَهُوَ أَسْطُ مَا وُضِعَ فِيهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجِمَ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْمِلَّةِ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَنُسَخُهُ مُتَخَلِّفَةٌ بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا لِحْنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَلِثَابِتِ بْنِ قِرَّةَ وَلِيُوسُفَ بْنِ الْحُجَّاجِ وَيَسْتَعْمَلُ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَقْدَارِ الْمُتَنَاسِبَةِ وَآخَرَى فِي  
 نِسْبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةَ فِي الْمَنْطِقَاتِ وَالْقَوَى عَلَى  
 الْمَنْطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجُدُورُ وَخَمْسٌ فِي الْجَسَمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ مِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصِّلَاتِ  
 فِي كِتَابِ الْأَقْتِنَارِ وَغَيْرِهِمْ وَشَرَحَهُ آخَرُونَ شُرُوحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْمُهَنْدِسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُهَنْدِسَةَ تُقِيدُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَأَسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيْنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَكَادُ الْغَلَطُ يَدْخُلُ أَقْبَسَتَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَانْتِظَامِهَا فَيَبْعُدُ الْفِكْرُ بِمُمَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطَا وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمُهَيِّجِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَنْدِسًا فَلَا يَدْخُلَنَّ مَنَزَلَنَا  
 وَكَانَ شَيْوَحْنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُمَارَسَةُ عِلْمِ الْمُهَنْدِسَةِ لِلْفِكْرِ بِحَثَابَةِ الصَّابُونَ لِلثَّوْبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَقْدَارَ وَيُنْقِيهِ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْرَانِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِهِ . (ومن فروع هذا الفن الهندسة المنصوصة بالأشكال الكروية  
 والمخروطات) . أما الأشكال الكروية ففيها كتابان من كتب اليونانيين  
 لثاودوسيوس وميلاؤش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على  
 كتاب ميلاؤش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منها لمن يريد الخوض في علم  
 الهيئته لأن براهينها متوقفة عليه فالكلام في الهيئته كله كلام في الكرات السماوية  
 وما يعرض فيها من القطوع والدوائر بأسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على  
 احكام الأشكال الكروية سطوحها وقطوعها وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة  
 أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الأجسام المخروطية من الأشكال والقطوع ويبرهن  
 على ما يعرض لذلك من العوارض يبراهين هندسية متوقفة على التعليم الأول وفائدتها  
 تظهر في الصنائع العملية التي موادها الأجسام مثل النجارة والبناء وكيف تُصنع  
 السمايل القريبة والهيكل النادرة وكيف يُحمَّلُ على جرِّ الأثقال ونقل الهيكل

بِالْهَيْدَامِ وَالْمِخَالِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤْتَمِنِينَ فِي هَذَا الْفَنِّ كِتَابًا فِي الْحِجَلِ الْعَلَمِيَّةِ يَتَّصِفُ مِنْ الصِّنَاعَاتِ الْفَرِيَّةِ وَالْحِجَلِ الْمُسْتَظَرِّفَةِ كُلِّ عَجِيبَةٍ وَرُبَّمَا اسْتَعْلَقَ عَلَى الْأَنْهَامِ اصْغَرُهَا بِرَاهِنِهِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مُوجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ يَنْسُونَهُ إِلَى بَنِي شَاكِرٍ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (ومن فروع الهندسة المساحة) وَهُوَ فَنٌّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مِقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شِبْرٍ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةِ أَرْضٍ مِنْ أَرْضٍ إِذَا قُوِيَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْظِيفِ الْخُرَاجِ عَلَى الْمَزَارِعِ وَالْقُدُنِ وَبَسَاتِينِ الْغِرَاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَائِطِ وَالْأَرْضِي بَيْنَ الشَّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضِعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ الْمُؤْتَمِنُ لِلصَّوَابِ بِعَمَلِهِ وَكَرَمِهِ (المنظرة من فروع الهندسة) وَهُوَ عِلْمٌ يَتَّبِعُ بِهِ أَسْبَابُ الْغَلَطِ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شِعَاعِيٍّ رَأْسُهُ يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْعُرْيُ ثُمَّ يَقَعُ الْغَلَطُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَبِيرًا وَالْبَعِيدِ صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةِ الْأَشْبَاحِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَبِيرَةً وَرُؤْيَةِ انْتِفَاطِ النَّازِلَةِ مِنَ الْمَطَرِ خَطًا مُسْتَقِيمًا وَالسَّلْقَةِ دَائِرَةً وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَتَّبِعُ فِي هَذَا الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّاتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَيَتَّبِعُ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافُ الْمَنْظَرِ فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَتَّبِعُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا وَقَدْ آتَى فِي هَذَا الْفَنِّ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُهُمْ مِنْ أَلْفٍ فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَغَيْرُهُ أَيْضًا تَأَلَّفَ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَتَفَارِيعِهَا

### الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكُوكَبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَةِ وَالْمُتَحَرِّكَةِ وَدَسْتَلُّ مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالٍ وَأَوْضَاعٍ لِلْأَفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا إِهْدِ الْحَرَكَاتِ الْحَسُوسَةِ بِطَرِيقِ هِنْدَسِيَّةٍ كَمَا يَبْزُهْنُ عَلَى أَنَّ مَرَكِزَ الْأَرْضِ مَبَايِنٌ لِمَرَكِزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يُسْتَدَلُّ بِالرُّجُوعِ وَالْإِسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ أَفْلَاقٍ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَةٌ دَاخِلًا فَلَكِهَا الْأَعْظَمِ وَكَمَا يَبْزُهْنُ عَلَى وُجُودِ الْفَلَكَ الثَّابِتِ بِحَرَكَةِ الْكُوكَبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يَبْزُهْنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الواحد بِنَمْدَارِ الْمَيُولِ لَهُ وَأَمثالُ ذَلِكَ وَإِدْرَاكُ الْمَوْجُودِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَكَيْفِيَّاتِهَا  
 وَأَجْنَاسِهَا إِنَّمَا هُوَ بِالرَّصْدِ فَإِنَّمَا عَلِمْنَا حَرَكَةَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ بِهِ وَكِنْدَا  
 تَرْكِيبِ الْأَفْلَاكِ فِي طَبَقَاتِهَا وَكِنْدَا الرَّجُوعِ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَأَمثالُ ذَلِكَ وَكَانَ الْيُونَانِيُّونَ  
 يَعْتَنُونَ بِالرَّصْدِ كَثِيرًا وَيَتَّخِذُونَ لَهُ الْأَلَاتِ الَّتِي تُوضَعُ لِرُصْدِهَا حَرَكَةُ الْكَوْكَبِ  
 الْمَعِينِ وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَاتَ الْعَلَقِي وَصِنَاعَةُ عَمَلِهَا وَالْبَرَاهِينُ عَلَيْهِ فِي مُطَابَقَةِ  
 حَرَكَتِهَا بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ مَقُولٌ بِأَيْدِي النَّاسِ وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تَقْعَ بِهِ عِنَابَةٌ إِلَّا  
 فِي الْقَلِيلِ وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ مِنْهُ وَصَنَعَ الْآلَةَ الْمَعْرُوفَةَ لِلرَّصْدِ الْمُسَمَّاةَ  
 ذَاتَ الْحَلْقِ وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّ وَلَمَّا مَاتَ ذَهَبَ رَسْمُهُ وَأَغْفَلَ وَعَاعْتَمَدَ مِنْ بَعْدِهِ  
 عَلَى الْأَرْصَادِ الْقَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ بِمُعْنِيَةٍ لِإِخْتِلَافِ الْحَرَكَاتِ بِاتِّصَالِ الْأَحْقَابِ وَأَنَّ  
 مُطَابَقَةَ حَرَكَةِ الْآلَةِ لِلرَّصْدِ بِحَرَكَةِ الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْرِيبِ وَهَذِهِ  
 الْهَيْئَةُ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ وَلَيْسَتْ عَلَى مَا يُفْهَمُ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّهَا تُعْطِي صُورَةَ السَّمَاوَاتِ وَتَرْتِيبَ  
 الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ بِالْحَقِيقَةِ بَلْ إِنَّمَا تُعْطِي أَنْ هَذِهِ الصُّورَ وَالْهَيْئَاتِ لِلْأَفْلَاكِ لَزِمَتْ  
 عَنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ لِأَزْمًا لِخْتَلَفَيْنِ  
 وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْحَرَكَاتِ لَازِمَةٌ فَهِيَ أَسْتِدْلَالٌ بِاللَّازِمِ عَلَى وُجُودِ الْمَلْزُومِ وَلَا يُعْطِي  
 الْحَقِيقَةَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ جَلِيلٌ وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْعَالَمِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّالِيفِ فِيهِ  
 كِتَابُ الْمَحِيسْطِيِّ مَنْسُوبٌ لِبطليموسَ وَلَيْسَ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ بِطَلِيمُوسُ  
 عَلَى مَا حَقَّقَهُ شُرَاحُ الْكِتَابِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْأَيْمَةُ مِنْ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ سِينَا وَأَدْرَجَهُ فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ وَتَلَخَّصَهُ ابْنُ رُشْدٍ أَيْضًا مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَأَبْنُ السَّمْحِ وَأَبْنُ الصَّلْتِ فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَارِ وَلِابْنِ الْفَرَنْغَاتِيِّ هَيْئَةٌ مُلَخَّصَةٌ قَرِيبًا  
 وَحَدَفَ بَرَاهِينِهَا الْهِنْدَسِيَّةَ وَاللَّهُ عَالِمٌ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ . (ومن فروعه علم الازياج) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ حِسَابِيَّةٌ عَلَى قَوَانِينِ عَدَدِيَّةٍ فِيمَا  
 يَخْصُ كُلَّ كَوْكَبٍ مِنْ طَرِيقِ حَرَكَتِهِ وَمَا أَدَّى إِلَيْهِ بَرَهَانُ الْهَيْئَةِ فِي وَضْعِهِ مِنْ سُرْعَةٍ  
 وَبُطْءٍ وَأَسْتِقَامَةٍ وَرُجُوعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُعْرَفُ بِهِ مَوَاضِعُ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاكِهَا لِأَنَّ  
 وَقْتِ فُرُضَ مِنْ قَبْلِ حِسَابِ حَرَكَاتِهَا عَلَى تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كُتُبِ  
 الْهَيْئَةِ وَلِهَذَا الصِّنَاعَةُ قَوَانِينُ كَالْمَقْدَمَاتِ وَالْأَصُولِ لَهَا فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ

والتواريخ الماضية وأصول متفرقة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف  
 الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهلاً على المتعلمين  
 وتسمى الأزياج وتسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة  
 تعديلاً وتقريباً وللناس فيه تآليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني<sup>(١)</sup>  
 وابن الكمام وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيجم منسوب لابن  
 إسحاق من ماضي تونس في أول المائة السابعة ويزعمون أن ابن إسحاق عول فيه على  
 الرصد وأن يهودياً كان بصيلة ماهرًا في الهيئة والتعالم وكان قد عني بالرصد وكان  
 يبعث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب لذلك  
 عدواً به لوثاقه مبتاه على ما يزعمون ولخصه ابن البناء في آخر مباحث المنهاج فويلع به  
 الناس لما سهل من الأعمال فيه وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبني  
 عليها الأحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان  
 من الملك والدول والموالي البشرية كما بينه بعد وتوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى  
 والله الموفق لما يحب ويرضاه لا معبود سواه

### الفصل السابع عشر

#### في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والنحج  
 المفيدة للتصديقات وذلك أن الأصل في الإدراك إنما هو الحسوسات بالحواس  
 الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز  
 الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من الحسوسات وذلك بأن يحصل في  
 الخيال من الأشخاص المتفقة صورة منطبقه على جميع تلك الأشخاص الحسوسية وهي  
 الكلية ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقها في  
 بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضاً عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في  
 التجريد إلى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه فيكون لأجل ذلك بسيطاً  
 وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطبقه عليها ثم ينظر بينه

١ قوله البتاني بفتح الموحدة وتشدب المشاء كما ضبطه ابن خلكان في ترجمته نبيل اخر المهدين

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَيَجْرُدُ صُورَةَ الْجِنْسِ الْمُنْطِقِيَّةَ عَلَيْهَا ثُمَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّبَاتِ إِلَى أَنْ  
 يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِنْسِ الْعَالِيِّ وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَجْدُ كَلِمًا يُوَافِقُهُ فِي شَيْءٍ فَيَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
 عَنِ التَّجْرِيدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
 وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّرًا لِلْمَاهِيَّاتِ وَيُعْنَى بِهِ إِذْ رَأَى سَادِجٌ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصْدِيقًا  
 أَيْ حَكْمًا بِثُبُوتِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ تُجْمَعَ  
 تِلْكَ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْضُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كَلِمَةً مُنْطِقِيَّةً  
 عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ  
 وَإِمَّا بِأَنْ يُحْكَمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيَثْبُتَ لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ  
 إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى  
 الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقِ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقِ فَاسِدٍ  
 فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْعَى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيَّةِ لِتَمْيِيزِ  
 الصَّحِيحِ مِنَ الْفَاسِدِ فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمُنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
 بِهِ جُمْلًا جُمْلًا وَمُفْتَرِقًا وَلَمْ تَهْتَبْ طَرْفُهُ وَلَمْ تَجْمَعْ مَسَائِلَهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
 فَهَدَبَ مَبَاحِثَهُ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصِّلَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحَتْهَا وَإِلَيْكَ  
 يُسَمَّى بِالْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ وَكِتَابُهُ الْمُخْتَصَرُ بِالْمُنْطِقِ يُسَمَّى النَّصُّ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
 كُتُبٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطْلُوبَ التَّصْدِيقِيَّةَ  
 عَلَى أُنْعَاءٍ فَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينُ بِطَبْعِهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
 الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَيَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُفِيدُهُ وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ  
 تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ بِذَلِكَ الْأَعْتِبَارِ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
 يَنْظَرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِأَعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مُخْتَصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِنتَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
 الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَنَعْنِي بِهِ الْمَادَّةَ الْمُنْتِجَةَ لِلْمَطْلُوبِ الْمُخْتَصِ مِنْ يَقِينٍ  
 أَوْ ظَنْنٍ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِنْتِاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
 لذلِكَ كُتُبُ الْمُنْطِقِ ثَمَانِيَّةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجْرِيدُ  
 الْعَحْسُوسَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْمُقُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْقَضَايَا  
 التَّصْدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابَ الْعِبَارَةِ . وَالثَّلَاثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِنتَاجِهِ عَلَى

الأطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب  
 البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية  
 ويختص بشروط أخرى لإفادة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية وأولية وغير  
 ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود إذ المطلوب فيها إنما هو  
 اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحتمل غيرهما فلذلك اختصت  
 عند المتقدمين بهذا الكتاب . والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع  
 المشاغب وإفحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا  
 من جهة إفادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث إفادته لهذا الغرض وهي  
 مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس  
 قياسه وفيه عكوس القضايا . والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد  
 خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا إنما كتبت ليعرف به  
 القياس المغالطي فيحذر منه . والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب  
 الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات . والثامن  
 كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للإقبال على الشيء أو  
 الثفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا الخيلية هذه هي كتب المنطقي  
 الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذبت الصناعة ورثت  
 رأوا أنه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها  
 مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في اللغة الإسلامية  
 وكتبها وتداولها فلاسفة الإسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا  
 ثم ابن رشد من فلاسفة الأندلس ولابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة  
 السبعة كلها ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطقي وألحقوا بالنظر في الكليات  
 الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرؤوس نقلوها من كتاب البرهان وحذفوا  
 كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة  
 الكلام في العكس لأنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا  
 في القياس من حيث إنتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدقوا النظر فيه



بِحَسَبِ الْمَادَّةِ وَهِيَ الْكُتُبُ الْخَمْسَةُ الْبُرْهَانُ وَالْجَدَلُ وَالْخِطَابَةُ وَالشَّعْرُ وَالسَّنْفَطَةُ  
 وَرُبَّمَا يُلِيمُ بَعْضُهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا الْعَامَاً وَأَغْفَلُوها كَأَن لَّمْ تَكُنْ هِيَ الْمُهِيْمُ الْمُعْتَمَدُ  
 فِي الْفَنِّ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَبَجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
 قَدْ بَرَأَ سِوَهُ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آلَةُ لِلْعُلُومِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ  
 ذَلِكَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الدِّينِ الْخَوَنِجِيُّ وَعَلَى كُتُبِهِ  
 مُعْتَمَدُ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابٌ كَشَفَ الْأَسْرَارَ وَهُوَ طَوِيلٌ  
 وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الْمَوْجِزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مُخْتَصَرَ الْجَمَلِ فِي قَدَرِ أَرْبَعَةِ  
 أَوْزَاقٍ أَخَذَ بِجَمَاعِ الْفَنِّ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
 كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَطُرُقُهُمْ كَأَن لَّمْ تَكُنْ وَهِيَ مُمْتَلِئَةٌ مِنْ ثَمَرَةِ الْمَنْطِقِ وَقَائِدَتِهِ  
 كَمَا قُلْنَا، وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن عشر

#### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَبْتَغِي عَنِ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالشُّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
 الْأَجْسَامِ السَّائِيَةِ وَالْمَنْصُرِيَةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانَ وَإِنْسَانَ وَنَبَاتٍ وَمَعْدِنٍ وَمَا  
 يَتَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعَيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْجَوِّ مِنَ السَّحَابِ وَالْبُخَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ  
 وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ  
 وَالنَّبَاتِ وَكُتِبَ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تُرْجِمَتْ مَعَ مَا تُرْجِمَ مِنْ عُلُومِ  
 الْفَلَسَفَةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَأَلَّفَ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعَبُ مِنْ أَلْفٍ فِي ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي  
 كِتَابِ الشِّفَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ النَّجَا وَفِي  
 كِتَابِ الْأَشْرَاطِ وَكَانَتْ يُخَالِفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِهَا وَيَقُولُ بِرَأْيِهِ فِيهَا  
 وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ فَلَخَّصَ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مَشِيعًا لَهُ غَيْرَ مُخَالِفٍ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرًا لَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةُ فِي الصَّنَاعَةِ وَلِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِنَايَةٌ  
 بِكِتَابِ الْأَشْرَاطِ لِابْنِ سِينَا وَالْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ عَلَيْهِ شَرَحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْأَمِيدِيُّ  
 وَشَرَحَهُ أَيْضًا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِمُجَوَّاهِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
 الْإِمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبُحُوثِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل التاسع عشر

في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطَّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيُجَاوِلُ صَاحِبَهَا حِنْظَ الصِّحَّةِ وَبُرْءَ الْمَرَضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمَرَضُ الَّذِي يَخُصُّ كُلَّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدَلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَرْجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَّاهَا وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤْذِنَةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّجِيَّةِ وَالْفَضَلَاتِ وَالنَّبْضِ مُحَازِينَ لِذَلِكَ قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الدَّبْرَةُ فِي حَالَتِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ يُعَازِيهَا وَيُعِينُهَا بِبَعْضِ الشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَضْلِ وَالسِّنِّ وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا عِلْمَ الطَّبِّ وَرُبَّمَا أُفْرِدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلْمًا وَآخِلِيهَا وَكَذَلِكَ الْحَقْوَا بِالْفَنِّ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا الْمَنْعَةُ الَّتِي لِأَجَابِهَا خَلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تُرِجِمَتْ كِتَابُهَا فِيهَا مِنَ الْأَقْدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصِقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَغْلِبِ وَمُطَاوَعَةِ أَعْتِرَابِ وَتَأَلَّفَهُ فِيهَا هِيَ الْأَهْبَاتُ الَّتِي أَفْتَدَى بِهَا جَمِيعَ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْمَةً جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ مِثْلَ الرَّزِيِّ وَالنَّجُومِيِّ وَأَبْنِ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ أَبُو زُهَيْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَتْهَا نَقَصَتْ لِقُوفِ الْعُمَرَانَ وَتَنَاقُصِهِ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْحِضَازَةُ وَالتَّرْفُ كَمَا نَبَّهَهُ بَعْدُ وَالْبَابِيَّةُ مِنَ أَهْلِ الْعُمَرَانَ طِبُّ بِنُونَةُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجْرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مُتَوَارَثًا عَنْ مَشَائِخِ الْحَيِّ وَعَجَائِزِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونِ طَبِيعِيٍّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْمَزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَثِيرٌ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَالنَّحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالطَّبِّ الْمَنْقُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَوَقَعَ فِي

ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَوَجُّعِ ذِكْرِ أَحْوَالِهِ الَّتِي هِيَ عَادَةٌ وَجِبِلَةٌ لَا مِنْ جِهَةٍ أَنْ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثَ لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يُبْعَثْ لِتَعْرِيفِ الطَّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي شَأْنِ تَلْقِيحِ النَّخْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مِنَ الطَّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتَعْمِلَ عَلَى جِهَةِ الْبِرِّكَ وَصَدَّقَ الْعَقْدِ الْإِيمَانِيَّ فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطَّبِّ الْمَزَاجِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ كَمَا وَقَعَ فِي مُدَاوَاةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ الْمُهَادِي إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنُشُوءُهُ بِالسَّقْفِ وَالْعِلَاجِ وَتَعَهُدُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِهِ وَرُوحَانِيَّتِهِ وَمَشَاكَلَتِهَا لِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَالْمَاهِيَا كُلِّ الْمُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السِّحْرِ قَعِظُمَتِ عِنَابَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتُرْجِمَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفِلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ مَنْسُوبَةٌ لِأَعْلَمَاءِ النَّبَطِ مُشْتَمِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْعِلْمَةِ فِيهَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السِّحْرِ مَسْدُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَاقْتَصَرُوا مِنْهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزِضُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَدَفُوا الْكَلَامَ فِي الْفَنِّ الْآخَرَ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْتَصَرَ ابْنُ الْعَوَّامِ كِتَابَ الْفِلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُغْفَلًا نَقَلَ مِنْهُ مَسْلَمَةٌ فِي كُتُبِهِ السِّحْرِيَّةِ أَهْمَاتٍ مِنْ مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السِّحْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتُبُ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي الْفِلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعْدُونَ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْغَرَاسِ وَالْعِلَاجِ وَحَنِظَ النَّبَاتِ مِنْ حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ

## الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وهو علم ينظر في الوجود المطلق فأولاً في الأمور العامة للجسائيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والإمكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات وأنها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى المبدأ وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وأن ذلك عين السعادة في زعمهم وسبب الراد عليهم وهو تال للطبيعات في ترتيبهم ولذلك بسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الأول فيه موجوداً بين أيدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والتبليغ وكذلك لخصه ابن رشد من حكماء الأندلس ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الالهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعات والالهيات وخلطوها فناً واحداً قدموا الكلام في الأمور العامة ثم تبعوه بالجسائيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم كما فعله الإمام ابن الخطيب في المباحث المشرفية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة وكتبه تحشوة بها كان الغرض من موضوعيهما ومسائلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو صواب لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه بمعنى أنها لا تثبت إلا به فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره وما تحدث فيه المشككون من إقامة الحجج فليس بحثاً عن الحق فيها فالتعويل بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأن الفلسفة بل إنما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن افترض صححة الأدلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية

فهي فوقها ومحيطه بها لا ستمدارها من الأنوار الإلهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك الحسائط بها فإذا هدانا الشارع إلى مدرك فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعلم ما أمرنا به اعتقاداً وعاملاً ونذكرت عما لم نعلم من ذلك ونفوضه إلى الشارع ونعزل العقل عنه والتمسك به إنما دعاهم إلى ذلك كلام أهل الإلهاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فأحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعيات والإلهيات بالتصحيح والبطالان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس أنظار المتكلمين فأعلم ذلك لتمييزه بين الفئتين فإنهما مختلفتان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والسائل وإنما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس كذلك بل إنما هو رد على الملحدين والمطلوب مفروض البديهي معلوم وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالوحدانية أيضاً فخلطوا مسائل الفئتين فبنم وجعلوا الكلام واحداً فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لأنهم يدعون فيها الوجدان ويذرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وأبحاثها وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم والله أعلم بالصواب

## الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وهي علوم بكيفية استعدادات اقتدير النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بذنر معين أو بغيره من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات وأما كانت هذه العلوم معجزة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس

الْأَمَّا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأُمَّمِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبَلَ نُبوَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ النَّبِطِ  
 وَالْكَلْدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
 إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاعِظَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذْكِيرًا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرْيَانِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
 لَهُمْ فِيهَا التَّلَافُيفُ وَالْآثَارُ وَلَمْ يُتْرَجَمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلُ الْفَلَاحَةِ  
 النَّبْطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ وَوَضِعَتْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلُ مَصَاحِفِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طِمْطِمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
 الدَّرَجِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالْمَشْرِقِ جَابِرُ بْنُ حَبَّانَ كَبِيرُ السَّحْرَةِ فِي هَذِهِ  
 الْمِلَّةِ فَتَصَفَّحَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي زِينَتِهَا وَاسْتَحْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
 غَيْرَهَا مِنَ التَّلَافِيفِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامَ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السَّمِيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
 إِحَالَةَ الْأَجْسَامِ النَّوْعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
 الْعَمَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قِبَلِ السَّحْرِ كَمَا نَذَرْتُهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ جَاءَ مَسْلَمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
 النَّجْرَبِيَّ إِمَامَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْعَالِمِ وَالسَّحْرِيَّاتِ فَلَخَّصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
 وَهَدَّيَهَا وَجَمَعَ طُرُقَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةَ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ بَعْدَهُ . وَلْتَقَدِّمُ هُنَا مُقَدِّمَةً يَتَبَيَّنُ بِهَا حَقِيقَةُ السَّحْرِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ  
 وَإِنَّ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِّ وَهِيَ أَصْنَافٌ كُلُّ صِنْفٍ مُخْتَصٌّ  
 بِمَخَاصِيئِهِ وَاحِدَةٌ بِالنَّوْعِ لَا تُوجَدُ فِي الصَّنْفِ الْآخَرَ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُّ فِطْرَةً وَجِبِلَّةً  
 لَصِنْفِهَا فَتُفَوِّسُ الْأَلْيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَا خَاصِيَّةٌ تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
 وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَّبِعُ فِي ذَلِكَ  
 مِنْ التَّأثيرِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِجْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكَوَاكِبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا التَّأثيرِ  
 بِقُوَّةِ نَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَأَمَّا تَأثيرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ الْإِلَهِيِّ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَتُفَوِّسُ  
 السَّكْمَةَ لَهَا خَاصِيَّةُ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَغْيبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
 مُخْتَصٌّ بِمَخَاصِيئِهِ لَا تُوجَدُ فِي الْآخَرِ وَالنَّفْسُ السَّاحِرَةُ عَلَى مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ بَأْتِي شَرْحَهَا  
 فَأُولَئِكَ الْمُؤَثِّرَةُ بِالْهَيْمَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مَعِينٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَسَمِيهِ الْفَلَّاسِفَةُ  
 السَّحْرَ وَالثَّانِي بِمَعِينٍ مِنْ مِزَاجِ الْأَفْلَاقِ أَوْ الْعَنَاصِرِ أَوْ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ وَيَسْمُوهُ

الطَّلَسَاتِ وَهُوَ أضعفُ رُتَبَةً مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثُ تَأْثِيرٌ فِي الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ يَعْمَدُ صَاحِبُ  
هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَى الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِنَوْعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيُلْقِي فِيهَا أَنْوَاعًا  
مِنَ التَّخَيَّلَاتِ وَالْحَمَّاكَةِ وَضُورًا مِمَّا يَقْصِدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْزِلُهَا إِلَى الْحِسِّ مِنَ الرَّائِبِ  
بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمَوْثُورَةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائُونَ كَمَا هِيَ فِي الْخَارِجِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
يَعْكَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُرَى الْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارِ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا عِنْدَ الْفَلَاسِيفَةِ السُّعُودَةَ أَوْ السُّعْبَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
فِي السَّاحِرِ بِالْقُوَّةِ شَأْنُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
السِّحْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعَالَوِيَّةِ وَالشَّيَاطِينِ  
بِأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالخُضُوعِ وَالتَّنْذُلِ فَبِئْسَ لِدَلِّكَ وَجْهَةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَسُجُودٌ  
لَهُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَلِهَذَا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا وَالتَّكْفُرُ مِنْ مَوَادِهِ وَأَسْبَابِهِ  
كَمَا رَأَيْتَ وَلِهَذَا اختلفَ الفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ لِكُفْرِهِ السَّابِقِ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لِتَصَرُّفِهِ  
بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْمَكُلِّ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَيَانِ مِنَ السِّحْرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْأَخِيرَةُ الثَّالِثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
لَهَا اختلفَ العُلَمَاءُ فِي السِّحْرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةَ  
نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ  
الْأَخِيرَةِ فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اِخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ أَشْتَبَاهِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ السِّحْرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ  
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا يُرُونَ مِنْ آيَاتِنَا مِنْ آيَاتٍ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ  
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ  
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسِحْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ وَجَعَلَ سِحْرَهُ فِي مِشْطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طِلْعَةٍ  
قَدُفِينَ فِي بَيْتِ ذَرْوَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمَعْوِذَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي  
الْعُقَدِ كَالَّتِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَفْرَأُ عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُقَدِ الَّتِي سَحَرَ فِيهَا  
إِلَّا ائْتَمَلَتْ وَأَمَّا وُجُودُ السِّحْرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ التَّبَطِّ وَالسَّرِبَانِيِّينَ

فَكثيرٌ وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَكَانَ لِلسِّحْرِ فِي بَابِلَ وَمِصْرَ أَرْزَامَ بَعْثَةِ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَأُ نَافِقَةٍ وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجِزَةً مُوسَى مِنْ جِنْسِ مَا يَدْعُونَ وَيَتَنَاقَشُونَ  
فِيهِ وَبَقِيَ مِنْ آثَارِ ذَلِكَ فِي الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ شَوَاهِدٌ دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَرَأَيْنَا بِالْعِيَانِ  
مَنْ يُصَوِّرُ صُورَةَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ بِمُخَوَّصِ أَشْيَاءٍ مُقَابِلَةً لِمَا نَوَاهُ وَحَاوَلَهُ مُوجُودٌ  
بِالْمَسْحُورِ وَأَمْثَالُ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّفْرِيقِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ  
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي أَقَامَهَا مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ عَيْنًا أَوْ مَعْنَى ثُمَّ يَنْفُثُ مِنْ رِيقِهِ  
بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ فِي فِيهِ بِتَكَرُّرِ مَخَارِجِ تِلْكَ الْحُرُوفِ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ وَيَعْقُدُ عَلَى  
ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سَبَبِ أَعْدَهُ لِذَلِكَ تَفَاوُلًا بِالْعَقْدِ وَاللِّزَامِ وَأَخَذَ الْعَهْدِ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ  
بِهِ مِنَ الْجِنِّ فِي تَفْثِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ اسْتِشْعَارًا لِلْعَزِيمَةِ بِالْعَزْمِ وَلِتِلْكَ الْبَيْتَةِ وَالْأَسْمَاءِ  
السَّيِّئَةِ رُوحٌ خَيْبَةٌ تَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ النَّفْخِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرِيقِهِ أَخْرَاجَ مِنْ فِيهِ بِالْإِنْفِثِ فَتَنْزِلُ  
عَنْهَا أَرْوَاحٌ خَيْبَةٌ وَيَقَعُ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَسْحُورِ مَا يَحَاوِلُهُ السَّاحِرُ وَشَاهَدْنَا أَيْضًا مِنْ  
الْمُنْتَحِلِينَ لِلسِّحْرِ وَعَمَلِهِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى كِسَاءٍ أَوْ جِلْدٍ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ فَإِذَا  
هُوَ مَقْطُوعٌ مُتَخَرِّقٌ وَيُشِيرُ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ كَذَلِكَ فِي مَرَاعِيهَا بِالْبَعْجِ فَإِذَا أَمْعَاوَهَا سَانِطَةٌ  
مِنْ بَطُونِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَسَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ فَيَنْفَعَتْ  
قَلْبُهُ وَيَقَعُ مَيْتًا وَيَنْقَلِبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِي حَشَاهُ وَيُشِيرُ إِلَى الرِّمَانَةِ وَتَنْفَعُ فَلَا  
يُوْجَدُ مِنْ حُبُوبِهَا شَيْءٌ وَكَذَلِكَ سَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ السُّودَانِ وَأَرْضِ التُّرْكِ مَنْ يَسْحَرُ  
السَّحَابَ فَيُمْطِرُ الْأَرْضَ الْمَخْصُوصَةَ وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلِسْمَاتِ عَجَائِبَ فِي  
الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ وَهِيَ رَكْرَكٌ رَفْدٌ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مَائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخَرُ مَائَتَانِ  
وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ أَنَّ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نِصْفٍ وَثُلُثٍ  
وَرُبْعٍ وَسُدُسٍ وَخُمْسٍ وَأَمْثَالِهَا إِذَا جُمِعَ كَانَ مُتَسَاوِيًا لِلْعَدَدِ الْآخِرِ صَاحِبِهِ فَتَسْمَى  
لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةِ وَنَقَلَ أَصْحَابُ الطَّلِسْمَاتِ أَنَّ لِنِلكِ الْأَعْدَادِ أَثْرًا فِي الْإِلْفَةِ بَيْنَ  
الْمُتَحَابِّينِ وَاجْتِمَاعِيهِمَا إِذَا وُضِعَ لِهَمَّا مِثْلَانِ أَحَدُهُمَا بِطَالِمِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ فِي يَتِيهَا أَوْ  
شَرَفَهَا نَاطِرَةٌ إِلَى الْقَمَرِ نَظَرَ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَجْعَلُ طَالِمِ الثَّانِي سَاعِ الْأَوَّلِ وَيَضَعُ عَلَى  
أَحَدِ التَّمَثَلِينَ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ وَالْآخَرَ عَلَى الْآخَرَ وَيَقْصُدُ بِالْأَكْثَرِ الَّذِي يُرَادُ  
إِنْثِلَافَهُ أَعْنِي التَّعْجُوبَ مَا أُدْرِي الْأَكْثَرَ كَمِيَّةً أَوْ الْأَكْثَرَ أَجْزَاءً فَيَكُونُ لِذَلِكَ



مِنَ التَّالِفِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَلِّينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ قَالَ صَاحِبُ  
 الْغَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أُمَّةٍ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجْرِبَةُ وَكَذَا طَابَعُ الْأَسَدِ وَيُسَى  
 أَيْضًا طَابَعُ الْحَصَى وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبِ هِنْدٍ اصْبَغَ صُورَةَ أُسَدٍ شَائِلًا ذَنْبَهُ عَاضًا عَلَى  
 حِصَاةٍ قَدْ قَسَمَهَا بِصَفَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةَ حَيَّةٍ مُنْسَابَةٍ مِنْ رِجَالِهِ إِلَى قِبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاعْرَضَهُ ذَاهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةَ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَيَتَحَيَّنُ بِرِسْمِهِ حُلُولِ الشَّمْسِ بِالْوَجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوْ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ النَّبْرَيْنِ وَسَلَاةِئِهِمَا مِنَ النُّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَثَرَ عَلَيْهِ طُبِعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي مِقْدَارِ الْمِثْقَالِ فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَعُغْمِسَ بَعْدَ فِي الزَّعْفَرَانِ مَحْلُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرُفِعَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّ لِمُسْكِهِ مِنَ الْعِزِّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يُعْبَرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزِّ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْغَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجْرِبَةُ وَكَذَلِكَ وَفَقِيَ الْمَسْدَسِ  
 الْمُنْجِنِ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَاةِئِهَا  
 مِنَ النُّحُوسِ وَسَلَامَةِ الْقَمَرِ بِطَالِعِ مُلُوكِي يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِعِ نَظَرٌ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيُضَلَّحُ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدَلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَيُرْفَعُ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُغْمَسَ فِي الطَّيِّبِ فَرَعَمُوا أَنَّ لَهُ أَثْرًا فِي  
 صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْغَايَةِ لِمَسْلَمَةَ بْنِ  
 أَحْمَدَ النَّجْرِيَّطِيِّ هُوَ مَدُونَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَفِيهِ اسْتِيفَاؤُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْإِمَامَ الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَمَعَاهُ بِالسَّرِّ الْمَكْتُومِ وَأَنَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَتَحْنُ لَمْ تَقَفْ عَلَيْهِ وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّةٍ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظَنُّ وَلَعَلَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَلِّينَ لِهَذِهِ  
 الْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ يُعْرِفُونَ بِالْبَعَاجِينِ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْكِسَاءِ أَوْ الْجِلْدِ فَيَتَخَرَّقُونَ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ بِالْبَعْجِ فَتَبْعُجُ وَيُسَمَّى أَحَدُهُمْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَاجِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْتَحِلُ مِنَ السَّحْرِ بَعْجُ الْأَنْعَامِ يُزْهَبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلُهَا لِيُعْطَوْهُ مِنْ فَضَائِلِهَا وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْغَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكْمِ  
 لِقَيْتِ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَشَهِدَتْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً

خَاصَّةً بِدَعْوَاتِ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاكِ الرُّوحَانِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكُؤَاكِبِ سَطَّرَتْ فِيهَا صَحِيفَةً  
 عِنْدَهُمْ تَسْمَى الْخَزِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَنَّهُمْ بِهِدَى الرِّيَاضَةِ وَالْوَجْهِةِ يَبْصُلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
 الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَإِنَّ النَّاثِرَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سِوَى الْإِنْسَانِ الْحَرِّ مِنَ الْمَتَاعِ  
 وَالْحَيَوَانَ وَالْأَقْبِقِ وَيَعْبُرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا نَفَعَلُ فِيمَا تَمَشَى فِيهِ الدَّرَاهِمُ أَيُّ مَا  
 يُمَلِّكَ وَيُبَاعُ وَيُسْتَرَى مِنْ سَائِرِ الْمَتَمَلِّكَاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
 بِهِ وَأَمَّا أفعالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجُودَةٌ وَقَفْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَابَيْنَاهَا مِنْ غَيْرِ رَبِيَّةٍ فِي  
 ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَأَثَارُهُمَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَاسِفَةُ فَفَرَّقُوا بَيْنَ  
 السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتُوا أَنَّهُمَا جَمِيعًا أَثَرٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَسْتَدَلُّوا عَلَى  
 وُجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا آثَارًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ الْجُرَى الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
 الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ آثَارُ عَارِضَةٍ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ تَارَةً كَالسُّخُونَةِ الْحَادِثَةِ عَنِ الْفَرْحِ  
 وَالسُّرُورِ وَمِنْ جِهَةِ النُّصُورَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنْ قِبَلِ النَّوْمِ فَإِنَّ  
 الْعَاشِيَّ عَلَى حَرْفِ حَائِطٍ أَوْ عَلَى حَبْلٍ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السُّقُوطِ سَقَطَ بِلاَ  
 شَكِّ وَهَذَا تَجَدُّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعَوِّدُونَ أَنفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا النَّوْمُ  
 فَجَدُّهُمْ يَمْسُونَ عَلَى حَرْفِ الْحَائِطِ وَالْحَبْلِ الْمُنْتَصِبِ وَلَا يَخَافُونَ السُّقُوطَ فَثَبَّتَ أَنَّ  
 ذَلِكَ مِنْ آثَارِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَنُصُورَهَا لِلسُّقُوطِ مِنْ أَجْلِ النَّوْمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
 أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
 مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذْ نَسَبَتْهَا إِلَى الْأَبْدَانِ فِي ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاثِرِ  
 وَاحِدَةً لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فَثَبَّتَ أَنَّهَا مُؤَثَّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
 وَأَمَّا الْفَرْقَةُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَخْتِجُ السَّاحِرُ فِيهِ إِلَى  
 مُعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسْمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكُؤَاكِبِ وَأَسْرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاسِنِ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَأَوْضَاعِ الْفَلَكَ الْمُوَثَّرَةِ فِي عَالَمِ الْعُنَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُتَحَمُّونَ وَيَقُولُونَ  
 السِّحْرُ اتِّجَادُ رُوحِ الْبُرُوحِ وَالطَّلَسْمُ اتِّجَادُ رُوحِ بِيحْسَمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رَبُّطُ الطَّبَائِعِ  
 الْعَلَوِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ بِالطَّبَائِعِ السُّفْلِيَّةِ وَالطَّبَائِعِ الْعَلَوِيَّةِ فِي رُوحَانِيَّاتِ الْكُؤَاكِبِ  
 وَلِذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِالنَّجَامَةِ وَالسَّاحِرُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَكْتَسِبٍ لِسِحْرِهِ  
 بَلْ هُوَ مَقْطُوعٌ عِنْدَهُمْ عَلَى نِلكِ الْجِنَّةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاثِرِ وَالْفَرْقُ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالسِّحْرِ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ قُوَّةُ الْهَيْبَةِ تَبْعَتْ عَلَى النَّفْسِ ذَلِكَ الذَّاخِرَ فَهُوَ مُؤَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى نَعْلِهِ ذَلِكَ وَالسَّاحِرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ  
 وَيَأْتِي مَدَادِ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَبَيْنَهُمَا الْفَرْقُ فِي الْعَقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِيلُ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وُجُودُ الْمُعْجِزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَاللُّفُوسِ الْمُتَمَحِّصَةِ لِلْخَيْرِ وَالتَّعَدِّي بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النُّبُوَّةِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يُوجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَعْمَالِ الشَّرِّ فِي الْعَالِبِ مِنَ التَّفَرُّقِ بَيْنَ  
 الزُّوجَيْنِ وَضَرَرِ الْأَعْدَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَاللُّفُوسِ الْمُتَمَحِّصَةِ لِلشَّرِّ . هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْأَلْهِيِّينَ وَقَدْ يُوجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ تَأْثِيرٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَأَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ طَرِيقَتَهُمْ  
 وَنِعْمَتَهُمْ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَأَهْمٌ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظُ عَلَى قَدَرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُتَقَيِّدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ بِذَرَّةٍ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُ فِيهِ الْإِذْنُ لِأَيَّا تَوْنِهِ بِوَجْهِهِ وَمَنْ أَنَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ وَلَمَّا كَانَتْ الْمُعْجِزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِلذَلِكَ لِأَبْعَارِهَا شَيْءٌ مِنَ السِّحْرِ وَأَنْظُرْ شَأْنَ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجِزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلَقَّفَتْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَأَخْتَمَلَ كُنْ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْوِذَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي  
 الْعَقْدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَ لَا يَقْرَأُهَا عَلَى عَقْدَةٍ مِنَ الْعَقْدِ الَّتِي سَحَرَ فِيهَا  
 إِلَّا أَنْجَحَتْ فَالسِّحْرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زُرَّكَشَ  
 كَاوِيَانَ وَهِيَ رَايَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ الْمِثْبُتِيُّ الْعَدْرِيُّ مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعٍ  
 فَلِكَيْتِ رُصِدَتْ لِذَلِكَ الْوَفْقِ وَوُجِدَتْ الرَّايَةُ يَوْمَ قِتْلِ رُسْتَمُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقَعَةَ عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْهَزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَزَعُمُ أَهْلُ الطَّلِسْمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْصُوصٌ بِالْقَلْبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا لَا تَنْهَزِمُ أُصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هَذِهِ عَارِضَةٌ الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ مِنْ إِيمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَانْحَلَّ مَعَهَا كُلُّ عَقْدِ سِحْرِيٍّ وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَفَرُقْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلِسْمَاتِ وَجَعَلَتْهُ كُلُّهُ بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا

لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارعُ منها ما يُهمنا في ديننا الذي فيه صلاحُ آخرتنا  
أو في معاشنا الذي فيه صلاحُ دنيانا وما لا يُهمنا في شيءٍ منهما فإن كان فيه ضررٌ  
أو نوعٌ ضررٍ كالسحرِ الحاصلِ ضررهُ بالوقوعِ ويُلحقُ به الطلسماتُ لأن أثرهما واحدٌ  
وكالتجامةِ التي فيها نوعٌ ضررٍ باعتقادِ التأثيرِ فتفسدُ العقيدةَ الإيمانيةَ بردَ الأمورِ  
إلى غيرِ الله فيكونُ حينئذٍ ذلكُ الفعلُ مخظوراً على نسيتهِ في الضررِ وإن لم يكنُ مهتماً  
علينا ولا فيه ضررٌ فلا أقلُّ من تزكتهِ قربةً إلى الله فإن من حسنِ إسلامِ المرءِ تزكتهُ  
ما لا يعنيه فجعلتُ الشريعةُ بابَ السحرِ والطلسماتِ والشعوذةِ باباً واحداً لما فيها من  
الضررِ وخصتهُ بالخطرِ والتَّحريمِ وأما الفرقُ عندهم بينَ المعجزةِ والسحرِ فالذي  
ذَكَرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى التَّحَدِّيِّ وَهُوَ دَعْوَى وَفُوعِهَا عَلَى وَفِي مَا أَدْعَاهُ  
قَالُوا وَالسَّاحِرُ مَضْرُوفٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّحَدِّيِّ فَلَا يَقَعُ مِنْهُ وَوُقُوعُ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وَفِي  
دَعْوَى الكاذِبِ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ لِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا  
التَّصْدِيقُ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ الكاذِبِ لاسْتَحَالَ الصَّادِقُ كاذِباً وَهُوَ مُحَالٌ فَإِذَا لَا تَقَعُ  
المُعْجِزَةُ مَعَ الكاذِبِ بِإِطْلَاقٍ وَأَمَّا المُحْكَمَاهُ فَالفرقُ بينهما عندهم كما ذَكَرْتَاهُ  
فَرَقُ مَا بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي نِهَائِيَةِ الطَّرْفَيْنِ فَالسَّاحِرُ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ الخَيْرُ وَلَا يَسْتَعْمِلُ  
فِي أَسْبَابِ الخَيْرِ وَصَاحِبُ الْمُعْجِزَةِ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ الشَّرُّ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِي أَسْبَابِ الشَّرِّ  
وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَلَى طَرَفِي النِّقِيسِ فِي أَصْلِ فِطْرَتِهِمَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ القَوِيُّ  
العَزِيزُ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَمِنْ قَبِيلِ هَذِهِ التَّأثيرَاتِ النِّفْسِيَّةِ الإِصَابَةُ بِالعَيْنِ وَهُوَ تَأثيرٌ  
مِنْ نَفْسِ المَعْيَانِ عِنْدَمَا يَسْتَحْسِنُ بَعَيْنِهِ مَدْرَكَ مِنَ الذُّوَاتِ أَوِ الأَحْوَالِ وَيُفْرِطُ فِي  
اسْتِحْسَانِهِ وَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الإِسْتِحْسَانِ حِينَئِذٍ أَنَّهُ يَرُومُ مَعَهُ سَلْبَ ذَلِكَ الشَّيْءِ عَمَّنْ  
انْتَصَفَ بِهِ فَيُؤَثِّرُ فسادُهُ وَهُوَ جِيلَةٌ فِطْرِيَّةٌ أَغْنَى هَذِهِ الإِصَابَةُ بِالعَيْنِ وَالفَرَقُ بَيْنَهُمَا  
وَبَيْنَ التَّأثيرَاتِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا لَا يُكْتَسَبُ فَصُدُورُهَا رَاجِعٌ إِلَى اخْتِيَارِ فاعِلِهَا  
وَالفِطْرِيُّ مِنْهَا قُوَّةٌ صُدُورُهَا وَلِهَذَا قَالُوا القَاتِلُ بِالسِّحْرِ أَوْ بِالكِرَامَةِ يُقْتَلُ وَالقَاتِلُ  
بِالعَيْنِ لَا يُقْتَلُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يُرِيدُهُ وَيَقْصِدُهُ أَوْ يُرَكِّهُ وَإِنَّمَا هُوَ مُجْبَرٌ  
فِي صُدُورِهِ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي الغُيُوبِ وَمُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ

## الفصل الثالث والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتيم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتنصحنون المكوّنات كلها بعد معرفة أمر جتها وقواها لتعلمهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل مثل حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد اللاب منها بالتكليس وإمهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الأيسير وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحتمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً ويكون عن ذلك الأيسير إذا الغرّوا في اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقرب هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً ورُبما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المؤمنيين فيها جابر بن حيان حتى إنهم يخصونها به فيسئونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالألفاظ وزعموا أنه لا يفتح مقلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين وناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسلمة العجربطي من حكماء الأندلس كتابته الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريباً لكتابه الآخر في البحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاز يتعدّر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والألفاظ ولابن المغيرة من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف المعجم من أبداع ما يجي

فِي الشَّعْرِ مَلْعُوزَةٌ كُلُّهَا لُغَزُ الْأَحَاجِي وَالْمُعَايَاةِ فَلَا تَكَادُ تُفْهَمُ وَقَدْ يَنْسَبُونَ لِلغَزَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ التَّأَلِيفِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَاحِبٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةَ  
 لَتَقَفَ عَنْ خَطَا مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرُبَّمَا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ رَيْبِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْبَيِّنِ أَنَّ خَالِدًا  
 مِنَ الْجَيْلِ الْعَرَبِيِّ وَالْبِدَاوَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاعَةِ غَرْبَةِ الْمَعْنَى مَبْنِيَّةً عَلَى مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَمْرَجَتِهَا وَكُنْتُ النَّاطِرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالطَّبِّ لَمْ تَظْهَرَ بَعْدُ وَلَمْ تُتَرْجَمِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَّةِ تَشْبَهُ بِأَسْمِهِ فَمُمْكِنٌ . وَأَنَا أَقُولُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بِشْرُونَ لِأَبِي السَّمْحِ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ وَكِلَاهُمَا مِنْ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ  
 فَيَسْتَدِلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْهُ حَقُّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ قَالَ  
 ابْنُ بِشْرُونَ بَعْدَ صَدْرِ مِنَ الرَّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْفَرَضِ وَالْمَقْدَمَاتِ الَّتِي لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ  
 الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَأَقْتَصَّ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَخْلُقِ الْأَحْجَارِ وَالْجُواهرِ وَطَبَائِعِ الْبِقَاعِ وَالْأَمَاكِينِ فَمَنْعًا أَشْهَارُهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ قَبْدًا بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَنْبَغِي  
 لِطُلَّابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيِّ  
 تَكُونُ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَيِّ كَيْفَ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَحْكَمَهَا فَقَدْ ظَفَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نَهَابَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا النَّبْتُ عَنْ وُجُودِهَا وَالِاسْتِدْلَالُ عَنْ تَكْوِينِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْتَاكُمْ بِمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْإِكْبِيرِ وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ فَإِنَّمَا يُرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ النَّبْتَ عَنِ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَزْبِجِ مِنْهَا تَرَكَّبَتْ أَبْنِدَاءُ وَإِلَيْهَا تُرْجِعُ أَنْتِهَاءُ وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا نَمَاجُ  
 وَتَدْبُرُ وَهِيَ الَّتِي تُخْرِجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا لَا تُعَاجِلُ وَلَا  
 تُدْبِرُ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ فَقَطْ وَإِنَّمَا لَمْ يُمَكِّنْ تَفْصِيلَهَا لِاسْتِغْرَاقِ بَعْضِ طَبَائِعِهَا فِي بَعْضٍ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَنْبَغِي لَكَ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَى الْأَحْجَارِ  
 الْمُنْفِصِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِنْسُهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يُدْبِرُ مِنَ الْحَلِّ وَالْمَقْدِ

والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب فإن من لم يعرف هذه الأصول التي هي  
عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بغير أبداً وينبغي لك أن تعلم هل يمكن أن  
يستعان عليه بغيره أو يمكنه به وحده وهل هو واحد في الأبداء أو شاركه غيره  
فصار في التدبير واحداً قسماً حجراً وينبغي لك أن تعلم كيفية عمله وكمية أوزانه  
وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وإدخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها  
منه بعد تركيبها فإن لم تقدر فلاي عليه وما السبب الموجب لذلك فإن هذا هو  
المطلوب فانهم وأعلم أن الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت أنها المدبرة للجسد  
والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك أن الجسد إذا خرجت النفس منه مات  
وبرد فلم يقدر على الحركة والابتعاد من غيره لأنه لا حياة فيه ولا نور وإنما  
ذكرت الجسد والنفس لأن هذه الصفات شبيهة بجسد الإنسان الذي تركيبه على  
الغذاء والمشاء وقوامه وتمامه بالنفس الحية النورانية التي بها يفعل العظام والأشياء  
المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها وإنما انفعل الإنسان لاختلاف  
تركيب طبائعه ولو اتفقت طبائعه لسلمت من الأغراض والتضار ولم تقدر النفس على  
الخروج من بدنه ولكان خالداً باقياً فسبحان مديب الأشياء تعالى . وأعلم أن الطبائع  
التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الأبداء فيضية تحتاجة إلى الانتهاء وليس  
لها إذا صارت في هذا الحد أن تستحيل إلى ما منه تركبت كما قلناه اتفاقاً في الإنسان  
لأن طبائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضاً وصارت شيئاً واحداً شبيهاً بالنفس في قوتها  
وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجسسته بعد أن كانت طبائع مفردة بأعيانها فيما عجباً من  
أفعال الطبائع إن القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الأشياء وتركيبها وتماها  
فلذلك قلت قوي وضعيف وإنما وقع التغيير والفتاء في التركيب الأول للاختلاف  
وعدم ذلك في الثاني للاتفاق . وقد قال بعض الأولين التفصيل والتقطيع في هذا  
العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفتاء وهذا الكلام دقيق المعنى لأن الحكيم  
أراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم إلى الوجود لأنه ما دام على تركيبه الأول  
فهو فإن لا محالة فإذا ركب التركيب الثاني عديم الفتاء والتركيب الثاني لا يكون إلا  
بعد التفصيل والتقطيع فإذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فإذا بقي الجسد

الْحَلُولُ أَنْبَسَطَ فِيهِ لِعَدَمِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا صُورَةَ  
 لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
 أَنَّ اخْتِلَاطَ الْأَطِيفِ بِاللَّطِيفِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْعَلِيطِ بِالْعَلِيطِ وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ  
 التَّشَاكُلُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَنْصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ  
 لَتَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ أَوْفَقِي وَأَيَسَّرُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَطَائِفِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنْهَا مِنَ الْعَلِيظَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَقَدْ بَيَّنَّصُورُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَجْسَادَ أَقْوَى وَأَصْبَرُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
 الذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ وَالنَّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيَّتِ وَالزَّرْبِقِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
 فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيِّانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
 لِرَجَّةِ غَلِيظَةٍ فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِظَتِهَا وَتَلَزُّجِهَا فَإِذَا أُفْرِطَتِ النَّارُ  
 عَلَيْهَا صَيَّرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ اللَّطِيئَةَ إِذَا أَصَابَتْهَا  
 النَّارُ أَبَقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَيَّرَ الْأَجْسَادَ فِي هَذِهِ  
 الْحَالَةِ وَصَيَّرَ الْأَرْوَاحَ فِي هَذَا الْحَالِ فَهُوَ أَجَلٌ مَا تَعْرِفُهُ أَقُولُ إِنَّمَا أَبَقَتْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ  
 لِأَشْتِعَالِهَا وَطَافَتِهَا وَإِنَّمَا أَشْتَعَلَتْ لِكثْرَةِ رُطُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْسَتْ بِالرُّطُوبَةِ  
 تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَانِيَّةٌ تُشَاكِلُ النَّارَ وَلَا تَزَالُ تَفْتَعِدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَفْنَى وَكَذَلِكَ  
 الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْسَتْ بِوُضُوعِ النَّارِ إِلَيْهَا أَقَلَّتْ تَلَزُّجُهَا وَغَلِظَتِهَا وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ  
 لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرَةٌ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفَةٌ مُتَّحِدَةٌ بِكَثِيفَةٍ لِطَوْلِ  
 الطَّبِيعِ اللَّيِّنِ الْمَارِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مِتْلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِمَفَارَقَةِ  
 لَطِيفِهِ مِنْ كَثِيفِهِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضِ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُؤَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
 الْأَنْضِمَامُ وَالتَّدَاخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُمَازَجَةً فَسَهَّلَ بِذَلِكَ اقْتِرَافَهُمَا كَالْمَاءِ وَالذَّهْنِ وَمَا  
 أَشَبَّهُهُمَا وَإِنَّمَا وَصَنْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِيلِ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
 ذَلِكَ عَلِمْتَ شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حِظَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي هِيَ  
 طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُؤَافِقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُفَصَّلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
 بِتَدْبِيرٍ وَاحِدٍ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفَيْلَسُوفُ  
 أَنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدْبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
 أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقَوْمَانَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَعَنْ أَدْخَلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا



فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَوَائِمِهَا  
عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يُشَاكِلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ انْبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْثُمَا  
جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَنْزَاجُ وَحَلُّ الْأَجْسَادِ لَا يَكُونُ  
بِغَيْرِ الْأَرْوَاحِ فَأَقْبَمَ هَذَا اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَا أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَّوَانِ  
هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضْمَحِلُّ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُنَسِّكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
الْوَأَانَ وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحُلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ النَّامُ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْحَيَاةِ  
وَإِنَّمَا حَلُّهَا بِمَا يُوَافِقُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرَقَ النَّارِ حَتَّى يَزُولَ عَنِ الْغَلِظِ وَتَنْقَلِبَ الطَّبَائِعُ  
عَنْ حَالَتِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالرِّقَّةِ فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادَ نَهَايَتَهَا مِنَ  
التَّحْلِيلِ وَالتَّلَطُّيْبِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةٌ تُنَسِّكُ وَتَغُوصُ وَتَنْقَلِبُ وَتَنْفِذُ وَتُكَلِّمُ  
عَمَلٌ لَا يَرَى لَهُ مِصْدَاقًا فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
هُوَ يُنَسِّكُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْقِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارُّ مِنْهَا يُظْهِرُ رُطُوبَتَهَا وَيَعْقِدُ بَسْمَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدَتْ  
الْحَرُّ وَالْبَرْدُ لِأَنَّهُمَا فَاعِلَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبَسُ مُتَعَمِّلَانِ وَعَلَى اتِّفَعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
لِصَاحِبِهِ تَحْتُ الْأَجْسَامُ وَتَسْكُونُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فَعَلَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ تَقَلُّ الْأَشْيَاءَ وَلَا تَحْوُكُهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ  
وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّ إِذَا أَفْرَطَتِ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
نَمُّ بَرْدٍ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ فَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَحْتِجُّ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدِّهِ عَلَى ضِدِّهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرُّ النَّارِ وَلَمْ يَحْذَرِ الْفَلَّاسِفَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
مِنَ النَّيِّرَانِ الْحَمْرِقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْهِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دِنْسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
وَقَهْرِ آفَاتِهَا وَأَوْسَاقِهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ وَأَمَّهُمْ وَتَدْبِيرُهُمْ فَأِنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
مَعَ النَّارِ أَوْلَى وَإِلَيْهَا يَصِيرُ أَخِيرًا فَلِذَلِكَ قَالُوا إِيَّاكُمْ وَالنَّيِّرَانَ الْحَمْرِقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
بِذَلِكَ نَفْيَ الْآفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجْمَعُ عَلَى الْجَسَدِ أَقْتِنِينَ فَتَكُونُ أَمْرَعًا لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
كُلُّ شَيْءٍ إِذَا تَلَا شَيْءٌ وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِتَضَادِ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ  
فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوَى بِهِ وَيُعِينُهُ لِإِقْهَرَّتْهُ الْآفَةُ وَأَهْلَكَتْهُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكْمَاءَ كُلَّهُمْ ذَكَرَتْ  
تَرْدَادَ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْأَجْسَادِ مِرَارًا لِيَكُونَ الزَّمُّ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
بِاسْتِرْتِاقِهَا عِنْدَ الْإِلْفَةِ أَعْنِي بِذَلِكَ النَّارَ الْعَنْصُرِيَّةَ فَاعْلَمْتُ . وَلِنَقْلِ الْآنَ عَلَى الْحَجْرِ الَّذِي

يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في  
 الحيوان ومنهم من زعم أنه في النبات ومنهم من زعم أنه في المعادن ومنهم من  
 زعم أنه في الجميع وهذه الدعوى ليست بنا حاجة إلى استقصائها ومناظرة أهلها عليها  
 لأن الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم إن العمل يكون في كل شيء بالقوة  
 لأن الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك فتريد أن تعلم من أي شيء يكون  
 العمل بالقوة والفعل فنقصد إلى ما قاله الحراشي إن الصبغ كلة أحد صبغين إما  
 صبغ جسد كالزعفران في الثوب الأبيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منتقض التركيب  
 والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه إلى جوهر غيره وتونه كتغليب  
 الشجر بل التراب إلى نفسه وتغليب الحيوان والنبات إلى نفسه حتى يصير التراب نباتا  
 والنبات حيوانا ولا يكون إلا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد  
 الأجرام وتغلب الأعيان فإذا كان هذا ممكنا فنقول إن العمل لا بد أن يكون إما  
 في الحيوان وإما في النبات وبرهان ذلك أنهما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما  
 وتماهما فإما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض  
 الحكماء فيه وإما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المعدن  
 يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو أطف منه  
 إلا أن يتعكس راجعا إلى الغلط وأنه أيضا لا يوجد في العالم شيء تعلق فيه الروح  
 الحية غير الروح الطيف ما في العالم ولم تعلق الروح بالحيوان إلا بمشاكلته  
 إياها فإما الروح التي في النبات فإنها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستخرقة  
 كامنة في لغظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح  
 المتحركة أطف من الروح الكامنة كثيرا وذلك أن المتحركة لها قبول الغذاء  
 والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري إذا قيست بالروح  
 الحية إلا كالأرض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى  
 وأرفع وأهون وأيسر فينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلا ويتذكر ما  
 يخشى فيه عسرا وأعلم أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساما من الأمتات التي  
 هي الطبائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت

الْحُكْمَاءُ الْعُنَايَةَ وَالْمَوَالِيدَ أَقْسَامًا حَيَّةً وَأَقْسَامًا مَيِّتَةً فَجَعَلُوا كُلَّ مُنْحَرِكٍ فَاعِلًا  
 حَيًّا وَكُلَّ سَاكِنٍ مَفْعُولًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَفِي الْأَجْسَادِ الدَّائِمَةِ  
 وَفِي الْعَقَائِدِ الْمُعَدِنَةِ فَسَمَوْا كُلَّ شَيْءٍ يَدُوبُ فِي النَّارِ وَيَطِيرُ وَيَشْتَعِلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
 عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ فَسَمَوْا كُلَّ مَا انفصلَ مِنْهَا طَبَائِعَ أَرْبَعًا  
 حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفصلَ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفِي هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفصلُ فُصُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الْحَجَرِ الَّذِي فِي  
 الْحَيَوَانَ فَبَحَثُوا عَنْ جِنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَسَكَّيْفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
 وَقَدْ يَسَكَّيْفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْعَمَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَائِدِ وَخَلطَهَا ثُمَّ تَفصلُ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتُ فَمِنْهُ مَا يَنْفصلُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْفُصُولِ مِثْلُ الْأَشْتَانِ وَأَمَّا الْعَمَادِنُ فَمِنْهَا  
 أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مَرُجَتْ وَدَبَّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأثيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
 ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَوَانَ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعُ وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ فَيَتَبَغَى لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
 الْحَجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانَ وَطَرِيقُ وَجُودِهِ إِنَّا بَيْنَا أَنْ الْحَيَوَانَ أَرْفَعُ الْمَوَالِيدِ وَكَذَا  
 مَا تَرَكَبَ مِنْهُ فَهُوَ الْطَفُّ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ الْطَفُّ مِنَ الْأَرْضِ  
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الْأَصْفِيِّ وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ فَوَجَبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةِ وَالرِّقَّةِ وَكَذَا  
 هَذَا الْحَجَرُ الْحَيَوَانِي يَمْنُزِلُهُ النَّبَاتِ فِي التُّرَابِ وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانَ شَيْءٌ  
 يَنْفصلُ طَبَائِعَ أَرْبَعًا غَيْرُهُ فَأَفْهَمَ هَذَا الْقَوْلُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْتَلِي إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجُوهَرِ  
 وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الْحَجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جِنْسَهُ وَأَنَا أَيْبُنُ لَكَ  
 وَجُوهَ تَدْبِيرِهِ حَتَّى يَكْمَلَ الَّذِي شَرَطْتَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْإِنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 (التدبير على بركة الله) خذِ الْحَجَرَ الْكَرِيمَ فَأودِعْهُ الْقِرْعَةَ وَالْإِنْبِيقَ وَفصلِ  
 طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَهِيَ الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ بَإِذَا عَزَلْتَ  
 الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِنَائِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخِذِ الْهَابِطَ  
 أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ الثُّفْلُ فَاغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ حَتَّى تَذْهَبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادُهُ وَيَزُولَ  
 غَلظُهُ وَجَفَاؤُهُ وَيَبِضُّهُ تَبْيِضًا مُحْكَمًا وَطَيِّرْ عَنْهُ فَضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَجِنَّةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
 يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَيْضًا لَا ظُلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَسَخَ وَلَا تَصَادُ ثُمَّ أَعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
 الْأُولِ الصَّاعِدَةِ مِنْهُ فَطَهِّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِ وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْعَمَلَ وَالتَّصْعِيدَ

حَتَّى تَلطُفَ وَتَرَقَّ وَتَصْفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَأَبْدَأَ بِالتَّرْكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرْكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْوِيجِ وَالتَّعْفِينِ فَأَمَّا التَّرْوِيجُ  
 فَهُوَ اخْتِلَافُ اللَّطِيفِ بِالْقَلِيطِ وَأَمَّا التَّعْفِينُ فَهُوَ التَّمْشِيَةُ وَالسَّمْعِيُّ حَتَّى يَخْتَلِطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَبَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْتِزَاجِ بِالمَاءِ فَعِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْقَلِيطُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ وَالدَّيْبِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجِدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرْكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْمَحْلُولَ لَمَّا أزدَوَجَ بِالرُّوحِ مَا رَجَعَهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنِشَا كُلِّهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَغْرِضَ لِلرُّوحِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ وَالبَقَاءِ وَالثَّبُوتِ وَمَا يَغْرِضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْأَمْتِزَاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا امْتَزَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِخِدْمَةِ التَّنْذِيرِ اخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرِينَ أَعْنَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَصَارَتْ فِي وَهْمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْجُزْءِ الْكُلِّيِّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَائِعُهُ وَاتَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أَلْتَمَى هَذَا الْمَرْكَبُ الْجَسَدَ الْمَحْلُولَ وَالْعَظْمَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْمَحْلُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْأَشْتِعَالُ وَتَعَلَّقَ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ التَّعَلُّقَ بِهَا مَنَعَهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ بِالنَّفْسِ مُسَارَجَةَ المَاءِ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تَتَّحِدُ بِالدَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ المَاءُ مِنْ شَأْنِهِ التَّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا لَحَّتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِيرَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْيَاسِرُ الْمَمَارِجُ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يَفْكَكَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةَ لِإِمْسَاكِ المَاءِ وَالمَاءِ عِلَّةَ لِبَقَاءِ الدَّهْنِ وَالدَّهْنِ عِلَّةَ لِثَبَاتِ الصَّبْغِ وَالصَّبْغُ عِلَّةٌ  
 لظُهُورِ الدَّهْنِ وَإِظْهَارِ الدَّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُظْلَمَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَهَذَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَقِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ وَهَذِهِ النُّصْفِيَّةُ الَّتِي سَأَلْتُ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 سَمَّيْتُهَا الْحُكْمَاءَ بِيَضَّةٍ وَإِيَّاهَا يَعْنُونَ لَا بِيَضَّةَ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ تُسَمَّيْهَا  
 بِهَذَا الْأَمْرِ لِغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشْبَهَتْهَا وَقَدْ سَأَلْتُ مُسَلِّمَةَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْحُكْمَاءَ مَرْكَبَ الْحَيَوَانَ  
 بِيَضَّةٍ اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَاؤِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ بَلْ لِمَعْنَى غَائِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوا  
 وَسَمَّوْهَا بِيَضَّةً فَقَالَ لِشَبَّهَهَا وَقَرَّابَتِهَا مِنَ الْمَرْكَبِ فَفَكَرْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ لَكَ مَعْنَاهُ

فَبَقِيَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَرًا لَا أَفِيدُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكْرِ  
وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيْفَةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
لِلنِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي كَمِيَةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِيْفِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَنْجَلَتْ  
عَنِّي الظُّلْمَةَ وَأَضَاءَ لِي نُورٌ قَائِي وَقَوِي عَقْلِي عَلَى فَهْمِهِ فَهَضْتُ شَاكِرًا اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى  
مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شَكْلًا مَهْدِسِيًا يَبْرَهُنُ بِهِ عَلَى صِحَّةٍ مَا قَالَهُ مَسْلَمَةٌ وَأَنَا وَأَضِعُهُ  
لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْكَبَ إِذَا تَمَّ وَكَمَلَ كَانَ نِسْبَةً مَا فِيهِ مِنْ  
طَبِيعَةِ الْمَوَاءِ كَنِسْبَةِ مَا فِي الْمَرْكَبِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْأَخْرَبَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ عَلَى هَذِهِ  
الصِّفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِسَطْحِ الْبَيْضَةِ هِزُوحَ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
نَأْخُذُ أَقْلَ طَّبَائِعِ الْمَرْكَبِ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْبُيُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
وَنُدَبِّرُهُمَا حَتَّى تُنَشِفَ طَبِيعَةُ الْبُيُوسَةِ طَبِيعَةَ الرُّطُوبَةِ وَتُقْبَلَ قُوَّتُهَا وَكَأَنَّ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ رَمَزًا وَلَكِنَّهُ لَا يَمْنَعِي عَلَيْكَ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مِثْلَيْهِمَا مِنَ الرُّوحِ  
وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَعْدَ التَّدْبِيرِ مِثْلًا مِنْ  
طَبِيعَةِ الْمَوَاءِ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَجْزَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْبُيُوسَةِ  
بِالْقُوَّةِ وَتَجْعَلُ تَحْتَ كُلِّ ضِلْعَيْنِ مِنَ الْمَرْكَبِ الَّذِي طَبِيعَتُهُ نَحِيْطَةٌ بِسَطْحِ الْمَرْكَبِ  
طَبِيعَتَيْنِ فَتَجْعَلُ أَوَّلًا الضِّلْعَيْنِ الْمُحِيطَيْنِ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةَ الْمَاءِ وَطَبِيعَةَ الْمَوَاءِ وَهُمَا ضِلْعَانِ  
أَحَدٌ وَسَطْحُ ابْجِدَ وَكَذَلِكَ الضِّلْعَانِ الْمُحِيطَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ الَّتِي هُمَا الْمَاءُ وَالْمَوَاءُ  
ضِلْعَانِ هِزُوحَ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ ابْجِدَ يُشْبِهُ سَطْحَ هِزُوحِ طَبِيعَةِ الْمَوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْسًا وَكَذَلِكَ  
يَجْمَعُ مِنَ سَطْحِ الْمَرْكَبِ وَالْحِكْمَاءُ لَمْ تُسَمَّ شَيْئًا بِأَسْمِ شَيْءٍ إِلَّا لَشَبْهِهِ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُنْعَقِدَةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّنَلِيَّةِ  
وَالنُّحَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حُمِرَ بِالزَّاجِ حَتَّى صَارَ  
شُعَاسِيًّا وَالْمَغْنِيسِيًّا حَجْرُهُمُ الَّذِي تَجْمَدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتُخْرِجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
تَسْتَجِبُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ لِتُقَابَلَ عَلَيْهَا النَّارُ وَالنُّرْفَرَةُ لَوْنٌ أَحْمَرٌ قَانَ يُحْدِثُهُ الْكَيَانُ  
وَالرَّصَاصُ حَجْرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٌ الشُّخُوصُ وَأَكْبَنُهَا مُتَشَاكِلَةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
فَالوَاحِدَةُ رُوحَانِيَّةٌ نَبْرَةٌ صَافِيَةٌ وَهِيَ الْقَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ حَاسَةٌ

غَيْرَ أَنَّهَا أَغْلَظُ مِنَ الْأُولَى وَمَرْكَزُهَا دُونَ مَرْكَزِ الْأُولَى وَالثَّلَاثَةُ قُوَّةٌ أَرْضِيَّةٌ حَاسَّةٌ قَابِضَةٌ مُنْعَكِسَةٌ إِلَى مَرْكَزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ جَمِيعًا وَالْمُحِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَهَبْتَدَعَةٌ وَتُغْتَرَعَةٌ إِبْسَاعًا عَلَى الْجَاهِلِ وَمَنْ عَرَفَ الْمُقَدَّمَاتِ اسْتَفْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ مُفَسِّرًا وَتَرَجُّوهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ يَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ الْمَجْرِبِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالسِّيَمِيَاءِ وَالسَّحْرِ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْفَاعِلُ كُلَّهُمَا فِي الصَّنَاعَةِ إِلَى الرَّمْزِ وَاللَّغَاظِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبِينُ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصِنَاعَةٍ طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَعْضُدُهُ الْوَاقِعُ أَنَّهَا مِنْ جِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَةِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ نَوْعِ السَّحْرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةً فَأَمَّا الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السَّحْرُ فَلِأَنَّ السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ تَحْقِيقِهِ بِقَلْبِ الْأَعْيَانِ الْمَادِيَّةِ بِقُوَّتِهِ السَّحْرِيَّةِ وَلَا يَدُلُّهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فَعْلُهُ السَّحْرِيُّ فِيهَا كَتَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوْ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجُمَّلَةِ مِنْ غَيْرِ مَادِيَّتِهَا الْمَخْصُوصَةِ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحْرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ سَحْرَةِ السُّودَانَ وَالْهُنُودِ فِي قَاصِيَةِ الْجَنُوبِ وَالْتُرْكِ فِي قَاصِيَةِ الشَّمَالِ أَنَّهُمْ يَسْحَرُونَ الْجَوَّ لِلْأَمْطَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيقًا لِلذَّهَبِ فِي غَيْرِ مَادَتِهِ الْخَاصَةِ بِهِ كَانَ مِنْ قَبِيلِ السَّحْرِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرٍ وَمَسْلَمَةَ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَّمِ إِنَّمَا نَحْوَاهَذَا الْمَنْحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ الْغَاظَا حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ إِنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السَّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الضَّنَانَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيِي مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَانظُرْ كَيْفَ سَمَّى مَسْلَمَةَ كِتَابَهُ فِيهَا رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَسَمَّى كِتَابَهُ فِي السَّحْرِ وَالطَّلْمَنَاتِ عَايَةَ الْحَكِيمِ إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْعَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْعَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّتْبَةِ فَكَانَ مَسَائِلَ الرُّتْبَةِ بَعْضُ مِنْ مَسَائِلِ الْعَايَةِ وَتُشَارِكُهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْفَتَنِ بَيِّنٌ مَا قُلْدَاهُ وَنَحْنُ نَبِينُ فِيهَا بَعْدُ غَلَطَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتجعها

هَذَا الْفَصْلُ وَمَا بَعْدَهُ مُهِمٌّ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَارِضَةٌ فِي الْعُمُرَانِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَدِينِ  
وَضَرُرُهَا فِي الدِّينِ كَثِيرٌ فَوَجِبَ أَنْ يُصَدَّعَ بِشَأْنِهَا وَيُكْشَفَ عَنِ الْمُعْتَقِدِ الْحَقِّ فِيهَا  
وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ عُقَلَاءِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ الْحَسْبِيَّ مِنْهُ وَمَا وَرَاءَ  
الْحَسْبِيِّ تَدْرِكُ أَدْوَاتُهُ وَأَحْوَالُهُ بِأَسْبَابِهَا وَعِلَلِهَا بِالْأَنْظَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَفْسِسَةِ الْعَقَائِبَةِ  
وَأَنَّ تَصْخِيعَ الْعَقَائِدِ الْإِبْمَانِيَّةِ مِنْ قَبْلِ الْأَنْظَرِ لَا مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ فَإِنَّهَا بَعْضٌ مِنْ مَدَارِكِ  
الْعَقْلِ وَهَذَا يُسَمَّوْنَ فَلَاسِنَةً جَمَعَ فَيَلْسُونُ وَهُوَ بِاللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ نَحْبُ الْحِكْمَةِ  
فَجَعَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَشَمَرُوا لَهُ وَحَوُّوا عَلَى إِصَابَةِ الْغَرَضِ مِنْهُ وَوَضَعُوا قَانُونًا يَهْتَدِي بِهِ الْعَقْلُ  
فِي نَظَرِهِ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَمَّوْهُ بِالْمَنْطِقِ وَحَصَلَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْظَرَ  
الَّذِي يَفِيدُ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي الدِّعَائِي الْمُنْتَزَعَةِ مِنَ  
الْمَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ فَيَجْرَدُ مِنْهَا أَوْ لِأَصُورٍ مُنطَبِقَةٍ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَمَا يَنْطَبِقُ  
الطَّابِعُ عَلَى جَمِيعِ الْقُوشِ الَّتِي تَرْتَمِيهَا فِي طِينٍ أَوْ شَمْعٍ وَهَذِهِ مُجْرَدَةٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ  
تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَائِلِ ثُمَّ تَجْرَدُ مِنْ تِلْكَ الدِّعَائِي الْمَكْلَبَةِ إِذَا كُنْتَ مُشْتَرِكَةً  
مَعَ مَعَانٍ أُخْرَى وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَنْهَا فِي الذَّهْنِ فَتَجْرَدُ مِنْهَا مَعَانٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي أَشْتَرَكْتَ  
بِهَا ثُمَّ تَجْرَدُ ثَالِثًا إِنْ شَارَكَهَا غَيْرُهَا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ التَّجْرِيدُ إِلَى الدِّعَائِي الْبَسِيطَةِ  
الْمَكْلَبَةِ الْمُنطَبِقَةِ عَلَى جَمِيعِ الدِّعَائِي وَالْأَشْخَاصِ وَلَا يَكُونُ مِنْهَا تَجْرِيدٌ بَعْدَ هَذَا وَهِيَ  
الْأَجْنَاسُ الْعَالِيَةُ وَهَذِهِ الْمَجْرَدَاتُ كُلُّهَا مِنْ غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ هِيَ مِنْ حَيْثُ تَأْلِيفُ  
بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ مِنْهَا تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِي فَإِذَا نَظَرَ الْفِكْرِيُّ فِي هَذِهِ  
الْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَطَلَبَ تَصَوُّرَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ فَلَا بُدَّ لِلذَّهْنِ مِنْ إِضَافَةِ بَعْضِهَا  
إِلَى بَعْضٍ وَتَقْيِي بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْيَقِينِيِّ لِتَحْصُلِ تَصَوُّرِ الْوُجُودِ تَصَوُّرًا  
صَحِيحًا مُطَابِقًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِقَانُونٍ صَحِيحٍ كَمَا مَرَّ وَصَنَّفُ التَّصْدِيقِ الَّذِي هُوَ تِلْكَ  
الْإِضَافَةُ وَالْحُكْمُ مُتَقَدِّمٌ عِنْدَهُمْ عَلَى صِنْفِ التَّصَوُّرِ فِي الدِّعَائِي وَالْأَشْخَاصِ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ  
فِي الْبِدَاءَةِ وَالْعَلِيمِ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ النَّامَ عِنْدَهُمْ هُوَ غَايَةُ الطَّلَبِ الْإِدْرَاكِيِّ وَإِنَّمَا

التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه في معنى الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم أرسطو ثم يزعمون أن السعادة في إدراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت إليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا أنظارهم أنهم عثروا أولا على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس ثم ترقى إدراكهم قليلا فاشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم أحسوا من قوى النفس بسطان العقل ووقفت إدراكهم فقضوا على الجسم العالی السماوي بتجويم القضاء على أمر الذات الإنسانية ووجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للإنسان ثم أنهوا ذلك نهاية عدد الآحاد وهي العشر تبع مفصلة ذواتها جمل وواحد أول مفرد وهو العاشر ويزعمون أن السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليها بالقضائل وأن ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره وميله إلى الجمود منها وأجنبه للمدموم بفطرته وأن ذلك إذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وأن الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة إلى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف في كلماتهم وإمام هذه المذاهب الذي حصل مسألها ودون علمها وسطر حججها فيما بلغنا في هذه الأختاب هو أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الإسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق يعنون معلم صناعة المنطق إذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها وأستوفى مسائلها وأحسن بسطها ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقضدهم في الإلهيات ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب وأتبع فيها رأيه حدوا العمل بالنعلى إلا في القليل وذلك أن كتب أولئك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربى تصحفا كثيرا من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من متحلي العلوم وجادلوا عنها وأختلفوا في مسائل من تفاربعها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابى في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام



الْمَلِكِ مِنْ بَنِي بُوَيْهٍ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرُهُمَا. وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَاطِلٌ  
 بِمَجْمُوعِ دُجُوهِهِ فَأَمَّا اسْتِنَادُهُمُ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا إِلَى الْعَقْلِ الْأَوَّلِ وَاسْتِنَادُهُمْ بِهِ فِي  
 التَّرْتِيقِ إِلَى الْوَاجِبِ فَهُوَ فَضُورٌ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رَبِّ خَلْقِ اللَّهِ فَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا  
 مِنْ ذَلِكَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَهُمْ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى اثْبَاتِ الْعَقْلِ فَقَطُّ وَالْعَقْلُ عَمَّا  
 وَرَاءَهُ بِمِثَابَةِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى اثْبَاتِ الْأَجْسَامِ خَاصَّةً الدُّعْرَضِينَ عَنِ الثَّقْلِ  
 وَالْعَقْلِ الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْجِسْمِ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ وَأَمَّا الْبُرَاهِينُ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا  
 عَلَى مُدْعِيَاتِهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَبَعْضُهَا عَلَى مَعْيَارِ الْمَنْطِقِ وَقَانُونِهِ فِيهَا قَاصِرَةٌ وَغَيْرُهَا  
 وَاقِفَةٌ بِالْفَرْضِ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الطَّبِيعِيَّ فَوَجْهُ  
 فَضُورِهِ أَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ تِلْكَ النَّاتِجِ الذَّهْنِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِالْحُدُودِ وَالْأَفْسَسَةِ كَمَا  
 فِي زَعْمِهِمْ وَبَيْنَ مَا فِي الْخَارِجِ غَيْرُ بَقِيَّةٍ لِأَنَّ تِلْكَ أَحْكَامَ ذَهْنِيَّةٍ كَالِيَّةٍ عَامَّةٍ  
 وَالْمَوْجُودَاتُ الْخَارِجِيَّةُ مُتَشَخِّصَةٌ بِمَوَادِّهَا وَلَعَلَّ فِي الْمَوَادِّ مَا يَنْعَقُ مُطَابَقَةَ الذَّهْنِيَّةِ  
 الْكُلِّيَّةِ لِلْخَارِجِيِّ الشَّخْصِيِّ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ الْحِسُّ مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلُهُ شُهُودُهُ  
 لَا تِلْكَ الْبُرَاهِينُ فَأَيْنَ الْيَقِينُ الَّذِي يَجِدُونَهُ فِيهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الذَّهْنِ أَيْضًا  
 فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأُولَى الْمُطَابَقَةَ لِلشَّخْصِيَّاتِ بِالصُّورِ الْخَيَالِيَّةِ لَا فِي الْمَعْقُولَاتِ النَّوَانِي  
 الَّتِي تَجْرِي بِهَا فِي الرُّبُوبَةِ الثَّانِيَةِ فَيَكُونُ الْحُكْمُ حِينَئِذٍ يَقِينًا بِمِثَابَةِ الْحِسُّوسَاتِ إِذْ  
 الْمَعْقُولَاتُ الْأُولَى أَقْرَبُ إِلَى مُطَابَقَةِ الْخَارِجِ لِكَمَالِ الْأَنْطِبَاقِ فِيهَا فَسَلِّمُ لَهُمْ حِينَئِذٍ  
 دَعَاوَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا إِذْ هُوَ مِنْ تَرْكِ الْمُسْلِمِ  
 لِمَا لَا بَعِيثَ فِيهِ فَإِنَّ مَسَائِلَ الطَّبِيعِيِّاتِ لَا تُهْمُنَا فِي دِينِنَا وَلَا مَعَاشِنَا فَوَجَبَ عَلَيْنَا تَرْكُهَا .  
 وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي وَرَاءَ الْحِسِّ وَهِيَ الرُّوحَانِيَّاتُ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ  
 الْإِلَهِيَّ وَعِلْمَ مَا تَمَدُّ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ ذَوَاتَهَا تَجْهُولَةٌ رَأْسًا وَلَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا وَلَا  
 الْبُرْهَانُ عَلَيْهَا لِأَنَّ تَجْرِيدَ الْمَعْقُولَاتِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ  
 مُمْكِنٌ فِيهَا هُوَ مُدْرِكٌ لَنَا وَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ الذَّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةَ حَتَّى نَجْرِدَ مِنْهَا مَا هِيَاتِ  
 أُخْرَى بِحِجَابِ الْحِسِّ يَبِينُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يَتَأَنَّى لَنَا بُرْهَانٌ عَلَيْهَا وَلَا مُدْرِكٌ لَنَا فِي اثْبَاتِ  
 وُجُودِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ إِلَّا مَا نَجِدُهُ بَيْنَ جَنِينِنَا مِنْ أَمْرِ النَّسْلِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ مَدَارِكِهَا  
 وَخُصُوصًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي هِيَ وَجَدَانِيَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا

فَأَمَّا غَامِضٌ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَفَدَّ صَرَخَ بِذَلِكَ مُحَقِّقُوهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ مَا لَا مَادَّةَ لَهُ لَا يُمَكِّنُ الْبُرْهَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً وَقَالَ كَبِيرُهُمْ أَفَلَا تُرَى أَنَّ الْأَلْهِيَّاتِ لَا يُوصَلُ فِيهَا إِلَى الْإِنْبِيْنِ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا بِالْأَخْلَاقِ وَالْأَوْلَى بِعِنِي الظَّنِّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّمَا نَحْصُلُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ عَلَى الظَّنِّ فَقَطَّ فَيَكْفِينَا الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوْلَى فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالِاشْتِغَالِ بِهَا وَتَمَحُّنِ إِنَّمَا عِنَايَتُنَا بِتَحْصِيلِ الْيَقِينِ فِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْأَفْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْبُرَاهِينِ فَقَوْلٌ مُزَيَّفٌ مُرَدُّودٌ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْءَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِيٌّ وَالْآخَرُ رُوحَانِيٌّ مُتَمَزِّجٌ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْءَيْنِ مَدَارِكٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَالْمُدْرِكُ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَهُوَ الْجُزْءُ الرُّوحَانِيُّ يَدْرِكُ تَارَةً مَدَارِكَ رُوحَانِيَّةً وَتَارَةً مَدَارِكَ جِسْمَانِيَّةً إِلَّا أَنَّ الْمَدَارِكَ الرُّوحَانِيَّةَ يَدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِوَسِطَةِ آتَاتِ الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِّ وَكُلُّ مُدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يَدْرِكُهُ وَأَعْتَبَرَهُ بِحَالِ الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِوَسِطَةِ كَيْفِ يَتَمَحَّجُّ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الضُّوءِ وَبِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ يَكُونُ أَشَدَّ وَالذُّ فَالْنَّفْسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعَرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَلِكَ لَا يُعْتَبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الْإِدْرَاكِ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَنَسْيَانِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ وَالْمَتَّصِفَةِ كَثِيرًا مَا يُعْنُونَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ النَّبْجَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالرِّيَاضَةِ إِمَانَةَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرِ مِنَ الدِّمَاغِ وَيَحْصُلُ لِلنَّفْسِ إدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوَابِغِ وَالْمَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ بِتَهْجَةٍ وَلَذَلِكَ لَا يُعْتَبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبُرَاهِينِ وَالْأَدَلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ حَصَلَةٌ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْإِبْتِهَاجِ عِنْدَ فَطْلِهِ كَمَا رَأَيْتَهُ إِذِ الْبُرَاهِينِ وَالْأَدَلَّةَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّهَا بِالْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ مِنَ الْخَيَالِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ وَتَمَحُّنِ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ إِمَانَةُ هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ فَادِرِحَةٌ فِيهِ وَتَجِدُ الْعَامِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا

عَلَى كِتَابِ الشَّفَاءِ وَالْإِشَارَاتِ وَالنِّجَاءِ وَتَلَاخِيصِ ابْنِ رُشْدٍ لِلْقَصْرِ مِنْ تَأْلِيفِ أَرِسْطُو  
 وَغَيْرِهِ يُعْتَبَرُ أَوْرَاقَهَا وَيَتَوَقَّعُ مِنْ بَرَاهِينِهَا وَيَلْتَمِسُ هَذَا الْقِسْطَ مِنَ السَّعَادَةِ فِيهَا وَلَا  
 يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَكْثِرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوَانِعِ عَنْهَا وَمُسْتَنْدَمٌ فِي ذَلِكَ مَا يَنْقُلُونَهُ عَنْ  
 أَرِسْطُو وَالْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَا أَنَّ مَنْ حَصَلَ لَهُ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْفَعَالِ وَاتَّصَلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ  
 فَقَدْ حَصَلَ حَظُّهُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالْعَقْلُ الْفَعَالُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ رُتْبَةٍ يَنْكَشِفُ  
 عَنْهَا الْحَسُّ مِنْ رُتْبِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَحْتَمِلُونَ الْإِتِّصَالَ بِالْعَقْلِ الْفَعَالِ عَلَى الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ  
 وَقَدْ رَأَيْتَ فَسَادَهُ وَإِنَّمَا يَعْنِي أَرِسْطُو وَأَصْحَابُهُ بِذَلِكَ الْإِتِّصَالَ وَالْإِدْرَاكِ الْفَعَالِ  
 الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِكَشْفِ حِجَابِ الْحَسِّ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
 إِنَّ التَّبَهُّجَةَ النَّاشِئَةَ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ هِيَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا لِأَنَّ  
 إِنَّمَا تَبَيَّنَ لَنَا بِمَا قَرَّرُوهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحَسِّ مُدْرِكًا آخَرَ لِلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَأَنَّهَا تَبْتَهِّجُ  
 بِإِدْرَاكِهَا ذَلِكَ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا وَذَلِكَ لَا يَعِينُ لَنَا أَنَّهُ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْأَخْرَوِيَّةِ وَلَا بُدَّ  
 بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَاذِ الَّتِي لَتَلِكِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ  
 الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَقَوْلٌ بَاطِلٌ مُبْنِيٌّ عَلَى مَا كُنَّا قَدَّمْنَاهُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ  
 الْأَوْهَامِ وَالْأَغْلَاطِ فِي أَنَّ الوجودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ مُنْحَصَرٌّ فِي مَدَارِكِهِ وَبَيْنَا فَسَادَ  
 ذَلِكَ وَإِنَّ الوجودَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ أَوْ يُسْتَوْفَى إِدْرَاكُهُ بِجُمْلَتِهِ رُوحَانِيًّا أَوْ جِسْمَانِيًّا  
 وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّوحَانِيَّ إِذَا فَارَقَ الْقُوَى  
 الْجِسْمَانِيَّةَ أُدْرِكُ إِدْرَاكًا ذَاتِيًّا لَهُ مُخْتَصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَهِيَ الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي  
 احْتَاطَ بِهَا عِلْمُنَا وَلَيْسَ بِعَامِّ الْإِدْرَاكِ فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا إِذْ لَمْ تَنْحَصِرْ وَأَنَّهُ يَتَّبَهِّجُ  
 بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْإِدْرَاكِ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا كَمَا يَتَّبَهِّجُ الصَّبِيُّ بِمَدَارِكِهِ الْحَسِّيَّةِ فِي أَوَّلِ  
 نُشُوءِهِ وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِدْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
 بِهَا الشَّرِيعُ إِنْ لَمْ نَعْمَلْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعِدُونَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ  
 بِشَدِيدِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِهَا بِمِلَابَسَةِ الْمُحْمُودِ مِنَ الْخَلْقِ وَمُجَانِبَةِ الْمَذْمُومِ فَأَمْرٌ مُبْنِيٌّ عَلَى  
 أَنَّ أَتْبَهَاجَ لِلنَّفْسِ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِأَنَّ  
 الرِّذَائِلَ عَائِقَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ تَمَامِ إِدْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَالْوَانِيَّاتِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَثَرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ مِنْ وَرَاءِ الْإِدْرَاكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ

فَهَذَا التَّهْدِيبُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا تَفَعَّلُوهُ فِي التَّبَهُّجِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
الرُّوحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَايِدِرَ وَقَوَائِنَ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
بِهَا الشَّارِعُ عَلَى امْتِنَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يَحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
الْمُدْرِكِينَ وَقَدْ تَبَّهَ لِذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَادَّ الرُّوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَائِيسِ  
لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعِيَّةٍ مَعْرِفِيَّةٍ وَوَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَنَا فِي الْبُرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادُ  
الْجُسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْبُرْهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
بَسَطْنَاهُ لَنَا الشَّرِيعَةَ الْحَقَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِهَا إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
كَأَنَّ رَأْيَهُ غَيْرُ وَافٍ بِمَقَاصِدِهِمُ الَّتِي حَرَمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا عَلِمْنَا إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْذُ الذِّهْنِ فِي تَرْتِيبِ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجُجِ  
لِتَجْمِيلِ مَلَكَتِ الْجُودَةِ وَالصَّوَابِ فِي الْبُرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنْ نُنَظِّمَ الْمَقَائِيسَ وَتَرْكِيبَهَا  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ هُوَ كَمَا شَرَطُوهُ فِي صِنَاعَتِهِمُ الْمُنْطَقِيَّةِ وَقَوْلِهِمْ بِذَلِكَ  
فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْعَالَمِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَوِلِي النَّاطِرُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبُرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
مَلَكَتِ الْإِتْقَانِ وَالصَّوَابِ فِي الْحُجُجِ وَالْإِسْتِدْلَالَاتِ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَاقِعَةٍ  
بِقَصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ قَوَائِنِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مَعَ  
الْإِطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَآرَائِهِمْ وَمَضَارِهَا مَا عَلِمْتَ فَلْيَكُنِ النَّاطِرُ فِيهَا مَخْرَجًا  
جُهْدَهُ مِنْ مَعَاظِبِهَا وَلْيَكُنْ نَظْرُ مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَلَا يُكْبِنُ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خُلُوفٌ مِنْ عُلُومِ الْعَمَلَةِ فَقُلْ أَنْ يَسَلَّمَ لِنَاكَ مِنْ  
مَعَاظِبِهَا وَأَلَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَالْحَقُّ وَالْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ يُزَعَمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعُنَاصِرِ قَبْلَ حُدُوثِهَا  
مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْتِيرِهَا فِي الْمَوْلِدَاتِ الْعَنْصُرِيَّةِ مُنْرَدَةً وَجُمُعَةً  
فَتَكُونُ لِذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ دَالَّةً عَلَى مَا سَيَعْدُثُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ

الكائنات الكلية والاشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو امر تقصير الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله اذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظن وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره إلى آحاد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم وربما ذهب ضفعا منهم إلى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو رأي فائل وقد كفونا مؤنة إبطاله ومن أوضح الأدلة فيه ان تعلم ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبعث الناس عن الصنابع وأنهم لا يتعرضون للإخبار عن الغيب إلا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق وأما بطلانهم ومن قبيحة من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران وأثرها في العنصرينات ظاهر لا يسع احدا جمده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمزجتها ونضح الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة وقواكه الفناء وسائر أفعاله ثم قال ولنا فيما بعدها من الكواكب طريقان الأولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة إلا انه غير مقنع للنفس الثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحد منها إلى النير الأعظم الذي عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها بأشكال الثلث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس أيضا إلى النير الأعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحته من المولدات وتخلق به النطف والبرزق فتصير حالا للبدن المتكون عنها والنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة إما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الأحوال لان كفيات البرزق والنطفه كفيات لما يتولد عنهما وينشا منهما قال وهو مع ذلك ظني وليس هو أيضا من القضاء الإلهي يعني القدر إنما هو من جملة الأسباب

الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَائِنِ وَالْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ سَابِقِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلِيمُسَ وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ ضَعْفُ مُدْرِكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوْ الظَّنَّ بِهِ إِنَّمَا يُحْصَلُ عَنِ الْعِلْمِ بِجُمْلَةٍ أَسْبَابِهِ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْقَابِلِ وَالصُّورَةِ وَالغَايَةِ عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى مَا قَرَّرُوهُ إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطْ وَالْجُزْءُ الْعَنْصَرِيُّ هُوَ الْقَابِلُ ثُمَّ إِنَّ الْقُوَى النُّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلُ بِجُمْلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِيِّ مِثْلَ قُوَى التَّوَلِيدِ لِلْأَبِّ وَالنُّوعِ الَّتِي فِي النُّطْفَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيِّزُهَا صِنْفٌ مِنَ النُّوعِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كَمَالُهَا وَحَصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ لِلْكَائِنِ ثُمَّ إِنَّهُ يُشْتَرَطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى النُّجُومِ وَتَأْتِيرَاتِهَا مَزِيدٌ حُدْسٌ وَتَخْمِينٌ وَحَيْثُ يُحْصَلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ وَالْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ قُوَى لِلنَّظَرِ فِي فِكْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أُصُولِ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ رَجَعَتْ أَدْرَاجُهَا عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ هَذَا إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ آفَةٌ وَهَذَا مُعْوِزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ حِسَابَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا لِتُعْتَرَفَ بِهِ أَوْضَاعُهَا وَلِمَا أَنَّ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَمُدْرِكُ بَطْلِيمُسَ فِي إِثْبَاتِ الْقُوَى لِلْكَوَاكِبِ الْخُمْسَةَ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مُدْرِكٌ ضَعِيفٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ غَالِبَةٌ لِجَمِيعِ الْقُوَى مِنَ الْكَوَاكِبِ وَمُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهَا فَقُلْ أَنْ يُشْعَرَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ النَّقْصَانِ مِنْهَا عِنْدَ الْمُقَارَنَةِ كَمَا قَالَ وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تَعْرِيفِ الْكَائِنَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ إِنَّ تَأْتِيرَ الْكَوَاكِبِ فِيهَا تَحْتَمُّ بِأَبْطَلٍ إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ بِطَرِيقِ اسْتِدْلَالِيٍّ كَمَا رَأَيْتَهُ وَأَحْتَجُّ لَهُ أَهْلُ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ مِنْ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَسْبَابِ إِلَى الْمُسَبِّبَاتِ مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ وَالْعَقْلُ مِنْهُمْ عَلَى مَا بَقِيَ بِهِ فِيهَا يَظْهَرُ بِأَدْيَاءِ الرَّأْيِ مِنَ التَّأْتِيرِ فَلَعَلَّ اسْتِنَادَهَا عَلَى غَيْرِ صُورَةِ التَّأْتِيرِ الْمُتَعَارَفِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ رَابِطَةٌ بَيْنَهُمَا كَمَا رَبَطَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ عَلُوًّا وَسَفْلًا سِيمَا وَالشَّرْعُ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ كُلُّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَبْرَأُ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَالنُّبُوءَاتُ أَيْضًا مُدْرِكَةٌ لِلسَّانِ النُّجُومِ وَتَأْتِيرَاتِهَا وَأَسْتَقْرَاهُ الشَّرْعِيَّاتِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَيَاتِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بَطْلَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الشَّرْحِ وَضَعْتُ مَدَارِكَهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي الْعُمُرَانِ  
الْإِنْسَانِيِّ تَمَا تَبَعْتُ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ الْفَسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتِّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعَايُلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيَنْهَجُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَيَظُنُّ  
أَطْرَادَ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِقِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوَقُّعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَقُّعُ مِنْ  
تَمَلُّوْلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَتَرَبِّصِينَ بِالدُّوَلَةِ إِلَى الْفَتْكِ وَالثُّورَةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَنْبَغِي أَنْ تَحْظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وَجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلْبَشَرِ بِمُقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ تَزَعُّهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
الْبُكَائِلُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهِمَا فَيَتَعَبَّنُ السَّعْيُ فِي أَسْبَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَفَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلَيْعَلَّ  
مَنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَمَلَةِ تَحْصِيلَ  
عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظْرًا وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ الْإِجْتِمَاعُ مِنْ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِقِرَاءَتِهَا  
وَالْتَحَاقِ لَتَعْلِيمِهَا وَصَارَ الْمَوْلَعُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلٌ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يُطَالَعُ  
كُتُبَهَا وَمَقَالَاتِهَا فِي كِسْرِ بَيْتِهِ مُنْسَتَرًا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رِبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَأَعْتِيَاصِهَا عَلَى الْفَهْمِ فَكَيْفَ يَحْضُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَتَنْعُنُ  
مَعْدُ الْمَنَّةِ الَّذِي عَمَّ نَعْمَهُ دِينًا وَدُنْيَا وَسَمَّاتٍ مَا خَذَهُ مِنَ الْكُتَابِ وَالسَّنَةِ وَعَكَفَتْ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ثُمَّ بَعْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَارَسَةِ وَكَثْرَةِ النُّجَالِسِ  
وَتَعَدُّهَا إِنَّمَا يَحْدُقُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعْلَمُ  
مَجْمُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مَضْرُوبٌ دُونَهُ سُدَّ الْخَطَرِ وَالشَّعْرِمِ مَكْتُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَعْبُ  
الْمَاخِذِ مُنْتَجِجٌ بَعْدَ الْمُمَارَسَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى مَزِيدِ حَدْسٍ وَتَحْمِينِ

يَكْتَنِفَانِ بِهِ مِنَ النَّظِيرِ فَأَيْنَ التَّحْصِيلُ وَالْحِذْقُ فِيهِ مَعَ هَذِهِ كَلِمًا وَمَدَعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ وَلَا شَاهِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِعَرَابَةِ الْقَنْ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَقَلَّةِ  
حَمَلَتِهِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِتَبَيِّنِ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ  
أَحَدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ عِنْدَمَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ بِالْقَيْرَوَانِ وَكَثُرَ إِزْجَافُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرُّوحِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ      قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهِنَاءُ  
أَصْبَحُ فِي تُونِسٍ وَأَمْسِي      وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَابَا      يُحْدِثُهَا الْهَرْجُ وَالْوَبَا  
وَالنَّاسُ فِي مَرِيَّةٍ وَحَرْبٍ      وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمَرْءَ  
فَأَحْمَدِي يَرَى عَلِيًّا      حَلًّا بِهِ الْهَلَكُ وَالْتَوَاءُ  
وَأَخِرٌ قَالَ سَوْفَ بَأْتِي      بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رَحَاءُ  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا      يَقْضِي لِعَبْدِهِ مَا يَشَاءُ  
يَا رَاصِدَ الْخُنْسِ الْجَوَارِي      مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءُ  
مَطْلَعُومَنَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ      أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ  
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ      وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ  
وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعُشْرُ ثَانٍ      وَتَالِكُ ضَمُّهُ الْقَضَاءُ  
وَلَا تَرَى غَيْرَ زُورِ قَوْلٍ      أَذَاكَ جَهْلُ أَمٍ أَرْدَاءُ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا      أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
رَضِيْتُ بِاللَّهِ لِي الْهَاءُ      حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَاةُ  
مَا هَدِيَهُ الْأَنْجَمُ السَّوَارِي      إِلَّا عَبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ نَقْضِي      وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ  
ضَلَّتْ عُقُولُ تَرَى قَدِيمًا      مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ  
وَحَكَمَتْ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا      يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْمَوَاءُ  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِزَاءَ مَرٍّ      تَغْدُوهُمْ تَرْبَةُ وَمَاءُ



اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
 وَلَا أَهْبُولِي الَّتِي تَنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةِ عَرَاهِ  
 وَلَا أُجُودُ وَلَا أُنْعَدَامُ      وَلَا ثُبُوتُ وَلَا انْتِفَاءُ  
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَذْرِ فِيهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشَّرَاهِ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ  
 إِذْ لَا فُضُولُ وَلَا أُصُولُ      وَلَا جِدَالُ وَلَا رِيَاءُ  
 مَا تَبِعَ الصَّدْرَ وَأَقْتَفَيْنَا      يَا حَبِذَا كَانَتْ الْإِقْتِفَاءُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَذَاهِ  
 يَا أَشْعَرِي الزَّمَانِ إِنِّي      أَشْعَرِي الصَّبْفُ وَالسَّتَاهِ  
 لَمْ أَجْزْ بِالشَّرِّ غَيْرَ شَرِّ      وَأُلْخِيرُ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاهِ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَغْصَى وَلِي رَجَاهِ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْثَرَاهِ  
 لَيْسَ أَنْتَصَارُ بِكُمْ وَلَكِنْ      أَنَا حَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ  
 لَوْ حَدِثَ الْأَشْعَرِي عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاءُ  
 لَقَالَ أَخْبِرُهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاهِ

### الفصل السادس والعشرون

في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن استعمالها

اعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ مَعَالِمِهِمْ تَحْمِلُهُمُ الْمَطْمِيعُ عَلَى انْتِحَالِ هَذِهِ  
 الصَّنَائِعِ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَحَدُ مَذَاهِبِ الْمَعَاشِ وَوَجُوهِهِ وَأَنَّ اقْتِنَاءَ الْمَالِ مِنْهَا أَيْسَرُ  
 وَأَمْتَلُ عَلَى مُتَبِعِيهِ فَيَرْتَكِبُونَ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاقِّ وَمَعَانَاةِ الصَّعَابِ وَعَسْفِ  
 الْحُكْمِ وَخِسَارَةِ الْأَمْوَالِ فِي النِّفَقَاتِ زِيَادَةً عَلَى النَّيْلِ مِنْ غَرَضِهِ وَالْعَطْبِ آخِرًا  
 إِذَا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَةٍ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَإِنَّمَا أَطْمَعُهُمْ فِي ذَلِكَ رُؤْيَةُ أَنَّ  
 الْمَعَادِنَ تَسْتَحِيلُ وَيَنْقَلِبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضِ الْمَادَةِ الْمُشْتَرَكَةِ فَيَتَعَاوَلُونَ بِالْعِلَاجِ  
 صَبْرُورَةَ الْفِضَّةِ ذَهَبًا وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ فِضَّةً وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا مِنْ مُمْكِنَاتِ عَالَمِ  
 الطَّبِيعَةِ وَلَهُمْ فِي عِلَاجِ ذَلِكَ طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّدْبِيرِ وَصُورَتِهِ

وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عِنْدَهُمْ لِلْعِلَاجِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَهُمْ بِالْحَجَرِ الْمَكْرَمِ هَلْ هِيَ  
 الْعَذْرَةُ أَوْ الدَّمُ أَوْ الشَّعْرُ أَوْ الْبَيْضُ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ التَّنْدِيرِ  
 عِنْدَهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تُعْمَى بِالْقَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صَلْدٍ أَمْلَسَ وَتُسْقَى أَشْنَاءُ إِنَّمَانِهَا  
 بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعُقَاوِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَنْسَبُ الْقَصْدَ مِنْهَا وَيُؤْتَرُ فِي  
 أَنْقَالِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ يُخَفَّفُ بِالسُّسِ مِنْ بَعْدِ السَّقْيِ أَوْ يُطَبِّخُ بِاللَّارِ أَوْ  
 تُصَعَّدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَائِهَا أَوْ تُرَابِهَا فَإِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
 تَدْبِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أُصُولُ صِنْعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَرَابٌ أَوْ مَارِجٌ بِسَمَوْتِهِ  
 الْأَكْسِيرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْحَمَامَةِ بِالنَّارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوْ النُّحَاسِ  
 أَلْحَمَى بِالنَّارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
 الْأَكْسِيرَ مَادَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْعَوَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ حَصَلَ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاصُّ وَالتَّنْدِيرُ  
 مِرْاجٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تَصْرِفُ مَا حَصَلَتْ فِيهِ إِلَيْهَا وَتَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَمِرْاجِيًّا وَتَبْتُ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْقُوَى كَالْحَمِيرَةِ لِلْخَبْزِ تَقْلِبُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
 فِيهِ مَا حَعَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفِشَاشِ وَالْهَشَاشَةِ لِيَحْسُنَ هَضْمُهُ فِي الْمَعِدَةِ وَيَسْتَحِيلَ سَرِيعًا  
 إِلَى الْغِذَاءِ وَكَذَا إِكْسِيدُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيهَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعَادِنِ بِصِرْفِهِ إِلَيْهِمَا  
 وَيَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهِمَا هَذَا مُحْصَلُ زَعْمِهِمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَتَجِدُهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
 يَتَعَمَّقُونَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقَلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كُتُبِ لِائِمَّةِ الصَّنَاعَةِ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَاطَرُونَ فِي فِهْمِ لُغْوِهَا وَكَشْفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
 الْأَكْثَرِ تُشْبِهُ الْمَعْمَى كِتَابُ جَابِرِ بْنِ حَيَّانٍ فِي رِسَالَتِهِ السَّبْعِينَ وَمَسَامَةُ النُّجْرِيَّةِ  
 فِي كِتَابَةِ رُتْبَةِ الْحَكِيمِ وَالطُّغْرَانِيُّ وَالْمَغِيرِيُّ فِي قِصَائِدِهِ الْعَرِيقَةِ فِي إِجَادَةِ النِّظْمِ  
 وَأَمْثَالِهَا وَلَا يَحْلُونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ بِطَائِلِ مِنْهَا . فَنَاقَضْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
 التَّنْفِيحِيَّ كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَقَفْتُهُ عَلَى بَعْضِ التَّالِيفِ فِيهَا فَتَصَفَّحَهُ  
 طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَبُودَ إِلَيَّ يَتِيهِ إِلَّا بِالْخَيْبَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
 مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدُّلْسَةِ فَقَطْ إِمَّا الظَّاهِرَةَ كَتَمُوهُ بِالْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوْ النُّحَاسِ  
 بِالْفِضَّةِ أَوْ خَلَطَهَا عَلَى نِسْبَةِ جُزءٍ أَوْ جُزءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ الْخَفِيَّةِ كَالْفَاءِ الشُّبْهِ بَيْنَ  
 الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ النُّحَاسِ وَتَلْيِيسِهِ بِالرُّوقِ الْمُصَعَّدِ فَيُجِيءُ جِسْمًا مَعْدِنِيًّا

شبهها بالفضة ويغنى إلا على النقاد المهرة فيقدر أصحاب هذه الداس مع دلستهم  
هذه سكة يسربونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان تمويها على الجمهور بالخلاص  
وهؤلاء أخس الناس حرفة وأسوأهم عافية لتلبسهم بسرقه أموال الناس فإن صاحب  
هذه الدلسة إنما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو  
سارق أو شر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتبذين  
بأطراف البقاع ومسكن الأغمار بأوون إلى مساجد البادية وبمورون على الأغنياء  
منهم بأن بأيديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس موعة بحبيهما والاستهلاك سيف  
طلبها فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة إلى  
أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون إلى موضع آخر ويستجدون حالا أخرى في  
استهوا بعض أهل الدنيا بأطاعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم  
وهذا الصنف لا كلام معهم لأنهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والأحراف بالسرقه  
ولا حاسه لهم إلا الأشناد الحكم عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم  
متى ظهروا على شأنهم لأن فيه إفسادا للسكة التي تعم بها البلوى وهي متمول الناس  
كافة والسلطان مكلف بإصلاحها والأختياط عليها والأشناد على مفسديها وأما  
من اتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن إفساد  
سكة المسلمين وتفودهم وإنما يطلب إحالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس  
والفضة إلى الفضة بذلك النحو من العلاج وبالأكسبر الحاصل عنده فلنا مع هؤلاء  
منكم وبجئت في مداركهم لذلك مع أنا لا نعلم أن أحدا من أهل العالم يتم له هذا  
الغرض أو حصل منه على بغيه إنما تذهب أعمارهم في التدبير والفهر والصلابة  
والتصعيد والتكليس واعتيام الأخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك  
حكايات وقتت لغيرهم ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يضعون باستماعها  
والمفاوضات فيها ولا يستريون في تصديقها شأن الكلفين الدفرمين بوساوس  
الأخبار فيما يكفون به فإذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعانية أنكروه وقالوا إنما  
سمعنا ولم تر هكذا شأنهم في كل عصر وجيل وأعلم أن اتحال هذه الصنعة قديم  
في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين فلنقل مذهبهم في ذلك

ثُمَّ نَتَلُوهُ بِمَا يَظْهَرُ فِيهَا مِنَ التَّحْقِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ فَنَقُولُ إِنَّ مَبْنَى الْكَلَامِ  
 فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ عَلَى حَالِ الْمَعَادِنِ السَّبْعَةِ الْمُنْطَرِقَةِ وَهِيَ الذَّهَبُ  
 وَالْفِضَّةُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَمْعَدِيرُ وَالذُّحَّاسُ وَالْحَرِيدُ وَالخَارِصِينُ هَلْ فِي مُخْتَلَفَاتِهَا بِالنُّصُولِ  
 وَكُلِّهَا أَنْوَاعٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا أَوْ إِنَّمَا مُخْتَلِفَةٌ بِخَوَاصِّ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ  
 لِنَوْعٍ وَاحِدٍ فَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا  
 نَوْعٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْكَيْفِيَّاتِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْيُوسَةِ وَاللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ  
 وَالْأَلْوَانِ مِنَ الصُّفْرِ وَالْبَيَاضِ وَالسُّوَادِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِذَلِكَ النَّوْعِ الْوَاحِدِ وَالَّذِي  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِينَا وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْمَشْرِقِ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِالنُّصُولِ وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ  
 مُتَبَايِنَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَتِهِ لَهُ فَضْلٌ وَجِنْسٌ شَانِ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ  
 وَبَنَى أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اتِّفَاقِهَا بِالنُّوْعِ إِمْتِكَانَ انْقِلَابِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ  
 لِإِمْتِكَانِ تَبَدُّلِ الْأَعْرَاضِ حِينَئِذٍ وَعِلَاجِهَا بِالصَّنْعَةِ فَرَأَى هَذَا التَّوَجُّهَ كَانَتْ صِنَاعَةُ  
 الْكِيمِيَاءِ عِنْدَهُ مُمَكِّنَةً مَهْلَةً الْمَأْخُذِ وَبَنَى أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اخْتِلَافِهَا  
 بِالنُّوْعِ إِنْكَارَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَاسْتِحَالَةَ وُجُودِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَا سَبِيلَ بِالصَّنَاعَةِ  
 إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمَقْدِرُهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفُضُولُ مُجْهَوْلَةٌ الْحَقَائِقُ  
 رَأْسًا بِالنُّصُورِ فَكَيْفَ يُحَاوَلُ انْقِلَابُهَا بِالصَّنْعَةِ وَغَلَطَهُ الطُّغْرَانِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ وَالْعِلَاجَ لَيْسَ فِي تَخْلِيقِ الْفَضْلِ وَإِبْدَاعِهِ  
 وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِعْدَادِ الْمَادَّةِ لِقَبُولِهِ خَاصَّةً وَالْفَضْلُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الْإِعْدَادِ مِنْ لَدُنْ خَالِقِهِ  
 وَبَارئِهِ كَمَا بَيَضُ الثَّورُ عَلَى الْأَجْسَامِ بِالصَّقْلِ وَالْإِمْهَاءِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي ذَلِكَ إِلَى  
 تَصَوُّرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَالُوا إِذَا كُنَّا قَدْ عَثَرْنَا عَلَى تَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مَعَ الْجَهْلِ بِفُضُولِهَا  
 مِثْلَ الْعَقْرَبِ مِنَ التُّرَابِ وَالنَّعْنَ وَمِثْلَ الْحَيَاتِ الْمَتَكُونَةِ مِنَ الشَّعْرِ وَمِثْلَ مَا ذَكَرَهُ  
 أَصْحَابُ الْفِلَاحَةِ مِنْ تَكْوِينِ النَّحْلِ إِذَا فُقِدَتْ مِنْ عَجَاجِيلِ الْبَقْرِ وَتَكْوِينِ الْقَصَبِ  
 مِنْ قُرُونِ ذَوَاتِ الطَّلْفِ وَتَصْيِيرِهِ سُهْكَرًا بِمُخْشَوِ الْقُرُونِ بِالْعَسَلِ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ الْقَلْحِ  
 لِلْقُرُونِ فَمَا الْمَانِعُ إِذَا مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَتَنْخَذُ مَادَّةً تُضَيِّفُهَا  
 لِلتَّدْبِيرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا اسْتِعْدَادٌ أَوَّلُ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثُمَّ تَحَاوَلُهَا  
 بِالْعِلَاجِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ لِقَبُولِ فَضْلِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ الطُّغْرَانِيِّ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ

الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّ لَنَا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 مَا خِذَا آخَرَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ اسْتِحْجَالُهُ وَجُودُهَا وَبُطْلَانُ زَعْمِهِمْ أَجْمَعِينَ لَا الطُّغْرَائِيُّ وَلَا ابْنُ  
 سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ التَّوَقُّفِ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعْدَّةِ بِالِاسْتِعْدَادِ  
 الْأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيُعَادُونَ فِي تَدْبِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْبِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ  
 حَتَّى أَحَالَتْهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيَضَاعِفُونَ الْقُوَى الْفَاعِلَةَ وَالْمُنْعِلَةَ لِيَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
 لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضُوعِهِ أَنَّ مِضَاعَةَ قُوَى الْفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
 إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفِ وَثَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الْكُبْرَى فَإِذَا  
 تَضَاعَفَتِ الْقُوَى وَالْكَفَيَاتُ فِي الْعِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ فَحَرُورَةٌ عَلَى  
 مَا قُلْنَا أَوْ يَتَحَرَّوْنَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ مَزَاجِيَّةٍ لِتِلْكَ الْمَادَّةِ تُصَوِّرُهَا  
 كَالْحَمِيرَةِ فَتَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ الْمَعَالِجِ الْأَفَاعِيلَ الْمَطْلُوبَةَ فِي إِحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْأَكْبَرُ  
 عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَتَكُونٍ مِنَ الْمَوْلَدَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَجْتِمَاعِ  
 الْعُنْصُرِ الْأَزْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَا تَمَّ امْتِزَاجُهَا  
 فَلَا بُدَّ مِنَ الْجُزْءِ الْغَالِبِ عَلَى الْكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُخْتَرَجٍ مِنَ الْمَوْلَدَاتِ مِنْ  
 حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ الْحَافِظَةُ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مَتَكُونٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
 مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ الْمَتَكُونِينَ مِنْ طَوْرِ إِلَى طَوْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
 غَايَتِهِ وَانظُرْ شَانَ الْإِنْسَانِ فِي طَوْرِ النُّطْقِ ثُمَّ الْعَاقِمَةِ ثُمَّ الْمَضْغَةِ ثُمَّ التَّصْوِيرِ ثُمَّ الْجَنِينِ  
 ثُمَّ الْمَوْلُودِ ثُمَّ الرُّضِيعِ ثُمَّ إِلَى نَهَائِهِ وَنَسَبُ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوْرِ مُخْتَلِفٌ فِي مَقَادِيرِهَا  
 وَكَيْفِيَّاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ بَعْنِهِ هُوَ الْآخِرُ وَكَذَا الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
 طَوْرِ مُخَالِفَةٌ لَهَا فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ فَانظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
 الْأَطْوَارِ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبَ الْكِيمِيَاءِ  
 إِلَى أَنْ يَسَاقِبَ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ وَيُعَادِيَهُ بِتَدْبِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
 شَرَطِ الصَّنَاعَةِ أَيْدًا تَصَوُّرُ مَا يُقْصَدُ إِلَيْهِ بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْعُكْمَاءِ أَوَّلُ  
 الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَآخِرُ الْفِكْرَةِ أَوَّلُ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
 فِي أَحْوَالِهِ الْمَتَعَدِّدَةِ وَنَسَبِهَا الْمَتَفَاوِتَةِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَاخْتِلَافِ الْحَارِ الْغَرِيزِيِّ عِنْدَ  
 اخْتِلَافِهَا وَمِقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَمَا يَنْبُؤُ عَنْهُ مِنْ مِقْدَارِ الْقُوَى الْمِضَاعِفَةِ وَيَقُومُ

مَقَامُهُ حَتَّى يُحَاذِيَ بِذَلِكَ كُلَّهُ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي المَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ المَوَادِّ صُورَةً  
مِزَاجِيَّةً كَصُورَةِ الخَمِيرَةِ لِلخُبْزِ وَتَفْعُلُ فِي هَذِهِ المَادَّةِ بِالمُنَاسِبَةِ اقْوَاهَا وَمَقَادِيرَهَا  
وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا يَحْضُرُهَا العِلْمُ المُحِيطُ وَالعُلُومُ البَشَرِيَّةُ فَاصِرَةٌ عَن ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
مَنْ يَدْعِي حُسُولَهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنْعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدْعِي بِالصَّنْعَةِ تَخْلِيقِ إِنسَانٍ مِنَ  
العَمِيِّ وَنَحْوِ إِذَا سَأَلْنَا لَهُ الإِحَاطَةَ بِأَجْرَائِهِ وَنَسَبَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةَ تَخْلِيقِهِ فِي رَجْعِهِ  
وَعِلْمَ ذَلِكَ عَالِمًا مُحْصِلًا بِتَفَاصِيلِهِ حَتَّى لَا يَشُدُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَن عِلْمِهِ سَأَلْنَا لَهُ تَخْلِيقَ هَذَا  
الإِنسَانِ وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ وَلِنَقْرَبَ هَذَا البُرْهَانَ بِالإِخْتِصَارِ لَيْسَمَلُ فَهْمُهُ فَنَقُولُ حَاصِلُ  
صِنَاعَةِ الكِيمِيَاءِ وَمَا يَدْعُونَهُ بِهَذَا التَّدْبِيرِ أَنَّهُ مُسَاوِقَةُ الطَّبِيعَةِ المَعْدِنِيَّةِ بِالفِعْلِ الصِّنَاعِيِّ  
وَمُحَادَاثَتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ كَوْنُ الجِسْمِ المَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقُ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
مِزَاجِيَّةٍ تَفْعُلُ فِي الجِسْمِ فَهَلَّا طَبِيعِيًّا فَتَصِيرُهُ وَتَقْبَلُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَالفِعْلِ الصِّنَاعِيِّ مُسَبِّقٌ  
بِصُورَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ المَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصِدُ مُسَاوِقَتَهَا أَوْ مُحَادَاثَتَهَا أَوْ فِعْلَ المَادَّةِ  
ذَاتِ القُوَى فِيهَا تَصَوُّرًا مُفَصَّلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الأَحْوَالُ لِأَنهَاءِهَا وَالعِلْمُ  
البَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الإِحَاطَةِ بِمَا دُونِهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصِدُ تَخْلِيقَ إِنسَانٍ أَوْ حَيَوَانَ  
أَوْ نَبَاتٍ هَذَا مُحْتَمَلٌ هَذَا البُرْهَانَ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الإِسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ  
الْفِعْلِ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَدُّرِ الإِحَاطَةِ وَقُصُورِ البَشْرِ عَنْهَا  
وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سِينَا بِمَعزُولٍ عَن ذَلِكَ وَهُوَ وَجْهُ أُخْرَى فِي الإِسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَابَتِهِ وَذَلِكَ  
أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الحَجَرَيْنِ وَتَدْوِيرَهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَاسِبِ النَّاسِ وَتَمْتَوْلَا لِيَهُنَّ  
فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنْعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَجُودُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصُلَ  
أَحَدٌ مِنْ أَقْتِنَائِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ وَجْهُ أُخْرَى مِنَ الإِسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لِأَتْرُكُ  
أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَعْمَالِهَا وَتَرْتَكِبُ الأَعْوَصَ وَالأَبْعَدَ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصِّنَاعِيِّ  
الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ طَرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْدِنِهَا أَوْ أَقْلُ زَمَانًا لَمَا تَرَكَتُهُ  
الطَّبِيعَةُ إِلَى طَرِيقِهَا الَّذِي سَلَّكَتُهُ فِي كَوْنِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلُقُهُمَا وَأَمَّا تَشْبِيهُ  
الطُّغْرَاءِيِّ هَذَا التَّدْبِيرِ بِمَا عَثَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتِ لِأَمثَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْمَعزُوبِ وَالتَّحْلِ  
وَالْحَيَّةِ وَتَخْلِيقِهَا فَأَمْرٌ صَحِيحٌ فِي هَذِهِ أَدَى إِلَيْهِ العُثُورُ كَمَا زَعَمَ وَأَمَّا الكِيمِيَاءُ فَعَلِمُ  
يُنْقَلُ عَن أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ العَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَالأَعْلَى طَرِيقِهَا وَمَا زَالَ مُنْتَحِلُوهَا يَحْتَبِرُونَ

فِيهَا عَشْوَاءٌ إِلَى هَلْمٍ جَرًّا وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَّا بِالْحِكَايَاتِ الْكَاذِبَةِ وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ  
 مِنْهُمْ لَخَفِظَهُ عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَوْ تَلْمِيذُهُ وَأَصْحَابُهُ وَتَنَوَّلَ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَخَمِنَ تَصَدِيقَهُ حَيْثُ  
 الْعَمَلُ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَشِرَ وَيَبْلُغَ إِلَيْنَا وَإِلَى غَيْرِنَا. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْأَكْسِيرَ بِثَابِتِ  
 الْخَمِيرَةِ وَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ يُجِبُّ مَا يَفْصَلُ فِيهِ وَيَقَابُهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَمِيرَةَ إِنَّمَا  
 تَقْلِبُ الْعَجِينَ وَتُعِدُّهُ لِلْهَضْمِ وَهُوَ فَسَادٌ وَالْفَسَادُ فِي الْمَوَادِّ سَهْلٌ يَقَعُ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَفْعَالِ وَالطَّبَائِعِ وَالْمَطْلُوبُ بِالْإِكْسِيرِ قَابُ الْمَعْدِنِ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَى  
 فَهُوَ تَكْوِينٌ وَصَلَاحٌ وَالتَّكْوِينُ أَضْعَبُ مِنَ الْفَسَادِ فَلَا يَقَاسُ الْإِكْسِيرُ بِالْخَمِيرَةِ  
 وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكَيْدِيَاءَ إِنْ صَحَّ وُجُودُهَا كَمَا تَزْعُمُ الْحِكْمَاءُ الْمُسْتَكَلِمُونَ  
 فِيهَا مِثْلُ جَابِرِ بْنِ حَبَّانَ وَمَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ النَّجْرِيَّ وَأَمْثَالِهِمْ فَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ  
 الصَّنَائِعِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَا تَتِمُّ بِأَمْرِ صِنَاعِيٍّ وَلَيْسَ كَلَامُهُمْ فِيهَا مِنْ مَعْنَى الطَّبِيعِيَّاتِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ مَعْنَى كَلَامِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّخْرِيَّةِ وَسَائِرِ الْخَوَارِقِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلْحَلَّاجِ  
 وَغَيْرِهِ وَقَدْ ذَكَرَ مَسْلَمَةَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ وَكَلَامُهُ فِيهَا فِي كِتَابِ زَيْبَةِ  
 الْحَكِيمِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَهَذَا كَلَامُ جَابِرٍ فِي زَهَائِلِهِ وَنَحْوُ كَلَامِهِمْ فِيهِ مَعْرُوفٌ وَلَا  
 حَاجَةَ بِنَا إِلَى شَرْحِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَرُدَا عِنْدَهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ عَنْ حُكْمِ  
 الصَّنَائِعِ فَكَمَا لَا يَتَدَبَّرُ مَا مِنْهُ الْخَشَبُ وَالْحَيَوَانُ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ خَشْبًا أَوْ حَيَوَانًا  
 فِيمَا سَدَا مَجْرَى تَخْلِيْقِهِ كَذَلِكَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَهَبٌ مِنْ مَادَّةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا  
 يَتَغَيَّرُ طَرِيقُ عَادَتِهِ إِلَّا بِإِزْفَادِ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الطَّبَائِعِ وَعَمَلِ الصَّنَائِعِ فَكَذَلِكَ مَنْ  
 طَلَبَ الْكَيْدِيَاءَ طَلَبًا صِنَاعِيًّا ضَعَّفَ مَالَهُ وَعَمَلَهُ وَيُقَالُ لِهَذَا التَّدْبِيرِ الصِّنَاعِيِّ التَّدْبِيرُ  
 الْعَقِيمُ لِأَنَّ نَيْلَهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا فَهُوَ وَاقِعٌ مِمَّا وَرَاءَ الطَّبَائِعِ وَالصَّنَائِعِ كَالشَّيْءِ عَلَى  
 الْمَاءِ وَامْتِطَاءِ الْهَوَاءِ وَالتَّفُوذِ فِي كَثَائِفِ الْأَجْسَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ  
 الْخَارِقَةِ لِلْمَادَّةِ أَوْ مِثْلِ تَخْلِيْقِ الطَّيْرِ وَنَحْوِهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى وَإِذْ تَخَلَّقُ  
 مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهِ فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِ وَعَلَى ذَلِكَ فَسَبِيلُ تَسْبِيرِهَا  
 مُخْتَلَفٌ بِحَسَبِ حَالِ مَنْ يُؤْتَاهَا فَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَيُؤْتِيهَا غَيْرُهُ فَتَكُونُ عِنْدَهُ مَعَارَةً  
 وَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَلَا يَمْلِكُ إِيْتَاءَهَا فَلَا تَتِمُّ فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَكُونُ  
 عَمَلُهَا سَعْرِيًّا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَقَعُ بِتَأْثِيرَاتِ النُّفُوسِ وَخَوَارِقِ الْعَادَةِ إِمَّا مُعْجَزَةً أَوْ

سِعْرًا وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِتْقَانًا لَا يَطْفُرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ لِحَبَّةٍ  
 مِنْ عِلْمِ السِّعْرِ وَأَطَّلَعَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرَقِ الْعَادَةِ غَيْرُ  
 مُتَحَصِّرَةٍ وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَاطٍ وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَمِلُ عَلَى  
 التَّمَسُّكِ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ وَاتِّحَالُهَا هُوَ كَمَا قُلْنَا أَلْتَجَزُّ عَنِ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالْفَلَاحَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ فَيَتَصَعَّبُ الْعَاجِزُ  
 ابْتِغَاؤُهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرُومُ الْحُصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ دَفْعَةً بِوُجُوهٍ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ  
 مِنَ الْكَيْمِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يُعْنَى بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنَ أَهْلِ الْعُرْمَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُتَكَلِّمِينَ فِي انْكَارِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا فَإِنَّ ابْنَ سِينَةَ الْقَائِلَ بِاسْتِحَالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوُزْرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالْفَارَابِيُّ الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمْ  
 أَدَبُ بُلْغَةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ نُهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ الثُّنُوسِ الْمَوْلَعَةِ بِطَرَفِهَا  
 وَاتِّحَالِهَا وَاللَّهُ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل

إِعْلَمَ أَنَّهُ مِمَّا أَضْرَّ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُفُوفِ عَلَى غَايَتِهِ كَثْرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَاخْتِلَافُ الْأِصْطِلَاحَاتِ فِي التَّعَالِيمِ وَتَعَدُّ طُرُقِهَا ثُمَّ مَطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيذِ بِاسْتِخْضَارِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَأَلُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيُحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِفْظِهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَبِي عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَبَقَعَ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُونَ رُتْبَةَ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفِقْهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِالْكَتُبِ  
 الْمُدَوَّنَةِ مَثَلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّرُوحَاتِ الْفِقْهِيَّةِ مِثْلِ كِتَابِ ابْنِ بَرْنَسٍ وَاللُّغَمِيِّ  
 وَابْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيهَاتِ وَالْمَقْدَمَاتِ وَالْبَيَانَ وَالْحَصِيلِ عَلَى الْعَتَبِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقَبِيرِ وَأَيَّةٍ مِنَ الْقَرُطِيبِيَّةِ  
 وَالْبَغْدَادِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةَ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَأَلُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفَتْوَى وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالِبٌ بِاسْتِخْضَارِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ أَقْتَصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَقَطْ لَكُنَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ الْعِلْمُ سَهْلًا وَمَا خَذَهُ



قريباً ولكنه دأب لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالتبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويرها ويمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحارث وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هاشم ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتهما لعظم ما كتبه وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل على أن الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا نادر من نادر الوجود وإلا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

### الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها بزناجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخللاً بالبلاغة وعسراً على الفهم ورُبما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فأختصروها تقريباً للخِظ كما فعله ابن الحارث في الفقه وابن مالك في العربية والحنفي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلالٌ بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتديء باللقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سياتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع الفاظ الاختصار العويضة للفهم يتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل

مِنْ بَيْنِهَا لِأَنَّ الْفَاطَ الْمُخْتَصِرَاتِ تَجِدُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ صَعْبَةً عَوِيبَةً فَيَنْقَطِعُ فِي فَهْمِهَا حَظُّ  
صَالِحٍ عَنِ الْوَقْتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ مِنَ التَّعْلِيمِ فِي تِلْكَ الْمُخْتَصِرَاتِ إِذَا  
تَمَّ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْقِبْهُ آفَةٌ فِيهِ مَلَكَةٌ فَاصِرَةٌ عَنِ الْمَلَكَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنَ  
الْمَوْضُوعَاتِ الْبَسِيطَةِ الْمُطَوَّلَةِ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ مِنَ التَّكْرَارِ وَالْإِحَالَةِ الْمُفِيدِينَ  
لِحُصُولِ الْمَلَكَةِ النَّامَةِ وَإِذَا انْتَصَرَ عَلَى التَّكْرَارِ قَصُرَتْ الْمَلَكَةُ لِقَلْبِهِ كَمَا نَبَّأَتْ  
هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَصِرَةَ فَقَصِدُوا إِلَى تَسْهِيلِ الْخِطِّ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَأَزْكَوهُمْ صَعْبًا  
يَقْطَعُهُمْ عَنِ تَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ النَّافِعَةِ وَتَمَكَّنِيهَا فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ  
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعْلَمُ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِجِ شَيْئًا  
فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يَلْقَى عَلَيْهِ أَوْلًا مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ  
وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ وَأَسْتَعْدَادُهُ لِقَبُولِ  
مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَغَائِبَةٌ أَنَّهَا هِيَ أَهْلُهَا لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنِ تِلْكَ الرَّثْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ  
وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكَرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَّ فَلَا يَتْرُكُ عَوِيبًا وَلَا مَهْمًا  
وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا  
وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ الْبَعْضُ  
فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَسَرُّ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ  
لِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ وَيُحْضِرُونَ لِتَعْلِيمِ فِي أَوَّلِ  
تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَيَطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَيَحْسِرُونَ ذَلِكَ  
مِرَاتًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ رَعِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَلْقَوْنَ  
لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِيهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ

لِتَهَيِّجَ نَفْسًا تَدْرِيهَا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْحَسِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْأَسْتَعْدَادُ فِيهِ  
يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِسْتَعْدَادُ ثُمَّ فِي  
الْتَحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا أُفْقِتَ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائِعِ وَهُوَ حِينَئِذٍ  
عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْأَسْتَعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذَهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا آتَى  
ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ  
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدَأًا كَانَ أَوْ مُنْتَهَى وَلَا يَخْلُطُ  
مَسَائِلَ الْكِتَابِ بغيرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحْصِلَ أَغْرَاضَهُ وَيَسْتَوْلِي مِنْهُ  
عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنْفَعُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةٌ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الزَّيْدِ وَالنُّهُوسِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
يَسْتَوْلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ  
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَبْسُ مِنْ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوَّلَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا  
بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النَّسِيَانِ وَانْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَيُفْسِدُ حُصُولُ  
الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الْفِكْرَةِ نَجَابَةٌ  
لِلنَّسِيَانِ كَانَتْ الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ اِرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِنَّمَا تُحْصَلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تَنَوَّسِيَ الْفِعْلُ تَنَوَّسَتِ الْمَلَكَةُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ  
وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجَمِيلَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي  
التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ الْبَالِ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَقْهِمِ الْآخَرِ فَيَسْتَعْلِقَانِ مَعًا  
وَيَسْتَضَعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِالْخَبِيَةِ وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِتَحْصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلْهَوْفَقِيُّ الصَّوَابِ . وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ  
أَنِّي أَتَيْتُكَ بِفَائِدَةٍ فِي تَعْلِيمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَهَرَتْ  
بِكَثْرَةِ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةِ شَرِيفَةٍ وَأَقْدَمُ لَكَ مُقَدِّمَةٌ تُعِينُكَ فِي فَهْمِهَا وَدَلِيلٌ أَنَّ الْفِكْرَ

الْإِنْسَانِيَّ طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مُبْتَدَعَاتِهِ وَهُوَ وَجَدَانُ حَرَكَةِ النَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ تَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ الْأَنْفَعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ لِعِلْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ يُصَوِّرُ طَرَفِيهِ  
 يَرُومُ نَفِيَّةً أَوْ إِثْبَاتِيَّةً فَيَلُوحُّ لَهُ الْوَسْطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَمْرَعٌ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَيَصِيرُ إِلَى الظَّنِّ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنٌ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ الْفِكْرِيَّةُ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ الصَّنَاعَةُ  
 الْمَنْطِقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةٌ فَعَلِ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ الْفِكْرِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ تَصِفُهُ لِنَعْلَمَ سَدَادَهُ مِنْ خَطَائِهِ  
 وَأَنْبَاقِهَا وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَعْرَضُ لَهَا الْخَطَأُ فِي الْأَقْلِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرْفَيْنِ عَلَى غَيْرِ صُورَتَيْهِمَا مِنْ أَشْبَاهِ الْأَهْمِيَّاتِ فِي نِظْمِ الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلتَّنَاجِ فَتُعِينُ  
 الْمَنْطِقَ لِلتَّخْلِصِ مِنْ وَرْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَضَ فَالْمَنْطِقُ إِذَا أَمْرٌ صِنَاعِيٌّ مُسَاقٍ  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمَنْطِقِيٌّ عَلَى صُورَةٍ فَعَلِيًّا وَلِكُونِهِ أَمْرًا صِنَاعِيًّا اسْتَفْتِيٌّ عَنْهُ فِي الْأَكْثَرِ  
 وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ فُعُولِ النَّظَارِ فِي الْخَلِيقَةِ يَحْصُلُونَ عَلَى الْمَطَالِبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَلَا سِيَّمَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالْتِعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْبَرُ مَعْنَى  
 وَيَسْلُكُونَ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سَدَادِهَا فَيَفْضِي بِالطَّبَعِ إِلَى حُسُولِ الْوَسْطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونِ هَذَا الْأَمْرِ الصِّنَاعِيِّ الَّذِي هُوَ الْمَنْطِقُ  
 مُقَدِّمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعَلُّمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَانِي الدَّهْنِيَّةِ تَرُدُّهَا مِنْ  
 مُشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمُشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخَطَابِ فَلَا بُدَّ أَيُّهَا الْعَلِيمُ مِنْ مُجَاوَزَتِكَ  
 هَذِهِ الْحُجُبِ كُلِّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوْلَادُ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْمَقُولَةِ وَهِيَ أَخْتَمُ ثُمَّ دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ الْمَقُولَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَائِدُ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعَانِي لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَالِبِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ ثُمَّ تِلْكَ الْمَعَانِي مُجْرَدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ اشْتِرَاطًا يُقْتَضَى بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالْتِعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْحُجُبَ فِي التَّعَلُّمِ بِسَهُولَةٍ  
 بَلْ رُبَّمَا وَقَفَ الذِّهْنُ فِي حُجُبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُنَاقَشَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي اشْتِرَاكِ الْأَدَلَّةِ بِشَغْبِ  
 الْجِدَالِ وَالشُّبُهَاتِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكْذِبْ يَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَةِ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِمَّنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَإِذَا أَبْتَلَيْتَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ لَكَ أَرْبَابُكَ فِي فَهْمِكَ أَوْ

تَشْبِيهِ الشُّبُهَاتِ فِي ذَهْنِكَ فَأَطْرَحَ ذَلِكَ وَأَتَيْدَ حُجْبِ الْأَلْفَاظِ وَعَوَاتِقِ الشُّبُهَاتِ  
وَأَتْرَكَ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلَصَ إِلَى فِضَاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرَتْ عَلَيْهِ  
وَسَرَّحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَقَرَّبَعَ ذَهْنَكَ فِيهِ لِلْفَوْصِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ وَأَضِعَا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَرُ النَّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَهْنِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ  
بِالظَّفْرِ بِمَطْلُوبِكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسَطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
وَنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا هُ وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدْلَةِ وَصُورِهَا فَأَفْرِغْ فِيهَا  
وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنَ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَمَكْسُهُ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالَمِ الْخُطَابِ  
وَالْمُشَافَهَةِ وَثَبِّقِ الْعُرَى صَحِيحَ الْبَيَانِ وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدْلَةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَخَيُّصِ صَوَابِهَا مِنْ خَطَائِهَا وَهَذِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ تَسْتَوِي جِهَاتُهَا  
الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالْإِضْطِلَاحِ فَلَا تَسْمِيزُ جِهَةً الْحَقِّ مِنْهَا إِذْ جِهَةٌ  
الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ إِذَا كَانَتْ بِالطَّبِيعِ فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشُّكِّ وَالِازْتِيَابِ وَتُسَدَّلُ  
الْحُجْبُ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النَّظَارِ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ سِيمَا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ عَجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ فَرَبَطَتْ عَنْ ذَهْنِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شُغْبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمُنْطَقِيِّ تَعَصَّبَ لَهُ فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ الذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبِيعِ فَيَقَعُ فِي  
الْحَيْرَةِ بَيْنَ شُبُهَةِ الْأَدْلَةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبِيعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جُرِدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ النَّظَارُ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمُنْطَقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِمَعْمَلِ هَذَا الْفِكْرِ فَيُسَاوِقُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَأَسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوذُكَ فَهَمْ الْمَسَائِلِ  
تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلْهَامِ إِلَى الصُّرَابِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات  
كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهييات

من الفلسفة وعلوم هي وسيلة آية لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات  
 كالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين  
 فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل  
 واستكشاف الأدلة والأنظار فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا  
 لمعانيها المقصودة وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا  
 ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا  
 تفرغ المسائل لأن ذلك يخرج لها عن المقصود إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير  
 فكلمة خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه  
 من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن  
 تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن  
 تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر  
 وشغلا بما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول  
 الفقه لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفريع والاستدلالات بما  
 أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها أنظار لا حاجة بها في  
 العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي أيضا مضرّة بالمتعلمين على الإطلاق لأن  
 المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فإذا قطعوا  
 العمر في تحصيل الوسائل فحتى يظفرون بالمقاصد فلماذا يجيب على المتعلمين لهذه  
 العلوم الآلية أن لا يستجروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده  
 فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل فليترك له ما شاء من المراتي صعبا  
 أو سهلا وكل ميسر لما خلق له

### الفصل الواحد والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه  
 في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رُسوخ الإيمان وعقائده من  
 آيات القرآن وبعض مشون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه

مَا يَحْصُلُ بَعْدَ مِنَ الْمَمْلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصِّغَرِ أَشَدُّ رُسُوخًا وَهُوَ  
 أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَمْلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
 وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَنْبَنِي عَلَيْهِ وَأَخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
 وَأَخْتَلَفَهُمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَمْلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 فَمَذْهَبُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْإِقْتِصَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطْ وَأَخَذَهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَارَسَةِ  
 بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَأَخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْلُطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
 مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ لِأَنَّ حَدِيثَ وَلَا مِنْ فَهْمِهِ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
 يَحْتَقَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
 مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَرْبَرِ أُمَّةِ الْمَغْرِبِ فِي وِلْدَانِهِمْ  
 إِلَى أَنْ يَجَاوِزُوا وَاحِدَ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّبَابِ وَكَذَا فِي الْكَبِيرِ إِذَا رَجَعَ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ  
 يَعَدُّ طَائِفَةً مِنْ عُمُرِهِ فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْوَمُ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَنْدَلُسِ فَمَذْهَبُهُمْ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُرَاعُونَهُ فِي  
 التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأَسَسَهُ وَمَنْبَعَ الدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
 فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَطْ بَلْ يَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ رِوَايَةَ الشِّعْرِ  
 فِي الْغَالِبِ وَالتَّرْسُلَ وَأَخَذَهُمْ بِقَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
 تَخْتَصُّ عَنْبَاتِهِمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمُرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
 الشَّبَابِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ وَالْبَصْرِ بِهِمَا وَبَرَزَ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
 وَتَمَلَّقَ بِأَذْيَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدٌ لِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَنْقَطِعُونَ عَنْ  
 ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي آفَاقِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةُ لِمَنْ أَرَشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْتَعْدَادُ إِذَا وَجِدَ الْمُعَلِّمُ وَأَمَّا  
 أَهْلُ أَرْبِقِيَّةٍ فَيَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَارَسَةَ قَوَائِنِ  
 الْعُلُومِ وَتَلْقِينَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عَنْبَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَأَسْتَنْظَارَ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
 عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعَنْبَاتِهِمْ بِالْخَطِّ تَبَعٌ لِذَلِكَ وَبِالْجُمْلَةِ  
 فَطَرِيقَهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَقْرَؤُا بِتُونِسَ وَعَنْهُمْ  
 أَخَذَ وِلْدَانَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْلُطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا بَلَّغْنَا

وَلَا أُدْرِي بِمِ عِنَايَتِهِمْ مِنْهَا وَالَّذِي يَنْقُلُ لَنَا أَنَّ عِنَايَتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ  
 وَقَوَائِنِهِ فِي زَمَنِ الشَّيْبَانِيَّةِ وَلَا يَخْطِطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
 وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى أَنْفِرَادِهِ كَمَا نُتَعَلَّمُ سَائِرَ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَائِبِ الصِّبْيَانِ وَإِذَا  
 كَتَبُوا لَيْسَ الْأَلْوَاحَ فَيَخْطِطُ قَاصِرٍ عَنِ الْإِجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدَرِ مَا يَسْنَعُ  
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْمَةِ فِي طَلَبِهِ وَيَتَّبِعِهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ أُفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
 فَأَقَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورُ عَنْ مَلَكَتِ اللِّسَانِ جُمْلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
 يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْغَالِبِ مَلَكَتُ لِمَا أَنَّ الْبَشَرَ مَصْرُوفُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِعَثَلِهِ فُهُمْ مَصْرُوفُونَ  
 لِذَلِكَ عَنِ الْأَسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيْبِهِ وَالْإِحْتِذَاءِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكَتُ فِي غَيْرِ أَسَالِيْبِهِ  
 فَلَا يَحْتَمِلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكَتُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحِظَةُ الْجُمُودِ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّنَصُّرُفِ  
 فِي الْكَلَامِ وَزَبْمًا كَانَ أَهْلُ أُفْرِيقِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَخَفَّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يَخْطِطُونَ  
 فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَائِنِهَا كَمَا قُلْنَا فَيَقْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
 التَّنَصُّرُفِ وَمُحَاذَاةِ الْعَمَلِ بِالْعَمَلِ إِلَّا أَنَّ مَلَكَتَهُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
 سَيَأْتِي فِي فَصْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَقَادَهُمُ التَّفَنُّنُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رِوَايَةِ الشُّعْرِ  
 وَالتَّرْسُلُ وَمُدَارَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ حُصُولَ مَلَكَتِ صَارُوا بِهَا أَعْرَفَتْ فِي  
 اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصَّرُوا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
 أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حِظٍّ وَأَدَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
 يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصَّبِيِّ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
 كِتَابِ رِحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرِيبَةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَأَ وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
 الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشُّعْرَ دِيْوَانُ  
 الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَقْدِيمِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادَ الْأَعْيُنُ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
 إِلَى الْحِسَابِ فَيَتَمَرَّنُ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَائِنَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَسَرَّرُ  
 عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَقْدَمَةِ ثُمَّ قَالَ وَيَا غَفْلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصَّبِيُّ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
 أَوَامِرِهِ يَقْرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيَنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَهْمٌ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أُصُولِ  
 الدِّينِ ثُمَّ أُصُولِ الْفِقْهِ ثُمَّ الْجَدَلِ ثُمَّ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ وَنَهَى مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَخْطِطَ فِي التَّعْلِيمِ  
 عِلْمَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَعَلِّمُ قَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْفَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي



أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لَعَمْرِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ لَا تَسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلَكُ  
 بِالْأَحْوَالِ وَوَجْهٌ مَا أَخْنَصَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنْ نَتْمُدُّ دِرَاسَةَ الْقُرْآنِ إِشَارًا لِلتَّبَرُّكِ وَالشُّوَابِ  
 وَخَشْيَةِ مَا يَعْزُضُ لِلْوَلَدِ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْقَوَاطِعِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَفُوتُهُ الْقُرْآنُ  
 لِأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجْرِ مُنْقَادٌ لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَأُنْحَلَّ مِنْ رِبْقَةِ الْقَهْرِ قَرُبَمَا  
 عَصَفَتْ بِهِ رِيَاحُ الشَّدِيدَةِ فَأَلْقَتْهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَغْتَنِمُونَ فِي زَمَانِ النَّجْرِ وَرِبْقَةِ  
 الْحُكْمِ تَحْصِيلَ الْقُرْآنِ لِيَلَّا يَذْهَبَ خُلُوعًا مِنْهُ وَلَوْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِمْرَارِهِ فِي طَلَبِ  
 الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّعْلِيمِ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوْلَى مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ  
 الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُشَاءُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وَذَلِكَ أَنَّ إِزْهَافَ الْخُدَايَ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّعْلِيمِ سِيمَا فِي أَصَاغِرِ التُّوَلَدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ  
 الْمَلَكَةِ وَمَنْ كَانَ مَرَبَاهُ بِالْعَسْفِ وَالْقَهْرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوْ الْمَمَالِكِ أَوْ الْخُدَمِ  
 سَطَا بِهِ الْقَهْرُ وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي أَنْبَاطِهَا وَذَهَبَ بِشَاطِئِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَحَمَلَ  
 عَلَى الْكُذِبِ وَالْخُبْثِ وَهُوَ التَّظَاهَرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْبَاطِ الْأَيْدِي بِالْقَهْرِ  
 عَلَيْهِ وَعَلِمَهُ الْمَكْرَ وَالْخُدَيْعَةَ لِذَلِكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةٌ وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَانِي  
 الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْإِجْتِمَاعُ وَالتَّمَرُّنُ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنِ نَفْسِهِ وَمَنْزِلِهِ  
 وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلْ وَكَسَلَتْ النَّفْسُ عَنِ أَكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ  
 الْجَمِيلِ فَأَنْقَبَضَتْ عَنْ غَابِئِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا فَازْتَكَسَتْ وَعَادَ فِي أَهْلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا  
 وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْقَهْرِ وَنَالَ مِنْهَا الْعَسْفُ وَأَعْتَبَرَهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ  
 أَمْرَهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَلَكَةُ الْكَافِلَةَ لَهُ رَفِيقَةً بِهِ وَتَجِدُ ذَلِكَ فِيهِمْ اسْتِقْرَاءً  
 وَانظُرْهُ فِي الْيَهُودِ وَمَا حَمَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِتْمَمَ يَوْصِفُونَ فِي كُلِّ  
 أَفْقٍ وَعَصْرٍ بِالْحَرَجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ التَّخَابُثُ وَالْكَيدُ وَسَبَبُهُ مَا قُلْنَا  
 فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي مُتَعَلِّمِهِ وَالْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِمَا فِي التَّأْدِيبِ وَقَدْ قَالَ  
 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي  
 لِمُرْدِبِ الصِّبْيَانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَبَثًا وَمِنْ

كَلَامِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ بِهِ الشَّرْعَ لَا آدَبَهُ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى صَوْنِ النَّفْسِ  
عَنْ مَدْلَةِ التَّأْدِيبِ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْمَقْدَارَ الَّذِي عَيْنُهُ الشَّرْعُ لِذَلِكَ أَمَّا لَهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَصْلَحَتِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَذَاهِبِ التَّعْلِيمِ مَا نَقَدَّمَ بِهِ الرَّشِيدُ لِعُلَمَائِهِ وَأَمِيرِهِ مُحَمَّدِ الْآمِنِ  
فَقَالَ يَا أَحْمَرَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مَعْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ  
مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً وَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْرَنَةَ الْقُرْآنِ  
وَعَرَفَةَ الْأَخْيَارِ وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ وَعَلِمَةَ الْأَسْنَانَ وَبَصِيرَةَ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدِيهَةَ وَأَمْنَةَ  
مِنَ الضَّحْكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَرَفِعِ  
مَجَالِسِ الْقَوَادِرِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ وَلَا تَمُرَنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَائِدَةً تُؤَيِّدُهُ  
إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ فَتَمِيتَ ذَهْنَهُ وَلَا تُنَمِّنَنَّ فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَجْلِبِي الْفَرَاغَ وَيَأْتِيَهُ  
وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعَتْ بِالْقُرْبِ وَاللَّابِنَةِ فَإِنَّ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْعَاطِفَةِ انْتَهَى

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَ بِهِ مِنَ  
الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ تَارَةً عِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَإِقَاءً وَتَارَةً مُحَاكَاةً وَتَأْقِينًا بِالْمُبَاشَرَةِ إِلَّا أَنْ  
حُصُولَ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ أَشَدُّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوخًا فَعَلَى قَدْرِ  
كَثْرَةِ الشُّبُوحِ يَكُونُ حُصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوخَهَا وَالْأَصْطِلَاحَاتِ أَيْضًا فِي تَعْلِيمِ  
الْعُلُومِ مَخْلُطَةً عَلَى الْمُتَعَلِّمِ حَتَّى أَقْدَ بَظُنِّ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ  
ذَلِكَ إِلَّا مَبَاشَرَتَهُ لِاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِيهَا مِنَ الْمُعَلِّمِينَ فَاقْبَلْ أَهْلَ الْعُلُومِ وَتَعَدَّدِ الْمَشَائِخِ  
يُفِيدُهُ تَمْيِيزَ الْأَصْطِلَاحَاتِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ اخْتِلَافِ طُرُقِهِمْ فِيهَا فَيَجْرِدُ الْعِلْمَ عَنْهَا وَيَعْلَمُ  
أَنَّهَا أَنْحَاءُ تَعْلِيمٍ وَطُرُقُ نُوصِلُ وَتَنْهَضُ قُوَاهُ إِلَى الرُّسُوخِ وَالْإِسْتِحْكَامِ فِي الْمَكَانِ  
وَتُصَحِّحُ مَعَارِفَهُ وَتُمَيِّزُهَا عَنْ سِوَاهَا مَعَ تَقْوِيَةِ مَلَكَتِهِ بِالْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ وَكَثْرَتِهِمَا  
مِنَ الْمَشِيخَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِهِمْ وَتَنَوُّعِهِمْ وَهَذَا لِمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ طُرُقَ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةَ  
فَالرَّحْلَةَ لَا بَدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِأَكْتِسَابِ الْقَوَائِدِ وَالْكَامِلِ بِلِقَاءِ الْمَشَائِخِ وَبِالْمُبَاشَرَةِ  
الرَّجَالِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْفَوْصَ عَلَى الْمَعْنَى وَانْتِزَاعَهَا  
 مِنَ الْحَسُوسَاتِ وَتَجَرِيدَهَا فِي الذِّهْنِ أُمُورًا كَالِيَّةَ عَامَةً لِيُحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُمُومِ  
 لَا بِمُخْصُوصِ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ الْكَلِمَةَ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَيْضًا يَقْبِضُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ  
 مِنَ الْقِيَاسِ الْفِقْهِيِّ فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُنْهًا فِي الذِّهْنِ وَلَا تَصِيرُ إِلَى  
 الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ النَّبْذِ وَالنَّظَرِ وَلَا تَصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّغُ  
 مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذِّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ عَمَّا فِي الْحَقُوقِ  
 مِنْ أَدَاةِ الْكُتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْلُبُ مُطَابَقَةَ مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسَ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ  
 الَّتِي تَطْلُبُ فِي صَحِّهَا مُطَابَقَتَهَا لِمَا فِي الْخَارِجِ فَهِيَ مُتَعَوِّدُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمُ الْأُمُورَ الذِّهْنِيَّةَ  
 وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةَ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا  
 يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَيَتَّبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَمْنَعُ مِنَ الْخَافِئِ بِشَبْهِهِ أَوْ  
 مِثَالِ وَبِنَا فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي يُحَاوَلُ تَطْبِيقَهُ عَلَيْهَا وَلَا يَقَاسُ شَيْءٌ مِنَ أَحْوَالِ الْعُمُرَانِ عَلَى  
 الْآخِرِ كَمَا أَشْتَبَهَا فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ فَلَعَلَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا  
 تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ  
 افْتَرَعُوا ذَلِكَ فِي قَالِبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوْعِ اسْتِدْلَالِهِمْ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ كَثِيرًا وَلَا  
 يُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِنَ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِأَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ  
 بِثُوبِ أَذْهَانِهِمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْفَوْصِ عَلَى الْمَعْنَى وَالْقِيَاسِ وَالْحَمَاكَةِ  
 فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ وَالْعَامِي السَّاجِمُ الطَّبَعِ الْمَثْوَسِطِ الْكَيْسِ لِقْصُورِ فِكْرِهِ عَنِ ذَلِكَ  
 وَعَدَمِ اعْتِبَادِهِ إِيَّاهُ بِقِتْصَرِ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ  
 وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا أَخْصَصَ بِهِ وَلَا يَعْدِي الْحُكْمَ بِقِيَاسٍ وَلَا تَعْمِيمٍ وَلَا يَفَارِقُ فِي أَكْثَرِ  
 نَظَرِ الْمَوَادِّ الْحَسُوسَةِ وَلَا يَجَاوِزُهَا فِي ذَهْنِهِ كَالسَّاجِمِ لَا يَفَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ  
 قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تُوَعِّلَنَّ إِذَا مَا سَجَّتْ مَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي مُعَامَلَةِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ فَيَحْسُنُ  
مَعَاشَهُ وَتَنْدَفِعُ آفَاتُهُ وَمَضَارُهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ  
أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَنْطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْفَلَطُ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْتِزَاعِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْحَسُوسِ  
فَإِنَّهَا تَنْظُرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَابِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يَمَانِعُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَاقِضُهَا  
عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الْيَقِينِيِّ وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأُولَى وَهِيَ الَّتِي تَجَرُّبُهَا قَرِيبٌ  
فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْحَسُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدِّنَةٌ بِتَصْدِيقِ أَنْطِقِيَّاتِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم  
مِنَ الْغَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْعِلْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنَ  
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
نِسْبَتِهِ فَهُوَ عَجَمِيٌّ فِي لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيجِهِ مَعَ أَنَّ الْعِلْمَةَ عَرَبِيَّةٌ وَصَاحِبُ شَرِيحَتِهَا عَرَبِيٌّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِهَتْفِضِ أَحْوَالِ  
السَّادَجَةِ وَالْبِدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَتَوَاهِيهِ كَانَ الرِّجَالُ  
يَنْقَلُبُونَهَا فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا خَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَقَوَّاهُ مِنْ صَاحِبِ  
الْشَّرْعِ وَأَوْصِيَاءِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَلَا  
دَفَعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتُهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانُوا  
يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِبِينَ بِحَمَلِ ذَلِكَ وَنَقَلَهُ إِلَى الْفُرَّاءِ أَيِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَيَلْسُونُ أَمِينًا  
لِأَنَّ الْأَمِيَّةَ يَوْمئِذٍ صِنْفٌ عَامٌّ فِي الصَّحَابَةِ بِمَا كَانُوا عَرَبًا قَبِيلَ حِمْلَةَ الْقُرْآنِ يَوْمَئِذٍ قُرْآنًا  
أَشَارَةً إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرْآنًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرٌ لَهُ وَشَرَحٌ  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعَدَ النُّقْلُ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فَمَا بَعْدَ أَخْبِيجَ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
وَتَقْيِيدِ الْحَدِيثِ مَخَافَةَ ضَيَاعِهِ ثُمَّ أَخْبِيجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاظِلِينَ لِلتَّمْيِيزِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَأَقِيعَاتِ مِنَ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَسَدَ مَعَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَأَخْبِجَ إِلَى وَضْعِ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ وَصَارَتْ  
 الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَلَكَاتٍ فِي الْأَسْتِنْبَاطَاتِ وَالْإِسْتِخْرَاجِ وَالْتَنْظِيرِ وَالْقِيَاسِ  
 وَأَحْتَاجَتْ إِلَى عُلُومٍ أُخْرَى وَهِيَ الْوَسَائِلُ لَهَا مِنْ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَانِينِ ذَلِكَ  
 الْأَسْتِنْبَاطِ وَالْقِيَاسِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ لِكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ  
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا عُلُومًا ذَاتَ مَلَكَاتٍ مُتَحَاجَّةً إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَنْدَرَجَتْ فِي جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ مِنْ مُنْتَجَلِ الْحَضَرِ وَأَنَّ الْعَرَبَ أَعْبَدَ النَّاسَ عِنْدَهَا  
 فَصَارَتْ الْعُلُومُ لِذَلِكَ حَضَرِيَّةً وَبَعْدَ عِنْدَهَا الْعَرَبُ وَعَنْ سُوقِهَا وَالْحَضَرُ لِذَلِكَ الْعَرَبُ  
 الْعَجَمُ أَوْ مَنْ هُمْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْمَوَالِي وَأَهْلُ الْخَوَاصِرِ الَّذِينَ هُمْ يَوْمئِذٍ تَبِعَ الْعَجْمَ فِي  
 الْحَضَارَةِ وَأَحْوَالِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْحَرْفِ لِأَنَّهُمْ أَقَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ لِلْحَضَارَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ  
 مُنْذُ دَوْلَةِ الْفُرْسِ فَكَانَ صَاحِبُ صِنَاعَةِ النَّحْوِ سَابِقِيهِ وَالْفَارِسِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَلْزَجَّاجٌ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا وَكُلُّهُمْ عَجْمٌ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنَّمَا رُبُّوا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْتَسَبُوهُ بِالْمَرْبِيِّ  
 وَمُخَالَطَةِ الْعَرَبِ وَصِرُوهُ قَوَانِينِ وَفَنَاءِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَكَذَا حَمَلَةُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ حَفِظُوهُ عَنْ  
 أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمْ عَجْمٌ أَوْ مُسْتَعِجِمُونَ بِاللُّغَةِ وَالْمَرْبِيِّ وَكَانَ عُلَمَاءُ أُصُولِ الْفِقْهِ  
 كُلُّهُمْ عَجْمًا كَمَا يُعْرَفُ وَكَذَا حَمَلَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَلَمْ يَقُمْ  
 بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ إِلَّا الْأَعَاجِمُ وَظَهَرَ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ  
 بِأَكْثَفِ السَّمَاءِ لَنَالَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الْحَضَارَةَ  
 وَسُوقَهَا وَخَرَجُوا إِلَيْهَا عَنِ الْبِدَاوَةِ فَشَغَلَتْهُمْ الرِّئَاسَةُ فِي الدَّوْلَةِ وَحَامِيَّتُهَا وَأُولَى سِيَاسَتِهَا  
 مَعَ مَا يَلْتَقِمُهُمْ مِنَ الْأَلْفَةِ عَنِ انْتِحَالِ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ بِمَا صَارَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالرُّؤَسَاءِ  
 أَبَدًا يَسْتَنْكِفُونَ عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْمِهِنِ وَمَا يُعْجَرُ إِلَيْهَا وَدَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ  
 الْعَجْمِ وَالْمَوْلِدِينَ وَمَا زَالُوا يَرَوْنَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِهِ فَإِنَّهُ دِينُهُمْ وَعُلُومُهُمْ وَلَا يَحْتَقِرُونَ  
 حَمَلَتَهَا كُلَّ الْأَحْتِقَارِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ الْعَرَبِ جُمْلَةً وَصَارَ لِلْعَجْمِ صَارَتْ الْعُلُومُ  
 الشَّرْعِيَّةُ غَرِيبَةً النَّسَبِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَلِكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَعْدِ عَنِ نِسَبَتِهَا وَأَمْتِنَ حَمَلَتَهَا  
 بِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ بَعْدَهُمْ مُسْتَعْلِبِينَ بِمَا لَا يُغْنِي وَلَا يُجِدِّي عَنْهُمْ فِي الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ  
 كَمَا ذَكَرْنَا فِي نَقْلِ الْمَرَاتِبِ الدِّيْنِيَّةِ فَهَذَا الَّذِي قَرَّرْنَاهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ حَمَلَةَ  
 الشَّرِيعَةِ أَوْعَامَتُهُمْ مِنَ الْعَجْمِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ أَيْضًا فَلَمْ تَظْهَرْ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ

تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ وَمُؤَانُوهُ وَأَسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَأَخْتَصَّتْ بِالْعَجْمِ وَتَرَكَتْهَا الْعَرَبُ  
وَأَنْصَرَفُوا عَنْ أَنْتِجَالِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمُعَرَبُونَ مِنَ الْعَجْمِ شَأْنِ الصَّنَائِعِ كَمَا قُلْنَا أَوْلًا  
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتِ الْحِضَارَةُ فِي الْعَجْمِ وَبِلَادِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ تِلْكَ الْأَمْصَارُ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحِضَارَةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي  
حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجْمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلْتُمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَخْتَصَّ  
الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْحِضَارَةِ وَلَا أَوْفَرَ الْيَوْمَ فِي الْحِضَارَةِ مِنْ مِصْرَ فِيهِ أُمُّ الْعَالَمِ  
وَإِيوَانُ الْإِسْلَامِ رَيْنُوعُ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ وَبَقِيَ بَعْضُ الْحِضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
هُنَاكَ مِنَ الْحِضَارَةِ بِالدَّوَلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَهُمْ بِذَلِكَ حِصَّةٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تُنْكَرُ  
وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَأَلِيفِ وَصَلَتِ الْبِنَاءُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَارَانِيُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجْمِ فَلَمْ تَزَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ  
وَنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ كَلَامًا يُعْوَلُ عَلَى نِهَابَتِهِ فِي الْأِصَابَةِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلْهُ تَرَعْبِيًا  
فِي أَحْوَالِ الْخَلِيقَةِ وَأَنَّه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

## الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَرْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللَّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
الشَّرِيعَةِ إِذْ مَا خُذَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهِيَ بِلَاغَةُ الْعَرَبِ  
وَنَقْلَتُهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكَلَاتِهَا مِنْ لُغَاتِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَنْفَاوَتْ فِي التَّأَكِيدِ بِتَفَاوُتِ  
مَرَاتِبِهَا فِي التَّوْفِيَةِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسَبًا يَتَبَيَّنُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَأْتِي وَالَّذِي  
يَتَحَصَّلُ أَنَّ الْأَهْمَّ الْمَقْدَمَ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تُبَيَّنُ أَصُولُ الْمَقَاصِدِ بِالدَّلَالَةِ فَيُعْرَفُ  
الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَاهُ لَجُهِلَ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
اللُّغَةِ التَّقْدِيمُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةٌ فِي مَوْضُوعَاتِهَا لَمْ تَنْغَيِّرْ بِخِلَافِ الْإِعْرَابِ  
الدَّلَالَ عَلَى الْإِسْنَادِ وَالْمُسْتَدِّ وَالْمُسْتَدَّ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغْيِيرٌ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَلِذَلِكَ  
كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ فِي جِهَلِهِ الْإِخْلَالُ بِالتَّفَاهِمِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ

اللُّغَةُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

علم النحو

إِعْلَمُ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمُتَعَارِفِ هِيَ عِبَارَةُ الْمُتَكَلِّمِ عَنِ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ  
فِعْلٌ لِسَانِي فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْعُضْوِ الْفَاعِلِ لَهَا وَهُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ اصْطِلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتِ الْمَلَكَةُ الْخَاصِلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِذِلَّةِ غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَعَانِي مِنَ الْجَرُورِ أَعْنِي الْمُضَافَ وَمِثْلَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُفْعَلُ بِالْأَفْعَالِ إِلَى الذَّوَاتِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْلُفِ الْفَاطِئِ أُخْرَى وَابَسَ بُوْجُدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ  
اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاطِئِ تَخْصُهُ بِالذِّلَّةِ وَذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ  
النَّجْمِ مِنْ نَخَاطِبَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا تُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأَخْصِرَ لِي الْكَلَامُ أَخْصَارًا فَصَارَ لِلْحُرُوفِ فِي  
لُغَتِهِمْ وَالْحُرُوكَانَ وَالْمُهَيْتَاتِ أَيِ الْأَوْضَاعِ أَعْتِبَارًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرِ مُتَكَلِّفِينَ  
فِيهِ لِصِنَاعَةِ يَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنْ مَا هِيَ مَلَكَةٌ فِي السِّنِّيهِمْ بِأَخْذِهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ  
كَمَا تَأْخُذُ صَبِيَانًا لِهَذَا الْعَهْدِ لُغَاتِنَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَازَ لَطَّابِ الْمَلِكِ  
الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأُمَمِ وَالذُّوْلِ وَخَالَطُوا النَّجْمَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْمَلَكَةُ بِمَا أَلْقَى  
إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعْرَبِينَ وَالسَّمْعُ أَبُو الْمَلَكَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَفَسَدَتْ بِمَا  
أَلْقَى إِلَيْهَا مِمَّا يُغَايِرُهَا الْجُنُوحِيَا إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ السَّمْعِ وَخَشِيَ أَهْلُ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تَفْسُدَ  
تِلْكَ الْمَلَكَةُ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بِهَا فَيَنْغَالِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَفْهُومِ فَاسْتَنْبَطُوا  
مِنْ بَحَارِي كَلَامِهِمْ قَوَائِنَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مُطَرِّدَةً شَبِيهَ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقْبَسُونَ  
عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيَلْحِقُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلَ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ  
مَنْصُوبٌ وَالْمَبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَةَ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَأَمثال ذلك وَصَارَتْ كَلِمَاتُهَا  
اصْطِلَاحَاتٍ خَاصَةً بِهِمْ فَقَيَّدُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَعَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مَخْصُوصَةً وَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِعِلْمِ النُّحُوِّ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ مِنْ بَنِي كَبَائَةَ وَيُقَالُ  
بِإِشَارَتِهِ عَلَيْهِ رَفِيَّ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَفَرَعَ إِلَى

ضَبَطَهَا بِالْقَوَائِنِ الْحَاضِرَةِ الْمُسْتَفْرَاةِ ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ تَهَتَّ إِلَى  
 الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَرَاهِيدِيِّ أَيَّامَ الرَّشِيدِ وَكَانَ النَّاسُ أُحْرَجَ إِلَيْهَا لِذَهَابِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ  
 مِنَ الْعَرَبِ فَهَدَّبَ الصَّنَاعَةَ وَكَمَّلَ أَبْوَابَهَا وَأَخَذَهَا عَنْهُ سَيِّبِيهِ فَكَمَّلَ تَفَارِعَهَا وَأَسْتَكْتَرَتْ  
 مِنْ أَدْلِيهَا وَشَوَاهِدِهَا وَوَضَعَ فِيهَا كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي صَارَ إِمَامًا لِكُلِّ مَا كُتِبَ فِيهَا  
 مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ وَضَعَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَّاجُ كُتُبًا مُخْتَصِرَةً لِلْمُتَعَلِّمِينَ يَحْتَدُونَ  
 فِيهَا حَدِّ الْإِمَامِ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ طَالَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَحَدَّثَ اخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِهَا  
 فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْمِصْرَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ لِلْعَرَبِ وَكَثُرَتِ الْأَدَلَّةُ وَالْحِجَاجُ بَيْنَهُمْ وَتَبَايَنَتْ  
 الطَّرِيقُ فِي الْعِلْمِ وَكَثُرَ الْاِخْتِلَافُ فِي إِعْرَابِ كَثِيرٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ بِاِخْتِلَافِهِمْ فِي  
 تِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِمَذَاهِبِهِمْ فِي الْاِخْتِصَارِ  
 فَأَخْتَصَرُوا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الطُّولِ مَعَ اسْتِيعَابِهِمْ لِجَمِيعِ مَا نُقِلَ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي  
 كِتَابِ السَّهْلِ وَأَمثالِهِ أَوْ اقْتِصَارِهِمْ عَلَى الْمَبَادِي لِلْمُتَعَلِّمِينَ كَمَا فَعَلَهُ الرَّخْشَرِيُّ  
 فِي الْمَقْصَلِ وَابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمَقْدَمَةِ لَهُ وَرُبَّمَا نَظَمُوا ذَلِكَ نَظْمًا مِثْلَ ابْنِ مَالِكٍ فِي  
 الْأَزْجُورَتَيْنِ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى وَابْنُ مَعْطِيٍّ فِي الْأَزْجُورَةِ الْأَقْمِيَّةِ وَبِالْجَمَلَةِ فَالْتَأَلِيفُ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى أَوْ يُحَاطَبَ بِهَا وَطُرُقُ التَّعْلِيمِ فِيهَا مُخْتَلِفَةٌ فَطَرِيقَةُ  
 الْمُتَقَدِّمِينَ مُغَايِرَةٌ لَطَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْكُوفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ وَالْبَغْدَادِيُّونَ  
 وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ مُخْتَلِفَةٌ طَرَفُهُمْ كَذَلِكَ وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تُؤْذَنُ بِالذَّهَابِ لِمَا  
 رَأَيْنَا مِنَ النِّقْصِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِتِنَاقُصِ الْعُمَرَانِ وَوَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذِهِ الْعُصُورِ دِيْوَانٌ مِنْ مِصْرَ مَنْسُوبٌ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ مِنْ عُلَمَائِهَا اسْتَوْفَى  
 فِيهِ أَحْكَامَ الْاِغْرَابِ نَجْمَةً وَمُفَصَّلَةً وَتَكَاثُرًا عَلَى الْحُرُوفِ وَالْمُفْرَدَاتِ وَالْجَمَلِ  
 وَحَدَفَ مَا فِي الصَّنَاعَةِ مِنَ التَّمَكُّرِ فِي أَكْثَرِ أَبْوَابِهَا وَسَمَّاهُ بِالْمُهْنِيِّ فِي الْاِغْرَابِ  
 وَأَشَارَ إِلَى نِكْتِ اِغْرَابِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا وَضَبَطَهَا بِأَبْوَابِ وَفُصُولِ وَقَوَاعِدِ اِنْتِظَمَ  
 سَائِرُهَا فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ جَمٍّ يَشْهَدُ بِعُلُوِّ قَدْرِهِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَوُفُورِ بَضَاعَتِهِ  
 مِنْهَا وَكَأَنَّهُ يَنْحُو فِي طَرِيقَتِهِ مَنجَاةَ أَهْلِ الْمَوْصِلِ الَّذِينَ اقْتَفَوْا اثرَ ابْنِ جِنِّيٍّ وَاتَّبَعُوا  
 مُصْطَلَحَ تَعْلِيمِهِ فَأَتَى مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ عَجِيبٍ دَالٍّ عَلَى قُوَّةِ مَلَكَتِهِ وَأَطْلَاعِهِ وَاللَّهُ  
 يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ



## علم اللغة

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ بَيَانُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِي الْحَرَكَاتِ الْمَسْمُومَةِ عِنْدَ أَهْلِ النَّحْوِ بِالْأَعْرَابِ وَأَسْتَنْبَطَتِ الْقَوَائِنُ لِحِفْظِهَا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ اسْتَحْمَرَ ذَلِكَ الْفَسَادُ بِمَلَابَسَةِ الْعَجْمِ وَتَخَالُطِهِمْ حَتَّى تَأْدَى الْفَسَادُ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْأَلْفَاظِ فَأَسْتَعْمَلَ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مِثْلًا مَعَ هَجْتِ الْمُسْتَعْرَبِينَ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ الْمَخَالِفَةِ لِصَرِيحِ الْعَرَبِيَّةِ فَأَخْبِجَ إِلَى حِفْظِ الْمَوْضُوعَاتِ الْأَعْرَابِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَالتَّدْوِينِ خَشْيَةَ الدُّرُوسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَتَمَرَّ كَثِيرٌ مِنْ أُنْعَمَةِ اللِّسَانِ لِدَلِكِ وَأَمَلُوا فِيهِ الدَّوَائِينَ وَكَانَ سَابِقُ الْحَلْبَةِ فِي ذَلِكَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ أَلْفَ فِيهَا كِتَابَ الْعَيْنِ فَحَصَرَ فِيهِ مَرَكَبَاتِ حُرُوفِ الْعَجْمِ كُلَّهَا مِنَ الثَّنَائِيِّ وَالثَّلَاثِيِّ وَالرُّبَاعِيِّ وَالْخَمَاسِيِّ وَهُوَ غَايَةٌ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ التَّرْكِيبُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتَى لَهُ حَصْرُ ذَلِكَ بِوَجْهِ عَدِيدَةٍ حَافِزَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكَلِمَاتِ الثَّنَائِيَّةِ تَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَادِ عَلَى التَّوَالِي مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ وَهُوَ دُونَ نِهَائِهِ حُرُوفِ الْعَجْمِ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ مِنْهَا يُؤْخَذُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ سَبْعَةٌ وَعَشْرِينَ كَلِمَةً ثَنَائِيَّةً ثُمَّ يُؤْخَذُ الثَّنَائِيَّ مَعَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثُ وَالرُّبَاعُ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مَعَ الثَّمَانِ وَالْعِشْرِينَ فَيَكُونُ وَاحِدًا فَتَكُونُ كُلُّهَا أَعْدَادًا عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ فَتُجْمَعُ كَمَا هِيَ بِالْعَمَلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ ثُمَّ تَضَاعَفَ لِأَجْلِ قَلْبِ الثَّنَائِيِّ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ بَيْنَ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرٌ فِي التَّرْكِيبِ فَيَكُونُ الْخَارِجُ جُمْلَةَ الثَّنَائِيَّاتِ فِيمَا يَجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ لِأَنَّ كُلَّ ثَنَائِيَّةٍ يَزِيدُ عَلَيْهَا حَرْفًا فَتَكُونُ ثَلَاثِيَّةً فَتَكُونُ الثَّنَائِيَّةُ بِمَنْزِلَةِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَ الثَّنَائِيَّةِ فَتُجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَيُضْرَبُ فِيهِ جُمْلَةُ الثَّنَائِيَّاتِ ثُمَّ تَضْرَبُ الْخَارِجُ فِي سِتَّةٍ جُمْلَةً مَقْلُوبَاتِ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَيَخْرُجُ مَجْمُوعٌ تَرَكَيبِيًّا مِنْ حُرُوفِ الْعَجْمِ وَكَذَلِكَ فِي الرُّبَاعِيِّ وَالْخَمَاسِيِّ فَانْحَصَرَتْ لَهُ التَّرَاكِيِبُ بِهَذَا الْوَجْهِ وَرَتَّبَ أَبُو بَابٍ عَلَى حُرُوفِ الْعَجْمِ بِالترْتِيبِ الَّتِي تَعَارَفَ وَأَعْتَمَدَ فِيهِ تَرْتِيبَ الْخَارِجِ فَبَدَأَ بِحُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَخْرَاسِ ثُمَّ

الشفة وجعل حروف اللمة آخرًا وهي الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلقى بالعين  
 لأنه الأقصر منها فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية  
 دواوينهم إلى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ ثم  
 بين المفضل منها من المستعمل وكان المفضل في الرباعي والخماسي أكثر أقله  
 استعمال العرب له لتقلبه ولحق به الثاني لقلة دواته وكان الاستعمال في الثلاثي  
 أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدواته وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين  
 واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد  
 بالاندلس في المائة الرابعة فأختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المفضل  
 كله وكثيراً من شواهد المستعمل ولخصه للحفظ أحسن تلخيص وألفت الجوهري  
 من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها  
 بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لأضطرار الناس في  
 الأثر إلى أواخر الكلم وحصر اللغة اقتداءً بمحضر التحليل ثم ألفت فيها من الأندلسيين ابن  
 سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المعنى من الاستيعاب  
 وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لأشتاقات الكلم وتصاريفها فجاء من  
 أحسن الدواوين ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية  
 بنونس وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اختيار أواخر الكلم وبناء التراجم  
 عليها فكانا توأمي رحم وسليمي أبوة هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك  
 مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الأبواب أو لأكملها إلا  
 أن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رأيت ومن  
 الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزمخشري في التجار بين فيه كل ما تجوزت  
 به العرب من الألفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الإفادة  
 ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة الألفاظ  
 أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج إلى فقه في اللغة  
 عزيز المأخذ كما وضع الأبييض بالوضع العام لكل ما فيه يبيض ثم أخص ما فيه  
 يبيض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال

الأيض في هنيه كلها لحنًا وخرُوجًا عن لسان العرب وأخص بالتأليف في هذا المعنى  
 العالِي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكد ما يأخذ به الغوي نفسه  
 أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الأول بكاف في الترتيب  
 حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني  
 نظمه ونثره حدراً من أن يكثُر لحنه في الموضعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها  
 وهو أشد من اللحن في الإعراب والفحش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ  
 المشتركة وتكفل بحصرها وإن لم تبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مستوعب لئلا كثر  
 وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المختصة بالمتداول من اللغة الكثير  
 الاستعمال تسهيلاً لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفيصح  
 المتلب وغيرهما وبعضها أقل لغة من بعض الاختلاف نظرياً في الأمر على الطالب  
 الحفظ والله الخلاق العليم لا رب سواه

### علم البيان

هذا العلم حادث في العيلة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم الأساسية لأنه  
 مشتمل على الألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الأمور التي  
 يقصد المتكلم بها إفاضة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تُسند وتُسند  
 إليها ويفي بعضها إلى بعض والدالة على هذِهِ هي المفردات من الأسماء والأفعال  
 والحروف وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة وبدل عليها بتغير الحركات  
 من الإعراب وأبنية الكلمات وهذِهِ كلها هي صناعة النحو وبقي من الأمور  
 الممكنة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه  
 حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفاضة وإذا حصلت للمتكلم  
 فقد بلغ غاية الإفاضة في كلامه وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام  
 العرب فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يُخص به بعد كمال الإعراب  
 والابانة ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن  
 المتقدم منهما هو الأمر عند المتكلم فمن قال جاءني زيد أفاد أن اهتمامه  
 بالبعي قبل الشخص المسند إليه ومن قال زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص

قَبْلَ الْعَجَبِ الْمُسْنَدِ وَكَذَا التَّعْبِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يَنْسِبُ الْمَقَامَ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
 مُبْتَدَأٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْأَسْنَادِ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
 وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ مُتَّفَايِرَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْأِعْرَابِ فَإِنَّ  
 الْأَوَّلَ الْعَارِيَّ عَنِ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُفِيدُ الْخَلَالِيَّ الذِّهْنِ وَالثَّانِي الْمَوْكَّدَ بَيِّنٌ يُفِيدُ  
 الْمُتَرَدِّدَ وَالثَّلَاثُ يُفِيدُ الْمُنْكَرَ فِيهِ مُخْتَلِفَةٌ وَكَذَلِكَ نَقُولُ جَاءَنِي الرَّجُلُ ثُمَّ نَقُولُ مَكَانَهُ  
 بِعَيْنِهِ جَاءَنِي رَجُلٌ إِذَا قَصَدْتَ بِذَلِكَ التَّنْكِيرَ تَعْظِيمَهُ وَأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُعَادِلُهُ أَحَدٌ مِنَ  
 الرِّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْأَسْنَادِيَّةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي آهَا خَارِجٌ تُطَابِقُهُ أَوْلَا وَإِنْشَائِيَّةً  
 وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعِهِ ثُمَّ قَدْ بَيَّنَّ تَرْكُ الْعَاطِفِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
 كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأِعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مَنْزِلَةَ التَّابِعِ الْمَفْرَدِ نَعْتًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
 بِلَا عَطْفٍ أَوْ يَتَعَيَّنُ الْعَطْفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأِعْرَابِ ثُمَّ يَقْتَضِي الْحَلُّ  
 الْأِطْنَابَ وَالْإِيحَاذَ فَيُورَدُ الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ يُدَلُّ بِاللَّفْظِ وَلَا يُرَادُ مَنْطِقُهُ  
 وَيُرَادُ لِأَزْمِهِ إِنْ كَانَ مَفْرَدًا كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
 وَإِنَّمَا تُرِيدُ شِبَاعَتَهُ الْأَزْمَةَ وَتُسْنِدُهَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمَّى هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِاللَّفْظِ  
 الْمَرْكَبِ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا لَزِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 مِنَ الْجُودِ وَفَرَى الضَّيْفِ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهُمَا فِيهِ دَالَّةٌ عَلَيْهِمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا  
 دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَنْطَاظِ مِنَ الْمَفْرَدِ وَالْمَرْكَبِ وَإِنَّمَا هِيَ هَيْئَاتٌ وَأَحْوَالٌ الْوَاقِعَاتِ  
 جُعِلَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتٌ فِي الْأَلْفَاظِ كُلِّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ فَاشْتَمَلَتْ  
 هَذَا الْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِالْبَيَانِ عَلَى النَّحْوِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
 وَالْمَقَامَاتِ وَجُعِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الصَّنِيفُ الْأَوَّلُ يُنْحَثُ فِيهِ عَنِ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
 وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُطَابِقُ بِاللَّفْظِ جَمِيعَ مُقْتَضِيَاتِ الْحَالِ وَيُسَمَّى عِلْمَ الْبَلَاغَةِ وَالصَّنِيفُ  
 الثَّانِي يُنْحَثُ فِيهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَلْزَمِ اللَّفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْاسْتِعَارَةُ وَالْكِتَابَةُ كَمَا  
 فَلْنَاهُ وَيُسَمَّى عِلْمَ الْبَيَانِ وَالْحَقُوبَا بِهِمَا صِنْفًا آخَرَ وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَزْيِينِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
 بِتَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ إِمَّا بِسَجْعٍ بِفَصْلِهِ أَوْ بِتَجْنِيسٍ يُشَابِهُهُ بَيْنَ الْفَاظِهِ أَوْ تَرْصِيعٍ يَقَطَعُ  
 أَوْ تَوْرِيَّةٍ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيهَامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ لِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا وَأَمْثَالِ  
 ذَلِكَ وَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ عِلْمَ الْبَدِيعِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اسْمُ

البَيَانِ وَهُوَ اسْمُ الصِّنْفِ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ ثُمَّ تَلَا حَقَّتْ مَسَائِلُ  
 الْفَنِّ وَاحِدَةٌ بَعْدَ أُخْرَى وَكُتِبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَالْجَاهِظُ وَقُدَامَةُ وَأَمْثَالُهُمْ إِمْلَاءَاتٍ  
 غَيْرَ وَافِيَةٍ فِيهَا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَنِّ تَكْمَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ نَحَصَّ السَّكَّاكِيُّ زُبْدَتَهُ  
 وَهَدَبَ مَسَائِلَهُ وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً مِنَ التَّرْتِيبِ وَأَلَفَ كِتَابَهُ الْأَسْمَى  
 بِالْمَفْتاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ فَيَجْعَلُ هَذَا الْفَنَّ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَأَخَذَهُ  
 الْمُنَافِرُونَ مِنْ كِتَابِهِ وَتَخَصَّصُوا مِنْهُ أُمَهَاتٌ هِيَ الْمُنْدَاوَلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا فَعَلَهُ السَّكَّاكِيُّ  
 فِي كِتَابِ التَّبْيَانِ وَأَبْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ وَجَلالُ الدِّينِ الْفَرُوزِي فِي كِتَابِ  
 الْإِيضاحِ وَالتَّلْخِصِ وَهُوَ أَصْغَرُ حِجَابٍ مِنَ الْإِيضاحِ وَالْعِنَايَةُ بِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمُشَارِقَةُ عَلَى هَذَا  
 الْفَنِّ أَقْوَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كِدَالِي فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ  
 الْكَمَالِيَّةِ تُوجَدُ فِي الْعُمُرَانِ وَالْمَشْرِقِ أَوْفَرُ عُمُرَانًا مِنَ الْمَغْرِبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ  
 تَقُولُ لِعِنَايَةِ النِّجْمِ وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ كَتَفْسِيرِ الرَّمُضَشَرِيِّ وَهُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى  
 هَذَا الْفَنِّ وَهُوَ أَصْلُهُ وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْنافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً  
 وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ وَفَرَعُوا لَهُ الْأَقْبَابَ وَعَدَدُوا أَبْوَابًا وَنَوَعُوا أَنْوَاعًا  
 وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا حَمَلْتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّلَوُّعِ بِتَرْبِيبِ الْأَلْفَاظِ  
 وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلٌ الْمَأْخُذِ وَصَعِبَتْ عَلَيْهِمْ مَأْخُذُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ لِدِقَّةِ أَنْظَارِهِمَا  
 وَغُمُوضِ مَعَانِيهِمَا فَتَجَافَوْا عَنْهُمَا وَمِمَّنْ أَلَفَ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةِ ابْنُ رَشِيْقِ  
 وَكِتَابُ الْعُمْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ وَجَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنَحَاهُ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الْفَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْأَعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ عَجَازَهُ فِي وِفَاءِ الدَّلَالَةِ  
 مِنْهُ بِجَمِيعِ مُقْتَضِيَّاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةٍ وَمَفْهُومَةٍ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَلَامِ مَعَ  
 الْكَمَالِ فِيهَا يَخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي انْتِقَائِهَا وَجُودَةِ رَصْفِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَهَذَا هُوَ الْأَعْجَازُ  
 الَّذِي نُقِصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَإِنَّمَا يَذْرُكُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ  
 بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ فَيَذْرُكُ مِنْ عَجَازِهِ عَلَى قَدْرِ ذَوْقِهِ فَلِهَذَا كَانَتْ  
 مِدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ مَبْلَغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ  
 وَجَهَابِدَتُهُ وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مَوْجُودٌ بِأَوْفَرٍ مَا يَكُونُ وَأَصْحَهُ وَأَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا

الْفَنِّ الْمَفْسُورُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُفِّلَ عَنْهُ ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الرَّمَحْشَرِيُّ وَوَضَعَ  
 كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَبِعَ آيَةَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا يُبْدِي الْبَعْضُ مِنْ  
 إِعْجَازِهِ فَأَنْفَرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبِدْعِ عِنْدَ  
 أَفْبَاسِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَالْأَجَلِ هَذَا بِتَحَامَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
 بِضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَمَنْ أَحْكَمَ عَقَائِدَ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضَ الْمُشَارِكَةِ  
 حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِدْعَةٌ فَيُعْرَضُ عَنْهَا وَلَا نُضِرُّ  
 فِي مُتَقَدِّدِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظُّهْرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
 مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضِعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَقِيهَا وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
 أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرَتُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِبِ الْعَرَبِ  
 وَمَنَاجِيهِمْ فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنَ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
 عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجَعِ مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْثُورَةٌ أَتَاءَ ذَلِكَ  
 مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَقْرِي مِنْهَا النَّاطِرُ فِي الْغَالِبِ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ مِنْ أَيَّامِ  
 الْعَرَبِ يَفْهَمُ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْمَهْمِ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّهِيدَةِ  
 وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 وَأَسَالِبِهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ بِالْإِعْتِمَادِ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
 فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
 قَالُوا الْآدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَطْرَفُ بِرِيدُونَ  
 مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتُونُهَا فَقَطْ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذْ لَا  
 مَدْخَلَ لغيرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
 بِصِنَاعَةِ الْبِدْعِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرَسُّلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
 صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَمْعِهَا  
 مِنْ شَيْءٍ خِنًا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنْ أُصُولَ هَذَا الْفَنِّ وَأَزْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِبُ وَهِيَ آدَبُ  
 الْكِتَابِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ لِلْجَاحِظِ

وَكِتَابُ التُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَزْبَعَةِ فَتَبِعَ لَهَا وَفُرُوعُ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا  
الْفَنِّ لِيَمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ وَكَانَ الْكُتَابُ وَالْفَضْلَانِ مِنْ  
الْخَوَاصِّ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِبِ الشَّعْرِ  
وَقُتُوبِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَنْعَالُهُ قَادِمًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ آَلَتْ الْقَامِي أَبُو الْفَرَجِ  
الْأَصْبَهَانِيُّ كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ  
وَدَوْلَهُمْ وَجَمَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْمَائَةِ صَوْتًا الَّتِي أَخْتَارَهَا الْمُغَنُّونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ  
فِيهِ ذَلِكَ أُنْتَمَ اسْتِعَابَ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْنَاتِ الْحَمَّاسِينَ  
الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ وَالنَّارِخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا  
يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا نَعَلَّمَهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي يَسْمُو إِلَيْهَا الْأَدِيبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا  
وَأَنَّى لَهُ بِهَا وَتَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالْحَقِيقِ عَلَى الْإِجْمَالِ فِيمَا تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِ  
اللِّسَانِ وَاللَّهُ الْمُهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

إِعْلَمَ أَنَّ اللُّغَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ هِيَ مَلَكَاتٌ فِي اللِّسَانِ  
لِلْعِبَارَةِ عَنِ الْمَعْنَى وَجُودَتِهَا وَقُصُورُهَا بِحَسَبِ تِمَامِ الْمَلَكَاتِ أَوْ نُقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى التَّرَاكِبِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكَاتُ الْتَامَةً  
فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ لِلتَّعْبِيرِ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي  
يُطَبِّقُ الْكَلَامَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ بَلَّغَ الْمُتَكَلِّمُ حَيْثُئِذِ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ  
لِلسَّامِعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَتَّخِذُ إِلَّا تَكَرُّرَ الْأَنْعَالِ لِأَنَّ الْفِعْلَ  
يَقَعُ أَوْلَى وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِفَةٌ ثُمَّ تَتَكَرَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِفَةٌ  
غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَرُّارُ فَتَكُونُ مَلَكَاتٌ أَي صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فَالْمُتَكَلِّمُ مِنْ  
الْعَرَبِ حِينَ كَانَتْ مَلَكَاتُهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَوْجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ  
وَأَسَالِبِهِمْ فِي مَخَاطَبَتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَعْبِيرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّيِّئُ اسْتِعْمَالَ  
الْمُفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيُلْقِنَهَا أَوْلَى ثُمَّ يَسْمَعُ التَّرَاكِبَ بَعْدَهَا فَيُلْقِنَهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ

سَمِعَهُمْ لِذَلِكَ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَأَسْتَعْمَالُهُ بِتَكَرُّرِهِ إِلَى أَنْ  
يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَ وَصِفَةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصِيرَتِ الْأَلْسُنُ وَاللُّغَاتُ  
مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَاعْلَمَهَا النَّجْمُ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا أَقُولُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ  
اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيَّ بِالْمَلَكَ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَنْ غَيْرِهِمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَ لِمُضَرِّ بِمُخَالَطَتِهِمُ الْأَعَاجِمِ وَسَبَبُ فَسَادِهَا أَنَّ النَّاسِيءَ  
مِنْ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي  
كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيُعْبَرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكَثْرَةِ الْمُخَالَطِينَ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ  
كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَ  
وَكَانَتْ نَاقِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فَسَادِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ قُرَيْشٍ  
أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَضْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ بِلَادِ النَّجْمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ  
اكتَنَفَهُمْ مِنْ ثَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَخُزَاعَةَ وَبَنِي كِنَانَةَ وَغَطَفَانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ وَأَمَا  
مَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ رَيْمَةَ وَنَحْمٍ وَجُدَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِيَادٍ وَفُضَاعَةَ وَعَرَبِ الْيَمَنِ الْجَوَارِينَ  
لِأَمْرِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَالْحَبَشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لِقَنَتِهِمْ نَامَةً الْمَلَكَ بِمُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ  
وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِأَغَانِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحميز

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ  
وَلَمْ يُفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةُ الْحَرَكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ فَأَعْتَاضُوا مِنْهَا بِالتَّقْدِيرِ  
وَالتَّأْخِيرِ وَبِقَرَأَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالبَلَاغَةَ فِي اللِّسَانِ  
الْمُضَرِّيِّ أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَقِيَ مَا  
نُقِضِيهِ الْأَحْوَالَ وَيُسَمَّى بِسَاطِ الْحَالِ مُخْتَجَاً إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنَّ  
تَكْتَفِيهِ أَحْوَالَ مُخْصَةٌ فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالَ فِي تَأْدِيَةِ الْمَقْصُودِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ  
وَتِلْكَ الْأَحْوَالَ فِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ أَكْثَرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِالْفَاظِ مُخْصَهَا بِالْوَضْعِ وَأَمَا فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالٍ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَرَكَيبِ الْأَلْفَاظِ وَتَأْلِيفِهَا مِنْ



تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة أعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة  
من جميع الألسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وأختصر  
لي الكلام اختصاراً واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض  
النحاة إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيدا قائم وإن  
زيداً قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الذهن من  
قيام زيد والثاني لمن سمعه فتردد فيه والثالث لمن عرف بالأضرار على إنكاره  
فأختلفت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب  
ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب  
القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن  
اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون  
قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طابعهم وألقاها القصور في أفئدتهم وإلا فنحن  
نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد  
والتعاون فيه يتفاوت الأمانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان  
وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم  
وجامعهم والشاعر المفلح على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم  
شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر  
الكلام فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة وهي معروفة وهو الإعراب  
وهو بعض من أحكام اللسان وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم  
الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته  
على غير الصورة التي كانت أولاً فالتعب لفة أخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث  
النبوي منقولاً بلغته وهما أصلاً الدين والملة فحشي تناسيها وانفلاق الأفهام عنها  
بنقدان اللسان الذي نزل به فأحبيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط  
قوانينه وصار علماء ذوا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهلنا يعلم النحو وصناعة

الْعَرَبِيَّةَ فَأَصْبَحَ قَتَا مَحْفُوظًا وَعِنَّمَا مَسْكُوبًا وَسَأَمَّا إِلَى فَنَهَمَ كِتَابَ اللَّهِ وَسَنَّهُ رَسُولِهِ  
 وَافِيًا وَلَعَلْنَا لَوْ أَعْتَيْنَا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ لَهَذَا الْعَهْدِ وَأَسْتَفْرَيْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاضُ  
 عَنِ الْحَرَكَاتِ الْأِعْرَابِيَّةِ فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَائِنُ  
 تَخْصُهَا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْمَنْهَاجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرٍّ فَلَبَسَتْ اللِّغَاتُ  
 وَمَلَكَا نَهَا مَجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهَيْدِهِ الْعَيْنَانِ وَتَغَيَّرَ  
 عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضُوعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِيفِ كَلِمَاتِهِ تَشْبَهُ بِذَلِكَ  
 الْأَنْقَالِ الْمَوْجُودَةِ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَحْمِلُهُ الْقُصُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَيَلْتَمِسُ إِجْرَاءُ  
 اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَائِيسِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَائِنِهَا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ فِي اشْتِقَاقِ  
 الْقَبِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
 وَلُغَةُ حِمَيْرٍ لُغَةٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِيفِهَا وَحَرَكَاتِ  
 إِعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لِعَهْدِنَا مَعَ لُغَةِ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْعَيْنَانِ بِلِسَانِ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
 الشَّرِيعَةِ كَمَا فَلَنَاهُ حَمَلٌ ذَلِكَ عَلَى الْأَسْتِنْبَاطِ وَالْإِسْتِفْرَاءِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
 يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَبَدَعُونَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجَيْلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
 كَانُوا مِنَ الْأَقْفَارِ شَأْنُهُمْ فِي النُّطْقِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ  
 عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَقْصَى اللِّسَانِ وَمَا فَوْقَهُ  
 مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطِقُونَ بِهَا بِيضًا مِنْ مَخْرَجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
 الْقَافِ وَمَا يَلِيهِ مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَجِيئُونَ بِهَا مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
 وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجَيْلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عِلَامَةً عَلَيْهِمْ  
 مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
 وَالْإِنْسَابَ إِلَى الْجَيْلِ وَالِدُخُولِ فِيهِ يُحَاكِمُهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْمَى  
 الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْحَضْرِيَّ بِالنُّطْقِ بِهَيْدِهِ الْقَافِ وَيُظْهِرُ بِذَلِكَ  
 أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٍّ بَعِيْنَهَا فَإِنَّ هَذَا الْجَيْلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وُلْدِ  
 مَنْصُورِ بْنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ سَلِيمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
 ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ إِيضًا الْعَهْدِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
 فِي الْمَعْمُورِ وَغَلَبَهُمْ وَهُمْ مِنْ أَعْقَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرِ الْجَيْلِ مِنْهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَيْدِهِ الْقَافِ

أَسْوَةٌ وَهَذِهِ اللَّغَةُ لَمْ يَتَدَعِهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعَابِقَةٌ وَيَبْطُرُ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٌّ الْأَوَّلِينَ وَلَعَلَّهَا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا قَدْ ادَّعَى ذَلِكَ فَقَاهُ  
 أَهْلُ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي أُمَّ الْقُرْآنِ إِهْدِينَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ الْقَافِ  
 الَّتِي لِمَنْهَا الْجِيلُ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَذِرْ مِنْ آيِنِ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا نَزَلُوا  
 الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنِ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَدُوا مِنْ تَحَاظُّةِ  
 الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يُرْجَعُ فِيهِمَا بِوَجْدِ مِنَ اللَّغَةِ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ  
 هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النَّطْقِ بِهَا وَأَنَّهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي يَشْمِزُ بِهَا  
 الْعَرَبِيُّ مِنَ الْعَجِينَ وَالْحَضْرِيِّ فَتَفْهَمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَهْدِي الْمُبِينُ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة اهل الحضرو الامصار لغة قائمة بنفسها للغة مضر

إِعْلَمُ أَنَّ عُرْفَ التَّخَاطُبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضْرِيِّ لَيْسَ بِلُغَةٍ مُضَرٍّ الْقَدِيمَةِ وَلَا بِلُغَةٍ  
 أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنِ لُغَةِ مُضَرٍّ وَعَنِ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ  
 الْعَرَبِيِّ الَّذِي لِمَهْدَانَا وَهِيَ عَنِ لُغَةِ مُضَرٍّ أَبَدُ فَمَا إِنَّمَا لُغَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فَهِيَ ظَاهِرٌ يَشْهَدُ  
 لَهُ مَا فِيهَا مِنْ التَّغَايُرِ الَّذِي يُعَدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النَّحْوِ لِحْنًا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ  
 بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فَلُغَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مُبَايَنَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِللُّغَةِ لِأَهْلِ  
 الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَهُمَا وَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى تَأْدِيَةِ مَقْصُودِهِ  
 وَالْإِبْرَانَةَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ  
 كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لِمَنْهَا الْعَهْدُ وَأَمَّا إِنَّمَا أَبَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا  
 الْجِيلِ فَلِأَنَّ الْبَعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمِخَالِطَةِ الْعُجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعُجْمَ أَكْثَرَ  
 كَانَتْ لُغَتُهُ عَنِ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَصْلِيِّ أَبَدًا لِأَنَّ الْمَلَكَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالْعَلِيمِ  
 كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلَكَةٌ مُتَزَجَّةٌ مِنَ الْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ وَمِنْ الْمَلَكَةِ الثَّانِيَةِ  
 الَّتِي لِلْعَجَمِ فَغَلَى مَقْدَارَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَجَمِ وَيَرْبُونَ عَلَيْهِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْمَلَكَةِ الْأُولَى  
 وَأَعْتَبَرُوا ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيْقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ  
 فَتَحَاظَّتِ الْعَرَبُ فِيهَا الْبَرَابِرَةَ مِنَ الْعَجَمِ يُوَفِّرُ عُمَرَانَهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكْدُ يَغْلُو عَنْهُمْ مُضَرٌّ

وَلَا جِيلٌ فَغَلَبَتْ النُّجْمَةُ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةً أُخْرَى مُتَزَجَّةً وَالنُّجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فِيهِ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَبَدُ وَكَذَا الْمَشْرِقُ لَمَّا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أُمَّهِ مِنْ فَارِسَ وَالْتِزَاكِ بِخَالِطِهِمْ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي الْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَالسُّبِي الَّذِينَ أَخَذُوهُمْ خَوْلًا وَدَابَاتٍ وَأَطَارًا وَمَرَاضِعَ فَسَدَتْ لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَكَةِ حَتَّى انْقَلَبَتْ لُغَةً أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجْمِ الْجَلَالِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ وَصَارَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَهْلُ لُغَةٍ أُخْرَى مَخْصُوصَةً بِهِمْ تَخَالَفَتْ لُغَةَ مُضَرَ وَيَخَالَفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَرْنَا وَكَانَتْ لُغَةُ أُخْرَى لِاسْتِحْكَامِ مَلَكَتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ

### الفصل الرابعون

في تعليم اللسان المضي

إِغْلَمَ أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَفَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرَ الَّتِي نُزِلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ أَمْزَاجِ النُّجْمَةِ بِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِلَّا أَنَّ اللُّغَانَ لَمَّا كَانَتْ مَلَكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَانَ تَعَلُّمَهَا مُمَكِّنًا شَأْنَ سَائِرِ الْمَلَكَاتِ وَوَجْهَ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَّبِعِي هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَرُومُ تَحْصِيلَهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيْبِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ السَّلَفِ وَمَخَاطَبَاتِ فُجُولِ الْعَرَبِ فِي أَنْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلِّدِينَ أَيْضًا فِي سَائِرِ فُنُونِهِمْ حَتَّى يَنْزِلَ لِكثْرَةِ حِفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَثَلَةً مِنْ نَشْأَتِهِمْ وَلَقِّنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَسَالِيْبِهِمْ وَتَرْتِيبِ الْفَاعِلِينَ فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكثْرَتَيْهِمَا رُسُوحًا وَقُوَّةً وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبَعِ وَالْتِمَهِمِ الْحَسَنِ لِمَنَارِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيْبِهِمْ فِي التَّرَاكِبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقْصِدَاتِ الْأَحْوَالِ وَالنَّدْوُقِ بِشَهْدِ ذَلِكَ وَهُوَ يَنْشَأُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَالطَّبَعِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَرْنَا وَعَلَى قَدْرِ الْحِفْظِ وَكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْقَوْلِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُضَرٍّ وَهُوَ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَمَكَذَا يَتَّبِعِي

أَنْ يَكُونَ تَمَلُّمَهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

### الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَائِنِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَابِلِهَا  
 خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَانْفُسُ كَيْفِيَّةِ فَلَيْسَتْ نَفْسُ الْمَلَكَةِ وَإِنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَعْرِفُ  
 صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بَصِيرٌ بِالْخِيَاطَةِ غَيْرُ تُحْكِمُ  
 لِمَلَكَتِهَا فِي التَّعْبِيرِ عَنِ بَعْضِ أَنْوَاعِهَا الْخِيَاطَةُ هِيَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَيْطُ فِي خِرْتِ الْأَبْرَةِ  
 ثُمَّ يَغْرِزُهَا فِي لَفْظِي الثُّوبِ مُجْتَمِعِينَ وَيُخْرِجُهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ بِمِقْدَارِ كَذَا ثُمَّ  
 يَرُدُّهَا إِلَى حَيْثُ أَبْتَدَأَتْ وَيُخْرِجُهَا قُدَامَ مَنْفِذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطْرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقْبَيْنِ  
 الْأَوَّلَيْنِ ثُمَّ بَتَمَادَى عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّفْتِيحِ  
 وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولَبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ بِيَدِهِ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ  
 شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالتَّجَارَةِ عَنِ تَفْصِيلِ الْخَشَبِ فِيَقُولُ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى  
 رَأْسِ الْخَشَبَةِ وَتُمْسِكُ بَطْرَفِهِ وَآخِرُ قِبَالَتِكَ مُنْسِكُ بَطْرَفِهِ الْآخِرِ وَتَمَاقِبَانِهِ بَيْنَكُمَا  
 وَأَطْرَافُهُ الْمُضْرَسَةُ الْمُحَدَّدَةُ تَقَطُّعُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَائِبَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
 آخِرِ الْخَشَبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولَبَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمُهُ وَكَذَا الْعِلْمُ بِقَوَائِنِ  
 الْأَعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي نَفْسِهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ بِقَوَائِنِ الْأَعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
 بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِلذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنْ جِهَابِدَةِ النُّحَاةِ وَالْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَيْطِينَ  
 عِلْمًا بِتِلْكَ الْقَوَائِنِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطْرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّتِهِ أَوْ شَكْوَى  
 ظُلَامَةٍ أَوْ قَصْدٍ مِنْ فُصُوْدِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنِ الصَّوَابِ وَأَكْثَرَ مِنَ اللَّغْنِ وَلَمْ يَجِدْ تَأْلِيفَ  
 الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا نَجِدُ كَثِيرًا  
 مِمَّنْ يُحْسِنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَجِيدُ الْفَنِّينَ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ إِعْرَابَ  
 الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ وَلَا الْمَفْعُولِ مِنَ الْعَجْرُورِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَائِنِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَمِنْ  
 هَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ وَقَدْ  
 نَجِدُ بَعْضَ الْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْأَعْرَابِ بَصِيرًا بِعَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتِّفَاقِي  
 وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ لِلْمُخَالِطِينَ لِكِتَابِ سَبْيُوْبِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوَائِنِ الْأَعْرَابِ فَقَطُّ

بَلْ مَلَأَ كِتَابَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَشَوَاهِدِ أَشْعَارِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ فَكَانَ فِيهِ جُزْءٌ صَالِحٌ  
 مِنْ تَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَجِدُ الْعَاكِفَ عَلَيْهِ وَالْمَحْصِلَ لَهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى حَظٍّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ وَأَنْدَرَجَ فِي مَحْفُوظِهِ فِي أَمَاكِيهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ وَتَبَّهَ بِهِ لِشَأْنِ الْمَلَكَةِ فَأَسْتَوْفَى  
 تَعْلِيمَهَا فَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْإِفَادَةِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخَالَطِينَ لِكِتَابِ سَيَبَوِيهِ مَنْ يَغْتَلُ عَنْ  
 التَّنَطُّنِ لِهَذَا فَيَحْصِلُ عَلَى عِلْمِ اللِّسَانِ صِنَاعَةً وَلَا يَحْصِلُ عَلَيْهِ مَلَكَةٌ وَأَمَّا الْمُخَالَطُونَ  
 لِكُتُبِ الْمُتَأَخِّرِينَ الْعَلَدِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَوَائِنِ النَّحْوِيَّةِ مُجْرَدَةً عَنْ أَشْعَارِ  
 الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ فَقَلَّ مَا يَشْعُرُونَ لِذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ أَوْ يَنْتَبِهُونَ لِشَأْنِهَا فَتَجِدُهُمْ  
 يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رُتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ وَأَهْلُ صِنَاعَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُعَلِّمُوهَا أَقْرَبُ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَتَعْلِيمِهَا مِنْ سِوَاهُمْ  
 لِقِيَامِهِمْ فِيهَا عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ وَالنَّفَقَةَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِسِ  
 تَعْلِيمِهِمْ فَيَسْبِقُ إِلَى الْمُبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ لَهَا  
 وَتَسْتَعِيدُ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَقَبُولِهَا وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَأَجْرُوا  
 صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ مُجْرَى الْعُلُومِ بَحْثًا وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنِ التَّفَقُّهِ فِي تَرَكَيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 إِلَّا إِنْ أُعْرِبُوا شَاهِدًا أَوْ رَجَعُوا مَذْهَبًا مِنْ جِهَةِ الْأَقْتِضَاءِ الذِّهْنِيِّ لَا مِنْ جِهَةِ تَحْمِيلِ  
 اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَائِنِ الْمُنْطَقِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ  
 الْجَدَلِ وَبَعُدَتْ عَنِ مَنَاحِي اللِّسَانِ وَمَا كُنْتَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعُدُولِهِمْ عَنِ النَّبْثِ فِي  
 شَوَاهِدِ اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ وَتَمْيِيزِ أَسَالِيهِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنِ الْأَمْرَانِ فِي ذَلِكَ لِلْمُتَعَلِّمِ فَهُوَ  
 أَحْسَنُ مَا تُفِيدُهُ الْمَلَكَةُ فِي اللِّسَانِ وَتِلْكَ الْقَوَائِنُ إِنَّمَا هِيَ وَمَسَائِلُ التَّعْلِيمِ لِكِنَّهِمْ  
 أَجْرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهَا وَأَصَارُوهَا عِلْمًا بَحْثًا وَبَعْدُوا عَنْ تَعْرِفِهَا وَتَعَلَّمَ بِمَا قَرَّرْنَاهُ  
 فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ حُصُولَ مَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْخِطَابِ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خِيَالِهِ الْمِنْوَالُ الَّذِي نَسَجُوا عَلَيْهِ تَرَكَيبَهُمْ فَيَنْسَجُ هُوَ عَلَيْهِ  
 وَيَنْزَلُ بِذَلِكَ مَنزَلَةً مِنْ نَشَأَ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ  
 الْمَلَكَةُ الْمُسْتَبْقَرَةُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

للمستعربين من العجم

إِظْمَ أَنْ لَفْظَةَ الذُّوقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَمِدُونَ بِفُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَتِهِ  
 الْبَلَاغَةِ لِلسَّانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلسَّانِ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
 بِمَخَاصِرٍ تَقَعُ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَالْمُتَكَلِّمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَعَرَّى  
 الْمَهِيئَةَ الْمُنِيذَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِبِ الْعَرَبِ وَأَنْحَاءِ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
 الرَّوْحِ جُهْدُهُ فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَتُ فِي نَظْمِ  
 الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الرَّوْحِ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرْكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْحَوِيهِ غَيْرَ مَنْحَى  
 الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ دَلَى ذَلِكَ الْمَنْحَى بَعْدَهُ وَتَبَا عَنْهُ سَمِعَهُ  
 بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَيَغْيِرُ فِكْرًا إِلَّا بِمَا اسْتَفَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَتِ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
 إِذَا اسْتَفْرَتِ وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا طَبِيعَةٌ وَجِبَلَةٌ لِذَلِكَ الْحَقْلِ وَلِذَلِكَ بَطْنُ  
 كَثِيرٍ مِنَ الْمُفْقَلِينَ مَعْنَى لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
 إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ كَأَنَّ الْعَرَبَ تَنطِقُ بِالطَّبِيعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ  
 مَلَكَتُ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ تَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا  
 جِبَلَةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَتُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
 عَلَى السَّمْعِ وَاللَّفْظِ لِحَوَاصِرِ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَائِنَ إِنَّمَا تُفِيدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
 تُفِيدُ حُصُولَ الْمَلَكَتِ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَا لَكَ الْبَلَاغَةَ  
 فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِغَ إِلَى وُجُودِ النِّظْمِ وَحُسْنِ التَّرْكِيبِ الْمُوَافِقِ لِتَرَكَيبِ الْعَرَبِ  
 فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَتِ حَيْدًا عَنِ هَذِهِ السَّبِيلِ الْمَعِينَةِ  
 وَالتَّرَاكِبِ الْخُصُوصَةَ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَادَهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
 إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عَرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِلًا عَنِ اسْتُلُوبِ الْعَرَبِ  
 وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَجَعَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
 مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَرُبَّمَا يَعْجِزُ عَنِ الْأَخْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَضَعُ أَهْلُ الْقَوَائِنِ الْحَوِيَّةِ

وَالْيَابِيَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَائِنِ الْمَفَادَةِ بِالِاسْتِغْرَاهِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى بَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِفَتْنِهِمْ وَيُعَكِّمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَيَّ غَايِبًا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
يَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْجِيلِ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ يَحْصُلُ الْمَلَكَةُ  
وَيَبْصُرُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَائِنُ بِمَعزُولٍ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيرَ لَهُدِيهِ الْمَلَكَةَ عِنْدَمَا تَرْمِخُ وَتَسْتَقْرِئُ اسْمُ الذَّوْقِ الَّذِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صِنَاعَةِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِإِدْرَاكِ الطُّعْمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةَ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ بِالْكَلامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطُّعْمِ اسْتَعِيرَ لَهَا اسْمُهُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعْمَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ لَهُ ذَوْقٌ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعْجِمَ الدَّخْلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ  
إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِخِطَابَةِ أَهْلِهِ كَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالذُّرُوكِ بِالْمَشْرِقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَضْرِيهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَحْتَنُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مِصْرَ بَيْنَهُمْ فِي الْحَاوِرَةِ مِنْ مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعُدُوا عَنْهَا كَمَا نَقَدَّمْ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكَةُ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكِتَابِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُمَارَسَةِ وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُرِ  
لِكَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سَبْيُوبِيَهُ وَالْفَارِمِيَّ وَالرِّزْقِيَّ وَأَمْثَلَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمَ أَنَّ أَوْلِيكَ  
الْقَوْمِ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطْ وَأَمَّا الْعَرَبِيُّ وَالنَّشَاءُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَاسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةِ لَأَشْيِ عَرَبِيَّاتِهَا وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ



حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللَّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَهَمُّ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَامٍ  
 فِي اللَّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلْمَلَّةَ فِي عُنُقِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبْ  
 آثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَّفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَابَتِهِ وَالْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنَ الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ  
 الْعَرَبِيَّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلَ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُعْتَبِرَةً  
 الْآثَارَ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
 ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحَفِظِ  
 بِسْتَفِيدٍ تَحْصِيلَهَا فَقَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ  
 أُخْرَى فِي الْحَعْلِ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مَخْدُوشَةً وَإِنْ فَرَضْنَا أَعْجَبِيًّا فِي النَّسَبِ سَلِمَ  
 مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْمَلَكَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ  
 فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ لَكِنَّهُ مِنَ الدُّورِ يَجِئُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ وَرُبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ  
 مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ الْبَيِّنَاتِ حُصُولَ هَذَا الذُّوقِ لَهُ بِهَا وَمَوْعَلَطٌ أَوْ مُخَالَطَةٌ وَإِنَّمَا  
 حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْبَيِّنَاتِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي  
 مَثَلِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعدهن

اللسان العربي كان حصولها له اصب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةٍ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ  
 بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْخَضِرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ الْعِجْمَةُ حَتَّى نَزَلَ بِهَا اللِّسَانُ عَنْ  
 مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةِ أُخْرَى هِيَ لُغَةُ الْخَضِرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا نَجِدُ الْمُعَلِّمِينَ  
 يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَسَابِقَةِ بِتَعَلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النَّحَاةُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسَابِقَةَ  
 بِصَنَاعَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعَلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ  
 الْعَرَبِ نَحْوِ صِنَاعَةِ النَّحْوِ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَطَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ  
 فِي الْعِجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ مُضَرَ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنِ تَعَلُّمِ اللَّغَةِ الْمَضْرِبَةِ وَحُصُولِ

مَلَكَهَا لِمَكْنِ الْمُنَافَاةِ حِينَئِذٍ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ  
 لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
 مَلَكَتِهِ بِالْعَلِيمِ وَقَدْ تَقَلَّ ابْنُ الرَّفِيقِ أَنَّ بَعْضَ كُتَابِ الْقَبْرَوَانِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
 لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عَدِمْتُ فَقَدْهُ أَعْلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَامًا أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
 تَكُونُ مَعَ الْمَدِينِ تَأْتِي وَعَاقِنَا الْيَوْمُ قَلَمٌ يَهَيِّئُ لَنَا الْخُرُوجَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكَلَابُ مِنْ  
 أَمْرِ السِّنِّ فَقَدْ كَذَبُوا هَذَا بَاطِلًا لَيْسَ مِنْ هَذَا حَرْفًا وَاحِدًا وَكِتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
 إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ شَبِيهٌ بِمَا ذَكَرْنَا  
 وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكََةِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِيقِيَّةِ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رَشِيقٍ وَابْنُ شَرَفٍ وَأَكْثَرُ  
 مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَزَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةٌ إِلَى  
 الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ بِكَثْرَةِ مَعَانِيهِمْ  
 وَأَمْثَلَاتِهِمْ مِنَ الْمُحْفُوظَاتِ اللَّغَوِيَّةِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُؤَرِّخُ إِمَامٌ  
 أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكََةِ وَرَافِعُ الرَّابِيَّةِ لَهُمْ فِيهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقَسْطَلِيُّ  
 وَأَمْثَلُهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ لَمَّا زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلَتْ  
 ذَلِكَ فِيهِمْ مِثِينَ مِنَ السِّنِّ حَتَّى كَانَ الْأَنْفِضَاضُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ الصَّرَائِيَّةِ وَشَغَلُوا  
 عَنْ تَعَلُّمِ ذَلِكَ وَتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ فَتَنَاقَصَ لِذَلِكَ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا فَقَصَّرَتْ الْمَلَكََةُ  
 فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْحَضِيضَ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
 مَرْحَلٍ مِنْ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْأَشْبِيلِيَّةِ يَسْبَتُهُ وَكُتَابُ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوْلِيهَا  
 وَالْقَتِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَفْلَاذَ كَيْدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكََةِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُودِ لِعُدُودِ  
 الْأَشْبِيلِيَّةِ إِلَى سَبْتِهِ وَمِنْ شَرَفِي الْأَنْدَلُسِيِّ إِلَى أَفْرِيقِيَّةِ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَى أَنْ أَنْقَرَضُوا وَأَنْقَطَعَ  
 سَنَدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعَسْرِ قَبُولِ الْعُدُودِ لَهَا وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعَوَجِ السِّنِّهِمْ  
 وَرُسُوخِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا فُلَّنَاهُ ثُمَّ عَادَتْ الْمَلَكََةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَنَجَّمَ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْجِيَابِ وَطَبَقْتُهُمْ ثُمَّ  
 إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرِيقِيُّ وَطَبَقْتُهُ وَقَفَاهُمْ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمُ الْهَالِكُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 شَهِيدًا بِسَعَايَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكََةٌ لَا تُدْرِكُ وَاتَّبَعَ أَثَرَهُ تَلْمِيذُهُ وَبِالْجُمَّلَةِ

فشان هذه المملكة بالاندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى علوم الأدب وسند تعليمها ولأن أهل اللسان النجمي الذين تفسد ملكتهم إنما هم طارئون عليهم وليس عجبتهم أصلاً للغة أهل الاندلس والبربر في هذه العذوة وهم أهلها ولسانهم لسانها إلا في الأمصار فقط وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ووطأتهم البربرية فيضعب عليهم تحصيل المملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق العهد الدولة الأموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الاندلس في تمام هذه المملكة وإجادتها لبعدهم لذلك العهد عن الأعاجم ومخاطبتهم إلا في القليل فكان أمر هذه المملكة في ذلك العهد أقوم وكان فحول الشعراء والكتاب أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق وأنظر ما أشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وأثار خلقائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم وسائر معانيهم له فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب وبقي أمر هذه المملكة مستحكما في المشرق في الدولتين وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسجوقية وخالفوا أهل الأمصار والخواصر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلمها منهم مقصرا عن تعصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمشور وإن كانوا أكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومداه

فِي الْكَلَامِ قَامَا الشَّعْرُ فَيُنْفِئُ الْمَدْحُ وَالنَّجْمُ وَالرَّثَاءُ وَأَمَّا النَّثْرُ فَيُنْفِئُ السَّبْحُ الَّذِي  
 يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
 وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءَهُ بَلْ يُرْسَلُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
 تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
 الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
 وَلَا مُسَجَّمًا بَلْ تَفْصِيلَ آيَاتِ بِنْتِهِ إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا  
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيُشْتَرَى مِنَ غَيْرِ النَّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ سَجْعًا  
 وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشِرُ مِنْهُ  
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا فَوَاصِلٌ  
 إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزِيمَ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّبْحِ وَلَا فِي أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ  
 الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى التَّمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلغَلْبَةِ  
 فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرِيَا وَلِهَذَا سَمِيَتْ السَّبْحُ الْمَثَانِي وَأَنْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
 تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرِجْحَانِ مَا قُلْنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْقُرُونِ أَسَالِيبَ مُخْتَصَّةً بِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا وَلَا تَصْلُحُ لِلغَنِّ الْآخِرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ  
 الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُخَاطَبَاتِ  
 وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَ فِي الْمَنْثُورِ مِنْ كَثْرَةِ  
 الْأَسْجَاعِ وَالنَّزَامِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيْ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَنْثُورُ إِذَا  
 تَامَلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَقَدْ وَلَمْ يَقْتَرَفَا إِلَّا فِي الْوِزْنِ وَأَسْتَمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ  
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَأَسْتَمَلُوها فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْأَسْتِعْمَالَ فِي الْمَنْثُورِ  
 كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْغَنِّ الَّذِي أَرْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
 وَخُصُوصًا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
 الْغَنَلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
 يُلَاحِظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مَقْضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ وَهَذَا  
 الْغَنُّ الْمَنْثُورُ الْمُقْفَى أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنْزَعُ الْمُخَاطَبَاتُ  
 السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذَا أَسَالِيبُ الشَّعْرِ تُنَافِيها اللُّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطَ الْجِدْرُ بِالْمُزَلِّ وَالْإِطْنَابُ فِي

الْأَوْصَافِ وَصَرَبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةً إِلَى ذَلِكَ فِي الْخِطَابِ وَالْتِزَامُ التَّقْيِيهِ أَيْضًا مِنَ اللَّوْذَعَةِ وَالتَّرْزِينِ وَجَلَالُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَخِطَابُ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْتَرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ يُنَافِي ذَلِكَ وَيُبَايِنُهُ وَالْحَمْدُ فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الرَّسْلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِزْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيحٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِيهِ الْمَلِكَةُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاهُ الْكَلَامَ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِجْازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِتَابَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيْبِ الشُّعْرِ فَمَتْنُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِبْلَاهُ التَّجَمُّعِ عَلَى السِّنْتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنِ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لُبَعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْفِسَاحِ خُطُوبِهِ وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسْتَجْعِ يَلْفُقُونَ بِهِ مَا تَقْصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْبُرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ التَّرْزِينِ بِالِاسْتِجَاعِ وَالْإِلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالِإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيْفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرْجِحُونَ ذَلِكَ الصَّنِيفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بِنِيَّةِ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادَفُ التَّجْنِيسَ فَتَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ لَكَ نَقِيفٌ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِبِنْتِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الخامس والاربعون

في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور معا الا للاقل  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا يَبْنَاهُ مَلِكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّغَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلِكَةٌ  
 أُخْرَى قَصَّرَتْ بِالتَّحَلُّلِ عَنِ تَعَامٍ الْمَلِكَةِ الْأَلْحَقَةِ لِأَنَّ تَعَامَ الْمَلِكَاتِ وَحُصُولَهَا  
 لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّمَتْهَا مَلِكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ  
 مُنَازَعَةً لَهَا فِي الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ وَعَائِقَةً عَنِ سُرْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَعَتْ الْمُنَافَاةُ وَتَعَذَّرَ التَّعَامُ  
 فِي الْمَلِكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا

البرهان فاعتبر مثله في اللغات فإنها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وأنظر من تقدم له شيء من النجمة كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والأفريقي قل أن تجد أحداً منهم محكماً لملكة اللسان العربي وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر حتى إن طالب العلم من أهل هذه الألسن إذا طلبه بين أهل اللسان العربي جاء مقصراً في معارفه عن الغاية والتخصيل وما أوتي إلا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن الألسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتها لا تزدهم وإن من سبقت له إجادة في صناعة فقل أن يجيد في أخرى أو يستولي فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

### الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه لعله

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات إلا أننا الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم وإلا فليكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المعنى إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي تنفق فيه رويًا وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بإفادته في تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشيب أو رثاء فيخرج الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التناثر كما يستطرد من التشيب إلى المدح ومن وصف السيد والطول إلى وصف الركب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح إلى وصف

قَوْمِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَمِنْ التَّفْعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى التَّأَثُّرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَيُرَاعَى فِيهِ  
اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَدْرًا مِنْ أَنْ يَتَسَاهَلَ الطَّبَعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
وِزْنٍ إِلَى وَزْنٍ يُقَارِبُهُ فَقَدْ يَخْفَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمَقَارَبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا  
الْمَوَازِينِ مُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضْمَنُهَا عِلْمُ الْعَرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَتَّفِقُ فِي الطَّبَعِ  
اسْتِعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ تُسَمِّيهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
الْبُحُورَ وَقَدْ حَصَرُواهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ فَنَّ الشِّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطَأِهِمْ وَأَصْلًا  
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنَ  
الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ اللَّسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالِازْتِيَاضِ  
فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْضَلَ شِبْهُ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ وَالشِّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخُذِ  
عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكْتَسِبَ مَلَكَتَهُ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِاسْتِقْلَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
بِأَنَّهُ كَلَامٌ نَامٌ فِي مَقْصُودِهِ وَيَصْلُحُ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
نَوْعٍ تَلَطَّفَ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ حَتَّى يُفْرِغَ الْكَلَامَ الشِّعْرِيَّ فِي قَوْلِيهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَيُبْرِزُهُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ ثُمَّ بَاتِي بَيْتٍ آخَرَ  
كَذَلِكَ ثُمَّ بَيْتٌ وَيَسْتَكْمِلُ الْفُنُونَ الْوَاقِيَةَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يَنَاسِبُ بَيْنَ الْبَيْتِ فِي  
مُؤَالَاةٍ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْفُنُونَ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُعُوبَةِ مَنَاجِزِهَا  
وَعَوَابَةِ فِيهِ كَانَ مَحْكَمًا لِلْقَرَائِحِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيْبِهِ وَشَحْدِ الْأَفْكَارِ فِي  
تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوْلِيهِ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَلَكَتُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
يُحْتَاجُ بِمَخْصُوصِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اخْتَصَّتْهُ الْعَرَبُ بِهَا وَأَسْتَعْيَا لَهَا  
وَلِنَدَكْرُ هُنَا سُلُوكَ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِمْ  
أَعْلَمُ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عِنْدَهُمْ عَنِ الْمِنْوَالِ الَّذِي يَنْسَجُ فِيهِ التَّرَاكِيْبُ أَوْ الْقَالِبُ الَّذِي يُفْرَعُ  
بِهِ وَلَا يُرْجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ وَظِيْفَةُ الْإِعْرَابِ  
لَا بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ كَمَا لَ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِّ التَّرَاكِيْبِ الَّذِي هُوَ وَظِيْفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ  
لَا بِاعْتِبَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّذِي هُوَ وَظِيْفَةُ الْعَرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ

الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالثقالب أو الدنوال ثم ينتهي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيردونها فيه رصا كما يفعلها البناء في الثقالب أو النساج في المنوال حتى يتسع الثقالب بمحصل التراكيب الوافية بمقصد الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطلؤل في الشعر يكون بخطاب الطلؤل كقوله يا دار مية بالعمياء فالسند ويكون باستنعاء الصبح للوقوف والسؤال كقوله . فإنا نسأل الدار التي خفت أهلها . أو باستنكاء الصبح على الطلل كقوله . فإنا نبك من ذكرى حبيب ومثزل . أو بالاستنفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله . ألم تسأل فتخبرك الرسوم . ومثل تحية الطلؤل بالأمر لمخاطب غير معين بتحياتها كقوله . حي الديار بجانب الغزل . أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله

أَسْقَى طُلُولَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ      وَغَدَتِ عَلَيْهِمْ نُصْرَةٌ وَنَعِيمٍ

أَوْ سُؤَالِهِ السُّقْيَا لَمَّا مِنَ الْبَرْقِ كَقَوْلِهِ

يَا بَرْقُ طَالِعُ مَنَزَلًا بِالْأَبْرِقِ      وَأَحْدِ السَّحَابِ لَهَا حِدَاءُ الْإِنْبِ

أَوْ مِثْلَ النَّفْجِ فِي الْجَزَعِ بِاسْتِنْعَاءِ الْبَكَاءِ كَقَوْلِهِ

كَلَّمَا فَلْيَجِلْ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ      وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْدُ

أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْحَادِثِ كَقَوْلِهِ . أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ . أَوْ بِالسُّجُودِ عَلَى

الْأَكْوَانِ بِالصُّبْحِ لِنَقْدِهِ كَقَوْلِهِ

مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ

أَوْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْفَعْ لَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ كَقَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ

أَبَا شَجْرٍ الْخَابُورِ مَالِكٍ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

أَوْ بِمُهِنَّةِ قَرِيبِهِ بِالرَّاحَةِ مِنْ ثِقَلِ وَطْأَنِهِ كَقَوْلِهِ

أَلْقَى الرِّمَاحَ رَيْبَعَةُ بْنُ زَرَارٍ      أَوْدَى الرَّدَى بِرَيْبِكَ الْمِغْوَارِ



وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ سَائِرِ فُنُونِ الْكَلَامِ وَمَذَاهِبِهِ وَتَنْظِيمِ التَّرَاكِيِبِ فِيهِ  
بِالْجَمَلِ وَعَبْرِ الْجَمَلِ إِشْأَائِيَّةٌ وَخَبْرِيَّةٌ إِسْمِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ مُتَّفِقَةٌ وَعَبْرٌ مُتَّفِقَةٌ مَفْصُولَةٌ وَمَوْصُولَةٌ  
عَلَى مَا هُوَ شَأْنُ التَّرَاكِيِبِ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي مَكَانِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْأُخْرَى يُعْرِفُكَ  
فِيهِ مَا تَسْتَفِيدُهُ بِالْإِزْتِيَاضِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِنَ الْقَالِبِ الْكَلْبِيِّ التَّجْرِدِ فِي الذِّهْنِ  
مِنَ التَّرَاكِيِبِ الْمَعِينَةِ الَّتِي يَنْطَبِقُ ذَلِكَ الْقَالِبُ عَلَى جَمِيعِهَا فَإِنْ مَوْلَفَ الْكَلَامِ هُوَ  
كَالْبِنَاءِ أَوْ النَّسَاجِ وَالصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ كَالْقَالِبِ الَّذِي يُبْنَى فِيهِ أَوْ الْمِنْوَالِ  
الَّذِي يُنْسَجُ عَلَيْهِ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الْقَالِبِ فِي بِنَائِهِ أَوْ عَنِ الْمِنْوَالِ فِي نَسْجِهِ كَانَ فَاسِدًا  
وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ مَعْرِفَةَ قَوَائِنِ الْبَلَاغَةِ كَافِيَةٌ لِذَلِكَ لِأَنَّا نَقُولُ قَوَائِنِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ قَوَاعِدُ  
عِلْمِيَّةٌ قِيَاسِيَّةٌ تُفِيدُ جَوَازَ اسْتِعْمَالِ التَّرَاكِيِبِ عَلَى مَبْتَدَأِهَا الْخَاصَّةِ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ قِيَاسُ  
عِلْمِيٍّ صَحِيحٍ مُطَرِّدٍ كَمَا هُوَ قِيَاسُ الْقَوَائِنِ الْإِعْرَابِيَّةِ وَهَذِهِ الْأَسَالِبُ الَّتِي نَحْنُ  
نَقَرِّرُهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقِيَاسِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ مِثْلُ تَرْسُخٍ فِي النَّفْسِ مِنْ تَتَبُّعِ التَّرَاكِيِبِ  
فِي شِعْرِ الْعَرَبِ لِحَرِيَّتِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ صُورَتَهَا فَيَسْتَفِيدَ بِهَا الْعَمَلُ عَلَى مِثَالِهَا  
وَالْإِحْتِدَاءُ بِهَا فِي كُلِّ تَرْكِيِبٍ مِنَ الشُّعْرِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ بِإِطْلَاقٍ وَإِنْ  
الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ لَا يُفِيدُ تَعْلِيمَهُ بِوَجْهِهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَصِحُّ فِي قِيَاسِ  
كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَوَائِنِهِ الْعِلْمِيَّةِ اسْتِعْمَلُوهُ وَإِنَّمَا اسْتِعْمَلُوا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْحَاءَ  
مَعْرُوفَةٌ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْحَافِظُونَ لِكَلَامِهِمْ تَنْدَرِجُ صُورَتُهَا تَحْتَ تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْقِيَاسِيَّةِ  
فَإِذَا نَظَرَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ وَبِهِذِهِ الْأَسَالِبِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تَصِيرُ كَالْقَوَائِبِ  
كَانَ نَظْرًا فِي الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ تَرَكَيبِهِمْ لَا فِيمَا يَقْتَضِيهِ الْقِيَاسُ وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ الْحَصَلَ  
لِهَذِهِ الْقَوَائِبِ فِي الذِّهْنِ إِنَّمَا هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ وَهَذِهِ الْقَوَائِبُ كَمَا  
تَكُونُ فِي الْمَنْظُومِ تَكُونُ فِي الْمَنْشُورِ فَإِنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلُوا كَلَامَهُمْ فِي كَلَامِ الْفَنِّينِ  
وَجَاءُوا بِهِ مُفَصَّلًا فِي النُّوعَيْنِ فِي الشُّعْرِ بِأَقْطَعِ الْمَوْزُونَةِ وَالْقَوَائِبِ الْمُقَيَّدَةِ  
وَأَسْتِقْلَالِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ وَفِي الْمَنْشُورِ يَتَّبِعُونَ الْمَوْازَنَةَ وَالتَّشَابُهَ  
بَيْنَ الْقِطْعِ غَالِبًا وَقَدْ يَقِيدُونَهُ بِالِاسْتِجَاعِ وَقَدْ يُرْسِلُونَهُ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ مَعْرُوفَةٌ  
فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُبْنَى مَوْلَفُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ تَأْلِيفُهُ  
وَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُمْ حَتَّى يَتَّجِرَدَ فِي ذَهْنِهِ مِنَ الْقَوَائِبِ الْمَعِينَةِ الشَّخْصِيَّةِ

قَالَبَ كُلِّي مُطْلَقٌ يَحْدُو حَدَّوهُ فِي التَّالِيفِ كَمَا يَحْدُو الْبِنَاءَ عَلَى الْقَالَبِ وَالنَّسَاجُ  
 عَلَى الْمِنْوَالِ فَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَالِيفِ الْكَلَامِ مُنْفَرِدًا عَنِ نَظْرِ النُّحْوِيِّ وَالْبَيِّنَاتِي وَالْعَرُوفِيِّ  
 نَعْمَ إِنَّ مِرَاعَاةَ قَوَائِنِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَحَصَّلَتْ هَذِهِ الصِّدَاقَاتُ  
 كُلُّهَا فِي الْكَلَامِ أَخْضَصَ بِنَوْعٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٍ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يَسْتَوْفِيهَا أَسَالِيبُ  
 وَلَا يَفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسْلُوبِ مَا هُوَ فَلَنْذَكُرَ  
 بَعْدَهُ حَدًّا أَوْ رَسْمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَقْتَضِيهِمْ حَقِيقَتَهُ عَلَى صُعُوبَةٍ هُنَا الْقَرُوضُ فَإِنَّمَا لَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ  
 لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا رَأْيَانَهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ  
 الْمُعْقَفِيُّ لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْرِهِ وَلَا رَسْمٌ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي  
 الشَّعْرِ بِأَعْيَابِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوِزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخَالِصَةِ فَلَا جَرَمَ إِنْ  
 حَدَّمْ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِ بَعْطِينَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فَنَقُولُ  
 الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِغُ الْمَبْنِيُّ عَلَى الْأَسْتِمَارَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمَفْصَلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ  
 فِي الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ الْجَارِي  
 عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبَلِغُ جِنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمَبْنِيُّ عَلَى  
 الْأَسْتِمَارَةِ وَالْأَوْصَافِ فَصْلٌ عَمَّا يَحْدُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْقَالَبِ لَيْسَ بِشِعْرِ وَقَوْلُنَا  
 الْمَفْصَلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ فَصْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَشْتَوْرِ الَّذِي لَيْسَ  
 بِشِعْرِ عِنْدَ الْكُلِّ وَقَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ  
 بَيَانٌ لِلْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ آيَاتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يُفْصَلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا الْجَارِي  
 عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ فَصْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْرِ مِنْهُ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ  
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أَسَالِيبٌ مُخْصَصَةٌ لَا  
 تَكُونُ لِلْمَشْتَوْرِ وَكَذَا أَسَالِيبُ الْمَشْتَوْرِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا  
 وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ كَانَ الْعَكْبَرِيُّ مِمَّنْ لَقِينَاهُ  
 مِنْ شِبُوحِنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرُونَ أَنَّ نَظْمَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِي لَيْسَ هُوَ مِنَ  
 الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَمْنِهِمَا لَمْ يَجْرِبَا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ  
 يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ  
 الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمُخْصُوصَةِ وَإِذْ قَدْ فَرَسْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنْرْجِعْ

لَى الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِهِ فَنَقُولُ . اعْلَمْ أَنَّ لِعَمَلِ الشِّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا  
 أَوْلَاهَا الْحِفْظُ مِنْ جِنْسِهِ أَيْ مِنْ جِنْسِ شِعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي النَّفْسِ مَلَكَةٌ يَنْسَجُ  
 عَلَى مَنَوَالِهَا وَيَتَخَيَّرُ الْحَفُوظُ مِنَ الْحُرِّ النَّقِيِّ الْكَثِيرِ الْأَسَالِبِ وَهَذَا الْحَفُوظُ الْمُخْتَارُ  
 أَقْلٌ مَا يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْقُحُولِ الْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلَ ابْنِ أَبِي رَيْعَةَ وَكَثِيرٍ  
 وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبٍ وَالتَّجْرِي وَالرُّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ  
 شِعْرُ كِتَابِ الْأَعْيَانِ لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْمُخْتَارُ مِنْ شِعْرِ  
 الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْحَفُوظِ فَنَظْمُهُ قَاصِرٌ رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّوْفُقَ وَالْحَلَاوَةَ  
 إِلَّا كَثْرَةُ الْحَفُوظِ فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ سَاقِطٌ  
 وَأَجْتَنَابُ الشِّعْرِ أَوْلَى بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ ثُمَّ بَعْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَشَحْدِ الْقَرِيحَةِ  
 لِلنَّسْجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يُقْبَلُ عَلَى النَّظْمِ وَبِالْإِكْتِنَانِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتَهُ وَتَرْسُخُ  
 وَرُبَّمَا يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْحَفُوظِ لِشُعْبِي رُسُومُهُ الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ  
 هِيَ صَادِرَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأَسْلُوبُ  
 فِيهَا كَأَنَّهُ مَنَوَالٌ يُؤْخَذُ بِالنَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ  
 مِنَ الْخَلْوَةِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ الْمِيَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا السَّمْعُ  
 لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا وَتَنْشِيطِهَا بِمِلَازِمِ السُّرُورِ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ  
 يَكُونَ عَلَى حِجَامٍ وَنَشَاطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعٌ لَهُ وَأَنْشَطُ الْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنَوَالِ  
 الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ  
 وَفَرَاحِ الْعَمِيدَةِ وَنَشَاطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجَمَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ بَوَاعِيهِ الْعَشِقُ  
 وَالْإِنْشَاءُ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ الْعَمْدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِهِ فِيهِ  
 الصِّنَاعَةُ وَإِعْطَاءُ حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ اسْتَصْعَبَ  
 عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا يُكْرَهُ نَفْسُهُ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ  
 عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ صَوْغِهِ وَنَسْجِهِ بَعْضُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ إِنْ غَفَلَ  
 عَنِ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعِبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَجِي نَافِرَةٌ قَلْفَةٌ وَإِذَا سَمِعَ  
 الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَنْسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْتِي بِهِ فَإِنَّ كُلَّ  
 بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا بَشَاءَ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ

أَخْلَاصٍ مِنْهُ بِالتَّنْفِيحِ وَالتَّقْدِيرِ وَلَا يَضُنُّ بِهِ عَلَى التَّرْكِ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الإِجَادَةَ فَإِنَّ  
الْإِنْسَانَ مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ نَبَاتٌ فِكْرُهُ وَأَخْرَاجُ قَرِيحِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ  
الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالْأَخْلَاصِ مِنَ الْفَرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا  
تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنِ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَيْمَةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدِينَ أَرْتِكَابِ  
الضَّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَجْتَنِبُ  
أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ جُهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاعِلَةَ إِلَى  
الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهِ نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا  
الْخُفْيَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْفَاعِلَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنَّ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
كَانَ حَسْرًا وَاسْتَعْمِلَ الذِّهْنَ بِالْفُرُوضِ عَلَيْهَا فَمَنَعَ الذُّوقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ مُدْرَكِهِ مِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشِّعْرُ مَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاعِلَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا  
كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْيبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ خَنْجَاةٍ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ  
مَعَانِيهِ وَأَزْدِ حَامِيهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيبُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ  
النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنِ طَبَقَةِ  
الشِّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذُّوقُ وَيَجْتَنِبُ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحَوْثِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُقْصِرَ  
وَكَذَلِكَ السُّوفِيُّ الْمُبْتَدِلُ بِالتَّدَاوُلِ بِالإِسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنِ طَبَقَةِ  
الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَةٌ وَالسَّمَاءُ قَوْفًا  
وَبِمِقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنِ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
كَانَ الشِّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَخْدُقُ فِيهِ إِلَّا  
الْفُحُولُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعَشْرِ لِأَنَّ مَعَانِيهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةٌ لِدَلِّكَ وَإِذَا  
تَعَدَّرَ الشِّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاوِضْهُ وَيُعَاوِذْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلُ الْفَرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْرَاءِ  
وَيَجِفُّ بِالتَّرْكِ وَالْإِهْمَالِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعَمْدَةِ  
لِابْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرْنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ  
بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبَغِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ وَهِيَ بِنْدَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُعِينُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشِّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَظْنَهُ لِابْنِ رَشِيْقٍ

(١) قوله ابي بكر وفي نسخة ابي اسحاق الخ

لَعَنَ اللَّهُ صَنَعَةَ الشِّعْرِ مَاذَا مِنْ صُوفِ الْجُهَالِ مِنْهُ لَقِينَا  
يُؤْتِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مِثْلَنَا  
وَيَرْزُونَ الْحَمَانَ مَعْنَى صَحِيحًا وَخَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينًا  
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا بِلَامُومُونَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعَدُّرُونَ  
إِنَّمَا الشِّعْرُ مَا يُنَاسِبُ فِي النَّظْمِ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فَنُونًا  
فَأَيُّ بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمَتُونًا  
كُلُّ مَعْنَى أَنَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَقْتَضِي مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْتَ  
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ مِنْهُ وَجُوهٌ وَالْمَعَانِي رُكُوبٌ فِيهَا عِيُونًا  
إِنَّمَا فِي الْعَرَامِ حَسَبُ الْأَمَانِي يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدُونَ  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشِّعْرِ حُرًّا رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُشْتَهَرِينَ  
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مِثْلَنَا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُهْجَنُ فِي السَّمْعِ وَإِنْ كَانَتْ لَفْظُهُ مَوْزُونًا  
وَإِذَا مَا عَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ عَيْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْعَرُوبِينَ  
فَجَعَلْتَ التَّضَرُّجَ مِنْهُ دَوَاءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيفَ دَاءً دَفِينًا  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْتِ وَالظَّاعِينَا  
حُلَّتْ دُونَ الْأَمَى وَذَلَّتْ مَا كَامَنَ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعَيْونِ مَصُونًا  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ غَائِبًا جِئْتَ بِالْوَعْدِ وَعَيْدًا وَبِالصُّعُوبَةِ بَيْنَا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَيْتَ عَلَيْهِ حَدِيرًا آمِنًا عَزِيزًا مِهِينًا  
وَأَصْحَ الْقَرِيفِ مَا قَارَبَ النَّظْمِ وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَبِينًا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعُ النَّاسَ طَرًّا وَإِذَا رِيمَ الْعَجْزِ الْعُجْزِينَا

ومن ذلك أيضا قول بعضهم

الشِّعْرُ مَا قَوْمَتْ رَبْعَ صُدُورِهِ وَشَدَدَتْ بِالْتَهْدِيبِ أَسْمُوتِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْإِدْنَابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ وَفَتَحَتْ بِالْإِيحَازِ عَوْرَةَ عِيُونِهِ

وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيْبِهِ وَبَعِيْدِهِ      وَجَمَعَتْ بَيْنَ مُحِبِّهِ وَمَعِيْنِهِ  
وَإِذَا مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا      وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دِيُونِهِ  
أَصْفِيْتَهُ بِتَفْشٍ وَرَضِيْتَهُ      وَخَصَصْتَهُ بِخَطِيْرِهِ وَتَمِيْنِهِ  
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ      وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ فُنُونِهِ  
وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَاهْلِهَا      أَجْرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شَوْوْنِهِ  
وَإِذَا أَرَدْتَ كِتَابَةً عَنْ رِيْبَةٍ      بَايَنْتَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَبَطُونِهِ  
بَعَمَلَتْ سَامِعَةً بِشُوبِ شُكُوكِهِ      بِشُوبِهِ وَظُنُونِهِ بِبِقِيْنِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما  
المعاني تتبع لها وهي اصل فاصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر  
انما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجرته  
على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخاض من العجمة التي ربي عليها  
في جيله ويفرض نفسه مثل وايد نشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها  
الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قد منا ان لسان ملكة  
من الملكات في النظم يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي  
في اللسان والنظم انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الصائير وايضا فالمعاني  
موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج  
إلى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة  
القولب للمعاني فكما ان الاواني التي يفرغ بها الماء من النجر منها انية الذهب  
والفضة والصدف والزجاج والحرف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني  
المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في  
الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد  
والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة  
اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض

وَلَا يَسْتَطِيعُهُ لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَثْرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعْلَمَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَعَلَى قَدْرِ  
جُودَةِ الْمُحْفَظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جِنْسِهِ وَكَثْرَتِهِ مِنْ قَلْتِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ  
عِنْدَ الْمُحَافِظِ فَمَنْ كَانَ يُحْفَظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعَنَابِيِّ أَوْ ابْنَ الْمُعْتَزِ أَوْ ابْنَ هَانِيٍّ أَوْ  
الشَّرِيفِ الرَّخِيَّ أَوْ رَسَائِلَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَوْ سَهْلِ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنَ الزِّيَّاتِ أَوْ الْبَدِيعِ  
أَوْ الصَّابِيِّ تَكُونُ مَلَكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرَتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّنْ يُحْفَظُ شِعْرَ ابْنِ  
سَهْلٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنِ النَّبِيِّ أَوْ تَرَشُلَ الْبَيْسَانِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِتَزُولِ  
طَبَقَةُ هُوَلَاءَ عَنْ أَوْلَيْكَ بَيِّنَةٌ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِدِ صَاحِبِ الذُّوقِ وَعَلَى مِقْدَارِ جُودَةِ  
الْمُحْفَظِ أَوْ السَّمْعِ تَكُونُ جُودَةُ الْأَسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلَكَةِ مِنْ  
بَعْدِهَا فَيَا رَتَقَاءَ الْمُحْفَظِ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَقِي الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ لِأَنَّ الطَّبِيعَ  
إِنَّمَا يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَتَتَمُوقَى الْمَلَكَةَ بِتَغْدِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
جِبَلَتِهَا وَاحِدَةً بِالنُّوعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِأَقْوَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْأِدْرَاكَاتِ وَاخْتِلَافِهَا  
إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْأِدْرَاكَاتِ وَالْمَلَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
مِنْ خَارِجٍ فَبِهَيْئِهِ يَتِمُّ وُجُودُهَا وَتَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتِهَا وَالْمَلَكَاتُ الَّتِي  
تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ كَمَا قَدَّمْنَا فَالْمَلَكَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ  
وَمَلَكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَسْتِجَاعِ وَالرَّسِيلِ وَالْمَلَمِيَّةُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلُومِ وَالْأِدْرَاكَاتِ  
وَالْأَبْحَاجِ وَالْأَنْظَارِ وَالْفَقِيَّةُ بِمُخَالَطَةِ الْفِقْهِ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَفْرِيعِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
عَلَى الْأَصُولِ وَالتَّصَوُّفِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِالْإِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْطِيلِ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ  
بِالْحُلُوتِ وَالْإِفْرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصَلَ لَهُ مَلَكَةُ الرَّجُوعِ إِلَى حِسِّهِ الْبَاطِنِ  
وَرُوحِهِ وَيَتَقَلَّبُ رَبَّانِيًّا وَكَدًّا سَائِرُهَا وَالنَّفْسُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْ أَنَّ تَكْيِيفُ بِهِ وَعَلَى  
حَسَبِ مَا نَشَأَتْ الْمَلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَاءَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلَكَةُ فِي نَفْسِهَا  
فَمَلَكَةُ الْبَلَاغَةِ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جِنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
الْكَلَامِ وَلِهَذَا كَانَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلِّهِمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ

يَسْبِقُ إِلَى مَحْفُوظِهِمْ وَيَمْتَلِي بِهِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَقِيهِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 أُسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنِ الْقَوَائِنِ وَالْعُلُومِ لَا حَظَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ إِلَى الْفِكْرِ وَكَثُرَ وَتَلَوَّتْ بِهِ النَّفْسُ جَاءَتْ الْمَلَكَةُ  
 النَّاسِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ وَانْحَرَفَتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أَسَالِبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 فَجَدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَّارِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَمْ يَمْتَلِي مِنْ حِظِّ النَّفْيِ  
 الْحُرِّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . أَخْبَرَني صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ الْعَلَامَةِ  
 بِالدَّوْلَةِ الْعُرُبِيَّةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ الْمُقَدَّمُ فِي الْبَصْرِ بِاللِّسَانِ لِعَهْدِهِ فَأَنشَدَنِي مَطْلِعَ قَصِيدَةِ ابْنِ النَّحْوِيِّ  
 بِمِثْلِهَا وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَدْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَبَالِي  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهَةِ هَذَا شِعْرُ فَقِيهٍ فَقُلْتُ لَهُ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 الْفَرْقُ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَابْتَسَتْ مِنْ أَسَالِبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ اللَّهُ أَبُوكَ  
 إِنَّهُ ابْنُ النَّحْوِيِّ . وَأَمَّا الْكِتَابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلَيْسُوا كَذَلِكَ لِتَغْيِيرِهِمْ فِي مَحْفُوظِهِمْ  
 وَمَحَالِّطَتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِبِهِمْ فِي الْأَرْسُلِ وَانْتِقَائِهِمْ لَهُمْ الْجَدِيدَ مِنَ الْكَلَامِ .  
 ذَاكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ وَزَيْرَ الْمَلُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَحْمَرِ وَكَانَ الصَّدْرَ الْمُقَدَّمُ فِي الشُّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدُ اسْتِضْعَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشُّعْرِ مَتَى رُمْتُهُ مَعَ بَصْرِي بِهِ وَحِظِّي لِلْجَدِيدِ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفُنُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظِي قَلِيلًا وَإِلْمَا أَتَيْتُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حِظِّي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَائِنِ النَّأْيِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَتِي الشَّاطِئِي الْكُبْرَى  
 وَالصُّفْرِي فِي الْقِرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي ابْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفِقْهِ وَالْأَصُولِ وَجُمَلَ  
 الْخَوَاصِّ فِي الْمَنْطِقِ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّنْهِيلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَائِنِ التَّعْلِيمِ فِي التَّجَالِسِ  
 فَأَمْتَلًا مَحْفُوظِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهَ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعَدَّتْ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَدِيدِ مِنَ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ تُعَاقِبُ الْقَرِيحَةَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَنْظُرُ إِلَيَّ سَاعَةً مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 فِيهِ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلَكَ . وَيَبْظُهُرُ لَكَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاهُ السَّبَبَ فِي أَنَّ كَلَامَ الْأِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَابَهَا



مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَعُمَرَ بْنِ  
 أَبِي رَيْعَةَ وَالْحُطَيْبَةَ وَجَرِيرَ وَالْفَرَزْدَقَ وَنُصَيْبَ وَغِيْلَانَ ذِي الرِّمَّةِ وَالْأَخْوَصَ وَبِشَارَ  
 ثُمَّ كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي  
 خُطْبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ لِلْمَلُوكِ أَرْقَعَ طَبَقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ شِعْرِ النَّابِغَةِ وَعَنْتَرَةَ  
 وَابْنَ كَلْتُومٍ وَزُهَيْرَ وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ وَطَرَفَةَ بْنَ الْعَبْدِ وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ  
 وَمَحَاوِرَاتِهِمْ وَالطَّبْعَ السَّلِيمَ وَالذُّوقَ الصَّحِيحَ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّاقِدِ الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ وَالسَّبَبِ  
 فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ سَمِعُوا الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالْحَدِيثِ الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلَيْهِمَا لِكُونِهَا وَجَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ  
 عَلَى أَسَالِيهَا نُفُوسُهُمْ فَهَضَمَتْ طِبَاعَهُمْ وَأَرْتَقَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى  
 مَلَكَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ عَلَيْهَا  
 فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ أَحْسَنَ دِيَابَجَةٍ وَأَصْنَى رَوْنَقًا مِنْ أَوْلِكَ وَأَرَصَفَ  
 مَبْنَى وَأَعْدَلَ تَثْقِيْفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِيِ الطَّبَقَةِ وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِشَهْدِكَ لَكَ  
 بِهِ ذَوْقَكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الذُّوقِ وَالْبَصْرِ بِالْبَلَاغَةِ . وَلَقَدْ سَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّرِيفَ  
 أَبَا الْقَائِمِ فَاضِي غَرْنَاطَةَ لِعَهْدِنَا وَكَانَ شَيْخَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَخَذَ بِسَبْتَةٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 مَشِيخَتِنَا مِنْ تَلَامِيذِ الشُّلُوبِيِّنِ وَأَسْتَجَبَ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ  
 يَوْمًا مَا بَالُ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّينَ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ  
 لِيَسْتَنْكَرَ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي فَقُلْتُ أَعْرِضْ عَلَيْكَ  
 شَيْئًا ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ السَّبَبُ فِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الَّذِي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجَبًا  
 ثُمَّ قَالَ لِي يَا فِقِيهَ هَذَا كَلَامٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤْتَرُ  
 مَحَلِّي وَيُصْبَغُ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ إِلَى قَوْلِي وَيَشْهَدُ لِي بِالنَّبَاهَةِ فِي الْعُلُومِ وَاللَّهُ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع اهل المراتب عن التحال الشعر

إِعْلَمْ أَنَّ الشَّعْرَ كَانَ دِيْوَانًا لِلْعَرَبِ فِيهِ عُلُومُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَحِكْمَتُهُمْ وَكَانَ رُؤْسَاهُ  
 الْعَرَبُ مُنَافِسِينَ فِيهِ وَكَانُوا يَقِفُونَ بِسُوقِ عُسْكَاطٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

دِيَابَجَتُهُ عَلَى فُجُولِ الشَّانِ وَأَهْلِ الْبَصْرِ لِتَمْيِيزِ حَوْلِهِ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى الْمَنَافَةِ فِي تَعْلِيْقِ  
 أَشْعَارِهِمْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَوْضِعِ حَبِيْبِهِمْ وَيَتِ اِبْرَاهِيْمَ كَمَا فَعَلَ اَمْرُؤُ الْقَيْسِ  
 اِبْنُ حُجْرٍ وَالنَّابِغَةُ الذِّيَابِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ وَطَارِقَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
 وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ وَالْأَعْمَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلِّقَاتِ السَّبْعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
 إِلَى تَعْلِيْقِ الشَّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصَبِيَّتِهِ وَمَكَانِهِ فِي مَضْرَعِ عَلَى  
 مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُعَلِّقَاتِ ثُمَّ انْتَصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ بِمَا  
 شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَذْهَبَهُمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
 فَأَخْرَجُوا عَنْ ذَلِكَ وَسَكَنُوا عَنِ الْخَوْضِ فِي النَّظْمِ وَالنَّذْرِ وَمَا نَأْتِيهِمْ أَنْتَقَرَهُ ذَلِكَ وَأُوْنِسَ  
 الرَّشْدُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيمِ الشَّعْرِ وَحَطَرِهِ وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا حِينَئِذٍ إِلَى دِيَابَجَتِهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ كَبِيرِ  
 قُرَيْشٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٌ فِيهِ عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مُرْتَفِعَةٌ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَبْرُضُ شَعْرَهُ عَلَى  
 اِبْنِ عَبَّاسٍ فَيَقِفُ لِاسْتِجَاعِهِ مُعْجِبًا بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالِدُؤُةُ الْعَزِيزَةُ  
 وَأَقْرَبُ اِبْنَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ بِمَتَدِحُوْتِهِمْ بِهَا وَيُحْبِزُهُمُ الْخُلْفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
 نِسْبَةِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِيَّتِهِمْ وَيَعْرِضُونَ عَلَى اسْتِهْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ يَطْلِعُونَ  
 مِنْهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَشَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يَطْلُبُونَ وَالدُّهُمُ يَحْفَظُهَا وَلَمْ  
 يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنْظَرُ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ  
 فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَصْمَعِيِّ فِي بَابِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ نَحْدَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنْ  
 الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوحِ فِيهِ وَالْعَنَابَةِ بِأَنْتِحَالِهِ وَالتَّبَصُّرِ بِجَيِّدِ الْكَلَامِ وَرَدِيَّتِهِ وَكَثْرَةِ  
 حَفْوِظِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْعَجْمَةِ وَأَقْصِيرِهَا  
 بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّوْهُ صِنَاعَةٌ ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أَمْرَاءَ الْعَجْمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللِّسَانُ لَهُمْ  
 طَالِبِينَ مَعْرُوفِهِمْ فَقَطْ لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبٌ وَالتَّبَحُّرِيُّ وَالْمُنْتَهَبِيُّ  
 وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا فَصَارَ غَيْضُ الشَّعْرِ فِي الْعَالِيَةِ إِنَّمَا هُوَ الْكَلْبُ  
 وَالْإِسْتِجْدَاءُ لِذَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلْأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا أَنْفَاءً وَأَنْفَتْ مِنْهُ لِلذَّكَ  
 أَهْلُ الْعَهْمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُنَآخِرِينَ وَتَغْيِيرُ الْحَالِ وَأَصْبَحَ تَعَاظِيهِ هُجْنَةٌ فِي الرِّئَاسَةِ  
 وَمَدْمَةٌ لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّهُ مُقَاتِبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية  
أو عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم أرسطو في كتاب  
المنطقي أو ميردوس الشاعر وأثنى عليه وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون ولما فسد  
لسان مضر ولغتهم التي دوت مقابيسها وقوانين إعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب  
ما خالطها ومازجها من العجمية فكانت تحيل للعرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم  
من مضر في الأعراب بجدلة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات  
وكذلك الحضر أهل الامصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الأعراب  
وأكثر الأوضاع والتصارييف وخالفت أيضاً لغة الجليل من العرب لهذا العهد  
وأختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق فلاهل الشرق وأمصاره لغة  
غير لغة أهل المغرب وأمصاره وبخالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره ثم لما  
كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في  
أعداد المتحرّكات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر  
بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحولاً وفرسان ميدانه حسبما أشهر  
بين أهل الخليفة بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر  
أهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ورضف بنائه على منبع كلامهم  
فأما العرب أهل هذا الجليل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر  
لهذا العهد في سائر الأجاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه  
بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من التسيب والمدح والرثاء  
والهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام وربما هجموا على  
المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم بأسم الشعراء ثم بعد ذلك  
بنسبوا فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأممعية نسبة إلى  
الأممعي زاوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من  
الشعر بالبدوي وربما يلغنون فيه ألحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم

يُغْنُونَ بِهِ وَيُسَمَّونَ الْغِنَاءَ بِهِ بِأَسْمِ الْخُورَانِي نِسْبَةً إِلَى حُورَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ. وَلَهُمْ قَدْ أُخْرِجَ كَثِيرٌ  
التَّدَاوُلِ فِي نَظْمِهِمْ يَجِيئُونَ بِهِ مُعَصَّبًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالِفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رَوِيهِ  
وَيَلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ بَيْتٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَبِيهَا بِالرَّبْعِ وَالْخُمْسِ  
الَّذِي أَحَدَتُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ وَلِهَذَا الْعَرَبِ فِي هَذَا الشِّعْرِ بِلَاغَةٌ فَائِقَةٌ  
وَفِيهِمْ الْفُحُولُ وَالْمُتَأَخِّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَحَلِّينَ لِلْعُلُومِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمُ  
اللِّسَانِ يَسْتَنْكَرُ صَاحِبَهَا هَذِهِ الْغُنُونِ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَيَمْجُحُ نَظْمَهُمْ إِذَا أُنشِدَ وَيَعْتَقِدُ  
أَنْ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَأَ عَنْهَا لِاسْتِجَابَتِهَا وَفَقْدَانِ الْإِعْرَابِ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا آتَى مِنْ فَقْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لُغَتِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبْعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَالْإِعْرَابُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَالْمُقْتَضَى الْحَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سِوَاهُ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يُدَلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قَرَأْنِ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لُغَتِهِمْ هَذِهِ قَالِدَالَةٌ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحُ فِي مَلَكَةٍ وَأَشْتَهَرَ صِحَّةُ الدَّلَالَةِ وَإِذَا طَابَقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودُ وَمُقْتَضَى الْحَالِ صَحَّتْ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ وَأَسَالِبِ الشِّعْرِ  
وَفُنُونِهِ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ فِي آخِرِ الْكَلِمِ فَإِنَّ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْقُوفَةٌ الْآخِرِ وَيَتَمَيَّزُ عِنْدَهُمُ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
يَقْرَأْنِ الْكَلَامَ لَا بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ

(الموشحات والازجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشِّعْرُ فِي فُطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفُنُونُهُ وَبَلَغَ  
التَّنْمِيقُ فِيهِ الْقَافِيَةَ اسْتَحَدَّتْ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ قَنَاءَ مِنْهُ سَمْرَةٌ بِالْمَوْشَعِ يَنْظِمُونَهُ أَمْطَاطًا  
أَمْطَاطًا وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا يُكْثِرُونَ مِنْ أَعَارِيفِهَا الْخُتْلَفَةِ وَيُسَمَّونَ الْمُشْعَدِدَ مِنْهَا بَيْنَا  
وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ عِنْدَ قَوَائِمِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُتَّالِيًا فِيهَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ وَبَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عِنْدَهَا  
بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَدَاهِبِ وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْتَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَأَسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً الْخَاصَّةُ وَالْكَافَّةُ لِسُهولةِ تَنَاوُلِهِ وَقُرْبِ  
طَرِيقِهِ وَكَانَ الْخُتْرَعُ لَهَا يَجْزِي بَرَةً الْأَنْدَلُسِ مُقَدِّمَ بْنِ مَعَاذِ الْفَرِيرِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَمِيرِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَرْوَانِيِّ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ  
كِتَابِ الْعَقِيدِ وَلَمْ يَفْظَرْ لِهَمَّا مَعَ الْمُنَافِرِينَ ذِكْرًا وَكَسَدَتْ مُوشِحَاتُهَا فَكَانَ أَوَّلُ  
مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّانِ عِبَادَةُ الْقَزَازِ شَاعِرَ الْمُعْتَصِمِ ابْنَ مَعَادِجِ صَاحِبِ الْعَرِيَّةِ

بدر تم . شمس ضحا . غصن نقا . مسك شم

ما اتم . ما اوضحا . مها اورقا . ما اتم

لا جرم . من لحما . قد عشقا . قد حرم

وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ وَشَاحُّ مِنْ مُعَاَصِرِيهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطَّوَائِفِ  
وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّانِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً  
مِنَ الْوُشَاحِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ بِأَشْبِيلَةَ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مُوشِحَةً  
وَتَأْتَى فِيهَا فَتَقَدَّمَ الْأَعْمَى الطَّائِيطِيُّ لِلإِنشَادِ فَلَمَّا افْتَتَحَ مُوشِحَتَهُ الْمَشهُورَةَ يَقُولُهُ  
صَاحِبُكَ عَنْ جَمَانَ . سَافِرٌ عَنْ دُرِّ ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ . وَحَوَاهُ صَدْرِي  
صَرَفَ ابْنُ بَيْعِي مُوشِحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّ مِثْلَ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ ابْنِ بَيْعِي حِينَ وَقَعَ لَهُ

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ . فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ . أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ . فَأَرَانَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ

وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْمَوْشِحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْضُ وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا أَيْضًا  
الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةِ وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشهُورَةِ  
أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ مَخْدُومِهِ ابْنِ تَيْفَلُوتِ صَاحِبِ سِرْقَنَةَ فَالْتَقَى عَلَى بَعْضِ قَيْنَاتِهِ مُوشِحَتَهُ  
جَرَّرَ الدَّبِيلَ أَيَّمَا جَرِّ . وَصَلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فَطَرِبَ الْمَمْدُوحُ لِذَلِكَ لَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُهُ

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعِلَاءِ أَبِي بَكْرٍ

فَلَمَّا طَرَّقَ ذَلِكَ التَّلَاحِينَ سَمِعَ ابْنَ تَيْفَلُوتِ صَاحِ وَاطْرَبَاهُ وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا  
أَحْسَنَ مَا بَدَأْتَ وَخَتَمْتَ وَحَلَفْتَ بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ لَا يَمْسِي ابْنُ بَاجَةَ إِلَى دَارِهِ إِلَّا  
عَلَى الذَّهَبِ فَخَافَ الْحَكِيمُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فَاحْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ

وَذَكَرَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ زُهْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرِ بْنِ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرِ الْأَيْتُوهِي  
 الْوَشَّاحِ الْمُنْقَدِمِ الَّذِي كَرِهَ فَنَصَّ مِنْهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ نَعَصُّ مِنْهُ بِقَوْلِ  
 مَا لَدَيْ شَرَابٍ رَاحَ . عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ . لَوْلَا هَضِيمُ الْوَشَّاحِ . إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ . أَضْحَى يَقُولُ مَا لِلسَّمُولِ . لَطَمْتَ خَدَيْهِ  
 وَلِلشَّمَالِ . هَبْتَ فَمَا لِي . غَضُنْ أَعْنِدَالِ . ضَمَّ بَرْدِيهِ  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا . يَمْسِي لِنَا مُسْتَرِيَا . بِالْحَفْظَةِ رُدَّ نُوبَا . وَيَا لِمَاةِ الشَّيْبَا  
 بَرِّدْ . عَالِيلِ . صَبَّ عَالِيلِ . لَا يَسْتَجِيلُ . فِيهِ عَن عَهْدِي  
 وَلَا . يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ . يَرْجُو الْوَصَالَ . وَهُوَ فِي الْعَدَا  
 وَأَشْتَهَرَ بَعْدَ هَوْلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرْفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دَوِيدَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِيَا .

شمس قاربت بدرًا راح ونديم

وابن بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود بالله عودي

وَأَبْنُ مُوَهَّلٍ الَّذِي لَهُ . مَا أَلْعِيدُ فِي حَالِهِ وَطَاقٍ . وَتَمَّ وَطَيْبٍ . وَإِنَّمَا أَلْعِيدُ فِي الدَّلَاقِي . مَعَ الْحَبِيبِ  
 وَأَبُو سِنْحَاقِ الرَّوَيْنِيِّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى  
 ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِمُحَضَّنِ سَبْتَةَ فَلَمَّ يَعْرِفُهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ أَتَمَّى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ فَأَشَدَّ لِنَفْسِهِ مُوشِحَةً وَقَعَ فِيهَا

كحل الدجى يجري . من مقلته الفجر . على الصباح

ومعصم النهر . في حلل خضر . من الطباح

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ أَخْبَرَ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ فَعَرَفَهُ فَقَالَ أَرْزُقُ  
 فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلْبَةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَوْلَاءُ أَبُو بَكْرِ بْنِ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَفَتْ مُوشِحَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعَ وَأَرْزُقُ مَا وَقَعَ لَكَ فِي التَّوَشِيحِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ

مَا لِلْمَوَلِّهِ مِنْ سَكْرٍ لَا يُفِيقُ . يَالَهُ سَكَرَانَ . مِنْ غَيْرِ خَمْرٍ . مَا لِلْكَيْبِ الْمَشُوقِ . يَنْدُبُ الْإِوْطَانَ

هل تستعاد . ايامنا بالخليج . وليالينا

او نستفاد . من التسم الاربيج . مسك دارينا

واد يكاد . حُسنُ المكانِ البيهج . ان يَجِينَا  
 نهرًا ظلُّهُ دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقٌ . مَوْرِقٌ فَيْتَانٌ . وَالْمَاءُ يَجْرِي . وَعَائِمٌ وَغَرِيقٌ . مِنْ جَنَى الرَّيْحَانِ  
 وَمِنْ مَحَاسِنِ الْمَوْسِمَاتِ لِلْمَتَأَخِرِينَ . مَوْسِمَةُ ابْنِ سَهْلٍ شَاعِرِ أَشْجَلِيَّةٍ وَسَبْتَةَ مِنْ  
 بَعِيهَا فَمِنْهَا قَوْلُهُ

هَلْ دَرِي ظَنِي الْحَمِي أَنْ مَدَّحِي      قَلْبَ صَبِّ حَلَّةٍ عَن مَكْنِي  
 فَهَوَّ فِي نَارٍ وَخَفِي مِثْلَ مَا      آبَيْتَ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبِي  
 وَقَدْ نَسَجَ عَلَى مَنَوَالِهِ فِيهَا صَاحِبِنَا الْوَزِيرُ      أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْخَطِيبِ شَاعِرُ الْأَنْدَلِسِ  
 وَالْمَغْرِبِ لِعَصْرِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فَقَالَ

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي      يَا زَمَانَ الْوَهْلِ يَا الْأَنْدَلِسِ  
 لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلْمًا      فِي الْكُرَى أَوْ خِلْسَةَ الْعُغْلِسِ  
 إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمَنِي      يَنْقُلُ الْخَطُوطَ عَلَى مَا يَزِمُ  
 زَمْرًا بِيَّتْ فُرَادَى وَثَنَا      مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْسِمُ  
 وَالْحَيَاءُ قَدْ جَلَّلَ الرُّوضَ سَنِي      فَتُفَوِّرُ الزَّهْرَ فِيهِ تَبَسُّمُ  
 وَرَوَى الْعَمَانُ عَن مَاءِ السَّمَاءِ      كَيْفَ يَزِيدِي مَالِكٌ عَن أَنَسِ  
 فَكَسَاهُ الْحُسْنُ نَوْبًا مُعَلَّمًا      يَزِدْهِ مِنْهُ بِأَبْعَى مَلْبَسِ  
 فِي لِبَالٍ كُنْتِ سِرَّ الْهَوَى      بِالْدَجِي لَوْلَا شُمُوسُ الْفَرَسِ  
 مَالٌ نَجْمُ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى      مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ مَعَدَّ الْأَثَرِ  
 وَطَرُّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبِ سَوَى      أَنَّهُ مَرَّ كَلْمَحِ الْبَصْرِ  
 حِينَ لَدَّ النَّوْمُ مِنَّا أَوْ كَمَا      هَجَمَ الصَّبْحُ هَجُومَ الْحَرَسِ  
 غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا      أَثَرَتْ فِينَا عِيُونَ النَّزْجِسِ  
 أَيُّ شَيْءٍ لَأَمْرِي قَدْ خَلَصَا      فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ  
 تَنَهَبُ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفَرَصَا      أَمَنْتَ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَطْفِيهِ  
 فَإِذَا الْمَاءُ بِنَاجِي وَالْحَصَا      وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ  
 تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيْرًا بِرِمَا      يَكْتَسِي مِنَ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي  
 وَتَرَى الْأَسَّ لَيْبًا فِيهَا      يَسْرِقُ الدَّمْعَ بِأَذْنِي فَرَسِي

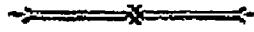
يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْقَضَا  
ضَاقَ عَن وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْقَضَا  
فَاعْبِدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَحْبُوا مُغْرَمًا  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبٌ  
قَمْرًا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ  
سَاحِرٌ الْمُقَلَّةِ مَعْسُولُ اللَّهِ  
سَدَدَ السَّهْمِ فَأَصْحَى إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ  
فَهَوَّ لِلنَّفْسِ حَيْبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مُعْتَمَلٌ مُمْتَلٌ  
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَأَحْتَكَمَا  
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا  
مَا لِقَلْبِي كَلَّمَا هَبَّتْ صَبَا  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَنَبَا  
جَلَبَ أَلْهَمَ لَهُ وَالْوَصْبَا  
لَا عَجْرٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مَعْجِي إِلَّا أَلْدَمَا  
سَلِمِي يَا نَفْسَ فِي حُكْمِ الْقَضَا  
وَأَتْرُكِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى  
وَأَضْرِي فِي الْقَوْلِ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَبِقَلْبِي مَسْكِرٌ أَنْتُمْ بِهِ  
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ  
تُنْقِدُوا عَائِيكُمْ مِنْ كَرْبِهِ  
يَتَلَاثَى نَفْسًا فِي نَفْسِي  
أَفْتَرِضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ  
يَا حَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدٌ  
شَقْوَةُ الْمَغْرَمِ بِهِ وَهُوَ سَعِيدٌ  
فِي هَوَاهُ بَيْتٌ وَعَدِيدٌ وَعَوِيدٌ  
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفْسِ  
بِفُؤَادِي نَبْلَةٌ الْمَفْتَرِسِ  
وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشُّوقِ يَدُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِحَبِيبٍ ذُنُوبُ  
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ  
وَيَجَازِي الْبِرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي  
عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدٌ  
قَوْلُهُ إِنَّ عَدَائِي لِشَدِيدِ  
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدِ جَهِيدِ  
فَهِيَ نَارٌ فِي هَسِيمِ الْبَيْسِ  
كِبْقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ  
وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ  
بَيْنَ عَتِي قَدْ نَقَضْتُ وَعَتَابُ  
مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ  
أَسَدِ السَّرْحِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ



وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كَلِمًا فِي مَعْرِفَةِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ الْأَلْغَةَ وَكَثُرَ  
 اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَمَخَاطَبَتُهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصَلَ مَا كَتَبْنَا كَمَا قُلْنَا فِي الْأَلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
 فَلَا الْأَنْدَلُسِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْعَرَبِ وَلَا الْعَرَبِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ  
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا الْمَشْرِقِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ  
 اللِّسَانَ الْخَضِرِيَّ وَتَرَكَيبَهُ مُخْتَلِفَةٌ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدْرِكٌ لِلْبَلَاغَةِ لُغَتِهِ وَذَائِقٌ  
 لِحَسَنِ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَسْمَانِكُمْ  
 وَالرَّوَايِكُمْ آيَاتٌ وَقَدْ كِدْنَا نَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ وَإِذَلِكَ عَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِنَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي  
 هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَمَا بَعْرُضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ  
 مَا حَسَبْنَاهُ كِفَايَةً وَلَعَلَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا مِنْ يَدِيهِ اللَّهُ بِفِكْرٍ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ مَبِينٍ يَغُوصُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَا فَلَيْسَ عَلَيَّ مُسْتَنْبِطُ الْفَنِّ إِحْصَاءَ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَبْكَلُّ فِيهِ وَالْمَتَأَخِّرُونَ يُلْعِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ  
 بَعْدِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قال مؤلف الكتاب عني الله عنه اتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتاليف قبل التنقيح  
 والتهذيب في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعائة ثم نقيحته بعد  
 ذلك وهذبتة والحقت به تواريخ الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الامن عند  
 الله العزيز الحكيم



## فهرست الكتاب

صحيفة	صحيفة
يكون الا للقبائل اهل العصبية .	٩ المقدمة في فضل علم التاريخ
١٣٠ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع .	وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط
١٣١ فصل في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية .	والاوهسام وذكر شيء من اسبابها .
١٣٢ فصل في ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم	٤١ المقدمة الاولى في ان الاجتماع الانساني ضروري .
١٣٦ فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء .	٤٤ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم .
١٣٨ فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب ممن سواها .	٥٢ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا .
١٣٩ فصل في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك .	٨٢ المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتائسير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم .
١٤٥ فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع .	٨٦ المقدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر .
١٤٩ فصل في ان العرب لا يتقلبون الا على البسائط .	١٢٠ فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعية .
١٥١ فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك .	١٢١ فصل في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي .
١٥٤ فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية .	١٢٣ فصل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة .
١٥٦ فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصب الملك دولة تستغني عن العصبية .	١٢٥ فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة .
١٥٩ فصل في ان الدعوة من غير عصبية لا تتم .	١٢٧ فصل في ان سكنى البدو لا

صحيفة	صحيفة
٢٣٥ فصل في مراتب الملك والسلطان والقباهما .	١٦١ فصل في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطنان لا تزيد عليها .
٢٤٣ ديوان الاعمال والجبايات .	١٦٦ فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد .
٢٤٦ ديوان الرسائل والكتابة .	١٦٧ فصل في ان من طبيعة الملك الترف .
٢٥٢ قيادة الاساطيل .	١٧٠ فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص .
٢٥٧ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول .	١٧٢ فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة .
٢٦٠ السرير والمنبر والتخت والكرسي .	١٧٧ فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها .
٢٦١ السكة	١٨٤ فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدول .
٢٦٤ الخاتم .	١٨٥ فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه .
٢٦٦ الطراز .	١٨٦ فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك .
٢٦٧ الفساطيط والسياج .	١٨٧ فصل في حقيقة الملك واصنافه
٢٦٩ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة .	١٨٨ فصل في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر
٢٧٠ فصل الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها .	١٩٠ فصل في معنى الخلافة والامامة .
٢٧٢ فصل ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم الخ .	١٩١ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه .
٢٧٩ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها .	١٩٦ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة .
٢٨٠ فصل في ضرب المكوس واخر الدولة .	٢٠٢ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك .
٢٨٣ فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة .	٢٠٦ فصل في معنى البيعة .
٢٨٦ فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية .	٢١٠ فصل في ولاية العهد .
٢٨٦ فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران .	٢١٨ فصل في الخطط الدينية الخلافية .
٢٨٩ فصل ومن اشد الظلمات واعظمها في فساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق .	
٢٩٠ فصل في الحجاب كيف يقع في	

صحيفة	صحيفة
٣٧٧ فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض .	الدول وانه يعظم عند الهرم .
٣٧٩ فصل في لغات اهل الامصار .	٢٩٢ فصل في اتقسام الدولة الواحدة بدولتين .
٣٨٢ فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه .	٢٩٣ فصل في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع .
٣٨٣ فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي .	٢٩٤ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة .
٣٨٩ فصل في ان الجاه مفيد للمال .	٢٩٨ فصل في حدوث الدولة وتجديدها كيف يقع .
٣٩٤ فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها .	٣٠١ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات .
٣٩٦ فصل في نقل التاجر للسلع .	٣٠٢ فصل في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره .
٣٩٧ فصل في الاحتكار .	٣١١ فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف القطاء عن ذلك .
٣٩٩ فصل في ان الصنائع لا بد لها من المعلم .	٣٣٠ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر .
٤٠٣ فصل في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبها .	٣٤٤ فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار .
٤٠٤ فصل في ان العرب ابعدا الناس عن الصنائع .	٣٤٦ فصل في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل بيناتها الدولة الواحدة .
٤٠٥ فصل في ان من حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعدها ملكة اخرى .	٣٤٩ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم .
٤٠٥ فصل في الاشارة الى امهات الصنائع .	٣٥٧ فصل في ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة .
٤٠٦ فصل في صناعة الفلاحة .	٣٥٩ فصل في مبادي الخراب في الامصار .
٤٠٦ فصل في صناعة البناء .	٣٦٢ فصل في اسعار المدن .
٤١٠ فصل في صناعة التجارة .	٣٧٦ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض .
٤١١ فصل في صناعة الحياكة والخياطة .	
٤١٢ فصل في صناعة التوليد .	
٤١٥ فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية .	
٤١٧ فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية .	
٤٢١ فصل في صناعة الوراقة .	

صحيفة	صحيفة
التفسيية الاصابة بالعين .	٤٢٢ فصل في صناعة الغناء .
٥٠٤ علم الكيمياء .	٤٢٨ فصل في ان الصنائع تكسب
٥١٤ فصل في ابطال الفلسفة	صاحبها عقلا وخصوصا
وقساد منتحلها .	الكتابة والحساب .
٥٢١ فصل في ان كثرة التأليف في	٤٣٠ فصل في ان التعليم للعلم من
العلوم عائقة عن التحصيل .	جملة الصنائع .
٥٢٣ فصل في وجه الصواب في	٤٣٥ فصل في اصناف العلوم الواقعة
تعليم العلوم وطريق افادته .	في العمران لهذا العهد .
٥٢٤ فصل واعلم ايها المتعلم الخ .	٤٣٧ علوم القرآن من التفسير
٥٤٠ فصل في ان الشدة على	والقراءات .
المتعلمين مضرة بهم .	٤٤٠ علوم الحديث .
٥٤٣ فص في ان حملة العلم في	٤٤٥ علم الفقه وما يتبعه من
الاسلام اكثرهم العجم .	الفرائض .
٥٤٥ فصل في علوم اللسان العربي .	٤٥١ علم الفرائض .
٥٤٦ علم النحو .	٤٥٢ اصوا، الفقه وما يتعلق به من
٥٤٨ علم اللغة .	الجدل والخلافات .
٥٥٠ علم البيان .	٤٥٨ علم الكلام .
٥٥٣ علم الادب .	٤٦٧ علم التصوف .
٥٥٤ فصل في ان اللغة ملكة صناعية	٤٧٥ تعبير الرؤيا .
٥٥٩ فصل في تعليم اللسان المضري .	٤٧٨ العلوم العقلية واصنافها .
٥٦٠ فصل في ان ملكة هذا اللسان	٤٨٢ العلوم العددية .
غير صناعة العربية ومستغنية	٤٨٣ ومن فروع علم العدد صناعة
عنها في التعليم .	الحساب .
٥٦٦ فصل في اتقسام الكلام الى فني	٤٨٢ ومن فروعه الجبر والمقابلة .
النظم والنثر .	٤٨٤ ومن فروعه ايضا المعاملات .
٥٦٩ فصل في صناعة الشعر ووجه	٤٨٥ العلوم الهندسية .
تعلمه .	٤٨٧ ومن فروع الهندسة المساحة .
٥٧٨ فصل في ان حصول هذه الملكة	٤٨٧ علم الهيئة .
بكثرة الحفظ ، جودتها بجودة	٤٨٨ ومن فروعه علم الازياج .
المحفوظ .	٤٨٩ علم المنطق .
٥٨٠ فصل في ترفع اهل المراتب	٤٩٢ الطبيعيات .
عن انتحال الشعر .	٤٩٣ علم الطب .
٥٨٢ فصل في اشعار العرب واهل	٤٩٤ الفلاحة .
الامصار لهذا العهد ( وفيه	٤٩٥ علم الالهيات .
اشعار الهلالية والزناية ) .	٤٩٦ علوم السحر والطلسمات .
٥٨٢ الموشحات والازجال للاندلس .	٥٠٣ فصل ومن قبيل هذه التأثيرات









Bibliotheca Alexandrina



1523073

